حاشية الصاوي

على

تفسير الجلالين

مذيلاً

بلباب النقول في أسباب النزول للسيوطي

طبعة جديدة منقحة

الجزء الأول

قدم له وأشرف على تصحيحه

صدقي محمد جميل

بسم الله الرحمن الرحيم

«خيرُكم مَنْ تَعَلَّمَ القرآن وعلَّمه»
رواه البخاري في صحيحه

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الفرقان مصدقاً لما بين يديه هدى وبشرى للمتقين، قرآناً عربياً غير ذي عِوَجٍ موعظةً وذكرى للمؤمنين.

وبعد:

فالقرآن الكريم، سبيل الهداية، وهو للانسانية جمعاء، ومصدر التشريع الأول لهذه الأمة الإسلامية، وعلى وفق معناه، ومعرفة أسراره، والعمل بما فيه، تتوقف سعادتها الدنيوية والأخروية. ولهذا كان التفسير أجل علوم الشريعة وأرفعها قدراً، وأشرف العلوم قاطبة موضوعاً وغرضاً، وكيف لا وموضوعه شرح كلام الله سبحانه وتعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، وهو الطريق إلى العروة الوثقى والسعادة الأبدية؟

ولذا قام الرسول الكريم ﷺ بشرح غامضه وبيان ما يجب بيانه لأصحابه رضوان الله عليهم اجمعين، وذلك بأقواله وأفعاله وسائر أحواله ﷺ فكانت السنة الشريفة شرحاً للقرآن الكريم وتوضيحاً له.

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، استعصى على كثير من الناس فهم بعض آي الكتاب الحكيم فأجاب عن أسئلتهم أولئك الصحابة الذين استقوا من المعين الأصيل بصحبتهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. وكانت هذه الإجابات تفسيراً لكثير من الآيات وتوضيحاً لمعانيها.

وتمضي الأيام، وتضعف السلائق، وتشتد الحاجة إلى فهم القرآن، فينهض التابعون وتابعوهم بهذا العبء، ويؤدوا واجب إفهام معاني القرآن للناس، وبيان ما تدل عليه ألفاظه، وهكذا وجدت كتب التفسير وكثرت وتنوعت، فبعض المفسرين أطال وشرح وبعضهم اختصر، وكانوا جميعاً يستمدون العون من الله القوي القدير الذي أنزل فيه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. وكانوا كلهم أعلاماً في الطريق استرشد بهم المؤمنون على مر العصور، ولا يزال الناس إلى يومنا هذا وسيبقون يستقون من هذه المنابع الثرة للوصول إلى فهم معاني القرآن العزيز الذي أنزله الله على رسوله ﷺ رحمة للعباد وهادياً لهم إلى سبيل الرشاد.

ومن هذه التفاسير التي عمل أصحابها ما في وسعهم في سبيل شرح معاني القرآن ونقلها إلى الناس بشكل دقيق ومختصر يؤدي الغاية دون أن يرهق الطالب، ويفيد العالم الجهبذ إذ يتناول المعنى المراد بسرعة، ويغني عامة الناس لبساطته وسهولته تفسير الجلالين، الذي قام به عالمان كبيران من اجل علماء المسلمين وهما: المرحومان جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.

أما جلال الدين المحلي: فهو العلامة محمد بن أحمد محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي، المصري، الشافعي. اشتهر بتبحره بالعلوم وبسعة اطلاعه وكثرة تآليفه، وعمقها، فكان مفسراً فقيهاً متكلماً أصولياً نحوياً منطقياً.

ولد بالقاهرة عام ٧٩١ هـ الموافق لعام ١٣٨٩ م، وتوفي في مستهل عام ٨٦٤ هـ الموافق لعام ١٤٥٩ م، تاركاً تصانيف هامة في علوم مختلفة تشد إليها الرحال، برع فيها وأجاد، فقهاً، وكلاماً، وأصولاً، ونحواً، ومنطقاً.

وأما جلال الدين السيوطي:

فهو عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضيري الإمام جلال الدين، الأسيوطي، المصري، الشافعي. ولد سنة ٨٤٩ هـ الموافقة لسنة ١٤٤٥ ميلادية، وتوفي في ٩ جمادي الأولى سنة ٩١١ الموافقة لسنة ١٥٠٥ ميلادية، تاركاً سبتاً طويلاً من المؤلفات في علوم شتى ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون، وهي تدل على اطلاع واسع، وسرعة الفهم، وصبر على تلقي العلوم والغوص وراء الحقائق.

تفسير الجلالين:

وهو التفسير الذي اشترك في العمل به الجلالان رحمهما الله، **جلال الدين المحلي**، ولما توفي أكمل العمل جلال الدين السيوطي.

بدأ العلامة المحلي تفسير القرآن الكريم مبتدئاً بسورة الكهف وتابع التفسير حتى انتهى من المصحف الشريف في تفسير سورة الناس. وعاد بعدئذ ففسر فاتحة الكتاب، وأراد البدء بسورة البقرة، غير أن الله تعالى اختاره اليه دون أن يكمل هذا العمل الرائع.

فجاء الإمام جلال الدين السيوطي ليكمل ما بدأه المحلي ففسر القرآن من أول سورة البقرة حتى نهاية سورة الإسراء، ثم سورة الفاتحة محاولاً أن يكون منهجه في التفسير مطابقاً لمنهج المحلي أسلوباً ومنهجاً.

ولذا دعي هذا التفسير بتفسير الجلالين نسبة إلى المؤلفين المحلي والسيوطي رحمهما الله.

وهذا التفسير رغم صغر حجمه وايجازه، يعتبر لب لباب التفاسير ومن خيرتها اختصاراً يكفي المبتدىء من الناس، كما أنه يغني العالم الكبير في كثير من الأوقات، ويوفر عليه الرجوع إلى المؤلفات الضخمة والأسفار الكبيرة نظراً لسهولة الرجوع إليه من ناحية، ولدقة المؤلفين رحمهما الله في إيراد معاني الآيات، مما جعل هذا التفسير أحد المراجع الهامة في التفسير للعلماء وغيرهم.

هذه الميزات التي تميز بها تفسير الجلالين، جعلت الناس منذ تأليفه وحتى يومنا هذا مهتمين به، حريصين على اقتنائه والإفادة منه، مهما اختلفت مستوياتهم وتفاوتت معارفهم، ونظراً لهذه المكانة الذي اتسم بها، فقد طبع طبعات متعددة:

فطبع مرة لوحده مجرداً مع كتاب لباب النقول في أسباب النزول للامام السيوطي، مذيلاً بكتاب الناسخ والمنسوخ لابن حزم.

وطبع ثانية بحاشية المصحف، وأخرى بحاشية المصحف مع أسباب النزول للامام السيوطي.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، فقد حظي المؤلف القيم بعناية الشارحين والدارسين، فقام علماء كبار بشرحه ووضع الحواشي عليه، ومن أهم هذه الشروح:

١ ـ مجمع البحرين ومطلع البدرين للشيخ محمد بن محمد الكرخي، وقد جاء هذا الشرح بمجلدات عدة.

٢ ـ الفتوحات الالهية وهو حاشية الجمل على تفسير الجلالين في أربع مجلدات.

٣ ـ حاشية الصاوي على تفسير الجلالين هذا بين يدي القارىء الذي نقدم له.

أما الصاوي: الذي ألف حاشيته المسماة على تفسير الجلالين، فهو العلامة أحمد بن محمد الصاوي، المصري، الخلوتي، المالكي، المولود في صاء الحجر على شاطىء النيل من إقليم الغربية بمصر سنة ١١٧٥ هـ الموافقة لسنة ١٧٦١ م والمتوفي بالمدينة عام ١٢٤١ هـ الموافق لعام ١٨٢٥ م.

ولقد عمل الصاوي رحمه الله في مجالات العلم المختلفة فقرأ وتوسع وتبحر وتعمق في فروع مختلفة ولا سيما في التفسير والحديث والفقه والقراءات، ثم عمل على وضع زبدة قراءاته ومعارفه في كتب أهمها:

١ ـ بلغة السالك لأقرب المسالك في فروع الفقه المالكي في مجلدين.

٢ ـ وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين هو عمل ضخم يستحق العناية والتحقيق والدراسة، فالصاوي قد تعمق تفسير الجلالين ووعي طريقتهما في شرح الكتاب الكريم، وغاص في أعماق المعاني، ثم وضع حاشيته هذه التي أضافت الكثير إلى هذا التفسير وكأنها جاءت لتقول: إن الله سبحانه الذي أقسم أنه سيحفظ قرآنه قد منَّ على هذه الأمة في كل جيل على مدى الزمن بعلماء أفذاذ متفقهين يغوصون وراء المعاني ويستخرجون دررها ليفهمها النـاس، على مدى الأزمان.

هذا ولا بد لنا من ذكر بعض خصائص هذه الحاشية:

١ ـ **النقد والتحليل**، فالصاوي لم يشرح أقوال الجلالين فحسب، وإنما شرح وناقش وقارن بين تفسير الجلالين وغيره من التفاسير فرضي حيث اقتنع، وانتقد وأعطى رأيه مستنداً إلى أقوال الرسول الكريم والصحابة والتابعين إذا وجد ذلك لازماً، وكثيراً ما يجد القارىء للحاشية عبارات للصاوي تقول: (وكان عليه أن يقول)، (وكان ينبغي له أن يقول) إلخ.
كما أن من يقرأ الحاشية يحس دقة الصاوي في شروحه وتعليقاته، وتبحره في أكثر العلوم التي تخدم القرآن الكريم ولا سيما النحو والصرف، كما يحس سعة الاطلاع على علم التفسير، وحسن الدراية في هذا العلم الجليل.

٢ ـ **شرح الصاوي وتوسع** في بعض الأمكنة التي أوجز فيها الجلالان رحمهما الله، فجاءت هذه الحاشية وكأنها تكملة لتفسير الجلالين لا بد منها لاستيعاب ما حواه التفسير.

٣ ـ **اعراب عويص القرآن** ـ وهذا ما لم يفعله الجلالان ـ إعراباً مفصلاً ودقيقاً وسهلاً يقربه من الفهم، حتى ليكاد يكون هذا الإعراب طريقة حديثة مشوقة، وقد انتبه الصاوي إلى أن غاية الإعراب خدمة المعنى فعمل جهده ليكون إعراب القرآن خدمة لمعانية، فوصل إلى غايته.

٤ ـ كما أن الصاوي لم يغفل الصرف، فأعاد بعض الكلمات إلى أصولها وتدرج في دراستها حين لزمه ذلك.

٥ ـ أورد الصاوي القراءات المتعددة للآية الواحدة سبعية أو عشرية في معظم الأحيان، ومشيراً إلى القراءة التي وردت فيها بعض الألفاظ وقد ضبطت على رواية تختلف عن رواية حفص المشهورة وهي في كل الأحوال من الروايات المتواترة ومن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

٦ ـ ولا بد أخيراً من ملاحظة أن الحاشية تدلنا بوضوح على روح مؤلفها الصوفية العميقة التي تتسرب إلى السطور في كثير من الأحيان.

عمل دار الفكر

ودار الفكر التي أخذت على عاتقها منذ انطلاقتها خدمة هذا التراث الإسلامي تقدّم اليوم تفسير الجلالين مع حاشية الصاوي عليه بعد تنقيح ودراسة وجهد، وكان من عملنا غير التحقيق والاهتمام بدقة التصحيح ما يلي:

١ ـ صدرنا هذه الطبعة بتفسير سورة الفاتحة وهي من شرح الإمام السيوطي رحمه الله الذي أكمل التفسير.

٢ ـ رقمنا الآيات القرآنية من تفسير الجلالين من المصحف مشكولة بشكل كامل ومحصورة بين قوسين مميزين.

٣ ـ في الحاشية:

أ ـ عمدنا إلى استعمال عدة أنواع من الأقواس للتفريق بين قائل وآخر.

ب ـ حاولنا أن تكون الحاشية في نفس الصفحة التي جاء فيها التفسير، وبهذا يكون الكتابان التفسير والحاشية متكاملين، ويسهل بهذا على القارىء الرجوع إلى كليهما في وقت قصير فيجني الفائدة المرجوة بالسرعة القصوى.

ج ـ عمدنا عند بداية شرح آية جديدة في الحاشية أن تكون مع بداية سطر جديد.

٤ ـ ذيلنا الصفحات بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للامام السيوطي وحرصنا أن يكون سبب نزول الآية في نفس الصفحة التي وردت في التفسير وهكذا كان، وذلك ليسهل على القارىء الرجوع إلى سبب النزول بسرعة ويسر وذكرنا فضل بعض السور والآيات كسباً للأجر والثواب.

٥ ـ وبما أن التفسير لا يخلو من بعض الأمور الغريبة، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه مشيراً إلى قبر الرسول ﷺ فقد أشرنا إلى الإسرائيليات في التفسير وعلقنا عليها بحاشية مناسبة مستخلصة من كتب التفسير الأخرى.

هذا العمل الشاق الذي قمنا به نعترف أنه نال من وقتنا الكثير، وأجهد المصححين كما أجهد الطابعين، ولكنه والحمد لله جاء طبقاً لما رسمناه لكتابنا هذا ولكتبنا كلها آملين أن يوفقنا الله لخدمة هذا التراث الخالد.

والله من وراء القصد

بيروت في ٢٧ رجب الفرد ١٤١٣هـ

الموافق ٢٠ كانون الثاني January ١٩٩٣

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الفرقان مصدقاً لما بين يديه هدىً وبشرى للمتقين، قرآناً عربياً غير ذي عوج موعظة وذكرى للمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخل بها الفردوس آمنين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، المنزل عليه الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أوتوا العلم درجات. وبعد:

فيقول العبد الفقير الذليل أحمد بن محمد الصاوي المالكي الخلوتي: لما كان علم التفسير أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً، إذ هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، وكان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير، وأجمع على الاعتناء به الجم الغفير من أهل البصائر والتنوير، وجاءني الداعي الإلهي بقراءته فاشتغلت به على حسب عجزي، ووضعت عليه كتابة ملخصة من حاشية شيخنا العلامة المحقق المدقق الورع: الشيخ سليمان الجمل، مع زوائد وفوائد، فتح بها مولانا من نور كتابه، وإنما اقتصرت على تلخيص تلك الحاشية، لكوني وجدتها ملخصة من جميع كتب التفسير التي بأيدينا، تنسب لنحو عشرين كتاباً منها البيضاوي وحواشيه وحواشي هذا الكتاب. ومنها الخازن والخطيب والسمين وأبو السعود، والكواشي، والبحر والنهر والساقية، والقرطبي، والكشاف، وابن عطية، والتحبير، والإتقان، ولم أنسب العبارات أصحابها غالباً اكتفاء بنسبة الأصل والله على ما أقول وكيل، وهو حسبي وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

وقد تلقيت هذا الكتاب من أوله إلى آخره مرتين: عن العلامة الصوفي سيدي الشيخ سليمان الجمل وعن الإمام أبي البركات العارف بالله تعالى استاذنا الشيخ أحمد الدردير، وعن استاذنا العلامة الشيخ الأمير، وكل من هؤلاء الأئمة تلقاه عن تاج العارفين شمس الدين سيدي محمد بن سالم الحفناوي، وعن الإمام أبي الحسن سيدي الشيخ علي الصعيدي العدوي، والشيخ الحفناوي، تلقاه عن العلامة سيدي محمد بن محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت، وهو عن نور الدين سيدي علي الشبراملسي، وهو عن الشيخ الحلبي صاحب السيرة، وهو عن خاتمة المحققين: سيدي علي الأجهوري، وهو عن البرهان العلقمي، وهو عن أخيه، شمس الدين محمد العلقمي، عن الجلال عبد الرحمن السيوطي، وأما سيدنا الجلال المحلي فهو بعينه إلى الإمام الحلبي، وهو عن الإمام الزيادي، عن الشيخ الرملي، وهو عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الجلال محمد بن أحمد المحلي رضي الله عنهم ونفعنا بهم. ولد السيوطي سنة ثمانمائة وتسع وأربعين، وتوفي سنة تسعمائة وثلاث عشرة فعاش أربعاً وستين.

مقدمة

ينبغي لكل شارع في فن أن يعرف مبادئه العشرة ليكون على بصيرة فيه وهي: حده، وموضوعه، وواضعه، واستمداده، واسمه، وحكمه، ومسائله، ونسبته، وفائدته، وغايته. **فحد هذا الفن**: علم بأصول يعرف بها معاني كلام الله على حسب الطاقة البشرية، وأما معناه لغة فمأخوذ من الفسر وهو الكشف، **وموضوعه**: آيات القرآن من حيث فهم معانيها، **وواضعه**: الراسخون في العلم من عهد النبي ﷺ إلى هنا على التحقيق كما شهد الله بذلك، **واستمداده**: من

الكتاب والسنة والآثار والفصحاء من العرب العرباء، **واسمه**: علم التفسير، **وحكمه**: الوجوب الكفائي، **ومسائله**: قضاياه من حيث الأمر والنهي والموعظة إلى غير ذلك، **ونسبته**: أنه أفضل العلوم الشرعية وأصلها، **وفائدته**: المعرفة بمعاني كلام الله على الوجه الأكمل، **وغايته**: الفوز بسعادة الدارين، أما الدنيا فبامتثال الأوامر واجتناب المنواهي، وأما الآخرة فبالجنة ونعيمها ولذلك يقال له: اقرأ وارق.

واعلم: أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا في مكان يقال له بيت العزة على هذا الترتيب الذي نقرأه فإنه توقيفي. ثم نزل على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع لقوله تعالى: **﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾**(١) لكن لا على هذا الترتيب، فإنه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة أي قبل الهجرة، وبالمدينة إحدى وثلاثون على التحقيق، فأول ما نزل بمكة: **اقرأ** وآخر ما نزل بها قيل: **العنكبوت** وقيل: **المؤمنون** وقيل: **ويل للمطففين**. وأول سورة نزلت بالمدينة **البقرة**، وآخر سورة نزلت بها **المائدة**. وهناك بعض سور اختلف فيها، منها **الفاتحة**، ويمكن تكرار نزولها. وأما أول آية نزلت على الاطلاق ف**﴿اقرأ باسم ربك﴾** وآخر آية على الاطلاق **﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾**(٢) واعلم أيضا أن القرآن ينقسم أربعة أقسام: **قسم فيه الناسخ والمنسوخ**، وهو خمسة وعشرون سورة، **وقسم فيه المنسوخ فقط** وهو أربعون سورة، **وقسم فيه الناسخ فقط**، وهو ست سور، **وقسم لا ناسخ فيه ولا منسوخ** وهو ثلاث وأربعون سورة، وأغلبها من الربع الأخير. وعدة **حروف القرآن** ألف ألف وخمسة وعشرون ألفا، ودرج الجنة على قدر ذلك، وبين الدرجتين خمسمائة عام، وعدة آياته ستة آلاف وستمائة وستة وستون ونصفه بحسب الآيات قوله تعالى في سورة الشعراء: **﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾**(٣) ونصفه بحسب الحروف قوله تعالى: **﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾**(٤) فالنون من النصف الأول والكاف من الثاني ونصفه بحسب السور الحديد والمجادلة من النصف الثاني. وعدة كلماته سبعة وسبعون ألفا وأربعمائة وخمسون كلمة، وكل كلمة لها أربعة علوم: علم بحسب ظاهرها، وعلم بحسب باطنها، وعلم بحسب حدها، وعلم بحسب مقطعها، وإن نظرت إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها زادت كثيرا. وترتيب السور كذا توقيفي. وأما وضع أسمائها في المصاحف، وتقسيمها إلى أعشار، وأرباع، وأثلاث، وأجزاء، وأحزاب، فمن الحجاج الثقفي، بأخذ عن الصحابة في وضع أسماء السور، وباجتهاد منه في تقسيمه إلى ما ذكر. ولذلك تجد ابتداء الربع وسط قصة.

---

(١) ٣٣ الفرقان.

(٢) ٢٨٢ البقرة.

(٣) ٤٥ الشعراء.

(٤) ٧٤ الكهف.

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه، مكافئاً لمزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنوده، هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة، المحقق(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: [الحمد لله الخ] افتتح رحمه الله كتابه بهذه الصيغة لأنها أفضل المحامد كما ورد وهي مقتبسة من قوله ﷺ «الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده». وقد غيّر المصنف الحديث بعض تغيير وهو مغتفر في الاقتباس. قوله: [موافياً لنعمه] أي مقابلاً لها بحيث يكون بمقدارها فلا تقع نعمة إلا مقابلة بهذا الحمد، وهذا على سبيل المبالغة بحيث ما نرجاه، وإلا فكل نعمة تحتاج لحمد مستقل. قوله: [مكافئاً لمزيده] أي مماثلاً ومساوياً له، والمزيد مصدر ميمي من زاده الله النعم، والزيادة النمو وبابه باع ويستعمل متعدياً ولازماً يقال: زاده الله خيراً وزاد الشيء، والمعنى أنه ترجى أن يكون الحمد الذي أتى به موفياً بحق النعم الحاصلة بالفعل وما يزيد منها في المستقبل. قوله: [على محمد] في نسخة على سيدنا محمد، وعليها فعطف وآله وما بعده على سيدنا، لا على محمد، لما يلزم عليه من ابدال محمد وما عطف عليه من السيد وهو في نفس الأمر محمد فقط. قوله: [وجنوده] جمع جند اسم جند جمعي يفرق بينه وبين واحد بالياء على خلاف الغالب فالياء في المفرد. والمراد بجنده كل من يعين على الدين بالقتال في سبيل الله أو بتقرير العلم وضبطه أو بتعمير المساجد أو بغير ذلك من عصره ﷺ إلى آخر الزمان.

قوله: [هذا] هي بمنزلة أما بعد وبمنزلة أيضاً في أن كلاً منهما اقتضاب مشوب بتخلص لأن الكلام الثاني وهو المقصود مقتطع عن الكلام الأول الذي هو الخطبة لكن فيه نوع مناسبة من حيث سبب التأليف، والمقصود أمر ذو بال وقد ندب الشارع للابتداء فيه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي، فحصلت المناسبة، ولكنها ليست كلية وأثرها على أما بعد. وإن كانت الواردة لاختصارها، واسم الاشارة عائد: إما على المعاني أو الألفاظ أو النقوش أو المعاني والألفاظ، أو النقوش والمعاني أو النقوش والألفاظ أو الثلاثة احتمالات سبعة المختار منها عوده على المعاني المستحضرة ذهناً سواء قلنا إن الخطبة متقدمة على التأليف أو متأخرة وفي الكلام استعارة تصريحية أصلية حيث شبه المعقول بالمحسوس واستعار اسم المشبه به وهو اسم الاشارة للمشبه.

قوله: [ما اشتدت] ما واقعة على المعاني الذهنية كما هو المختار من الاحتمالات المتقدمة وعبر باشتدت دون دعت اشارة إلى أن حاجتهم بلغت حد الضرورة لمزيد احتياجهم إلى هذه التكملة، وذلك أن تفسير النصف الثاني قد احتوي على المعنى العزيز، وانطوى على اللفظ الوجيز، فلم ينسج أحد على منواله. قوله: [الراغبين] أي المحبين والمريدين لتكميل هذا الكتاب بالتأليف، وتستعمل الرغبة متعدية بنفسها، وبفي في المحبة والميل، ومتعدية بعن في الزهد

جَلالُ الدِّين محمد بن أحمد المحلي الشافعيّ رحمه الله وتتميم ما فاته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القراآت المختلفة المشهورة على وجه لطيف. وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب

في الشيء والكراهية له. قوله: [تفسير القرآن] المراد منه ما يعم التأويل، والفرق بينهما أن التفسير هو التوضيح لكلام الله أو رسوله أو الآثار أو القواعد الأدبية العقلية، وأما التأويل فهو أن يكون الكلام محتملاً لمعان فتقصره على بعضها كما في ﴿ويبقى وجه ربك﴾ والقرآن في اللغة مأخوذ من القرء وهو الجمع، وفي الاصطلاح اللفظ المنزل على النبي ﷺ المتعبد بتلاوته ووصفه بالكريم، لأن نفعه ليس قاصراً بل عم الخلق جميعاً في الدنيا والآخرة. واعلم أن المدرسين إن تباينت مراتبهم في العلم، ثلاثة أصناف، الأول من إذا درس آية اقتصر على ما فيها من المنقول، وأقوال المفسرين، وأسباب النزول، والمناسبة، وأوجه الاعراب، ومعاني الحروف. والثاني من يأخذ في وجوه الاستنباط منها، ويستعمل فكره بمقدار ما آتاه الله من الفهم، ولا يشتغل بأقوال السابقين اعتماداً على كونها موجودة في بطون الأوراق لا معنى لذكرها. والثالث من يرى الجمع بين الأمرين والتحلي بالوصفين، ولا يخفى أنه أرفع الأصناف، ومن هذا الصنف الجلال المحلي والجلال السيوطي رضي الله عنهما وعنا بهما.

قوله: [الذي ألفه] صفة للتفسير مخصصة له. قوله: [الإمام] هو لغة المقدم واصطلاحاً من بلغ رتبة أهل الفضل. قوله: [العلامة] مبالغة في العلم، ومعناه الجامع بين المعقول والمنقول بأبلغ وجه. قوله: [المحقق] أي الآتي بأدلة على الوجه الحق. قوله: [جلال الدين] لقب له ومعناه ذو جلالة في الدين أو مجل ومعظم له لأنه شيده وأظهر قواعده. قوله: [محمد] هو اسمه، وقوله: [ابن أحمد] هو اسم أبيه. قوله: [المحلي] بفتح الحاء نسبة للمحلة الكبرى مدينة من مدن مصر مشهورة ولد سنة سبعمائة وإحدى وتسعين وتوفي سنة ثمانمائة وأربع وستين، فعمره ثلاث وسبعون، وقبره قبالة باب النصر مشهور. قوله: [الشافعي] نسبة للامام أبي عبد الله محمد بن ادريس.

قوله: [وتتميم] بالرفع عطف على ما في قوله ما اشتدت اليه حاجة الراغبين، أو بالجر عطف على قوله في تكملة تفسير القرآن وذكره، وإن علم مما قبله توطئة للأوصاف التي ذكرها بقوله على نمطه الخ، وفي التعبير بالتتميم تسمح من حيث إن ما أتى به السيوطي تتميم لما أتى به المحلي لا لما فاته، إذ الذي فاته هو نفس ما أتى به السيوطي. وقوله: [وهو من أول الخ] الضمير راجع لما فاته أو للتتميم، لما علمت أن ما فاته والتتميم مصدوقهما واحد وهو تفسير السيوطي. وقوله: [من أول سورة البقرة الخ] أي وأما الفاتحة ففسرها المحلي، فجعلها السيوطي في آخر تفسير المحلي لتكون منضمة لتفسيره، وابتدأ هو من أول البقرة. قوله: [بتتمة] متعلق بتتميم والباء بمعنى مع، أي بهذا التتميم الذي أتى به السيوطي تفسيراً للنصف الأول مصاحب لتتمة، والمراد بها ما ذكره بعد فراغه من سورة الاسراء بقوله هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الخ. قوله: [على نمطه] حال من التتميم، أي حال كون هذا التتميم كائناً على نمط تفسير المحلي أي طريقته وأسلوبه. قوله: [من ذكر ما يفهم الخ] بيان للنمط.

قوله: [والاعتماد] بالجر عطف على ذكر أي والاقتصار على أرجح الاقوال، وكذا قوله وإعراب وتنبيه الخ. قوله: [وتنبيه الخ] نكر هذا المصدر دون ما قبله إشارة إلى قلة التنبيه المذكور وأنه لم ينبه على جميع القراآت المختلفة. قوله: [المختلفة] أي المتنوعة وتنوعها من سبعة أوجه، لأنه إما من حيث الشكل فقط كالبخل والبخل قرىء بهما والمعنى واحد، وإما من حيث المعنى فقط نحو: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ برفع آدم ونصب كلمات وعكسه قرىء بهما أيضاً، وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف واحدة نحو ﴿تبلو كل نفس﴾ وتتلو قرىء بهما وصورة الباء

محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمنه وكرمه.

والتاء واحدة بقطع النظر عن النقط، وإما أن يكون الاختلاف في صورة الحرف لا في المعنى كسراط وصراط، وأما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف نحو فاسعوا وامضوا قرىء بهما، وأما من حيث الزيادة والنقص كأوصى ووصى، وأما من حيث التقديم والتأخير كيقتلون ويقتلون بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول وبالعكس. قوله: [على وجه لطيف] متعلق بالمصادر الأربعة قبله والمراد باللطيفة هنا القصير فعطف قوله وتعبير وجيز للتفسير.

قوله: [وترك التطويل] معطوف على وجه لطيف وهو تصريح بما علم من قوله، وتعبير وجيز إذ يلزم من كونه وجيزاً أن لا يكون طويلاً. قوله: [بذكر أقوال] متعلق بتطويل وقوله: [غير مرضية] أي عند المفسرين. وقوله: [وأعاريب] معطوف على أقوال. قوله: [والله أسأل النفع به] أي بالتتميم المذكور. قوله: [بمنه وكرمه] الباء فيه للتوسل أي أتوسل إليه بصفتيه العظيمتين، وهما منه الذي هو تفضله على عباده بالعطايا، وكرمه الذي هو إيصال فضله للبار والفاجر.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

مكية سبع آيات بالبسملة إن كانت منها والسابعة ﴿صراط الذين﴾ إلى آخرها وإن لم تكن منها فالسابعة ﴿غير المغضوب﴾ إلى آخرها ويقدر في أولها قولوا ليكن ما قبل ﴿إياك نعبد﴾ مناسباً له بكونها من مقول العباد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة مكية*

وهو قول الأكثر، وقيل: مدنية، وجمع بعضهم بين القولين فقال: نزلت مرتين، مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة، ولذلك سميت مثاني، وقيل: نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة، والأول هو الصحيح لقوله تعالى ﴿ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ والحجر مكية بإجماع، وأيضاً فرض الصلاة كان بمكة، ولم يثبت أنه وقع في الإسلام صلاة بغيرها، يدل على هذا قوله ﷺ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» بل هي من أوائل القرآن نزولاً، وسميت فاتحة لأنها مفتاح الكتاب العزيز، وهذا اسم من جملة عشرين إسماً **ثانيها**: فاتحة الكتاب. **ثالثها**: أم القرآن لأنه مفتتح بها فكأنها أصله وأساسه. **رابعها**: سورة الكنز لأنها نزلت من كنز تحت العرش. **خامسها**: الكافية. **سادسها**: الواقية لأنها وافية كافية في صحة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها. **سابعها**: الشافية. **ثامنها**: الشفاء لما ورد: هي شفاء من كل داء. **تاسعها**: السبع المثاني لأنه سبع آيات على الصحيح، سواء قلنا إن البسملة منها أو لا. **عاشرها**: النور. **الحادي عشر**: الرقية. **الثاني عشر**: سورة الحمد والشكر. **الثالث عشر**: الدعاء. **الرابع عشر**: تعليم المسألة لاشتمالها على ذلك. **الخامس عشر**: سورة المناجاة. **السادس عشر**: سورة التفويض. **السابع عشر**: سورة السؤال. **الثامن عشر**: سورة أم الكتاب. **التاسع عشر**: فاتحة القرآن. **العشرون**: الصلاة لخبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** يقول الله: حمدني عبدي. يقول العبد: **﴿الرحمن الرحيم﴾** يقول الرب: أثنى علي عبدي. يقول العبد: **﴿مالك يوم الدين﴾** يقول الله: مجدني عبدي. يقول العبد: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** يقول الله عز وجل: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: **﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** يقول الله: فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل. وورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها ما هو مسلسل بالحلف بالله العظيم، عن أبي العربي قال: إذا قرأت الفاتحة فصل بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله في نفس واحد من غير قطع،

---

* فضل سورة الفاتحة:

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج إلى المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول، إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أتيته» رواه البخاري.

. . . .

بكر الشاشي الشافعي من لفظه وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي وقال: بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن الفضل وقال: بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن يحيى الوراق الفقيه وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى وقال: بالله العظيم لقد حدثني جبريل وقال: بالله العظيم لقد حدثني إسرافيل وقال: قال تعالى: يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم مرة بفاتحة الكتاب مرة واحدة، اشهدوا أني غفرت له، وقبلت منه الحسنات، وتجاوزت عنه السيئات، ولا أحرق لسانه في النار، وأجيره من عذاب القبر، وعذاب النار، والفزع الأكبر، ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين اهـ، من المناوي على الجامع الصغير. قوله: [إن كانت منها] الخ، هذا التعبير يوهم في بادئ الأمر، أنها إن لم تكن منها فليست سبعاً، مع أنه يخالف ما بعده، فالمناسب أن يقول: سبع آيات، فإن كانت البسملة منها فالسابعة ﴿صراط الذين﴾ إلى آخرها، وإن لم تكن منها فالسابعة ﴿غير المغضوب عليهم﴾ إلى آخرها، وبعضهم جعل البسملة منها، وجعل ﴿غير المغضوب عليهم﴾ الخ ثامنة، وبعضهم جعلها ست آيات، والبسملة ليست منها، وهذان القولان مرجوحان، واعلم أنه اختلف في البسملة فقيل: ليست آية من الفاتحة، بل ولا من كل سورة سوى سورة النمل، وإنما يندب الابتداء بها كالاستعاذة، وعليه قراءة المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والأوزاعي ومالك مستدلين بما روي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي: أنه كان يفتتح أحدهم بالفاتحة في صلاته إماماً من غير أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وعمل أهل المدينة حجة، وقيل: آية من الفاتحة من كل سورة، وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعي مستدلين بما روي أنه ﷺ قال: «إذا قرأتم ﴿الحمد لله﴾ فاقرؤوا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني، و﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إحدى إياتها». والحاصل: أن البسملة من كلام الله قطعاً، فمن أنكرها كفر، وكونها آية من كل سورة أولا، خلاف بين الأئمة. قوله: [فالسابعة ﴿غير المغضوب﴾] الخ، إن قلت: إن لفظ ﴿غير﴾ صفة لما قبلها، والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد، فكيف تكون آية مستقلة؟ أجيب: بأن ﴿الرحمن الرحيم﴾ ﴿مالك يوم الدين﴾ صفتان لله، مع أنه مجمع على أنهما آيتان، فكذلك يقال هنا، ونوقش بأن لفظ ﴿غير﴾ أشد افتقاراً إلى ما قبله من غيره، لأنه لا يتم معناه إلا بما قبله، فكان معه كالشيء الواحد، وأما قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ ونحوه إذا أعرب نعتاً، فليس بهذه المثابة، بدليل القراءة الشاذة برفعهما أو نصبهما، فإنهما يخرجان عن الارتباط، أجيب: بأن الآية لا يشترط فيها عدم ارتباطها بما قبلها، وقد تخلص المفسر من هذا الإشكال بإعرابه بدلاً كما يأتي. قوله: [ويقدر في أولها] أي الفاتحة قبل البسملة على القول بأنها منها أو بعدها، وقيل: الحمد له على القول بأنها ليست منها. قوله: [بكونها] الباء بمعنى في، أي في كون الفاتحة كلها من مقول العباد، وفي نسخة بكونه وهي أوضح، والضمير عائد على ما قبل ﴿إياك﴾ وحصله أن ﴿إياك نعبد﴾ لما كان من مقول العباد، احتيج إلى تقدير قولوا فيما قبله، ليكون ما قبله من مقول العباد أيضاً، فتكون الفاتحة كلها من مقول العباد، ولو ترك هذا التقدير، لاحتمل أن قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى آخر الآيات الأربع ثناء على الله، فيكون بعضها الأول من مقول الله، وبعضها الثاني من مقول العبد ثناء من الله على نفسه، فيكون من مقوله هو، وذلك صحيح في حد ذاته، لكن التناسب أبلغ.

قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لم يتكلم الجلال المحلي ولا تلميذه عليها، ولعلهما اتكلا على شهرته، ونتكلم على شيء منها فنقول: ابتدأ كتابه تعالى بالبسملة، تعليماً لعباده الاقتداء بذلك، والإتيان بها في كل أمر ذي بال، إشعاراً بأنها أم الفاتحة كما أن الفاتحة أم القرآن، كما أن القرآن أم الكتب السماوية، والله علم على الذات

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لأن يحمدوه والله علم على المعبود بحق ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢: أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك وغلب في جمعه بالياء والنون أولي العلم على غيرهم وهو من العلامة لأنه علامة على موجده ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣: أي ذي الرحمة ...

فإني أقول: بالله العظيم لقد حدثني أبو الحسن علي أبو الفتح الطيب بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة، وقال: بالله العظيم لقد سمعت من أبي بكر من فيه ولفظه وهو أبو الفضل بن محمد الكاتب الهروي وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو

الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، والرحمن المنعم بجلائل النعم كماً وكيفاً دنيا وأخرى، والرحيم المنعم بدقائقها كذلك.

ـ فائدة ـ روى الشعبي والأعمش أن رسول الله ﷺ كان يكتب: باسمك اللهم حتى نزل وقال: اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها كتب بسم الله، فلما نزلت ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ كتب: بسم الله الرحمن، فلما نزلت ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كتبها، وعن عبد الله بن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد، وقد فسرها بعض العارفين على مقتضى الحروف فقال: إن كل حرف منها مفتاح كل اسم من أسمائه تعالى، مبدوء بذلك الحرف، فالباء مفتاح اسمه تعالى: بصير وباقي وبر، ونحو ذلك، والسين مفتاح اسمه تعالى: سميع سلام، والميم مفتاح اسمه ملك ونحوه، والألف مفتاح اسمه تعالى ونحوه، واللام مفتاح اسمه لطيف ونحوه، والهاء مفتاح اسمه هادي ونحوه، والراء مفتاح اسمه رزاق ونحوه، والحاء مفتاح اسمه حليم ونحوه، والنون مفتاح اسمه نافع ونحوه، فكأن المفتتح بها مفتتح بجميع أسمائه تعالى. قوله: [جملة] أي مركبة من مبتدإ وخبر، وقوله: [خبرية] أي لفظاً وهي إنشائية معنى بدليل قوله: [قصد الثناء] أي قصد بها إنشاء الثناء. قوله: [من أنه تعالى] الخ، بيان للمضمون، وفي ذلك إشارة إلى أن أل في الحمد جنسية، وهو الأولى من جعلها استغراقية أو عهدية، أما الأول فلأنه ليس في طاقة العبيد حصر أفراد الحمد، وأما الثاني فلقصوره كذا قال النحويون، واختار الصوفية أنها للعهد قائلين: إن الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده، حمد نفسه بنفسه أو وضعه لهم يحمدونه به، وهذا المعنى هو المناسب للحمد الواقع في القرآن فتدبر. قوله: [ومستحق] الخ، أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿لله﴾ للملك أو للاستحقاق. قوله: [والله علم على المعبود بحق] أي علم شخص عربي مرتجل جامد وهو الصحيح، ومعنى كونه علم شخص، أنه علم على ذات معينة مستجمعة لصفات الكمال، وقال الزمخشري: إنه اسم جنس صار علماً بالغلبة مشتق من أله كعبد وزناً ومعنى أو من أله بمعنى سكت، أو من وله بمعنى تحير ودهش أو طرب، أو من لاه بمعنى احتجب، أو ارتفع أو استتار، ومجموع الأقاويل هو المعبود للخواص والعوام، المفزوع إليه في الأمور العظام، المرتفع عن الأوهام، المحتجب عن الأفهام، الظاهر بصفاته الفخام، الذي سكنت إلى عبادته الأجسام، وولعت به نفوس الأنام، وطربت إليه قلوب الكرام.

قوله: ﴿رب العالمين﴾ الرب يطلق على السيد والمالك والمعبود والثابت والمصلح، اقتصر المفسر على المالك لكونه المناسب للمقام، وجمع ﴿العالمين﴾ جمع قلة مع كثرتها جداً في الواقع تنبيهاً على أنهم وإن كثروا، فهم قليلون في جانب عظمته تعالى. إن قلت: الجمع يقتضي اتفاق الأفراد في الحقيقة، أجيب: بأنه متفقة من حيث إن كلاً منها علامة على موجدها. قوله: [يقال عالم الإنس] الخ، الإضافة بيانية أي عالم هو الإنس. قوله: [وغلب في جمعه] الخ، وقيل: لا تغليب، بل هو اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وتناوله لغيرهم بطريق التبع. قوله: [أولو العلم] أي لشرفهم. قوله: [وهو] أي العالم، وهو ما سوى الله تعالى علامة على موجده لأنه حادث، وكل حادث يحتاج إلى

وهي إرادة الخير لأهله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤: أي الجزاء وهو يوم القيامة وخُصَّ بالذكر لأنه لا ملك ظاهراً فيه لأحد إلا الله تعالى بدليل ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ ومن قرأ: ﴿مَالِكِ﴾ فمعناه: مالك الأمر كله في يوم القيامة أي هو موصوف بذلك دائماً كغافر الذنب فصح وقوعه صفة لمعرفة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥: أي نخصك بالعبادة من توحيد وغيره

مجيث قوله: [أي ذي الرحمة] أشار بذلك إلى أنّ ﴿الرحمن الرحيم﴾ بُنيا للمبالغة من رَحِمَ، والرحمة في الأصل رقة في القلب تقتضي التفضّل والإحسان، وهي بهذا المعنى مستحيلة في حقه تعالى، فتحمل على غايتها، لأن ما استحال على الله باعتبار مبدئه، وورد، يطلق ويراد منه لازمه وغايته. قوله: [وهي إرادة الخير] الخ، أشار بذلك إلى أنهما صفتا ذاتٍ، ويصح أن يكونا صفتي فعلٍ، أي المتفضّل المحسن، وفي الإتيان بـ ﴿الرحمن الرحيم﴾ عقب اتصافه بـ ﴿رب العالمين﴾ ترغيب بعد ترهيب، فيكون أعون للعبد على الطاعة، وأمنع من المعصية.

قوله: ﴿ملك يوم الدين﴾ من المُلْك بضم الميم، هو عبارة عن السلطان القاهر، والاستيلاء الباهر، والغلبة التامة، والقدرة على التصرف الكلي بالأمر والنهي. قوله: [أي الجزاء] أي بالثواب للمؤمنين والعقاب للكافرين. قوله: [لا ملك ظاهراً فيه لأحد] أي وأما في الدنيا ففيها المُلك ظاهر لكثير من الناس، فتحصل أن الوصف بالمُلكية ثابت أزلاً، وظهوره يكون يوم القيامة، لإقرار جميع الخلق به. قوله: [لمن الملك اليوم] الجار والمجرور خبر مقدم و[الملك] مبتدأ مؤخر، و[اليوم] ظرف للمبتدأ، وقوله: [لله] جواب منه تعالى عن السؤال. قوله: [ومن قرأ مالك] الخ، اعلم أن في لفظ ﴿ملك﴾ قراءتين سبعيتين، الأولى بحذف الألف والوصف بها ظاهر، والثانية بإثباتها وفيها إشكال، وهو أن [مالك] اسم فاعل، وإضافته لفظية لا تفيده التعريف، فكيف توصف المعرفة بالنكرة؟ وأجاب المفسِّر: بأن محل كون إضافة اسم الفاعل لفظية إن لم يكن بمعنى الزمان المستمر، وإلا كانت إضافته حقيقية، والحاصل: أن اسم الفاعل إن قصد به الحال والاستقبال فإضافته لفظية، وإن قصد به المضي أو الدوام، كما هو شأن أوصاف الله تعالى، فإضافته حقيقية، والتعويل على القرائن، واختلف في أي القراءتين أبلغ، فقيل: ﴿ملك﴾ أعم وأبلغ من [مالك] إذ كل ملك مالك، ولا عكس، ولأن أمر المَلِك نافذ على المالك في مُلكه، حتى لا يتصرف المالك إلا عن تدبير المَلِك، وقيل: [مالك] أبلغ لما فيه من زيادة البناء، فتدل على كثرة الثواب.

قوله: ﴿إياك نعبد﴾ ﴿إياك﴾ مفعول مقدم لـ ﴿نعبد﴾ قُدِّم لإفادة الحصر والاختصاص، و﴿إياك نستعين﴾ معطوف على ﴿إياك نعبد﴾ أي لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، لأنك الحقيق بتلك الصفات العظام، والمعنى: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة، فهذا ترقٍّ من البرهان إلى العيان، والغيبة إلى الحضور، فهو تعليم من الله تعالى لعباده كيفية الترقي، فإن العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد، وهو رب الأرباب، عن قلب حاضر، يجد ذلك العبد من نفسه محركاً للإقبال عليه، وكلما أجري على قلبه ولسانه صفة من تلك الصفات العظام، قوي ذلك المحرك، إلى العبد على ربه وخالقه المتصف بتلك الصفات، فانتقل من الغيبة لخطابه والتلذذ بمناجاته، فأول الكلام مبني على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه العظام، والنظر في آلائه والاستدلال بصنعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه، ثم بعد ذلك أتى بمنتهاه، وهو الخطاب والحضور المشعر بكونه في حضرة الشهود، وإلى هذا المعنى أشار بعض العارفين بقوله:

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

وهو مقام الإحسان المشار له بقوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» وأعلم أن ﴿إياك﴾ واجب الانفصال،

ونطلب المعونة على العبادة وغيرها ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾٦: أي أرشدنا إليه ويبدل منه ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: بالهداية ويبدل من الذين بصلته ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: وهم اليهود ﴿وَلَا﴾: وغير

واختلف فيه هل هو من قبيل الاسم الظاهر؟ وبه قال الزجاج أو هو ضمير؟ وعليه الجمهور، واختلف القائلون بأنه ضمير على أربعة أقوال: أحدها: أنه كله ضمير. الثاني: أن إيا وحده ضمير، وما بعده اسم مضاف إليه يفسر ما يراد به من تكلم وغيبة وخطاب. الثالث: أن إيا وحده ضمير، وما بعده حروف تفسر ما يراد منه وهو المشهور. الرابع: أن إيا عماد، وما بعده ضمير، والضمير المستكن في ﴿نعبد﴾ و﴿نستعين﴾ للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة، أو له ولسائر الموحدين، أدرج عبادته في عباداتهم، وخلط حاجته بحاجاتهم، لعل عبادته تقبل ببركة عباداتهم، وحاجته تجاب إليها ببركة حاجاتهم، ومن هنا شرعت الجماعة في الصلوات، قال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وقال ﷺ: «يد الله مع الجماعة».

قوله: ﴿وإياك نستعين﴾ كرر الضمير للدلالة على تخصيصه تعالى بكل من العبادة والاستعانة والتلذذ بالمناجاة والخطاب، وقدم العبادة على الاستعانة لأنها وصلة لطلب الحاجة، فإذا أفرد العبد ربه بالعبادة أعانه، وحذف المعمول من كل ليؤذن بالعموم، فيتناول كل معبود به، وكل مستعان عليه، وأصل ﴿نستعين﴾ نستعون، استثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى الساكن قبلها، فسكنت الواو بعد النقل، وانكسر ما قبلها فقلبت ياء، والقراءة السبعية بفتح النون، وقرئ شذوذاً ﴿نستعين﴾ بكسر حرف المضارعة، وهي لغة مطردة في حرف المضارعة، بشرط أن لا يكون ما بعد حرف المضارعة مضموماً، فإن ضم كتقوم امتنع كسر حرف المضارعة لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم، وبشرط أن يكون المضارع من ماض مكسور العين نحو علم، أو في أوله همزة وصل نحو استعان، أو تاء مطاوعة نحو تعلم. قوله: [من توحيد] الخ بيان للعبادة، وهو إشارة إلى العبادات الأصلية الاعتقادية، وقوله: [وغيره] إشارة إلى العبادات العملية، من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك. قوله: [ونطلب المعونة] بالباء عطف على [بالعبادة] ولا يجوز أن يكون بالنون عطفاً على [نخصك] لخروجه عن إفادة التخصيص. قوله: [وغيرها] أي من مهمات الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿اهدنا﴾ أي زدنا هداية وأدمنا عليها، والهداية تطلق على الدلالة والتبيين وإن لم يحصل وصول نحو ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أي بينا لهم، وتطلق عليهما مع الوصول للخير وهو المراد هنا، ومادة الهداية تتعدى لمفعولين: الأول بنفسها، والثاني إما كذلك كما هنا، وإما باللام أو إلى، قال تعالى ﴿يهدي للتي هي أقوم﴾ ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾.

قوله: ﴿الصراط﴾ هو في الأصل الطريق الحسي، والمراد به هنا دين الإسلام، ففيه استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه دين الإسلام بالطريق الحسي بجامع أن كلاً موصول للمقصود، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وأصل صراط بالصاد سراط بالسين، وبها قرأ قنبل حيث ورد، أبدلت صاداً لأجل حرف الاستعلاء، وقد تشم الصاد زاياً وبه قرأ خلف وكلها سبعي، لكن لم ترسم في المصحف إلا بالصاد و﴿الصراط﴾ يذكر ويؤنث، فالتذكير لغة تميم، والتأنيث لغة الحجاز، وجمعه صرط ككتاب وكتب. قوله: ﴿المستقيم﴾ اسم فاعل من استقام، أي استوى من غير اعوجاج، وأصله مستقوم أعل كإعلال ﴿نستعين﴾. قوله: [ويبدل منه] أي بدل كل من كل، أتى به زيادة في مدح الصراط.

قوله: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ الإنعام إيصال الإحسان إلى الغير، بشرط أن يكون ذلك الغير من العقلاء، فلا يقال: أنعم فلان على فرسه، ولا على حماره. قوله: [بالهداية] أشار بذلك إلى أن المراد بالمنعم عليهم المؤمنون، وهو أحد أقوال للمفسرين، وقيل: هم المذكورون في قوله تعالى ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

﴿الضَّالِّينَ﴾٧: وهم النصارى ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهود ولا نصارى والله أعلم بالصواب وإليه

والشهداء والصالحين﴾ وقيل: هم الأنبياء خاصة، وقيل: المراد بهم أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ، وحذف متعلق ﴿أنعمت﴾ ليؤذن بالعموم، فيشمل كل نعمة، ونعم الله تعالى لا تحصى باعتبار أفرادها، قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ وأما باعتبار جملتها فتحصى لأنها قسمان: دنيوية وأخروية. والأول إما وهبي أو كسبي، والوهبي: إما روحاني كنفخ الروح والتزيين بالعقل والفهم والفكر والنطق، أو جسماني كتخلق البدن والقوى الحالة فيه والصحة وكمال الأعضاء، والكسبي كتزكية النفس وتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والفضائل. والثاني: وهو الأخروي، أنه يغفر ما فرط منه، وينزله أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين ودهر الداهرين.

قوله: ﴿عليهم﴾ لفظ ﴿عليهم﴾ الأول في محل نصب على المفعولية، والثاني في محل رفع نائب ﴿المغضوب﴾ وفيه عشر لغات، ست مرويات عن القراء الثلاثة، الأول منها سبعيات وهي: كسر الهاء وضمها مع إسكان الميم فيهما، وكسر الهاء وضم الميم بواو بعد الضمة، وكسر الهاء والميم بياء بعد الكسرة للإشباع، وضم الهاء والميم بواو بعد الضمة وبدونها، وأربع لم يقرأ بها وهي: ضم الهاء مع كسر الميم وإدخال ياء بعدها، وضم الهاء وكسر الميم من غير ياء، وكسر الهاء مع ضم الميم وكسر الهاء والميم من غير ياء. قوله: [ويبدل من الذين بصلته] أي بدل كل من كل، ولا يضر إبدال النكرة من المعرفة، وقيل: نعت لـ ﴿الذين﴾. واستشكل بأنه يلزم نعت المعرفة بالنكرة وهو لا يصح لأن ﴿غير﴾ متوغلة في الإبهام، لا تتعرف بالإضافة كمثل وشبه وشبيه. وأجيب بجوابين، الأول: أن ﴿غير﴾ إنما تكون نكرة إذا لم تقع بين ضدين، فأما إذا وقعت بين ضدين، فتتعرف حينئذ بالإضافة تقول: عليك بالحركة غير السكون، والآية من هذا القبيل والثاني: أن الموصول أشبه النكرات في الإبهام الذي فيه، فعومل معاملة النكرات، و﴿غير﴾ من الألفاظ الملازمة للإضافة لفظاً أو تقديراً، فإدخال أل عليها خطأ، وقد يستثنى بها حملاً على إلا، كما يوصف بإلا حملاً عليها.

قوله: ﴿غير المغضوب﴾ بكسر الراء بدل كما قال المفسر، أو نعت وتقدم ما فيه، وهذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالنصب على الحال أو الاستثناء، والغضب ثوران دم القلب لإرادة الانتقام، ومنه قوله ﷺ: «اتقوا الغضب فإنه جمرة تتوقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه» فإذا وصف به الله تعالى، فالمراد به الانتقام أو إرادة الانتقام، فهو صفة فعل أو صفة ذات، وبني الغضب للمجهول، ولم يقل: غير الذين غضبت عليهم، تعليماً لعباده الأدب، حيث أسند الخير لنفسه، وأبهم في الشر، نظير قوله تعالى ﴿فأردت أن أعيبها﴾، ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾، ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾. قوله: [وهم اليهود] أي لقوله تعالى فيهم ﴿من لعنه الله وغضب عليه﴾ الآية، ولحديث: «إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين النصارى». قوله: [غير] ﴿الضالين﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿لا﴾ بمعنى غير فهي صفة، ظهر إعرابها فيما بعدها، ويؤيدها قراءة عمر بن الخطاب وأبي بن كعب، و[غير] ﴿الضالين﴾ بدل ﴿لا﴾ وأتى بلا ثانياً لتأكيد معنى النفي المفهوم من ﴿غير﴾ ولئلا يتوهم عطف ﴿الضالين﴾ على ﴿غير﴾ فيكون من وصف ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ والضلال يطلق على الخفاء والغيبة، ومنه قولهم: ضل الماء في اللبن، والهلاك ومنه قوله تعالى: ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾(١) والنسيان ومنه قوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾(٢) والعدول عن الطريق المستقيم وهو المراد هنا، وفي ﴿الضالين﴾ مدان: مد لازم على الألف بعد الضاد وقبل اللام المشددة، وعارض على الياء قبل النون للوقف. قوله: [وهم النصارى] أي لقوله تعالى ﴿وأضلوا

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً دائماً أبداً وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كثيراً﴾[(1)] ﴿وضلّوا عن سواءِ السبيل﴾. قوله: [إفادة أن المهتدين] أي المذكورين بقوله: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ فمصدوق ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ هو مصدوق ﴿غير المغضوب عليهم﴾ و[غير] ﴿الضالين﴾ فمصدوق العبارات الثلاث هم المؤمنون، لكن استشكل بأن تفسير ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ بالفرق الأربعة المذكورة في سورة النساء، لا يشتمل بقية المؤمنين، وتفسير ﴿المغضوب عليهم﴾ و﴿الضالين﴾ باليهود والنصارى، لا يشتمل بقية طوائف الكفار، فمقتضى ذلك أن بقية المؤمنين ليسوا ممن أنعم الله عليهم، وسائر طوائف الكفار خارجون من وصف الغضب والضلال، فالمبدل منه يخرجهم، والبدل يدخلهم في المبدل منه، والمخلص من هذا الإشكال، أن يفسّر المنعم عليهم بجميع المؤمنين، كما درج عليه المفسّر في قوله: ﴿أنعمت عليهم﴾ [بالهداية] ويراد من ﴿المغضوب عليهم﴾ و﴿الضالين﴾ عموم الكفار اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. إن قلت: ما فائدة الإتيان بـ ﴿غير المغضوب عليهم﴾ الخ، بعد قوله: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ أجيب: بأن الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف، فقوله: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ يوجب الرجاء الكامل، وقوله: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ الخ يوجب الخوف الكامل، فيتقوى الإيمان بالرجاء والخوف.

ـ فائدة ـ لفظ آمين ليس من الفاتحة، بل ولا من القرآن قطعاً؛ بل يسن الإتيان بها لقارىء الفاتحة، مفصولة منها بسكتة ليتميز ما هو قرآن، عما ليس بقرآن، ولكل داع، وهي اسم فعل على الصحيح بمعنى استجب مبني على الفتح، ويجوز فيه مدّ الهمزة وقصرها، وقيل: هي اسم من أسماء الله تعالى، والتقدير يا آمين. ورُدّ بوجهين، الأول: أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يبنى على الضم، لأنه منادى مفرد معرفة، الثاني: أن أسماء الله تعالى توقيفية، وهو من خصوصيات هذه الأمة، لم يعط لأحد قبلهم، إلا ما كان من موسى وهارون، لما ورد في الحديث: «إن الله أعطى أمتي ثلاثاً لم تعط أحداً قبلهم: السلام وهو تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة، وآمين، إلا ما كان من موسى وهارون» ومعناه: أن موسى دعا على فرعون، وأمّن هارون، فقال الله تعالى عندما ذكر دعاء موسى: قد أجيبت دعوتكما، ولم يذكر مقالة هارون فسماه داعياً. وقال علي رضي الله عنه: آمين خاتم رب العالمين، ختم بها دعاء عباده. وفي الخبر: أن آمين كالطابع الذي يطبع به على الكتاب. وفي حديث آخر: «آمين درجة في الجنة». قال أبو بكر: إنه حرف يكتب به لقائله درجة في الجنة. وقال وهب بن منبه: آمين أربعة أحرف، يخلق الله من كل حرف ملكاً يقول: اللهم اغفر لكل من قال آمين. قوله: [والله أعلم بالصواب] الخ هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي، لما عرفت أنه قد شرع في تفسير النصف الأول فكمّل الفاتحة، وارتحل إلى رضوان الله تعالى، فيبعد أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء، والصواب ضد الخطأ و[المرجع] الرجوع، و[المآب] مرادف، وقوله: [وحسبنا الله] أي كافينا، وقوله: [ونعم الوكيل] أي المفوض إليه الأمر.

---

(1) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ البَقَرَة

[مَدَنية وآياتها مائتان وستّ أو سَبْع وثمانون آيةً]

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البقرة مدنية*

مائتان وست أو سبع وثمانون آية

قولُه: [سورة البقرة الخ] مُبتدأ و[مدنية] خبر أوّل و[مائتان] الخ خبر ثانٍ، ويؤخذ من هذا أن تسميتها بما ذكر غير مكروه، خلافاً لمَن قال بذلك وادّعى أنه إنما يقال السورة التي تُذكر فيها البقرة، وأسماء السور توقيفية وكذا ترتيبها على التحقيق كما تقدّم، والسورة مأخوذة من سُوْر البلد، لارتفاع رتبتها وإحاطتها وهي طائفة من القرآن لها أول وآخر وترجمة باسم خاص بها بتوقيف كما سَبق، والراجح أن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو في مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة، قوله: [وثمانون آية] قيل: أصلها أيية قُلبت عينها ألفاً على غير قياس، وهي في العُرْف طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل وقد تكون كلمة مثل: والفجر والضحى والعصر وكذا الم وطه ويس ونحوها عند الكوفيين وغيرهم لا يسمّيها آياتٍ بل يقول هي فواتح السُوَر وعن أبي عمرو الداني لا أعلمُ كلمةً هي وحدها آية إلا قوله تعالى: ﴿مدهامّتان﴾.

فائدة: قال ابنُ العربي: سورةُ البقرة فيها ألف أمر وألف نهي وألفُ حكم وألفُ خبر؛ أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة، وهمُ السّحرة إذا قرئتْ في بيتٍ لم تدخله مَرَدة الشياطين ثلاثة أيامٍ -. وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتَكم مقابرَ إن الشيطانَ يفرّ من البيت الذي تُقرأ فيه سُورة البقرة» وعنه في رواية: «لكلّ شيءٍ سنامٌ وسنام القرآن سورة البقرة» وفي رواية: «سيدة آي القرآن آية الكرسي».

فائدة أخرى: في الكلام على الاستعاذة ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند مالك وأبي حنيفة والشافعي لقوله تعالى: ﴿فإذا قرأتَ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ وقال أحمد: الأولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشّيطان الرجيم جمعاً بين هذه الآية وآية فاستعذ بالله إنه هو السّميع العليم. وقال الثوري والاوزاعي: الأولى أن يقول أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم إنّ الله هو السّميعُ العليم، فاتفق الجمهور على انه يُستحب لقارئ القرآن خارجَ الصلاة أن يتعوذ، وحُكي عن عطاء وجوبها. وقال ابن سيرين: إذا تعوذ الرّجل في عمره مرةً واحدة كفى في إسقاط الوجوب. ووقتُ الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور. وحُكي عن النخعي أنه بعد القراءة، وهو قول

* قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين يعملون به، تقدمُهُ سورة البقرة وآل عمران، تُحاجّان عن صاحبهما».

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾[١]: الله أعلم بمراده بذلك، ﴿ذٰلِكَ﴾: أي هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي

داود واحد الروايتين عن ابن سيرين، ومعنى أعوذ بالله ألتجيء اليه وأتحصن به مما أخشاه، والشيطان أصله من شطن أي بعد عن الرحمة وقيل من شاط بمعنى احترق وهو اسم لكل عاتٍ من الأنس والجن، والرجيم فعيل بمعنى فاعل أي راجم بالوسوسة والشر، وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشهب عند استراق السمع أو بالعذاب أو مطرود عن الرحمة والخيرات، فحكمة الاستعاذة تطهير القلب من كل شيء يشغل عن الله تعالى، فإن في تعوذ العبد بالله إقراراً بالعجز والضعف واعترافاً بقدرة الباري وأنه الغني القادر على دفع المضرات وأن الشيطان عدو مبين وقد دخل منه في الحصن الحصين.

قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اختلف الأئمة في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة، فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى سورة براءة، وقال به جماعة من الصحابة، وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة، وزاد أبو داود ولا من غيرها من السور وإنما هي بعض آية في سورة النمل وإنما كتبت للفصل والتبرك، قال مالك ويكره استفتاح صلاة الفرض بها، واختلفت الرواية عن احمد في كونها من الفاتحة أو لا والأحسن أن يقدر متعلق الجار هنا قولوا، لأن هذا المقام مقام تعليم صادر عن حضرة الرب تعالى.

قوله: ﴿الم﴾: اعلم أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفاً وهي نصف حروف الهجاء، وقد تفرقت في تسع وعشرين سورة: المبدوء بالألف واللام منها ثلاث عشرة، وبالحاء والميم سبعة، وبالطاء أربعة، وبالكاف واحدة، وبالباء واحدة، وبالصاد واحدة، وبالقاف واحدة، وبالنون واحدة، وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي وبعضها ثنائي وبعضها ثلاثي وبعضها رباعي وبعضها خماسي ولاتزيد. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] أشار بهذا إلى ارجح الاقوال في هذه الأحرف التي ابتدأ بها تلك السور، وهو أنها من المتشابه جرياً على مذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بعلم المراد منه، وعلى هذا فلا محل لها من الاعراب، لأنه فرع إدراك المعنى فلا يحكم عليها باعراب ولا بناء ولا بتركيب مع عامل، ومقابل هذا أقوال: قيل إنها اسماء للسور التي ابتدئت بها، وقيل اسماء للقرآن، وقيل لله تعالى، وقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسمائه تعالى، أي جزء من اسم، فالألف مفتاح لفظ الجلالة، واللام مفتاح اسم لطيف، والميم مفتاح اسم مجيد، وهكذا، وقيل كل حرف منها يشير إلى نعمة من نعم الله، وقيل إلى ملك، وقيل إلى نبي، وقيل الألف تشير إلى آلاء الله، واللام إلى لطف الله، والميم إلى ملك الله، وعلى هذه الاقوال فلها محل من الاعراب، فقيل الرفع، وقيل النصب، وقيل الجر، فالرفع على أحد وجهين، إما بكونها مبتدأ، وإما بكونها خبراً، والنصب على أحد وجهين أيضاً: إما باضمار فعل لائق تقديره إقرؤوا مثلاً وإما باسقاط حرف القسم كقول الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد

يريد وأمانة الله والجر بوجه واحد وهو أنها مقسم بها حذف حرف القسم وبقي عمله، أجاز ذلك الزمخشري وإن كان ضعيفاً لأن ذلك من خصائص الجلالة المعظمة لا يشاركها فيه غيرها.

قوله: ﴿ذلك﴾ اسم الاشارة مبتدأ واللام للبعد والكاف حرف خطاب والكتاب نعت لاسم الإشارة أو عطف بيان وجملة لا ريب فيه خبر كما قال المفسر. قوله: [أي هذا] أشار بذلك إلى أن حق الإشارة أن يؤتى بها للقريب وسيأتي الجواب عنه. قوله ﴿الكتاب﴾ بمعنى المكتوب وهو القرآن، إن قلت إن القرآن قريب فلا يشار له باشارة البعيد، أجاب

يقرؤه محمد ﴿لا ريب﴾ : لا شك ﴿فيه﴾ : أنه من عند الله، وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم. ﴿هدى﴾ خبر ثان أي هاد ﴿للمتقين﴾ ٢ : الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك

المفسر بقوله والإشارة به للتعظيم، أي والقرآن وإن كان قريباً منا إلا أنه مرفوع الرتبة وعظيم القدر من حيث إنه منزه عن كلام الحوادث، وذلك كمناداة المولى سبحانه وتعالى بيا التي ينادى بها البعيد مع كونه أقرب إلينا من حبل الوريد، لكونه سبحانه منزها عن صفات الحوادث، فنزل تنزهه عن الحوادث منزلة بعدنا عنه، والكتاب في الأصل مصدر يطلق بمعنى الجمع. قوله: [الذي يقرؤه محمد] أي وهو القرآن احترز بذلك عن باقي الكتب السماوية. قوله: [لا شك] هذا أحد معان ثلاثة والثاني النهمة والثالث القلق والاضطراب وكلها منزه عنها القرآن لخروجه عن طاقة البشر، قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ الآية. إن قلت إن قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ خبر وهو لا يتخلف، مع أن بعض الكفار ارتاب فيه حيث قالوا سحر وكهانة وأساطير الأولين إلى غير ذلك، أجيب بأجوبة أحسنها أن قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لمن أذعن وأقام البرهان وتأمل، فلا ريب فيه للعارفين المنصفين، وأما من عاند فلا يعتد به، ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ ومنها أن معنى قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا ينبغي أن يرتاب فيه لقيام الأدلة الواضحة على كونه من عند الله. ومنها أن المعنى ﴿لا ريب فيه﴾ أي للمؤمنين، وأما الكافرون فلا يعتد بهم، فالجواب الأول عام، فمن تأمل لا يحصل له ريب مسلما أو كافراً أو جحده بعد ذلك عناداً، والجواب الثاني أنه نفي بمعنى النهي، والثالث خاص بالمسلم. قوله: [أنه من عند الله] بفتح الهمزة بدل من الضمير في قوله: ﴿فيه﴾ ويدل على قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿لا ريب فيه﴾ من ﴿رب العالمين﴾. قوله: [والإشارة به للتعظيم] تقدم أن هذا الجواب عن سؤال مقدر، إن قلت إنه لا يشار إلا للمحسوس والقرآن ألفاظ تنقضي بمجرد النطق بها أجيب بأنه نزل المعقول منزلة المحسوس أو الإشارة لما في المصاحف أو اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿هدى﴾ أي رشاد وبيان، وهو مصدر إما بمعنى اسم الفاعل وهو الذي اقتصر عليه المفسر أي مرشد ومبين، والإسناد له مجاز عقلي من الإسناد للسبب أو ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد: زيد عدل. قوله: ﴿للمتقين﴾ إن قلت إن القرآن هدى بمعنى مبين طريق الحق من الباطل للناس مؤمنهم وكافرهم فلم خص المتقين؟ أجيب بأنه خصهم بالذكر لكونهم انتفعوا بثمرته عاجلا وآجلا وهذا إن أريد به البيان حصل وصول للمقصود أم لا، وأما إن أريد به الوصول للمقصود فالتخصيص ظاهر، وأصل متقين متقيين استثقلت الكسرة على الياء الأولى فحذفت الياء فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين. قوله: [الصائرين الى التقوى] أشار بذلك إلى أن في الكلام مجاز الأول أي المتقين في علم الله أو من يؤول إلى كونهم متقين، فهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أنهم إذا كانوا متقين فهم مهتدون فلا حاجة له. قوله: [بامتثال الأوامر] يصح أن تكون سببية أو للتصوير. وقوله: [واجتناب النواهي] عطف عليه، والمعنى أن امتثال الأوامر على حسب الطاقة واجتناب النواهي جميعها سبب للتقوى أو هي مصورة بذلك. قوله: [لاتقائهم] علة لتسميتهم متقين. وقوله: [بذلك] أي المذكور وهو امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهذا إشارة إلى تقوى الخواص وتحتها تقوى العوام وهي تقوى الشرك وفوقها تقوى خواص الخواص وهي تقوى ما يشغل عن الله. قال العارف:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري يوما حكمت بردتي

والآية في حد ذاتها شاملة للمراتب الثلاث.

النَّارَ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾: بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: أي يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ ٣: في طاعة الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: أي القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ٤: يعلمون

قوله: ﴿الذين يؤمنون﴾ هذا تفصيل لبعض صفات المتقين وخصها لأنها أعلى الأوصاف، وهو في محل جر صفة للمتقين، أو رفع خبر لمحذوف، أو نصب مفعول لمحذوف، ويصح أن يكون مستأنفاً مبتدأ خبره قوله ﴿أولئك على هدى﴾، وعلى هذا فالوقف على المتقين تام لعدم ارتباطه بما بعده، وعلى الإعراب الأول فهو حسن لأنه رأس آية وإن كان له ارتباط بما بعده. قوله: [بما غاب] أشار بذلك إلى إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، وما غاب عنا قسمان ما دل عليه دليل عقلي أو سمعي، كالجنة والنار والملائكة والعرش والكرسي واللوح والقلم والمولى سبحانه وتعالى وصفاته، وما لم يدل عليه كالساعة ووقت نزول المطر، وما في الأرحام وباقي الخمسة المذكورة في الآية. وأما الشهادة فهي ما ظهر لنا حساً أو عقلاً ببداهة العقل كالواحد نصف الاثنين وأن الجرم متحيز. قوله: [من البعث الخ] بيان لما. وقوله: [والجنة والنار] عطف عليه، أي ونحو ذلك مما قام لنا الدليل عليه، ويحتمل أن يبقى الغيب على مصدريته والباء متعلقة بمحذوف حال أي إيماناً ملتبساً بحالة الغيبة، ففيها بيان لحال المؤمنين المخالصين وتعريض لحال المنافقين، فإنهم كانوا يؤمنون ظاهراً فقط، فمدح الله من يؤمن في حال غيبته عن كل أحد كما يؤمن ظاهراً، ويحتمل أن المراد بالغيب القلب سمي بذلك لخفائه أي يؤمنون بحالة السر وهو الإيمان القلبي، فالمصدر باق على حاله وفيه رد على المنافقين أيضاً حيث قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

قوله: ﴿ويقيمون الصلاة﴾ إما مأخوذة من الصلاة اللغوية بمعنى الدعاء لأنها مشتملة عليه في الركوع والسجود وعليه فأصلها صلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وقيل من الوصلة لأنها وصلة بين العبد وبين ربه، وعليه فأصلها وصلة قلبت قلباً مكانياً فصار صلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً. وقوله ﴿يقيمون﴾ من قومت العود عدلته. قوله: [أي يأتون بها بحقوقها] أي الظاهرية كالشروط والآداب والأركان، والباطنية كالخشوع والخضوع والإخلاص. قوله: ﴿ومما رزقناهم﴾ فيه حذف نون من التبعيضية لفظاً وخطاً لإدغامها في ما الموصولة، ورزقنا صلة الموصول ونا فاعل والهاء مفعول أول وحذف المفعول الثاني فيصح تقديره متصلاً أي رزقناهموه، أو منفصلاً أي رزقناهم إياه على حد قول ابن مالك وصل أو افصل هاء سلنيه. قوله: [أعطيناهم] أشار بذلك إلى أن الرزق معناه الملك، وليس المراد به الرزق الحقيقي، إذ لا يتأتى تعديه لغيره وقدم الجار والمجرور للاهتمام. قوله: ﴿ينفقون﴾ أي إنفاقاً واجباً كالزكاة والنفقة على الوالدين والعيال، أو مندوباً كالتوسعة على العيال ومواساة الأقارب والفقراء. قوله: [في طاعة الله] في تعليلية أي من أجل طاعة الله لا رياء ولا سمعة، قال الله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾.

قوله: ﴿والذين يؤمنون﴾ معطوف على الموصول الأول وهو نوع آخر للمتقين، فإنها أنزلت فيمن كان آمن بعيسى وأدرك النبي ﷺ كعبد الله بن سلام وعمار بن ياسر وسلمان والنجاشي وغيرهم. وأما النوع الأول فهم مشركو العرب الذين لم يرسل لهم غيره ﷺ فنزلت فيهم الآية الأولى. قوله ﴿بما أنزل إليك﴾ نزل المستقبل منزلة الماضي لتحقق الوقوع لأنه لم يكن تم نزوله. قوله: ﴿وما أنزل من قبلك﴾ أي فلم يفرقوا بين الأنبياء بحيث يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. قوله: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر وأتى بالجملة الاسمية لأنه أعلى من الإنفاق. قوله: [يعلمون] أي علماً لا شك فيه ولا ريب، ولذا اتصف مولانا بالعلم ولم يتصف باليقين، وفيه رد على من أنكر الآخرة ممن لم يؤمن بمحمد.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٥: الفائزون بالجنة الناجون من النار ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهّلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٦: لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير

قوله ﴿أولئك﴾ [الموصوفون بما ذكر] إنّ قلنا إنّ قوله الذين يؤمنون الخ وصف للمتقين كان ما هنا مبتدأ وخبراً بيان لعاقبة المتقين وإن قلنا إنه مستأنف مبتدأ كان ما هنا خبره. قوله: ﴿على هدى﴾ عبّر بعلى إشارة إلى تمكنهم من الهدى كتمكن الراكب من المركوب. قوله: [الناجون من النار] أي ابتداء وانتهاء، وعطف الجملتين إشارة إلى تغايرهما وأن كلاً غاية في الشرف، وأن الثانية مسبّبة عن الأولى.

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ جرت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه أنه إذا ذكر بشرى المؤمنين يذكر بلصقها وعيد الكافرين، فذكر حال الكافرين ظاهراً وباطناً، ثم ذكر حال الكافرين باطناً وهم المنافقون، وأنهم أسوأ حالاً من الكافرين ظاهراً وباطناً، وإنّ حرف توكيد ونصب والذين كفروا اسمها وجملة لا يؤمنون خبرها، وجملة سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم معترضة بين اسم إنّ وخبرها، وإعرابها أن تقول على المشهور سواء اسم مصدر مبتدأ بمعنى مستو، وسوّغ الابتداء به تعلق الجار والمجرور به، وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مؤول بمفرد خبر تقديره مستو عليهم إنذارك وعدمه، وهو فعل مسبوك بلا سابك، إن قلت إنّ خبر المبتدأ إذا وقع جملة لا بدّ له من رابط. أجيب بأن الخبر عين المبتدأ في المعنى وهو يكفي في الربط، وأجيب أيضاً بأن محل الاحتياج للرابط ما لم يؤول الخبر بمفرد وإلا فلا يحتاج للرابط، وقولهم لا بد للفعل من سابك أغلبي ويصح العكس، وهو أن الجملة مبتدأ مؤخر وسواء خبر مقدم. قوله: [ونحوهما] أي من كفار مكة الذين سبق علم الله بعدم إيمانهم، والحكمة في إخبار الله نبيه بذلك ليريح قلبه من تعلقه بإيمانهم فلا يشغل بهدايتهم ولا تأليفهم، ويحتمل أن ذلك إعلام من الله لنبيه بمن كفر من أول الزمان إلى آخره لأنه أطلعه على النار وعلى من أعد لها من الكفار، والحكمة في عدم الدعاء منه عليهم مع علمه بأنه يستحيل إيمانهم أنه يرجو الإيمان من ذريتهم. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي مع مدة بينهما مدّاً طبيعياً وتركه فهما قراءتان. وقوله: [وإبدال الثانية ألفاً] أي مدّاً لازماً وقدره ست حركات. وقوله: [وتسهيلها] أي بأن تكون بين الهمزة والهاء. وقوله: [وإدخال ألف] الواو بمعنى مع، فحاصله أن القراءات خمس: قراءتان مع التحقيق وقراءتان مع التسهيل وقراءة مع الإبدال، وكلها سبعية على التحقيق، خلافاً للبيضاوي حيث قال ان قراءة الإبدال لحن لوجهين: الأول أن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفاً، والثاني أن فيه التقاء الساكنين على غير حده، رد عليه ملا علي قاري بأن القراءة متواترة عن رسول الله، ومن أنكرها كفر، فيستدل بها لا لها، وأما قوله أن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفاً محله في القياسي، وأما السماعي فلا لحن فيه لأنه يقتصر فيه على السماع، وقوله فيه التقاء الساكنين على غير حده تقول سهله طول المد والسماع، وأما قولهم كل ما وافق وجه النحو الخ محله في قراءة الآحاد لا في المتواترة، وإلا فالتواتر نفسه حجة على غيره لا يحتج له. قوله: [إعلام مع تخويف] أي في وقت يسع التحرز من الأمر المخوف، وإلا فيسمى إخباراً بالعذاب.

---

* أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن أبي عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿إن الذين كفروا﴾ الآيتين أنهما نزلتا في يهود المدينة، وأخرج عن الربيع بن أنس قال: آيتان نزلتا في قتال الأحزاب: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم - إلى قوله ولهم عذاب عظيم﴾.

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: أي مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: غطاء فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾٧: قوي دائم. ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي يوم القيامة لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾٨: روعي فيه معنى مَنْ وفي ضمير يقول لفظها ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَمَا

قوله: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ هذا وما بعده كالعلة والدليل لما قبله، والمراد بالقلوب العقول وهي اللطيفة الربانية القائمة بالشكل الصنوبري قيام العرض بالجوهر أو قيام حرارة النار بالفحم. قوله: [طبع عليها] هذا إشارة إلى المعنى الأصلي فأطلقه وأراد لازمه وهو عدم تغيير ما في قلوبهم بدليل قوله فلا يدخلها خير، وفي القلوب استعارة بالكناية، حيث شبه قلوب الكفار بمحل فيه شيء مختوم عليه وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الختم فإثباته تخييل. قوله: [أي مواضعه] إنما قدر ذلك المضاف لأن السمع معنى من المعاني لا يصح إسناد الختم لها. وإفراده، إما لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع، أو لكون المسموع واحداً، وتم الوقف على قوله: ﴿وعلى سمعهم﴾، وقوله: ﴿وعلى أبصارهم﴾ خبر مقدم و﴿غشاوة﴾ مبتدأ مؤخر جملة مستأنفة نظير قوله تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ الآية، والمراد من الغشاوة عدم وصول النور المعنوي لهم، فأطلق اللازم وأراد الملزوم وخص الثلاثة لأنها طرق العلم بالله. قوله: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ العذاب هو إيصال الآلام للحيوان على وجه الهوان. قوله: [قوي دائم] إنما فسره بذلك لأن الأصل في العظم أن يكون وصفاً للأجسام فلذلك حول العبارة. قوله: ﴿ونزل في المنافقين﴾ أي في أحوالهم وهوانهم واستهزاء الله بهم وضرب الأمثال فيهم وعاقبة أمرهم، وجملة ذلك ثلاث عشرة آية آخرها ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾، وأخرهم عن المؤمنين والكافرين ظاهراً أو باطناً إشارة إلى أنهم أسوأ حالاً من الكفار.

قوله: ﴿ومن الناس من يقول﴾ يحتمل أن الجار والمجرور خبر مقدم، ومَنْ اسم موصول أو نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر، وجملة يقول إما صلة أو صفة، والمعنى الذي يقول أو فريق يقول ما ذكر كائن من الناس ورد ذلك بأنه لا فائدة في ذلك الاخبار، والحق أن يقال إن مِنْ اسم بمعنى بعض مبتدأ أو جر به لأنها على صورة الحرف أو صفة لمحذوف مبتدأ تقديره فريق من الناس، وخبره قوله ﴿من يقول﴾ الخ وعهده جعل الظرف مبتدأ حيث كان تمام الفائدة بما بعده كقوله تعالى: ﴿ومنا دون ذلك﴾ وقوله تعالى ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾، وأصل ناس أناس أتى بأل بدل الهمزة مشتق من التأنس لتأنس بعضهم ببعض، وتسمية الإنس به حقيقة، والجن مجاز وقيل مشتق من ناس إذا تحرك، وعليه فتسمية الجن به حقيقة أيضاً والحق الأول، ولذا قيل لم يوجد منافق أو مشرك إلا في بني آدم فقط وكفر الجن بغير الاشراك والنفاق وهو جمع إنسان أو إنسي، والمراد من المنافقين هنا بعض سكان البوادي وبعض أهل المدينة في زمنه ﷺ وخير ما فسرته بالوارد، قال تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة﴾ الآية.

قوله: ﴿وباليوم الآخر﴾ أعاد الجار لإفادة تأكد دعواهم الإيمان بكل ما جاء به رسول الله، فرد عليهم المولى بأبلغ رد بقوله: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ حيث أتى بالجملة الاسمية وزاد الجار في الخبر. قوله: [لأنه آخر الأيام] علة لتسميته اليوم الآخر، والمراد بالأيام الأوقات، وهل المراد الأوقات المحدودة وهو بناء على أن أوله النفخة وآخره الاستقرار في الدارين أو الأوقات الغير المحدودة بناء على أنه لا نهاية له. قوله: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ جملة اسمية تفيد الدوام والاستمرار، أي لم يتصفوا بالإيمان في حال من الأحوال، لا في الماضي ولا في الحال ولا في الاستقبال.

قوله: ﴿يخادعون الله﴾ هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره ما الحامل لهم على إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، وحقيقة المخادعة أن يظهر لصاحبه أنه موافق ومساعد له على مراده، والواقع أنه ساع في إبطال مراده، فإظهار خلاف ما

يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ٩: يعلمون أن خداعهم لأنفسهم والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين وفي قراءة وما يخدعون ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أي يضعفها ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ١٠: بالتشديد أي نبي الله وبالتخفيف أي في قولهم آمنا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: أي لهؤلاء ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾:

يبطن إن كان في الدين سمي نفاقاً وخديعة ومكراً، وإن كان في الدنيا بأن يصانع أهل الدنيا لأجل حماية الدين ووقايته تسمى مداراة وهي ممدوحة. قوله: [من الكفر] بيان لما أبطنوه. وقوله: [ليدفعوا] علة للإظهار. قوله: [أحكامه] أي الكفر. وقوله: [الدنيوية] أي الكائنة في الدنيا وذلك كالقتل والسبي والجزية والذل، ولو قصدوا دفع أحكامه الأخروية من الخلود في النار وغضب الجبار لأخلصوا في إيمانهم. قوله: [لأن وبال خداعهم] أي عذابه وعاقبة أمره. قوله: [راجع إليهم] قال تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾. قوله: [فيفتضحون] تفريع على قوله ﴿لأن وبال خداعهم الخ﴾. قوله: [بإطلاع الله نبيه] أي وأمره بإخراجهم من المسجد ونزل فيهم ﴿ولا تصل على أحد منهم﴾ الآيات. قوله: [ويعاقبون في الآخرة] أي بالعذاب الدائم المؤبد في الدرك الأسفل. قوله: [يعلمون] سمي العلم شعوراً لأنه يكون بأحد المشاعر الخمس وهي: الشم والذوق واللمس والسمع والبصر. قوله: [والمخادعة هنا من واحد] أي فليست على بابها وهو جواب عن سؤال تقديره إن المفاعلة تكون من الجانبين، والله لا يقال فيه مخادعة، فأجاب بما ذكر، وقد ورد سؤال آخر حاصله أن الخداع لا يكون إلا لمن تخفى عليه الأمور، فما معنى إسناد المخادعة إلى الله؟ أجيب بأن في الكلام استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم مع ربهم في إيمانهم ظاهراً لا باطناً بحال رعية تخادع سلطانها واستعير اسم المشبه به للمشبه، أو مجاز عقلي، أي يخادعون رسول الله من إسناد الشيء إلى غير من هو له أو مجاز بالحذف، أو في الكلام تورية وهي أن يكون للكلام معنى قريب وبعيد، فيطلق القريب ويراد البعيد وهو مطلق الخروج عن الطاعة باطناً، وإن كان العامل لا تخفى عليه خافية، وأشار المفسر لذلك كله بقوله [وذكر الله فيها تحسين] أي بذكر المجاز لأنه أبلغ من الحقيقة.

قوله: ﴿في قلوبهم مرض﴾ يطلق على الحسي وهو الحرقة، وعلى المعنوي وهو الشك والنفاق، ولا شك أن في قلوبهم المرضين والمعنوي سبب في الحسي فقوله [شك ونفاق] إشارة للمرض المعنوي، وقوله [فهو يمرض قلوبهم] بيان لما يتسبب عنه، وهو إشارة للحسي، وهي في محل التعليل لما قبلها قوله [بما أنزله من القرآن] أشار بذلك إلى أن نزول القرآن يزيد الكافر والمنافق مرضاً بمعنى كفراً وشكاً فينشأ عنه المرض الحسي، كما يزيد المؤمن إيماناً فينشأ عنه البهجة والسرور، قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾ الآيات. ويحتمل أن المراد بما أنزله أي في حقهم من فضيحتهم خصوصاً بسورة التوبة فإنها تسمى الفاضحة. قوله: [مؤلم] يقرأ اسم مفعول أي العذاب يتألم من شدته فكأنه لشدته كأن الألم قائم به وهو أبلغ، ويصح قراءته اسم فاعل ولا بلاغة فيه. قوله: [أي نبي الله] إشارة إلى المفعول، وقوله [أي في قولهم] إشارة إلى المتعلق على القراءة الثانية.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ شروع في ذكر قبائحهم وأحوالهم الشنيعة، وفي الحقيقة هو تفصيل للمخادعة الحاصلة منهم، وهذه الجملة يحتمل أنها استئنافية، ويحتمل أنها معطوفة على يكذبون أو على صلة من وهي يقول التقدير من صفاتهم أنهم يقولون آمنا الخ، ومن صفاتهم أنهم ﴿إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ الخ، وأصل قيل قول استثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى ما قبلها بعد سلب حركتها ثم وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء، وفاعل القول قيل الله

بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ١١: وليس ما نحن فيه بفساد قال الله تعالى رداً عليهم: ﴿أَلَا﴾: للتنبيه ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ١٢: بذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾: أصحاب النبي ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: الجهال أي لا نفعل كفعلهم قال تعالى رداً عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ١٣: ذلك ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾: أصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم الياء لالتقائها

سبحانه وتعالى وقيل النبي والصحابة ومقول القول جملة ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ في محل نصب وهي نائب الفاعل باعتبار لفظها. قوله: [بالكفر] الباء سببية بيان لسبب الإفساد، وقوله [والتعويق عن الإيمان] معطوف عليه أي تعويق الغير عن الإيمان وصدهم عنه. قوله: ﴿إنما نحن مصلحون﴾ أي ليس شأننا الإفساد أبداً، بل نحن محصورون للإصلاح ولا نخرج عنه إلى غيره فهو من حصر المبتدأ في الخبر، وأكدوا ذلك بإنما المفيدة الحصر، وبالجملة الاسمية المفيدة الدوام والاستمرار، فرد عليهم سبحانه تعالى بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات ألا التي للتنبيه وإن وضمير الفصل وتعريف الخبر. قوله: [للتنبيه] وتأتي أيضاً للاستفتاح وللعرض والتحضيض، وفي الحقيقة الاستفتاح والتنبيه شيء واحد، وتدخل إذا كانت لهما على الجملة الاسمية والفعلية، وأما إذا كانت للعرض والتحضيض فإنها تختص بالأفعال وهي بسيطة على التحقيق لا مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية. قوله: ﴿ولكن لا يشعرون﴾ [بذلك] أي ليس عندهم شعور بالإفساد لطمس بصيرتهم، وعبر بالشعور دون العلم، إشارة إلى أنهم لم يصلوا إلى رتبة البهائم تمتنع من المضار فلا تقربها لشعورها بخلاف هؤلاء.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ مقول القول قوله ﴿آمنوا﴾ وهو نائب الفاعل وفاعل القول قيل الله وقيل النبي وأصحابه كما تقدم. قوله: [أصحاب النبي] أشار بذلك إلى أن أل في الناس للعهد العلمي الخارجي ويحتمل أن تكون أل للكمال أي الناس الكاملون. قوله: ﴿قالوا﴾ أي فيما بينهم وإلا فلو قالوا ذلك جهاراً لظهر كفرهم وقتلوا. قوله: [الجهال] أي بناء على أن السفه ما قابل العلم، ويصح أن المراد به نقص العقل بناء على أنه ما قابل الحلم، فإن الصحابة أنفقوا أموالهم في سبيل الله حتى افتقروا وتحملوا المشاق فسموهم سفهاء لذلك. قوله: [ردا عليهم] أي بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات كالأولى. قوله: ﴿ولكن لا يعلمون﴾ [ذلك] أي السفه أو علم النبي بسفههم، وعبر هنا بالعلم إشارة إلى أن السفه معقول بخلاف الفساد فإنه مشاهد، فلذلك عبر هنا بالعلم وهناك بالشعور.

قوله: ﴿وإذا لقوا﴾ سبب نزول هذه الآية* أن أبا بكر وعمر وعلياً توجهوا لعبد الله بن أبي بن سلول لعنه الله فقال له أبو بكر هلم أنت وأصحابك وأخلص معنا، فقال له مرحباً بالشيخ والصديق ولعمر مرحباً بالفاروق القوي في دينه، ولعلي مرحباً بابن عم النبي، فقال له علي: اتق الله ولا تنافق، فقال ما قلت ذلك إلا لكون إيماني كإيمانكم، فلما

---

* أسباب نزول الآية ١٤: قوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال مرحباً بالصديق سيد بني تيم، وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد علي فقال مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت: - فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيراً، فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك فنزلت هذه الآية، هذا الإسناد واه جداً، فإن السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي، وأبو صالح ضعيف.

ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾: منهم ورجعوا ﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾: رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ١٤: بهم بإظهار الإيمان ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يجازيهم باستهزائهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يمهلهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: بتجاوزهم الحد بالكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ١٥: يترددون تحيراً حال ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾: أي استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾: أي ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ١٦: فيما فعلوا ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾: أوقد ﴿نَارًا﴾: في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾: أنارت ﴿مَا حَوْلَهُ﴾: فأبصر واستدفأ وأمن

توجهوا قال لجماعته: إذا لقوكم فقولوا مثل ما قلت فقالوا: لم نزل بخير ما عشت فينا، وإذا ظرف منصوب بقالوا. قوله: [أصله لقيوا] أي على وزن شربوا. قوله: [حذفت الضمة] لم يكمل التصريف وتمامه ثم ضمت القاف للمناسبة. قوله: [منهم] أشار بذلك إلى أن متعلق خلا محذوب، وقوله ﴿إلى شياطينهم﴾ متعلق بمحذوف أيضاً قدره المفسر بقوله [ورجعوا] ويحتمل كما قال البيضاوي إن خلا بمعنى انفرد، وإلى بمعنى مع، أي انفردوا مع شياطينهم ولا حذف فيه، وأصل خلوا خلووا بواوين الأولى لام الكلمة والثانية علامة الاعراب قلبت لام الكلمة ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فبقيت ساكنة، وبعدها واو الضمير ساكنة فحذفت لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة دالة عليها. قوله: [رؤسائهم] إنما سموا شياطين لأن كل رئيس منهم معه شيطان يوسوس له ويعلمه المكر، وقيل لأنهم كالشياطين في الأغواء ورؤساؤهم في ذلك الوقت خمسة: كعب بن الأشرف في المدينة، وعبد الدار في جهينة، وأبو بردة في بني أسلم وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد الله بن الأسود في الشام. قوله: [يجازيهم باستهزائهم] انما سمى المجازاة استهزاء من باب المشاكلة، والاستهزاء الاستخفاف بالشيء. قوله: [يمهلهم] أتى بذلك دفعاً لما يتوهم من أن المجازاة واقعة حالاً، وحكمة الإمهال مذكورة في قوله تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ إلى غير ذلك من الآيات. قوله: [بالكفر] الباء سببية أي تجاوزهم الغاية بسبب الكفر. قوله: [حال] أي جملة يعهمون وهي إما حال من الهاء في يمدهم أو من الهاء في طغيانهم، والمراد بالعمه عدم معرفة الحق من الباطل، فمنهم من يظهر له وجه الحق ويكفر عناداً، ومنهم من يشك في الحق ويقال له عمى أيضاً، فبين العمه والعمى عموم وخصوص مطلق يجمعان في طمس القلب وينفرد العمى بفقد البصر. وقوله: [تحيراً] إما مفعول لأجله أو تمييز. قوله: [استبدلوها به] أشار بذلك إلى أن المراد بالشراء مطلق الاستبدال، والباء داخلة على الثمن، والمراد بالضلالة الكفر وبالهدى الإيمان وكلامه يقتضي أن الهدى كان موجوداً عندهم ثم دفعوه وأخذوا الضلالة، وهو كذلك لقوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة حتى يهودانه أبواه» الحديث، ولأنهم في العهد يوم ﴿ألست بربكم﴾ أجابوا بالإيمان جميعاً. قوله: [أي ما ربحوا فيها] أشار بذلك إلى أن إسناد الربح للتجارة مجاز عقلي وحقه أن يسند للتجر. قوله: [بل خسروا] أي الربح ورأس المال جميعاً خسراناً دائماً فقوله [لمصيرهم] علة له، ومثلهم كمثل من عنده كنز عظيم ينفع في الدنيا والآخرة استبدله بالنار لأن الضلالة سبب للنار.

قوله: ﴿مثلهم﴾ لما بين قبائحهم وعاقبة أمرهم شرع يضرب أمثالهم ويبين فيه وصفهم وما هم عليه. قوله: [صفتهم] أشار بذلك إلى أن المثل بالتحريك هنا معناه الصفة، وليس المراد به المثل السائر وهو كلام شبه مضربه بمورده لغرابته كقولهم الصيف ضيعت اللبن. وقوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً﴾ الآية، وإنما فسره بالصفة ولم يفسره بالمثل بمعنى الشبه، لئلا يلزم عليه زيادة الكاف، والأصل عدم الزيادة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مثل التقدير صفتهم كائنة مثل صفة ﴿الذي استوقد ناراً﴾، ويصح في هذه الكاف أن تكون اسماً وهي نفسها هي الخبر، وإنما جر بها لأنها على صورة الحرف وأن تكون حرفاً متعلقة بمحذوف وعلى كل معناها مثل. قوله: ﴿استوقد﴾

ممن يخافه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أطفأه وجُمع الضمير مراعاة لمعنى ﴿ٱلَّذِي﴾ ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ١٧ ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء آمنوا بإظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب هم ﴿صُمٌّ﴾: عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول ﴿بُكْمٌ﴾: خرس عن الخير فلا يقولونه ﴿عُمْيٌ﴾: عن طريق الهدى فلا يرونه ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ١٨: عن الضلالة ﴿أَوْ﴾: مثلهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾: أي

راعى في الإفراد لفظ الذي. وفي قوله: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ معناه. قوله: [أوقد] أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لا للطلب، لأنه لا يلزم من الطلب الإيقاد بالفعل. قوله: [في ظلمة] أي شديدة وهي ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر.

قوله: ﴿فلما أضاءت﴾ الإضاءة النور القوي. قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾ فقوله [أنارت] أي نوراً قوياً والفاء للترتيب والتعقيب لأن الإضاءة تعقب الإيقاد. قوله ﴿ما حوله﴾ يحتمل أن ما نكرة موصوفة وحوله صفة والضمير عائد على الموقد للنار، وفاعل أضاءت ضمير يعود على النار، ويحتمل أن ما اسم موصول وحوله صلة وهو صفة لموصوف محذوف تقديره المكان الذي حوله. قوله: [واستدفأ] أي امتنع عنه ألم البرد. قوله: [وأمن مما يخافه] أي من عدو وسباع وحيات وغير ذلك مما يضر، وحينئذ فقد تم له النفع بالنار. قوله: ﴿بنورهم﴾ الضمير عائد على متقدم ضمناً في قوله ﴿فلما أضاءت﴾ إذ المعنى أنارت على حد ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ ولم يقل بضوئهم إشارة إلى انعدام النور بالكلية، بخلاف ما لو عبر بالضوء لأنه لا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم، والباء للتعدية كالهمزة فلذلك دخلت على المفعول، ولا تستلزم الباء المصاحبة كالهمزة فذهبت بزيد مثل أذهبت زيداً خلافاً للمبرد حيث جعلها تفيد المصاحبة، ورد بهذه الآية لاستحالة المصاحبة فيها.

قوله: ﴿وتركهم﴾ عطف على ذهب. قوله: ﴿في ظلمات﴾ أي ثلاث: ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر.

قوله: [ما حولهم] هذا هو مفعول يبصرون. وقوله: [متحيرين] حال من الضمير في تركهم. قوله: [فكذلك] أشار بذلك إلى حال المشبه وهم المنافقون، وقوله [أمنوا] بالقصر ضد الخوف، أي حيث أسلموا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم فقد أمنوا من القتل والسبي وانتفعوا بأخذ الغنائم والزكاة، فإذا ماتوا فقد ذهب الله بنورهم فلم يأمنوا من النار ولم ينتفعوا بالجنة، وتركهم في ظلمات ثلاث: ظلمة الكفر والنفاق والقبر، والجامع بينهما أن الانتفاع ودفع المضار في كل شيء قليل ثم يذهب.

قوله: ﴿صم﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم. قوله: ﴿فهم لا يرجعون﴾ أي لفقد هذه الإدراكات الثلاثة

---

* أسباب نزول الآية ١٩: قوله تعالى: ﴿أو كصيب﴾ الآية: أخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله: فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعا ايديهما في يده وحسن اسلامهما فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة.

وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقاً من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ﴿وإذا أضاء لهم مشوا فيه﴾ فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصابوا غنيمة أو فتحاً مشوا فيه، وقالوا: إن دين محمد حينئذ صدق واستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهما البرق وإذ أظلم عليهم قاموا وكانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم وأصابهم البلاء قالوا هذا من أجل دين محمد وارتدوا كفاراً كما قال ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما.

كأصحاب مطر وأصله صَيْوِبٌ من صَابَ يَصُوبُ أي ينزل ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: السحاب ﴿فِيهِ﴾: أي السحاب ﴿ظُلُمَاتٌ﴾: متكاثفة ﴿وَرَعْدٌ﴾: هو الملك الموكل به وقيل صوته ﴿وَبَرْقٌ﴾: لمعان سوطه الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾: أي أصحاب الصيب ﴿أَصَابِعَهُمْ﴾: أي أناملهم ﴿فِي آذَانِهِمْ مِنَ﴾: أجل ﴿الصَّوَاعِقِ﴾: شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾: خوف ﴿الْمَوْتِ﴾: من سماعها كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ١٩: علماً وقدرة فلا يفوتونه ﴿يَكَادُ﴾: يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾: يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾: أي في ضوئه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: وقفوا تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما

من قلوبهم. قوله: ﴿أو﴾ [مثلهم] يصح أن تكون أو للتنويع أو للإبهام أو الشك أو الإباحة أو التخيير أو الإضراب أو بمعنى الواو وأحسنها الأول. قوله: [أي كأصحاب مطر] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمثل هنا بمعنى الصفة كما تقدم. قوله: [وأصله صيوب] أي اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. قوله: [السحاب] أشار بذلك إلى أن المراد بالسماء اللغوية وهي كل ما ارتفع، وأصل سماء سماو وقعت الواو متطرفة فقلبت همزة. قوله: [أي السحاب] المناسب عود الضمير على الصيب. قوله: ﴿ظلمات﴾ أي ظلمة الريح والسحاب والليل. قوله: [هو الملك] أي وعليه قوله تعالى: ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾. قوله: [وقيل صوته] أي فقوله تعالى يسبح الرعد أي ذو الرعد. قوله: [لمعان صوته] أي الآلة التي يسوق بها وهي من نار. قوله: [أي أصحاب الصيب] أي فهو بيان للواو في يجعلون. قوله: [أي أناملها] أشار بذلك إلى أن في الأصابع مجازاً من باب تسمية الجزء باسم الكل مبالغة في شدة الحرص في إدخال رأس الأصبع فكأنه مدخل لها كلها. قوله: [شدة صوت الرعد] فالإضافة بيانية إن كان المراد بالرعد صوت الملك، وحقيقة إن كان المراد به ذاته. قوله: [كذلك هؤلاء] أي المنافقون. قوله: [علماً وقدرة] تمييزان محولان عن الفاعل، والإحاطة الاحتواء على الشيء كاحتواء الظرف على المظروف، وهي محالة في حقه تعالى، فأشار المفسر إلى دفع ذلك بقوله: علماً وقدرة أي فالمراد الإحاطة المعنوية، وهي كونهم مقهورين، فلا يتأتى منهم فوات ولا إفلات، قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾.

قوله: ﴿يكاد البرق﴾ هذا من تمام المثل، وأما قوله: ﴿والله محيط بالكافرين﴾ فجملة معترضة بين أجزاء المشبه به جيء بها تسلية للنبي ﷺ، وأصل يكاد يكود بفتح الواو نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وأصل ماضيها كود بكسر الواو تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وهذا التصريف في الناقصة، وأما التامة ففعلها يائي وهي بمعنى المكر، قال تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ وأصل مضارعها يكيد بسكون الكاف وكسر الياء نقلت كسرة الياء إلى الكاف فصحت الياء. قوله: ﴿يخطف﴾ بفتح الطاء مضارع خطف بفتح الطاء وكسرها. قوله: ﴿كلما أضاء لهم﴾ كل بحسب ما تضاف إليه وما نكرة بمعنى وقت، فكل ظرفية والعامل فيها مشوا وفاعل أضاء يعود على البرق، وأضاء يحتمل أن يكون متعدياً، والمفعول محذوف التقدير كل وقت أضاء لهم البرق طريقاً ﴿مشوا فيه﴾ فالضمير في فيه عائد على الطريق، ويحتمل أن يكون لازماً، والضمير عائد على الضوء. قوله: [تمثيل] أي من باب تمثيل الجزئيات بالجزئيات فقوله من الحجج أي المشبهة بالرعد والبرق الخاطف، وقوله [وتصديقهم لما سمعوا

يكرهون ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾: بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾: الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾ ٢٠: ومنه إذهاب ما ذكر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: أي أهل مكة ﴿ٱعْبُدُوا﴾: وحّدوا ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿وَ﴾: خلق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ٢١: بعبادته عقابه ولعل في الأصل للترجي وفي كلامه تعالى للتحقيق ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ﴾: خلق ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: حال،

فيه مما يحبون] أي من الآيات الموافقة لطبعهم كالقسم لهم من الغنائم وعدم التعرض لهم وأموالهم، وأشار بذلك بقوله: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾، فكذلك هؤلاء، وقوله [ووقوفهم عما يكرهون] أي من التكاليف كالصلاة والصوم والحج والحكم عليهم، قال تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ وأشار إلى ذلك بقوله ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾. قوله: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ يحتمل أن هذا من تعليقات المشبه به الذي هو أصحاب الصيب، والتقدير لولا مشيئة الله سبقت لخطف البرق أبصارهم ولأذهب الرعد أسماعهم، فان ما ذكر سبب عادي لأذهاب السمع والبصر، ولكن قد يوجد السبب ولا يوجد المسبب لتخلف المشيئة، والمقصود من ذلك زيادة القوة في المشبه به ويلزم منه القوة في المشبه، وهذا ما عليه أبو حيان والبيضاوي، ويحتمل أنه من تعلقات المشبه وهم المنافقون، وعليه المفسر حيث أشار لذلك بقوله كما ذهب بالباطنة. قوله: [بمعنى أسماعهم] أشار بذلك إلى أن السمع بمعنى الأسماع. قوله: ﴿إن الله على كل شيء﴾ هذا دليل لما قبله. قوله: [شاءه] دفع بذلك ما يقال إن الشيء هو الموجود ومن ذلك ذات الله وصفاته وكل للاستغراق، فيقتضي أن القدرة تتعلق بالواجبات فدفع ذلك بقوله شاءه أي أراده، والارادة لا تتعلق إلا بالممكن فكذا القدرة فخرجت ذات الله وصفاته فلا تتعلق بهما القدرة إلا لزم، إما تحصيل الحاصل أو قلب الحقائق. قوله: ﴿قدير﴾ من القدرة وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات إيجاداً أو إعداماً على وفق الارادة والعلم. قوله: [ومنه إذهاب ما ذكره] أي من جملة الشيء الذي شاءه، وقوله ما ذكره أي السمع والبصر.

قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ لم يناد في القرآن إلا بيا سواء كان النداء من الله لعباده أو منهم لله وهي لنداء البعيد، ولما كان الله لا يشبه شيئاً من الحوادث وهو منزه عنهم ذاتاً وصفات وأفعالا نودي بيا تنزيلاً للبعد المعنوي منزلة البعد الحسي، ولما كان البعد قائماً بالحوادث للحجب الموجودة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ناداهم بيا أيضاً، ويا حرف نداء وأي منادى مبني على الضم، والناس نعت لأي باعتبار اللفظ وهو مرفوع بضمة ظاهرة، واستشكل ذلك بأن العامل إنما طلب النصب لا البناء على الضم وإنما هو اصطلاح للنحاة، فما وجه رفع الناس مع أن القاعدة أن النعت تابع للمنعوت في الاعراب، وهذا إشكال قديم لا جواب له، واعلم أن النداء على سبعة أقسام: نداء تنبيه مع مدح كيا أيها النبي أو مع ذم كيا أيها الذين هادوا، أو تنبيه محض كيا أيها الانسان، أو إضافة كيا عبادي، أو نسبة كيا نساء النبي، أو تسمية كيا داود، أو تخصيص كيا أهل الكتاب. قوله: [أي أهل مكة] يصح رفع أهل نظراً للفظ الناس، ونصبه نظراً لمحل أي، لأن لما بعد أي في الاعراب حكم ما فسرته. قوله: [وحّدوا] هذا تفسير للعبادة، والمفسر قد تبع في تفسير الناس بأهل مكة والعبادة بالتوحيد ابن عباس، وقال جمهور المفسرين إن المراد بالناس جمع المكلفين، وبالعبادة جميع أنواعها أصولاً وفروعاً وهو أشمل، واستدل المفسر بقاعدة إن ما قيل في القرآن بيا أيها الناس كان خطاباً لأهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا كان خطاباً لأهل المدينة، وهي قاعدة أغلبية فان السورة مدنية.

قوله: ﴿الذي خلقكم﴾ صفة لرب وتعليق الحكم بمشتق يؤذن بالعلية أي اعبدوه لخلقه إياكم فانه هو الذي يعبد لا غيره. قوله: [عقابه] إشارة إلى مفعول تتقون. قوله [ولعل في الأصل للترجي] أي أصل اللغة والترجي هو توقع الأمر

بساطاً يفترش لا غاية في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سقفاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ﴾: أنواع ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾: تأكلونه وتعلفون به دوابكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شركاء في العبادة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢٢ أنه الخالق ولا يخلقون ولا يكون إلهاً إلا من يخلق ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾: شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: أي المنزل

المحبوب على سبيل الظن. قوله [وفي كلامه تعالى للتحقيق] أي ومثلها عسى كما قال سيبويه، ودفع بذلك ما يتوهم من معنى كون المولى سبحانه وتعالى جاهلاً بالأمور المستقبلة، وأتى به على صورة الترجي بالنسبة لحال المخاطبين لا لخبر الله فانه من قبيل الوعد وهو لا يتخلف. قوله: [خلق] أي فتنصب مفعولاً واحداً وهو الأرض، وقوله ﴿فراشاً﴾ حال كما قال المفسر ويحتمل أنها على بابها بمعنى صير فيكون فراشاً مفعولاً ثانياً، والمراد على الثاني التصيير من عدم. قوله: [فلا يمكن الاستقرار عليها] مفرع على المنفي بشقيه. قوله [سقفاً] أي وقد صرح به في آية ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾. قوله: ﴿من السماء﴾ أي اللغوية وهي ما علا وارتفع، والمراد السحاب. قوله: ﴿ماء﴾ هو من الجنة فينزل بمقدار على السحاب وهو كالغربال ثم يساق حيث شاء الله على مختار أهل السنة، وقالت المعتزلة: إن السحاب له خراطيم كالإبل فينزل يشرب من البحر المالح بمقدار ويرتفع في الجو فتنسفه الرياح فيحلو ثم يساق حيث شاء الله. قوله: ﴿الثمرات﴾ أي المأكولات لجميع الحيوانات بدليل قول المفسر وتعلفون به دوابكم، والمراد بها ما دب على وجه الأرض غير الآدمي.

قوله: ﴿فلا تجعلوا لله انداداً﴾ لا ناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل، وأنداداً مفعول أول مؤخر، ولله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم واجب التقديم لأن المفعول الأول في الأصل نكرة ولم يوجد له مسوغ إلا تقديم الجار والمجرور، ومعنى تجعلوا تصيروا أو تسموا، وعلى كل فهي متعدية لمفعولين والفاء سببية، والأنداد جمع ند معناه المقاوم المضاهي سواء كان مثلاً أو ضداً أو خلافاً. قوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾ جملة من مبتدإ وخبر في محل نصب على الحال، وقوله [أنه الخالق] بفتح الهمزة في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي تعلمون أي تعلمونه خالقاً. قوله: [ولا يكون إلهاً إلا من يخلق] هذا هو تمام الدليل، قال تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾. قوله: ﴿وإن كنتم في ريب﴾ استشكلت هذه الآية بوجوه ثلاثة، الأول: أن إن تقلب المضي إلى الاستقبال ولو كان الفعل كان خلافاً للمبرد القائل بأنها لا تقلبه إذا كان الفعل كان واحتج بهذه الآية فيقتضي أن الريب مستقبل وليس حاصلاً الآن مع أنه حاصل أجيب عنه بأن الاستقبال بالنسبة للدوام والمعنى إن دمتم على الريب. الوجه الثاني: أن إن للشك فيفيد أن ريبهم مشكوك فيه مع أنه محقق أجيب بأنه أتى بأن إشارة للائق أي اللائق والمناسب أن لا يكون عندكم ريب. الوجه الثالث: أن قوله وإن كنتم في ريب أي شك في أنه من عند الله أو من عند محمد فليس عندهم جزم بأنه من عند محمد، وقوله ﴿إن كنتم صادقين﴾ يفيد أن عندهم جزماً بأنه من عند محمد فبين أول الآية وآخرها تناف أجيب بأنه أشار في أول الآية إلى عقيدتهم الباطنة وفي آخرها إلى عنادهم لإظهار الإغاظة له ﷺ، فلا يخلو حالهم الباطني، إما أن يكون عندهم شك في أنه من عند الله أو تحقيق بأنه من عند الله، وإنما إظهارهم الجزم بأنه ليس من عند الله عناد. قوله [شك] جعل الشك ظرفاً لهم إشارة إلى أنه تمكن منهم تمكن الظرف من المظروف.

قوله: ﴿مما نزلنا﴾ من حرف جر وما اسم موصول أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف، والجملة صلة أو صفة، والجار والمجرور صفة لريب التقدير في ريب كائن من الذي نزلناه أو في ريب كائن من كلام نزلناه. قوله: ﴿على عبدنا﴾ الإضافة للتشريف وقرىء على عبادنا فعلى هذه القراءة المراد بالجمع محمد وأمته لأن المكذب لمحمد مكذب لأمته. قوله: [من القرآن] بيان لما. قوله: [أنه من عند الله] الكلام على حذف الجار أي بأنه.

ومن للبيان أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات ﴿وادعوا شهداءكم﴾: آلهتكم التي تعبدونها ﴿من دون الله﴾: أي غيره لتعينكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ ٢٣: في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فإنكم عربيون فصحاء مثله ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا﴾: ما ذكر لعجزكم ﴿ولن تفعلوا﴾: ذلك أبداً لظهور إعجازه اعتراض ﴿فاتقوا﴾: بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر ﴿النار التي وقودها الناس﴾: الكفار ﴿والحجارة﴾: كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿أعدت﴾: هيئت ﴿للكافرين﴾ ٢٤: يعذبون بها جملة

قوله: ﴿فأتوا﴾ أصله ائتيوا بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد كسرة قلبت ياء واستثقلت الضمة على الياء التي هي لام الكلمة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين وضمت التاء للتجانس، وفي الدرج تحذف همزة الوصل وتعود الهمزة التي قلبت ياء كما هنا، فأتوا على وزن فافعوا. قوله: [أي المنزل] أي وهو القرآن ويشهد لهذا التفسير ما في سورة يونس ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾، ويحتمل أن الضمير عائد على عبدنا الذي هو محمد أي فأتوا بسورة من رجل مثل محمد في كونه أمياً بشراً عربياً فإنكم مثله وحيث كان كذلك فلا بعد في مناظرته. قوله: [ومن للبيان] ويحتمل أن تكون للتبعيض والأول أقرب. قوله: [في البلاغة] هذا بيان لوجه المماثلة. قوله: [أقلها ثلاث آيات] ليس من تمام التعريف بل هو بيان للواقع فإن أقصر سورة ثلاث آيات ولو فرض أنها آيتان لعجزوا أيضاً. قوله: [آلهتكم] إنما سموا شهداء لزعمهم أنهم يشهدون لهم يوم القيامة. قوله: [أي غيره] أشار بذلك إلى أن دون بمعنى غيره، والمعنى ادعوا شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة، فقوله من دون الله وصف لشهداء أو حال منه وهو على زيادة من إذ تقديره شهداءكم التي هي غير الله أو حال كونها مغايرة لله، وقوله لتعينكم علة لقوله ادعوا. قوله: [فافعلوا] إشارة إلى جواب الشرط الثاني، وأما جواب الأول فهو مذكور بقوله فأتوا هكذا، قال المفسر ولكن سيأتي له في قوله تعالى: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة﴾ الآية، وللمحلي في تفسير قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ الآية أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان للأخير والأول قيد فيه ولا يحتاج لجواب ثان، والتقدير في الآية إن كنتم صادقين في دعواكم أنه من عند محمد ودمتم على الريب فأتوا بسورة من مثله وهو أولى لعدم التقدير. قوله: [فإنكم عربيون] علة لقوله فافعلوا.

قوله: ﴿فإن لم تفعلوا﴾ إن حرف شرط ولم حرف نفي وجزم وقلب وتفعلوا مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون، والجملة من الجازم والمجزوم في محل جزم فعل الشرط، وقوله فاتقوا جواب الشرط وقرن بالفاء لأنه فعل طلبي. قوله: [أبداً] أخذ التأبيد من قرينة خارجية لا من لن خلافاً للزمخشري. قوله: [اعتراض] أي جملة معترضة بين فعل الشرط وجوابه قصد بها تأكيد العجز وليس معطوفاً على جملة ﴿لم تفعلوا﴾. قوله: [وأنه] بفتح الهمزة على حذف الجار أي وبأنه. قوله: ﴿التي وقودها﴾ بفتح الواو ما توقد به، وأما بالضم فهو الفعل وقيل بالعكس على حد ما قيل في الوضوء والطهور والسحور. قوله: [كأصنامهم منها] إنما خص الأصنام بكونها من الحجارة مسايرة للآية وإلا فالأصنام مطلقاً تدخل النار، قال تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ ويستثنى من ذلك عيسى والعزير وكل معبود من الصالحين، وإنما دخلت الأصنام النار وإن كانت غير مكلفة إهانة لعبادها وليعذبوا بها لا لتعذيبها. قوله: [بما ذكر] أي بالناس الكفار والحجارة. قوله: [لا كنار الدنيا] أي كما ورد أن نار الدنيا قطعة من جهنم غمست في البحر سبع مرات ثم بعد أخذها أوقد على جهنم ثلاثة آلاف سنة، ألف حتى ابيضت وألف حتى احمرت، وألف حتى اسودت،

مستأنفة أو حال لازمة ﴿وَبَشِّرِ﴾: أخبر ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: صدقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾: من الفروض والنوافل ﴿أَنَّ﴾: أي بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾: حدائق ذات شجر ومساكن ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾: أي تحت أشجارها وقصورها ﴿ٱلْأَنْهَارُ﴾: أي المياه فيها والنهر الموضع الذي يجري فيه الماء لأن الماء ينهره أي يحفره وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾: أطعموا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِي﴾: أي مثل ما

فهي الآن سوداء مظلمة. قوله: [جملة مستأنفة الخ] أشار بذلك إلى أن هذه الجملة لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر تقديره هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن. قوله: [أو حال لازمة] أي والتقدير فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله لازمة ما قيل إنها معدة للكافرين اتقوا أو لم يتقوا.

قوله: ﴿وبشر﴾ جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر ما يتعلق بالكافرين وأحوالهم وعاقبة أمرهم يذكر بلصقه ما يتعلق بالمؤمنين وأحوالهم وعاقبة أمرهم، فان القرآن نزل لهذين الفريقين، والبشارة هي الخبر السار سمي الخبر بذلك لطلاقة البشرة والسرور عنده، والأمر لرسول الله ﷺ وهو للوجوب لأن البشارة من جملة ما أمر بتبليغه، ويحتمل أن الأمر عام له ولكل من تحمل شرعه كالعلماء. قوله: [أخبر] مشى المفسر على أن معنى البشارة الخبر مطلقاً لكن غلب في الخير وضده على النذارة، وأما قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ فمن باب التشبيه بجامع أن كلا صادر من المولى وهو لا يتخلف. قوله: [صدقوا بالله] إنما اقتصر على ذلك لأنه يلزم من التصديق بالله التصديق بما أخبر به على لسان رسله.

قوله: ﴿الصالحات﴾ وصف جرى مجرى الأسماء فلذلك صح إسناد العوامل له، فلا يقال إنه صفة لموصوف محذوف أي الأعمال الصالحات. قوله: [من الفروض] أي كالصلوات الخمس وصيام رمضان والحج في العمر مرة وزكاة الأموال والجهاد إذا فجأ العدو، وقوله والنوافل أي كصلاة التطوع وصومه ومواساة الفقراء وغير ذلك من أنواع البر، والمراد عملوا الصالحات على حسب الطاقة قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾. قوله: [أي بأن] أشار بذلك إلى حذف الجار وهو مطرد مع أن. قال ابن مالك:

نقلا وفي أن وأن يطرد مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

قوله: ﴿لهم جنات﴾ جمع جنة واختلف في عددها فقيل أربع وهو ما يؤخذ من سورة الرحمن، وقيل سبع وعليه ابن عباس جنة عدن وجنة المأوى والفردوس ودار السلام ودار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد. قوله: [حدائق] جمع حديقة وهي الروضة الحسنة. قوله: [ذات أشجار ومساكن] أي موجودات فيها الآن ومع ذلك تقبل الزيادة، فالجنة تامة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ومع ذلك أرضها واسعة طيبة تقبل الزيادة. قوله: [أي تحت أشجارها] أي على وجه الأرض بقدرة الله فلا تبلي فرشاً ولا تهدم بناء ولا تقطع شجراً. قوله: ﴿الأنهار﴾ يحتمل أن تكون أل للعهد والمراد بها ما ذكر في سورة القتال بقوله تعالى: ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾. قوله: [أي المياه فيها] أي الأنهار وأشار بذلك إلى أن في الجنة حفراً كأنهار الدنيا، وقيل لم يوجد في الجنة حفر تجري فيها المياه بل تجري على وجه الأرض. قوله: [والنهر الموضع] أي بحسب الأصل اللغوي. قوله: [وإسناد الجري إليه مجاز] أي عقلي أو الاسناد حقيقي، وإنما التجوز في الكلمة من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه.

قوله: ﴿كلما رزقوا﴾ ظرف لقوله قالوا: قوله ﴿من ثمرة﴾ أي نوعها. قوله: [أي مثل ما] الأولى حذفه وما تقديم

﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبله في الْجنة لتشابه ثمارها بقرينة ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾: أي جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَابِهاً﴾: يشبه بعضه بعضاً لوناً ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾: من الحور وغيرها ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض وكل قذر ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٢٥: ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون. ونزل رداً لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً﴾: والعنكبوت في قوله ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة ﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ﴾: يجعل ﴿مَثَلاً﴾: مفعول أول ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أي أيّ مثل كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَةً﴾: مفرد البعوض وهو صغار البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾:

مثل على الذي وأتى بمثل دفعاً لما يتوهم من قولهم ﴿هذا الذي رُزقنا من قبل﴾ إنه عينه وذلك مستحيل لأنه قد أكل والمعنى أن الله قادر على صنع طعام متحد اللون مختلف الطعام واللذة. فاذا رأوه قالوا ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ بحسب ما رأوا من اتحاد اللون، فاذا أكلوه علموا عدم الاتحاد. قوله: [أي قبله في الجنة] أشار بذلك إلى رد ما قيل إن المراد بقوله من قبل في الدنيا وقوله: ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ أي يشبه ثمر الدنيا في الصورة. قوله: [جيئوا بالرزق] أي يأتي به الولدان والملائكة والمراد بالرزق المرزوق أي المأكول. قوله: [وغيرها] أي نساء الدنيا فقد ورد أن نساء الدنيا يكن أجمل من الحور العين، وقد ورد أن كل رجل يزوج بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء. قوله: [وكل قذر] أي كالنفاس والبصاق والمخاط وليس في الجنة إنزال ولا حمل ولا ولادة وليس الأكل والشرب عن جوع وظمأ. قوله: [لا يفنون] أي ولا يمرضون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم. قوله: [ولا يخرجون] أي لقوله تعالى: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾. قوله: [ونزل رداً] فاعل نزل جملة ﴿إن الله لا يستحيي﴾ قصد لفظها ورداً بمعنى جواباً مفعول لأجله أو حال من فاعل نزل، وقوله: لما [ضرب الله المثل] ظرف للقول ومقول القول قوله ﴿ماذا أراد الله﴾ الخ، وقوله: [بالذباب] الباء للتصوير وهو متعلق بضرب وجواب استفهامهم قوله تعالى: ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾. قوله: [في قوله] أي تعالى وحذفها للاختصار وكذا بقية المثلين. قوله: [بذكر هذه الأشياء الخسيسة] أي مع أنه عظيم وقالوا أيضاً إن الواحد منا يستحي أن يضرب المثل بالشيء الخسيس فالله أولى وجعلوا ذلك ذريعة لإنكار كونه من الله.

قوله: ﴿إن الله لا يستحيي﴾ مضارع استحيا ومصدره استحياء وقرىء بحذف إحدى الياءين فاختلف هل المحذوف اللام أو العين، فعلى الأول وزنه يستفع وعلى الثاني وزنه يستفل، وعلى كل نقلت حركة ما بعد الساكن إليه فحذفت إما اللام أو العين، والحياء في حق الحوادث تغير وانكسار يعتري الانسان من فعل ما يعاب ولازمه الترك فأطلق في حق الله وأريد لازمه وهو الترك، وإنما أتى به مشاكلة لقولهم: الله عظيم يستحي أن يضرب المثل بالشيء الحقير. قوله: ﴿أن يضرب﴾ فيه حذف الجار أي من أن يضرب وقوله [يجعل] أي فينصب مفعولين. قوله: [أو زائدة] أي وهو

---

* أسباب نزول الآية ٢٦: قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، قوله: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾ وقوله: ﴿أو كصيب من السماء﴾ قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب الله هذه الأمثال، فأنزل الله ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً﴾ إلى قوله ﴿الخاسرون﴾.

واخرج الواحدي من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله ذكر آلهة المشركين، فقال: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء كان يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية. ـ عبد الغني واه جداً ـ وقال عبد الرزاق في تفسيره: أخبرنا معمر عن قتادة لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما نزلت ﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ قال المشركون ما هذا من الأمثال فيضرب، أو ما يشبه هذه =

أي أكبر منها أي لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أي المثل ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثابت الواقع موقعه ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾: تمييز أي بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذي بصلته خبره أي أي فائدة فيه قال تعالى في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾: أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾: عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾: من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ ٢٦: الخارجين عن طاعته ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نعت ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾: ما عهده إليهم في الكتب من

الأقرب والمعنى على الأول إن الله لا يستحيي أن يجعل مثلاً شيئاً موصوفاً بكونه بعوضة فما فوقها وعلى الثاني إن الله لا يستحيي أن يجعل مثلاً بعوضة فما فوقها. قوله: [لتأكيد الخسة] أي فليست زيادة محضة وهكذا كل زائد في القرآن.

قوله: [وهو صغار البق] يطلق البق على الناموس وعلى الأحمر المنتن الرائحة والأقرب الأول لأنه عجيب في الخلقة فله ستة أرجل وأربعة أجنحة وخرطوم طويل وذنب ومع ضعفه وصغره يقتل الجمل العظيم بمنقاره وهو القاتل للنمرود.

قوله: [أي أكبر منها] أي في الجسم كالجمل مثلاً ويحتمل أن المراد بقوله ﴿فما فوقها﴾ أي في الخسة كالذرة. قوله: [أي لا يترك بيانه] هذا هو معنى الاستحياء في حق الله وتقدم أنه مجاز من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: [لما فيه من الحكم] علة لعدم الترك.

قوله: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ شروع في بيان الحكمة المترتبة على ضرب المثل. قوله: [الواقع موقعه] صادق بالأفعال الصائبة والذات الثابتة والأقوال الصادقة. قوله: [تمييز] أي محول عن المفعول على حد ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾. قوله: [استفهام إنكار] أي بمعنى النفي. قوله: [بمعنى الذي] أي والعائد محذوف أي أراده. قوله: [أي أي فائدة] هذا زبدة معنى التركيب وقصدهم بهذا الاستفهام نفي الفائدة فيتوصلون بذلك إلى إنكار كونه من عند الله. قوله: [به] الباء سببية وقوله [لكفرهم به] علة لضلالهم. قوله: [لتصديقهم به] علة لهدايتهم.

قوله: ﴿إلا الفاسقين﴾ يطلق لفظ الفاسقين على من فعل الكبائر في بعض الأحيان وعلى من فعلها في كل الأحيان غير مستحل لها وعلى من استحلها وهو المراد هنا فقول المفسر الخارجين عن طاعته أي بالكلية وهم الكفار.

قوله [نعت] أي للفاسقين. قوله: [ما عهده إليهم] إنما فسر المصدر باسم المفعول لأن العهد الذي هو أمر الله بالايمان بالنبي قد حصل فلا ينقض، وإنما الذي ينقض المأمور به، والمراد بجملة العهد الواقع على السنة أنبيائهم في كتبهم، فان الله عاهد كل نبي مع أمته من آدم إلى عيسى أنه إذا ظهر محمد ليؤمنن به ولينصرنه قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ الآية. ومن العهد أوصافه المذكورة في كتبهم فنقضوا ذلك بتبديلهم إياها وإنكارها وعدم الإيمان بها وفي قوله تعالى: ﴿ينقضون عهد الله﴾ استعارة بالكناية حيث شبه العهد بالحبل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو ينقضون فإثباته تخييل، والنقض في الأصل فك طاقات الحبل والمراد منه هنا الأبطال ففيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الابطال بالنقض واستعير النقض للابطال واشتق من النقض ينقضون بمعنى يبطلون والعهود ثلاثة عهد عام وهو عهد الله في الأزل لجميع

= الأمثال، فأنزل الله ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا﴾ الآية. قلت: القول الأول أصح إسناداً وأنسب بما تقدم أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية. وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ قالت اليهود وهو أنسب.

الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: توكيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، وأن بدل من ضمير به ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُولَٰئِكَ﴾: الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ ٢٧ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾: يا أهل مكة ﴿بِٱللَّهِ وَ﴾: قد ﴿كُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾: نطفاً في الأصلاب ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم والاستفهام للتعجيب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢٨: تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلا على البعث لما أنكروه ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي الأرض وما فيها ﴿جَمِيعاً﴾: لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ

الخلق على التوحيد واتباع الرسل وعهد خاص بالأنبياء وهو تبليغ الشرائع والأحكام وعهد خاص بالعلماء وهو تبليغ ما تلقوه عن الأنبياء والكفار قد نقضوها. قوله: [من الايمان] بيان لما، وقوله: [بالنبي] أي من توقيره ونصره والايمان به ومتابعته. وقوله: [والرحم] أي ومن وصل ذي الرحم أي القرابة من الاحسان إليهم ومواساتهم والبر بهم. قوله: [وأن بدل من ضمير به] أي فأن والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر على البدلية للضمير في به، التقدير ما أمر الله بوصله ويصح أن يكون أن يوصل بدل من ما فهو في محل نصب والأول أقرب. قوله: [والتعويق عن الايمان] عطف خاص على عام فان التعويق من أكبر المعاصي. قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ أول وهم مبتدأ ثان والخاسرون خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول، ويحتمل أن هم ضمير فصل لا محل له من الاعراب والخاسرون خبر أولئك. قوله: [لمصيرهم] علة لكونهم خاسرين. قوله: [يا أهل مكة] الأحسن العموم سواء كان للمخاطب جنا أو إنسا من أهل مكة أو غيرها. قوله: ﴿و﴾ [قد] ﴿كنتم﴾ قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أن الجملة حالية مع كونها ماضوية والجملة الماضوية إذا وقعت حالا وجب اقترانها بقد إما لفظاً أو تقديراً. قوله: [في الأصلاب] إنما قدره لأجل اقتصاره على النطف وإلا ففي حالة كونهم في الرحم علقة ومضغة أموات أيضاً. قوله: ﴿فأحياكم﴾ مرتب على محذوف تقديره وكنتم علقة فمضغة فأحياكم وإنما قلنا ذلك لأن الاحياء لا يكون عقب كونهم نطفاً بسرعة بل بعد مضي زمن كونهم علقة وكونهم مضغة ولو قال المفسر وقد كنتم أمواتا نطفاً أو علقاً أو مضغاً فأحياكم لحسن الترتيب. قوله: [بنفخ الروح] الباء سببية. قوله: [والاستفهام للتعجب] التعجب استعظام أمر خفي سببه، وهو بالنسبة للخلق لا للخالق فهو مستحيل، والأحسن أن يكون الاستفهام للتعجب والتوبيخ معاً، وهو الردع والزجر.

قوله: ﴿ثم يميتكم﴾ الترتيب في هذا وما بعده ظاهر، فإن بين نفخ الروح والموت زمناً طويلاً وبين الموت والإحياء بالبعث زمن طويل، وبين الاحياء والمجازاة على الأعمال كذلك. قوله: [لما أنكروه] أي استغراباً واستبعاداً، قال تعالى ﴿أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد﴾. قوله: [أي الأرض وما فيها] أي فمرادة العالم السفلي بجميع أجزائه، وأل في الأرض للجنس، فيشمل الأرضين السبع. قوله: [وتعتبروا] أي إذا تأملتم الأرض وتغير الأحوال فيها وما حوته، علمتم أن ذلك صنع حكيم قادر، فينشأ عن ذلك الاعتبار كمال التوحيد، وقوله [لتنتفعوا به] أي ظاهراً وباطناً، وهو جميع المخلوقات ما عدا المؤذيات، وأما المؤذيات كالحيات والعقارب والسباع وغير ذلك فنفعها من حيث العبرة بها، فما من شيء مخلوق إلا وفي خلقه حكمة تبهر العقول، سبحانك ما خلقت هذا عبثاً، ولما سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن حكمة خلق الذباب أجاب بقوله: مذلة للملوك.

ٱسْتَوَىٰٓ﴾: بعد خلق الأرض أي قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه أي صيّرها كما في آية أخرى فقضاهن ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٩: مجملاً ومفصلاً أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم ﴿وَ﴾: اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

قوله: ﴿ثم استوى﴾ الاستواء في الأصل الاعتدال والاستقامة، وهذا المعنى مستحيل على الله تعالى، فالمراد منه هنا في حق الله القصد والارادة، فقوله قصد أي تعلقت إرادته التعلق التنجيزي الحادث بخلق السموات، وثم للترتيب مع الانفصال، لأنه خلق الأرض في يومين، وخلق الجبال والأقوات وما في الأرض في يومين، فتكون الجملة أربعة أيام، فالترتيب الرتبي ظاهر ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ الآيات، وعلى ذلك درج المفسر حيث قال أي الأرض وما فيها، ويحتمل أن ثم للترتيب الذكري بناء على أن الأرض خلقت مكورة، فبعد ذلك خلقت السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وخلق جميع ما فيها، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ ثم قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ وعلى ذلك درج القرطبي وغيره وهو الحق. قوله ﴿إلى السماء﴾ أي جهة العلو وأل للجنس. قوله: [فقضاهن] بدل من آية فسوّى وصيّر وقضى بمعنى واحد وكل واحد ينصب مفعولين.

قوله: ﴿سبع سموات﴾ أي طباقاً بالاجماع للآية وبين كل سماء خمسمائة عام وسمكها كذلك، والأولى من موج مكفوف، والثانية من مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة والسادسة من ذهب، والسابعة زمردة خضراء. قوله [مجملاً ومفصلاً] هذا هو مذهب أهل السنة خلافاً لمن ينكر علم الله بالأشياء تفصيلاً فانه كافر. قوله: [على خلق ذلك] أي الأرض وما فيها والسموات وما فيها، وقوله [وهو] الضمير عائد على اسم الأشارة، قوله: [وهو أعظم منكم] أي لقوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض﴾ أكبر من خلق الناس. قوله: [قادر على إعادتكم] هذا هو روح الدليل.

قوله: ﴿وإذ قال ربك﴾ إذ ظرف في محل نصب معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أي اذكر يا محمد قصة قول ربك الخ، والأحسن انه معمول لقوله بعد ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ وقت قول ربك للملائكة الخ لأن إذ إذا وقعت ظرفاً لا تكون إلا للزمان، قوله: ﴿للملائكة﴾ جمع ملك مخفف ملأك وأصله مألك على وزن مفعل مشتق من الألوكة، وهي الارسال دخله القلب المكاني فأخرت الهمزة عن اللام فنقلت حركة الهمزة للساكن قبلها وهو اللام فسقطت الهمزة، قوله: ﴿إني جاعل﴾ يصح أن يكون بمعنى مصير فخليفة مفعول أول وفي الأرض مفعول ثان قدم لأنه المسوغ للابتداء بالنكرة في الأصل، ويصح أن يكون بمعنى خالق فخليفة مفعول وفي الأرض متعلق به، قوله ﴿خليفة﴾ فعيلة بمعنى مفعول أي مخلوق أو بمعنى فاعل أي خالف بمعنى أنه قائم بالخلافة، وحكمة جعله خليفة الرحمة بالعباد لا لافتقار الله له، وذلك أن العباد لا طاقة لهم على تلقي الأوامر والنواهي من الله بلا واسطة، بل ولا بواسطة ملك، فمن رحمته ولطفه وإحسانه إرسال الرسل من البشر، قوله [وهو آدم] أي فهو أبو البشر والخليفة الأول باعتبار عالم الأجساد، وأما باعتبار عالم الأرواح فهو سيدنا محمد ﷺ قال العارف:

فإني وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وهو مأخوذ من أديم الأرض لخلقه من جميع أجزائها وكانت ستين جزءاً، ولذلك كانت طباع بنيه ستين طبعاً. وكفارة الظهار والصوم ستين، وعاش من العمر تسعمائة وستين وما مات حتى رأى من أولاده مائة ألف عمروا الأرض

﴿فِيهَا﴾: بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ﴾: يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾: متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾: أي نقول سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة والجملة حال أي فنحن أحق بالاستخلاف ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٣٠: من المصلحة في استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي فيظهر العدل بينهم، فقالوا: لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره، فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض أي وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾: أي أسماء المسميات ﴿كُلَّهَا﴾: حتى القصعة

بأنواع الصنائع، والملائكة المخاطبون يحتمل أنهم النوع المسمى بالجان، ورئيسهم إبليس، فإن الله خلق خلقاً وأسكنهم الأرض يسمون بني الجان فأفسدوا في الأرض، فسلط الله عليهم هؤلاء الملائكة فطردوهم وسكنوا موضعهم، ويحتمل أن الخطاب لعموم الملائكة، قوله: ﴿من يفسد فيها﴾ أي بمقتضى القوة الشهوية، وقوله: ﴿ويسفك الدماء﴾ أي بمقتضى القوة الغضبية، فإن في الانسان ثلاثة اشياء: قوة شهوية، وقوة غضبية، وقوة عقلية فبالأوليين يحصل النقص، وبالأخيرة يحصل الكمال والفضل، وقد نظر الملائكة للأوليين ولم ينظروا للثالثة. قوله [كما فعل بنو الجان] قيل الجان أبليس، وقيل مخلوق آخر، وابليس أبو الشياطين. قوله [أرسل الله عليهم الملائكة] أي المسمين بالجان ورئيسهم إبليس، وفي هذه الآية أمور منها: مشاورة العظيم للحقير، ولا بأس بها لتأليف الحقير، قال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾، ومنها إظهار عجز الملائكة عن علم الغيب، ومنها إظهار فضل آدم للملائكة، ومنها أنه لا ينبغي ترك الخير الكثير من أجل شر قليل، فإن بني آدم خيرهم غالب شرهم، فان منهم الأنبياء والرسل والأولياء، وإن لم يكن منهم إلا سيدنا محمد لكفى. قوله: [متلبسين] أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة، والجملة من قبيل الحال المتداخلة. قوله: ﴿ونقدس لك﴾ التقديس في اللغة يرجع لمعنى التسبيح وهو التنزيه عما لا يليق، وأما هنا فالتسبيح يرجع للعبادة الظاهرية، والتقديس يرجع للاعتقادات الباطنية. قوله: [فاللام زائدة] أي لتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للتعدية والتعليل أي ننزهك لك لا طمعاً في عاجل ولا آجل، ولا خوفاً من عاجل ولا آجل فتنزيهنا لذاتك فقط. قوله: [أي فنحن أحق بالاستخلاف] ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من العناء، حيث وقعت المشورة من الله لهم. قوله: [فيظهر العدل بينهم] أي فالطائع المؤمن له الجنة، والعاصي الكافر له النار. قوله: [فقالوا] أي سراً في أنفسهم. قوله: [لسبقنا له] أي للخلق وهو راجع لقوله أكرم، وقوله [ورؤيتنا] راجع لقوله ولا أعلم فهو لف ونشر مرتب. قوله: [جميع ألوانها] تقدم أنها ستون، وورد أن الله لما أراد خلق آدم أوحى إلى الأرض إني خالق منك خلقاً من أطاعني ادخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار، فقالت يا ربنا أتخلق مني خلقاً يدخل النار؟ فقال نعم فبكت فنبعت العيون من بكائها فهي تجري إلى يوم القيامة. قوله: [بالمياة المختلفة] أي على حسب الألوان.

قوله: ﴿وعلم آدم﴾ الحق أن آدم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية وليس منصرفاً ولا مشتقاً على التحقيق، قوله: [أي اسماء المسميات] أشار بذلك إلى أن أل عوض عن المضاف اليه، والمراد بالمسميات مدلولات الأسماء، سواء كانت جواهر أو أعراضاً أو معاني أو معنوية فالحاصل أن الله أطلع آدم على المسميات جميعها وعلمه أسماءها، وأطلع الملائكة على المسميات ولم يعلمهم اسماءها، فاشترك آدم مع الملائكة في معرفة المسميات، واختص آدم بمعرفة الأسماء بجميع اللغات وتلك اللغات تفرقت في اولاده. قوله: [حتى القصعة] غاية في الخسة، إشارة إلى كونه

والقصيعة والفسوة والفسية والمغرفة بأنْ ألقى في قلبه علمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: أي المسمَّيات وفيه تغليب العقلاء ﴿عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ﴾: لهم تبكيتاً ﴿أَنبِئُونِي﴾: أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾: المسمَّيات ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٣١: في أني لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دل عليه ما قبله ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾: إياه ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: تأكيد للكاف ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ٣٢: الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته ﴿قَالَ﴾: تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم﴾: أي الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾: أي المسمَّيات فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾: تعالى لهم توبيخاً ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تظهرون من قولكم أتجعل فيها الخ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ٣٣: تسرون من قولكم لن يخلق الله أكرم عليه منا ولا أعلم

تعلم جميع الأسماء شريفة أو خسيسة وحكمتها أيضاً كما يأتي، والقصعة هي الاناء الكبير من الخشب، والقصيعة الاناء الصغير منه أيضاً المسمى بالزويلي. قوله: [والفسوة] من باب عتا والمصدر فسواً والاسم الفساء بالمد واوي هو الريح الخارج من الدبر بلا صوت، فإن كان شديداً سمي فسوة، وإن كان خفيفاً سمي فسية، وإن كان بصوت سمي ضراطاً، وهو من باب تعب وضرب، والمصدر ضرطاً بفتح الراء وسكونها فالمكبر للشديد والمصغر للخفيف. قوله: [بأن ألقى في قلبه علمها] أي الاسماء وحكمتها حين صور الله المسمَّيات كالذر وذلك قبل دخوله الجنة وهو ظاهر في الاشياء المحسوسة، وأما المعقولة كالحياة والقذرة والفرح وغير ذلك فبإلقاء الله الدال والمدلول في قلبه. قوله: [وفيه تغليب العقلاء] أي في الإتيان بميم الجمع التي للعقلاء المذكور، وإلا فلو لم يغلب لقال عرضها أو عرضهن وبهما قرئ شاذاً. قوله: ﴿على الملائكة﴾ يحتمل عموم الملائكة ويحتمل خصوص الملائكة المسمين بالجان الذين كانوا في الأرض. قوله: ﴿أنبئوني﴾ الانباء هو الإخبار بالشيء العظيم فهو أخص من الخبر. قوله: [أخبروني] أي أجيبوني ليظهر علمكم، وذلك تعجيز لهم لأنهم ليسوا بعالمين ذلك لا لاستفادته العلم منهم. قوله: [في أني لا أخلق أعلم منكم] متعلق بصادقين. قوله: [دل على ما قبله] أي قوله أنبئوني فهو دليل الجواب والجواب محذوف تقديره إن كنتم صادقين فأنبئوني. قوله: ﴿سبحانك﴾ مصدر وقيل اسم مصدر منصوب بعامل محذوف وجوباً أي أسبح، وهي كلمة تقال مقدمة للأمر العظيم، كان توبة واستغفاراً أم لا، والمقصود منها توبتهم واستغفارهم، كقول موسى عليه السلام ﴿سبحانك تبت إليك﴾، وقول يونس ﴿سبحانك إني كنت من الظالمين﴾، والغالب عليه الإضافة وأما. سبحان من علقمة الفاخر. فمؤول أو شاذ، ومن غير الغالب. قوله: [إياه] أشار بذلك إلى أن المفعول الثاني محذوف. قوله: ﴿إنك﴾ كالدليل لما قبله. قوله: [تأكيد للكاف] أي فهو ضمير فصل لا محل له من الاعراب، أو في محل نصب كالمؤكد والعليم الحكيم خبران لأن الحكيم صفة للعليم، ويحتمل أن أنت مبتدأ والعليم خبره والجملة خبر ان. قوله: ﴿العليم﴾ قدم العلم على الحكمة لمناسبة علم آدم ولا علم لنا، ولأن الحكمة تنشأ عن العلم، والعلم في حق الله صفة أزلية تتعلق بجميع أقسام الحكم العقلي الواجب والمستحيل، والجائز تعلق إحاطة وانكشاف. قوله: ﴿الحكيم﴾ أي ذو الحكمة أي الاتقان فهو صفة فعل أو العلم فيكون صفة ذات. قوله: [فسمى] أي آدم. قوله: [توبيخا] أي تقريعاً ولوماً لهم على ما مضى منهم فالهمزة في ألم أقل للاستفهام التوبيخي، والقصد منه توبيخهم على ما مضى منهم وليست للانكار ولا للتقرير. قوله: [ما غاب فيهما] أي عنا. قوله: [أتجعل فيها الخ] أي من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.

بقي شيء آخر وهو أن مقتضى الآية أن آدم علم الأسماء والمسمَّيات، ومقتضى قول البوصيري في الهمزية:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب ومنها لآدم الأسماء

﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: سجودَ تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: هو أبو الجن كان بين الملائكةِ ﴿أَبَىٰ﴾: امتنع من السجودِ ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: تكبر وقال: أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ ٣٤: في علم اللهِ ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾: تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾: حوّاء بالمدّ وكان

أن آدم عُلِّم الأسماءَ دون المسمَّيات، ، فيكون بينه وبين الآيةِ مخالفة، والحق أنه لا مخالفة لأنه يلزم من علم الأسماء علم المسمَّياتِ لعرض المسمَّيات عليه أولاً، فمعنى قول البوصيري لك ذات العلوم أي أصلها، فعلم آدم مأخوذ من نبينا، لأن رسول الله ﷺ أعطي أصلَ العلوم بل وأصلَ كل كمالٍ، ويشهد لذلك قول ابن مشيش وتنزلت علوم آدم أي صلِّ على مَن منه تنزلتْ علوم آدم، فعلوم آدم كائنة منه فأعجز بها الملائكة خاصة، وأما علوم رسول الله ﷺ فأعجز بها الخلائق جميعاً، هذا هو الحق ولا تغتر بما قيل إن آدم علِم الأسماء فقط، ومحمد عَلِم الأسماء والمسمَّيات. قوله: ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إذ قلنا﴾ أشار المفسر بذلك إلى أن إذ ظرف عاملها محذوف والتقدير واذكر وقت قولنا الخ إن قلت إن المقصود ذكر القصة لا ذكر الوقت، أجيب بأن التقدير ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقتِ، ومحصل ذلك أنه بعد خلق آدم ونفخ الروح فيه، وعرض المسمَّيات على الملائكة، وإنباء آدم لهم بالأسماءِ أمرهم الله بالسجود له لأنه صار شيخهم، ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير، وكان ذلك كله خارج الجنة قوله: [بالانحناء] أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوي وهو الانحناء، كسجود إخوة يوسف وأبويه له وهو تحية الامم الماضية، وأما تحيتنا فهي السلام، وعليه فلا إشكال، وقال بعض المفسرين إن السجود شرعي بوضع الجبهة على الأرض، وآدم قبلة كالكعبة، فالسجود لله وإنما آدم قبلة، والآية محتملة للمعنيين ولا نص يعين أحدهما، وعلى الثاني فاللام بمعنى إلى أي اسجدوا جهة آدم فاجعلوه قبلتكم. قوله: ﴿فسجدوا﴾ أي الملائكة كلهم أجمعون بدليل الآية الاخرى، فالخطاب بالسجود لجميع الملائكة على التحقيق لا الملائكة الذين طردوا بني الجان. قوله: ﴿إلا إبليس﴾ قيل مشتق من أبلس إبلاساً بمعنى يئس وهذا هو اسمه في اللوح المحفوظِ.

فائدة: قال كعب الاحبار: إن إبليس اللعين كان خازن الجنة أربعين ألف سنةٍ، ومع الملائكة ثمانين ألف سنةٍ، ووعظ الملائكة عشرين ألف سنةٍ، وسيد الكروبيين ثلاثين ألف سنة، وسيد الروحانيين ألف سنة، وطاف حول العرش أربعة عشر ألف سنة، وكان اسمه في سماء الدنيا العابد، وفي الثانية الزاهد، وفي الثالثة العارف، وفي الرابعة الولي، وفي الخامسة التقي، وفي السادسة الخازن، وفي السابعة عزازيل، وفي اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل عن عاقبة أمره. قوله: [هو أبو الجن] هذا أحد قولين والثاني هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد. قوله: [كان بين الملائكة] أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وأنه ليس من الملائكة، قال في الكشاف لما اتصف بصفات الملائكة جُمع معهم في الآية واحتيج إلى استثنائه، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ وكررت قصة إبليس في سبعة مواضع: في البقرة والاعراف والحجر والاسراء والكهف وطه وص تسلية له ﷺ، وعبرة لبني آدم، فلا يغتر العابد ولا يقنط العاصي، ويحتمل أن الاستثناء متصل وقوله تعالى ﴿كان من الجن﴾ أي من الفعل والاقرب الاول.

قوله: ﴿واستكبر﴾ من عطف العلةِ على المعلول أي أبى وامتنع لكبره والسين للتأكيد. قوله: [وقال أنا خير منه] هذا وجه تكبره وبيّن وجه الخيرية في الآيةِ الأخرى، قال تعالى: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ قال بعض المفسرين: وذلك مردود بأمور منها أن آدم مركب من العناصر الأربع بخلاف إبليس فلا وجه للخيرية، ومنها أن الله هو الخالق لكل شيء ولا يعلم الفضل إلا هو فله أن يفضل من شاء على من يشاء، ومنها غير ذلك. قوله: [في علم الله] دفع بذلك ما قيل إنه لم يكن كافراً بل كان عابداً وإنما كفر الآن، ويجاب أيضاً بأن كان بمعنى صار.

خلقها من ضلعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾: أكلا ﴿رَغَداً﴾: واسعاً لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: بالأكل منها وهي الحنطة أو الكرم أو غيرهما ﴿فَتَكُونَا﴾: فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٣٥: العاصين ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: إبليس أذهبهما وفي قراءة فأزالهما نحاهما ﴿عَنْهَا﴾: أي الجنة بأن قال لهما هل أدلكما

قوله: ﴿وقلنا يا آدم﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ من عطف قصة على قصة وإنما عطفت عليها لوقوعها بعدها، فانه بعد أمر الملائكة بالسجود لآدم، وامتناع إبليس منه، أمر آدم بسكنى الجنة. قوله: [ليعطف عليه] ﴿وزوجك﴾ إن قلت إن فعل الأمر يعمل في الظاهر والمعطوف على الفاعل فاعل فيقتضي عمله في الظاهر، أجيب بأنه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، وفصل بالضمير المنفصل لقول ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

قوله: [وكان خلقها] أي الله وقوله [من ضلعه] أي آدم فلذلك كان كل ذكر ناقصاً ضلعاً من الجانب الايسر، فجهة اليمين ثمانية عشر، واليسار سبعة عشر، وقد خلقت بعد دخوله الجنة نام فلما استيقظ وجدها فاراد أن يمد يده اليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال وما مهرها فقالوا ثلاث صلوات او عشرون صلاة على سيدنا محمد ﷺ، ولا يقال إن شرط الصداق عود منفعته للزوجة لأننا نقول ليس المقصود منه حقيقة المهر، وإنما هو ليظهر قدر محمد لآدم من أول قدم، إذ لولاه ما تمتع بزوجة، فهو الواسطة لكل واسطة حتى آدم، وقوله من ضلعه الأيسر أي وهو القصير، ووضع الله مكانه لحما من غير أن يحس آدم بذلك، ولم يجد له ألما، ولو وجده لما عطف رجل على امرأة، والنون في قلنا للعظمة، وقوله: ﴿واسكن﴾ أي دم على السكنى، فانه كان ساكنا فيها قبل خلق حواء، واستشكل شيخ الإسلام هذه الآية بأنه أتى في هذه الآية بالواو في قوله: ﴿وكلا﴾ وفي آية الاعراف بالفاء، هل لذلك من حكمة أجاب بأن الأمر هنا في هذه الآية كان داخل الجنة، فلا ترتيب بين السكنى والاكل، وفي آية الاعراف كان خارجها، فحسن الترتيب بين السكنى والاكل اهـ. والحق أن يقال: إن ذلك ظاهر أن دل دليل على اختلاف القصة ولم يوجد فالقصة واحدة، والأمر في الموضعين يحتمل أن يكون داخل الجنة أو خارجها، فعلى الأول معنى اسكن دم على السكنى، والفاء في آية الاعراف بمعنى الواو، وعلى الثاني معناه ادخل على سبيل السكنى، فتكون الواو بمعنى الفاء.

قوله: ﴿رغداً﴾ يقال رغد بالضم رغادة من باب ظرف، ورغد رغداً من باب تعب اتسع عيشه. قوله: ﴿حيث شئتما﴾ أي في أي مكان أردتماه. قوله: [أو غيرهما] قيل شجر التين أو البلح أو الأترج، والأقرب أنها الحنطة، وفي الحقيقة لا يعلمها إلا الله. قوله: ﴿فتكونا﴾ مسبب عن قوله ولا تقربا وتعبيره بعدم القرب منها كناية عن عدم الأكل، كقوله تعالى ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ فالنهي عن القرب يستلزم النهي عن الفعل بالأولى. قوله: [العاصين] أي الذين تعدوا حدود الله. قوله: ﴿فأزلهما الشيطان﴾ أتى بالفاء إشارة إلى أن ذلك عقب السكنى، والشيطان مأخوذ من شاط بمعنى احترق لأنه محروق بالنار، أو من شطن بمعنى بعد لأنه بعيد عن رحمة الله، والزلل الزلق وهو العثرة في الطين مثلا فاطلق وأريد لازمه وهو الاذهاب. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية لحمزة. قوله: [أي الجنة] ويحتمل أن الضمير عائد على الشجرة، وعن بمعنى الباء أي أوقعهما في الزلة بسبب أكل الشجرة. قوله: [بأن قال لهما] أي وهو خارج الجنة وهما داخلها لكن أتوا على بابها فقال لهما ذلك، ويحتمل أنه دخل الجنة على صورة دابة من دوابها وخزنتها غفلوا عنه، ويحتمل أنه دخلها في فم الحية، ويحتمل أنه وسوس في الأرض فوصلت وسوسته لهما، إن قلت إن ذلك ظاهر في حواء لعدم عصمتها وما الحكم في آدم، أجيب بأنه اجتهد فاخطأ فسمى الله خطأه معصية، فلم يقع منه صغيرة ولا كبيرة،

على شجرة الخلد وقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من النعيم ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾: إلى الأرض أي أنتما بما[٣] اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾: بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: من ظلم بعضكم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾: ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَى حِينٍ﴾ ٣٦: وقت انقضاء آجالكم ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾: ألهمه إياها وفي قراءة بنصب آدم ورفع كلمات أي جاءه وهي ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الآية فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قبل توبته ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾:

وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فلم يتعمد المخالفة، ومن نسب التعمد والعصيان له بمعنى فعل الكبيرة أو الصغيرة فقد كفر، كما أن من نفى اسم العصيان عنه فقد كفر أيضا لنص الآية.

قوله: ﴿مما كانا فيه﴾ يحتمل أن ما اسم موصول، وما بعده صلته، أو نكرة موصوفة، وما بعدها صفة، وقوله من النعيم بيان لما. قوله: [أي أنتما الخ] أشار بذلك إلى حكمة الإتيان بالواو في اهبطوا أي الجمع باعتبار ما اشتملا عليه من الذرية، ويحتمل أن الأمر لآدم وحواء وإبليس والحية، فهبط آدم بالهند بمكان يقال له سرنديب، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة، والحية بأصبهان. قوله: [بعض الذرية] أشار بذلك الى أن العداوة في الذرية لا في الأصول، ويحتمل أن يكون ذلك في بعض الأصول كالحية وإبليس، وأفرد عدواً إما مراعاة للفظ بعض أو لأنه يستعمل بلفظ واحد للمثنى والجمع. بقي شيء آخر وهو أنه تقدم لنا أن حواء خلقت داخل الجنة حين ألقي على آدم النوم، فكيف ذلك مع أن الجنة لا نوم فيها، ولا يخرج أهلها منها ولا تكليف فيها، والثلاثة قد حصلت. أجيب بأن ذلك في الدخول يوم القيامة، وأما الدخول الأولي فلا يمتنع فيه شيء من ذلك. قوله: [ألهمه إياها] أي فهم آدم من ربه تلك الكلمات. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية لابن كثير. قوله: [بنصب آدم] أي على المفعولية، وقوله [ورفع كلمات] أي على الفاعلية فتحصل أن التلقي نسبة تصلح للجانبين، يقال تلقيت زيداً وتلقاني زيد فالمعنى على القراءة الأولى، تعلم آدم الكلمات فحفظ بسببها من المهالك، وعلى الثانية الكلمات تلقت آدم من السقوط في المهاوي إذ لولاها لسقط فهي الدواء له، وأما إبليس فلم يجعل الله له دواء فالكلمات جاءته بالإسعاف وهو جاءها بالقبول والتسليم، ومن هنا أن الذاكر لا ينتفع بالذكر ولا ينور باطنه إلا إذا كان الشيخ عارفاً وأذنه في ذلك، والذاكر مشتاقاً كتلقي آدم الكلمات. قوله: [وهي ربنا ظلمنا أنفسنا الخ] مشى المفسر على أن المراد بالكلمات المذكورة في سورة الأعراف وهو أحد أقوال، ولا يقال إن التلقي كان لآدم فقط والدعاء بها صدر منهما، لأنه يقال إن الخطاب لآدم والمراد هو معها، وكم من خطاب في القرآن يقصد به الرجال، والمراد ما يشمل الرجال والنساء، وقيل إن المراد بالكلمات سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتقدم أن معصية آدم ليست كالمعاصي بل من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، والحق أن يقال إن ذلك من سر القدر، فهو منهي عنه ظاهراً لا باطناً، فإنه في الباطن مأمور بالأولى من قصة الخضر مع موسى وإخوة يوسف معه على أنهم أنبياء، فإن الله حين قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة كان قبل خلقه، وهذا الأمر مبرم يستحيل تخلفه، فلما خلقه وأسكنه الجنة أعلمه بالنهي عن الشجرة صورة فهذا النهي صوري، وأكله من الشجرة جبري لعلمه أن المصلحة مترتبة على أكله، وإنما سمي معصية نظراً للنهي الظاهري، فمن حيث الحقيقة لم يقع منه عصيان، ومن حيث الشريعة وقعت منه المخالفة، ومن ذلك قول ابن العربي: لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة بتمامها لما ترتب على أكله من الخير العظيم، وإن لم يكن من ذلك إلا وجود سيدنا محمد ﷺ لكفى. ومن هذا المقام قول الجيلي:

على عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [٣٧]: بهم ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾: من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾: كرّره ليعطف عليه ﴿فَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾: كتاب ورسول ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾: فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٨]: في الآخرة بأن يدخلوا الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: كتبنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [٣٩]: ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أولاد

ولي نكتة غراء هنا سأقولها ... وحق لها أن ترعويها المسامع
هي الفرق ما بين الولي وفاسق ... تنبه لها فالأمر فيه بدائع
وما هو إلا أنه قبل وقعه ... يخبر قلبي بالذي هو واقع
فأجني الذي يقضيه في مرادها ... وعيني لها قبل الفعال تطالع
فكنت أرى منها الإرادة قبل ما ... أرى الفعل مني والأسير مطاوع
إذا كنت في أمر الشريعة عاصياً ... فإني في حكم الحقيقة طائع

قوله: ﴿التواب﴾ أي كثير التوبة، بمعنى أن العبد كلما أذنب وتاب قبله فهو كثير القبول لتوبة من تاب، ويسمى العبد تواباً بمعنى أنه كلما أذنب ندم واستغفر ولا يصر، وشرط توبة العبد الندم والإقلاع والعزم على أن لا يعود، فإن كانت المعصية متعلقة بمخلوق اشترط إما رد المظالم لأهلها أو مسامحتهم له، فكل من العبد والرب يسمى تواباً بالوجه المتقدم، لكن لا يقال في الرب تائب لأن أسماءه توقيفية، وقد قيل إن آدم لما نزل الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى، وقد قيل لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر، ولو أن دموع داود مع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر. قوله: ﴿قلنا﴾ أتى بنون العظمة لأنها له حقيقة ومن ادعاها غير مولانا قصم. قوله: ﴿اهبطوا﴾ جمع باعتبار الذرية التي في صلب آدم. قوله: ﴿جميعاً﴾ حال من فاعل اهبطوا أي مجتمعين إما في زمان واحد أو في أزمنة متفرقة، لأن المراد الاشتراك في أصل الفعل، فإن جاؤوا جميعاً لا تستلزم الصحبة بخلاف جاؤوا معاً. قوله: [ليعطف عليه] أي فهذا حكمة التكرار، فالأول أفاد الأمر بالهبوط مع ثبوت العداوة، والثاني أفاد الأمر بالهبوط والتكاليف، وترتب السعادة والشقاوة على الامتثال وعدمه، فالشيء مع غيره، غيره في نفسه. قوله [كتاب ورسول] أي أو رسول فقط، فالمراد بالهدى مطلق دال على الله، والمراد أي رسول وأي كتاب من آدم إلى محمد، والرسول صادق بكونه من الملك أو البشر فيشمل الأمم والأنبياء فتأمل. قوله: [إن الشرطية] أي وفعلها يأتينكم مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وجوابه جملة فمن اتبع هداي وجملة والذين كفروا الآية إذ التقدير ومن لم يتبع هداي فأولئك أصحاب النار.

قوله: ﴿يا بني إسرائيل﴾ ذكر سبحانه وتعالى خطاب المكلفين عموماً في أول السورة، ثم ثنى بمبدأ خلق آدم وقصته مع إبليس، وثلث بذكر بني إسرائيل سواء كانوا في زمنه ﷺ أو قبله، وما يتعلق بهم من هنا إلى ﴿سيقول السفهاء﴾، فعدد عليهم نعماً عشرة وقبائح عشرة وانتقامات عشرة، والحكمة في ذكر بني إسرائيل الذين تقدموا قبل رسول الله مع أنهم لم يخاطبوا بالإيمان برسول الله أن من كان في زمنه ﷺ يدعي أنه على قدمهم وانه متبع لهم وأن أصولهم كانوا على شيء فلذلك تبعوهم، فبين سبحانه وتعالى النعم التي أنعم الله بها على أصولهم وبين لهم انهم قابلوا تلك النعم بالقبائح وبين أنه أنزل عليهم العقاب ليعتبر من يأتي بعدهم وحكمة تخصيصهم بالخطاب أن السورة أول ما نزل بالمدينة وأهل المدينة كان غالبهم يهود أو هم أصحاب كتاب وشوكة فإذا أسلموا وانقادوا انقاد جميع أتباعهم فلذلك توجه الخطاب لهم وبني منادى مضاف منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم لكونه ليس علماً ولا صفة لمذكر عاقل، وبني مضاف وإسرائيل مضاف اليه مجرور بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف العلمية والعجمة، وبني

يعقوب ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: أي على آبائكم من الإنجاء من فرعون، وفلق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ ٤٠: خافون في ترك الوفاء به دون غيري ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾: من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾: من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا

جمع ابن وأصله قيل بنو فهو واوي وقيل بني فهو يائي، فعلى الأول هو من البنوة كالأبوة وعلى الثاني هو من البناء، وإسرائيل قيل معناه عبد الله وقيل القوي بالله لأن إسرا قيل معناه عبد أو القوي وإيل معناه الله، وقيل مأخوذ من الإسراء لأنه أسرى بالليل مهاجراً إلى الله تعالى، وإسرائيل فيه لغات سبع الأولى بالألف ثم همزة ثم ياء ثم لام وبها جاءت القراءات السبع، الثانية بقلب الهمزة ياء بعد الألف، الثالثة بإسقاط الياء مع بقاء الهمزة والألف، والرابعة والخامسة بإسقاط الألف والياء مع بقاء الهمزة مفتوحة ومكسورة، السادسة بإسقاط الهمزة والياء مع بقاء الألف، السابعة إبدال اللام الأخيرة بالنون مع بقاء الألف والهمزة والياء وجمعه أساريل وأسارلة وأسارل. قوله: [اولاد يعقوب] أي ابن إسحاق بن ابراهيم الخليل.

قوله: ﴿اذكروا نعمتي﴾ الذكر بكسر الدال وضمها بمعنى واحد، وهو ما كان باللسان أو بالجنان وقال الكسائي ما كان باللسان فهو بالكسر وما كان بالقلب فهو بالضم وضد الأول صمت والثاني نسيان والنعمة اسم لما ينعم به وهي شبيهة بفعل بمعنى مفعول، والمراد بها الجمع لأنها اسم جنس، قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ وقوله ﴿التي أنعمت عليكم﴾ جملة الصلة والموصول صفة للنعمة والعائد محذوف تقديره أنعمتها بالنصب على نزع الخافض ولا يقدر أنعمت بها لئلا يلزم حذف العائد من غير وجود شرطه لقول ابن مالك: كذا الذي جر بما الموصول جر. وليس الموصول مجروراً، فتأمل. قوله: [وغير ذلك] أي من بقية العشرة وهي العفو عنهم وغفران خطاياهم، وإتيان موسى الكتاب والحجر الذي تفجرت منه اثنتا عشرة عيناً والبعث بعد الموت وإنزال المن والسلوى عليهم.

تنبيه: بقي ذكر قبائحهم العشرة وهي: قولهم سمعنا وعصينا، واتخاذهم العجل، وقولهم أرنا الله جهرة وتبديل القول الذي أمروا به، وقولهم لن نصبر على طعام واحد، وتحريف الكلم وتوليهم عن الحق بعد ظهوره وقسوة قلوبهم، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق. وأما عقوباتهم العشرة فهي ضرب الذلة والمسكنة عليهم، والغضب من الله، وإعطاء الجزية، وأمرهم بقتل أنفسهم، ومسخهم قردة وخنازير، وإنزال الرجز عليهم من السماء، وأخذ الصاعقة لهم، وتحريم طيبات أحلت لهم، وهذه العشرات في أصولهم، وقد وبخ الله المعاصرين لمحمد ﷺ بعشرة أخرى: كتمانهم أمر محمد، وتحريف الكلم، وقولهم هذا من عند الله، وقتلهم أنفسهم، وإخراجهم فريقاً من ديارهم، وحرصهم على الحياة، وعداوتهم لجبريل، واتباعهم السحر، وقولهم نحن أبناء الله، وقولهم يد الله مغلولة، قال تعالى: ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾. قوله: [بأن تشكروها] أي تصرفوها فيما يرضي ربكم.

وقوله: ﴿وأوفوا﴾ يقال أوفى ووفى مشدداً ومخففاً. قوله [من الايمان بمحمد] أي في قوله تعالى: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ الآيات. قوله: [بدخول الجنة] أي في قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ الآيات وقوله تعالى: ﴿لأكفرن عنهم سيئاتهم﴾ الآيات. قوله [دون غيري] أخذ الحصر من تقديم المعمول، وإياي مفعول المحذوف يفسره قوله فارهبون، وهذا في الحصر أبلغ من ﴿إياك نعبد﴾ لأن إياك معمول لنعبد، وأما هنا فهو معمول لمحذوف لاستيفاء الفعل المذكور معموله وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفاً فهو في قوة تكرار الفعل مرتين. قوله: ﴿وآمنوا﴾ من عطف المسبب على السبب. قوله: [من القرآن] بيان لما قوله: ﴿مصدقاً﴾

﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾: مِنْ أهل الكتاب لأنّ خلفكم تبع لكم فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾: التي في كتابكم من نعتِ محمدٍ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عوضاً يسيراً من الدنيا أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ ٤١: خافون في ذلك دون غيري ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾: تخلطوا ﴿الْحَقَّ﴾: الذي أنزل عليكم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: الذي تفترونه ﴿وَ﴾: لا ﴿تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾: نعتَ محمدٍ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٤٢: أنه حق ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ٤٣: صلوا مع المصلين محمدٍ وأصحابه. ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين اثبتوا على دينِ محمدٍ فإنه حق ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾: بالإيمانِ

حال من الضمير المحذوف في أنزلت أو من ما. قوله: [بموافقته] الباء سببية ولا يلزم من موافقته للتوراة أنه لم يزد عليها بل القرآن جمع الكتب السماوية وزاد عليها. قوله: [من أهل الكتاب] هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره إن أول بعثة النبيِّ في مكة وأول كافرٍ أهلها ولم يأتِ للمدينة إلا بعد ثلاثِ عشرة سنة فليس كفار أهل الكتاب بأول كافرٍ أجاب المفسّر بأن المراد الذي في أيديهم الكتب بالنسبة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة. فليس المراد الأولية الحقيقية بل النسبية. قوله: [فإثمهم عليكم] أي لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها إلى يوم القيامة. قوله: [تستبدلوا] حول المفسّر العبارة لأن الشراء ليس حقيقياً بل هو مطلق استبدالٍ ومعاوضةٍ. قوله [من نعت محمد] أي أوصافه واخلاقه التي ذُكرت في التوراة والانجيل. قوله: [من سفلتكم] أي عامتكم. قوله: ﴿وإياي فاتقون﴾ يقال فيه ما قيل في ﴿وإياي فارهبون﴾.

قوله: ﴿ولا تلبسوا﴾ من لبس بالفتح من باب ضرب وأما اللبس وهو سلك الثوب في العنق فمن باب تعب. قوله: [الذي تفترونه] أي من تغيير صفاتِ محمدٍ. قوله: [صلوا مع المصلين] أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الكل باسم جزئه، وآثر الركوع على غيره لأنه لم يكن في شريعتهم، فكأنه قال: صلوا الصلاة ذات الركوع جماعة. قوله: [ونزل في علمائهم] فاعل نزل جملة أتأمرون الناس والضمير في علمائهم عائد على اليهود، ومثل ذلك يقال في علماء المسلمين لأن كل آية وردت في الكفار تجر ذيلها على عصاة المؤمنين، فالحاصل أن العالم إن كان كافراً فهو معذب من قبل عباد الوثن لأن وزر من كفر في عنقه، وأما إن كان مسلماً ولكنه فرط في العمل بالعلم فهو أقبح العصاة عذاباً، هذا هو الحق، فقوله:

وعالِمٌ بعلمه لن يعملن ... معذب من قبل عباد الوثن

محمول على العالم الكافر كعلماء اليهود والنصارى. قوله: [لأقربائهم المسلمين] إنما فضحوا معهم ليأسهم من دنياهم. قوله: ﴿أتأمرون﴾ سيأتي للمفسّر أن الهمزة للاستفهام الإنكاري، ومحط الاستفهام قوله وتنسون أنفسكم، أي لا يليق منكم الأمر بالمعروف والبر لغيركم مع كونكم ناسين أنفسكم قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

---

* أسباب نزول الآية ٤٤: قوله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ أخرج الواحدي والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل فان أمره حق، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه.

بمحمد ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٤٤: سوء فعلكم فترجعون، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾: اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾: الحبس للنفس على ما تكره ﴿وَالصَّلَوٰةِ﴾: أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها وفي الحديث كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿وَإِنَّهَا﴾: أي الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ٤٥: الساكنين إلى الطاعة ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يوقنون ﴿أَنَّهُمْ

إلى أن قال:

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مِثْلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

وقال الشاعر أيضاً:

أتنهى الناسَ ولا تنتهي متى تلحقُ القومَ يا لُكَعُ
ويا حَجَرَ السَّنِّ ما تستحي تَسُنُّ الحديدَ ولا تقطعُ

قوله: [بالايمان بمحمد] الأخصر حذف بالايمان، فالبر اسم جامع لكل خير كما أن الإثم اسم جامع لكل شر. ولما كان الايمان بمحمد يستلزم كل خير فسره به، وسيأتي تفسيره في قوله تعالى: ﴿ولكن البرَّ مَنْ آمنَ بالله﴾ الآية.

قوله: [تتركونها] أشار بذلك إلى أنه من باب استعمال اللازم في الملزوم، أو السبب في المسبب لأنه يلزم من نسيان الشيء تركه، وسبب الترك النسيان، والحكمة في ارتكاب المجاز الاشارة إلى أن الشأن أن العالم لا يقع منه ذلك إلا نسياناً. قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ قال بعض المفسرين إن الفاء في مثل هذا الموضع مؤخرة من تقديم، وجملة تعقلون معطوفة على جملة تتلون، والمستفهم عنه ما بعد الفاء، التقدير فأي شيء لا تعقلونه، وقال الزمخشري إن الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، التقدير أتفعلون ذلك فلا تعقلون.

قوله: ﴿واستعينوا﴾ قيل إن هذا الخطاب للمسلمين، وقيل لليهود فعلى الأول تكون الجملة معترضة بين أجزاء القصة، وعلى الثاني لا اعتراض. قوله: [الحبس للنفس على ما تكره] أي من المصائب والطاعات وترك المعاصي، فأقسام الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على دوام الطاعة، وصبر عن المعاصي فلا يفعلها، والكامل من تحقق بجميعها. قوله: [أفردها بالذكر] أي مع أنها داخلة في الصبر فذكر الخاص بعد العام لا بد له من نكتة، أجاب عن ذلك بقوله تعظيماً لشأنها. قوله: [تعظيماً لشأنها] أي من حيث إن الصلاة جامعة لأنواع العبادة من تسبيح وتهليل وتكبير وذكر وصلاة على النبي ﷺ وركوع وسجود، وفي الحديث لما أسري به ورأى الملائكة منهم القائم لا غير، والراكع لا غير، وهكذا تمنى عبادة تجمع عبادات الملائكة فأعطي الصلاة. قوله: [إذا حزبه] بالباء والنون ومعناها همه وشق عليه، وهذا يؤيد أن الخطاب لمحمد وأصحابه. قوله: [الشره] أي الشهوة فالمانع لهم من الايمان بمحمد الشهوات والكبر، ولكن قد يقال إن الكافر لا يصح منه صوم ولا صلاة حتى يدخل في الإسلام فما معنى أمرهم بذلك؟ أجيب بأن المراد أمرهم بعد الإسلام. قوله: [لأنه يكسر الشهوة] أي يضعفها. قوله: [تورث الخشوع] هو خضوع النفس وسكونها تحت المقادير. قوله: [ثقيلة] قال تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ الآية.

قوله: ﴿إلا على الخاشعين﴾ استثناء مفرغ مضمن معنى النفي، أي لا تسهل إلا على الخاشعين. قوله: [الساكنين] أي المائلين المحبين للطاعة الذين اطمأنت قلوبهم لها، وفي الحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو

﴿مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾: بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ٤٦: في الآخرة فيجازيهم. ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾: أي آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٤٧: عالمي زمانهم ﴿وَاتَّقُوا﴾: خافوا ﴿يَوْماً لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾: هو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾: بالتاء والياء ﴿مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾: أي ليس لها شفاعة فتقبل فما لنا من شافعين ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فداء ﴿وَلَا هُمْ

ساجد، وفي الحديث وجعلت قرة عيني في الصلاة، هكذا مشى المفسر على أن الضمير عائد على الصلاة، ويحتمل عوده على الاستعانة بالصبر والصلاة، ويحتمل عوده على ما تقدم من قوله ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾، أي وإن ما أمر به بنو إسرائيل لكبيرة. قوله: [يوقنون] أشار بذلك إلى أن الظن يستعمل بمعنى اليقين، وقد يستعمل اليقين بمعنى الظن، قال تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ أي ظننتموهن. قوله: ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ أي يعتقدون أنهم يبعثون ويرون ربهم. قوله: بالبعث الباء سببية. قوله: ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ أي صائرون فيحاسبهم على أعمالهم فيدخلهم إما الجنة أو النار، وبهذا التفسير فلا تكرار بين قوله ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ وبين قوله ﴿وأنهم إليه راجعون﴾.

قوله: ﴿يا بني إسرائيل﴾ كرر هذا النداء لطول الفصل، بناء على أن الخطاب في ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ لغير بني إسرائيل ولتعداد النعم عليهم وللتأكيد لبلادتهم، فإن الذكي يفهم بالمثال الواحد ما لا يفهمه الغبي بألف شاهد. قوله: [بالشكر عليها] أي باتباع محمد والدخول في دينه، ولا ينفعهم الانتساب لغيره مع وجوده. قوله: ﴿وأني فضلتكم﴾ في تأويل مصدر معطوف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم. قوله: [أي آباؤكم] أشارة إلى أنه على حذف مضاف، فالفضل ثابت لآبائهم المتقدمين لا لمن وجد في زمنه ﷺ، فإن المصر منهم على الكفر من همج الهمج. قوله: [عالمي زمانهم] دفع بذلك ما يقال إن المراد بالعالمين ما سوى الله، فيقتضي أن بني إسرائيل أفضل مما سواهم من الأولين والآخرين، فأجاب بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم وهذا هو المرتضى، وهناك أجوبة أخر منها أن المراد بآبائهم الأنبياء وهو مخدوش بأن ابراهيم أفضل من أنبياء بني إسرائيل، ومحمد أفضل الخلق جميعاً، ومنها أن المراد تفضيل أمم بني إسرائيل على جميع الأمم وهو مخدوش أيضاً بأن أمة محمد أفضل الأمم جميعاً باتفاق لقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾، ولذلك طلب موسى أن يكون منهم فلم يتم إلا الأول.

قوله: ﴿واتقوا﴾ أصله أوتقوا قلبت الواو تاء وأدغمت في التاء، وقوله يوماً مفعول به وليس ظرفاً لأن الخوف واقع على اليوم لا في اليوم. قوله: ﴿لا تجزي﴾ [فيه] صفة ليوماً وقدر المفسر قوله فيه إشارة للرابط، وحذف لأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها. قوله: ﴿عن نفس﴾ متعلق بتجزي ونفس فاعل تجزي وهو بمعنى تغني أي لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئاً من عذاب الله، وأما قوله يحشر المرء مع من أحب أي إذا كان المحب مؤمناً، والأصول لا تنفع الفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان، قال تعالى: ﴿بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾. قوله: [بالتاء والياء] قراءتان سبعيتان فعلى التاء الأمر ظاهر، وعلى الياء لأنه مجازي التأنيث، فيصح تذكير الفعل وتأنيثه. قوله: ﴿منها شفاعة﴾ أي النفس المؤمنة لا تقبل شفاعتها في النفس الكافرة. قوله: [وليس لها شفاعة فتقبل] أي لم يؤذن لها في أصل الشفاعة حتى يتسبب عنها القبول، وليس المراد أنها تشفع ولكن لا يقبل منها تلك الشفاعة لقوله تعالى: ﴿فما لنا من شافعين﴾ وخير ما فسرته بالوارد كما أشار لذلك المفسر. قوله: ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ الضمير عائد على النفس الكافرة، والعدل بالفتح الفداء، ويطلق على المماثل في القدر لا في الجنس، وأما المماثل في الجنس فبالكسر. قوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾ جمع باعتبار أفراد النفس، لأن المراد بها جنس الأنفس، وأتى بالجملة اسمية للتأكيد، والمعنى ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿يُنْصَرُونَ﴾ ٤٨: يمنعون من عذاب الله ﴿وَ﴾: اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾: أي آباءكم والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أشده، والجملة حال من ضمير أنجيناكم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بيان لما قبله ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾: المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾: لقول بعض الكهنة له أن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾: العذاب أو الانجاء ﴿بَلَاءٌ﴾: ابتلاء أو إنعام ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَ﴾ ٤٩: اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾: فلقنا ﴿بِكُمُ﴾: بسببكم ﴿الْبَحْرَ﴾: حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾: من الغرق

قوله: ﴿إذ نجيناكم﴾ معطوف على نعمتي مسلط عليه اذكروا الأول أي اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم ووقت إنجائي لكم، والمقصود ذكر الانجاء أو معطوف على جملة اذكروا، فقول المفسر اذكروا ليس تقديراً للعامل الأول بل هو عامل مماثل، وهكذا يقال فيما يأتي مما فيه إذ من جميع ما يتعلق ببني إسرائيل. قوله: [أي آباءكم] ويصح أن النجاة لهم إذ لو غرقت أصولهم ما وجدوا، والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الأرض المرتفعة، والوضع عليها ليسلم من الآفات يسمى إنجاء لهم ثم أطلق على كل خلوص من ضيق إلى سعة، فالمعنى خلصناهم من الهلكات. قوله: [بما أنعم على آبائهم] أي وعدد عليهم نعماً عشرة نهايتها ﴿وإذ استسقى﴾.

قوله: ﴿من آل فرعون﴾ لا يرد أن الآل لا يضاف إلا لذي شرف لأن فرعون ذو شرف دنيوي، والمراد أعوانه وكانوا يوم الغرق ألف ألف وسبعمائة ألف غير المتخلفين بمصر، وكانت الخيل الدهم سبعين ألفاً، وبنو إسرائيل كانوا ستمائة ألف وعشرين ألفاً وعند دخول يعقوب مصر كانوا سبعين نفساً ذكوراً وإناثاً، وبين موسى ويعقوب أربعمائة سنة، فكمل فيها ذلك العدد مع كثرة قتل الأطفال وموت الشيوخ، فسبحان الخلاق العظيم، وفرعون اسمه الوليد بن مصعب بن الريان، وفرعون لقب له من الفرعنة وهي العتو والتمرد، ومدة ادعائه الألوهية أربعمائة سنة، وكان يأكل كل يوم فصيلا، وكان لا يتغوط إلا كل أربعين يوماً مرة، وفرعون اسم لكل من ملك العمالقة، كما أن قيصر اسم لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وتبع لمن ملك اليمن، وخاقان لمن ملك الترك. قوله: [يذيقونكم] أي على سبيل الدوام. قوله: ﴿سوء العذاب﴾ اسم جامع لكل ما يغم النفس كالشر وهو ضد الخير، إن قلت إن العذاب شيء أجاب المفسر بأن المراد أشده. قوله: [بيان لما قبله] أي لبعض ما قبله فإنهم كانوا يعذبون بأنواع العذاب، فكانوا يخدمون أقوياء بني إسرائيل في قطع الحجر والحديد والبناء وضرب الطوب والتجارة وغير ذلك وكان نساؤهم يغزلن الكتان لهم وينسجنه، وضعفاؤهم يضربون عليهم الجزية، وإنما قلنا لبعض ما قبله لأن ذبح الأولاد وما ذكر معه ليس هو عين أشد العذاب بل بعضه بدليل سورة ابراهيم فانها بالعطف وهو يقتضي المغايرة.

قوله: ﴿ويستحيون﴾ أصله يستحييون بياءين الأولى عين الكلمة والثانية لامها استثقلت الكسرة على الياء الأولى فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وقيل حذفت الياء الثانية تخفيفاً، وضمت الأولى لمناسبة الواو، فعلى الأولى وزنه يستفلون وعلى الثاني وزنه يستفعون. قوله: [لقول بعض الكهنة] أي حين دعاهم ليقص عليهم ما رآه في النوم، وهو أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فشق عليه ذلك ودعا الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له ما ذكر. قوله [أو الانجاء] أي من حيث عدم الشكر عليه فصار الانجاء بلاء، فالبلاء يطلق على الخير والشر، قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾. قوله: [ابتلاء] راجع للعذاب، وقوله أو إنعام راجع للانجاء فهو لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿و﴾ [اذكروا] ﴿إذا فرقنا﴾ هذا من جملة المعطوف على نعمتي أو على اذكروا، فالمقصود تعداد النعم

﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾: قومه معه ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ⁵⁰: إلى انطباق البحر عليهم ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾: بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: الذي صاغه لكم السامري إلهاً ﴿مِن بَعْدِهِ﴾: أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ⁵¹: باتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾: محونا ذنوبكم ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ⁵²: نعمتنا عليكم ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾: عطف تفسير أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ⁵³: به من الضلال ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾: الذين عبدوا العجل: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾

عليهم وفرق من باب قتل ميز الشيء من الشيء، قال تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه﴾ أي ميزنا به الحق من الباطل. قوله: [فلقنا] الفلق والفرق بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾. قوله: ﴿البحر﴾ هو الماء الكثير عذباً أو ملحاً، لكن المراد هنا الملح، والمراد به بحر القلزم. قوله: ﴿آل فرعون﴾ يطلق آل الرجل عليه وعلى آله، قال تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ والمراد محمد وآله ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ المراد آدم وبنوه. قوله: [إلى انطباق البحر] إشارة إلى أن المتعلق محذوف. قوله: [بألف ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الألف المواعدة من الله بإعطاء التوراة، ومن موسى برياضته الأربعين يوماً وإتيانه جبل الطور لأخذ التوراة وعلى عدمها فالأمر ظاهر.

قوله: ﴿موسى﴾ هو اسم أعجمي غير منصرف وهو في الأصل مركب والأصل موشى بالشين لأن الماء بالعبرانية يقال له مو، والشجر يقال له شى، فغيرته العرب وقالوه بالسين سمي بذلك لأن فرعون أخذه من بين الماء والشجر حين وضعته أمه في الصندوق وألقته في اليم كما سيأتي في سورة القصص، وهذا بخلاف موسى الحديد فإنه عربي مشتق من أوسيت رأسه إذا حلقته، وعاش موسى مائة وعشرين سنة. قوله: ﴿أربعين ليلة﴾ إشارة إلى غاية المدة، وأما في سورة الأعراف فبين المبدأ والمنتهى، قال تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ وهي ذو القعدة وعشر ذي الحجة، واقتصر على ذكر الليالي مع أن النهار تبع لها لأن الليل محل الصفا والأنس والعطايا الربانية. قوله: [عند انقضائها] أي فراغها فعند تمام الخدمة من العبد والعطايا من الرب، قال عليه الصلاة والسلام «تمام الرباط أربعون يوماً». قوله [التوراة] أي في ألواح من زبرجد فيها الأحكام التكليفية من خرج عنها فهو ضال مضل لقوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ الآية، وأعطاه أيضاً ألواحاً أخر فيها مواعظ وأسرار ومعارف، قال تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ يخص بها من شاء فلما رجع بها ووجدهم قد عبدوا العجل ألقى الألواح فتكسر ما عدا التوراة، كذا قالوا هنا، وسيأتي تحقيق ذلك في الأعراف. قوله: [السامري] واسمه موسى وكان ابن زنا ولدته أمه في الجبل وتركته لخوفها من قومها، فرباه جبريل وكان يسقيه من أصبعه لبناً فصار يعرف جبريل، ويعرف أن أثر حافر فرس جبريل إذا وضع على ميت يحيا، فاستعار حلياً منهم وصاغه عجلاً ووضع التراب في أنفه وفمه فصار له خوار، وكان السامري منافقاً من بني إسرائيل فعكفوا على عبادته جميعاً إلا اثني عشر ألفاً قال بعضهم:

إذا المرء لم يخلق سعيداً من الأزل ... فقد خاب من ربى وخاب المؤمل
فموسى الذي رباه جبريل كافر ... وموسى الذي رباه فرعون مرسل

قوله: [إلهاً] قدره إشارة للمفعول الثاني لاتخذ هذا إذا كانت بمعنى جعل، وأما إن كانت بمعنى عمل نصبت مفعولاً واحداً. قوله: ﴿لعلكم تهتدون﴾ أي تتدبرون في معانيه فتعلموا الحق من الباطل. قوله: ﴿باتخاذكم﴾ من إضافة

أنفسكم باتخاذكم العجل﴾: إلهاً ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾: خالقكم من عبادته ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾: أي ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذلكم﴾: القتل ﴿خير لكم عند بارئكم﴾: فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضاً فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً ﴿فتاب عليكم﴾: قبل توبتكم ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ ٥٤ ﴿وإذ قلتم﴾: وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه ﴿يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾: عياناً ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾: الصيحة فمتم ﴿وأنتم تنظرون﴾ ٥٥: ما حل بكم ﴿ثم بعثناكم﴾: أحييناكم ﴿من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ ٥٦: نعمتنا بذلك ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾: سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه ﴿وأنزلنا عليكم﴾: فيه ﴿المن

المصدر لفاعله، والعجل مفعول أول وإلهاً مفعول ثان. قوله: ﴿إلى بارئكم﴾ البارىء هو الخالق للشيء على غير مثال سابق. قوله: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ هذا بيان لتوبتهم. قوله: [أي ليقتل البريء الخ] ورد أنهم أمروا جميعاً بالاحتباء، فصار الواحد منهم يقتل أخاه أو ابنه فشق عليهم ذلك، فشكوا لموسى ذلك فتضرع موسى لربه فأرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة كما قال المفسر.

قوله: ﴿فتاب عليكم﴾ أي لما تضرع موسى وهارون وبكيا، فأرسل الله جبريل يأمرهم بالكف عن الباقي وأخبرهم أن الله قبل توبة من قتل ومن لم يقتل، وقوله فتاب عليكم الفاء سببية مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: فوفقكم لفعل ذلك الخ، وقوله حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً أي في يوم واحد. قوله: ﴿التواب﴾ أي الذي يقبل التوبة كثيراً. قوله: ﴿الرحيم﴾ أي المنعم المحسن. قوله: [وقد خرجتم الخ] بيان للسبب، وحاصل ذلك أنه بعد قبول توبتهم أوحى الله إلى موسى أن خذ من قومك سبعين رجلاً ممن لم يعبدوا العجل ومرهم بطهارة الثياب والأبدان والذهاب معك إلى جبل الطور ليعتذروا عمن عبدوا العجل ويستغفروا ويتوبوا، فاختارهم وذهبوا معه إلى جبل الطور فسمعوا كلام الله ورد أن الله قال لهم إني أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدون ولا تعبدوا غيري، فقالوا ﴿يا موسى لن نؤمن لك الآية﴾ قوله: ﴿لن نؤمن لك﴾ أي لن نصدقك في أن المخاطب لنا ربنا. قوله: [الصيحة] قيل صاح عليهم ملك، وقيل نزلت عليهم نار فأحرقتهم، وجمع بأنه أصابهم كل منهما. قوله: ﴿وأنتم تنظرون﴾ أي فماتوا مترتبين واحداً بعد واحد ومكثوا ميتين يوماً وليلة والحي ينظر للميت. قوله: [ما حل بكم] إشارة إلى مفعول تنظرون.

قوله: ﴿ثم بعثناكم﴾ أي واحداً بعد واحد لتعتبروا وهذا الموت حقيقي وإنما أحيوا بشفاعة موسى ليستوفوا آجالهم المقدرة لهم، وما ذكره المفسر من أن السائل لرؤية الله جهرة هم السبعون المختارون للمناجاة أحد طريقتين والثانية أن السائل غيرهم، وأما المختارون فصعقوا من هيبة الله ولم يسألوا رؤية ولم يكن منهم انكار، فتضرع موسى لربه وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، فأحياهم الله بعد ذلك، ويشهد لذلك ما في آية النساء فإن ما فيها يدل على أن طلب الرؤية كان قبل عبادة العجل. وأما السبعون المختارون للمناجاة فكانوا بعد عبادة العجل قال تعالى في سورة النساء ﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾ الآية، وأما ما هنا فالواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً فإن ما هنا بصدد تعداد ما قالوا، ويشهد لذلك أيضاً أنه عبر في جانب من طلب الرؤية بالصاعقة وهي أخذة غضب، وفي جانب من يتسمع الكلام بالرجفة وهي أخذة هيبة، ولا تقتضي الغضب إذا علمت ذلك، فما مشى عليه المفسر مشكل من وجوه والأقرب الطريقة الثانية. قوله: [سترناكم بالسحاب] حاصله أن الله أوحى إلى موسى أن في أريحا قوماً جبارين فتجهز

﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: هما التَرنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: بذلك ﴿وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٥٧ لأن وباله عليهم ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: لهم بعد خروجهم من التيه ﴿ٱدْخُلُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعاً لا حجر فيه ﴿وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ﴾: أي بابها ﴿سُجَّدًا﴾: منحنين ﴿وَقُولُوا﴾:

لقتالهم، فخرج في ستمائة ألف فلما وصل التيه واد بين الشام ومصر وقدره تسعة فراسخ مكثوا فيه أربعين سنة متحيرين، وكانوا يجتدئون السير من أول النهار فإذا جاء الليل وجدوا أنفسهم في المبتدأ وهكذا، وسيأتي بسطه في المائدة، ومات هارون قبل موسى بسنة وكان بالتيه، ولما توفي هارون وذهب موسى لدفنه أشاعوا أنه قتل أخاه فذهب إلى قبره ودعاهم وسأله عن سبب موته فبرأه، ولما حضرت موسى الوفاة تمنى أن يدفن بمحل قريب من الأرض المقدسة قدر رمية الحجر فأجابه الله، ثم لما مات ومات كبارهم نبىء يوشع بن نون عليهم فوقفوا بعد تمام الأربعين سنة لقتال الجبارين، فتوجه مع من بقي من بني إسرائيل فكان النصر على يديه. قوله: [الترنجبين] شيء يشبه العسل الأبيض وقيل هو هو. قوله: [والطير السماني] أي بارسال ريح الجنوب به، قيل كان يأتيهم مطبوخاً، وقيل كانوا يطبخونه بأيديهم، قيل هو الطير المعروف وقيل طير يشبهه. قوله: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أي مستلذات الذي رزقناكموه، فما اسم موصول وما بعدها صلة والعائد محذوف، ويصح أن تكون نكرة والجملة بعدها صفة، وأن تكون مصدرية والجملة صلتها ولم تحتج إلى عائد ويكون المصدر واقعاً موقع المفعول أي من طيبات مرزوقنا. قوله: [فقطع عنهم] هذا أحد تفسيرين أن القطع بسبب الادخار، وقيل إن القطع بسبب تمني غيره كما يأتي في قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾. قوله: ﴿ولكن كانوا﴾ جمع في هذه الآية وآية الأعراف بين لكن وكانوا واقتصر على لكن، ولم يذكر كانوا في آل عمران، لأن ما هنا والأعراف حكاية عن بني إسرائيل، وأما آل عمران فمثل ضربه الله فهو مستمر إلى الآن فناسب عدم التعبير بكان.

قوله: ﴿قلنا﴾ [لهم] القائل الله سبحانه وتعالى على لسان موسى وهم في التيه بطريق الكشف والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضي الأربعين سنة فادخلوا الخ، وأما إن كان بعد الخروج من التيه فيكون ذلك على لسان يوشع وهو المعتمد. قوله: ﴿هذه القرية﴾ هذه منصوبة عند سيبويه على الظرف، وعند الأخفش على المفعولية، والقرية نعت لهذه أو عطف بيان وهي مشتقة من قريت أي جمعت لجمعها لأهلها، وهي في الأصل اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وقد تطلق عليهم مجازاً، وقوله تعالى ﴿واسأل القرية﴾ يحتمل الوجهين. قوله: [بيت المقدس] هو قول مجاهد، وقوله أو أريحا هو قول ابن عباس وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة قرية بالغور بغين معجمة مكان منخفض بين بيت المقدس وحوران، وعبارة الخازن قال ابن عباس القرية هي أريحا قرية الجبارين، قيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق.

قوله: ﴿فكلوا﴾ أتى بالفاء لأن الأكل منها إنما يكون بعد الدخول فحسن الترتيب، ولم يأت بالفاء في الأعراف بل أتى بالواو لتعبيره هناك اسكنوا وهو يجامع الأكل، فلم يحصل بينهما ترتيب فلذا أتى بالواو بخلاف الدخول فيعقبه الأكل عادة فلذلك أتى بالفاء. قوله: [أي بابها] أي أريحا وهو المعتمد والمراد أي باب من أبوابها وكان لها سبعة أبواب أو بيت المقدس، ومن قال بذلك فالمراد باب من أبواب المسجد يسمى الآن بباب حطة. قوله: [منحنين] أي على صورة الراكع، وقيل إن السجود حقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض، وقيل المراد بالسجود التواضع والذل لله والأمر بالسجود قيل لصغر الباب وقيل تعبدي. قوله: [مسألتنا] إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف قدره المفسر، والجملة في

مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾: أي أنْ تحطّ عنا خطايانا ﴿نَغْفِرْ﴾: وفي قراءة بالياء والتاء مبنياً للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٨: بالطاعة ثواباً ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: منهم ﴿قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقبيح شأنهم ﴿رِجْزاً﴾: عذاباً طاعوناً ﴿مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ٥٩: بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً أو أقل ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾:

محل نصب مقول القول، وحطة بوزن قِعْدَة أو جِلْسَة ومعناها حطيطة الذنوب عنا. قوله: **[خطايانا]** جمع خطيئة وهي الذنوب التي ارتكبوها من عبادة العجل، وقولهم أرنا الله جهرة إلى غير ذلك، وفي قراءة شاذة بنصب حطة إما مفعول مطلق أي حط عنا الذنوب حطة أو مفعول لمحذوف أي نسألك حطة ومعنى حطها إزالتها ومحوها.

قوله: ﴿نغفر﴾ هذه القراءة تناسب ما قبلها وما بعدها لأنه تكلم. قوله: **[وفي قراءة بالياء والتاء]** أي وهما مناسبان لمعنى الخطايا والخطايا مجازي التأنيث، فلذلك جاز تذكير الفعل وتأنيثه. قوله: ﴿خطاياكم﴾ جمع خطيئة وأصله خطايئ بياء قبل الهمزة فقلبت تلك الياء همزة مكسورة فاجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء وقلبت كسرة الهمزة الأولى فتحة، ثم يقال تحركت الياء التي بعد الهمزة وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصار خطاءا بالفين بينهما همزة فاستثقل ذلك لأن الهمزة تشبه الألف، فكأنه اجتمع ثلاث ألفات متواليات فقلبت الهمزة ياء للخفة هنا ففيه خمس إعمالات قلب الياء التي قبل الهمزة همزة ثم قلب الهمزة الثانية ياء ثم قلب كسرة الأولى فتحة ثم قلب الثانية ألفاً ثم قلب الأولى ياء تأمل، وخطايا هنا باتفاق القراء، وأما في الاعراف فيقرأ خطيئات، وحكمة ذلك أنه هنا إسند القول لنفسه فهو يغفر الذنوب وإن عظمت فناسب التعبير بخطايا الذي هو جمع كثرة، وفي الاعراف بني الفعل للمجهول فعبر بجمع القلة، وقوله نغفر مجزوم في جواب قوله ادخلوا المقيد بالسجود وبالقول. قوله: ﴿وسنزيد﴾ عبر بالسين والمضارع إشارة الى أن المحسن لا ينقطع ثوابه بل دائماً يتجدد شيئاً فشيئاً.

قوله: ﴿الذين ظلموا﴾ حكمة الإتيان بذلك الزيادة في التقبيح عليهم. قوله: **[منهم]** قدرها هنا لأنه ذكرها في الأعراف، والقصة واحدة فما تركه هنا قدره هناك وبالعكس. قوله: ﴿قولاً﴾ أي وفعلاً ففيه اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد، أو المراد بالقول الامر الإلهي وهو يشمل القول والفعل كأنه قال فبدل الذين ظلموا أمراً غير الذي أمروا به. قوله: **[فقالوا حبة في شعرة الخ]** لف ونشر مشوش لأن هذا راجع إلى حطة، وقوله **[ودخلوا الخ]** راجع لقوله سجداً، وما فسر به المفسر هو الصحيح لأنه حديث البخاري، وقيل قالوا حنطة في شعرة أو شعيرة أو حنطة حمراء في شعرة سوداء أو حنطة بيضاء في شعرة سوداء، ومعنى حبة في شعرة بجنس الحب وجنس الشعر أي نسألك حباً في زكائب من شعر. قوله: **[ودخلوا يزحفون]** وقيل إنهم دخلوا مستلقين على ظهورهم. قوله: **[على أستاههم]** جمع سته وهو الدبر أي أدبارهم. قوله: ﴿رجزاً﴾ هو في الاصل فناء ينزل بالإبل أطلق وأريد منه مطلق الفناء. قوله: **[بسبب فسقهم]** أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر، ومشى المفسر على أن كان لا تتصرف فسبكه من الخبر، وقيل إن كان متصرفة يأتي منها المصدر لقول الشاعر:

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ... وكونك إياه عليك يسير

فعليه أن ما تسبك بها بمصدر أي بكونهم فاسقين وهو المعتمد. قوله: **[فهلك منهم الخ]** أي فالطاعون عذاب لهم بخلاف الامة المحمدية فإنه رحمة لهم من مات به أو في زمنه كان شهيداً، وقد ذكروا أن في الآية سؤالات، الاول: قوله هنا وإذ قلنا، وفي الاعراف وإذ قيل، وأجيب بأنه صرح هنا بالفاعل لازالة الإبهام وحذفه في الاعراف للعلم به مما

أي طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾: وقد عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾: وهو الذي فر بثوبه خفيف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان فضربه ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾: انشقت وسالت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: بعدد الأسباط

هنا. الثاني: قال هنا ادخلوا وهناك اسكنوا، وأجيب بأن الدخول مقدم على السكنى فذكر الدخول في السورة المتقدمة، والسكنى في المتأخرة على حسب الترتيب الطبيعي. الثالث: قال خطاياكم باتفاق السبعة وهناك خطيئاتكم في بعضها وتقدم جوابه. الرابع: ذكر هنا رغداً وحذفه من هناك، والجواب أن القصة ذكرت هنا مبسوطة وهناك مختصرة. الخامس: قدم هنا دخول الباب على قولوا حطة وعكس هناك، وأجيب بأن ما هنا هو الأصل في الترتيب وعكس فيما يأتي اعتناء بحط الذنوب. السادس: إثبات الواو في وسنزيد هنا وحذفها هناك، وأجيب بأنه لما تقدم أمران كان المجيء بالواو مؤذناً بأن مجموع الغفران والزيادة جزاء واحد لمجموع الأمرين، وحيث تركت الواو أفاد توزيع كل واحد على كل واحد من الأمرين، فالغفران في مقابلة القول، والزيادة في مقابلة ادخلوا. السابع: لم يذكر هنا منهم وذكرها هناك، وأجيب بأن أول القصة في الاعراف مبني على التخصيص بلفظ من حيث قال ومن قوم موسى أمة فذكر لفظ منهم آخراً ليطابق الآخر الاول. الثامن: ذكر هنا أنزلنا وهناك ارسلنا وأجيب بأن الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية، وهذا إنما يحدث في آخر الأمر. التاسع: هنا يفسقون وهناك يظلمون، وأجيب بأنه لما بين هنا كون ذلك الظلم فسقاً اكتفى بذكر الظلم هناك لأجل ما تقدم من البيان هنا. العاشر: قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا﴾ فيه إخبار بالمجازاة عن المخالفة في القول دون الفعل، وجوابه مما تقدم فلتحفظ.

قوله: ﴿و﴾ [اذكر] أي يا محمد، والمناسب لما تقدم وما يأتي أن يقدر اذكروا ويكون خطاباً لبني إسرائيل بتعداد النعم عليهم، والاول وإن كان صحيحاً إلا أنه خلاف النسق. قوله: [أي طلب السقيا] أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب، والفعل اما رباعي أو ثلاثي، يقال سقى وأسقى قال تعالى ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ والمصدر سقيا والاسم السقيا. قوله: [وقد عطشوا في التيه] أشار بذلك إلى أن المراد بقومه من كان معه في التيه لا جميعهم، وتقدم أنهم ستمائة الف غير دوابهم، وقدر مسافة الارض التي تكفيهم اثنا عشر ميلاً، وعطش من باب ضرب وعلم. قوله: ﴿فقلنا﴾ القائل الله على لسان جبريل أو غيره. قوله: ﴿بعصاك﴾ كانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع وطول موسى كذلك، وكان لها شعبتان تضيئان له في الظلام وتظلانه في الحر، وكانت تسوق له الغنم وتطرد عنها الذئاب. قوله: [وهو الذي فر بثوبه] أي حين رموه بالادرة وهي انتفاخ الخصية، وكان بنو إسرائيل لا يبالون بكشف العورة، فأراد موسى الغسل فوضع ثوبه على ذلك الحجر ففر بذلك الثوب فخرج موسى من الماء وقال ثوبي حجر ثوبي حجر، فنظر بنو إسرائيل لعورته فلم يروه كما ظنوا، قال تعالى: ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ وهذا الحجر قيل أخذه هو والعصا من شعيب، وقيل إن الحجر اخذه من وقت فراره بثوبه وكان طوله ذراعاً وعرضه كذلك وله جهات اربع في كل جهة ثلاثة أعين، فكان يضربه بالعصا عند طلب السقيا فتخرج منه اثنتا عشرة عيناً بعدد فرق بني إسرائيل، وتلك العصا كانت من الجنة خرجت مع آدم مع عدة اشياء نظمها سيدي علي الاجهوري بقوله:

وآدم معه انزل العود والعصا ... لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة ... وختم سليمان النبي المعظم

قوله: [أو كذان] بفتح الكاف وتشديد الذال المعجمة الحجر اللين. قوله: [فضربه] أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله فانفجرت عاطفة على محذوف.

قوله: ﴿فانفجرت﴾ عبر هنا بالانفجار، وفي الاعراف بالانبجاس إشارة إلى أن ما هنا بيان للغاية، وما في

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم وقلنا لهم ﴿كُلُوا وَٱشْرَبُوا مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ٦٠ حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة أفسد ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾: أي نوع منه ﴿وَاحِدٍ﴾: وهو المن والسلوى ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾: شيئاً ﴿مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ مِن﴾: للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾: حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾: لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾: أخس ﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: أشرف أي أتأخذونه بدله والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا﴾: انزلوا ﴿مِصْرًا﴾: من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾: فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾: من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾: جعلت ﴿عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: الذل والهوان ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾: أي أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته ﴿وَبَاءُو﴾: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ﴾: أي الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾: كزكريا

الاعراف بيان للمبدأ فإن مبدأ خروج الماء الرشح الذي هو الانبجاس، ثم إذا قوي سمي انفجاراً وقيل معناهما واحد.

قوله: ﴿اثنتا﴾ فاعل انفجرت مرفوع بالألف لأنه ملحق بالمثنى وعشرة بمنزلة النون في المثنى. قوله: ﴿قد علم كل أناس﴾ أي فكانت كل عين تأتي لقبيلة وأعظم من هذه المعجزة نبع الماء من اصابع رسول الله ﷺ. قوله: ﴿من رزق الله﴾ تنازعه كل من كلوا واشربوا، فأعمل الأخير، وأضمر في الأول، وحذف، والمراد بالرزق المرزوق، وهو بالنسبة للأكل المن والسلوى. قوله: [مؤكدة لعاملها] وحكمة ذلك عظم بلادتهم، فنزلوا منزلة الساهي والغافل. قوله: [من عثى] أي والمصدر عثياً بضم العين وكسرها.

قوله: ﴿وإذ قلتم﴾ أي واذكروا إذ قالت أصولكم. قوله: [أي نوع منه] جواب عن سؤال كيف يقولون واحد مع أنهما اثنان، فأجاب المراد وحدة النوع الذي هو الطعام المستلذ. قوله: [شيئاً] قدره إشارة إلى أن مفعول يخرج محذوف. قوله: ﴿مما تنبت الأرض﴾ بيان لذلك الشيء. قوله: [للبيان] أي بيان ما تنبته الأرض. قوله: ﴿بقلها﴾ هو ما لا ساق له، كالكراث والفجل والملوخية وشبهها. قوله: ﴿وقثائها﴾ هي الخضراوات، كالبطيخ والخيار وغير ذلك. قوله: [حنطتها] قيل هو الثوم لأن الثاء تقلب فاء في اللغة، والأقرب ما قاله المفسر. قوله: [قال لهم موسى] وقيل القائل الله على لسان موسى. قوله: ﴿بالذي هو خير﴾ الباء داخلة على المتروك. قوله: [للانكار] أي التوبيخي. قوله: [فدعا الله] أشار بذلك إلى أن قوله اهبطوا مرتب على محذوف. قوله: ﴿اهبطوا﴾ يطلق الهبوط على النزول من أعلى لأسفل، وعلى الانتقال من مكان لمكان، وهو المراد. إن قلت: ظاهر الآية أنهم متمكنون من الانتقال، مع أن الأمر ليس كذلك أجيب: بأن ذلك على سبيل التوبيخ واللوم عليهم في ذلك، تقدير الكلام أن مطلوبكم يكون في الأمصار، فإن كنتم متمكنين منها فلكم ما سألتم، وإلا فاصبروا على حكم الله. قوله: ﴿مصراً﴾ بالتنوين لجمهور القراء، ولم يقرأ بعدمه إلا الحسن وأبي للعلمية والتأنيث، ونظيرها يجوز فيه الصرف وعدمه لأنه اسم ثلاثي ساكن الوسط. قوله: ﴿عليهم﴾ أي على ذرياتهم إلى يوم القيامة وكل من نحا نحوهم. قوله: [أي أثر الفقر] أي القلبي ولو كثرت أمواله، قال عليه الصلاة والسلام: «الفقر سواد الوجه في الدارين». قوله: [لزوم الدرهم الخ] الكلام على القلب أي لزوم السكة للدرهم، والمراد بالسكة أثرها، لأن السكة اسم للحديدة المنقوشة يضرب عليها الدراهم، فكذلك لا يخلو يهودي من آثار الفقر، قال المفسرون: مبدأ زيادة الذلة والغضب من وقت إشاعتهم قتل عيسى. قوله: ﴿بآيات الله﴾ أي المعجزات التي أتى بها موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم. قوله: [كزكريا] أي بالنشر حين

ويحيى ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: أي ظلماً ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ٦١: يتجاوزون الحدّ في المعاصي وكرّره للتأكيد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: بالأنبياء من قبل ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا﴾: هم اليهود ﴿وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ﴾: طائفة من اليهود أو النصارى ﴿مَنْ آمَنَ﴾: منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾: بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: أي ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢: روعي في ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿وَ﴾: قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لمّا أبيتم قبولها وقلنا ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بجدّ واجتهاد

أوى إلى شجرة الأثل فانفتحت له فدخلها فنشروها معه. قوله: [ويحيى] أي قتلوه على كلمة الحق، ورد أنهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً وأقاموا سوقهم. قوله: ﴿بغير الحق﴾ من المعلوم أن قتل الانبياء لا يكون إلا بغير الحق، وإنما ذكره إشارة إلى أن اعتقادهم موافق للواقع، فهم يعتقدون أنه بغير الحق كما هو الواقع. قوله: [بما عصوا] أصله عصيوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة لتدل عليها. قوله: [وكرره] أي اسم الإشارة وهو لفظ ذلك، قال بعضهم: وفي تكرير الإشارة قولان، أحدهما أنه مشار به إلى ما أشير إليه بالأول على سبيل التأكيد، والثاني أنه مشار به إلى الكفر وقتل الانبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيها، وما مصدرية والباء للسببية، وأصل يعتدون يعتديون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما وضمت الدال لمناسبة الواو.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ هذه الآية معترضة بين قصص بني إسرائيل. قوله: [من قبل] أي قبل بعثة النبي محمد ﷺ، كبحيرا الراهب وأبي ذر الغفاري وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وقس بن ساعدة وغيرهم ممن آمن بعيسى ولم يغير ولم يبدل حتى أدرك محمداً وآمن به، وأما من آمن بعيسى وأدرك محمداً ولم يؤمن به فذلك مخلد في النار، لقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الأسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، والذين اسم إن وآمنوا صلته والذين معطوف عليه وهادوا صلته. قوله: [هم اليهود] من هاد إذا رجع سموا بذلك لرجوعهم عن عبادة العجل على أنه عربي، وأما على أنه عبراني فعرب فاصله يهوذا اسم أكبر أولاد يعقوب فأبدلت المعجمة مهملة.

قوله: ﴿والنصارى﴾ جمع نصران والياء للمبالغة كأحمري، سموا بذلك لأنهم نصروا عيسى على كلمة الحق، كما سمي الأنصار أنصاراً لنصرته ﷺ، وقيل نسبة لناصرة قرية بالشام. قوله: ﴿والصابئين﴾ أي المائلين عن دينهم. قوله: [أو النصارى] إشارة إلى تنويع الخلاف أي صبؤوا عن دينهم وعبدوا النجوم والملائكة، وقيل فرقة ادعوا أنهم على دين صابىء بن شيث بن آدم، والأرجح ما قاله المفسر. قوله: [من] اسم موصول مبتدأ وآمن صلته والعائد محذوف، قدره المفسر بقوله منهم وبالله متعلق بآمن، وقوله: فلهم أجرهم خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من العموم، ويصح أن يكون من اسم شرط مبتدأ وآمن فعل الشرط، وقوله فلهم أجرهم جواب الشرط وخبر المبتدأ فيه خلاف، قيل فعل الشرط وقيل جوابه وقيل هما والجملة خبر إن، ويصح أن يكون من بدلاً من اسم إن وجملة فلهم أجرهم خبر إن. قوله: ﴿أجرهم﴾ في الأصل مصدر بمعنى الايجار، والمراد به هنا الثواب وهو مقدار من الجزاء أعده الله لعباده في نظير أعمالهم الحسنة بمحض الفضل. قوله: ﴿ولا خوف عليهم﴾ أي في الآخرة.

قوله: ﴿ميثاقكم﴾ الخطاب لبني إسرائيل. قوله: ﴿و﴾ [قد] ﴿رفعنا﴾ قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أن الجملة حالية. قوله: ﴿الطور﴾ في الأصل اسم لكل جبل، لكن المراد به هنا جبل معروف بفلسطين. قوله: [وقلنا] ﴿خذوا﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن خذوا مقول لقول محذوف، وحاصل ذلك أن الله لما أتى موسى التوراة وأمرهم بالسجود شكراً

﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ٦٣: النار أو المعاصي ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: أعرضتم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٦٤: الهالكين ﴿وَلَقَدْ﴾: لام قسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾: عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾: تجاوزوا الحد ﴿مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾: بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أهل أيلة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ٦٥: مبعدين فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة أيام ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: أي تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾: عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾: أي للأمم التي في زمانها وبعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ٦٦: الله وخصوا بالذكر لأنهم

الله أبوا من قبول التوراة ومن السجود، فرفع الله جبل الطور فوق رؤوسهم كأنه سحابة قدر قامتهم وكان على قدرهم، فسجدوا على نصف الجبهة الأيسر فصار ذلك فيهم إلى الآن ثم لما رفع عنهم أبوا. قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ الترجي بالنسبة للمخاطبين. قوله: [الميثاق] أشار بذلك إلى مرجع اسم الاشارة، وقال البيضاوي: إنه راجع لرفع الجبل وإيتاء التوراة.

قوله: [فلولا فضل الله] لو حرف امتناع لوجود أي امتنع خسرانكم لوجود فضل الله ورحمته، وجوابها يقترن باللام غالباً إن كان مثبتاً فان كان منفياً بما فالغالب الحذف أو بغيرها فالواجب الحذف وتختص بالجمل الاسمية ومدخولها المبتدأ يجب حذف خبره لاغناء جوابها عنه، قال ابن مالك: وبعد لولا غالباً حذف الخبر حتم. قوله: [بالتوبة] هذا في حق المؤمنين أو قوله وتأخير العذاب في حق الكافرين. قوله: [الهالكين] أي في الدنيا والآخرة. قوله: [عرفتم] أي فتنصب مفعولاً واحداً والعلم والمعرفة قيل مترادفان، ولكن يقال في الله عالم لا عارف لأن الأسماء توقيفية، وقيل العلم أوسع دائرة من المعرفة لتعلقه بالجزئيات والكليات والبسائط والمركبات بخلاف المعرفة، فلذلك يقال في الله عالم لعموم ما يتعلق به علمه لا عارف لأنه يوهم القصور والمعتمد الأول، وقوله لام قسم أي محذوف تقديره والله لقد عرفتم.

قوله: ﴿الذين﴾ مفعول علمتم واعتدوا صلته وأصله اعتديوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين. قوله: ﴿منكم﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل اعتدوا. قوله: ﴿في السبت﴾ هو لغة القطع وهو أصل وضعه لأنه ورد أن الدنيا ابتدئت بالأحد وختمت بالجمعة فكان يوم السبت يوم انقطاع عمل خصت اليهود به لقطعهم عن رحمة الله، أو مأخوذ من السبوت وهو السكون لأن بانقطاع العمل السكون. قوله: [وهم أهل أيلة] حاصله أن سبعين ألفاً من قوم داود كانوا بقرية تسمى أيلة عند العقبة في أرغد عيش، فامتحنهم الله بأن حرم عليهم اصطياد السمك يوم السبت وأحل لهم باقي الجمعة، فإذا كان يوم السبت وجدوا السمك بكثرة على وجه الماء وفي باقيها لم يجدوا شيئاً، ثم إن إبليس علمهم حيلة يصطادون بها فقال لهم اصنعوا جداول حول البحر فاذا جاء السمك ونزل في الجداول فسدوا عليه وخذوه في غير يوم السبت، فافترقوا ثلاث فرق، فاثنا عشر ألفاً فعلوا ذلك واصطادوا وأكلوا فمسخوا قردة، ومكثوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ثم ماتوا، وأما ما وجد من القردة الآن فلم يكونوا من ذريتهم بل خلق آخر، وقيل مسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير، وقيل الذين مسخوا خنازير أهل المائدة، وفرقة نهوهم وجعلوا بينهم سداً، وفرقة أنكروا بقلوبهم ولم يتعرضوا لهم، فمن نهى نجا وكذا من لم ينه على المعتمد.

قوله: ﴿فقلنا﴾ المراد بالقول تعلق الارادة. قوله: [مبعدين] أي عن رحمة الله. قوله: ﴿نكالا﴾ هو في الأصل القيد الحديد أطلق وأريد لازمه وهو المنع، لأن المقيد ممنوع فكذا تلك العقوبة مانعة. قوله: [مثل ما عملوا] المماثلة

المنتفعون بها بخلاف غيرهم ﴿و﴾: اذكر ﴿إذ قال موسى لقومه﴾: وقد قتل لهم قتيل لا يدري قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبيّنه لهم فدعاه ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً﴾: مهزوءاً بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك ﴿قال أعوذ﴾: أمتنع ﴿بالله﴾: من ﴿أن أكون من الجاهلين﴾ ٦٧: المستهزئين فلما علموا أنه عزم ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾: أي ما سنها ﴿قال﴾: موسى ﴿إنه﴾: أي الله ﴿يقول إنها بقرة لا فارض﴾: مسنة ﴿ولا بكر﴾: صغيرة ﴿عوان﴾: نصف ﴿بين ذلك﴾: المذكور من السنين ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ ٦٨: به من ذبحها ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾: شديد الصفرة ﴿تسر الناظرين﴾ ٦٩: إليها بحسنها أي تعجبهم ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾: أسائمة أم عاملة ﴿إن البقر﴾: أي جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تشابه علينا﴾: لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ ٧٠: إليها في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾: غير مذللة بالعمل ﴿تثير الأرض﴾: تقلبها للزراعة والجملة صفة ذلول داخلة في النفي ﴿ولا تسقي الحرث﴾: الأرض المهيأة للزراعة ﴿مسلمة﴾: من العيوب وآثار العمل ﴿لا شية﴾: لون ﴿فيها﴾: غير لونها ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾: نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مسكها ذهباً ﴿فذبحوها

في مطلق المخالفة. قوله: [واذكروا] أي يا بني إسرائيل قوله: [قتيل] اسمه عاميل. قوله: ﴿بقرة﴾ واحدة البقر يفرق بين مذكره ومؤنثه بالوصف، تقول بقرة أنثى وبقرة ذكر، فالتاء للوحدة وقيل للتأنيث فالأنثى بقرة والذكر ثور، وسمي البقر بقراً لأنه يبقر الأرض بحافره أي يشقها. وأول القصة قوله فيما يأتي: ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ الآية. قوله: [مهزوءاً بنا] أشار بذلك إلى أنه مصدر بمعنى اسم المفعول، ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة أو على حذف مضاف أي ذوي هزء، على حد ما قيل في زيد عدل والهزؤ هو الكلام الساقط الذي لا معنى له. قوله: ﴿من الجاهلين﴾ أي المبلغين عن الله الكذب. قوله: [إنه عزم] أي مفروض وحق لا هزل فيه. قوله: [أي ما سنها] أي فما واقعة على الأوصاف وقولهم إن ما يسأل بها عن الماهية والحقيقة أغلبي. قوله: ﴿لا فارض﴾ من الفرض وهو القطع سميت بذلك لقطعها عمرها. قوله [نصف] بالتحريك يقال للمرأة والبقرة، قال الشاعر:

وإن أتوك وقالوا إنها نصف ... قل إن أحسن نصفيها الذي ذهبا

وكرر لا لوقوع النعت بعدها، وكذا إذا وقع بعدها الحال والخبر. قوله: [به] هو عائد الموصول وقوله من ذبحها بيان لما. قوله: ﴿قال﴾ أي موسى وقوله: ﴿إنه﴾ أي الله. قوله: [فاقع] صفة لصفراء وهو مبالغة في الصفرة، يقال أحمر قانئ وأسود حالك وأبيض ناصع وأصفر فاقع. قوله: [بحسنها] أي لجمال خلقتها وحيث شددوا شدد عليهم، إذ لو أتوا أولاً بأي بقرة لكفت، ثم لو أتوا بما في السؤال الثاني لكفت، ثم ما في الثالث لكفت، ولكن شددوا فشدد عليهم. قوله [أسائمة] أي متروكة في الجبال ترعى من كلئها. قوله: [أم عاملة] أي يعلفها ربها ويشغلها.

قوله ﴿إن البقر﴾ تعليل للأسئلة الثلاثة. قوله: [لو لم يستثنوا] أي بالمشيئة. قوله: [آخر الأبد] أي إلى انقضاء الدنيا. قوله: ﴿لا ذلول﴾ من الذلة وهي السهولة بل فيها الصعوبة. قوله [داخلة في النفي] أي فالمعنى ليست مذللة لعمل ولا مثيرة للأرض. قوله [الأرض المهيأة الخ] المناسب أن يقول الحرث أي الزرع لأن الحرث يطلق على الزرع. قوله: ﴿الآن﴾ ظرف زمان للوقت الحاضر. قوله: ﴿جئت بالحق﴾ أي بصفات البقر التي لا تخفى ولا تلتبس، فلا

﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٧١ لغلاء ثمنها، وفي الحديث «لو ذبحوا أيّ بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم» ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ﴾: فيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ﴾: مظهر ﴿مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ٧٢: من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾: أي القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾: فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيي وقال: قتلني فلان وفلان لابني عمه ومات فحرما الميراث وقتلا. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾: الأحياء ﴿يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ

تنافي بين الآية وقول المفسر فطلبوها. قوله: [نطقت بالبيان التام] جواب عن سؤال ورد على الآية، وهو أن ظاهر مفهوم الآية يقتضي أنهم كفار، فأجاب المفسر بأن فيه حذف النعت مع بقاء المنعوت وهو جائز لقول ابن مالك:

وما من المنعوت والنعت عقل ... يجوز حذفه وفي النعت يقل

قوله: [فطلبوها] أي بحثوا عنها. قوله: [عند الفتى البار بأمه] وحاصل ذلك أن أبا الفتى المذكور كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل قد حضرته الوفاة، وكانت عنده بقرة قد ولدت أنثى، فأخذ تلك الأنثى ووضعها في غيضة وأوصى أم الغلام أن تعطيه تلك البقرة حين يكبر ومات، ثم إن الولد صار يحتطب ويبيع الحطب ويقسم أثلاثاً: يصرف ثلثه على نفسه والثلث الآخر على أمه والثلث الآخر يتصدق به، ويقسم ليله أثلاثاً: ينام ثلثه ويخدم أمه ثلثه ويقوم لطاعة الله ثلثه، فلما كبر الغلام قالت له أمه اذهب إلى الغيضة الفلانية فإن فيها بقرة تركها لك أبوك، وأوصاني إذا كبرت أن أعطيها لك، واقسم عليها بإبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب فإنها تأتي لك طائعة، ففعل كما أمرته فجاءت له طائعة وقالت له اركب على ظهري، فقال لها إن أمي لم تأمرني بالركوب، فقالت له لو ركبت على ظهري ما قدرتني إلى الأبد، فأخذها وذهب إلى أمه فقالت له اذهب إلى السوق فبعها بثلاثة دنانير على مشورة، فذهب فأتاه ملك على صورة رجل وقال له بكم تبيعها فقال بثلاثة دنانير على مشورة أمي، فقال له بعها لي بستة دنانير من غير مشورة فقال لا ثم ذهب إلى أمه واخبرها بذلك فقالت له بعها بستة على مشورتي، فذهب فأتاه ثانياً وأعطاه فيها اثني عشر على غير مشورة فأبى، فذهب إلى أمه وأخبرها فقالت له إن هذا ملك من عند الله فاذهب إليه واقرئه السلام وقل له اتبيع البقرة أم لا، فذهب إليه وأخبره بذلك فقال له إن بني إسرائيل يقتل لهم قتيل ويتوقف بيان قاتله على تلك البقرة فلا تبعها إلا بملء مسكها ذهباً ففعل ما أمر به، والفتى هو الشاب السخي ولا شك أنه كان كذلك. قوله: [مسكها] بفتح الميم الجلد.

قوله: ﴿فذبحوها﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فطلبوها الخ. قوله: ﴿وما كادوا يفعلون﴾ أي ما قاربوا الفعل ﴿قوله لغلاء ثمنها﴾ أي أو للتعنت في أوصافها. قوله: [فيه إدغام التاء في الأصل الخ] أي أصله تدارأتم قلبت التاء دالاً وأدغمت فيها وأتى بهمزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن. قوله: [أي تخاصمتم] أي اتهم بعضكم بعضاً. قوله: [وهذا اعتراض] أي جملة معترضة بين المعطوف وهو فقلنا اضربوه الخ والمعطوف عليه وهو فذبحوها. قوله: [وهو أول القصة] وإنما أخره ليواصل قبائح بني إسرائيل بعضها ببعض. قوله: ﴿فقلنا﴾ معطوف على فذبحوها والقائل الله على لسان موسى. قوله: [بلسانها] أي لأنه محل الكلام. قوله: [أو عجب ذنبها] إشارة لتنويع الخلاف، والحكمة في ذلك أنه محل حياة ابن آدم، وقيل ضربوه بفخذها اليمنى وقيل بقطعة لحم منها. قوله [فحيي] ورد أنه قام وأوداجه تشخب دماً. قوله: [ومات] أي سريعاً بلا مهلة. قوله: [فحرما الميراث] أي لأن القاتل لا يرث من تركة المقتول شيئاً حتى في شرع موسى، وسبب قتله إياه أن المقتول كان غنياً والقاتل كان فقيراً فلما طال عمر المقتول قتله ليرثه، وقيل غير ذلك. قوله: ﴿كذلك﴾ هذه الجملة معترضة بين قصص بني إسرائيل رداً على منكري البعث، فإن بني إسرائيل لم يكونوا منكرين له، فالخطاب لمشركي العرب المنكرين للبعث.

﴿تَعْقِلُونَ﴾٧٣: تتدبرون فتعلمون أنّ القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾: أيها اليهود صلبت عن قبول الحق ﴿مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾: في القسوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾: منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾: فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: ينزل من علوّ إلى أسفل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾٧٤: وإنما يؤخركم لوقتكم وفي قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾: أي اليهود ﴿لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾: طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾: أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾: في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: يغيّرونه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾٧٥: أنهم مفترون والهمزة للإنكار أي لا تطمعوا فلهم سابقة في الكفر

قوله: ﴿ثم قست قلوبكم﴾ نزل استبعاد قسوة قلوبهم لظهور الخوارق للعادات العظيمة منزلة التراخي، فأتى بثم وأكده بالظرف بعده. قوله: [أيها اليهود] دفع بذلك ما يقال إنه خطاب لغير بني إسرائيل كالذي قبله. قوله: [صلبت عن قبول الحق] أشار بذلك إلى أن في قست استعارة تصريحية تبعية حيث شبه عدم الاذعان بالقسوة بجامع عدم قبول التأثير في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من القساوة قست بمعنى لم تذعن فلم تقبل المواعظ ولم تؤثر فيها. قوله: ﴿فهي كالحجارة﴾ لم يشبههم بالحديد لوجود اللين فيه في الجملة. قوله: ﴿أو أشد﴾ هذا ترق في ذكر قسوتهم فأو بمعنى بل. قوله: [فيه إدغام التاء الخ] أي فأصله يتشقق فأبدلت التاء شيناً ثم ادغمت فيها. قوله: ﴿فيخرج منه الماء﴾ أي أنهاراً أو غيرها كالعيون فهو من عطف العام على الخاص. قوله: [ينزل من علو إلى سفل] أي كجبل الطور، وورد ما من حجر يسقط من علو إلى أسفل إلا من خشية الله. قوله: ﴿من خشية الله﴾ أخذ أهل السنة من ذلك ومن قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ ومن قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض﴾ الآية، أن كل شيء يعرف الله ويسبّحه ويخشاه إلا الكافر من الإنس والجن. قوله: ﴿وما الله بغافل﴾ ما نافية ولفظ الجلالة اسمها وبغافل خبرها، وقوله عما تعملون يحتمل أن ما اسم موصول وتعملون صلته والعائد محذوف أي عن الذي تعملونه، ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر أي عن عملكم.

قوله: ﴿أفتطمعون﴾ سيأتي للمفسر أن الهمزة للإنكار، فيحتمل أنها مقدمة من تأخير والأصل فأتطمعون قدمت لأن لها الصدارة وهو مذهب الجمهور، وقال الزمخشري إن الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، التقدير أتسمعون كلامهم وتعرفون أحوالهم فتطمعون الخ أي لا يكون منكم ذلك، واعلم أن الهمزة لا تدخل إلا على ثلاثة من حروف العطف الواو والفاء وثم. قوله: ﴿أن يؤمنوا﴾ أي يستبعد ذلك منهم لافتراقهم أربع فرق في كل فرقة صفة مانعة له من الإيمان، الأول كونهم يحرفون كلام الله، الثاني النفاق، الثالث التوبيخ من غير المنافق على ملاطفة المسلمين، الرابع كونهم أميين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، فهذه يستبعد معها الإيمان لرسوخ الكفر في قلوبهم.

قوله: ﴿وقد كان فريق﴾ الجملة حالية وقد قربت الماضي من حال، والمراد من كان النسبة لأن هذا الكلام فيمن كان موجوداً زمن النبي لا فيمن كان قبلهم. قوله: [أحبارهم] علماؤهم جمع حبر بالكسر ويقال بالفتح وجمعه حبور كفلس وفلوس. قوله: ﴿من بعد ما عقلوه﴾ أي من بعد تعقلهم إياه وتحريفهم في الكلام، كأوصاف النبي من كونه اكحل العينين جعد الشعر، فغيروه إلى أزرق العينين سبط الشعر، وآية الرجم غيروها إلى الجلد وغير ذلك. قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ الجملة حالية من فاعل يحرفون. قوله: [أنهم مفترون] أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف،

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾: أي منافقو اليهود ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾: بأنّ محمداً نبيّ وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾: أي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾: أي المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أي عرّفكم في التوراة من نعت محمد ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾: ليخاصموكم واللام للصيرورة ﴿بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: في الآخرة ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٧٦: أنهم يحاجّونكم إذا حدّثتموهم فتنتهوا قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾: الاستفهام للتقرير والواو الداخل عليها للعطف ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ٧٧: ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك ﴿وَمِنْهُمْ﴾: أي اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾: عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾:

والافتراء هو الكذب الذي لا شكّ فيه. قوله: [للانكار] أي الاستبعادي. قوله: **[أي لا تطمعوا عبر بالطمع دون الرجاء]** إشارة إلى فقد أسباب الايمان منهم وعدم قابليتهم له. قوله: **[فلهم سابقة في الكفر]** أي كفر سابق قبل دعوة النبي ﷺ اياهم للايمان، وهذه الجملة علة لقوله لا تطمعوا.

قوله: ﴿وإذا لقوا﴾ شروع في ذكر الفرقة الثانية وهم المنافقون ورئيسهم عبد الله بن سلول. قوله: ﴿وإذا خلا﴾ شروع في الفرقة الثالثة وهم الموبخون للمنافقين. قوله: ﴿بما فتح الله عليكم﴾ ما اسم موصول وجملة فتح صلته والعائد محذوف، التقدير بالذي فتح الله عليكم به وما واقعة على اوصاف محمد ﷺ. قوله: **[من نعت محمد]** بيان لما. قوله: **[واللام للصيرورة]** أي عاقبة أمرهم أنهم يحاجونكم عند ربكم، والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها. قوله: **[في الأخرة]** إشارة إلى معنى العندية وهو متعلق بيحاجوكم. قوله: **[أنهم يحاجونكم]** أشار بذلك إلى مفعول تعقلون وأنه من كلام الرؤساء الذين لم ينافقوا. قوله: **[الاستفهام للتقرير]** أي على سبيل التوبيخ، حيث اعتقدوا أن المنافق يؤاخذ والكافر الاصلي لا حجة عليه وله عذر قائم عند ربه وهذه الجملة حالية. قوله: **[الداخل]** نعت سببي للواو فكان عليه أن يظهر فاعله ويقول، والواو الداخل الاستفهام عليها للعطف لوجود اللبس. قوله: **[للعطف]** أي على محذوف تقديره أيلومونهم ولا يعلمون، وتقدم أن هذا مذهب الزمخشري.

قوله: ﴿أن الله يعلم﴾ هذه الجملة سدت مسد مفعولي يعلمون إن كانت على بابها أو مفعولها إن كانت بمعنى يعرفون. قوله: **[فيرعووا]** أي فينكفوا وينزجروا وهو مرتب على قوله: ﴿أو لا يعلمون﴾ كما أن قوله فتنتهوا مرتب على قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾. قوله: ﴿ومنهم﴾ شروع في ذكر الفرقة الرابعة. قوله: ﴿أميون﴾ أي منسوبون للأم لعدم انتقالهم عن حقيقتهم الأصلية التي ولدتهم عليها، قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ والأمي هو من لا يقرأ ولا يكتب. قوله: ﴿إلا﴾ [لكن] ﴿أماني﴾ اشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والاماني جمع امنية

---

* أسباب نزول الآية ٧٦: قوله تعالى ﴿وإذا لقوا﴾ الآية أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم، فقال: يا إخوان القردة، ويا اخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت فقالوا من أخبر بهذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم، فنزلت الآية.

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه اليكم خاصة. (واذا خلا بعضهم إلى بعض) ـ قالوا أيحدث العرب بهذا؟ فانكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله: ﴿وإذا لقوا﴾ الآية. وأخرج عن السدي قال: نزلت في ناس من اليهود آمنوا، ثم نافقوا وكانوا يأتون المؤمنين من العرب بما تحدثوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا. نحن أحب الى الله منكم وأكرم على الله منكم.

أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿هُمْ﴾: في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ٧٨: ظناً ولا علم لهم ﴿فَوَيْلٌ﴾: شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: أي مختلقاً من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا وهم اليهود غيّروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ٧٩: من الرشا ﴿وَقَالُوا﴾: لما وعدهم النبي النار ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾: تصيبنا ﴿النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾: حذفت منه همزة الوصل إستغناء بهمزة الاستفهام

وهو ما يتمناه الشخص، ويطلق على القراءة وعلى الاكاذيب وهو المراد هنا قوله: [فاعتمدوها] أي ثبتوا عليها ورسخت في قلوبهم. قوله: [ما] ﴿هم﴾ اشار بذلك إلى أنّ إنْ نافية بمعنى ما، والغالب وقوعها بعد إلّا التي بمعنى لكن، وهل تعمل عمل ما الحجازية فتنصب الاسم وترفع الخبر، أو لا عمل لها فما بعدها مبتدأ وخبر خلاف بين الجمهور وسيبويه فاختار سيبويه الاول مستدلاً بقول الشاعر:

إنْ هو مستولياً على أحدٍ   إلّا على اضعف المجانين

واختار الجمهور الثاني. قوله: [ولا علم لهم] أي ليس عندهم جزم مطابق الواقع، وإنما أخّر الاميون لأنهم اقرب للايمان بخلاف من قبلهم فإنهم ضلوا واضلوا، افرأيت من اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم. قوله: ﴿فويل﴾ شروع في ذكر ما يستحقونه. قوله: [شدة عذاب] وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من حرّه. قوله: ﴿الكتاب﴾ أي المكتوب. قوله: ﴿بأيديهم﴾ دفع بذلك ما يتوهم انّ المراد املوه لغيرهم. قوله: ﴿ليشتروا﴾ علة لقوله يكتبون. قوله: [غيروا صفة النبي] أي من كونه ربعة جعد الشعر اكحل العينين، فغيروها وقالوا طويل سبط الشعر ازرق العينين. قوله: [وآية الرجم] أي فغيروها إلى الجلد. قوله: [وغيرهما] أي كقولهم: ﴿لن تمسنا النار إلا اياماً معدودة﴾ وكدعواهم أنهم من اهل الجنة. قوله: [من الرشا] بكسر الراء وبضمها جمع رشوة بتثليث الراء، وهو من باب تقديم السبب على المسبب لأنّ أخذ الرشوة سبب للتبديل. وقوله ﴿مما كتبت﴾ يحتمل أن ما اسم موصول وكتبت صلتها والعائد محذوف أي كتبته، ويحتمل أن ما مصدرية، التقدير من كتبهم وكذا قوله: ﴿مما يكسبون﴾ قوله: [أربعين يوماً] وقيل سبعة ايام، وقوله قليلة تفسير باللازم لمعدودة لأنّ معنى المعدودة التي يسهل عدها، وشأن القليلة سهولة عدها. قوله: [استغناء بهمزة الاستفهام] أي لأنه يحصل بها التوصل للنطق بالساكن مع إفادة المراد من الاستفهام، وفي أتخذتم قراءتان سبعيتان الاولى بالفك والثانية بالادغام، وطريقته أن تقلب الذال دالاً ثم تاء وتدغمها في التاء، وهذا الاستفهام يحتمل أن يكون تقريرياً فتكون الجملة انشائية وأم متصلة معادلة للهمزة التي لطلب التعيين، التقدير اتخذتم عند الله عهداً أم لم تتخذوا، ويحتمل أن يكون انكارياً بمعنى النفي فتكون الجملة خبرية وأم منقطعة بمعنى بل، التقدير لم

---

* أسباب نزول الآية ٧٩: قوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ أخرج النسائي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في أحبار اليهود وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة أجحل، أعين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه، فمحوه حسداً وبغياً، وقالوا نجده طويلا أزرق سبط السعر. قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار﴾ الآية، أخرج الطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك: ﴿وقالوا لن تمسنا النار﴾ إلى قوله ﴿فيها خالدون﴾. وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس أن اليهود قالوا لن ندخل النار إلا تحلة القسم الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة، فاذا انقضت انقطع عنا العذاب فنزلت الآية. وأخرج عن عكرمة وغيره.

﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾: ميثاقاً منه بذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾: به لا ﴿أَمْ﴾: بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٨٠
﴿بَلَىٰ﴾: تمسكم وتخلدون فيها ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: شركاً ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: بالإفراد والجمع أي
استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركاً ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ٨١: روعي
فيه معنى مَنْ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ وَ﴾ ٨٢: اذكر ﴿وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: في التوراة وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾: بالتاء والياء ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: خبر بمعنى النهي وقرىء لا
تعبدوا ﴿وَ﴾: أحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: براً ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابة عطف على الوالدين ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ

تتخذوا عند الله عهداً بل تقولون على الله ما لا تعلمون وهذا هو الأقرب ولذا اختاره المفسر. قوله: ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ هذه الجملة في محل جزم جواب الاستفهام، وقيل انها جواب شرط مقدر تقديره إن اتخذتم فلن يخلف الله ﴿عهده﴾ وقرن بالفاء لوجود لن في حيزه. قوله: [بل] ﴿تقولون﴾ أشار بذلك إلى أنها منقطعة والإضراب انتقالي.

قوله: ﴿بلى﴾ هو حرف جواب للنفي لكنه يصير اثباتاً، وأما نعم وجير وأجل وأي فلتقرير ما قبلها اثباتاً او نفياً.

قوله: [تمسكم] رد لقولهم لن تمسنا وقوله وتخلدون فيها رد لقولهم إلا أياماً معدودة. قوله: ﴿من كسب﴾ يحتمل أن تكون من شرطية وكسب فعل الشرط، وجوابه فأولئك اصحاب النار وأن تكون موصولة وكسب صلتها وقرن خبرها بالفاء لما في الموصول من معنى العموم، ولم يقرن خبر التي بعدها بالفاء إشارة الى أن خلود النار مسبب عن الكفر بخلاف خلود الجنة فلا يتسبب عن الايمان بل بمحض فضل الله، كذا قاله بعض الأشياخ. قوله: ﴿سيئة﴾ أصلها سيوئة اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء على حد ما قيل في سيد وميت. قوله: [بالافراد] أي باعتبار ذات الشرك، وقوله [والجمع] أي باعتبار انواعه. قوله: [واحدقت به من كل جانب] أي فلم يجد ملجأ للجنة لكفره. قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي واما من آمن ولم يعمل صالحاً غير الايمان فمخلد في الجنة أيضاً وتحت المشيئة في الابتداء، وقد جرت عادة الله في كتابه انه اذا ذكر آية الكفار وعاقبة امرهم يتبعها بذكر آية المؤمنين وعاقبة امرهم.

قوله: ﴿و﴾ [اذكر] أي يا محمد والمناسب للسياق اذكروا ويكون خطاباً لبني إسرائيل، الفروع تذكيراً لهم بقبائح أصولهم. قوله: [وقلنا] ﴿لا تعبدون﴾ قدر ذلك إشارة إلى أن جملة لا تعبدون في محل نصب مقول لقول محذوف، وذلك القول في محل نصب على الحال من فاعل أخذنا، والتقدير وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل حال كوننا قائلين لا تعبدون الخ، ويحتمل أن جملة لا تعبدون إلا الله مفسرة للميثاق لا محل لها من الاعراب ولا حذف وهو الأقرب. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان ولا التفات في ذلك على ما قرره المفسر من تقدير القول، وعلى الاحتمال الثاني ففيه التفات على قراءة التاء من الغيبة إلى الخطاب فان الاسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: [خبر بمعنى النهي] أي فهي جملة خبرية لفظاً لعدم جزم الفعل إنشائية معنى لأن القصد النهي عن عبادة غير الله! لا الاخبار عنهم بأنهم لا يعبدون غير الله، والحكمة في التعبير عن الانشاء بالخبر استبعاد ذلك منهم وتقوية للانشاء، كأنه قيل لا ينبغي أن تعبدوا غير الله حتى ننهاكم عنه، بل أخبر عنهم بأنهم لا يعبدون إلا الله كأنه لم يقع منهم عبادة لغيره أبداً. قوله [وقرىء] أي قراءة شاذة لأن قاعدة المفسر يشير للشاذة بقرىء وللسبعية بأي قراءة غالباً. قوله: [وأحسنوا] قدر ذلك إشارة إلى أنه من عطف الجمل على جملة لا تعبدون، وأتى بحق الوالدين عقب حق الله إشارة إلى انه آكد الحقوق بعد عبادة الله. قال تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ فانهما السبب في وجود الشخص ويجب برهما ولو كافرين، وبالجملة فلم يشدد الله على أمر

﴿وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾: قولاً ﴿حَسَناً﴾: من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد والرفق بهم وفي قراءةٍ بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن الوفاء به فيه التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ ٨٣: عنه كآبائكم ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: تريقونها بقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾: لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: قبلتم ذلك الميثاق

كتشديده على برهما. قوله: [عطف على الوالدين] أي من عطف المفردات، وأحسنوا مسلط عليه التقدير، واحسنوا بذي القربى لأن حق القرابة تابع لحق الوالدين والإحسان اليهم إنما هو بواسطتهما.

قوله: ﴿واليتامى﴾ جمع يتيم وهو من الآدميين من فقد أباه، ومن غيرهم من فقد أمه. قوله: ﴿والمساكين﴾ المراد ما يشمل الفقراء فان الفقير والمسكين متى اجتمعا افترقا ومتى افترقا اجتمعا. قوله: ﴿وقولوا الناس﴾ أي عموماً ومنه الحديث «وخالق الناس بخلق حسن». قوله: [قولا] ﴿حسنا﴾ أشار بذلك إلى أن حسنا بفتحتين صفة مشبهة لموصوف محذوف. قوله: [والنهي عن المنكر] أي على حسب مراتبه من النهي باليد ثم اللسان ثم القلب. قوله: [والرفق بهم] أي بالناس بأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية. قوله: [مصدر] أي على غير قياس إن كان فعله أحسن وهو المتبادر، وقياسي إن كان فعله حسن كظرف وكرم. قوله: [وصف به مبالغة] أي او على حذف مضاف على حد ما قيل في زيد عدل.

قوله: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي المفروضات عليهم في مثلهم، وما نزل بقارون من الخسف به وبداره سببه منع الزكاة. قوله: [فقبلتم ذلك] قدر ذلك لأجل العطف بثم عليه. قوله: [فيه التفات] وحكمته الاستلذاذ للسامع وعدم الملل منه، فإن الالتفات من المحسنات للكلام. قوله: ﴿إلا قليلا منكم﴾ أي من أجدادكم وهو من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ، أي ومنكم أيضاً وهو من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: ﴿وانتم معرضون﴾ خطاب للفروع ويلاحظ قوله ﴿إلا قليلا﴾ هنا كما علمت فتغاير معنى الجملتين فلا تكرار.

قوله: ﴿واذ أخذنا ميثاقكم﴾ المقدر اذكروا فهو خطاب لبني إسرائيل وهو معطوف على الجملة الأولى المتعلقة بحقوق الله، وهذه الجملة متعلقة بحقوق العباد، فخانوا كلاً من العهدين. وهي متضمنة لأربعة عهود: الاول لا يسفك بعضهم دماء بعض، الثاني لا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، الثالث لا يتظاهر بعضهم على بعض بالاثم والعدوان، الرابع ان وجد بعضهم بعضاً أسيراً فداه ولو بجميع ما يملك. قوله: ﴿ميثاقكم﴾ أي ميثاق آبائكم في التوراة، فإن هذا خطاب لقريظة وبني النضير الكائنين في زمن رسول الله ﷺ. قوله: [وقلنا] ﴿لا تسفكون﴾ قدر القول إشارة إلى أن الجملة في محل نصب مقول لقول محذوف، والجملة حالية من فاعل أخذنا، التقدير أخذنا ميثاقكم حال كوننا قائلين، ويحتمل أن الجملة لا محل لها من الاعراب تفسير للميثاق وتقدم ذلك في نظيره.

قوله: ﴿لا تسفكون﴾ مضارع سفك من باب ضرب وقتل أراق الدم أو الدمع. قوله: [بقتل بعضكم بعضاً] أشار بذلك إلى أنه من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، لأنه يلزم من القتل إراقة الدم غالباً والاضافة في دمائكم لأدنى ملابسة، فان دم الأخ كدم النفس أو باعتبار أن من قتل يقتل، أي فلا تتسببوا في قتل أنفسكم بقتلكم غيركم، وهنا حذف يعلم بما يأتي أي ظلماً وعدواناً. قوله: ﴿من دياركم﴾ أصله دوار وقعت الواو إثر كسرة قلبت ياء، وأسند الاخراج لأنفسهم مع أنهم يخرجون غيرهم، لأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله. قوله: ﴿ثم أقررتم﴾ لم يذكر هنا بقية العهود لأن عهد عدم

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾٨٤: على أنفسكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾: يا ﴿هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: بقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ﴾: فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء وفي قراءة بالتخفيف على حذفها تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ﴾: بالمعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ﴾: وفي قراءة أسرى ﴿تُفْدُوهُمْ﴾: وفي قراءة تفادوهم تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم ﴿وَهُوَ﴾: أي الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: متصل بقوله وتخرجون والجملة بينهما اعتراض أي كما حرم ترك الفداء وكانت قريظة حالفوا الأوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلوهم وتفدونهم قالوا: أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم فيقولون: حياء أن تستذل حلفاؤنا، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾: وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾: هوان وذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وقد خزوا بقتل قريظة

التظاهر بالإثم والعدوان ملاحظ في العهدين الأولين، أما الرابع فقد وفوا به فلم يعاتبهم الرب عليه. قوله: [على أنفسكم] أشار بذلك إلى أن الجملة مؤكدة لجملة ثم أقررتم لأن الشهادة على النفس هي الإقرار بعينه، ويحتمل أن قوله ثم أقررتم خطاب لبني إسرائيل الأصول، وقوله وأنتم تشهدون خطاب للفروع، فتغاير معنى الجملتين ولا تأكيد.

قوله: ﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ أنتم مبتدأ وجملة تقتلون خبره، وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر، قوله: ﴿تظاهرون﴾ في محل نصب على الحال من فاعل تخرجون وهو من باب الحذف من الأوائل لدلالة الأواخر، التقدير تقتلون أنفسكم متظاهرين وتخرجون فريقاً كذلك قوله: [في الأصل] أي بعد قلبها ظاء، قوله: [بالتخفيف] أي بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارعة، ولم تحذف التي للمضارعة لأنه أتي بها المعنى قوله: ﴿بالإثم﴾ يجمع على آثام قوله: [وفي قراءة اسرى] أي بالامالة وهي لحمزة وكل منهما جمع لأسير قوله: [وفي قراءة تفادوهم] الحاصل أن القراءات خمس أسرى بالامالة مع تفدوهم فقط أسارى بالامالة وعدمها مع تفدوهم وتفادوهم.

وقوله: [أي الشأن] ويقال ضمير القصة يفسره ما بعده، قال ابن هشام ويختص بخمسة اشياء كونه مفرداً فلو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخير مرجعه وكونه جملة ولا يعمل فيه إلا الابتداء أو الناسخ ولا يتبع.

قوله: ﴿محرم عليكم إخراجهم﴾ مبتدأ وخبر والجملة خبر ضمير الشأن ولم تحتج لرابط لأنها عين المبتدأ في المعنى. قوله: [والنضير] معطوف على قريظة والعامل فيه كانت، وقوله الخزرج معطوف على الأوس والعامل فيه حالفوا ففيه العطف على معمولي عاملين مختلفين قصداً للاختصار، ويحتمل ان الخزرج معمول لمحذوف التقدير حالفوا والحاصل أن الأوس والخزرج فرقتان في المدينة وهم الأنصار وكان بينهما عداوة ولم يرسل لهم نبي غير رسول الله، واما قريظة وبنو النضير فكانوا مكلفين بشريعة موسى وكانوا اذلاء، فاستعز قريظة بالأوس وبنو النضير بالخزرج، فكان اذا اقتتل الأوس مع الخزرج قاتل مع كل حلفاؤه، فإذا أسر حلفاء قريظة أسيراً من بني النضير افتداه قريظة وبالعكس فاذا سئلوا عن القتال أجابوا بأنهم قاتلوا خشية أن يستذل من استعزوا به، وعن الفداء أجابوا باننا أمرنا به.

قوله: ﴿أفتؤمنون﴾ أي تصدقون بالعمل به، قوله: [وقد خزوا] أصله خزيوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء والواو حذفت الياء لالتقاء الساكنين وقلبت كسرة الزاي ضمة لمناسبة الواو. قوله: [بقتل قريظة] أي حين دخل النبي المدينة وأسلم الأوس والخزرج، فغزاهم النبي وأصحابه إلى ان نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم

ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾⁸⁵: بالياء والتاء ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: بأن آثروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾⁸⁶: يمنعون منه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾: أي أتبعناهم رسولاً في أثر رسول ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾: تحب ﴿أَنفُسُكُمُ﴾: من الحق ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرِيقًا﴾: منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾⁸⁷: المضارع لحكاية الحال الماضية أي قتلتم كزكريا ويحيى

بقتل شجعانهم وسبي ذراريهم ونسائهم فقتل منهم سبعمائة، وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة. قوله: [ونفي النضير إلى الشام] أي مع كل واحد حمل بعير من طعام لا غير. قوله: [وضرب الجزية] أي على من بقي من قريظة وسكن خيبر، وعلى بني النضير بعد ذهابهم إلى الشام. قوله: ﴿يردون﴾ وقرئ شاذاً بالتاء. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بأن آثروها] بالمد بمعنى قدموها.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ شروع في ذكر نعم أخرى لبني إسرائيل قابلوها بقبائح عظيمة، وصدر الجملة بالقسم زيادة في الرد عليهم. قوله: ﴿وقفينا﴾ من التقفية وهي المشي خلف القفا أطلق، وأريد به مطلق الاتباع. قوله: ﴿من بعده﴾ يحتمل أن الضمير عائد على موسى أو الكتاب. قوله: [أي أتبعناهم رسولاً في أثر رسول] ظاهره أنه لا يجتمع رسولان في زمن واحد، وليس كذلك، فإن زكريا ويحيى كانا في زمن واحد، وكذا داود وسليمان، وورد أنهم قتلوا سبعين نبياً في يوم واحد وأقاموا سوقهم. وأجيب بأن المراد التبع في العمل بالتوراة، فكل الأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة بوحي من الله لا تقليداً لموسى، إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول أي أتبعنا بعضهم بعضاً في العمل بالتوراة كانوا في زمن واحد أو لا، وقوله بالرسل مراده ما يشمل الأنبياء وعدة الأنبياء والرسل الذين بين موسى وعيسى سبعون ألفاً وقيل أربعة آلاف.

قوله: ﴿وآتينا عيسى﴾ معطوف على آتينا موسى وخصه بالذكر، وإن كان داخلاً في قوله: ﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾ لعظم شرفه ومزيته، ولكونه رسولاً مستقلاً بشرع يخصه لأنه نسخ بعض ما في التوراة، وللرد على اليهود حيث ادعوا أنهم قتلوه، وعيسى لغة عبرانية معناه السبوح. قوله: ﴿ابن مريم﴾ معنى مريم خادمة الله، وفي اصطلاح العرب المرأة التي تكره مخالطة الرجال. قوله: ﴿البينات﴾ أل للعهد أي المعجزات المعهودة له. قوله: [وإبراء الأكمة] هو من ولد أعمى. قوله: [أي الروح المقدسة] أي المطهرة. قوله: [جبريل] وجه تسميته روحاً أن الروح جسم نوراني به حياة الأبدان، وجبريل جسم نوراني به حياة القلوب. قوله: [لطهارته] أي من المعاصي والمخالفات والأقذار، وقد مدحه الله بقوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ الآية. قوله: [يسير معه حيث سار] أي ولم يزل معه حتى رفعه إلى السماء.

قوله: [فلم تستقيموا] قدره المفسر لعطف قوله أفكلما جاءكم رسول عليه. قوله: ﴿بما لا تهوى﴾ ماضيه هوى من باب تعب وضرب، سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه إلى النار، وهو تذكير للفروع بقبائح أصولهم.

قوله: ﴿استكبرتم﴾ السين زائدة والتقدير تكبرتم كلما جاءكم رسول بالذي لا تحبه أنفسكم. قوله: [والمراد به التوبيخ] أي اللوم والتقريع عليهم. قوله: ﴿ففريقاً﴾ معمول لكذبتم وقدم مراعاة للفواصل، وقدم التكذيب على القتل مع أن القتل أشنع لأن التكذيب مبدأ القتل. قوله: [كعيسى] أي كذبوه ولم يتمكنوا من قتله بل رفعه الله إلى السماء.

﴿وَقَالُوا﴾: للنبي استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: جمع أغلف أي مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول قال تعالى: ﴿بَلْ﴾: للإضراب ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٨: ما زائدة لتأكيد القلة أي إيمانهم قليل جداً ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾: من التوراة هو القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾: قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يقولون: اللهمّ انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾: من الحق وهو بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾: حسداً وخوفاً على الرياسة وجواب لمّا الأولى دل عليه جواب الثانية ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ ٨٩ ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا﴾: باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: أي حظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئاً تمييز لفاعل

قوله: [المضارع لحكاية الحال الماضية] أي فنزل وقوعه منهم فيما مضى منزلة وقوعه الآن استعظاماً له. قوله: [كزكريا] أي حيث نشروه حين هرب منهم وأوى إلى شجرة أثل فانفتحت له ودخلها. قوله: [ويحيى] أي قتلوه من أجل امرأة فاجرة، أراد محرمها التزوج بها فمنعه من ذلك.

قوله: ﴿وقالوا﴾ أي الموجودون في زمن النبي ﷺ. قوله: [أي مغشاة بأغطية] أي حسّية. قوله: ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾ المراد بالقلة الاستبعاد أي فإيمانهم مستبعد لطرد الله إياهم عن رحمته وسبق شقاوتهم، ويحتمل أن تبقى القلة على بابها، أي فمن آمن منهم قليل كعبد الله بن سلام وأضرابه، ويحتمل أن القلة باعتبار الزمن أي أن الزمن الذي يؤمنون فيه قليل جداً، قال تعالى: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره﴾.

قوله: ﴿ولما جاءهم كتاب﴾ هذه الجملة من تعلقات الجملة التي قبلها، وكل منهما حكاية عن اليهود الذين كانوا في زمنه ﷺ، وقوله من عند الله صفة أولى لكتاب، وقوله مصدق صفة ثانية له وجملة وكانوا من قبل حال من الضمير في جاءهم. قوله: ﴿من قبل﴾ مبني على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه. قوله: [يستنصرون] السين والتاء للطلب. قوله: [وهو بعثة النبي] في الحقيقة بعثة النبي والكتاب. قوله: [دل عليه جواب الثانية] أي والأصل ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كفروا بذلك الكتاب وكانوا يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا وهو النبي الكريم كفروا به، فبين الجملتين تغاير لفظاً وإن كان بينهما تلازم معنى. قوله: ﴿بئسما اشتروا﴾ الخ، بئس فعل ماض لإنشاء الذم وفاعلها مستتر فيه وجوباً تقديره هو يعود على الشيء، يفسره قوله ما اشتروا فما تمييز لذلك الفاعل وما بعدها صفة لها، وإن يكفروا في تأويل مصدر المخصوص بالذم وهو يعرب مبتدأ والجملة التي قبله خبر عنه أو خبر لمبتدأ محذوف، قال ابن مالك:

---

* أسباب نزول الآية ٨٩: قوله تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون﴾ الآية. أخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن ابن عباس قال (كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزموا يهود. فعاذت يهود بهذا الدعاء: اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم، فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان فلما بعث النبي عليه الصلاة والسلام كفروا به، فأنزل الله ﴿وكانوا من قبل يستفتحون﴾ بك يا محمد على الكافرين.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة: يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بني نضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ الآية.

بئس والمخصوص بالذم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾: أي كفرهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾: من القرآن ﴿بَغْياً﴾: مفعول له ليكفروا أي حسداً على ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا﴾: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾: من الله بكفرهم بما أنزل والتنكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾: استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ٩٠: ذو إهانة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾: القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾: أي التوراة، قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾: سواه أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: حال ﴿مُصَدِّقاً﴾: حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ﴾: لهم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾: أي قتلتم ﴿أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٩١: بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين في زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات كالعصا واليد

ويعرب المخصوص بعد مبتدا أو خبر اسم ليس يبدو أبدا

قوله: [من القرآن] بيان لما. قوله: [مفعول له ليكفروا] أي مفعول لأجله والعامل فيه يكفروا. قوله: على أن ﴿ينزل الله﴾ المعنى كفرهم بما أنزل الله حسداً على إنزال الله من فضله، وذلك بمعنى قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾. قوله: [الوحي] قدره إشارة إلى أن مفعول ينزل محذوف. قوله: ﴿على من يشاء﴾ مفعول يشاء محذوف التقدير يشاؤه. قوله: [بكفرهم] الباء يصح أن تكون للتعدية وللسببية والتنكير للتعظيم أي في قوله غضب على حد شر أهر ذا ناب. قوله: [والكفر بعيسى] أي ثم الكفر بمحمد وما جاء به، فقد آمنوا بموسى ثم كفروا به وضيعوا التوراة، فلما جاءهم عيسى آمنوا به ثم كفروا به، فلما جاءهم محمد كفروا به، وازدادوا كفراً. قوله: ﴿عذاب مهين﴾ أصله مهون نقلت كسرة الواو إلى الهاء فوقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء. قوله: [ذو إهانة] أي هوان وذل ولا يوصف بذلك إلا عذاب الكافرين، وأما ما يقع للعصاة في الدنيا من المصائب وفي الآخرة من دخول النار فهو تطهير لهم. قوله: ﴿بما وراءه﴾ يطلق بمعنى سوى وبمعنى بعد وبمعنى أمام اقتصر المفسر على الأولين. قوله: [من القرآن] أي والانجيل.

قوله: ﴿وهو الحق﴾ حال من ما. قوله: [مؤكدة] أي لمضمون الجملة قبلها على حد زيد أبوك عطوفاً. وقوله [ثانية] أي في التأكيد وإلا فهي ثالثة. قوله: ﴿فلم تقتلون﴾ ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها باللام، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بالتوراة فلأي شيء تقتلون أنبياء الله. قوله: [أي قتلتم] أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وإنما عبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية. قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ جواب إن محذوف دل عليه المذكور، فقد حذف من الجملة الأولى أداة الشرط وفعلها ومن الثانية الجواب فهو احتباك، وقيل إن نافية بمعنى ما نتيجة الشرط المقدر. قوله: [بما فعل آباؤهم] الحاصل أنه أقيمت الحجة عليهم مرتين، الأولى دعواكم الإيمان بالتوراة كذبه لكفرهم بالقرآن، فإن الكافر بأي كتاب كافر بالجميع، وعلى تسليم هذه الدعوى فهي كذب من جهة أخرى وهي قتل الأنبياء، فلو كنتم مؤمنين بالتوراة لانتهيتم عما نهاكم الله عنه، فإنه نهاكم فيها عن قتل الأنبياء. قوله: [لرضاهم به] جواب عما يقال إن ذلك فيمن قتل الأنبياء، وأما هؤلاء فلم يقع منهم ذلك، فأجاب بأن الرضا بالكفر كفر، وقد يقال إنهم مصرون على قتل رسول الله ﷺ، وقد تسببوا في ذلك مراراً.

قوله: ﴿ولقد جاءكم موسى﴾ هذا أيضاً من جملة قبائح بني إسرائيل. قوله: [كالعصا] دخل تحت الكاف باقي

وفلق البحر ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٩٢: باتخاذه ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: على العمل بما في التوراة ﴿وَ﴾: قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بجد واجتهاد ﴿وَٱسْمَعُوا﴾: ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾: أي خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾: لهم ﴿بِئْسَمَا﴾: شيئاً ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾: بالتوراة عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٩٣: بها كما زعمتم. المعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد آباؤهم أي فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً والإيمان بها لا يأمركم بتكذيبه ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾: أي الجنة ﴿عِنْدَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾: خاصة ﴿مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ﴾: كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٩٤: تعلق بتمنيه الشرطان على أن الأول قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنها لكم ومن كانت

التسع وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والطمس. قوله: [إلهاً] قدره إشارة إلى مفعول اتخذتم. قوله: ﴿وأنتم ظالمون﴾ أي كافرون. قوله: [ليسقط عليكم] علة لقوله رفعنا أي رفعناه لأجل السقوط عليكم إن لم تمتثلوا. قوله: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ الجملة حالية على حذف مضافين أي حب عبادة العجل، وفي الكلام استعارة بالكناية وتقريرها أن تقول شبه حب عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ بجامع الامتزاج في كل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإشراب فإثباته تخييل ولم يعتبر بالأكل لأنه ليس فيه شدة مخالطة. قوله: [كما يخالط الشراب] أي خلال القلوب والأبدان فمفعول يخالط محذوف. قوله: [شيئاً] أشار بذلك إلى أن ما نكرة بمعنى شيء مفسرة لفاعل بئس، وقوله: ﴿يأمركم﴾ صفة لما و﴿إيمانكم﴾ فاعل يأمر، وقوله: [عبادة العجل] هو المخصوص بالذم قدره المفسر وهذا من جملة التشنيع عليهم، أي أنتم ادعيتم الإيمان بالتوراة ثم رأيناكم قد عبدتم العجل، فان كان إيمانكم بها أمركم وحملكم على عبادته فبئس إيمانكم وما يأمركم به فإنه كفر لا إيمان، وقوله بالتوراة إن قلت إن عبادة العجل متقدمة على التوراة، أجيب بأن موسى كان يأمرهم بالتوحيد وهو موافق لما في التوراة.

قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يحتمل أن إن شرطية وكنتم فعل الشرط وجوابه محذوف دل عليه قوله: ﴿بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ ويحتمل أنها نافية نتيجة قوله: ﴿بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ وكلام المفسر يحتملهما. قوله: [المعنى الخ] إشارة إلى قياس حملي من الشكل الأول، وتقريره أن تقول اعتقادكم يأمركم بعبادة العجل، وكل اعتقاد يأمر بعبادة العجل فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر. قوله: [أي فكذلك أنتم الخ] أشار بذلك إلى قياس آخر تقريره أن تقول اعتقادكم يأمركم بتكذيب محمد، وكل اعتقاد يأمر بذلك فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر.

قوله: ﴿إن كانت لكم الدار الآخرة الخ﴾ في هذه الآية أعاريب منها أن الدار اسم كانت ولكم جار ومجرور خبرها وعند الله ظرف وخالصة حال، ومنها أن الخبر قوله خالصة وعند الله ظرف على كل حال، ومنها أن الخبر هو الظرف وخالصة حال. قوله: [تعلق بتمنيه الشرطان] في العبارة قلب والأصل تعلق تمنيه بالشرطين لأن تمنوا هو الجواب وهو متعلق بالشرطين. قوله: [قيد في الثاني] حاصله أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيداً في الثاني بمعنى أنه من تمام معناه ويكون الجواب لذلك الثاني، فتقدير الآية إن كنتم صادقين في زعمكم أن الدار الآخرة لكم

---

* أسباب نزول الآية ٩٤: قوله تعالى: ﴿قل ان كانت لكم الدار الآخرة﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فأنزل الله ﴿قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة﴾ الآية.

له يؤثرها والموصل إليها الموت فتمنوه ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٩٥: الكافرين فيجازيهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾: لام قسم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَ﴾: أحرص ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: المنكرين للبعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: لو مصدرية بمعنى أن وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول يود ﴿وَمَا هُوَ﴾: أي أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾: مبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾: النار ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: فاعل مزحزحه أي تعميره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٦: بالياء والتاء فيجازيهم. وسأل ابن صوريا النبي أو عمر عمن يأتي بالوحي من الملائكة فقال: جبريل فقال: هو عدونا يأتي بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتي بالخصب والسلم فنزل ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾: فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾: أي القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾: بأمر ﴿اللَّهِ﴾

خاصة فتمنوا الموت، وقيل إن الجواب للأول وجواب الثاني محذوف دل عليه جواب الأول. قوله: [أي ان صدقتم] إشارة إلى الشرط الثاني، وقوله انها لكم إشارة للأول. قوله: [يؤثرها] أي يقدمها ويختارها. قوله: ﴿بما قدمت﴾ الباء سببية وما يحتمل أنها اسم موصول وقدمت صلته والعائد محذوف أي قدمته، ويحتمل أنها نكرة موصوفة والعائد محذوف على كل حال، والحكمة في الاتيان هنا بلن وفي الجمعة بلا أن ادعاءهم هنا أعظم من ادعائهم هناك، فانهم ادعوا هنا اختصاصهم بالجنة وهناك كونهم أولياء لله من دون الناس، فلا تفيد اختصاصهم بالجنة، فناسب هنا التوكيد بلن وهناك بلا.

قوله: ﴿ولتجدنهم﴾ عطف على قوله ولن يتمنوه من عطف اللازم على الملزوم. قوله: ﴿أحرص﴾ مفعول ثان لتجدنهم حيث كانت بمعنى علم، وأما إن كانت بمعنى أصاب أو صادف نصبت مفعولا واحداً فيكون أحرص حالا. قوله: ﴿وأحرص من الذين أشركوا﴾ من عطف الخاص على العام زيادة في التقبيح عليهم ودفعاً لتوهم أن المشركين أحرص منهم. قوله: ﴿لو مصدرية﴾ أي ولا تنصب الفعل فهي سابكة فقط. قوله: ﴿وما هو﴾ يحتمل أن ما حجازية وهو اسمها وبمزحزحه خبرها، وأن يعمر فاعل مزحزحه وأن ما تميمية وهو مبتدأ وبمزحزحه خبره وأن يعمر فاعله على كل حال. قوله: [أي أحدهم الخ] وقيل إن هو ضمير شأن ورد بأن ضمير الشأن يفسر بجملة وهنا ليس كذلك. قوله: [بالياء والتاء] ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء عشرية، واختلف فيما زاد على السبعة هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها أم بالشواذ فيمتنعان والمعتمد الأول.

قوله: [وسأل ابن صوريا الخ] أشار بذلك إلى سبب نزول الآية، وابن صوريا اسمه عبد الله وكان من أحبار اليهود. قوله: [أو عمر] أشار بذلك إلى تنويع الخلاف، فإن عمر كان له أرض بالعوالي وكان يمر على مدارسهم ليختبر صفات محمد من كتبهم، فقالوا يا عمر لقد أحببناك فقال والله ما أحبكم وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد، فسأله ابن صوريا عمن يأتي بالوحي لمحمد فقال هو جبريل، فقال: هو عدونا الخ، فأخبر النبي بذلك فنزلت الآية. قوله: [فقال] أي المسؤول وهو النبي أو عمر. قوله: [يأتي بالعذاب] أي كالصواعق والخسف والمسخ. قوله: [بالخصب] بكسر الخاء أي الرخاء. قوله: [والسلم] أي الصلح. قوله: [فليمت غيظاً] جواب لاسم الشرط الذي هو من وهو مبتدأ خبره قيل فعل الشرط وقيل جوابه وقيل هما، وأما قوله تعالى: ﴿فإنه نزله﴾ فلا يصح أن يكون جواباً للشرط لمانعين الأول عدم الرابط والثاني عدم تسبب الجواب عن الشرط، وقوله لجبريل الصحيح أنه اسم أعجمي علم على رئيس الملائكة فلا اشتقاق فيه ولا تصرف، وقيل مشتق من الجبروت وهو عالم الأسرار، وقيل مركب إضافي وقيل مزجي

﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾: من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾: بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٩٧ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾: بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه بياء ودونها ﴿وَمِيكَالَ﴾: عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفي قراءة ميكائيل بهمز وياء وفي أخرى بلا ياء ﴿فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ٩٨: أوقعه موقع لهم بياناً لحالهم ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: أي واضحات حال ردّ لقول ابن صوريا للنبي ما جئتنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ٩٩: كفروا بها ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾: الله

والصحيح الأول، وورد عن ابن عباس أن جبر معناه عبد وإيل معناه الله، وميكا معناه عبد إيل معناه الله. قوله: ﴿فإنه﴾ أي جبريل. قوله: [أي القرآن] وقيل الوحي أعم من أن يكون قرآناً أو غيره. قوله: ﴿على قلبك﴾ عبّر بعلى إشارة لتمكنه وانصبابه ورسوخه، فإن الشيء إذا صبّ من أعلى لأسفل رسخ وثبت. قوله: ﴿بأمر الله﴾ أشار بذلك إلى أن المراد بالإذن الأمر لا العلم. قوله: ﴿مصدقاً﴾ حال من الضمير في نزله وكذلك قوله: ﴿هدى وبشرى﴾. قوله: [بالجنة] أي وما فيها من النعيم ورؤية وجه الله الكريم. قوله: ﴿للمؤمنين﴾ أي ونذير للكافرين بالنار، وهذا رد أول لكلام ابن صوريا، حاصله أن جبريل لا اختيار له في إنزال العذاب ولا في إنزال القرآن.

قوله: ﴿من كان عدواً لله﴾ قدّم لأنه المنشىء للأشياء جميعها، وثنّى بالملائكة لأنهم المرسلون من حضرته، وثلّث بالرسل لنزول الملائكة عليهم. قوله: ﴿وجبريل﴾ خصّ هو وميكائيل زيادة في التشنيع عليهم ولأن حياة الأرواح والأشباح بواسطتهما وتنبيهاً على أن عداوتهما خسران وضلال. قوله: [بكسر الجيم] أي على وزن قنديل. قوله: [وفتحها] أي على وزن شمويل. قوله: [وبه بياء ودونها] هذا في المفتوح وهو على وزن سلسبيل وجحمرش، فجملة القراءات السبعية أربعة وهي من جملة لغات أنهاها بعضهم لثلاث عشرة، خامسها فتح الجيم مع الهمزة واللام مشددة على أنها اسم من أسماء الله، وفي بعض التفاسير لا يرقبون في مؤمن إلا أي الله، سادسها فتح الجيم والف بعد الراء وهمزة مكسورة بعدها، سابعها مثلها إلا أنها بياء بعد الهمزة، ثامنها فتح الجيم وياءان بعد الألف من غير همزة، تاسعها فتح الجيم وألف بعد الراء ولام، عاشرها فتح الجيم وياء بعد الراء مكسورة ولام، حادي عشرها فتح الجيم وياء بعد الراء ونون، ثاني عشرها كذلك إلا أنها بكسر الجيم، ثالث عشرها فتح الجيم والف بعد الراء وهمزة وياء ونون وأكثرها قرىء به شاذاً. قوله: [من عطف الخاص على العام] والنكتة شرفهما وعظمهما وكون النزاع فيهما. قوله: [وفي أخرى بلا ياء] فتكون القراءات السبعية ثلاثاً بالهمزة والياء معاً وبإسقاط الياء فقط وبإسقاطهما وهي من جملة لغاته السبع، رابعها مثل ميكعيل، خامسها كذلك إلا أنه لا ياء بعد الهمزة مثل ميكعل، سادسها بياءين بعد الألف سابعها بهمزة مفتوحة بعد الألف وقرىء بالجميع شاذاً.

قوله: ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾ هذا هو جواب الشرط، والرابط موجود وهو الاسم الظاهر لقيامه مقام الضمير وقيل الرابط العموم. قوله: [بياناً لحالهم] أي ولزيادة التقبيح عليهم، والمراد بعداوتهم لله خروجهم عن طاعته وعدم امتثالهم أمره. قوله: [حال] المناسب أن يقول صفة لأن الحال لا يكون من النكرة إلا إذا وجد لها مسوغ. قوله: ﴿إلا الفاسقون﴾ أي الكافرون. قوله: ﴿أ﴾ [كفروا بها] أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف وهو أحد احتمالين تقدما.

---

* أسباب نزول الآية ٩٩: قوله تعالى ﴿ولقد أنزلنا اليك﴾ الآيتين أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد او عكرمة عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فأنزل الله في ذلك ﴿ولقد انزلنا اليك آيات بينات﴾ الآية. وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله ﷺ وذكر ما اخذ عليهم من الميثاق وما عهد عليهم من الميثاق وما عهد اليهم في محمد، والله ما عهد الينا في محمد، ولا أخذ علينا ميثاقاً، فأنزل الله تعالى: ﴿او كلما عاهدوا﴾ الآية.

﴿عَهْداً﴾: على الإيمان بالنبيّ إنْ خرج أو النبي أنْ لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَبَذَهُ﴾: طرحه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: بنقضه جواب كلما وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿بَلْ﴾: للانتقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠٠ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: أي التوراة ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٠١: ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله ﴿وَاتَّبَعُوا﴾: عطف على نبذ ﴿مَا تَتْلُوا﴾: أي تلت ﴿الشَّيَاطِينُ عَلَى﴾: عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾: من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه

قوله: ﴿عاهدوا﴾ [الله] قدّر المفسّر لفظ الجلالة إشارة إلى أنّ عاهدوا بمعنى أعطوا، فالله مفعول أول وعهداً مفعول ثانٍ. قوله: [على الإيمان بالنبي] أي فالعهد مأخوذ عليهم قديماً في كتبهم وعلى أنبيائهم. قوله: [أو النبي] إشارة إلى تفسير ثانٍ فقد كانوا يأتون النبي ويقولون له إن كنت نبياً فائت لنا بكذا، فيقيم عليهم الحجة فيعاهدونه أن لا يعاونوا عليه المشركين ثم ينقضونه. قوله: [بنقضه] الباء سببية. قوله: ﴿أكثرهم لا يؤمنون﴾ دفع بذلك ما يتوهم من قوله فريق أن الفريق يصدق بالقليل والكثير، فيتوهم أن المراد القليل فدفع ذلك بقوله بل أكثرهم الخ، وهو إما من عطف الجمل أو المفردات، فعلى الأول جملة أكثرهم لا يؤمنون معطوفة على جملة نبذه فريق منهم، وعلى الثاني أكثرهم معطوف على طريق الإشارة إلى أنّ النابذ للعهد أكثرهم، وقوله لا يؤمنون إخبار عنهم بعدم الإيمان لرسوخ الشرك في قلوبهم.

قوله: ﴿ولما جاءهم رسول﴾ هذا من جملة التشنيع على بني إسرائيل. قوله: ﴿لما معهم﴾ أي التوراة والمعنى أنّ رسول الله ﷺ جاء بإثبات التوراة وأنها من عند الله، فكان مقتضى ذلك اتباعه والعمل بشريعته، ولكن الله طمس على قلوبهم وسمعهم وابصارهم. قوله: ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ صفة لفريق وأوتوا ينصب مفعولين نائب الفاعل الذي هو الواو مفعول أول والكتاب مفعول ثان، وقوله ﴿كتاب الله﴾ مفعول لنبذ وهو بمعنى طرح. قوله: [أي لم يعملوا بما فيها] أشار بذلك إلى أن قوله وراء ظهورهم ليس على حقيقته بل هو كناية عن عدم العمل بما في التوراة، وإلا فهم يعظمونها إلى الآن. قوله: [من أنه نبي حقاً] إشارة إلى مفعول يعلمون، والمعنى أنهم أنكروا صفة رسول الله وبدلوها ولم يذعنوا للأحكام التي في التوراة كأنهم جاهلون بها مع أنهم عالمون بها. قوله: [عطف على نبذ] استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿اتبعوا﴾ لا يصلح أن يكون جواباً لعدم ترتبه على الشرط لأنه سابق على بعثة رسول الله، فالأحسن عطفه على جملة ولما جاءهم رسول بيان لسوء حالهم. قوله: [أي تلت] أشار بذلك إلى أنّ المضارع بمعنى الماضي لأنّ السماء محفوظة من استراقهم السمع من بعثة رسول الله وتلت بمعنى قرأت أو كذبت. قوله: [على عهد] على بمعنى في وعهد بمعنى زمن التقدير واتبعوا ما تلت الشياطين في زمن ملك سليمان، ويحتمل أن تتلو بمعنى تتقول وعلى على بابها ومتعلقها محذوف تقديره على الله، فيصير المعنى واتبعوا ما تتقوله الشياطين على الله زمن ملك سليمان، وقوله [من السحر] بيان لما وعائد الموصول محذوف تقديره تتلوه. قوله: [أو كانت تسترق السمع] أو لتنويع الخلاف لأنه اختلف في الذي اتبعته اليهود، فقيل هو السحر الذي وضعته الشياطين تحت كرسيه لما نزع ملكه، وسبب

---

* أسباب نزول الآية ١٠٢: قوله تعالى ﴿واتبعوا ما تتلو﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: قالت اليهود ـ انظروا الى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء. افما كان ساحراً يركب الريح، فأنزل الله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾ الآية. واخرج ابن ابي حاتم عن ابي العالية ان اليهود سألوا النبي ﷺ زماناً عن امور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا انزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل الينا منا، وانهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾.

إلى الكهنة فيدوّنونه وفشا ذلك وشاع أن الجنّ تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم، قال تعالى: تبرئة لسليمان وردًا على اليهود في قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾: أي لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾: الجملة حال من ضمير كفروا ﴿وَ﴾: يعلّمونهم ﴿مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾: أي ألهماه من السحر، وقرىء بكسر اللام الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾: بلد في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾: بدل أو عطف بيان للملكين قال ابن عباس: هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل: ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ

ذلك أن امرأة من نساء سليمان سجدت لصنم أربعين يوماً فعاتبه الله بنزع ملكه تلك المدة، وسبب عزلة أنه كان خاتمه الذي نزل به آدم من الجنة يضعه إذا دخل الخلاء عند امرأة من نسائه تسمى الأمينة، وكان كل من لبسه يملك الدنيا بما فيها، فوضعه عندها مرة فجاءها شيطان يسمى صخر المارد، وتشكل بشكل سليمان وطلب الخاتم فأعطته له، ثم أتى الكرسي وجلس عليه أربعين يوماً فجمعت الشياطين كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه، ثم لما انقضت المدة وجاء الأمر بتولية سليمان ثانياً طار الشيطان فوقع الخاتم في البحر فحملته دابة من دواب الماء وأتته به، فأمر سليمان الشياطين أن يأتوا بصخر المارد فأتوه به، فأمرهم أن يفتحوا صخرة ففعلوا ثم أمرهم أن يضعوه فيها ويسدوا عليه بالرصاص والنحاس ويرموه في قعر البحر الملح ففعلوا فلمّا مات سليمان دلت الشياطين على تلك الكتب المدفونة الناس، وقيل إنه مما استرقته الشياطين من السماء، فكان الشيطان يسمع الكلمة الصدق ويضع عليها تسعة وتسعين كذبة ويلقيها إلى الكهنة، إلى آخر ما قال المفسر. قوله: [دلت الشياطين] المراد الجنس لأن الذي دل شيطان منهم. قوله: [لأنه كفر] أي في شرعه وأما في شرعنا ففيه تفصيل، فإن اعتقد صحته وأنه يؤثر بنفسه فهو كفر، وأما إن تعلمه ليسحر به الناس فهو حرام، وإن كان لا لشيء فمكروه، وإن كان ليبطل به السحر فجائز، وعرفه ابن العربي بأنه كلام مؤلف يعظم به غير الله وتنسب له المقادير، فعليه هو كفر حتى في شرعنا، وعبارة الغزالي تفيد ما قاله ابن العربي. قوله: ﴿يعلمون الناس﴾ إما بدل من كفروا بدل فعل من فعل على حد إن تصل تسجد لله يرحمك، أو خبر بعد خبر أو جملة مستأنفة أو حال من الشياطين أو حال من الواو في كفروا، فهذه خمس احتمالات اختار المفسر آخرها. قوله: [ويعلمونهم] ﴿ما أنزل﴾ أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول معطوف على السحر من عطف الخاص على العام، والنكتة قوة ما أنزل على الملكين وصعوبته ويحتمل أنه مغاير، وأن ما أنزل على الملكين وإن كان سحراً إلا أنه نوع آخر منه غير متعارف بين الناس. قوله: [وقرىء] أي قراءة شاذة وفيها دليل لمن يقول إنهما ليسا ملكين حقيقيين وإنما هما رجلان صالحان، وسميا بذلك لحسنهما وصلاحهما على حد ما قيل في يوسف ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾. قوله: [الكائنين] قدره إشارة إلى أن ببابل جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة للملكين.

قوله: ﴿ببابل﴾ ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث أو العجمة مأخوذ من البلبلة لأن أهلها يتكلمون بثمانين لغة، وأول من اختطها نوح وسماها ثمانين. قوله: ﴿هاروت وماروت﴾ هما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة، ويجمعان على هواريت ومواريت، أو على هوارية وموارية مأخوذان من الهرت والمرت وهو الكسر، ولكن حيث قلنا إنهما أعجميان فلا يتصرف فيهما أحد ولا يعلم لهما اشتقاق. قوله: [هما ساحران] قدم هذا القول إشارة لقوته وأنهما رجلان ساحران وليسا بملكين. قوله: [ابتلاء من الله] أي اختباراً وامتحاناً، وقصة هاروت وماروت على القول بثبوتها، أن الملائكة لما رأوا أعمال بني آدم الخبيثة تصعد إلى السماء قالوا سبحانك يا ربنا خلقت خلقاً وأكرمتهم وهم

مِنْ﴾: زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾: له نصحاً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه، فإن أبى إلا التعليم علّماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾: بأن يبغض كلا إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾: أي السحرة ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾: بالسحر ﴿مِنْ﴾: زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾: في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾: لام قسم ﴿عَلِمُوا﴾: أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾: لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة ﴿اشْتَرَاهُ﴾: اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾: شيئاً ﴿شَرَوْا﴾: باعوا ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾: أي الشارين أي حظها من الآخرة إن تعلموه حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ١٠٢: حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾: أي اليهود ﴿آمَنُوا﴾: بالنبي والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾: عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وجواب لو محذوف أي لأثيبوا دلّ عليه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: ثواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ﴿مِنْ

يعصونك، فقال الله تعالى لهم لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم فعلهم، فقالوا سبحانك لا نعصيك أبداً، فقال: اختاروا لكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلحهم، فركب الله فيهما الشهوة وأمرهما بالهبوط إلى الأرض والحكم بين الناس بالحق، ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا وشرب الخمر، وعلمهما الله الاسم الأعظم، فكان إذا أمسى الوقت صعدا به إلى السماء، ثم إنه جاءت اليهما امرأة تسمى الزهرة وكانت جميلة جداً، فلما وقع نظرهما عليها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت إلا أن يحكما لها على زوجها ففعلا، فراوداها فأبت إلا أن يقتلا ففعلا، ثم راوداها فأبت إلا أن يشربا الخمر ففعلا، ثم راوداها فأبت إلا أن يسجدا للصنم ففعلا، ثم راوداها فأبت إلا أن يعلماها الاسم الذي يصعدان به إلى السماء ففعلا، فتلته فصعدت به إلى السماء فمسخها الله كوكباً فهي الزهرة المعروفة، فلما علما ذلك أرادا تلاوة الاسم الاعظم فلم تطاوعهما أجنحتهما، فذهبا إلى إدريس وسألاه أن يشفع لهما عند الله ففعل ذلك، فخيرهما الله بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا لعلمهما بانقطاعه، فهما ببابل معلقان بشعورهما يضربان بسياط من حديد الى يوم القيامة، مزرقة أعينهما مسودة جلودهما، وما زالا يعلمان الناس السحر، وقد اختلف في صحة هذه القصة وعدمها، فاختار الحافظ ابن حجر الأول لورودها من عدة طرق عن الإمام أحمد بن حنبل، واختار البيضاوي ومن تبعه الثاني لأنه لم تثبت روايتها إلا عن اليهود. قوله: [فمن تعلمه كفر] أي إن اعتقد صحته وتأثيره.

قوله: ﴿فيتعلمون منهما﴾ معطوف على وما يعلمان من أحد إن قلت إن الأول منفي والثاني مثبت وكيف يصح عطف المثبت على المنفي، أجيب بأنه في المعنى مثبت التقدير ويعلمون الناس السحر قائلين لهم إنما نحن فتنة فلا تكفر. قوله: ﴿وما هم الخ﴾ يحتمل أن ما حجازية وهم اسمها وبضارين خبرها والباء زائدة في خبرها، ويحتمل أنها تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر والباء زائدة في خبر المبتدأ. قوله: [أي اليهود] أي جميعهم لأنهم علموا ذلك في التوراة. قوله: [ومن موصولة] أي وهي مبتدأ واشتراه صلتها وجملة ما له في الآخرة الخ خبرها والجملة منها ومن خبرها سادة مسد مفعولي علم. قوله: [باعوا] أشار بذلك إلى أنه يطلق الشراء على البيع، قال تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس﴾.

قوله: [أن تعلموه] أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر هو المخصوص بالذم وقوله حيث أوجب لهم النار حيث تعليلية.

قوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لا منافاة بينه وبين قوله ولقد علموا الخ لأنهم علموا أنهم ليس لهم نصيب في الآخرة، ولكن لم يعلموا أنهم لا يفلتون من العذاب الدائم.

﴿عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾: خبره مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠٣: أنه خير لما آثروه عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟﴾: للنبي ﴿رَٰعِنَا﴾: أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهي بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبي فنهي المؤمنون عنها ﴿وَقُولُوا۟﴾: بدلها ﴿ٱنظُرْنَا﴾: أي انظر إلينا ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾: ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٠٤: مؤلم هو النار ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: من العرب عطف على أهل الكتاب ومن للبيان ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ﴾: زائدة ﴿خَيْرٍ﴾: وحي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حسداً لكم ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾: نبوته ﴿مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ١٠٥: ولما طعن

قوله: ﴿من عند الله﴾ صفة لمثوبة وأصلها مثوبة بوزن مفعلة نقلت ضمة الواو إلى الثاء. قوله: [لما آثروه عليه] أي لما قدموا السحر على ما عند الله، وهو إشارة إلى جواب لو. قوله: ﴿راعنا﴾ أي اشملنا بنظرك ليفتح الله علينا، لأنهم كانوا يقولونها عند سماعهم الوحي منه. قوله: [أمر من المراعاة] أي وهي المبالغة في الرعي وحفظ الغير. قوله: [سب من الرعونة] أي الحمق والجهل وقلة العقل أو معناها اسمع لا سمعت وعليه فهي عبرانية أو سريانية وعلى ما قاله المفسر فهي عربية، روي أن سعد بن معاذ رضي الله عنه سمع اليهود يقولونها لرسول الله، فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه، قالوا أو لستم تقولونها، فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعاً لألسنة اليهود عن التدليس وأمروا بما في معناها ولا يقبل التدليس الذي هو انظرنا. قوله: [أي انظر الينا] أشار بذلك إلى أنه من باب الحذف والإيصال، حذف الجار فاتصل الضمير. قوله: [سماع قبول] أي بحضور قلب عند تلقي الاحكام، فإنه إذا وجدت القابلية من الطالب مع نظر المعلم حصل الفتح العظيم.

قوله: ﴿ما يود﴾ من المودة وهي المحبة أي ما يحب، وقوله ﴿الذين كفروا﴾ فاعل يود و﴿من أهل الكتاب﴾ الخ بيان للذين كفروا. قوله: ﴿ولا المشركين﴾ معطوف على أهل الكتاب ولا زائدة لتوكيد النفي. قوله: ﴿أن ينزل عليكم﴾ في تأويل مصدر مفعول يود ومن زائدة وخير نائب فاعل ينزل، والتقدير ما يحب الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون إنزال خير من ربكم عليكم. قوله: [حسداً لكم] تعليل للنفي وحسد اليهود بسبب زعمهم أن النبوة لا تليق إلا بهم لكونهم أبناء الأنبياء، وحسد مشركي العرب بسبب ما عندهم من الرياسة والفخر فقالوا لا تليق النبوة إلا بنا. قوله: ﴿والله يختص﴾ يستعمل متعدياً ولازماً فعلى الأول فاعله ضمير مستتر فيه الموصول بصلته في محل نصب على المفعولية والمعنى والله يخص الخ، وعلى الثاني الفاعل هو الموصول بصلته والمعنى والله يميز برحمته من يشاؤه.

قوله: ﴿العظيم﴾ أي الواسع. قوله: [ولما طعن الكفار الخ] أشار بذلك إلى سبب نزول الآية، والمقصود من

---

* اسباب نزول الآية ١٠٤: قوله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾. اخرج ابن المنذر عن السدي قال: كان رجلان من اليهود: مالك بن الصيف، ورفاعة بن زيد اذا لقيا النبي ﷺ قالا وهما يكلمانه: راعنا سمعك واسمع غير مسمع، فظن المسلمون ان هذا الشيء كان اهل الكتاب يعظمون به انبياءهم. فقالوا للنبي ﷺ ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا﴾.

واخرج ابو نعيم في الدلائل من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال: راعنا بلسان اليهود السب القبيح، فلما سمعوا اصحابه يقولون: اعلنوا بها له فكانوا يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنزلت فسمعها منهم سعد بن معاذ، فقال اليهود: يا اعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم بعد هذا المجلس لأضربن عنقه. واخرج ابن جرير عن الضحاك قال: كان الرجل يقول: ارعني سمعك فنزلت الآية.

واخرج عن عطية قال: كان اناس من اليهود يقولون ارعنا سمعك حتى قالها اناس من المسلمين فكره الله لهم ذلك. فنزلت. واخرج عن قتادة قال: كانوا يقولون راعنا سمعك فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك فنزلت. واخرج عن عطاء قال: كانت لغة الأنصار في الجاهلية فنزلت. واخرج عن ابي العالية قال: ان العرب كانوا اذا حدث بعضهم يقول احدهم لصاحبه: ارعني سمعك فنهوا عن ذلك.

الكفار في النسخ وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً نزل ﴿ما﴾: شرطية ﴿ننسخ من آية﴾: أي نزل حكمها إما مع لفظها أو لا وفي قراءة بضم النون من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿أو ننسأها﴾: نؤخرها فلا نزل حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها في اللوح المحفوظ وفي قراءة بلا همز من النسيان أي ننسكها أي نمحها من قلبك وجواب الشرط ﴿نأت بخير منها﴾: أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أو مثلها﴾: في التكليف والثواب ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ ١٠٦: ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾: يفعل فيهما ما يشاء ﴿وما لكم من دون الله﴾: أي غيره ﴿من﴾: زائدة ﴿ولي﴾: يحفظكم ﴿ولا نصير﴾ ١٠٧: يمنع عذابه عنكم إن أتاكم. ونزل لما سأله أهل مكة أن

ذلك بيان حكمة النسخ والرد على الكفار حيث قالوا إن القرآن افتراء من محمد فلو كان من عند الله لما بدل فيه وغير. ورد عليهم أيضاً بقوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ قوله: [شرطية] أي وهي نكرة بمعنى شيء معمولة لننسخ وقوله من آية بيان لما. قوله: ﴿ننسخ﴾ من النسخ وهو لغة الإزالة والنقل، يقال نسخت الشمس الظل أزالته، ونسخت الكتاب نقلت ما فيه، واصطلاحاً بيان انتهاء حكم التعبد إما باللفظ أو الحكم أو بهما. فنسخ اللفظ والحكم كعشر رضعات معلومات يحرمن. ونسخ اللفظ دون الحكم كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة. ونسخ الحكم دون اللفظ كقوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين﴾ الآية نسخت بآية المواريث وبقوله ﷺ لا وصية لوارث، وقوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول﴾ الآية، نسخت بقوله تعالى: ﴿ويتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ إلى غير ذلك. قوله: [إما مع لفظها] أي كعشر رضعات الخ. قوله: [أو لا] أي بأن نزيل حكمها فقط. قوله: [أو جبريل] في الحقيقة بينهما تلازم. قوله: [فلا نزل حكمها] أي لا ننسخه بل نبقيه. وقوله [ونرفع تلاوتها] أي ننسخه، فعلى هذا التفسير دخل تحت قوله ما ننسخ من آية حكمان من أحكام النسخ، وهما نسخ الحكم واللفظ أو الحكم فقط وتحت قوله أو ننسأها الحكم الثالث وهو نسخ اللفظ دون الحكم. قوله: [أو نؤخرها في اللوح المحفوظ] أي لا نطلعكم عليها ولا نعلمكم بها، وعلى هذا التفسير فقد دخل تحت قوله ما ننسخ الأحكام الثلاثة.

قوله: [في قراءة بلا همز] المناسب أن يقول وفي قراءة بضم النون من غير همز. قوله: [من النسيان] الأولى أن يقول من الإنساء لأنه مصدر الرباعي. قوله: [أي نمحها من قلبك] أي وقلب أمتك بأن يبقى الحكم دون اللفظ أو يمحيان. قوله: [في السهولة] أي كقوله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ الآية. قوله: [أو كثرة الأجر] أي كقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ بعد قوله: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية﴾ فليس ثواب من خير بين الأمرين كثواب من تحتم عليه الصوم.

قوله: ﴿أو مثلها﴾ أي كنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة، فإنه لا مشقة في كل، وليس أحدهما أكثر ثواباً من الآخر. قوله: [والاستفهام للتقرير] أي أقر واعترف بكون الله قديراً على كل شيء. قوله: ﴿وما لكم من دون الله﴾ ما حجازية، ولكم خبرها مقدم، ومن دون الله حال من ولي ومن زائدة وولي اسمها مؤخر، ولا نصير معطوف على ولي ولا زائدة لتأكيد النفي، ويحتمل أنها تميمية، وما بعدها مبتدأ وخبر ويحتمل أن من في قوله من دون الله زائدة أو أصلية متعلق بما تعلق به الخبر. قوله: ﴿من ولي ولا نصير﴾ الفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة،

---

* أسباب نزول الآية ١٠٦: قوله تعالى ﴿ما ننسخ﴾ الآية. اخرج ابن ابي حاتم عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كان ربما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل وينسيه بالنهار، فأنزل الله ﴿ما ننسخ﴾ الآية.

يوسّعها ويجعل الصّفا ذهباً ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾: أي سأله قومه ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قولهم أرنا الله جهرة وغير ذلك ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ١٠٨: أخطأ الطريق الحق والسواء في الأصل الوسط ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾: مصدرية ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾: مفعول له كائناً ﴿مِّنْ عِندِ

والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور، فبينهما عموم وخصوص من وجه. قوله: [أن يوسعها] أي بإزالة الجبلين المحيطين بها. قوله: [ويجعل الصفا ذهبا] أي وغير ذلك مما ذكره الله في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الآية، هكذا ذكر المفسر، واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل المهاجرة، فالحق أن يقال إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إنزال كتاب من السماء، بدليل أن السورة مدنية وأن السياق في خطاب اليهود، ووجود أم التي بمعنى بل التي للاضراب الانتقالي، المفيد أن له تعلقاً بما قبله. قوله: ﴿رسولكم﴾ أي محمداً ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

قوله: ﴿كما سئل موسى﴾ بني الفعل للمجهول للعلم بالفاعل. قوله: [وغير ذلك] أي من قولهم (ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض) ومن قولهم: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) ونحو ذلك قوله؛ ﴿ومن يتبدل الكفر﴾ استئناف لبيان حال من تعنت على نبيه. قوله: ﴿سواء السبيل﴾ من إضافة الصفة للموصوف أي السبيل السواء بمعنى المستوي. قوله: [أخطأ طريق الحق] أي فقد شبه الدين الحق بالطريق المستوي بجامع أن كلاً يوصل للمقصود.

قوله: ﴿ود كثير﴾ سبب نزولها أن عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان لما رجعا مع رسول الله ﷺ من غزوة أحد، اجتمعا برهط من اليهود فقالوا لهما ألم نقل لكما إن دين اليهود هو الحق وغيره باطل، فلو كان ما عليه محمد حقاً ما قتلت أصحابه مع دعواه أنه يقاتل والله معه، فقال عمار بن ياسر ما حكم نقض العهد عندكم، فقالوا فظيع جداً، فقال إني عاهدت محمداً على اتباعه إلى أن أموت فلا أنقضه أبداً، فقالوا قد صبأ، فقال حذيفة رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، والكعبة قبلة، والقرآن إماماً، والمؤمنين إخواناً فلما رجعا أخبرا رسول الله بذلك فقال أصبتما الخير وأفلحتما فنزلت قوله ﴿ود كثير﴾ من المودة وهي المحبة. قوله: ﴿من أهل الكتاب﴾ أي وهم اليهود. قوله: ﴿لو﴾ [مصدرية] تفسبك مع ما بعدها بمصدر مفعول ود، التقدير ود كثير ردكم الخ، ورد تنصب مفعولين لأنها بمعنى صير مفعولها الأول الكاف والثاني كفاراً ويصح أن تكون لو شرطية وجوابها محذوف تقديره فيسرون ويفرحون بذلك. قوله [كائناً] أشار بذلك إلى أن قوله من عند أنفسهم متعلق بمحذوف صفة لحسداً ومن ابتدائية.

---

* أسباب نزول الآية ١٠٨: قوله تعالى ﴿أم تريدون﴾ الآية. اخرج ابن ابي حاتم من طريق سعيد او عكرمة عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، او فجر لنا انهاراً نتبعك ونصدقك. فأنزل الله في ذلك ﴿ام تريدون ان تسألوا رسولكم﴾ الى قوله ﴿سواء السبيل﴾. وكان حيي بن اخطب وابو ياسر بن اخطب من اشد اليهود حسداً للعرب إذ خصهم الله برسوله، وكانوا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ الآية.

واخرج ابن جرير عن مجاهد قال: سألت قريش محمداً ﷺ ان يجعل لهم الصفاء ذهبا، فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني ءسرائيل ان كفرتم، فابوا ورجعوا، فانزل الله ﴿ام تريدون ان تسألوا رسولكم﴾ الآية. واخرج عن السدي قال: سألت العرب محمداً ﷺ ان ياتيهم بالله فيروه جهرة، فنزلت. واخرج عن ابي العالية قال: قال رجل يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني اسرائيل، فقال النبي ﷺ: ما اعطاكم الله خير، كانت بنو اسرائيل اذا اصاب احدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فان كفرها كانت له خزياً في الدنيا، وان لم يكفرها كانت له خزياً في الآخرة، وقد اعطاكم الله خيراً من ذلك قال تعالى ﴿ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه﴾ الآية. والصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن، فانزل الله ﴿ام تريدون ان تسألوا رسولكم﴾ الآية.

﴿أنفسهم﴾: أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾: في التوراة ﴿الْحَقُّ﴾: في شأن النبي ﴿فَاعْفُوا﴾: عنهم أي اتركوهم ﴿وَاصْفَحُوا﴾: أعرضوا فلا تجازوهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: فيهم من القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٩ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: طاعة كصلة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾: أي ثوابه ﴿عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ١١٠: فيجازيكم به ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾: جمع هائد ﴿أَوْ نَصَارَىٰ﴾: قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ أي قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى ﴿تِلْكَ﴾: القولة ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: شهواتهم الباطلة ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حجتكم على ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١١١: فيه ﴿بَلَىٰ﴾: يدخل الجنة غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: أي انقاد لأمره وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: موحد ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: أي ثواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١١٢: في الآخرة ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: معتد به وكفرت بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: معتد به وكفرت بموسى ﴿وَهُمْ﴾: أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: المنزل

قوله: ﴿من بعد ما تبين لهم﴾ متعلق بودّ وما مصدرية أي من بعد تبين الحق لهم، وهذا أبلغ قبح منهم لأنهم عرفوا الحق فلم يهتدوا، ومع ذلك وقعت المراودة لغيرهم على الضلال فقد ضلوا وأضلوا. قوله: ﴿فاعفوا﴾ أي لا تؤاخذهم بهذه المقالة، وقوله ﴿واصفحوا﴾ أي لا تلوموهم فبينهما مغايرة وقيل متحدان، وعليه مشى المفسر ومعناهما عدم المؤاخذة، ولم يؤمر النبي وأصحابه بقتالهم مع أنهم ناقضون للعهد بتلك المقالة لأن الواقعة كانت بعد غزوة أحد فكان الأذن في القتال حاصلاً، فالجواب أن القتال المأذون فيه كان للمشركين، وأما أهل الكتاب فلم يؤمروا بقتالهم إلا في غزوة الأحزاب، قيل قبلها وقيل بعدها، فقتل قريظة وأجلى بني النضير وغزا خيبر. قوله: [من القتال] أي الخاص بهم. قوله: ﴿عند الله﴾ العندية معنوية على حد عند زيد يد أي مصون ومحفوظ مدخر. قوله: [قال ذلك يهود المدينة الخ] لف ونشر مرتب. قوله: [لما تناظروا] لما حينية ظرف لقالوا. قوله: [لن يدخلها إلا اليهود] سميت اليهود بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل، وسميت النصارى بذلك لأنهم نصروا عيسى وهو جمع نصران أو نصرى.

قوله: ﴿تلك أمانيهم﴾ مبتدأ وخبر وجمع الخبر مع كون المبتدأ مفرداً لأنه جمع في المعنى لأنه عائد على القولة وهي بمعنى المقالات. قوله: ﴿هاتوا﴾ قيل هو اسم فعل أمر وقيل فعل أمر وقيل اسم صوت، والحق الوسط للحوق العلامة لها والمعنى أحضروا. قوله: ﴿برهانكم﴾ قيل مأخوذ من البرهة أي القطعة لأن به قطع حجة الخصم وقيل من البرهان أي البيان، فعلى الأول ممنوع من الصرف وعلى الثاني مصروف. قوله ﴿بلى﴾ أي لا يدخلها أحد منكم. قوله: ﴿من أسلم وجهه﴾ أي دخل الإسلام بوجهه أي بذاته ومعناه انقاد بظاهره، وقوله موحد أي بباطنه لا منافق بل منقاد بظاهره مؤمن موحد بباطنه. قوله: [معتد به] أي بل هم على باطل وقدره المفسر إشارة إلى أن صفة شيء محذوفة، وهذه أصدق مقالة قالتها اليهود والنصارى. قوله [وكفرت بعيسى] أي وزعمت أنها قتلته. قوله: ﴿يتلون الكتاب﴾ المراد به

---

* أسباب نزول الآية ١١٣: قوله تعالى ﴿وقالت اليهود﴾ الآية. اخرج ابن ابي حاتم من طريق سعيد او عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم اهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ اتتهم احبار يهود فتنازعوا فقال رافع بن خزيمة: ما انتم على شيء، وكفر بعيسى والانجيل، فقال رجل من اهل نجران لليهود: ما انتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فانزل الله في ذلك ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ الآية.

عليهم وفي كتاب اليهود تصديق عيسى وفي كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: بيان لمعنى ذلك أي قالوا لكل ذي دين ليسوا على شيء ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١١٣: من أمر الدين فيدخل المحق الجنة والمبطل النار ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: بالصلاة والتسبيح ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾: بالهدم أو التعطيل نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت ﴿أُولَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: خبر

بالنسبة لليهود التوراة، وبالنسبة للنصارى الانجيل. قوله: [المشركون من العرب الخ] أي فالمراد من ذلك تسلية رسول الله على ما وقع من المشركين، فان اليهود والنصارى كفروا وضلوا مع علمهم بالحق فكيف بمن لا علم عنده فلا يستغرب ذلك منهم. قوله: ﴿فالله يحكم بينهم﴾ أي الفرق المذكورة: اليهود والنصارى ومشركي العرب ومن أسلم وجهه لله وهو محسن.

قوله: ﴿ومن أظلم﴾ من اسم استفهام مبتدأ وأظلم خبره. قوله: [أي لا أحد أظلم] استشكل بأنه يقتضي أن من منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها لم يساوه أحد في الظلم، فكيف ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ ﴿وَمَنْ أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ ﴿فَمَنْ أظلم ممن كذب على الله﴾ الآية، المقتضي كل آية منها أنه لا أحد أظلم ممن ذكر فيها، وأجيب بأن هؤلاء الموجودين في الآيات ظلمهم زائد عن غيرهم، وكون الظلم الواقع من بعضهم مساوياً للبعض الآخر أم لا شيء آخر تأمل، وأشار المفسر بقوله أي لا أحد أظلم إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿ممن منع﴾ يتعدى لمفعولين الأول بنفسه وهو مساجد، والثاني قوله أن يذكر فهو في تأويل مصدر مجرور بمن، التقدير لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها، والمنع إما بغلقها أو تعطيل الناس عنها أو تخريبها أو أكل ريعها أو التفريط في حقوقها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿مساجد الله﴾ جمع مسجد سمي باسم السجود لأنه أشرف أركان الصلاة، لقوله ﷺ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولأنه محل غاية الذل والخضوع لله عز وجل وإن كان القياس فتح عينه في المفرد لكنه لم يسمع إلا الكسر فالقراءة سنة متبعة. قوله: [بالصلاة والتسبيح] أشار بذلك إلى أن المراد بذكر اسم الله فيها ما يعم الصلاة وغيرها. قوله: [نزلت الخ] هذا إشارة إلى بيان سبب نزولها. قوله: [إخبار عن الروم] أي قبل بعثة الرسول حين توجهت جيوش بختنصر مع نصارى الروم لتخريب بيت المقدس، وكان بختنصر مجوسياً من أهل بابل وذلك حين قتل بنو إسرائيل يحيى بن زكريا، ولم يزل كذلك حتى بناه المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب. قوله: [عام الحديبية] أي وهو عام ست من الهجرة حين خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة بقصد العمرة، قصده المشركون وهو بالحديبية فتحلل ورجع.

قوله: ﴿أن يدخلوها إلا خائفين﴾ المعنى ليس لهم دخولها يعني البيت أو بيت المقدس في حال من الأحوال إلا

---

* أسباب نزول الآية ١١٤: قوله تعالى ﴿ومن اظلم﴾ الآية، اخرج ابن ابي حاتم من الطريق المذكور ان قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فانزل الله ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾ الآية.

واخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية.

بمعنى الأمر أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمناً ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١١٤ هو النار، ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: أي الأرض كلها لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾:

في حال كونهم خائفين. قوله: [خبر بمعنى الأمر] أي فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى وقوله أي أخيفوهم بالجهاد أي فالمراد من الآية أن الله كلفنا بقتالهم ومنعهم عن المسجد الحرام وبيت المقدس، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ فأرسل رسول الله ﷺ علياً بعد الفتح ينادي في الناس أن لا يطوف بالبيت عريان، وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك، وفي خلافة عمر فتح الشام ومدينة بيت المقدس ومنع المشركين من دخول بيت المقدس، ويحتمل أنه خبر لفظاً ومعنى فهو إخبار من الله بما وقع من النبي ﷺ ومن عمر وهو الأقرب كما قال المفسرون، ويصح أن يكون المعنى ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلاً عن أن يجترئوا على تخريبها وقيل غير ذلك. قوله: [فلا يدخلها أحد آمناً] من ذلك اختلفت المذاهب في دخول الكافر المسجد فمنعه المالكية إلا لحاجة، وفصل الشافعية فقالوا إن أذن له مسلم في غير المساجد الثلاثة جاز وإلا فلا، وجوزه الحنفية مطلقاً.

قوله: ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ هذا عام لكل من منع مساجد الله من ذكر اسم الله فيها كان مسلماً أو كافراً، فخزي المسلم في الدنيا بالمصائب والفقر والعمى والموت على غير حالة مرضية وذكر المفسر خزي الكافر. قوله: [هو النار] أي على سبيل الخلود إن مات كافراً، أو على سبيل التطهير إن مات مسلماً، فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل آية وردت في الكفار فانها تجر ذيلها على عصاة المؤمنين. قوله: [لما طعن اليهود في نسخ القبلة] أي التي هي بيت المقدس، فان النبي ﷺ حين قدم المدينة أمر بالصلاة لجهة بيت المقدس تأليفاً لليهود، فأشاعوا أن محمداً تابع لهم في دينهم وشريعتهم، ثم بعد مدة أمره الله بالانتقال إلى الكعبة فقالوا إن محمداً يفعل على مقتضى هواه وليس مأموراً بشرع، فنزلت الآية. قوله: [أو في صلاة النافلة] أي نزلت في شأن اعتراض اليهود على النبي حين شرعت صلاة النافلة على الدابة في السفر حيثما توجهت.

قوله: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ أي مكان الشروق والغروب وهذا ظاهر، وأما آية: ﴿رب المشرقين ورب

* أسباب نزول الآية ١١٥: قوله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب﴾. اخرج مسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً اينما توجهت به، وهو آت من مكة الى المدينة، ثم قرأ ابن عمر ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ وقال في هذا نزلت هذه الآية.
واخرج الحاكم عنه قال: أنزلت ﴿فاينما تولوا فثم وجه الله﴾ ان تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع. وقال صحيح على شرط مسلم هذا اصح ما ورد في الآية اسناداً، وقد اعتمده جماعة، لكنه ليس في تصريح بذكر السبب، بل قال؛ انزلت في كذا، وقد تقدم ما فيه وقد ورد التصريح بسبب نزولها: فاخرج ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما هاجر الى المدينة امره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهراً، وكان يحب قبلة ابراهيم، وكان يدعو الله وينظر الى السماء، فانزل الله ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ فارتاب في ذلك اليهود، قالوا (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) فانزل الله ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾. وقال ﴿فاينما تولوا فثم وجه الله﴾: اسناد قوي. والمعنى ايضاً يساعده فليعتمد.
وفي الآية روايات أخر ضعيفة، فاخرج الترمذي وابن ماجة والدارقطني من طريق اشعث السمان عن عاصم بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله: فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ. فنزلت ﴿فاينما تولوا فثم وجه الله﴾ قال الترمذي: غريب، واشعث يضعف في الحديث.
واخرج الدارقطني وابن مردويه من طريق العرزمي عن عطاء عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة، هي ههنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطاً، وقال بعضنا: القبلة ههنا قبل الجنوب، فصلوا وخطوا =

وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾: هناك ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾: قبلته التي رضيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ﴾: يسع فضله كل شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ ١١٥: بتدبير خلقه ﴿وَقَالُوا﴾: بواو ودونها أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: قال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً له عنه ﴿بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً والملكية تنافي الولادة وعبّر بما تغليباً لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ ١١٦: مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: موجدهما لا على مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَى﴾: أراد ﴿أَمْرًا﴾: أي إيجاده

المغربين﴾ فباعتبار مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما، وأما آية ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه لأن للشمس طرقاً في الشروق والغروب على قدر أيام السنة. قوله: [أي الأرض كلها] جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل ما وجه الاقتصار على المشرق والمغرب، ويحتمل أن فيه حذف الواو مع ما عطفت أي وما بينهما. قوله: ﴿فأينما تولوا﴾ أينما اسم شرط جازم ظرف مكان وتولوا فعل الشرط، وقوله: ﴿فثم وجه الله﴾ جواب الشرط وثم إشارة للمكان خبر مقدم، ووجه الله مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿فثم وجه الله﴾ أي جهته يعني جهة رضاه وليس المراد بوجهه ذاته بل المراد ﴿أينما تولوا وجوهكم﴾ في جهة أمركم الله بها تجدون جهة رضاه والصوفية يريدون بالوجه الذات وهو دليل على تنزه الله عن التخصيص بالجهة، ومن هنا قال ابن العربي: مقتضى التوحيد أن الصلاة لأي جهة تصح وإنما أمرنا بجهة مخصوصة تعبداً ولم نعقل له معنى. قوله: [يسع فضله كل شيء] أي فصحة الصلاة ليست متوقفة على جهة بيت المقدس فقط كما زعمت اليهود، بل خصنا الله بمزايا على حسب مزيد فضله لم تكن فيهم، فمنها أمر القبلة ومنها جعل الأرض كلها مسجداً وتربتها طهوراً وغير ذلك.

قوله: ﴿وقالوا﴾ هذا من جملة قبائح اليهود ومشركي العرب حيث قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله. قوله: [بواو ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على منع مساجد الله التقدير ﴿ومن أظلم ممن قال اتخذ الله ولداً﴾ وعلى عدمها هو مستأنف لبيان حال الكفرة، وأما آية يونس فبترك الواو لا غير لعدم ما يناسب العطف. قوله: ﴿سبحانه﴾ أي تنزه عنه لأن الولدية تقتضي النوعية والجنسية والافتقار والتشبيه والحدوث، وهو سبحانه منزه عن ذلك كله. قوله: [لما لا يعقل] أي غير العاقل لكثرته وإنما غلبه لأنه في سياق القهر، وهو مناسب لغير العاقل بخلاف قانتون فإنه في سياق الطاعة. قوله: [مطيعون] أي نافذ فيهم مراده فالمراد بالطاعة هنا الانقياد ونفوذ المراد. قوله: [وفيه تغليب العاقل] أي حيث جمعه بالواو والنون وإنما غلب العاقل هنا لشرفه، ولأن شأن الطاعة أن تكون للعاقل، وفيه مراعاة معنى كل ولو راعى لفظها لأفرد.

قوله: ﴿بديع﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هو وقرئ بالجر بدل من الضمير في له وبالنصب على المدح أي أمدح بديع. قوله: [لا على مثال سبق] أي فهما في غاية الإتقان، قال تعالى ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾

= خطوطاً، فلما اصبحوا وطلعت الشمس اصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ فسكت وأنزل الله ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث سرية فاخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة. فصلوا ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة. فلما جاءوا إلى رسول الله حدثوه. فأنزل الله هذه الآية ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ الآية. وأخرج ابن جريج عن قتادة أن النبي ﷺ قال: ان أخاً لكم قد مات: يعني النجاشي فصلوا عليه، قالوا نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت: ﴿وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ الآية. قالوا فإنه كان يصلي الى القبلة فانزل الله ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ الآية. غريب جداً وهو مرسل أو معضل. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ قالوا الى أين، فنزلت ﴿فاينما تولوا فثم وجه الله﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ١١٧: أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾: بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾: مما اقترحناه على صدقك ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾: من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: من التعنت وطلب الآيات ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ١١٨: في الكفر والعناد فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنت ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾: من أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: من لم يجب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ١١٩:

الآيات. قوله: ﴿وإذا قضى﴾ يطلق القضاء على الوفاء يقال قضى دينه بمعنى وفاه، ويطلق على الإرادة وهو المراد هنا. قوله: [أراد] أي تعلقت إرادته به وفسّر القضاء بالإرادة للآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾، وخير ما فسرته بالوارد. قوله: ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ ليس المراد أنه إذا تعلقت إرادته بإيجاد أمر أتى بالكاف والنون، بل ذلك كناية عن سرعة الإيجاد، فمراده نافذ ولا يتخلف بل ما علمه أزلاً تعلقت به الإرادة تعلقاً تنجيزياً حادثاً وأبرزه بالقدرة سريعاً. قوله: [أي فهو يكون] أشار بذلك إلى أنه مستأنف مرفوع خبر لمبتدأ محذوف. قوله: [بالنصب] أي بأن مضمرة بعد فاء السببية أي يحصل ويوجد في الخارج.

قوله: ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ أي الجاهلون الذين هم كالبهائم أو أضل. قوله: [أي كفار مكة] تقدم الاشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، ويمكن أن يجاب هنا بأن هذه الآية بخصوصها مكية وهو بعيد، وأجاب أستاذنا الشيخ الدردير بأنه لا مانع أن كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أنها تحضيضية وهي بذلك المعنى في غالب القرآن. قوله: ﴿يكلمنا الله﴾ أي مشافهة أو على لسان جبريل فينزل علينا كما ينزل عليك. قوله: [مما اقترحناه] أي طلبناه والمقترح هو الشيء الذي لم يسبق إليه. قوله: [من التعنت الخ] هذا هو وجه المماثلة لأن ما وقع من الأمم الماضية ليس عين ما وقع من كفار مكة. قوله: [فيه تسلية للنبي] أي من قوله كذلك. قوله: ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ أي فلا تحزن على من كفر فإنا قد وضحنا آياتنا لقوم يؤمنون بك ولا يتعنتون عليك قال تعالى تسلية له: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾. قوله: [تعنت] أي ممن كفر وعاند فلا تحزن عليه ويكفيك من آمن.

قوله: ﴿إنا إرسلناك﴾ الخطاب له ﷺ أي أرسلناك للناس كافة. قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة أو المصاحبة أو السببية والأقرب الأولان. قوله: [بالهدى] أي دين الإسلام أو القرآن. قوله: ﴿بشيراً﴾ هو ونذيراً حالان إما من الكاف في أرسلناك أو من الحق. قوله: [من] اسم موصول معمول لبشيراً، وقوله أجاب اليه صلتها والمعنى انقاد له، وقوله من لم يجب اليه أي من لم ينقد اليه ولم يختر ديناً. قوله: [النار] سميت النار جحيماً لتجحمها أي اضطرابها بأهلها من شدة

---

* أسباب نزول الآية ١١٨: قوله تعالى ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد او عكرمة عن ابن عباس قال: قال رافع بن خزيمة لرسول الله ﷺ ان كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ١١٩: قوله تعالى ﴿انا ارسلناك﴾ الآية، قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ ليت شعري ما فعل ابواي، فنزلت ﴿انما ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن اصحاب الجحيم﴾، فما ذكرهما حتى توفاه الله. مرسل. وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: اخبرني داود بن ابي عاصم ان النبي ﷺ قال ذات يوم: اين ابواي، فنزلت. مرسل أيضاً.

النار أي الكفار ما لهم لم يؤمنوا إنما عليك البلاغ وفي قراءة بجزم تسأل نهياً ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾: أي الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنِ﴾: لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: التي يدعونك إليها فرضاً ﴿بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ١٢٠: يمنعك منه ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: أي يقرؤونه كما أنزل والجملة حال وحق نصب على المصدر والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: أي بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ١٢١:

لهيبها كاضطراب موج البحر. قوله: **[ما لهم لم يؤمنوا]** هذا هو صورة السؤال، أي حيث بلغت الرسالة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وجليت الظلمة، فلا تخف من كفرهم ولا يسألك الله عنه. قوله: **[إنما عليك البلاغ]** علة للنفي. قوله: **[بجزم تسأل]** أي مع فتح التاء مبنياً للفاعل وهما قراءتان سبعيتان، والمعنى على هذه القراءة لا تسألنا يا محمد عن صفاتهم وأحوالهم فإنها شنيعة فظيعة لا يسعك السؤال عنها لهولها، أو المعنى لا تسألنا الشفاعة فيهم لأن كلمة العذاب حقت عليهم.

قوله: **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى﴾** هذه مقالة قالها الله له حين قالت اليهود لا نرضى عنك حتى تتبع ما نحن عليه، وكذلك قالت النصارى. قوله: **[وما عداه ضلال]** أخذ ذلك من الجملة المعرفة الطرفين فإنها تفيد الحصر. قوله: **[لام قسم]** أي محذوف تقديره وعزتي أو والله علامة كونها لام قسم وقوعها قبل إن الشرطية. قوله: **[فرضاً]** أي على فرض وقوعه أو ذلك تخويف لأمته على حد ما قيل في لئن أشركت ليحبطن عملك. قوله: **﴿ما لك من الله من ولي﴾** هذا جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور لتأخر الشرط عن القسم لقول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولو كان جواباً للشرط لاقترن بالفاء لكونه منفياً بما. قوله: **﴿من ولي﴾** من زائدة لتأكيد النفي. قوله: **﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾** أي القرآن وآتينا صلة الذين والهاء مفعول أول والكتاب مفعول ثان. قوله: **[والجملة حال]** أي إما مؤولة باسم الفاعل أو المفعول، فعلى الأول هي حال من مفعول آتينا الأول الذي هو الضمير، وعلى الثاني هي حال من الكتاب. قوله: **[نصب على المصدر]** في الحقيقة صفة لمصدر محذوف تقديره تلاوة حق التلاوة، والمعنى يقرؤونه مجوداً مرتلاً بخشوع وخضوع، كما نزل من جبريل لا ينقصون عما ورد ولا يزيدون عليه، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ويصدقون وعده ووعيده ويتدبرون معانيه يعملون بمحكمه ويفوضون علم متشابهه إلى الله. قوله: **﴿أولئك يؤمنون﴾** مبتدأ وخبر والجملة خبر المبتدأ. قوله: **[نزلت في جماعة]** أي أربعين اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب، مقدمهم جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ. قوله: **[وأسلموا]** أي وصاروا يتلون القرآن حق التلاوة، هكذا ذكر المفسر سبب نزولها، وقيل نزلت في كل من اتصف بهذا الوصف، وقيل في عبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: **[بأن يحرفه]** أي متعمداً بأن يتلاعب بمعانيه وألفاظه ويأخذ بظاهره، والضمير عائد على القرآن، وذلك كالخوارج الذين يأخذون بظاهره ولا يعرفون معانيه فضلوا وأضلوا، فإن من جملة أبواب الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة.

---

* أسباب نزول الآية ١٢٠: قوله تعالى ﴿ولن ترضى﴾ الآية: اخرج الثعلبي عن ابن عباس قال: ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون ان يصلي النبي ﷺ الى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة الى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا ان يوافقهم على دينهم ـ فانزل الله ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى﴾ الآية.

مصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ١٢٢ : تقدم مثله ﴿وَاتَّقُوا﴾: خافوا ﴿يَوْماً لَا تَجْزِي﴾: تغني ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾: فيه ﴿شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فداء ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ١٢٣ : يمنعون من عذاب الله ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذِ ابْتَلَى﴾: اختبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: وفي قراءة إبراهام ﴿رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾: بأوامر ونواه كلفه بها قيل هي مناسك الحج وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان

قوله: ﴿يا بني إسرائيل﴾ تقدمت هذه الآية وكررها لمزيد التقبيح عليهم. قوله: ﴿اذكروا نعمتي﴾ أي بالشكر عليها والمراد بها الجنس. قوله: [تقدم مثله] أي من أن المراد عالمي زمانهم، أو أن المراد آباؤهم الانبياء، أو المراد بالتفضيل المزايا ففيهم مزايا لم توجد في غيرهم كفلق البحر وتفجير الماء من الحجر والمن والسلوى.

قوله: ﴿يوماً﴾ أي عذاب يوم. قوله: [تغني] ﴿نفس﴾ أي مؤمنة وقوله ﴿عن نفس﴾ أي كافرة، وهذه الجملة صفة ليوماً وهو نكرة والجملة إذا وقعت صفة لنكرة فلا بد لها من رابط، وقد قدره المفسر بقوله فيه قوله: ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾ أي لا شفاعة لها حتى يترتب عليها النفع، قال تعالى ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ واتفقت القراءات السبع على الياء في يقبل ولم يقرأ أحد بالتاء، والقراءة سنة متبعة.

قوله: ﴿و﴾ [اذكر] ﴿إذ ابتلى﴾ أشار بذلك إلى أن إذ ظرف لمحذوف قدره بقوله اذكر، والخطاب لمحمد، أي اذكر يا محمد لقومك وقت ابتلاء ابراهيم، ويصح تقدير اذكروا، ويكون خطاباً لبني إسرائيل، والمقصود من ذكر قصة ابراهيم إقامة الحجة على المخالف من اليهود والنصارى ومشركي العرب، لأن الفرق جميعها يعترفون بفضل ابراهيم، كان النبي ﷺ يقول: انظروا التكاليف التي كلف بها ابراهيم هل هي موافقة لما جئت به أو مخالفة. قوله: [وفي قراءة إبراهام] هما قراءتان سبعيتان وهاتان لغتان من سبع، والثالثة والرابعة والخامسة بغير ياء والهاء مثلثة، والسادسة بغير ياء والف مع فتح الهاء، والسابعة إبراهوم وهو اسم أعجمي وتعريبه أب رحيم وهو ابن تارخ ابن آزر بن ناخور بن شاروخ بن أرغو بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وإبراهيم مفعول مقدم وربه فاعل مؤخر وتقديم المفعول هنا واجب لإتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول، فلو قدم الفاعل لزم عليه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، قال ابن مالك:

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

والاختبار في الأصل الامتحان بالشيء، ليعلم صدق ذلك الشخص أو كذبه، وهو مستحيل على الله لأنه عالم بذلك قبل الاختبار، وإنما المراد عامله معاملة المختبر ليظهر ذلك للخلق، فاختبر ابراهيم فظهر صدقه، وإبليس فظهر كذبه.

قوله: ﴿بكلمات﴾ قيل ثلاثون من شريعتنا: عشرة في براءة وهي التائبون العابدون إلى وبشر المؤمنين، وعشرة في الأحزاب وهي إن المسلمين والمسلمات إلى قوله أعد الله لهم مغفرة الآية، وتسعة في المؤمنون من أولها إلى أولئك هم الوارثون، وواحدة في سأل وهي والذين هم بشهاداتهم قائمون، وقيل هي التكاليف بخدمة البيت، وقيل ذبح ولده والرمي في النار، وهجرته من الشام إلى مكة، والنظر في الشمس والقمر والكواكب لاقامة الحجة على قومه، وتضميمة ما ذكره المفسر تكون أقوالاً خمسة ولا مانع من إرادة جميعها. قوله: [مناسك الحج] أي واجباته وسننه. قوله: [وقيل المضمضة الخ] هذه عشرة أشياء الخمسة الأول في الوجه والرأس وما عداها في باقي الجسد. قوله: [والختان] ورد أنه أول من اختتن، وأول من قص الشارب، وأول من قلم الأظفار، وأول من رأى الشيب، فلما رآه قال يا رب ما هذا قال

والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أداهن تامات ﴿قَالَ﴾: تعالى له ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: أولادي اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾: بالإمامة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ ١٢٤: الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾: الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنًا﴾: مأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره كان الرجل يلقى قاتل أبيه فلا يهيجه ﴿وَاتَّخِذُوا﴾: أيها الناس

الوقار قال يا رب زدني وقاراً، وقوله [والاستنجاء] أي الماء، وأما بالحجر فهو من خصائص هذه الأمة. قوله: ﴿فأتمهن﴾ أي لم يفرط في شيء منها.

قوله: ﴿قال﴾ [تعالى] هذا كلام مستأنف واقع في جواب سؤال كأنه قيل ما فعل الله به بعد ذلك، أجاب بقوله قال له إني جاعلك للناس إماماً، ومن ذلك أن العطايا الربانية تكون بعد التخلي عن الأغيار بالاختبار. قوله: ﴿للناس﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً لغواً متعلقاً بجاعلك، ويحتمل أنه حال من إماماً لأنه نعت نكرة تقدم عليها وجاعل بمعنى مصير، فينصب مفعولين الكاف مفعول أول وإماماً مفعول ثان. قوله: ﴿ومن ذريتي﴾ هذا كعطف التلقين كما يقال لك سأمرك فتقول وزيداً ومن للتبعيض وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق. قوله [اجعل أئمة] أي أنبياء وملوكاً عدولاً أو علماء، وقد اجتمع ذلك في ذريته. قوله: ﴿عهدي﴾ فاعل ينال فهو مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لإلتقاء الساكنين منع من ظهورها إشتغال المحل بالحركة المناسبة والظالمين مفعوله، والمعنى أن عهدي لا يدرك الظالمين وقرىء بالعكس شذوذاً، لأنه إذا دار الامر بين الاسناد للمعنى والذات فالاسناد للمعنى أولى.

قوله: ﴿وإذ جعلنا﴾ معطوف على وإذ ابتلى وما قدر هناك يقدر هنا، وجعل إن كانت بمعنى خلق نصبت مفعولا واحداً وهو البيت ومثابة حال منه وإن كانت بمعنى صير نصبت مفعولين البيت أول ومثابة مفعول ثان، وللناس جار ومجرور متعلق بجعلنا أو بمحذوف صفة لمثابة. قوله: [الكعبة] أشار بذلك إلى أن أل في البيت للعهد. قوله: ﴿مثابة﴾ يحتمل أن يكون مصدراً ميمياً وهو الذي درج عليه المفسر بقوله مرجعاً ويحتمل أن يكون ظرف مكان أي محل رجوع يرجع إليه المرة بعد المرة، أو المراد محل ثواب أي إن من لاذ به حصل له من الثواب ما لا يحصل له في غيره لما ورد ينزل من السماء مائة وعشرون رحمة على البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين وأصل مثابة مثوبة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا. قوله: ﴿وأمنا﴾ إما مصدر باق على مصدريته أو بمعنى اسم الفاعل أو ظرف مكان أي محل أمن وعليه درج المفسر، وعلى كونه اسم فاعل فالاسناد مجاز أي آمنا من دخله. وخير ما فسرته بالوارد. قال تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ قوله: [فلا يهيجه] أي لا يزعجه ولا يؤاخذه بما فعل وكان البيت معظما في الجاهلية ففي الاسلام أولى ولذا قال ابن عباس: إن معصيته تضاعف لأنه يشدد على من في الحضرة ما لا يشدد على غيره، قال بعضهم:

لقد أسرك من يرضيك ظاهره ... ولقد أبرك من يعصيك مستترا

قوله: ﴿واتخذوا﴾ أمر إما معطوف على ما تضمنه قوله مثابة تقديره فتوبوا واتخذوا أو مستأنف مقول لقول محذوف تقديره وقال الله لهم اتخذوا. قوله: [أيها الناس] فيه حذف حرف النداء وهذا على قراءة الأمر. قوله: ﴿من

---

* أسباب نزول الآية ١٢٥: قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ روى البخاري وغيره عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى. فنزلت ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر =

﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾: هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾: مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف وفي قراءة بفتح الخاء خبر ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾: أمرناهما ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾: من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾: المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ١٢٥: جمع راكع وساجد المصلين ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾: المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾: ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرماً ...

مقام إبراهيم﴾ يحتمل أن من تبعيضية أو زائدة في الاثبات على مذهب الاخفش أو بمعنى في كل بعيد والاقرب أنها بمعنى عند، والسنة سنت أن الصلاة خلفه بأن يكون الحجر بين المصلي والكعبة. قوله: [هو الحجر] ورد أن طوله ذراع وعرضه كذلك، وقد نزل هو والحجر الأسود مع آدم من الجنة وهما ياقوتتان من يواقيتها، ولولا مس الكفار لهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب. قوله: [عند بناء البيت] أي بناؤه كان متأخراً عن بناء مكة فجرهم بنوا مكة أولاً وإبراهيم بنى البيت ثانياً، وذلك أن إبراهيم لما جاء بأم اسماعيل وابنها وهي ترضعه وضعهما عند مكان البيت وليس هناك يومئذ بناء ولا أحد، فعطشت واشتد عليها الأمر، فجاءها جبريل فبحث بعقبه أو بجناحه موضع زمزم حتى ظهر الماء فصارت تشرب منه، فاستمرت كذلك هي وولدها حتى مرت بهم طائفة من جرهم فقالوا لها أتأذنين أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم فنزلوا عندها وبنوا مكة، فلما شب إسماعيل وأعجبهم زوجوه امرأة منهم. قوله: [بأن تصلوا خلفه] هذا تخصيص لكون الصلاة عنده ومعنى كون الصلاة خلفه باعتبار مقصورته وإلا فهو مربع لا خلف له ولا أمام، وهذا بحسب ما سبق من الزمان فإنه كان على الحجر مقصورة بابها لجهة البيت، وأما الآن فقد حول الباب فالمصلي الآن يصلي لجهة الباب فهو قبالته لا خلفه. قوله: [وفي قراءة] هما سبعيتان. قوله: [خبر] أي جملة خبرية معطوفة على جعلنا مسلط عليها إذ أي اذكر إذ جعلنا واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى. قوله: ﴿وإسماعيل﴾ فيه لغتان باللام والنون ويجمع على سماعل وسماعلة وأسامع، قيل سمي بذلك لأن ابراهيم لما دعا الله أن يرزقه ولداً صار يقول اسمع إيل أي استجب يا الله.

قوله: ﴿أن﴾ يحتمل أنها تفسيرية وهو الأقرب لوجود ضابطها، وهو أن تتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وصحة حلول أي محلها، ويحتمل أنها مصدرية وكلام المفسر يحتملها. قوله: [من الأوثان] إن قلت إنه لم يكن حين بناء البيت أوثان، قلت أجيب بأن المراد طهراه فيما يستقبل من الزمان لعلم الله أن المشركين ستتخذ أوثاناً، وليس المراد أن الاوثان كانت موجودة حينئذ وأمر بطهارته منها. قوله: ﴿للطائفين﴾ جمع طائف وهو الذي يطوف حوله الأشواط. قوله: ﴿والعاكفين﴾ جمع عاكف وهو عرفاً الملازم للمسجد للعبادة على وجه مخصوص، ولكن المراد به هنا المقيم فيه بفسره قوله في الآية الاخرى: (والقائمين) فالعاكفون والقائمون والمقيمون بمعنى واحد. قوله: [المصلين] أخذ ذلك من عدم عطف السجود على الركوع، فالمراد جمعهما في عبادة، لا أن الركوع قسم والسجود قسم آخر.

قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ معطوف على وإذ ابتلى. قوله: ﴿بلداً﴾ نكره هنا وعرفه بأل في سورة إبراهيم لأنه قيل إن ما هنا كان قبل بنائها وما هناك بعد. قوله: ﴿آمناً﴾ إن قلت إن الله قد امتن به من غير سؤال إبراهيم؟ أجيب بأن المراد

= والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن. فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت كذلك.

له طرق كثيرة منها ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: لما طاف النبي ﷺ قال له عمر: هذا مقام أبينا ابراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه مر من مقام ابراهيم، فقال يا رسول الله: أليس نقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى، قال أفلا نتخذه مصلى، فلم نلبث إلا يسيراً حتى نزلت ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ وظاهر هذا وما قبله أن الآية نزلت في حجة الوداع.

لا يُسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ﴾: وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ بدل من أهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ ﴿قَالَ﴾: تعالى ﴿وَ﴾: أرزق ﴿مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾: بالتشديد والتخفيف في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾: مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾: ألجئه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾: فلا يجد عنها محيصاً ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ١٢٦: المرجع هي ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾: الأسس أو الجدر ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾: يبنيه متعلق بيرفع ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾:

بالذي امتن الله به الأمن من إغارات الأعداء وبالذي طلبه إبراهيم الأمن من القحط والجوع. قوله: [خلاه] بالقصر أي حشيشه. قوله: ﴿من الثمرات﴾ أي بعضها. قوله: [إليه] أي إلى قربه بنحو مرحلتين، وقد نقل الموضع الذي كان بالحجاز موضع ما نقل من الشام بمكان يسمى الحرة أقفر مشهور بالشام كذا قيل. قوله: ﴿و﴾ [أرزق] ﴿من كفر﴾ هذا يسمى عطفاً تلقينياً. قوله: ﴿وبئس المصير﴾ جملة استئنافية لإنشاء الذم، وليست معطوفة على ثم أضطره. قوله [هي] هذا هو المخصوص بالذم. والحاصل أن إبراهيم لما قال الله له إني جاعلك للناس إماماً طلب أن يكون من ذريته من هو كذلك، فأجابه الله بأنه لا ينال عهده الظالمين، فلما بنى البيت ودعا لأهله بالرزق من الثمرات، خصص دعوته بالمؤمن منهم قياساً منه الرزق على الإمامة وخوفاً من رد دعوته إذا عمم فلقنه الله قوله: ﴿ومن كفر﴾ أي فالمؤمن والكافر سواء في الرزق الدنيوي، وأما في الإمامة فليسوا سواء.

قوله: ﴿و﴾ [اذكر] أي يا محمد وقت رفع إبراهيم القواعد. قوله: ﴿القواعد﴾ جمع قاعدة وهي حجارة كبار كل حجر قدر البعير، والمراد برفع القواعد بناء البيت ورفعه عليها. قوله: [الأسس] جمع أساس وهي القواعد. وقوله [والجدر] جمع جدار وهي الأسس فالعطف مرادف. وقصة بناء البيت أن الله لما خلق الماء قبل الأرض بألفي عام كان ذلك البيت زبدة بيضاء على وجه الماء، فدحيت الأرض وبسطت وامتدت من تلك الزبدة، فلما أهبط آدم إلى الأرض استوحش إلى ذكر الله، فأنزل الله البيت المعمور وهو من ياقوتة حمراء له بابان من زمردة خضراء باب بالمشرق وباب بالمغرب، ووضع موضع الزبدة فكان يأتيه ماشياً من الهند، وورد أنه حجه ماشياً أربعين عاماً فلما فرغ قالت الملائكة: لقد بر حجك يا آدم، فلما جاء الطوفان أمر برفعه إلى السماء السابعة فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم، وبعث الله جبريل حين رفعه فخبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق هكذا قيل، والمشهور أن أول من بناه الملائكة ثم آدم ثم شيث، واستمر حتى جاء طوفان نوح فاذهب رسومه الظاهرية لا قواعده لأنها ثابتة متصلة بالأرض السابعة، ثم أتى جبريل بالحجر الأسود وألقمه جبل أبي قيس، فلما أتى إبراهيم وأراد بناءه جاءه جبريل وحدده له وأعلمه بالحجر فبناه على طبق ما رأى من القواعد، ثم بناه بعده العمالقة ثم جرهم ثم قصي ثم قريش، وكان الواضع للحجر الأسود في محله النبي ﷺ، وقصرت بهم النفقة فلم يتموا بناءه على قواعد إبراهيم بل نقضوه وأخرجوا الحجر منه، ثم ابن الزبير وقد رده لقواعد إبراهيم مستدلاً بحديث عن عائشة: لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت البيت على قواعد إبراهيم، ثم لما تولى الحجاج عامله الله بعدله حارب ابن الزبير وقتله وهدم البيت بالمنجنيق وبناه كما بنته قريش وهو الآن على بنائه، ونظمها بعضهم فقال:

بنى بيت رب العرش عشر فخذهم ... ملائكة الله الكرام وآدم
فشيث فإبراهيم ثم عمالق ... قصي قريش قبل هذين جرهم
وعبد الإله بن الزبير بنى كذا ... بناء الحجاج وهذا متمم

بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾: للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ ١٢٧: بالفعل ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: منقادين ﴿لَكَ وَ﴾: اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَا﴾: أولادنا ﴿أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾: ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَأَرِنَا﴾: علّمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: شرائع عبادتنا أو حجّنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ١٢٨: سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعاً وتعليماً لذريتهما ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾: أي أهل البيت ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾: القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: أي ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهّرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ ١٢٩: في صنعه ﴿وَمَن﴾: أي لا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: فيتركها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخفّ بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾: اخترناه ﴿فِي

قوله: [يقولان] قدّره المفسّر ليصحّ جعل الجملة حالاً من إبراهيم وإسماعيل، لأنّ الجملة الإنشائية لا تقع حالاً إلا بتقدير، وعبّر بالمضارع في يرفع استحضاراً للحال الماضية لعظم شأنه كأنه تحصل الآن وهو يحدّث عنه. قوله: [للقول] أي دعائنا. قوله: [بالفعل] أي بنائنا. قوله: [منقادين] أي كاملين في الانقياد لأن الكامل يقبل الكمال، وليس المراد طلب أصل الإسلام لأن الانبياء معصومون عن كل معصية سيما الكفر. قوله: [جماعة] أي وهو الأصل الكثير وتطلق عل المقتدى به كقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ وتطلق على الملة، قال تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ قوله: ﴿وأرنا﴾ رأى عرفانية تنصب مفعولاً واحداً ودخلت عليها الهمزة فتعدت لاثنين، فنا مفعول أول ومناسكنا مفعول ثان. قوله: ﴿التواب﴾ أي كثير القبول لتوبة من تاب، ويوصف العبد بذلك الوصف بمعنى كثير التوبة والرجوع عن القبائح والرذائل. قوله: ﴿الرحيم﴾ أي عظيم الرحمة وهي الأنعام أو إرادته. قوله: [تواضعاً] أي أو طلباً للارتقاء من مقام أعلى مما هما فيه. قوله: [أهل البيت] أي بيت إبراهيم وهم ذريته، ولم يأت نبي من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا نبينا ﷺ وأما الغالب فمن ذرية إسحاق. قوله: ﴿والحكمة﴾ هي العلم النافع. قوله: [الغالب] أي الذي أمره نافذ. قوله: ﴿الحكيم﴾ هو الذي يضع الشيء في محله.

قوله: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ سبب نزولها أن عبد الله بن سلام أسلم وكان له ابنا أخ أحدهما اسمه مهاجر والثاني اسمه سلمة، فدعاهما إلى الإسلام وقال لهما قد علمتما أن الله قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر فنزلت الآية، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: [أي لا] ﴿يرغب﴾ أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والاستثناء المفرغ لا يكون إلا بعد النفي، وما في معناه والرغبة، عن الشيء الزهد فيه. قوله: ﴿عن ملة إبراهيم﴾ أي دينه وشريعته فالملة والدين والشريعة بمعنى واحد، وهو الأحكام التي جعلها الله للتعبد بها، فمن حيث إملاؤها يقال لها ملة، ومن حيث شرعها يقال لها شريعة، ومن حيث التدين بها يقال لها دين. قوله: ﴿إلا من سفه نفسه﴾ يحتمل أن من اسم موصول والجملة بعدها صلة أو نكرة والجملة بعدها صفة، وعلى كل فهو بدل من فاعل يرغب، التقدير ولا يرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا الذي أو شخص سفه نفسه. قوله: [جهل أنها مخلوقة] هذا بناء على أنه لا يتعدى بنفسه إلا

---

* أسباب نزول الآية ١٣٠: قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾. قال ابن عيينة: روي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد اسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر، فنزلت فيه الآية.

﴿ٱلدُّنْيَا﴾: بالرسالة والخلة ﴿وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ ١٣٠: الذين لهم الدرجات العلى واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾: انقد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ١٣١ ﴿وَوَصَّىٰ﴾: وفي قراءة وأوصى ﴿بِهَا﴾: بالملة ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: بنيه قال: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ١٣٢: نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت. ولما قال اليهود للنبي: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾: حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ﴾: بدل من إذ قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾: بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾: عد إسماعيل من الآباء تغليب ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾: بدل من إلهك ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ١٣٣: وأم بمعنى همزة الإنكار أي لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به ﴿تِلْكَ﴾: مبتدأ والإشارة إلى إبراهيمَ ويعقوبَ وبنيهما وأنث لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من العمل أي جزاؤه استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾: الخطاب لليهود ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

بتضمينه معنى جهل ومعنى جهله نفسه لم يتأمل ولم ينظر فيها، فيستدل على أن لها صانعاً أتقن صنعها فيؤمن به. قوله [أو استخف بها] هذا بناء على أنه يتعدى بنفسه كالمشدد، ومعنى استخفافه بها تركه العبادة لله التي بها العز الأبدي.

قوله: ﴿ولقد اصطفيناه﴾ هذا حجة لقوله ومن يرغب، وأكدت هذه الجملة باللام فقط وما بعدها بأن واللام لأن هذه الجملة متعلقة بأمر الدنيا وهو فيها ظاهر الحال، بخلاف الجملة الثانية فإنها متعلقة بالآخرة وهو أمر مغيب لا يؤمن به إلا من نور الله بصيرته فاحتاجت لزيادة التأكيد. قوله: [وفي قراءة وأوصى] أي فهما قراءتان سبعيتان فالهمز والتضعيف أخوان. قوله: ﴿إبراهيم وبنيه﴾ أي وهم إسماعيل وهو من هاجر وإسحاق وهو من سارة، وكان له ستة أولاد من امرأة تسمى قنطور الكنعانية تزوجها بعد وفاة سارة، فجملة أولاده ثمانية وقيل أربعة عشر. قوله: ﴿ويعقوب﴾ [بنيه] أشار بذلك إلى أن يعقوب بالرفع معطوف على إبراهيم، والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله بنيه وهم اثنا عشر: روبيل بضم الراء وشمعون ولاوي ويهوذا ويشبخون وزبولون ودون وبقيون وكوذا وأوشير وبنيامين ويوسف، كذا في البيضاوي.

قوله: ﴿يا بني﴾ هذا هو صورة الوصية. قوله: ﴿فلا تموتن﴾ أصله تموتون أكد بالنون فصار تموتونن حذف نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان الواو والنون حذفت الواو لالتقائهما. قوله: [نهى عن ترك الإسلام الخ] دفع بذلك ما يقال إن الموت على الإسلام ليس في طاقة العبد فما معنى التكليف، فأجاب بأن المراد التكليف بالإسلام والنهي عن تركه، كقولك لشخص لا تصل إلا وأنت خاشع، فهو نهي عن ترك الخشوع فيها. قوله: [بدل من إذ قبله] أي بدل اشتمال. قوله: ﴿ما تعبدون من بعدي﴾ أتى بما دون من امتحاناً لهم لأنه في زمنه كثرت عبادة غير الله، وإنما امتحنهم لتظهر سرائرهم. قوله: [إبراهيم الخ] بدل من آبائك وكرر إله لأنه الفصيح مطلقاً اسماً كما هنا أو حرفاً كمررت بك وبزيد، قال ابن مالك:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلا

قوله: ﴿وإسماعيل﴾ قدمه على إسحاق وإن كان أباً يعقوب لمزيتين، كونه أسن منه وكونه أبا النبي عليه الصلاة والسلام. قوله: [ولأن العم بمنزلة الأب] أي لما في الحديث «عمك صنو أبيك». قوله: ﴿إلهاً واحداً﴾ كرره لدفع توهم التعدد من تعدد المضاف. قوله: [بمعنى همزة الانكار] أي فتارة تفسر بها وحدها كما هنا وتارة تفسر بها وببل وتارة تفسر ببل وحدها. قوله: ﴿أمة قد خلت﴾ هذا رد على اليهود من حيث افتخارهم بآبائهم. قوله: [من العمل] أي فلا

﴿يَعْمَلُونَ﴾١٣٤: كما لا يسألون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾: أو للتفصيل وقائل الأول يهود المدينة والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿بَلْ﴾: نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: حال من إبراهيم مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾١٣٥ ﴿قُولُوا﴾: خطاب للمؤمنين ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾: من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾: من الصحف العشر ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾: أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾: من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾: من الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾: من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ

ينفع أحداً كسب غيره، بل كل امرىء بما كسب رهين خيراً كان أو شراً. قوله: [استئناف] أي فلها خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكسبت صلتها والعائد محذوف أي كسبته. قوله: [والجملة تأكيد لما قبلها] أي لأنه إذا كان لها ما كسبت فلا يسألون عن عملكم وإذا كان لكم ما كسبتم فلا تسألون عما كانوا يعملون، وقوله كما لا يسألون عن عملكم إشارة إلى أن في الكلام اكتفاء. قوله: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى﴾ هذا في المعنى معطوف على قوله ما ننسخ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى. قوله: ﴿تهتدوا﴾ أي تصلوا للخير وتبلغوا السعادة. قوله: [أو للتفصيل] أي لا للجمع فإن مقالة يهود المدينة كونوا هوداً تهتدوا لأنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً، ومقالة نصارى نجران كونوا نصارى تهتدوا لأنه لا يدخل الجنة إلا من كان نصارى. قوله: [نتبع] قدره إشارة إلى أن ملة معمول لمحذوف، والجملة مقول القول في محل نصب. قوله: [حال من إبراهيم] أي والشرط موجود وهو كون المضاف كالجزء من المضاف اليه.

قوله: ﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض لهم بأنهم هم المشركون. قوله: [خطاب للمؤمنين] أي ويصح أن يكون خطاباً لليهود والنصارى، أي إذا أردتم النجاة فلا تشركوا وقولوا آمنا. قوله: ﴿وما أنزل إلينا﴾ معطوف على لفظ الجلالة وقوله: [من القرآن] بيان لما. قوله: [من الصحف العشر] قال تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾.

قوله: ﴿وإسماعيل الخ﴾ إن قلت إن إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط لم ينزل عليهم كتاب، أجيب بأنه أوحي اليهم بصحف إبراهيم فلم يكن مغايراً لما نزل الله على ابراهيم. قوله: [أولاده] أي أولاد يعقوب وهم أسباط بالنسبة لإسحاق وإبراهيم. وأولادهم أسباط للجميع، ويؤخذ من الآية أن الأسباط أنبياء وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر في شرحه على الهمزية. إن قلت حيث كانوا أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع ما يأتي في سورة يوسف من رميه في الجب وإتيانهم على قميصه بدم كذب وغير ذلك من الأمور المنافية للنبوة؟ فأجيب بأنهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط، فلا يلزمهم إجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سر القدر، فالمدار على خلوصهم في الباطن على حد ما قيل في أفعال الخضر مع موسى، وقد شهد الله له بأنه ما فعله عن أمره فيكون ما جرى من الأسباط في حق يوسف كما جرى من الخضر أو أولى، وسيأتي بسط ذلك في سورة يوسف إن شاء الله تعالى.

قوله: ﴿وما أوتي موسى﴾ عبّر أولاً بأنزل وثانياً بأوتي تفنناً ودفعاً للثقل. قوله: ﴿وعيسى﴾ لم يكرر ما أوتي لأن مؤدي الإنجيل والتوراة واحد، وإنما التغاير في شيء يسير وهو تحليل بعض ما حرم. قوله: ﴿وما أوتي النبيون﴾ هذا من عطف العام على الخاص، إشارة إلى أنه يجب علينا الإيمان بجميع أنبياء الله وما أنزل عليهم. قوله: [كاليهود] أي

---

* أسباب نزول الآية ١٣٥: قوله تعالى ﴿وقالوا كونوا هوداً﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾.

لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾١٣٦ ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾: أي اليهودُ والنصارى ﴿بِمِثْلِ﴾: مِثْلُ زائدةٌ ﴿مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن الإيمانِ به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: خلافٍ معكم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾: يا محمدُ شقاقَهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالِهم ﴿الْعَلِيمُ﴾١٣٧: بأحوالِهم وقد كفاه إياهم بقتلِ قريظةَ ونفيِ النضيرِ وضربِ الجزيةِ عليهم ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾: مصدرٌ مؤكِّدٌ لآمنا ونصبُه بفعلٍ مقدرٍ أي صَبَغنا اللهُ والمرادُ بها دينُه الذي فطرَ الناسَ عليه لظهورِ أثرِه على صاحبِه كالصبغِ في الثوبِ ﴿وَمَنْ﴾: أي لا أحدَ ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾: تمييزٌ ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾١٣٨: قال اليهودُ للمسلمين نحن أهلُ الكتابِ الأولِ وقبلتُنا أقدمُ ولم تكنِ الأنبياءُ من العربِ ولو كان محمدٌ نبياً لكان منا فنزل ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾: تخاصمونَنا ﴿فِي اللهِ﴾: أن اصطفى نبياً من العربِ ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: فله أن يصطفيَ من عبادِه من يشاءُ ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾: نجازى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: تجازون بها فلا يبعدُ أن يكونَ في أعمالِنا ما نستحقُّ به الإكرامَ ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾١٣٩: الدينَ والعملَ دونكم فنحن أولى بالاصطفاءِ والهمزةُ

فإنهم آمنوا بموسى وكفروا بمن عداه، وقوله والنصارى أي فإنهم آمنوا بعيسى وكفروا بمن عداه. قوله: [مثل زائدة] أي لأن المعنى على أصالتها فاسد لأنه يوهم أنهم مأمورون بالإيمان بمثل الله ومثل ما أنزل على محمد الخ وهذا باطل. قوله: [خلاف] أي مخالفة الدين الحق ويطلق على الضلال وعلى العداوة، ويصح إرادة كل منهما لأن من تولى عن الإيمان فهو في ضلال ومعاداة الله. قوله: [شقاقهم] أي ضرر ضلالهم ومخالفتهم ومعاداتهم. قوله: [بقتل قريظة] أي فقد قتل منهم في يوم واحد سبعمائة من صناديدهم ورموا في الخندق. قوله: [وضرب الجزية عليهم] أي اليهود والنصارى.

قوله: ﴿صبغة الله﴾ الصبغ بالكسر أثر الصبغ بالفتح الذي هو المصدر. وسبب نزول الآية أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمى ماء المعمودية، ويقولون حينئذ: قد صار نصرانياً حقاً، فنزلت رداً عليهم كأن الله يقول لهم: صبغتي لعبيدي لا أحسن منها صبغة. قوله: [أي صبغنا] من باب نفع وضرب ونصر. قوله: [كالصبغ في الثوب] أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه آثار الإيمان القائم بالشخص بالصبغ القائم بالثوب بجامع المكث والظهور في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وفي هذه الآية بشرى للمؤمنين عظيمة، وهي أن الإيمان في القلب كالصبغ المتقن في الثوب، فكما لا يزول الصبغ من الثوب كذلك الإيمان لا يزول من القلب لأن صبغة الله لا أحسن منها، ولذا قيل إن موت المؤمن على غير الإيمان نادر كالكبريت الأحمر، والمراد من الصبغة الأنوار الكائنة في القلب والأعضاء لأن الإيمان لا يكمل إلا إذا صبغ به كصبغة الثوب، قال تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾. وقال تعالى: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ وفي الحديث: «لو كشف عن نور المؤمن العاصي لأضاء ما بين المشرق والمغرب وإنما انحجب عنه ليتم وعد الله ووعيده». قوله: [قال اليهود] شروع في ذكر سبب نزول الآية. قوله: [الأول] أي السابق على الأنجيل والقرآن. قوله: [من العرب] أي بل كانت من بني إسرائيل.

قوله: ﴿قل﴾ أي يا محمد والخطاب لكل عاقل يريد إقامة الحجة عليهم. قوله: [فله أن يصطفي من عباده من يشاء] أي فلا حرج عليه في أفعاله. قوله: ﴿ولنا أعمالنا﴾ أي فإن كانت النبوة من جهة اصطفاء الله واختياره فربكم هو ربنا فيختص برحمته من يشاء، وإن كانت من جهة العمل فكما لكم أعمال تجازون عليها لنا أعمال نجازى عليها، فنحن مشتركون معكم في العبودية والأعمال. قوله: ﴿ونحن له مخلصون﴾ أي لم نشرك به أحداً بخلافكم أنتم فقد زدنا

للإنكار والجمل الثلاث أحوال ﴿أَمْ﴾: بل ﴿تَقُولُونَ﴾: بالتاء والياء ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ﴾: لهم ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾: أي الله أعلم وقد برأ منهما إبراهيم بقوله ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾: أخفى الناس ﴿شَهَادَةً عِندَهُ﴾: كائنة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: أي لا أحد أظلم منه وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾١٤٠ تهديد لهم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾١٤١: تقدم مثله ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾: الجهال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: اليهود والمشركين ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾: أي

عليكم وصفاً هو الاخلاص، فكان الأولى بذلك نحن لا أنتم. قوله: [أحوال] أي إمّا من الواو أو نا، لكن الأظهر في الأخيرة أنها حال من نا، وعامل الحال على كلٍّ هو الفعل الذي هو أتحاجوننا. قوله: [بالياء والتاء] فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿أو نصارى﴾ أو للتقسيم والتوزيع فاليهود نسبوا لهم اليهودية، والنصارى نسبوا لهم النصرانية.

قوله: ﴿أأنتم أعلم﴾ الهمزة للاستفهام وما بعدها مبتدأ وخبر، والمستفهم عنه يجوز توسّطه بين الهمزة وأم كما هنا هو الأحسن، ويجوز في غير القرآن أن تقول أعلم أنتم أم الله أو أأنتم أم الله أعلم. قوله: ﴿أم الله﴾ أم معادلة للهمزة التي هي لطلب التعيين، واسم التفضيل ليس على بابه بل للتهكم والاستهزاء. قوله: [أي الله أعلم] أشار بذلك إلى أنه جواب الاستفهام وأن خبر المبتدإ محذوف دل عليه المذكور. قوله: [تبع له] جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الله قد برأ إبراهيم ولم يذكر معه أولاده. ومن جملة ما رد عليهم به قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾. قوله: [كائنة] ﴿من الله﴾ أشار بذلك إلى أن قوله عنده صفة أولى لشهادة، وقوله من الله متعلق بمحذوف صفة ثانية لها. قوله: [لابراهيم بالحنيفية] أي ولمحمد بالرسالة حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوها. قوله: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ الغفلة هي ترك الشيء مع التمكن من العلم به وذلك مستحيل على الله تعالى، فالمراد بها الامهال ليوم القيامة، ومما يفسر تلك الآية قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾. وقوله: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أبلغ في التهديد من قوله: ﴿والله عليم بما تعملون﴾ مثلا لأن عدم الغفلة يستلزم العلم فلا يستلزم عدم الغفلة.

قوله: ﴿تلك أمة﴾ أي أنبياء بني إسرائيل. قوله: ﴿قد خلت﴾ أي سبقت. قوله: ﴿لها ما كسبت﴾ أي من خير أو شر. قوله: ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ أي ولا يسألون عن عملكم. قوله: [تقدم مثله] أي وإنما كرره الله لمزيد بلادتهم فان السامع إذا كان بليداً فالأبلغ تكرار الكلام له لإقامة الحجة عليه. قوله: ﴿سيقول السفهاء﴾ سيأتي للمفسر أن الآية من الإخبار بالغيب. وحاصل ذلك أن النبي كان يستقبل الكعبة في صلاته وهو بمكة، فلما هاجر إلى المدينة أمر

---

* أسباب نزول الآية ١٤٢: قوله تعالى ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ الآيات، قال ابن اسحاق: حدثني اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق عن البراء قال: كان رسول الله يصلي نحو بيت المقدس، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فقال رجل من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس، فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ وقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ إلى آخر الآية، له طرق بنحوه.

وفي الصحيحين عن البراء: مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم؟ فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ وأخرج ابن جرير من طريق السدي بأسانيده قال: لما صرف النبي ﷺ نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه، فتوجه بقبلته إليكم أهدى منه سبيلا، ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ الآية.

شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾: على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الأخبار بالغيب ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: أي الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ١٤٢: دين الإسلام أي ومنهم أنتم دل على هذا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾: يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: خياراً عدولاً ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

باستقبال بيت المقدس، فأنزل الله هذه الآية ليعلمه بأنه سيحوله للكعبة فيعترض عليه وليكون معجزة له من حيث إخباره بالمغيبات، ثم نزل آية تحويل القبلة، فمقتضاه أن هذه الآية متقدمة في النزول والتلاوة، ودرج على ذلك جماعة من المفسرين، والذي ورد عن ابن عباس وغيره أنها متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول عن آية التحويل، وحكمة الاتيان بالسين إفادة الاستمرار على هذه المقالة منهم وممن يأتي بعدهم، والسفهاء جمع سفيه وهو من يتجنب المنافع ويتعلق بالمضار دنيوية أو دينية، ولا شك أن الكافر تعلق بالمضار الدينية فكل كافر سفيه. قوله: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ بيان للسفهاء احترازاً عن البهائم فانها تسمى سفهاء أيضاً. قوله: [اليهود] أي فانهم اعترضوا على النبي وأصحابه في تحولهم عن جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة، وقوله: [والمشركين] أي فانهم اعترضوا عليهم في تحولهم أولاً ورجوعهم ثانياً.

قوله: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ ما استفهامية والجملة بعدها خبر عنها. قوله: [إلى أي جهة شاء] أي فالأمر باستقبال جهة مخصوصة تعبدي لا نعقل له معنى. قوله: [هدايته] مفعول يشاء. قوله: [ومنهم أنتم] أي من المهتدين أمة محمد ﷺ.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ اسم الاشارة عائد على الهداية. قوله: [أي كما هديناكم اليه] ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ أي فمن الله عليهم بمنتين الأولى الهداية والثانية جعلهم خياراً عدولاً، وجعل بمعنى صير فالكاف مفعول أول وأمة مفعول ثان. قوله: ﴿وَسَطًا﴾ هو في الأصل المكان الذي استوت اليه الجهات ثم أطلق وأريد منه الخصال الحميدة، فالمعنى أصحاب خصال حميدة ولا شك أن من كان كذلك فهم خيار عدول. قوله: [خياراً عدولاً] أي أصحاب علم وعمل ولا يخلو زمان منهم لما في الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» وما دام القرآن موجوداً فهم موجودون لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ فلولا أن أناساً موجودون بهذه المثابة ما بقي القرآن، ونزول البلاء ليس دليلا على عدم وجود الخيار، فان الانبياء كانوا موجودين مع حصول الخسف والمسخ بأممهم فليسوا أعظم من الأنبياء، ولما في الحديث: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث».

قوله: ﴿لِّتَكُونُوا﴾ اللام للتعليل وقيل للصيرورة وعلى كل فالفعل منصوب بأن مضمرة بعدها جوازاً وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل. قوله: [أن رسلهم بلغتهم] هذا بيان للمشهود به قوله: [أنه بلغكم] هذا بيان لشهادة الرسول، وحاصل ذلك أنه يوم القيامة توقف كفار الأمم السابقة في صعيد واحد، ويقول الله لهم ألم لم تؤمنوا بي ألم يأتكم نذير؟ فيقولون يا ربنا ما جاءنا نذير، فيؤتى بأنبيائهم فيقول الله لهم ألم تبلغوا أممكم الرسالة، فيقولون يا ربنا قد بلغنا ما أرسلتنا به فلم يؤمنوا، فيقول الله لهم وهو أعلم بهم لاقامة الحجة عليهم، ومن يشهد لكم فيقولون أمة محمد فيؤتى بهم فيقول الله: أتشهدون أن الرسل بلغت الرسالة لأممهم فكفروا بهم، فيقولون نعم نشهد بذلك، فتقول الأمم كيف يشهدون علينا مع كونهم متأخرين عنا؟ فيقولون يا ربنا أخبرنا رسولنا بذلك في كتابنا عنك وهو صادق في خبره، فيقول الله لهم ومن يزكيكم؟ فيقولون نبينا فيؤتى به فيقول أشهد أن أمتي عدول، وقوله على الناس إن كان المراد بهم أمم الأنبياء السابقة فعلى على بابها، وإن كان المراد بهم الأنبياء فعلى بمعنى اللام فهي مستعملة في حقيقتها ومجازها، وقوله:

﴿شَهِيدًا﴾: أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾: صيرنا ﴿الْقِبْلَةَ﴾: لك الآن الجهة ﴿الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾: أولاً وهي الكعبة وكان ﷺ يصلي إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حوّل ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: علم ظهور ﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾: فيصدقه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: أي يرجع إلى الكفر شكاً في الدين وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِن﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وإنها ﴿كَانَتْ﴾: أي التولية إليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾: شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾: المؤمنين ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾١٤٣: في عدم إضاعة أعمالهم والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة ﴿قَدْ﴾: للتحقيق ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾: تصرف ﴿وَجْهِكَ فِي﴾: جهة ﴿السَّمَاءِ﴾:

﴿عليكم شهيداً﴾ أي على كفاركم وسميت شهادة وإن كانت في الواقع دعوى لعدم ردها، ويحتمل أن على بمعنى اللام والضمير عائد على العدول الشاهدين على الأمم السابقة من حيث تزكيته لهم.

قوله: ﴿وما جعلنا﴾ اختلف في إعراب هذه الآية فدرج المفسر على أن قوله: ﴿القبلة﴾ مفعول ثان لجعلنا مقدم، وقوله: ﴿التي﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول أول، ودرج غيره على العكس وهو أن القبلة مفعول أول والتي صفة لموصوف محذوف مفعول ثان والأقرب الأول، وحاصل ذلك أن رسول الله وهو بمكة كان يصلي للكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس تأليفاً لليهود فصلى لها سبعة عشر أو ستة عشر شهراً، فكان رسول الله ﷺ يشم منهم الكبر فكانوا يقولون إن محمداً يفارق ديننا ويصلي لقبلتنا، وكان رسول الله يحب أن يصلي للكعبة حتى نزل عليه جبريل يوماً فقال له: يا جبريل أود أن الله يحولني لقبلة أبي إبرهيم فسل ربك ذلك، فقال له أنت أكرم عليه مني، ثم صعد إلى السماء فصار رسول الله ينظر لجهتها منتظراً للإذن في ذلك، فنزل عليه جبريل بعد ركعتين من صلاة الظهر في رجب بالأمر بالتحويل للكعبة فتحول وتحول الناس معه، وكان يوماً مشهوداً فافتتن اليهود وأهل النفاق. قوله: [علم ظهور] جواب عما يقال إن علم الله قديم فلا يتجدد، والمعنى ليظهر لكم متعلق علمنا بتمييز المؤمن من الكافر. قوله: [فيصدقه] أي يدوم على صدقه. قوله: [أي يرجع للكفر] أشار بذلك إلى أن قوله ممن ينقلب على عقبيه ليس على حقيقته، لأن الانقلاب على العقب معناه الرجوع للخلف وليس مراداً بل هو كناية عن الرجوع للكفر، نظير (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى). قوله: [وقد ارتد لذلك] أي التحويل والمعنى ظهر كفرهم، وإلا فمتى صبغ القلب بالإيمان فلا يزول لأن الكريم إذا من تمم. قوله: ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ أي فكان عيداً لهم حتى صار فضل من صلى مع النبي للقبلتين أعظم ممن أتى بعد ذلك، قال صاحب الجوهرة: والسابقون فضلهم نصاً عرف.

قوله: [أي صلاتكم] عبر بالإيمان عن الصلاة لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين. قوله: [لأن سبب نزولها الخ] وسبب ذلك شبهة ألقاها حيي بن أخطب للمسلمين، وهي أن استقبالكم لبيت المقدس لا يخلو إما أن يكون هدى فقد انتقلتم الآن إلى ضلال، وإما أن يكون ضلالاً فلم أقركم عليه، وأيضاً من مات قبل التحويل مات على الضلال وضاعت أعماله، فشق ذلك على أقارب من مات قبل التحويل فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت الآية، وتحويل القبلة أول نسخ ورد في الشرع. قوله: ﴿إن الله بالناس﴾ هذا كالدليل لما قبله أي لم يضيع صلاتكم لكونه رؤوفاً رحيماً. قوله: [للفاصلة] أي التي هي قوله إلى صراط مستقيم فهي على الميم فيهما.

قوله: ﴿قد نرى﴾ تقدم سبب نزول هذه الآية. قوله: [للتحقيق] وقيل للتكثير وهو بالنظر لفعل النبي لا لرؤية الله.

متطلعاً إلى الوحي ومتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنه أدعى إلى إسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: نحولنك ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: تحبها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: استقبل في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾: نحو ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾: خطاب للأمة ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾: في الصلاة ﴿شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أي التولي إلى الكعبة ﴿الْحَقُّ﴾: الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ١٤٤: بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره وبالياء أي اليهود من إنكار أمر القبلة ﴿وَلَئِنْ﴾: لام قسم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: على صدقك في أمر القبلة ﴿مَّا تَبِعُوا﴾: أي يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾: عناداً ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: أي اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ

وهو خطاب تودد. قوله: [متطلعاً] أي متطلباً ومتشوفاً وهو إشارة لحال محذوفة. قوله: [لأنها قبلة إبراهيم] أي وقبلته من قبل. قوله: [ولأنه أدعى إلى إسلام العرب] أي فإنهم قالوا حين استقبل بيت المقدس حيث عدل عن قبلة أبيه إبراهيم: لا نتبعه أبداً. قوله: [نحولنك] مقتضى هذا التفسير أن قبلة منصوب بنزع الخافض ولو أبقى نولي على حالها لفسّرها بنعطي لأنها تنصب مفعولين، فالكاف مفعول أول وقبلة مفعول ثان. قوله: [تحبها] أي بحسب الطبع وإلا فهو يحب أوامر الله مطلقاً، لكن إذا كانت موافقة للطبع كانت أحب، وهذا وعد من الله له بما يحبه وفي قوله فول إنجاز له. قوله: ﴿شطر﴾ يطلق على الجهة وهو المراد هنا ويطلق على النصف ويطلق على البعد يقال شطر فلان بمعنى بعد. قوله: [أي الكعبة] أشار بذلك إلى أن المراد بالمسجد الحرام خصوص الكعبة، ولما نزلت هذه الآية تحول لجهة الميزاب وهكذا قبلتنا بمصر فإنها لجهته.

قوله: ﴿وحيثما﴾ شرطية لاقترانها بما وكنتم فعل الشرط، وقوله فولوا الخ جوابه وقرن بالفاء لأنه فعل طلبي، وفي هذه الآية إشارة أخرى لحكمة النسخ وهي تطلعه لجهة السماء ومحبته للكعبة، وتقدمت الحكمة الأولى بكونها فتنة للناس ليتميز المؤمن من غيره. قوله: [خطاب للأمة] ودفع بذلك ما يتوهم أنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام. وقوله: ﴿فولوا وجوهكم﴾ أي في أي مكان وفي أي زمان. قوله: ﴿إن الذين أوتوا الكتاب﴾ قيل المراد بهم اليهود لأنهم هم المعارضون له في ذلك الوقت والكتاب هو التوراة، وقيل اليهود والنصارى والكتاب هو التوراة والإنجيل. قوله: [أي التولي إلى الكعبة] ويصح أنه عائد على النبي أو النسخ، لأن كلاً مذكور في الآية والمآل واحد. قوله: [أيها المؤمنون] أي ففيه تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ووعد حسن وبشرى. قوله: [وبالياء أي اليهود] أي ففيه وعيد وزجر وتهديد وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [ولئن أتيت] هذا أيضاً تسلية للنبي وتيؤس من إيمانهم، لأنهم ضلوا على علم فلا تنفع فيهم موعظة:

وإذا ضلت العقول على علـ ... ـم فماذا تقوله النصحاء

قوله: [لام قسم] أي وإن حرف شرط وقوله أتيت فعل الشرط وقوله ما تبعوا جواب القسم، وأما جواب الشرط فهو محذوف للقاعدة النحوية أنه إذا اجتمع شرط وقسم فإنه يحذف جواب المتأخر منهما، وأيضاً قوله ما تبعوا لا يصلح أن يكون جواباً للشرط لأنه فعل منفي بما فحقه دخول الفاء فيه. قوله: [قطع لطمعه في إسلامهم] راجع لقوله ما تبعوا قبلتك، وقوله: [وطمعهم الخ] راجع لقوله وما أنت بتابع قبلتهم، فهو لف ونشر مرتب. إن قلت كيف يطمعون في عوده لبيت المقدس مع أنه مذكور في كتبهم أنه لا يرجع عن الكعبة بعد أن تحول إليها، قلت إن ذلك الطمع واقع من جهلتهم

﴿أَهْوَاءَهُم﴾: التي يدعونك إليها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: الوحي ﴿إِنَّكَ إِذاً﴾: إن اتبعتهم فرضاً ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٤٥ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾: أي محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: بنعته في كتبهم قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤٦: هذا الذي أنت عليه ﴿الْحَقُّ﴾: كائن ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ١٤٧: الشاكين فيه أي من هذا النوع فهو أبلغ من لا تمتر ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾: قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: وجهه في صلاته وفي قراءة مولاها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾: يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٤٨ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر

الذين لا يعرفون في التوراة شيئاً. قوله: [أي اليهود قبلة النصارى] هذا مما يؤيد أن المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى، وقبلة اليهود بيت المقدس، وقبلة النصارى مطلع الشمس. وكانت باختراع منهم لزعم بولس القسيس أنه بعد رفع عيسى قال لقيت عيسى عليه السلام فقال لي إن الشمس كوكب أحبه يبلغ سلامي في كل يوم فمر قومي ليتوجهوا إليها في صلاتهم ففعلوا ذلك. قوله: [إن اتبعتهم فرضاً] أي على سبيل الفرض والتقدير على حد لئن أشركت ليحبطن عملك، وقيل الخطاب له والمراد غيره لمزيد الزجر.

قوله: ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر أي كمعرفتهم أبناءهم، والمشبه أقوى من المشبه به. قوله: [ومعرفتي لمحمد أشد] سئل عن ذلك فقال لأن معرفتي بابني ظنية لأنه يحتمل أن يكون من غيري، وأما معرفتي بمحمد فهي عن الله، وأي خبر أصدق من خبر الله؟ قوله: [كائنا] أشار بذلك إلى أن قوله من ربك متعلق بمحذوف حال من الحق وهو خبر لمبتدإ محذوف، والأظهر أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور بعلمه أو مبتدأ والخبر محذوف تقديره يعرفونه وأل يحتمل أنها للعهد الذكري أو الجنس أو الاستغراق. قوله: [الشاكين فيه] أي في كونهم يعرفون نعتك أو في الحق. قوله: [فهو أبلغ من لا تمتر] أي لكون النهي عاماً فيفيد أن الشك يضر كل من قام به، ولكونه مؤكداً بالنون ولأن الكناية أبلغ من الحقيقة بخلاف لا تمتر، فربما يتوهم أن الشك لا يضر إلا هو فقط ولم يكن مؤكداً.

قوله: ﴿ولكل وجهة﴾ هذا كالنتيجة لما قبله كأنه قال فلما تفرقوا صار لكل وجهة. قوله: [قبلة] أشار بذلك إلى أن وجهة اسم للمكان فثبوت الواو قياسي، وأما إن أريد بها المعنى المصدري فثبوت الواو غير قياسي على حد عدة ورقة، وإنما ثبتت الواو تنبيهاً على الأصل. قوله: ﴿هو﴾ أي الفريق المفهوم من الأمم لأن المراد بهم الفرق، ولو عبر به لكان أوضح. قوله: ﴿موليها﴾ اسم فاعل فاعله ضمير يعود على الفريق، والهاء مفعول أول وقول المفسر وجهه مفعول ثان. قوله: [وفي قراءة مولاها] أي بصيغة اسم المفعول، فنائب الفاعل مفعول أول والهاء مفعول ثان والمعنى موجه إليها. قوله: ﴿الخيرات﴾ جمع خير بالتخفيف والتشديد جمع خيرة ومعناه الطاعة على كل. قوله: ﴿أينما تكونوا﴾ أين اسم شرط جازم يجزم فعلين، تكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل، ويأت جواب الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها، وبكم متعلق بيأت والله فاعل يأت وجميعاً حال من الكاف في بكم. وقوله: [فيجازيكم] فيصح فيه الجزم والرفع والنصب ولكن الرسم يأبى الأول، وإنما جازت الأوجه الثلاثة فيه لقول ابن مالك:

والفعل من بعد الجزا إن يقترن ... بالفا أو الواو بتثليث قمن

والمعنى في أي مكان تكونون فيه يجمعكم الله للحساب فيترتب عليه الجزاء. قوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ هذا كالدليل لما قبله أي إنما كان ذلك لأنه قدير على كل شيء. قال تعالى: ﴿وهو على جميعهم إذا يشاء

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾١٤٩: بالتاء والياء تقدّم مثله وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: كرره للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: أي مجادلة إلى التولي إلى غيره أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: بالعناد فإنهم يقولون ما تحوّل إليها إلا ميلاً إلى دين آبائه والاستثناء متصل والمعنى لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامتثال أمري ﴿وَلِأُتِمَّ﴾: عطف على لئلا يكون ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾: بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾١٥٠: إلى الحق ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾: متعلق بأتم أي إتماماً كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾: محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ

قدير﴾، قوله: ﴿ومن حيث خرجت﴾ الخ حيث هنا ظرف مكان ومن للابتداء، وجملة خرجت في محل جر بإضافة حيث اليها وليست شرطية لأنها لا تكون كذلك إلا إذا اقترنت بما. قوله: [السفر] ظاهره فرضاً ونفلاً ولكن السنة خصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط مذكورة في الفقه، قوله: ﴿شطر المسجد الحرام﴾ أي جهة الكعبة. قوله: ﴿وإنه﴾ أي النسخ أو التولي للكعبة أو النبي، قوله: ﴿للحق﴾ أي جنسه أو المعهود وهو نعت النبي أو كل فرد من أفراده، قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، قوله: [لبيان تساوي حكم السفر الخ] أشار بذلك لدفع ما يتوهم أنه تكرار محض، قوله: [كرره للتأكيد] أي للتثبيت في عقولهم لقرابة الحكم حينئذ لأنه أول ما ورد من النسخ.

قوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم﴾ هذا هو حكمة التولية أي إنما أمرناكم بالتوبة لأجل انتفاء حجة الناس عليكم، واللام هذه لام كي وإن مصدرية ولا نافية ويكون منصوب بأن، وللناس خبرها مقدم وحجة اسمها مؤخر وعليكم حال من حجة لأنه نعت نكرة تقدم عليها، قوله: [أي لتنتفي الخ] هذا حل معنى لا حل إعراب، ولو حله حل إعراب لقال لعدم كون حجة ثابتة للناس عليكم قوله: [أي مجادلة] أي جدال في الباطل واعتراض وليس المراد بها المجادلة في الحق وإظهار حجته قوله: [من قول اليهود] هذا بيان للمجادلة، قوله: [وقول المشركين] أي فقد زال ذلك وأما قولهم ما زال محمد في حيرة فباقية لم تزل، قوله: [فانهم يقولون] أي اليهود، والحاصل أن الحجج أربع: لليهود حجتان وللمشركين كذلك، أما حجة اليهود فهي أما له يصلي لقبلتنا ولا يتبع ديننا وأما حجة المشركين فهي يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته، وهاتان الحجتان قد انقطعتا وبقيت حجة لكلّ، أما حجة اليهود فقولهم ما تحول اليها إلا ميلاً لدين الجاهلية، وأما حجة المشركين فقولهم لم يزل محمد في حيرة، قوله: [والاستثناء متصل] أي لأن ما قبله ظالمون أيضاً، قوله: [تخافوا جدالهم] أي لا يقدرون على إيصال نفع ولا دفع ضرر، قوله: [عطف على لئلا يكون] أي فتحويل القبلة لحكم عظيمة الأولى تمييز المؤمن من غيره، الثانية انقطاع الحجج، الثالثة إتمام النعمة، الرابعة الاهتداء إن قلت إن مقتضى هذه الآية أن النعمة تمت الآن ومقتضى ما يأتي في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ أنها لم تتم إلا حين نزولها وهو يوم عرفة في حجة الوداع. أجيب بأن النعمة مقولة بالتشكيك، فالمراد بها هنا استقبال الاشرف الذي هو الكعبة والمراد بها هنا الدين، قوله: ﴿منكم﴾ هذه نعمة أخرى فوق أصل الارسال لأنه لو كان ملكاً لما استطاعوه لأن علة الانضمام المجانسة، قوله: [القرآن] خصه من دون

﴿ٱلْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ١٥١ ﴿فَاذْكُرُونِي﴾: بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: قيل معناه أجازيكم وفي الحديث عن الله «من ذكرني في نفسه ذكرته

المعجزات لأنه باق إلى الآن. قوله: [يطهركم من الشرك] أي حتى صرتم عدولاً تشهدون على الناس يوم القيامة، ويصح أن يقال معنى ﴿يزكيكم﴾ يشهد لكم بالعدالة يوم القيامة.

قوله: ﴿ويعلمكم الكتاب﴾ أي حتى حفظتم لفظه عن ظهر قلب لقوله في الحديث «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم». قوله: [ما فيه من الأحكام] أي المعاني التي لا تحصى، قال علي بن أبي طالب: لو أردت أن أوقر من الفاتحة حمل سبعين بعيراً لفعلت، ومن معناه ما قال الخواص مما من الله به علي أن أعطاني مائة ألف علم وتسعة وتسعين ألفاً من علوم الفاتحة. قوله: ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ عطف عام على خاص. قوله: [ونحوه] أي كالتهليل والتحميد، وإنما قال بالصلاة لأن الذكر إما باللسان أو الجوارح أو بالجنان، ولا شك أن الصلاة جامعة لكل ذكر، فالقراءة والتكبير والتسبيح والدعاء ذكر لساني، والركوع والسجود ذكر بالجوارح والخشوع والخضوع والمراقبة ذكر قلبي. قوله: [أجازكم عليه] أي أثبكم على ذكركم إياي. قوله: [عن الله] أي فهو حديث قدسي. قوله: [في نفسه] أي خالياً وبعيداً عن الخلق. قوله: [ذكرته في نفسي] أي أعطيه عطايا لا يعلمها غيري. قوله: [ومن ذكرني في ملأ] أي بين الناس. قوله: [ذكرته في ملأ] أي أعطيته عطايا ظاهرة لعبادي وأظهر فضله لهم، إن قلت أن الانسان قد يذكر الله بحضرة النبي ﷺ كالصحابة فأي ملأ خير من النبي، قلت أجيب بأن الشيء يشرف بما نسب اليه، فإن المجلس ينسب لكبيره وفرق بين حضرة الله وملائكته، وبين حضرة النبي وأصحابه، وأيضاً كون النبي في حضرة الله أشرف من نفسه في حضرة أصحابه، فمعنى قوله خير من ملئه ذكرته في حضرة النبي والملائكة المقربين في الملأ الأعلى، ولا شك أن تلك الحضرة لا يعدلها شيء أبداً، والملأ بالقصر الجماعة الأشراف. قوله: [خير] بالجر صفة الملأ، وقيل معنى اذكروني تذللوا لجلالي أذكركم أكشف الحجب عنكم وأفيض عليكم رحمتي وإحساني وأحبكم وارفع ذكركم في الملأ الأعلى لما في الحديث «ومن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً» وفي الحديث أيضاً «إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض» وهذا من جملة الثمرات المعجلة، وأما المؤجلة فرؤية وجهه الكريم ورفع الدرجات وغير ذلك وينبغي للانسان أن يذكر الله كثيراً لقوله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ ولا يلتفت لواش ولا رقيب لقول السيد الحفني خطاباً للعارف بالله تعالى أستاذنا الشيخ الدردير:

يا مبتغي طرق أهل الله والتسليك	دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن اذكروني لرد المعترض يكفيك	فاجعل سلافة الجلالة دائماً في فيك

ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، فربما ذكر مع غفلة يجر لذكر مع حضور لأنهم شبهوا الذكر بقدح الزناد، فلا يترك الإنسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلاً بل يكرر حتى يوقد، فإذا ولع القلب نارت الاعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته لقوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ وخفت العبادة على الاعضاء فلا يكون على الشخص كلفة فيها، قال العارف:

إذا رفع الحجاب فلا ملالة	بتكليف الإله ولا مشقة

ويكفي الذاكر من الشرف قول الله تعالى في الحديث القدسي «أنا جليس من ذكرني» وقوله تعالى: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ وهل الافضل الذكر مع الناس أو الذكر في خلوة، والحق التفصيل، وهو إن كان الإنسان

في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه» ﴿وَٱشْكُرُوا لِي﴾: نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ١٥٢: بالمعصية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا﴾: على الآخرة ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾: على الطاعة والبلاء ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: خصّها بالذكر لتكررها وعظمها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ١٥٣: بالعون ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هم ﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ﴾: هم ﴿أَحْيَآءٌ﴾: أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت

ينشط وحده ولم يكن مدعواً من الله لهداية الناس فالخلوة في حقه أفضل، وإلا فذكره مع الناس أفضل إما لينشط أو ليقتدي الناس به، نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره. قوله: ﴿واشكروا لي﴾ الحق أنه يتعدى بنفسه وباللام والمعنى واحد وهو من عطف الخاص على العام، والنكتة في ذلك بيان أعلى المقاصد في الذكر، فإن المقاصد في الذكر مختلفة، فمن قصد بذكره الدنيا فقط فهو دنيء، ومن قصد بذكره دخول الجنة والنجاة من النار فهو أعلى من الاول، ومن قصد بذكره شكر الله على خلقه إياه وإنعامه عليه ولم يقصد غيره فهو من المقربين لما في الحديث «أفلا أكون عبداً شكوراً».

قوله: ﴿ولا تكفرون﴾ أي لأن حقيقة الشكر أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، فمعنى لا تكفرون لا تصرفوا نعمي في غير ما خلقتها له. قوله: [على الطاعة] أي على دوامها سواء كانت الطاعة فعلاً أو تركاً. قوله: [والبلاء] أي المصائب بأقسام الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة بدوام فعلها، وصبر عن المعصية بدوام تركها، وصبر على البلاء بحمد الله وشكره عليها فيكون شاكراً على السراء والضراء، وأعظمها الصبر عن المعاصي، وأقل منه الصبر على الطاعة، وأقل منهما الصبر على البلاء لأنه ورد أن الصابر على البلاء يرفعه الله ثلثمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرة والصابر على دوام الطاعة يرفعه الله ستمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض مرتين، والصابر عن المعصية يرفعه الله تسعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض ثلاث مرات.

قوله: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ خصهم وإن كان الله مع كل أحد لأن المراد معية مخصوصة وهي العون والاغاثة، وأما المعية مع كل أحد فمعية علم وقدرة بتصرف فيهم كيف شاء، وأما الصابرون فهم المحبوبون لله لقوله في الحديث: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث.

قوله: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله﴾ هذه الآية نزلت في قتلى بدر وكان المقتول من المسلمين أربعة عشر: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، لما قال المشركون والمنافقون هؤلاء قد ماتوا وضيعوا على أنفسهم الحياة ولذاتها وقد ادعوا أنهم ماتوا في مرضاة محمد فنزلت هذه الآية. قوله: [هم] ﴿أموات﴾ أشار بذلك إلى أن أموات خبر لمبتدأ محذوف والجملة في محل نصب مقول القول، والمعنى يحرم قول ذلك للشهيد لأنه ليس بميت حقيقة، وإنما هو انتقال من دار الكدر إلى دار الصفا ومن دار الحزن إلى دار السرور. قوله: ﴿لمن يقتل في سبيل الله﴾ أي وهم الشهداء وسموا بذلك لأن أرواحهم شهدت دار السلام عند خروجها من البدن، أو لأن الملائكة تشهد له بنصره لدين الإسلام.

قوله: ﴿بل﴾ [هم] ﴿أحياء﴾ أي حياة أخروية بالجسم والروح ليست كحياة أهل الدنيا، لا يشاهدها إلا أهل الآخرة ومن خصه الله بالاطلاع عليها وهذا هو التحقيق خلافاً لمن قال إنهم أحياء بالروح فقط لأنه يرد بأن كل إنسان حي الروح مسلماً كان أو كافراً لعدم فناء الروح ولا مزية للشهيد على غيره وهذه الحياة حقيقة، وإنما خروج روحه انتقال من دار إلى أخرى وهي مزية من مزايا الأنبياء فلا يقال إنهم ساووهم، وحكمة عدم تغسيل الشهداء بقاء دمهم ليشهد لهم يوم القيامة لما في الحديث «زملوهم بثيابهم اللون لون الدم والريح ريح المسك»، وأما تغسيل الأنبياء فتعبدي أو للتشريع ولا تأكل الارض أجساد الشهداء. قوله: [أرواحهم في حواصل الطيور الخ] أي فهو كالهودج لها، وأما أرواح المؤمنين

لحديث بذلك ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ ١٥٤: تعلمون ما هم فيه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾: للعدو ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ﴾: بالهلاك ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾: بالقتل والموت والأمراض ﴿وَٱلثَّمَرَاتِ﴾: بالجوائح أي لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ﴾ ١٥٥: على البلاء بالجنة هم ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾: ملكاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ١٥٦: في الآخرة فيجازينا، في الحديث «من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف عليه خيراً» وفيه أن مصباح النبي ﷺ طفىء فاسترجع فقالت عائشة: إنما هذا مصباح فقال: «كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾: مغفرة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: نعمة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ ١٥٧: إلى

المطيعين الغير الشهداء فتتنعم خارج الجنة بريحها ومأواها البرزخ. وأما أرواح العصاة والكفار فهي مسجونة لا تصرف لها، وأما أرواح الانبياء فورد إنها تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش في الجنة، وأما أرواح صغار المؤمنين ففي الجنة في كفالة إبراهيم وسارة.

قوله: ﴿ولنبلونكم﴾ اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لنبلونكم ونبلون جوابه، واقترن باللام والنون لكونه مضارعاً مثبتاً مستقبلاً، والمعنى لنختبرنكم أيها المؤمنون كما في الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أي ولو كان المؤمن في غاية نعيمها والكافر في أشد ضيقها. قوله: [القحط] هو في الاصل تخلف المطر وهو سبب في الجوع، فقد فسر الشيء بسببه. قوله: [بالجوائح] أي الآفات المتلفة للزرع ونحوه. قوله: [أي لنختبرنكم] أي لنظهر ذلك للملائكة ولبعضكم فمن صبر فله الرضا، ومن جزع فله السخط. قوله: [بالجنة] متعلق ببشر، والمعنى بشرهم بالجنة من غير سابقة عذاب. قوله: [هم] ﴿الذين﴾ أشار بذلك إلى أن الذين خبر لمبتدأ محذوف واقع في جواب سؤال مقدر قيل نعت مقطوع، وقيل إن الذين نعت للصابرين وهو أحسنها، وقيل منصوب على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح، وقيل مبتدأ خبره قوله أولئك. قوله: ﴿مصيبة﴾ أي مصيبة كانت سواء كانت فقد مال أو نفس أو جوعاً أو خوفاً أو غير ذلك.

قوله: ﴿إنا لله﴾ أي مملوكون ومخلوقون له يتصرف فينا على ما أراد، وهذه المقالة من خصائص هذه الأمة، ولو كانت لغيرهم لكانت ليعقوب حين فقد يوسف فقال يا أسفا. قوله: ﴿وإنا إليه راجعون﴾ أي صائرون. قوله: [من استرجع] أي قال إنا لله وإنا اليه راجعون. قوله: [آجره الله فيها] أي بسببها وفي المصباح أجره الله أجراً من بابي ضرب وقتل وآجره بالمد لغة ثالثة إذا أثابه. قوله: [وأخلف عليه خيراً] أي منها إما في الآخرة فقط أو فيها وفي الدنيا، فمن رضي بأحكام الله وصبر على ما أصابه فله الرضا من الله، ولكل مصيبة دواء إلا الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى، قال بعضهم:

لكل شيء إذا فارقته عوض وليس لله إن فارقت من عوض

قوله: [إنما هذا مصباح] أي شيء قليل. قوله: ﴿صلوات﴾ جمع صلاة وهي المغفرة كما فسر بذلك المفسر، وجمعها إشارة إلى أنه لا يبقى عليهم ذنوب أبداً بل عليهم مغفرة متكررة. قوله: [نعمة] دفع بذلك ما يقال إن الصلاة هي الرحمة، فعطف الرحمة عليها مرادف فما حكمة التكرار، فأجاب المفسر بمنع ذلك، وأن العطف مغاير، فالصلاة محو الذنوب والرحمة العطايا فهو من باب التحلية بعد التخلية، وقد ورد إطلاق الصلاة على المغفرة، ففي الحديث «اللهم صل على آل أبي أوفى» أي أغفر لهم، وفي الحديث أيضاً «إن الملائكة لتصلي على أحدكم ما دام في صلاة تقول اللهم أغفر له اللهم أغفر له»، وقيل إن الصلاة بمعنى الرحمة والعطف مرادف وحكمة التكرار الإشارة لتوالي الرحمات والنعم والرضا عليه، حيث رضي بأحكام سيده وحبس نفسه على ما تكره. قوله: ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ أي الكاملون في

الصواب ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: جبلان بمكة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: أعلام دينه جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: أي تلبس بالحج أو العمرة وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: إثم ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾: بأن يسعى بينهما سبعاً نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما وعن ابن عباس: أن السعي غير فرض لما أفاده رفع الإثم من التخيير وقال الشافعي وغيره ركن وبين ﷺ فرضيته بقوله: «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره، وقال: «ابدأوا بما بدأ الله به» يعني: الصفا رواه مسلم. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾: وفي قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوماً وفيه إدغام التاء فيها ﴿خَيْرًا﴾: أي بخير أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾: لعمله بالإثابة

الهدى، فإن الرضا عن الله في كل حال من علامات الهدى الكامل. قوله: ﴿إن الصفا﴾ جمع صفاة اسم للحجر الأملس، والمراد هنا الجبل المعروف الذي يبتدأ السعي منه. قوله: ﴿والمروة﴾ في الأصل اسم للمكان الرخو، والمراد هنا الجبل الذي ينتهي السعي اليه. قوله: [جبلان بمكة] أي بجوار المسجد الحرام. قوله: ﴿من شعائر الله﴾ أي من أمور دين الله التي تعبدنا بها فمن أنكر كون السعي من أمور الدين فقد كفر. قوله: ﴿فمن حج البيت﴾ الحج في اللغة القصد واصطلاحاً عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعاً وسعي بين الصفا والمروة كذلك، ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص.

قوله: ﴿واعتمر﴾ العمرة في اللغة الزيارة واصطلاحاً عبادة، يلزمها طواف وسعي على وجه مخصوص قوله: [وأصلهما القصد الخ] لف ونشر مرتب. قوله: [فيه إدغام التاء في الأصل] أي فأصله يتطوف قلبت التاء طاء ثم أدغمت في الطاء. قوله: [لما كره المسلمون] أي حين كرهوا ذلك. قوله: [وعليهما صنمان] أحدهما يسمى أسافاً والثاني يسمى نائلة، قيل كانا على صورة رجل وامرأة، وذلك أن رجلاً اسمه أساف وامرأة اسمها نائلة زنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين على صورتهما الأصلية، فلما تقادم الزمان عبدتهما الجاهلية، فلما جاء الاسلام أبطل ذلك ونسخه. قوله: [غير فرض] أي ووافقه على ذلك ابن حنبل. قوله: [من التخيير] ليس المراد أنه مباح بل هو مطلوب بدليل ضم أول الآية لآخرها. قوله: [وغيره] أي وهو مالك. قوله: [إن الله كتب عليكم السعي] تمامه «فاسعوا» وأصل الحديث «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»، فتحصل أن الآية ليست صريحة في الفرضية ولا في الوجوب وإنما أخذ ذلك من السنة. قوله: [وفيه إدغام التاء] أي بعد قلبها طاء. قوله: [أي بخير] أشار بذلك إلى أن خيراً منصوب بنزع الخافض. قوله: [من طواف وغيره] أي كسعي في حج أو عمرة أو طواف مطلقاً لأن عبادة الطواف لا تقيد بالنسك بخلاف السعي.

قوله: ﴿فإن الله شاكر﴾ هذا دليل الجواب وليس هو الجواب بل هو محذوف تقديره شكره الله لأن الله شاكر عليم، والشكر في الأصل مجازاة أصحاب الحقوق عليها، وليس ذلك مراداً في حق مولانا، وإنما المراد عاملناه معاملة الشاكر

---

* أسباب نزول الآية ١٥٨: قوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن عروة عن عائشة قال: قلت: أرأيت قول الله ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت. فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ إلى قوله ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

وأخرج البخاري عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنساً عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾. وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: كانت الشياطين في الجاهلية تطوف الليل أجمع بين الصفا والمروة.

عليه ﴿عَلِيمٌ﴾١٥٨: به. ونزل في اليهود ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾: الناس ﴿مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾: كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: التوراة ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾: يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾١٥٩: الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: عملهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾: ما كتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾١٦٠: بالمؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: حال ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾١٦١: أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، والناس قيل عام وقيل المؤمنون ﴿خَالِدِينَ

بأنه ألزم نفسه الجزاء من فضله لأنه كريم واسع العطاء. قوله: [ونزل في اليهود] أي في أحبارهم ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وعبد الله بن صوريا. قوله: [الناس] قدره المفسر إشارة إلى أنه مفعول يكتمون الثاني، والمعنى يكتمون الحق عن الناس بحيث يظهرون الباطل ويخفون الحق من نعت محمد وغيره. قوله: ﴿ما أنزلنا﴾ أي الشيء أو الذي أنزلناه، وقوله من البينات بيان لما، والمراد بالبينات الآيات الواضحات التي من أذعن لها فقد اهتدى، وعطف الهدى عليها للتفسير. قوله: [كآية الرجم] أي الكائنة في التوراة، وهي أن من زنى يرجم فمحوها وقالوا لم يكن ذلك عندنا فحصل منهم التكذيب لنبيهم. قوله: [ونعت محمد] أي صفاته وأخلاقه من مولده إلى انتهاء أجله، وهذان مثالان للبينات والهدى معاً لأن بالآيات يحصل الهدى.

قوله: ﴿للناس﴾ أي عموماً. قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ وجملة يلعنهم الله خبره وأتى بإشارة البعيد إشارة لبعدهم عن رحمة الله. قوله: [والمؤمنون] أي من غيرهم كالإنس والجن. قوله: [أو كل شيء] أي حتى الجمادات والحيتان في البحر، ويشهد له الحديث «العاصي يلعنه كل شيء حتى الحيتان في البحر». وأو لتنويع الخلاف، ثم إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعيد وإن كان وارداً في كل شيء خاص إلا أنه لكل من كتم علماً، ومنه شاهد الزور والمفتي بغير الحق.

قوله: ﴿إلا الذين﴾ استثناء متصل أفاد به أن اللعنة معلقة. قوله: [رجعوا عن ذلك] أي الكتمان بأن أنصفوا من أنفسهم وأسلموا فهذا الوعيد خاص بمن مات كافراً، وأما من مات مؤمناً ولو عاصياً فليس له هذا الوعيد، ولا يجوز الدعاء باللعنة على المعين ولو كافراً إلا أن يثبت موته على الكفر، وأما غير المعين فيجوز على الكافر والعاصي. قوله: ﴿وأصلحوا﴾ [عملهم] أي في المستقبل كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: [ما كتموا] أي من البينات والهدى، ويحتمل أن قوله تعالى وبينوا أي التوبة. قوله: ﴿فأولئك﴾ أتى بإشارة البعيد إشارة لرفعة رتبتهم على رتبة غيرهم على حد (ذلك الكتاب). قوله: ﴿وأنا التواب﴾ أي الكثير القبول لتوبة من تاب، والجملة حالية من فاعل أتوب. قوله: [بالمؤمنين] أي ولو عصاة والمراد من مات مسلماً.

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ أي أحباراً أو غيرهم، وقوله: ﴿وماتوا وهم كفار﴾ أي استمروا على الكفر حتى ماتوا عليه. قوله: [أي هم مستحقون ذلك] أشار بذلك لدفع التكرار، كأنه قال: المراد باللعنة الأولى حصولها بالفعل وبالثانية استحقاقها، وفي الحقيقة لا تكرار لأن ما تقدم في الكفار من أحبار اليهود وهذا في الكفار عموماً. قوله: [قيل

---

* أسباب نزول الآية ١٥٩: قوله تعالى ﴿إن الذين يكتمون﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم فأنزل الله فيهم ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾. الآية.

﴿فيها﴾: أي اللعنةِ أو النارِ المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ١٦٢: يُمْهلون لتوبةٍ أو معذرة. ونزل لمّا قالوا: صِفْ لنا ربك ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾: المستحق للعبادةِ منكم ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ١٦٣: وطلبوا آية على ذلك فنزل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وما فيهما من العَجائب ﴿وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: بالذهاب والمجيء

عام] أي حتى الكفارُ لأنه يلعن بَعضهم بعضاً. قوله: [وقيل المؤمنون] أي من الإنس والجن والملائكة. قوله: [أي اللعنة] أي ويلزم من خلوده في اللعنة خلوده في النار. قوله: [المدلول بها] أي باللّعْنة وقوله أي عليها أي النار. قوله: [طرفة] أي مقدار تغميض العين وفتحها العادي. قوله: [يمهلون] أشار بذلك إلى أنه من الإنظار بمعنى الامهال والتأخير، قال تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ أجارنا الله والمسلمين من النار. قوله: [ونزل] أي بمكة لأن هذه الآية وما بعدها مكية وإن كانت السورة مدنية. قوله: [لما قالوا] أي مشركو العرب وكانوا إذ ذاك يعْبدون ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة، نزلت سورة الإخلاص أيضاً رداً عليهم.

قوله: ﴿وإلهكم﴾ مُبتدأ وإله خبره وواحد صفته وهو محط الفائدة على حد: مررتُ بزيدٍ رجلاً صالحاً، فهي كالحال الموطئة، وقوله لا إله إلا هو خبرٌ ثانٍ مؤكد لما قبله لقصد الإيضاح. قوله: [لا نظير له الخ] فيه نفي الكموم الخمسة وتوضيحه أن قوله لا نظير له في ذاته أي إن ذاته ليست مركبة من أجزاء وليس لأحد ذات كذاته ولا في صفاته، أي ليست صفاته متعددة من جنسٍ واحد، بمعنى أنه ليس له علمان ولا سمعان إلى آخرها، وليس لأحد صفة كصفات مولانا، فهذه أربعة كموم متصلان في الذات والصفات ومنفصلان فيهما، والخامس المنفصل في الأفعال بمعنى أنه ليس لأحد فعل مع الله، وأما المتصل فيها فهو ثابت لا ينفى لأن أفعاله على حسب شؤونه في خلقه.

قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق موجودٌ إلا هو أي إلهكم، وفي الكلام تغليظ لهم، وإعرابه لا نافية للجنس تعمل عمل إنّ. إله اسمها مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف تقديره موجود، وإلا أداة حصر وهو ضمير منفصل بدل من الضمير المستتر في الخبر، والتقدير: لا إله موجود إلا هو، وقوله الرحمن الرحيم خبر ثالث، والمقصود من تعدد الأخبار أيضاً أمر الأله لهم وتبكيت لهم لالزامهم الحجة وهذه طريقة، ومشى المفسر على أن الرحمن الرحيم خبر لمبتدأ محذوف، وكل صحيح. قوله: [وطلبوا آية] أي دليلاً على ما تقدم من الدعاوى، فإن قوله وإلهكم إله واحد دعوى أولى، وقوله لا إله إلا هو دعوى ثانية، وقوله الرحمن الرحيم دعوى ثالثة. قوله: [فنزل] ﴿إن في خلق السموات﴾ أي إلى قوله لآيات وهي ثمانية أشياء في كل شيء منها آيات فهو إجابة بالمطلوب وزيادة:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

---

* أسباب نزول الآية ١٦٤: قوله تعالى ﴿إن في خلق السماوات﴾ الآية أخرج سعيد بن منصور في سننه، والفريابي في تفسيره، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الضحى قال: لما نزلت ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ تعجب المشركون وقالوا الهاً واحداً: لئن كان صادقاً فليأتنا بآية فأنزل الله ﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ الى قوله ﴿لقوم يعقلون﴾ قلت: هذا معضل، لكن له شاهد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء قال: نزل على النبي ﷺ بالمدينة ﴿والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس اله واحد، فأنزل الله ﴿ان في خلق السماوات والأرض﴾ الى قوله ﴿لقوم يعقلون﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق جيد موصول عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً نتقوى به على عدونا، فأوحى الله اليه أني معطيهم، ولكن إن كفروا بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال رب دعني وقومي فأدعوهم يوماً بيوم، فانزل الله هذه الآية ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار﴾ وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم.

والزيادة والنقصان ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾: السفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾: ولا ترسب موقرة ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: من التجارات والحمل ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾: مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبسها ﴿وَبَثَّ﴾: فرق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تقليبها جنوباً وشمالاً حارة وباردة ﴿وَٱلسَّحَابِ﴾: الغيم ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء

وإن حرف نصب وتوكيد وفي خلق السموات جار ومجرور خبر مقدم ولآيات إسمها مؤخر وحذفه من الأول لدلالة الأخير عليه كأنه قال واختلاف الليل والنهار لآيات والفلك التي تجري في البحر لآيات وهكذا، وقوله في خلق أطلق المصدر وأراد اسم المفعول أي مخلوق هو السموات والأرض، وقد جعل الخازن السماء مع الأرض شيئاً واحداً من ثمانية أشياء، وقوله بما ينفع الناس شيء مستقل. قوله: [وما فيهما من العجائب] أي فعجائب السموات رفعها بلا عمد، وكون الشمس في السماء الرابعة مع إضاءتها لأهل الأرض ونفعها لهم النفع التام، وإضاءة النجوم لأهل الأرض واهتدائهم بها مع كونها ثوابت في العرش وهكذا، وعجائب الأرض مدها وبسطها وتثبيتها بالجبال الرواسي وهكذا قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ وأفرد الأرض ولم يجمعها كالسموات لاتحاد جنسها وهو الماء والتراب واختلاف جنس السموات. قوله: [بالذهاب والمجيء] أشار بذلك إلى وجه اختلافهما. ومن جملة عجائب الليل كونه مقمراً أو مظلماً وكونه طويلاً على أناس دون غيرهم، ومن جملة عجائب النهار طوله على أناس دون غيرهم، فقد يكون الفجر عند قوم هو العصر عند آخرين وغير ذلك، وقدم الليل على النهار لأنه سابقه على الأصح لأن الظلمة سابقة على النور وقيل يسبق النهار وينبني على هذا الخلاف فائدة وهي أن الليلة تابعة لليوم قبلها أو لليوم بعدها فعلى الصحيح تكون الليلة تابعة لليوم بعدها، وعلى مقابله تكون تابعة لليوم قبلها، فيوم عرفة مستثنى على القول الأول لأنه تابع لليلة بعده، ولا يرد قوله تعالى: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ لأن المعنى ليس الليل يسبق النهار بحيث يأتي قبل انقضاء النهار بل كل يلزم الحد الذي حده الله له.

قوله: ﴿والفلك﴾ يستعمل مفرداً وجمعاً بوزن واحد والتغاير بالوصف، يقال فلك مشحونة وفلك مشحونات.

قوله: ﴿التي تجري في البحر﴾ أي يسيرها الله بالريح مقبلة ومدبرة، قال تعالى: ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام﴾. قوله: [ولا ترسب] أي لا تسقط لأسفل. قوله: [موقرة] أي حاملة للأثقال، أشار به إلى أن قوله بما ينفع الناس متعلق بمحذوف هو الشيء الرابع قوله: ﴿بما ينفع الناس﴾ أي ومن جملة منافعهم اتصال الأقطار بعضها ببعض من حيث انتفاعهم بما في القطر الآخر من الزروع وغيرها، فلولا تسخير السفن لاستقل كل قطر بما فيه وضاق على الناس معاشهم. قوله: ﴿من السماء من ماء﴾ من الأولى ابتدائية والثانية يصح أن تكون بيانية أو للتبعيض.

قوله: ﴿فأحيا به الأرض﴾ أي أظهر ما فيها من النضارة والبهجة، قال تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾. قوله: [لأنهم ينمون بالخصب] أي فإذا كثرت المراعي شبعت البهائم فيأتي منها النسل، وإذا كثرت الأقوات شبعت الناس فتأتي منهم الذرية. قوله: [وشمالاً] هي ما جاءت من جهة القطب والجنوب ما قابلتها، والصبا ما جاءت من مطلع الشمس والدبور ما قابلتها. قوله: [حارة وباردة] أي وتأتي بالخير والشر ففي الحديث «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» والحاصل أن الريح تنقسم إلى قسمين رحمة وعذاب، ثم إن كل قسم ينقسم إلى أربعة أقسام ولكل قسم اسم، فأسماء أقسام الرحمة المبشرات والنشر والمرسلات والرخاء، وأسماء أقسام العذاب العاصف والقاصف وهما في البحر والعقيم والصرصر

﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: بلا علاقة ﴿لَآيَاتٍ﴾: دالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦٤: يتدبرون ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿أَنْدَادًا﴾: أصناماً ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾: بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾: أي كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: من حبهم للأنداد لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما والكفار

وهما في البر، وقد جاء في القرآن بكل هذه الأسماء، وقد نزل الأطباء كل ريح على طبيعة من الطبائع الأربع، فطبع الصبا الحرارة واليبس وتسميها أهل مصر الشرقية لأن مهبها من الشرق وتسمى قبولاً لإستقبالها وجه الكعبة. وطبع الدبور البرد والرطوبة وتسميها أهل مصر الغربية لأن مهبها من الغرب وهي تأتي من دبر الكعبة، وطبع الشمال البرد واليبس وتسمى البحرية لأنه يسار بها في البحر على كل حال وقلما تهب ليلاً، وطبع الجنوب الحرارة وتسمى القبلية لأن مهبها من مقابلة القطب وهي عن يمين مستقبل المشرق وتسميها أهل مصر المريسية وهي من عيوب مصر المعدودة فإنها إذا هبت عليهم سبع ليال استعدوا للأكفان.

قوله: ﴿والسحاب﴾ أصله طرح شجرة في الجنة جعله الله محمولاً للريح يسير حيث شاء الله، فسيره أعجب من سير المراكب على ظهر البحر. قوله: [بلا علاقة] أي بلا شيء يتعلق به ويحفظه من السقوط. قوله: [يتدبرون] أي يتفكرون ويتأملون في عجائب قدرته فيعلمون أنه قادر على كل شيء، فهذا الدليل من تمسك به وأتقنه كفاه في عقائد إيمانه، وأما المقلد فهو من لم يحضر العلماء ولم يجلس بين أيديهم ولا يعرف الارض من السماء كالبهائم.

قوله: ﴿ومن الناس﴾ هذه الآية وردت لاستعظام ما وقع من بعض بني آدم من الكفر بعد ثبوت البراهين القطعية، كأن الله يقول: اعجبوا لكفر بعض العبيد مع ثبوت الأدلة على وحدانيته تعالى، والجار والمجرور خبر مقدم، ومن يتخذ مبتدأ مؤخر، وهو اسم موصول وما بعده صلته أو نكرة موصوفة وما بعده صفة. قوله: ﴿من دون الله﴾ هي في الاصل ظرف مكان للمكان الأدنى، يقال: جلس فلان في مكان دون مكان زيد يعني أدنى منه، ثم أطلق الدون، وأريد الغيرية من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم لكن صار حقيقة عرفية في الغير.

قوله: ﴿أنداداً﴾ مفعول يتخذ وقوله يحبونهم صفة لأنداداً، وفاعل يحبونهم عائد على من باعتبار المعنى وأفرد في يتخذ مراعاة للفظ. قوله: [أي كحبهم له] أي كحب المشركين لله فقد سووا في المحبة بين الله والأنداد، ويحتمل أن المعنى كحب المؤمنين لله فمحبة المشركين للأصنام كمحبة المؤمنين لله وهو الأقرب، واستشكل الأول بأنه لا يتأتى من عاقل التسوية في المحبة بين من يخلق ومن لا يخلق، أجاب المفسر بأن المراد بالحب التعظيم والخضوع وليس المراد الحب الحقيقي، فإن كل إنسان جبل على محبة خالقه. قوله: ﴿أشد حباً لله﴾ أي فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله، وأما محبة مثل الأنبياء والأولياء فمن المحبة لله، إن قلت إن الكفار كذلك يحبون الأنداد ليقربوهم إلى الله زلفى فيقتضي أنها أيضاً من المحبة لله. أجيب بأنهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة والعبادة، فلا يعبد إلا الله لا غيره، بخلاف المحبة من أجل كون ذلك المحبوب مقرباً مثلاً من الله كالأنبياء والأولياء ولذلك من عبدهم فقد كفر.

قوله: [لأنهم لا يعدلون عنه بحال] أي فهذا وجه الأشدية. وحاصل ما قرره المفسر أن المشركين سووا الأنداد في المحبة بالله، والمؤمنين انفردوا بمحبة الله، ومع ذلك فهي أشد من محبة المشركين للأنداد، وقرر غيره أن قوله تعالى: ﴿أشد حباً لله﴾ أي من جهة أن المحبة من الطرفين، فالمؤمنون يحبون الله ويحبهم الله، وأما المشركون فلا يخلو إما أن يكون معبودهم عاقلاً أم لا فالاول يلعنهم ولا يحبهم، والثاني لا يوصف بحب ولا بغض على أنه يصير حصباً لهم في نار جهنم يعذبون به، فمحبة الله للعبد سابقة على محبة العبد لله لأن الله هو الخالق للخير والهدى في القلوب، فحيث

يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ تَرَى﴾: تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾: بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون ﴿الْعَذَابَ﴾ لرأيت أمراً عظيماً وإذ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾: أي لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾: القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعاً﴾: حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ ١٦٥ وفي قراءة يرى بالتحتانية والفاعل ضمير السامع وقيل: الذين ظلموا فهي بمعنى: يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أنداداً ﴿إِذْ﴾: بدل من إذ قبله ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾: أي الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: أي أنكروا إضلالهم ﴿وَ﴾: قد ﴿رَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾: عطف على تبرأ ﴿بِهِمُ﴾: عنهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ ١٦٦: الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: أي المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ اليوم، ولو للتمني ونتبرأ جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾: أي كما أراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ

خلق الله في قلب الشخص النور والهدى والمحبة وفق العبد للرضا عنه ومحبته له وامتثاله أمره ونهيه، ولذا قال بعض العارفين:

أيها المعرض عنا ... إن إعراضك منا
لو أردناك جعلنا ... كل ما فيك يردنا

وإنما قال أشد حباً ولم يقل أحب لأن اسم التفضيل لا يصاغ من الفعل المبني للمجهول، وحيث اختل منه شرط توصل له بأشد أو أشدد. قوله: ﴿الذين ظلموا﴾ أظهر في محل الإضمار زيادة في التشنيع عليهم، والمراد بالظلم الكفر. قوله: [باتخاذ الأنداد] الباء للسببية ومفعول ظلموا محذوف تقديره أنفسهم. قوله: [يبصرون] على القراءة الأولى هو بضم الياء مع سكون الباء وكسر الصاد، وعلى الثانية بضم الياء وفتح الباء مع تشديد الصاد. قوله: ﴿العذاب﴾ مفعول لقوله يرون. قوله: [لرأيت أمراً عظيماً] هذا هو جواب لو الشرطية. قوله: [إذ بمعنى إذا] جواب عن سؤال وهو أن إذ ظرف للماضي ورؤية العذاب مستقبلة فالمحل لإذا فأجاب بذلك أو أنه نزل المستقبل منزلة الماضي لتحقق الحصول. قوله: [أي لأن] أشار بذلك إلى أنها علة لجواب لو أي رأيت أمراً عظيماً لكون القوة جميعها لله، فلا تخش من إمهالهم الفوات والهروب.

قوله: ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ هذا لدفع توهم الكافر أنه وإن كانت له القوة جميعاً يمكن أن يسامح في ذلك فقال إن الله شديد العذاب. قوله: ﴿قيل ضمير السامع﴾ أي والذين ظلموا مفعوله والجواب محذوف تقديره لرأى أمراً فظيعاً. قوله: [فهي بمعنى يعلم] أي فتنصب مفعولين. قوله: [وأن] أي الأولى. قوله: [سدت مسد المفعولين] أي فهذا موجب فتحها، ويوجب فتحها أيضاً تأويلها بمصدر. قوله: [والمعنى] أي على هذا الوجه الأخير. قوله: [وقت معاينتهم] هذا تفسير لإذ. قوله: [لما اتخذوا] هذا هو جواب الشرط. قوله: [أي الرؤساء] أي كفرعون والنمروذ وعبد الله بن سلول وحيي بن أخطب وغيرهم. قوله: [أي أنكروا إضلالهم] أي قالوا يا ربنا لم نضل هؤلاء بل ضلوا في أنفسهم وكفروا بإرادتهم. قوله: [عنهم] أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى عن على حد (فاسأل به خبيراً). قوله: [من الأرحام] قال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾. قوله: [ونتبرأ جوابه] أي فهو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية.

قوله: ﴿كذلك﴾ أي يتحاجون ولا تنفعهم المحاجة. قوله: [وتبرأ بعضهم] معطوف على أراهم أي مثل ما

اَللّٰهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: السيئة ﴿حَسَرَاتٍ﴾: حال ندامات ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ١٦٧: بعد دخولها. ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾: حال ﴿طَيِّبًا﴾: صفة مؤكدة أي مستلذاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ﴾: طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أي تزيينه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٦٨: بين العداوة ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: الإثم ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: القبيح شرعاً ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٦٩: من تحريم ما لم يحرم وغيره ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: أي الكفار ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا۟﴾: لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ

أراهم شدة العذاب ومثل ما تبرأ بعضهم بربهم. قوله: ﴿أعمالهم﴾ أي جزاءها. قوله: [حال] أي من أعمالهم. قوله: [ندامات] جمع ندامة. قوله: [ونزل فيمن حرم السوائب] أي وهم قبائل العرب حرموا أموراً لم يرد تحريمها من الشرع، والسوائب جمع سائبة والمراد بها في عرف الجاهلية الناقة أو البعير المنذورة للصنم، كان يقول الواحد منهم: ان قدمت من سفري فناقتي أو بعيري سائبة للأصنام، فتصير لا تملك لأحد عليها ولا تؤكل وإن ذكيت. قوله: [ونحوها] أي كالبحيرة والوصيلة والحام، فالبحيرة هي المنذورة اللبن للأصنام، والوصيلة التي تبكر بالأنثى ثم تتبعها بالأنثى فإن الأم صارت عتيقة الأصنام لا يحمل عليها ولا يؤكل لبنها ولا لحمها، والحام فحل الابل يضرب مدة في الابل معلومة فاذا استوفاها صار عتيقاً للأصنام، وسيأتي إيضاح ذلك.

قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ هذا خطاب لأهل مكة ولا ينافيه كون السورة مدنية فان ذلك من حيث النزول. قوله: ﴿مما في الأرض﴾ من للتبعيض لأن بعض ما في الأرض لا يجوز أكله، كالحجارة والخنزير وما ورد تحريمه. قوله: [صفة مؤكدة] أي فمعنى الطيب الحلال، وقوله: [أي مستلذاً] أي لنفس المؤمن وهو ما عدا الحرام، هكذا في نسخة، وفي نسخة أخرى أو مستلذاً وهي أولى فعليها هو صفة مخصصة، فان الحلال بعضه غير مستلذ كالصبر والمر، وبعضه مستلذ كالسمن والعسل. والحاصل أنه إن أريد بالمستلذ الشرعي وهو ما عدا الحرام فالصفة مؤكدة ويناسبها نسخة أي مستلذاً، وإن أريد به المستلذ الطبعي أي الذي لا يمجه الطبع فالصفة مخصصة ويناسبها نسخة أو مستلذاً. قوله: ﴿خطوات﴾ بسكون الطاء وضمها قراءتان سبعيتان، وقرأ أبو السماك بفتح الخاء والطاء. قوله: [أي تزيينه] أي فأطلق الخطوات التي هي ما بين القدمين وأراد التزيين، والجامع بينهما الاتباع في كل. قوله: ﴿انه لكم عدو﴾ هذا علة للنهي عن اتباع تزيينه. قوله: [بين العداوة] أي للصالحين، وأما غيرهم فلا يظهر عداوته لمصاحبتهم له، ويقرب ذلك البيت الذي فيه النور فانه يبين فيه كل مؤذ بخلاف غيره.

قوله: ﴿إنما يأمركم بالسوء﴾ هذا كالعلة لقوله إنه لكم عدو مبين، والسوء اسم جامع لما يغضب الله كان فيه حد أو لا سمي بذلك لأنه يسوء صاحبه، فعطف الفحشاء عليه من عطف الخاص على العام لأن المراد بها الكبائر، وكلام المفسر يريد أن السوء والفحشاء مترادفان وكل صحيح. قوله: ﴿وأن تقولوا﴾ معطوف على السوء أي وقولهم على الله. قوله: [من تحريم ما لم يحرم] أي كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وقوله: [وغيره] أي كاتخاذ أنداد غير الله. قوله: [من التوحيد] أي فلا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً. قوله: [وتحليل الطيبات] أي كالبحائر والسوائب والوصيلة والحام وهو لف ونشر مرتب، فان قوله من التوحيد راجع لقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً، وقوله وتحليل الطيبات راجع لقوله يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً.

قوله: ﴿قالوا﴾ [لا] أي لا نتبع ما أنزل الله، وقوله بل نتبع بل للأضراب الابطالي وهو معطوف على جملة محذوفة أشار لها المفسر بتقدير لا قيل كل إضراب في القرآن انتقالي أي يفيد الانتقال من قصة إلى قصة إلا هذه، وإلا

﴿مَا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر، قال تعالى: ﴿أَ﴾: يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ١٧٠: إلى حق والهمزة للإنكار ﴿وَمَثَلُ﴾: صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾: يصوت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾: أي صوتاً ولا يفهم معناه أي هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه هم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٧١: الموعظة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾: حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾: على ما أحل لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ١٧٢ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾: أي أكلها إذ

بل في قوله تعالى: أم يقولون افتراء بل هو افتراء بل هو الحق من ربك، فمحتمل للأمرين، فان اعتبرت قوله أم يقولون افتراء كان انتقالياً، وإن اعتبرت افتراء وحده كان ابطالياً. قوله: [وجدنا] إن كانت وجد بمعنى أصاب نصبت مفعولاً واحداً وهو آباؤنا وقوله عليه ظرف لغو متعلق بالفينا، وإن كانت بمعنى علم نصبت مفعولين عليه وآباؤنا. قوله: [من عبادة الأصنام] راجع للفريق الأول، وقوله تحريم السوائب الخ راجع للفريق الثاني، فهو لف ونشر مرتب. قوله: ﴿أ﴾ [يتبعونهم] أشار بذلك إلى أن الهمزة للانكار داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والجملة حالية فالواو للحال أيضاً. قوله: ﴿ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً﴾ أي فهم تابعون لهم سواء ظهر لهم عقل آبائهم وهداهم أو شكوا في ذلك، بل ولو ظهر لهم عدم عقلهم وعدم هداهم. قوله: [والهمزة للانكار] أي والتوبيخ والتعجب، والمعنى لا يليق منكم ذلك.

قوله: ﴿ومثل الذين كفروا﴾ أي المدعوين وقوله: [ومن يدعوهم] أي كالأنبياء فقد حذف الداعي من هنا وذكر ما يدل عليه بقوله كمثل الذي ينعق، والمعنى أن مثل الكفار في عدم سماع المواعظ والآيات والبراهين القطعية ومثل داعيهم وهو النبي في تكرار المواعظ والآيات، كمثل راع يرشد البهائم الوحشية بصوته إلى مصالحها، فكما أن البهائم الوحشية لا ينفع فيها الصوت ولا تفهمه ولا تعقل معناه، بل لا يرشدها إلا الضرب مثلاً، كذلك الكفار لا تنفع فيهم المواعظ والآيات، بل جزاؤهم في الدنيا السيف وفي الآخرة النار وعذابها. قوله: ﴿بما لا يسمع﴾ الباء بمعنى على. قوله: ﴿ونداء﴾ عطف مرادف. قوله: [كالبهائم] أي الوحشية وإلا فالإنسية ربما تسمع صوت راعيها وتنزجر به. قوله: [هم] ﴿صم﴾ أشار بذلك الى أن صم وما عطف عليه خبر لمبتدإ محذوف، وقوله صم أي لا يسمعون المواعظ ولا ينزجرون بها، وقوله: ﴿بكم﴾ أي لا ينطقون بالحق، وقوله عمي أي لا ينظرون الهدى ولا يتبعونه وإن كانت صورة الحواس موجودة. قوله: ﴿فهم لا يعقلون﴾ نتيجة ما قبله.

تنبيه: ما حل به المفسر هذه الآية هو أظهر التفاسير لأنهم اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مثل ما قال المفسر، ومنهم من قال إن المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالناعق على البهائم، ومنهم من قال غير ذلك.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ جرت عادة الله في كتابه غالباً ومناداة أهل مكة بيا أيها الناس، ومناداة أهل المدينة بيا أيها الذين آمنوا. قوله: [حلالات] أي مستلذة كانت أو لا أو المراد المستلذات وتقدم ذلك، ويطلق الطيب في غير المأكولات على الطاهر، قال تعالى: ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ وقوله من طيبات من تبعيضية في موضع المفعول، والأمر للوجوب بالنسبة لإقامة البنية، وللندب بالنسبة للاستعانة على أمور مندوبة، وللاباحة إن كان تفكهاً أو تبسطاً. قوله: ﴿ما رزقناكم﴾ يصح أن تكون ما مصدرية أي من طيبات رزقنا إياكم أو اسم موصول، والجملة صلة أو نكرة موصوفة والجملة صفة أي من طيبات الشيء الذي رزقناكموه أو شيء رزقناكموه، ويؤخذ من ذلك أن ذلك الرزق بعضه حلال وبعضه غير حلال وهو مذهب أهل السنة، قال في الجوهرة:

الكلام فيه وكذا ما بعدها وهي ما لم يذك شرعاً وألحق بها بالسنة ما أبين من حي وخص منها السمك والجراد ﴿وَالدَّمَ﴾: أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾: خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: أي ذبح على اسم غيره والإهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: أي ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾: متعد عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ ١٧٣: بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك وخرج الباغي والعادي ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل

فيرزق الله الحلال فاعلما ويرزق المكروه والمحرما

قوله: ﴿واشكروا لله﴾ أي اعتقدوا أن النعم صادرة لكم من الله، وهو بذلك المعنى واجب وإنكاره كفر، أو المعنى راقبوا في كل لحظة أن كل نعمة من الله وهو بهذا المعنى مندوب لأن هذا مقام الخواص. قوله: ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ إن شرطية وكنتم فعل الشرط، والتاء اسمها وجملة تعبدون خبرها وإياه مفعول تعبدون قدم رعاية للفواصل وللحصر، وجواب الشرط محذوف دل عليه الأمر أي فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله.

قوله: ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ المقصود من هذا الحصر الرد على من حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وعلى من أحل بعض المحرمات فالحصر إضافي. قوله: [وهو ما لم يذك شرعاً] أي إما لكونها لا تعمل فيه أصلاً كالبغال والحمير أو تعمل فيه ولكن لم يذك كالأنعام إجماعاً والخيل على مذهب الشافعي. قوله: [ما أبين من حي] أي فهو ميتة. قوله: [وخص منها السمك والجراد] أي لما في الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال»، وإنما أحل الكبد والطحال المنفصلان من الحيوان بعد ذكاته شرعاً لكونهما ليسا من الدم المسفوح. قوله: [أي المسفوح] أي ولو من سمك خلافاً لأبي حنيفة، ومن هنا اختلف في الفسيخ فقال الأئمة الثلاثة: بحرمة أكله وبيعه لشرب بعضه من دم بعض حين تكديسه، وقال أبو حنيفة بطهارته لأنه لا دم له أصلاً، وإنما الذي ينزل منه دهن لا دم بدليل أنه لو نشف لصار أبيض لا أحمر، وقال أستاذنا العارف بالله تعالى شيخنا الشيخ الدردير الذي أدين الله به أن الفسيخ بجميع أجزائه طاهر يجوز أكله، وأما لو نشف بحيث لم يسل منه دم كالسمك المالح فهو طاهر حلال باجماع. قوله: [كما في الأنعام] أي في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً﴾ الآية، فما هنا يقيد بما هناك.

قوله: ﴿ولحم الخنزير﴾ أي البري إنسياً أو وحشياً، وأما البحري فهو حلال وكلبه كذلك. قوله: [وغيره تبع له] ظاهره حتى الشعر ولكن مذهب مالك حل لبسه والانتفاع به. قوله: [والاهلال رفع الصوت] أي قد سمي الشيء باسم صاحبه، ولذلك يقال استهل المولود بمعنى صاح عند الولادة وسمي الهلال بذلك لرفع الصوت عند رؤيته. قوله: ﴿فمن اضطر﴾ هذا كالاستدراك على عموم قوله ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾. قوله: ﴿غير باغ﴾ حال من الضمير في اضطر. قوله: [لأوليائه] أي الذين أكلوا عن اضطرار. قوله: [حيث وسع لهم في ذلك] أي فأباح لهم أكلها والشبع منها حيث كانت المخمصة دائمة، وأجمعت الأئمة على ذلك، واختلفوا إذا لم تدم المخمصة فرجح مالك الشبع والتزود وذكر غيره قولين، وعلى كل فإذا استغنى عنها طرحها ويقدم الميتة وما أهل به لغير الله في الأكل على لحم الخنزير.

شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: المشتمل على نعت محمد وهم اليهود ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم ﴿أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: لأنها مآله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: غضباً عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يطهّرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٧٤: مؤلم، هو النار ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾: المعدّة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ١٧٥: أي ما أشدّ صبرهم وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأي صبر

قوله: [وعليه الشافعي] أي فمذهب الشافعي أن العاصي بسفره لا يأكل من الميتة إلا إن تاب، وأما مذهب مالك وأبي حنيفة أن العاصي بسفره له الأكل من الميتة وإن لم يتب، وفسّر قوله غير باغ أي غير طالب الميتة وما معها وهو يجد غيرها وغير عادٍ أي متعد ما أحل الله وقيل غير مستحل لها.

قوله: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ نزلت هذه الآية في حق علماء اليهود، وقد كانوا يأخذون من سفلتهم مالاً، وكانوا يودون أن نبي آخر الزمان يكون منهم، فلما بعث رسول الله من غيرهم خافوا أن رياستهم تذهب بسبب ظهوره واتباع سفلتهم له، فينقطع ما كان يصلهم من سفلتهم فغيروا صفته وصفة أصحابه وبلده حرصاً على الرياسة وعلى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم، قال تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾. قوله: [المشتمل على نعت محمد] أي فالكتاب مشتمل على أمور كثيرة، منها نعت محمد ومنها غيره، فالمغيّر إنما هو المشتمل على نعت محمد لا جميع ما في الكتاب. قوله: [يأخذونه بدله] أي يأخذون الثمن بدل الكتمان، بمعنى أن الحامل لهم على الكتمان إنما هو العرض الفاني الذي يأخذونه من سفلتهم، وليس المراد أنهم قالوا لهم خذوا هذا المال واكتموا وصف محمد. قوله: [خوف فوته] أي الأمر الدنيوي عليهم. قوله: ﴿إلا النار﴾ أي سببها كما يشير له قول المفسر لأنها مآله أي مأواه وعاقبة أمره ففيه مجاز الأول.

قوله: ﴿ولا يكلمهم الله﴾ أي كلام رضا بل يكلمهم كلام غضب. قوله: [غضباً عليهم] أي من أجل غضبه عليهم أي طرده لهم وإبعادهم عن رضاه. قوله: [يطهرهم من دنس الذنوب] أو المعنى لا يشهد لهم بالطهارة يوم القيامة. قوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ هذا بيان حالهم في الآخرة وهو عدم كلام الله لهم المترتب على كتمانهم، وعدم طهارة الله لهم المترتب على اشترائهم ثمناً قليلاً، والعذاب الأليم المترتب على أكلهم سبب النار.

قوله: ﴿أولئك الذين اشتروا﴾ هذا بيان لحالهم في الدنيا. قوله: ﴿بالهدى﴾ الباء داخلة على المتروك أي فقد تركوا الهدى وأخذوا الضلالة بدله. قوله: [لو لم يكتموا] لو شرطية وجوابها محذوف تقديره ما اشتروا العذاب بالمغفرة. قوله: ﴿فما أصبرهم على النار﴾ الأحسن أن ما نكرة تامة مبتدأ والجملة بعدها في محل رفع خبر، والمعنى أي شيء أصبرهم على النار فأصبر فعل تعجب والفاعل مستتر وجوباً والهاء مفعول وقيل استفهامية فيها معنى التعجب والإعراب واحد، وقيل اسم موصول وما بعدها صلتها والخبر محذوف، وقيل نكرة موصوفة وما بعدها صفتها والخبر محذوف.

---

* أسباب نزول الآية ١٧٤: قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ والتي في آل عمران ﴿إن الذين يشترون بعهد الله﴾ نزلتا جميعاً في يهود. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي: فانزل الله ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ الآية.

لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي ذُكِر من أكلهم النار وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أنّ ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: بذلك وهم اليهود وقيل المشركون في القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ ١٧٦: عن الحق ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: في الصلاة ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾: نزل ردًا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: أي ذا البرّ وقرئ بفتح الباء أي البارّ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

قوله: [أي ما أشد صبرهم] هذا حل معنى لا إعراب. قوله: [وهو تعجيب للمؤمنين] جواب عن سؤال مقدر، حاصله أن التعجب هو استعظام شيء خفي سببه وذلك مستحيل على الله تعالى لأنه لا يخفى عليه خافية، فأجاب بأن التعجب واقع من المؤمنين، فالمعنى تعجبوا أيها المؤمنون من صبر هؤلاء على موجبات النار التي من جملتها الكتمان وأخذهم الثمن القليل وغير ذلك من غير مبالاة قوله: [وإلا فأي صبر لهم] أي وإلا نقدر موجبات بل لو أبقينا الكلام على ظاهره فلا يصح ذلك لأنه ليس لأحد صبر على ذات النار. قوله: [الذي ذكر] أي وهو أمور ستة: أكلهم سبب النار وعدم كلام الله وعدم تزكيته لهم والعذاب الأليم واشتراؤهم الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة.

قوله: ﴿نزل الكتاب﴾ المراد به التوراة باتفاق المفسرين، وإنما الخلاف في الكتاب الثاني. قوله: [فاختلفوا فيه] قدره المفسر لتمام الفائدة وإلا فالمسبب ليس نزول الكتاب بالحق فقط. قوله: [وكفروا ببعضه] أي فما وافق هواهم آمنوا به وما خالفه كتموه وقالوا لم ينزله ربنا. قوله: [وهم اليهود] أي فالمراد بالكتاب التوراة والآية من تمام ما قبلها. قوله: [وقيل المشركون] أي فهو كلام مستأنف والكتاب هو القرآن. قوله: [حيث قال بعضهم شعر] هذا هو وجه الاختلاف. قوله: ﴿بعيد﴾ [عن الحق] أي فمن آمن بالبعض وكفر بالبعض لم يصادف الحق بل هو بعيد عنه، ومن قال من المشركين إنه شعر أو سحر أو كهانة أو غير ذلك لم يصادف الحق بل هو في بعد عنه، وبهذه الآية تم الرد على جميع من كفر كان من اليهود أو المشركين.

قوله: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ هذا ابتداء نصف السورة الثاني وهو متعلق بتبيين غالب أحكام الدين، وأما النصف الأول فهو متعلق بأصول الدين وقبائح اليهود، والبر بالنصب والرفع قراءتان سبعيتان، فمن نصب جعله خبراً لليس مقدماً وأن تولوا في تأويل مصدر اسمها مؤخر، ومن رفع جعله اسمها وأن تولوا خبرها، والبر اسم جامع لكل خير، كما أن الاثم اسم جامع لكل شر. قوله: [نزل رداً على اليهود والنصارى] أي فقد زعم النصارى أن البر في استقبال جهة طلوع الشمس، وزعم اليهود أن البر في استقبال بيت المقدس، فالمراد بالمغرب ما عدا المشرق فيشمل جهة الشمال وقبل بكسر القاف وفتح الباء ظرف مكان معناه جهة، وقيل نزلت رداً على المسلمين وكانوا في صدر الإسلام أمروا بالايمان بالله والصلاة فقط لأي جهة كانت، فالمعنى ليس البر كما تعتقدون أنه مقصور على الايمان والصلاة فقط بل هو من جميع هذه الخصال والأظهر الأول. قوله: [أي ذا البر] قدر ذا إشارة إلى أن من اتصف بهذه الخصال يسمى باراً لا براً، وبالجملة يقال فيه ما قيل في زيد عدل وقيل إن براً اسم فاعل أصله برر نقلت كسرة الراء إلى الباء ثم أدغمت إحدى الراءين في الأخرى.

---

* أسباب نزول الآية ١٧٧: قوله تعالى ﴿ليس البر﴾ الآية. قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة قال: كانت اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق، فنزلت ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية مثله وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلا سأل النبي ﷺ عن البر، فأنزل الله هذه الآية ﴿ليس البر أن تولوا﴾ فدعا الرجل فتلاها عليه، وكان قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم مات على ذلك وكانت اليهود توجهت قبل المغرب والنصارى قبل المشرق.

﴿الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾: أي الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى﴾: مع ﴿حُبِّهِ﴾: له ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾: القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المسافر ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: الطالبين ﴿وَفِي﴾: فكّ ﴿الرِّقَابِ﴾: المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾: المفروضة وما قبله في التطوّع ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: الله أو الناس ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: نُصب على المدح ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: وقت شدة القتال في سبيل الله ﴿أُولَئِكَ﴾: الموصوفون بما ذكر ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في إيمانهم أو ادعاء البر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ١٧٧: الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾:

قوله: ﴿من آمن بالله﴾ أي صدّق بقلبه ونطق بلسانه أن الله يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص. قوله: ﴿واليوم الآخر﴾ أي ما يتعلق به من الحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار وما فيهما من الثواب والعقاب. قوله: ﴿والملائكة﴾ أي بأنهم عباد مكرمون، أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. قوله: ﴿أي الكتب﴾ أي المنزلة من عند الله على أنبيائه. قوله: ﴿والنبيين﴾ أي إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي، فيجب الإيمان بخمسة وعشرين منهم وهم المذكورون في القرآن. قوله: [مع] ﴿حبه﴾ [له] أي المال بأن يعطيه مع كونه يحبه لنفسه، ويحتمل أن المعنى مع حبه لله أي يعطي المال مع كونه يحب الله، وكل صحيح. قوله: [القرابة] أي فإعطاء الأقارب مقدّم لأن فيه قربتين الصدقة وصلة الرحم.

قوله: ﴿واليتامى﴾ أي الفقراء منهم وهم من مات أبوهم قبل بلوغهم. قوله: ﴿والمساكين﴾ المراد ما يشمل الفقراء وهم المحتاجون. قوله: [المسافر] أي الغريب ولو مليئاً ببلده. قوله: [الطالبين] أي مطلقاً لما في الحديث: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس». قوله: [المكاتبين] أي ليستعينوا على فك رقابهم من الرق. قوله: [والأسرى] أي ليستعينوا على خلاص أنفسهم من الكفرة. قوله: [المفروضة] أي ومن المعلوم أن لها أصنافاً مذكورة في الفقه تصرف لها.

قوله: ﴿والموفون بعهدهم﴾ أي وهم من إذا وعدوا أنجزوا، وإذا نذروا أوفوا، وإذا حلفوا لم يحنثوا في أيمانهم، وإذا قالوا صدقوا في أقوالهم، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، والموفون معطوف على من آمن، التقدير ولكن البر المؤمنون والموفون. قوله: [نصب على المدح] أي بفعل محذوف تقديره وأمدح الصابرين وخصهم بالذكر لأن الصبر يزين العبادة وتركه يشينها. قوله: [شدة الفقر] أي فلا يشكون لأحد غير الله لأنه يحب الملحين في الدعاء. قوله: [وقت شدة القتال] أي فلا يفر من الأعداء. قوله: [الموصوفون بما ذكر] أي بجميع هذه الخصال، قال بعضهم: لا تكون هذه الخصال جميعها إلا في الأنبياء، وقال بعضهم لا مانع أن تكون في غيرهم. قوله: [أو دعاء البر] أي فمعنى الصدق هنا الصدق في الأقوال، فإذا أخبروا بشيء فهم صادقون فيه.

قوله: ﴿وأولئك هم المتقون﴾ [الله] أي الكاملون في التقوى. قوله: [فرض] ﴿عليكم﴾ إن قلت إن مقتضى الفرض أنه متحتم لا يجوز العدول عنه وهو مخالف لما يأتي. أجيب بأن الفرض بالنسبة لولاة الأمور إذا شح الولي وأبى

---

* أسباب نزول الآية ١٧٨: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: إن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال. فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم، والمرأة منا الرجل منهم، فنزل فيهم ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾.

المماثلة ﴿فِي ٱلْقَتْلَى﴾: وصفاً وفعلاً ﴿ٱلْحُرُّ﴾: يقتل ﴿بِٱلْحُرِّ﴾: ولا يقتل بالعبد ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾: وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حراً ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾: من القاتلين ﴿مِنْ﴾: دم ﴿أَخِيهِ﴾: المقتول ﴿شَيْءٌ﴾: بأن ترك القصاص منه وتنكير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة وفي ذكر أخيه تعطف داع إلى العفو وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر ﴿فَٱتِّبَاعٌ﴾: أي فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولي الشافعي والثاني الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء ورجح ﴿وَ﴾: على القاتل

إلا القتل، فالمعنى يجب عليهم فعل القتل إن شح المولى ولم يعف. وسبب نزول الآية أن رسول الله لما دخل المدينة وجد الأوس والخزرج يتفاخران على بعضهم فصاروا يقتلون الاثنين بالواحد والحر بالعبد منهم، فنزلت هذه الآية فآمنوا وأسلموا. قوله: ﴿القصاص﴾ نائب فاعل كتب وقوله في القتلى أي بسببها ففي للسببية على حد «دخلت امرأة النار في هرة حبستها» والقتلى جمع قتيل. قوله: [المماثلة] أي التماثل في الوصف والفعل وهذا هو المراد به هنا، وإلا فالقصاص في الأصل القود وهو قتل القاتل. قوله: [وصفاً] أي يشترط التماثل في الوصف بأن يكون مماثلاً له في وصفه من حرية وإسلام، وبالجملة فالمدار في القصاص على كون القاتل مثل المقتول أو أدنى، فإن كان أعلى منه إما بالدين أو الحرية فلا قود. قوله: [وفعلاً] أي فلو قتل بسيف فإنه يقتل به أو بغيره فبغيره. قوله: [ولا يقتل بالعبد] أي بل يلزمه قيمته ويضرب مائة ويحبس سنة كما بينته السنة.

قوله: ﴿والعبد بالعبد﴾ أي إن طلب سيد المقتول القصاص وإلا فله إما قيمة القاتل أو المقتول أو ذات القاتل، والخيار في ذلك لسيد القاتل. قوله: [وأن الذكر يقتل بالأنثى] أي وبالعكس. قوله: [وأنه تعتبر المماثلة] معطوف على أن الذكر مسلط عليه قوله وبينت السنة. قوله: [فلا يقتل مسلم الخ] أي فالإسلام أعلى من الحرية وعكسه يقتل به. قوله: ﴿فمن عفي له﴾ هذا تقييد لما قبله، وسيأتي للمفسر أن من يصح أن تكون شرطية أو موصولة فالمعنى على الثاني فالشخص الذي ترك له شيء من دم أخيه فاتباع بالدية بالمعروف، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وعلى الأول فأي شخص ترك له الخ فقد بطل القتل فلا مطالبة به. قوله: [من القاتلين] بيان لمن.

قوله: ﴿من﴾ [دم] ﴿أخيه﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [المقتول] وصف للأخ. قوله: [عن بعضه] أي القصاص ولو شيئاً يسيراً كعشرة وذلك كما إذا كان الولي واحداً وعفا عن بعض القصاص. قوله: [ومن بعض الورثة] أي ولو كان العافي واحداً من ألف مثلاً ولمن بقي نصيبه من الدية. قوله: [تعطف] أي من الله. قوله: [لا يقطع أخوة الإيمان] أي خلافاً للخوارج القائلين بقطع الإيمان بالمعاصي. قوله: [والخبر] ﴿فاتباع﴾ أي جملته من المبتدأ والخبر الذي قدره المفسر بقوله فعلى العافي اتباع.

قوله: ﴿بالمعروف﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لاتباع أي اتباع ملتبس بالمعروف. قوله: [وترتيب الاتباع على العفو] أي بعد ذكر وجوب القصاص. قوله: [أن الواجب أحدهما] أي القصاص أو الدية، فالدية واجب مستقل مقابل للقصاص. قوله: [وهو أحد قولي الشافعي] أي ومالك أي فأحد قوليهما أن الواجب أحدهما، فإذا كان عفا على الدية وامتنع من إعطائها فله جبره على الدية ولا يقتل. قوله: [والثاني الواجب القصاص الخ] أي فالخيار للأولياء في ثلاثة، إما القصاص أو العفو على الدية أو مجاناً، فلو عفوا على الدية وامتنع القاتل من دفعها فللأولياء إما

﴿أداء﴾: للدية ﴿إليه﴾: أي العافي وهو الوارث ﴿بإحسان﴾: بلا مطل ولا بخس ﴿ذلك﴾: الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿تخفيف﴾: تسهيل ﴿من ربكم﴾: عليكم ﴿ورحمة﴾: بكم حيث وسع في ذلك ولم يحتم واحداً منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية ﴿فمن اعتدى﴾: ظلم القاتل بأن قتله ﴿بعد ذلك﴾: أي العفو ﴿فله عذاب أليم﴾ ١٧٨: مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل ﴿ولكم في القصاص حيوة﴾: أي بقاء عظيم ﴿يا أولي الألباب﴾: ذوي العقول لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع ﴿لعلكم تتقون﴾ ١٧٩: القتل مخافة القود ﴿كتب﴾: فرض ﴿عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾: أي أسبابه ﴿إن ترك خيراً﴾: مالاً ﴿الوصية﴾: مرفوع بكتب، ومتعلق إذا إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أي فليوص ﴿للوالدين والأقربين بالمعروف﴾: بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغني ﴿حقاً﴾: مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿على المتقين﴾ ١٨٠: الله وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث: «لا وصية لوارث» رواه الترمذي ﴿فمن بدله﴾: أي الإيصاء من شاهد ووصي ﴿بعدما سمعه﴾: علمه ﴿فإنما إثمه﴾: أي الإيصاء المبدل ﴿على الذين يبدلونه﴾: فيه إقامة الظاهر

قتله أو العفو مجاناً، وهذا هو المرتضى في المذهبين. قوله: [فلا شيء] أي على هذا القول وأما على الأول فيلزمه الدية. قوله: [والعفو عنه لا على الدية] أي أو مجاناً كما بينته السنة. قوله: [بأن قتله] ﴿بعد ذلك﴾ أي فحيث ترك حقه لا حق له.

قوله: ﴿ولكم في القصاص﴾ هذا هو حكمة القصاص. قوله: [بقاء عظيم] أي للقاتل والمقتول. قوله: ﴿يا أولي الالباب﴾ جمع لب وهو العقل الكامل. قوله: [فشرع] تفريع على بيان الحكمة وأخره لتعلق لعلكم تتقون به. قوله: [مخافة القود] أي مخافة أن يقتص منكم. قوله: [أي أسبابه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمراد بأسبابه علاماته كالأمراض الشديدة والجراحات التي يظن منها الموت عادة. قوله: ﴿إن ترك خيراً﴾ شرط في الشرط الذي هو إذا. قوله: [مالاً] سماه خيراً إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون حلالاً طيباً. قوله: [مرفوع بكتب] أي على أنه نائب الفاعل ولو لم توجد في الفعل علامة التأنيث لوجود الفاصل سيما مع كونه مجازي التأنيث كقولهم طلع في النهار الشمس. قوله: [إن كانت ظرفية] أي محضة لم يكن فيها معنى الشرط بل المراد منها الوقت والزمن. إن قلت الوصية إما مصدر أو اسم مصدر والمصدر أو اسمه لا يتقدم معموله عليه. أجيب بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها. قوله: [وجواب إن] بالجر معطوف على جوابها أي ودالة على جواب إن وقوله أي فليوص هذا هو جواب إذا وإن.

قوله: ﴿للوالدين﴾ متعلق بالوصية. قوله: ﴿والأقربين﴾ عطف عام على خاص. قوله: [مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله] أي حيث صدر بقوله كتب على حد: زيد أبوك عطوفاً، واستشكل بأن المصدر المؤكد لا يعمل مع أنه عامل في قوله على المتقين، فالأحسن أن يجعل مصدراً مبيناً للنوع إلا أن يقال يتوسع في الظروف والمجرورات ما لا يتوسع في غيرها لأنه يكتفي فيها بأي عامل ولو ضعيفاً. قوله: [وهذا منسوخ] أي الحكم لا التلاوة فحكمها كحكم القرآن. قوله: [بآية الميراث] أي قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾ الآيات. قوله: [لا وصية لوارث] صدره إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية الخ. قوله: [أي الايصاء] أي أو المعروف أو الوصية. قوله: [من شاهد ووصي] بيان لمن. قوله: [علمه] أي ولو لم يسمعه من الموصي. قوله: [أي الايصال المبدل] أو

مقامَ المضمر ﴿إنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ﴾ ١٨١: لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾: بفعل الوصي فمجاز عليه ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ﴾: مخففاً ومثقلاً ﴿جَنَفاً﴾: ميلاً عن الحق خطأً ﴿أَوْ إِثْماً﴾: بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غنيٍّ مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الموصي والموصَى له بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في ذلك ﴿إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٨٢ ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٨٣: المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها ﴿أَيَّاماً﴾: نصب بالصيام أو يصوموا مقدراً ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾: أي قلائل أي مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي وقلله تسهيلاً على المكلفين ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾: حين شهوده ﴿مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أي مسافراً سفر القصر وأجهده الصوم في الحالين فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾: فعليه عدة ما أفطر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: يصومها بدله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾: لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾: لكبر أو

المعروف. قوله: [فيه إقامة الظاهر الخ] أي مع مراعاة معنى مَنْ، ولو راعى لفظها لقال على الذي بدّله، ولو أضمر لقال عليه.

قوله: ﴿فمن خاف﴾ الاحسن أن هذا الحكم عام فهو غير منسوخ، ويؤخذ هذا من تقديم المفسّر قوله وهذا منسوخ عليه. قوله: [مخففاً ومثقلاً] أي فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد. قوله: [خطأ] حمله على ذلك عطف قوله أو إثماً عليه وإلا فالجنف في الاصل الميل عن الحق مطلقاً. قوله: [بين الموصي والموصى له] أي إن أدرك وهو حي وحصل إصلاح فالاثم مرتفع وإلا فعليه الاثم ويبطل ما زاد على الثلث.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب للمؤمنين من أهل المدينة لكن المراد العموم. قوله: ﴿الصيام﴾ هو لغة الامساك ومنه ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي إمساكاً عن الكلام ومنه أيضاً: خيل صيام وخيل غير صائمة. أي ممسكة عن الجري وغير ممسكة عنه، واصطلاحاً الامساك عن شهوتي البطن والفرج يوماً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى. قوله: [من الامم] أي وأنبيائهم من آدم إلى نبينا لكن لا كصومنا من كل جهة فالتشبيه في الفرضية لا الكيفية والثواب وحكمة ذكر التشبيه التأكيد في الأمر والتسلي بمن قبلنا لأن في الصوم نوع صعوبة. قوله: [فإنه يكسر الشهوة] أي لما في الحديث «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أي قاطع لشهوته كما تنقطع بالخصي. قوله: [نصب بالصوم] أي على أنه ظرف له أي الصيام في أيام، وقوله أو يصوموا مقدراً أي دل عليه قوله الصيام وهو الأحسن.

قوله: ﴿معدودات﴾ أي أقل من أربعين إذ العادة في لغة العرب متى ذكر لفظ العدد يكون المراد به ذلك. قوله: [أو مؤقتات] هذا هو الأولى ليعلم منه تعيينها، وقيل معنى معدودات معدات للعطايا الربانية فالصالحون يتهيؤون لها لما في الحديث «إن لله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها» وأيضاً فيه ليلة خير من الف شهر وغير ذلك من فضائله المشهورة. قوله: [تسهيلاً على المكلفين] أي ليقدموا عليها، قال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ الآية. قوله: ﴿أو على سفر﴾ أي ملتبساً به قوله: [في الحالين] أي المرض والسفر وهذا ظاهر بالنسبة للمرض لا للسفر، فإن المسافر يباح له الفطر وإن لم يجهده الصوم، لكن الصوم أفضل له في هذه الحالة، ولا فرق في السفر بين كونه براً أو بحراً.

قوله: ﴿أخر﴾ بالجمع صفة لأيام ممنوع من الصرف للوصفية والعدل، ولم يقل أخرى مع صحته لتوهم كونه

---

* أسباب نزول الآية ١٨٤: قول تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ الآية. اخرج ابن سعد في طبقاته عن مجاهد قال: هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ فافطر واطعم لكل يوم مسكيناً.

مرَضٌ لا يُرجى بُرؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾: هي ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: أي قدرَ ما يأكلُه في يومه وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكلّ يومٍ وفي قراءةٍ بإضافة فدية وهي للبيان وقيل لا غير مقدّرة وكانوا مخيّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نُسخ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾: أي التطوع ﴿خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا﴾: مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٨٤: أنه خير لكم فافعلوه تلك الأيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾: حال، هادياً من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾: آيات واضحات ﴿مِّنَ

صفة لعدة مع أنه ليس مراداً. قوله: [لا يرجى برؤه] أي كمرض القصبة والجذام. قوله: [هي] ﴿طعام﴾ أشار بذلك إلى أن فدية بالتنوين وطعام خبر لمبتدإ محذوف بيان لفدية. قوله: [وفي قراءة بإضافة فدية] أي مع جمع مسكين، وأما الأولى ففيها وجهان الافراد والجمع. قوله: [وقيل لا غير مقدرة] هذا مقابل ما حل به المفسر، فعلى الأول الآية محكمة، وعلى الثاني منسوخة. قوله: [بتعيين الصوم] أي ولا يقبل منه فدية بعد ذلك والتارك له جحداً كافر أو كسلاً يؤخر لمقدار النية قبل الفجر فإن لم ينو قتل حداً. قوله: [خوفاً على الولد] أي فإنهما يقضيان ويفتديان، وأما على أنفسهما فقط أو للولد فإن عليهما القضاء لا غير. قوله: [بالزيادة على القدر المذكور] أي بأن زاد على المذكور وفي عدد المساكين. قوله: [مبتدأ] أي مؤول بمصدر تقديره صيامكم. قوله: [فافعلوه] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: ﴿شهر رمضان﴾ خبر لمبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله تلك الأيام، واعلم ان اسماء الشهور أعلام اجناس ورمضان ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون لأنه من الرمض وهو الإحراق لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها وسمي الشهر شهراً لاشتهاره لمنافع الناس في دينهم ودنياهم، وسيأتي ايضاحه في قوله تعالى يسألونك عن الاهلة. قوله: ﴿القرآن﴾ هو لغة من القرء وهو الجمع واصطلاحاً اللفظ المنزل على النبي ﷺ المتعبد بتلاوته للاعجاز بأقصر سورة منه. قوله: [في ليلة القدر منه] أي فقد حوى رمضان مزيتين بنزول القرآن فيه ووجود ليلة القدر به، وليلة القدر به هي المعنية بقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾. والحاصل أن جبريل تلقاه من اللوح المحفوظ ونزل به إلى السماء الدنيا فأملاه للسفرة فكتبته في الصحف على هذا الترتيب ومقرها بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل به على النبي في ثلاث وعشرين سنة مفرقاً على حسب الوقائع، فجبريل أملى للسفرة ابتداء وتلقى عنها انتهاء، والحكمة في نزوله مفرقاً تثبيته في قلبه وتجديد الحجج على المعاندين وزيادة إيمان للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ وقال تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ وقال تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ وتلك الليلة التي نزل فيها القرآن ليلة أربع وعشرين. واعلم أن ليلة القدر تكون في رمضان وقد تنتقل عنه لغيره لكن الغالب كونها في العشر الاواخر منه، والغالب كونها في الأوتار هذا مذهب مالك، وذهب الشافعي إلى أنها لا تنتقل عن رمضان بل هي ملازمة له، والغالب كونها في العشر الاواخر منه، والغالب كونها في الأوتار خصوصاً إذا صادف الوتر ليلة جمعة. قوله: [هادياً] يصح أن يبقى على مصدريته والوصف به مبالغة، ويصح أن يكون على حذف مضاف أي ذو هدى على حد: زيد عدل. قوله: [من الضلالة] أي الكفر.

قوله: ﴿وبينات﴾ معطوف على هدًى من عطف الخاص على العام لأن الهدى بعضه ظاهر وواضح كآية الكرسي

﴿الْهُدَى﴾ : بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَ﴾ : من ﴿الْفُرْقَانِ﴾ : مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ : حضر ﴿مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ : تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ : ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر ولكون ذلك في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم عطف عليه ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ : بالتخفيف والتشديد ﴿الْعِدَّةَ﴾ : أي عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ : عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ : أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٨٥ : الله على ذلك. وسأل جماعة النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزل ﴿وَإِذَا

والاخلاص وغير ذلك، وبعضه غير واضح، قال تعالى : ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ إلى أن قال ﴿كل من عند ربنا﴾، فالايمان بكل آية هدى واضحة أو لا. قوله : [مما يفرق بين الحق والباطل] أي فيه آيات بينات مصحوبة بالادلة القطعية التي تقنع الخصم كقوله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب﴾. وقوله تعالى : ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه﴾ الآيات. وعطف الفرقان على الهدى من عطف الخاص على العام فكل أخص مما قبله الهدى صادق بالواضح وغيره كان معه دليل أم لا، والبينات من الهدى صادقة بوجود الحجج معها أم لا، والفرقان هو الآيات البينات التي معها حجج.

قوله : ﴿فمن شهد منكم الشهر﴾ إن كان المراد به الأيام فالمعنى شهد بعضه وإن كان المراد به الهلال، فالمعنى علمه إما أن يكون رآه أو ثبت عنده، قوله : ﴿فليصمه﴾ الشهر بمعنى الأيام، وعلى كل ففيه استخدام على كل حال لأنه ذكر الاسم الظاهر بمعنى وأعاد عليه الضمير بمعنى آخر، والخطاب للمكلف القادر الغير المعذور. قوله : ﴿مريضاً﴾ أي مرضاً شديداً يشق معه الصوم. قوله : ﴿أو على سفر﴾ أي سفر قصر وتلبس به قبل الفجر، والمعنى فأفطروا فعليهم عدة. قوله : [بتعميم من شهد] أي فإن لفظ من يعم المسافر وغيره والمريض وغيره.

قوله : ﴿ولا يريد بكم العسر﴾ عطف لازم على ملزوم. قوله : [في المرض والسفر] أي وما والاهما من الأعذار المبيحة للفطر التي نص عليها الفقهاء. قوله : [في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم] أي فهو علة لأمرين الأول جواز الفطر للمريض والمسافر، الثاني التوسعة في القضاء فلم يجب زمن معين ولا تتابع ولا مبادرة. قوله : [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله : [أي عدة صوم رمضان] يحتمل أن المعنى من جهة قضائه أي أردت بكم اليسر لتكملوا قضاءه إذا فاتكم لعذر، فإذا فاتكم شهر رمضان مثلاً فاقضوا شهراً إن كاملاً فكاملاً وإن ناقصاً فناقصاً ويحتمل أن المعنى من جهة صوم رمضان الحاضر، أي أردت بكم اليسر لتكملوا عدة رمضان ولا تنقصوها إلا لعذر كمرض وسفر فلا بأس بالفطر لذلك، وهذا مرتب أيضاً على قوله يريد الله بكم اليسر، فالمعنى أبحت لكم الفطر في السفر والمرض لارادة اليسر بكم وكلفتكم بالصوم مع اليسر وأبحت لكم الفطر في المرض والسفر لتكمل منكم العدة إما في رمضان أو في أيام أخر.

قوله : ﴿ولتكبروا الله﴾ أي يوم العيد وهو يوم إكمال العدة وبينت السنة كيفية التكبير. قوله : [على ذلك] أي على التكليف مع اليسر. قوله : [وسأل جماعة] هذا إشارة من المفسر لسبب نزول الآية. قوله : [فنناجيه] أي نساره أي ندعوه سراً ولا نجهر بالدعاء. قوله : [فنناديه] أي ندعوه جهراً والفعلان يصح فيهما النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لوقوعهما في جواب الاستفهام والرفع على الاستئناف أي فنحن نناجيه ونحن نناديه والأظهر الثاني لقول بعض شراح الحديث إنه الرواية، واعلم أن هذا السؤال الواقع من الصحابة لا يقتضي جهلهم بالتوحيد، لأن الله منزه عن القرب

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾: دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾: يداوموا على الإيمان ﴿بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ١٨٦: يهتدون

والبعد الحسيين لأنهما من صفات الحوادث والله منزه عنها فمن ذلك حارت عقولهم في ذلك، فمقتضى إحاطته بجميع خلقه وتصرفه فيهم كيف يشاء يوصف بالقرب، ومقتضى تنزهه عن صفات الحوادث جميعها يوصف بالبعد لأن صفاته توفيقية فالمسؤول عنه القرب أو البعد المعنويان لا الحسيان، وإلا لذمهم الله على ذلك ولم يضفهم له. قوله: [فأخبرهم بذلك] أي بأني قريب وقدر ذلك المفسر لعدم صحة ترتيب قوله فإني قريب على الشرط الذي هو إذا فإن جوابها لا بد وأن يكون مستقبلاً، وكون الله قريباً وصف ذاتي له لا ينفك عنه أزلاً ولا أبداً وإنما المستقبل الاخبار بذلك، وقوله بعلمي أي وسمعي وبصري وقدرتي وإرادتي ولم يقل بذاته وإن كانت الصفات لا تفارق الذات لأنه ربما يتوهم القاصر الحلول فيقع في الحيرة، وأما من فني عن وجوده فلم يشهد إلا الله فقد زال عنه الحجاب فلا حيرة عنده إذ لم يشهد غيره، وإنما خص المفسر العلم بذلك لأنه من صفات الاحاطة ومن غلبة رحمته تعالى أنه وصف نفسه بالقرب وإلا فمقتضى التوحيد وصفه بالبعد أيضاً بالاعتبار المتقدم، فلو قال فإني بعيد لحصل اليأس من رحمته.

قوله: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ الياءان من قوله الداع ودعان من الزوائد عند القراء، ومعناه أن الصحابة لم تثبت لها صورة في المصحف ولذا اختلفت فيها القراء، فمنهم من أسقطها وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم، ومنهم من يثبتها في الحالين، ومنهم من يثبتها وصلاً ويحذفها وقفاً. قوله: [بإنالته ما سأل] أي ما لم يسأل بإثم أو قطيعة رحم، وهذه الاجابة وعد من الله وهو لا يتخلف لكن على مراده تعالى لا على مراد الداعي، فالدعاء نافع ولا يخيب فاعله، وما يحتمل أن تكون موصولة وسأل صلتها والعائد محذوف أو نكرة موصوفة وسأل صفتها أو مصدرية أي بإنالته سؤاله.

قوله: ﴿فليستجيبوا لي﴾ يحتمل أن السين والتاء زائدتان، والمعنى فليجيبوني بالامتثال والطاعة كما أجبت دعاءهم، ﴿هل جزاء الاحسان إلا الاحسان﴾، وهذا ما مشى عليه المفسر، ويحتمل أنهما للطلب، والمعنى فليطلبوا مني الاجابة، فشرط الاجابة عقب دعائهم، وفي الحديث «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة»، فشرط الاجابة تيقنها، وقد أشار لذلك السيد البكري بقوله: فلا تردنا واستجب لنا كما وعدتنا. قوله: [يديموا] فعله أدام رباعياً وفي نسخة يدوموا وفعله دام ثلاثياً وهما لغتان فصيحتان. قوله: [على الايمان] ﴿بي﴾ أي فلا يرتدوا. قوله: ﴿لعلهم يرشدون﴾ هكذا أقر الجمهور بفتح الياء وضم الشين من باب قتل، وقرىء بكسر الشين وفتحها والياء مفتوحة على كل من بابي ضرب وعلم، وقرىء بضم الياء مبنياً للفاعل والمفعول محذوف أي غيرهم أي يدلوهم على طريق الرشاد، ولذا قيل حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل، أو مبنياً للمفعول فقراءات غير الجمهور أربع.

* أسباب نزول الآية ١٨٦: قوله تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم من طرق عن جرير بن عبد الحميد عن عبدة السجستاني عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال جاء إعرابي إلى النبي ﷺ، فقال اقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه، فأنزل الله ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ الآية.

واخرج عبد الرزاق عن الحسن قال: سأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي ﷺ أين ربنا؟ فأنزل الله ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ الآية مرسل، وله طرق أخرى، وأخرج ابن عساكر عن علي: قال رسول الله ﷺ لا تعجزوا عن الدعاء، فإن الله أنزل عليّ ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فقال رجل يا رسول الله ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ الآية وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح أنه بلغه لما نزلت ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ قالوا لا نعلم أي ساعة ندعو، فنزلت ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ إلى قوله ﴿يرشدون﴾.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾: بمعنى الإفضاء ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾: بالجماع نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العِشاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾: تخونون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قبل توبتكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ﴾ إذا أحل لكم

قوله: ﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾ ليلة ظرف لأحل والمعنى أحل لكم في ليلة الصيام، وفي الناصب له ثلاثة أقوال: قيل أحل وهو المشهور عند المعربين وليس بشيء لأن الاحلال ثابت قبل ذلك الوقت، وقيل مقدر مدلول عليه بلفظ الرفث تقديره أحل لكم أن ترفثوا ليلة الصيام، وقيل متعلق بالرفث لأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها. قوله: ﴿الرفث﴾ ضمنه معنى الافضاء فعداه بإلى وإلا فهو يتعدى بالباء أو بفي وهو في الأصل الكلام الذي يستقبح ذكره الواقع عند الجماع، فأطلق وأريد منه الجماع على سبيل الكناية لاستقباح ذكره. قوله: [بمعنى الافضاء] هو في الأصل أن لا يكون بينك وبين الشيء حائل، وليس مراداً هنا بل المراد به هنا إفضاء خاص بالجماع، ولذا قال المفسر بمعنى الافضاء إلى نسائكم بالجماع.

قوله: ﴿إلى نسائكم﴾ المراد حلائلكم من زوجة وأمة. قوله: [من تحريمه] أي الجماع. [بعد العشاء] أي دخول وقتها أو بعد النوم ولو كان قبلها. قوله: [كناية عن تعانقهما] أي فالتشبيه من حيث الاعتناق، فكما أن اللباس يسلك في العنق كذلك المرأة تسلك في عنق الرجل والرجل يسلك في عنقها، ويصح أن التشبيه من حيث الستر، فالمرأة تستر الرجل والرجل يسترها، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ وإليه الإشارة بقول المفسر أو احتياج كل منهما لصاحبه والحكمة في تقديم قوله هن لباس لكم أن طلب المواقعة غالباً يكون ابتداء من الرجل إليها أكثر لما في الحديث لا خير في النساء ولا صبر عنهن يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً.

قوله: ﴿تختانون﴾ هو أبلغ من تخونون لزيادة بنائه. قوله: [وقع ذلك لعمر]. وحاصله أنه بعد أن صلى العشاء، وجد بأهله رائحة طيبة فواقع أهله حينئذ، ثم لما أصبح جاء رسول الله وأخبره الخبر فقال يا رسول الله إني اعتذر إلى الله

---

* أسباب نزول الآية ١٨٧: قوله تعالى ﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾ الآية. روى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم أن رجلاً من الأنصار يقال له قيس بن صرمة صلى العشاء ثم نام، فلم يأكل ولم يشرب حتى اصبح، فأصبح مجهوداً، وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله ﴿احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ إلى قوله ﴿ثم اتموا الصيام إلى الليل﴾ هذا الحديث مشهور عن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ، وله شواهد، فأخرج البخاري عن البراء قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال هل عندك طعام فقالت: لا ولكني أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عينه، وجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾.

وأخرج البخاري عن البراء قال: لما نزل صوم شهر رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، فكان رجال يخونون انفسهم، فأنزل الله ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم﴾ الآية وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر من عند النبي ﷺ وقد سمر عنده فأراد امرأته، فقالت إني قد نمت قال: ما نمت ووقع عليها وصنع كعب مثل ذلك، فغدا عمر إلى النبي ﷺ فأخبره، فنزلت الآية.

﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾: جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا﴾: اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي أباحه من الجماع أو قدّره من الولد ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: الليل كله ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾: يظهر ﴿لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾: أي الصادق بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف أي من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ﴾: من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾: أي إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾: أي نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾: مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ متعلق بعاكفون نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: حدها لعباده ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾: أبلغ من لا تعتدوها المعبر به في آية أخرى ﴿كَذَلِكَ﴾: كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ١٨٧: محارمه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾: أي لا يأكل بعضكم

واليك مما وقع مني، فقام جماعة فقالوا مثل ما قال عمر، فنزلت الآية نسخاً للتحريم الواقع بالسنة. قوله: ﴿فالآن﴾ إن قلت إنه ظرف للزمان الحاضر، وقوله ﴿باشروهن﴾ مستقبل فحينئذ لا يحسن ذلك. أشار المفسر لدفع ذلك بحيث حول العبارة بقوله إذ حل لكم فمتعلق الظرف الحل لا المباشرة، فالمعنى حصل لكم التحليل الآن فحينئذ باشروهن فيما يستقبل. قوله: [جامعوهن] أي فالمراد مباشرة خاصة، فأطلق الملزوم وهو المباشرة، وأراد لازمه وهو الجماع. قوله: [أي أباحه من الجماع] أي في النساء الحلائل، وأشار بذلك إلى أنه ينبغي أن يقصد بجماعة العفة بالحلال عن الحرام له ولها أو رجاء النسل لتكثير الأمة، ففي الحديث «تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة».

قوله: ﴿وكلوا واشربوا﴾ نزلت في صرمة بن قيس وكان عاملاً في أرض له وهو صائم، فحين جاء المساء رجع لأهله فلم يجد طعاماً فغلبته عيناه من التعب، فلما حضر الطعام استيقظ فكره أن يأكل خوفاً من الله فبات طاوياً، فلما انتصف النهار حتى غشي عليه، فلما افاق أخبر النبي بذلك فنزلت الآية. قوله: ﴿من الخيط الأسود﴾ قيل قبل نزول قوله من الفجر، وضع عدي بن حاتم عقالاً أبيض وعقالاً أسود وجعل يأكل ويشرب حتى تبين كل منهما فلما أصبح أخبر النبي بذلك فقال له إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار. قوله: [أي الصادق] احترز بذلك عن الكاذب وهو ما يظهر قبل الصادق كذنب السرحان، ثم تعقبه ظلمة ثم يطلع الصادق وهو الضياء المنتشر. قوله: [وبيان الأسود محذوف] أي فلو بينه لقال من الفجر والليل ليكون لفاً ونشراً مرتباً، ولم يذكره لعدم تعلق حكم به، فإن الصوم متعلق بظهور الأبيض. [من الغبش] أي ظلمة الليل. قوله: [أبيض وأسود] لف ونشر مرتب، والتشبيه هنا إنما هو في الصورة والهيئة، وليس هناك خيط أبيض ولا أسود، كما توهمه بعض الصحابة. قوله: [في الامتداد] هذا هو وجه الشبه. قوله: [بغروب الشمس] أشار بذلك إلى أن الغاية غير داخلة في المغيا، وإنما صيام جزء من الليل من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

قوله: ﴿ولا تباشروهن﴾ أي مطلقاً ليلاً كان أو نهاراً وليس كالصيام. قوله: [نهي] خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه الآية نهي. قوله: [الأحكام المذكورة] أي من أول آية الصيام إلى هنا. واستشكل ذلك بأن الحد هو قوله تعالى: ﴿ولا تباشروهن﴾ الآية. وأجيب بأن الله أمرنا بالصوم بقوله: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ والأمر بالشيء نهي عن ضده. قوله: [أبلغ من لا تعتدوها] أي لأن النهي عن المقاربة نهي عن المجاوزة وزيادة. قوله: [أي لا يأكل بعضكم مال

---

* أسباب نزول الآية ١٨٨: قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: إن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن أشوع الحضرمي اختصما في أرض، وأراد امرؤ القيس أن يحلف ففيه نزلت ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: الحرام شرعاً كالسرقة والغصب ﴿وَ﴾: لا ﴿تُدْلُوا﴾: تلقوا ﴿بِهَا﴾: أي بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾: بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾: طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: ملتبسين ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٨٨: أنكم مبطلون ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: يا محمد ﴿عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾: جمع هلال لِمَ تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلىء نوراً ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾: جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾: يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم وإفطارهم ﴿وَالْحَجِّ﴾: عطف

بعض] أي لأن الله قدر لكل رزقه، فلا يتسع بالباطل ولا يضيق بالحق. قوله: [كالسرقة والغصب] أي والمكس والنهب من كل ما لم يأذن فيه الشارع. قوله: [تلقوا] أي تسرعوا أو تبادروا. قوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾ جملة حالية من فاعل تأكلوا. قوله: [أنكم مبطلون] بفتح الهمزة إشارة إلى أنه مفعول تعلمون.

قوله: ﴿يسألونك﴾ أي أصحابك. قوله: [لِمَ تبدو دقيقة] هذا هو صورة السؤال. قوله: [ثم تزيد] أي شيئاً فشيئاً. قوله: [حتى تمتلىء نوراً] أي وذلك ليلة أربعة عشر. قوله: [ثم تعود كما بدت] أي فالهلال إما آخذ في الزيادة وذلك في النصف الاول من الشهر، وإما آخذ في النقص وذلك في النصف الاخير منه.

قوله: ﴿قل هي مواقيت الناس﴾ قيل إن الجواب غير مطابق للسؤال لأن سؤالهم عن حكمة كونه يبدو دقيقاً، ثم إذا تم عاد كما كان، والجواب إنما هو عن حكمة الهلال الظاهرية وهي كونه مواقيت للناس والحج، وأما جواب سؤالهم فليسوا مكلفين به ولا حاجة لهم بذلك لأنه من المغيبات، وقيل إن الجواب مطابق للسؤال، فقوله: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ أي عن حكمتها الظاهرة وهذا هو الانسب بمقامهم لأن الاول من باب (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) والضمير يعود على الأهلة وتقدم أنه جمع هلال سمي بذلك لاستهلال الناس عند رؤيته بمعنى رفع أصواتهم، ويسمى بالهلال ليلتين أو ثلاثاً وبعد ذلك يسمى قمراً. قوله: [جمع ميقات] أصله موقات وقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء. قوله: [أوقات زرعهم] أي فكل زرع له وقت يطلع فيه، فزرع هذا الشهر مثلاً لا يطلع في غيره وهكذا. قوله: [وعدد نسائهم] أي من كونها أربعة أشهر وعشراً أو ثلاثة أشهر مثلاً. قوله: [وصيامهم] أي في رمضان مثلاً. قوله: [وإفطارهم]

---

* أسباب نزول الآية ١٨٩: قوله تعالى ﴿يسألون عن الأهلة﴾، أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة فنزلت هذه الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: بلغنا: أنهم قالوا يا رسول الله لم خلقت الأهلة، فأنزل الله ﴿يسألونك عن الأهلة﴾، وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدأ ويطلع دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد، فنزلت ﴿يسألونك عن الأهلة﴾. قوله تعالى ﴿وليس البر﴾ الآية.

روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر قال: كانت قريش تدعى الحمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينما رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري فقالوا يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر، وأنه خرج معك من الباب، فقال له ﷺ: ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت، قال: إن رجل أحمسي، قال له: فإن ديني دينك، فأنزل الله ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه، وأخرج الطيالسي في مسنده عن البراء قال: كانت الأنصار إذا قدموا من سفر لم يدخل الرجل من قبل بابه، فنزلت هذه الآية. وأخرج عبد بن حميد عن قيس بن حبتر النهشلي قال: كانوا إذا أحرموا لم يأتوا بيتاً من قبل بابه، وكانت الحمس بخلاف ذلك، فدخل رسول الله ﷺ حائطاً، ثم خرج من بابه فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن تابوت، ولم يكن من الحمس، فقالوا يا رسول الله نافق رفاعة فقال ما حملك على ما صنعت؟ قال: إني من الحمس، قال ﷺ: فإن ديننا واحد، فنزلت ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾.

على الناس أي يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾: في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقباً تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب، وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه براً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: أي ذا البر ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: الله بترك مخالفته ﴿وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾: في الإحرام كغيره ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ١٨٩: تفوزون. ولما صد ﷺ عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: من الكفار

أي في شوال. قوله: [عطف على الناس] أي مسلّط عليه مواقيت واللام وفي الحقيقة هو معطوف على المضاف المحذوف أي لمصالح الناس والحج. قوله: [يعلم بها وقته] أي وهو شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة فلو تقدم أو تأخر لم يصح، وهذا هو حكمة تخصيصه من دون العبادات وإن كان من مصالح الناس.

قوله: ﴿وليس البر﴾ الحكمة في ذكر هذه الآية بعد ما تقدم أنهم سألوا عن ذلك أيضاً، وصورة سؤالهم هل من البر إتيان البيوت من ظهورها، فأجابهم الله بأنه ليس من البر، ويتعين رفع البر هنا لأن ما بعد الباء يتعين جعله خبراً لليس فإن الباء إنما تدخل على الخبر لا على الاسم. قوله: [بأن تنقبوا فيها نقباً] أي من خوف الاستظلال بالسقف وهذا في الحاضر، وأما البادي فكان يشق الخيمة وذلك في الإحرام، زاعمين أن عدم تغطية الرأس بشيء أصلاً غير السماء بر. قوله: [بترك مخالفته] أي مطلقاً وامتثال المأمورات على حسب الطاقة.

قوله: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ حاصل ذلك أن الله أخبرنا بجملتين وأمرنا بجملتين مرتباً على الاوليين. فقوله: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ جملة خبرية رتب عليها قوله: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾. وقوله: ﴿ولكن البر من اتقى﴾ جملة خبرية أيضاً رتب عليها قوله: ﴿واتقوا الله﴾. قوله: [تفوزون] أي تسعدون وتظفرون برضاه. قوله: [ولما صد الخ] أي صده المشركون ومنعوه وصرفوه، والمراد بالبيت الكعبة، وحاصله أن النبي ﷺ سنة ست من الهجرة توجه مع ألف وأربعمائة ليفعل عمرة لأن الحج إذ ذاك لم يكن فرض، فنزلوا الحديبية مكان قريب من مكة يسمى وادي فاطمة، فخرجت عليهم سفهاء مكة يقاتلونهم بالاحجار والسهام، فأرسل رسول الله عثمان يستأذن أهل مكة في أن يدخل هو وأصحابه ويطوفوا ويكملوا عمرتهم، فأشاع الكفار وإبليس أن عثمان قد مات فبايع النبي أصحابه تحت الشجرة على قتالهم، فحصل صلح بينه وبينهم عشر سنين، وتبين أن عثمان حي لم يمت وأتى اليهم وقال إن الكفار أوعدونا إلى العام القابل. فتحلل المسلمون مكانهم في الحديبية ونحروا هديهم وحلقوا وانصرفوا راجعين، ثم في العام القابل وهو سنة سبع، تجهز رسول الله ﷺ لعمرة القضاء، وسميت قضاء لأنها وقع فيها المقاضاة والصلح لا أنه لزمهم قضاء للعمرة السابقة، لأن من صد لا يلزمه قضاء، فخافت المسلمون أن قريشاً لا تفي بالوعد ويحصل قتال في الشهر الحرام والحرم والإحرام فنزلت الآية. قوله: [وصالح الكفار] يصح أن الكفار فاعل يصالح والمفعول محذوف تقديره صالحه، ويصح أن الفاعل مستتر تقديره هو يعود على النبي والكفار مفعول. قوله: [على أن يعود العام القابل] تقدم أنه عام سبع. قوله: [وخافوا أن لا تفي قريش الخ] أي فيحصل المحذور الذي هو القتال في الحرم والاحرام والشهر الحرام. قوله: [نزل] هذا جواب لما أي فهو سبب النزول.

قوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ السبيل في الاصل الطريق فاستعير لدين الله وشرائعه بجامع التوصل للمقصود في

---

* أسباب نزول الآية ١٩٠: قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه =

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا﴾: عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ١٩٠: المتجاوزين ما حدّ لهم وهذا منسوخ بآية براءة أو بقوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: أي مكة وقد فُعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الشرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾: أعظم ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظموه ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي في الحرم ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾: فيه ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ﴾: فيه، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة ﴿كَذَٰلِكَ﴾: القتل والإخراج ﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ١٩١ ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾: عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ١٩٢: بهم ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾: توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾: العبادة ﴿لِلَّهِ﴾: وحده لا يعبد سواه ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾: عن الشرك فلا

قوله: ﴿الذين يقاتلونكم﴾ أي لا تبتدئوهم بالقتال. قوله: ﴿ولا تعتدوا﴾ المراد بالاعتداء هنا ابتداء القتال لا حقيقة الاعتداء الذي هو تجاوز الحد. قوله: [وهذا منسوخ بآية براءة] أي بقوله وقاتلوا المشركين كافة، فأزال الله الضيق عن المسلمين وأبدله بالسعة، وفي الحقيقة هذه الآية نسخت نحو سبعين آية من القرآن حصل فيها نهي عن القتال.

قوله: [أو بقوله الخ] أي وهذا أبلغ لكونها بلصقها. قوله: ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ أي من المكان الذي أخرجوكم منه يعني مكة وهو أمر بالاخراج، فكأنه وعد من الله بالفتح لمكة، وقد أنجز الله ما وعد به عام ثمان. قوله: [وقد فعل] أي رسول الله ﷺ بهم أي بالكفار منهم. قوله: [عام الفتح] أي وهو العام الثامن. إن قلت: إن مدة الصلح باقية مع أن إخراجهم وقتالهم حصل قبل مضي تلك المدة. أجيب: بأنه حصل منهم نقض للعهد بعد عمرة القضاء.

قوله: ﴿والفتنة الخ﴾ هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره إن خفتم أن تقاتلوهم في الشهر الحرام وراعيتم حرمة الشهر والاحرام والحرم، فالشرك الذي حصل منهم الذي فيه تهاون برب الحرم أبلغ. قوله: ﴿ولا تقاتلوهم الخ﴾ هذا توكيد المنسوخ وهو تفسير لقوله: ﴿ولا تعتدوا﴾. قوله: [أي في الحرم] إنما فسر عند بفي لأنه ظرف منصوب وهو على تقدير في، وأطلق المسجد الحرام وأراد ما يعم الحرم بتمامه. قوله: [وفي قراءة بلا الف] والقراءتان سبعيتان، والتلاوة على هذا: ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم، والمعنى فخذوا في أسباب قتلهم. قوله: ﴿جزاء الكافرين﴾ أي في الدنيا وفي الآخرة العذاب الاليم.

قوله: ﴿فإن انتهوا﴾ أي رجعوا عن الكفر، وأصله انتهيوا بياء مضمومة بعد الهاء، استثقلت الضمة على الياء فحذفت وتحركت الياء بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن قلبت ألفاً فالتقى ساكنان حذفت الألف وبقيت الفتحة دليلاً عليها.

قوله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ هذه الآية ناسخة أيضاً لما قبلها. قوله: ﴿ويكون الدين لله﴾ أي في مكة

= الآية في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما صد عن البيت الحرام ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه القابل. فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأنزل الله ذلك.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي، حتى إذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون، وصالحهم النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فلما كان العام المقبل أقبل وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال.

وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردوه فأقصه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردوه فيه، فأنزل الله ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾.

تعتدوا عليهم، دلّ على هذا ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾: اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٩٣: ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾: المحرم مقابل ﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾: فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله ردّ لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ﴾: جمع حرمة ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾: أي يقتص بمثلها إذا انتهكت ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: سمّي مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ١٩٤: بالعون والنصر ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طاعته الجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا۟

أي لأن المراد تخليص للدين في مكة من الشرك فقط لا كلّ الجهات، وأما آية الانفال في قوله ﴿ويكون الدين كله﴾ أي في كل الجهات. قوله: ﴿فإن انتهوا﴾ أي رجعوا عن الكفر وأسلموا. قوله: ﴿فلا عدوان﴾ الخ هذا خبر في صورة الامر مبالغة، أي فلا تنتقموا ولا تقتلوا إلاّ الظالمين، والمعنى لا يجازي على عدوانه إلا الظالمون، لأن العدوان واقع من الكفار بكفرهم وقتالهم للمسلمين لا من المسلمين بقتالهم لهم.

قوله: ﴿الشهر الحرام﴾ الخ هذا نزل أيضاً زيادة طمأنينة للمسلمين لأنه كان يشق عليهم القتال فيها تعظيماً لها، وقيل إنها نزلت رداً على الكفار والمنافقين المعترضين في قولهم ان الاشهر الحرم والحرم معظمة قديماً، ويزعم محمد أنه يحكم بالعدل وهو ينتهك حرمة الشهر الحرام والحرم، فرد الله عليهم بقوله الشهر الحرام أي الذي نقاتلكم فيه في مقابلة الشهر الحرام، أي الذي صددتمونا فيه عن العمرة والدخول وقاتلنا سفهاؤكم ولا يسمّى انتهاكاً ولا عدم تعظيم للحرم، لأنه لما كان بأمر الله اندفع ذلك كله. قوله: ﴿والحرمات قصاص﴾ أي متى حصل انتهاك من أحد لحرمة آخر سقطت حرمته فيقتص له منه، ومن هنا قول بعضهم ملغزاً فيمن قطعت يده ظلماً ومن قطعت يده لأجل السرقة:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

أجاب عنه القاضي عبد الوهاب البغدادي بقوله:

عز الامانة أغلاها وأرخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

قوله: ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ تسميته اعتداء ظاهر لأنه تجاوز للحدّ. وقوله: ﴿فاعتدوا عليه﴾ أي انتقموا منه وقاتلوا فتسميته اعتداء مشاكلة لمقابله، وقوله: ﴿بمثل ما اعتدى عليكم﴾ توكيد لقوله والحرمات قصاص، وكل هذا منسوخ بقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم. قوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي ومن التقوى رحمة عباده سيما إذا لم يقاتلوكم أو إذا قدرتم عليهم فالأولى العفو. قوله: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ أي معية خاصة فيمدهم بالنصر والعون، وإلا فهو مع كل نفس بعلمه وتصرفه.

قوله: ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ أي ابذلوا أنفسكم وأموالكم في طاعته ومراضيه، سواء الجهاد وغيره كصلة الرحم

---

* أسباب نزول الآية ١٩٥: قوله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ روى البخاري عن حذيفة قال: نزلت هذه الآية في النفقة، وأخرج أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً: إن أموالنا قد ضاعت، وأن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فاصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي جبيرة بن الضاحك قال: كانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله، فأصابتهم سنة فأمسكوا، فأنزل =

﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: أي أنفسكم والباء زائدة ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾: الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾: بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٩٥: أي يثيبهم ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: أدوهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: مُنعتم عن إتمامهما بعدوّ ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾: تيسر ﴿مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾: عليكم وهو شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾: أي لا تتحلوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ﴾: المذكور ﴿مَحِلَّهُۥ﴾: حيث يحل

ومراعاة الضعفاء والفقراء من عباد الله. قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ عبّر بالايدي عن الانفس اكتفاء بالجزء الاهمّ من النفس كقوله في آية أخرى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾ أي أنفسكم. قوله: ﴿إلى التهلكة﴾ أي إلى الهلاك أي إلى أسبابه، وأسباب الهلاك إمساك الاموال والانفس عن الجهاد لأنه به يقوى العدو وتكثر المصائب في الدين والذل لأهله كما هو مشاهد، ومن أنفق أمواله ونفسه في سبيل الله فقد ألقى بنفسه إلى العز الدائم في الدنيا والآخرة، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون. قوله: ﴿وأحسنوا﴾ أي افعلوا الإحسان بالانفاق في سبيل الله وغيره من أنواع العبادات. قوله: [أي يثيبهم] فسّر المحبة في حق الله بالاثابة، لأن حقيقتها وهي ميل القلب للمحبوب مستحيلة في حق الله تعالى، والاثابة لازمة لذلك، والقاعدة أن كل ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق ويراد لازمه وغايته.

قوله: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ المتبادر من الآية يشهد لقول الشافعي بوجوب العمرة عيناً في العمر مرة كالحج، وقال مالك بسنيتها في العمر مرة عيناً، وقرئ وأقيموا الحج والعمرة وهي تؤيد مذهب الشافعي سيما مع كون الاصل في الأمر الوجوب، وحجة مالك أن المراد تمموهما إذا شرعتم فيهما، ولا يلزم من وجوب الاتمام وجوب الابتداء. فالحاصل أن العلماء اتفقوا على وجوب الحج عيناً في العمر مرة وما عدا ذلك فهو فرض كفاية لاقامة الموسم، واتفقوا على مشروعية العمرة واختلفوا في حكمها، فقال الشافعي بوجوبها كالحج وحمل الاتمام على الأداء، وقال مالك بسنيتها وحمل الإتمام على حقيقته.

قوله: ﴿فإن أحصرتم﴾ أي عن البيت ولم تتمكنوا من دخوله كما وقع للمصطفى ﷺ، وهذا رفع للحرج الواقع في الأمر من قوله وأتموا. قوله: [تيسر] أشار بذلك إلى أن السين ليست لمعنى زائد، بل استيسر وتيسر بمعنى واحد. قوله: [وهو شاة] أي ضأناً أو معزاً مجزئة في الضحية. قوله: ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ اعلم أنه إذا اجتمع هدي وحلق

= الله ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ الآية. وأخرج أيضاً بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال: كان الرجل يذنب الذنب، فيقول لا يغفر لي، فأنزل الله ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، وله شاهد عن البراء أخرجه الحاكم.

* أسباب نزول الآية ١٩٦: قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ متضمخاً بالزعفران عليه جبة، فقال كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي؟ فأنزل الله. ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾، فقال ﷺ: اين السائل عن العمرة؟ قال ها انذا، فقال له ﷺ. ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق ما استطعت ثم ما كنت صانعاً في حجك فاصنعه في عمرتك قوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً﴾ الآية.

روى البخاري عن كعب بن عجرة أنه سئل عن قوله «ففدية من صيام» قال: حملت إلى النبي ﷺ، والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟ قلت لا، قال صم ثلاثة أيام، وأطعم ستة مساكين لكل مساكين نصف صاع من طعام وأحلق رأسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وأخرج أحمد عن كعب قال: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية ونحن محرمون، وقد حصر المشركون، وكانت لي وفرة فجعلت الهوام تساقط على وجهي، فمر بي النبي ﷺ فقال: أيؤذيك هوام رأسك، فأمره أن يحلق، فقال ونزلت هذه الآية «فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك».

وأخرج الواحدي من طريق عطاء عن ابن عباس قال: لما نزلنا الحديبية جاء كعب بن عجرة تنثر هوام رأسه على وجهه فقال يا رسول الله هذا القمل قد أكلني، فأنزل الله في ذلك الموقف «فمن كان منكم مريضاً» الآية.

ذبحه وهو مكان الإحصار عند الشافعي فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل **﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾**: كقمل وصداع فحلق في الإحرام **﴿ففدية﴾**: عليه **﴿من صيام﴾**: لثلاثة أيام **﴿أو صدقة﴾**: بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين **﴿أو نسك﴾**: أي ذبح شاة وأو للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره **﴿فإذا أمنتم﴾**: العدو بأن ذهب أو لم يكن **﴿فمن تمتع﴾**: استمتع **﴿بالعمرة﴾**: أي بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام **﴿إلى الحج﴾**: أي إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره **﴿فما استيسر﴾**: تيسر **﴿من الهدي﴾**: عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر **﴿فمن لم يجد﴾**: الهدي لفقده أو فقد ثمنه **﴿فصيام﴾**: أي فعليه صيام **﴿ثلاثة أيام في الحج﴾**: أي في حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذي الحجة والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام

فالهدي مقدم على الحلق، فإذا اجتمع معهما رمي وطواف قدم الرمي، ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف، وضبطها بعضهم بقوله رنحط. قوله: **﴿حتى يبلغ الهدي محله﴾** اعلم أنه اختلف في الهدي فقيل يؤمر به وهو قول الشافعي، وعليه فإن لم يجد هدياً قومه بطعام وأخرجه، فإن لم يجد صام بعدد الأمداد، وقيل لا يؤمر به، والآية محمولة على من كان معه هدي تطوعاً مثلاً وهو قول مالك، وعليه فإن لم يجد هدياً فلا شيء عليه غير الحلق. قوله: **﴿محله﴾** وهو بالكسر يطلق على الزمان والمكان، وبالفتح على المكان فقط. قوله: **[عند الشافعي]** أي ومالك أيضاً فالمدار عندهما على مكان الاحصار حلالاً أو حراماً، وقال أبو حنيفة لا بد أن يذبح بالحرم. قوله: **﴿أو به أذى﴾** متعلق بمحذوف معطوف على مريضاً الواقع خبراً لكان، وقوله أذى فاعل بالجار والمجرور أو الجار والمجرور خبر مقدم، وأذى مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على مريضاً.

قوله: **﴿ففدية﴾ [عليه]** قدره إشارة إلى أنه خبر المبتدإ، والجملة جواب من. واعلم أن دماء الحج ثلاثة: فدية وهدي، وقد ذكرهما هنا، وجزاء وقد ذكره في المائدة، فما كان عن إزالة أذى أو ترفه فهو فدية، وما ترتب عن نقص في حج أو عمرة بفعل اختياري أولا فهدي، وما كان عن صيد فجزاء. قوله: **[على ستة مساكين]** أي لكل مسكين مدان. قوله: **[لغير عذر]** أي وإن كان حراماً. قوله: **[وكذا من استمتع بغير الحلق]** أي فهو مقيس عليه. قوله: **[بعذر أو غيره]** راجع للثلاثة، غير أن الحرمة فيما كان لغير عذر وألحق بذلك من قلم ظفره، وأما الوطء وتقبيل الزوجة فكذا عند الشافعي وعند مالك فيه هدي.

قوله: **﴿فإذا أمنتم﴾** أي ابتداء وانتهاء. قوله: **﴿فمن تمتع﴾** حاصل ما في المقام أن الشخص إذا كان مفرداً فانه لا شيء عليه، وأما إذا كان قارناً أو متمتعاً فعليه دم. قوله: **[أي بسبب فراغه منها]** دفع بذلك ما يقال إن العمرة فيها مشقة ولا تمتع فيها. قوله: **﴿إلى الحج﴾** أي تمتع من فراغه من العمرة واستمر على ذلك إلى الاحرام بالحج. قوله: **[تيسر]** من **﴿الهدي﴾** أي وأفضل الهدايا الابل ثم البقر ثم الغنم.

قوله: **﴿فمن لم يجد﴾** أي فهو على الترتيب، وهذا الدم يلزم بشروط أربعة: الأول أن لا يكون أهله بالمسجد الحرام. الثاني أن يكون تحلله من العمرة في أشهر الحج. الثالث أن يحج في عامه. الرابع أن لا يرجع إلى بلده أو مثلها، وقال الشافعي أن لا يرجع إلى الميقات. قوله: **﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾** محل ذلك إن كان النقص قبل الوقوف وإلا صام العشرة متى شاء. قوله: **[قبل السابع]** أي ليصوم الثلاثة الأيام، وما مشى عليه المفسر قول ضعيف في

التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: جملة تأكيد لما قبلها ﴿ذَٰلِكَ﴾: الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الإستيطان فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعي والثاني لا، والأهل كناية عن النفس وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يدخل الحج عليها قبل الطواف ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ١٩٦: لمن خالفه ﴿الْحَجُّ﴾: وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾: شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة وقيل كله ﴿فَمَن فَرَضَ﴾: على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾: بالإحرام به ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: جماع فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: معاص ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: خصام

مذهب الشافعي، والمعتمد أنه لا يجب عليه ذلك لأنه لا يجب عليه تحصيل سبب الوجوب، ووافقه مالك على ذلك.

قوله: [على أصح قولي الشافعي] وقال مالك بجواز صومها. قوله: [وفيه التفات عن الغيبة] أي مع مراعاة معنى من. قوله: [تأكيد لما قبلها] أي لدفع توهم الكثرة في العدد، وقوله: ﴿كاملة﴾ أي في الثواب كالهدي وفيه تسلية الفقير العاجز عن الهدي. قوله: [عند الشافعي] أي وعند مالك لا ينتفي الهدي إلا عمن كان متوطناً بأرض الحرم، فيشمل أهل منى ومزدلفة. قوله: [وهو أحد وجهين عند الشافعي] أي وهو مذهب مالك. قوله: [والأهل كناية عن النفس] أي فعلى هذا يكون معنى الآية ذلك لمن أي لمحرم لم يكن أهله أي نفسه حاضري المسجد الحرام وهذا معنى بعيد، فالأولى ما قاله غيره من أن المراد بالأهل الزوجة والأولاد الذين تحت حجره دون الآباء والإخوة، ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبّر بالأهل لكون شأن المتوطن يكون بذلك. قوله: [القارن] أي ويطوف لهما طوافاً واحداً وسعياً واحداً عند مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة لا بد لهما من طوافين وسعيين. قوله: [فيما يأمركم به الخ] أي وخصوصاً في الحج والعمرة. قوله: [وقته] إنما قدره لأن الحج عمل والأشهر زمن ولا يخبر عن العمل بالزمن.

قوله: ﴿أشهر معلومات﴾ هذه الآية مقيدة لآية قل هي مواقيت للناس والحج، لأن المتبادر منها أن الأهلة كلها مواقيت الحج، فأفاد بهذه الآية أن الحج له زمن معلوم يؤدى فيه، وأما العمرة فوقتها السنة كلها ما لم يكن متلبساً بالحج، وإلا فلا يعتمر حتى يفرغ منه. قوله: [وعشر ليال من ذي الحجة] أي فالجمع في الآية لما فوق الواحد أو باعتبار جبر الكسر. قوله: [وقيل كله] أي فالجمع على حقيقته وبذلك قال مالك، والمعنى على ما قال مالك أن له التحلل في ذي الحجة بتمامه ولا يلزمه دم إلا بدخول الحرم، لا أن المعنى أن يبتدىء الاحرام به بعد فجر النحر، فان ذلك لم يقله مالك ولا غيره ممن يعتد به. فالحاصل أن الحج له ميقاتان مكاني وزماني، فالمكاني ما أشار له بعضهم بقوله:

عِرْقُ العراقِ يَلَمْلَمُ اليَمَنِي ... وبذي الحليفة يحرم المدني
والشام جحفة إن مررت بها ... ولأهل نجد قرن فاستبن

والزماني لابتداء الاحرام به شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، وأما لانتهاء التحليل منه فبقية ذي الحجة. قوله: ﴿فمن فرض﴾ [على نفسه] أي ألزم نفسه الدخول في أفعال الحج بأن أحرم به، سواء كان فرضاً عليه قبل ذلك أو لا. قوله: ﴿فيهن﴾ أي الشهرين والعشر ليال، وأما في غير هذه الأشهر فقال مالك ينعقد ويكره وقال غيره لا ينعقد. قوله: ﴿فلا رفث﴾ في الآية ثلاث قراءات غير شاذة، الأولى برفع الجميع مع التنوين، الثانية برفع الأولين وبناء

﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾: وفي قراءة بفتح الأولين والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: كصدقة ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: فيجازيكم به ونزل في أهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كلا على الناس ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾: ما يبلغكم لسفركم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى﴾: ما يتقي به من سؤال الناس وغيره ﴿وَٱتَّقُونِ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ ١٩٧: ذوي العقول ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: في ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿فَضْلًا﴾: رزقاً ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: بالتجارة في الحج نزل ردًّا لكراهتهم ذلك ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دفعتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾: بعد الوقوف بها ﴿فَاذْكُرُوا ٱللَّهَ﴾: بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِنْدَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾: هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: قزح وفي

الثالث على الفتح، الثالثة بناء الثلاثة على الفتح، وقرىء شاذاً بنصب الثلاثة. قوله: [معاص] أي بأي وجه من أوجه المعاصي والنهي عنها وإن كان عاماً إلا أنه في الحج أشد. قوله: ﴿ولا جدال﴾ هو مقابلة الحجة بالحجة لنصرة الباطل، وأما لنصرة الحق فلا بأس بذلك. قوله: ﴿في الحج﴾ أظهر في مقام الاضمار اهتماماً بشأنه. قوله: [بفتح الأولين] أي مع الثالث. قوله: [والمراد في الثلاثة النهي] أي لا الاخبار وإنما أتى بها على صورة الاخبار، إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع ذلك والتعبير على النهي بصورة الخبر أبلغ في الانزجار.

قوله: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ إن قلت إن الله كما يعلم الخير من العبد يعلم الشر منه. أجيب بأن شأن الله ستر الشر عن العبيد فلا يظهره عليهم، بخلاف الخير فيظهره للخلائق لما في الحديث: «إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه حتى يأتي يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب»، وأيضاً الآية مسوقة في أفعال الحج وكلها خير. قوله: [ونزل في أهل اليمن] أي وكانوا حديثي عهد بإسلام ويزعمون أنهم متوكلون. قوله: [كلا على الناس] أي عالة. قوله: [وغيره] أي كالغصب والسرقة. قوله: [نزل رداً لكراهتهم ذلك] أي فلا بأس بالتجارة بالحج إذا كانت لا تشغله عن أفعاله، واختلف هل التجارة تنقص ثواب الحج أو لا، قال بعضهم إن كانت التجارة أكبر همه ومبلغ علمه سقط الفرض عنه وليس ثوابه كمن لا قصد له إلا الحج، وإن استوى الأمران فلا يذم ولا يمدح وإن كانت التجارة تبعاً للحج فقد حاز خير الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿من عرفات﴾ هو مصروف ويصح منعه من الصرف للعلمية والتأنيث لأنه علم على البقعة قوله: [بعد الوقوف بها] أعلم أن الركن عند مالك إدراك جزء من الليل، وأما النهار فهو واجب يجبر بالدم، وعند الشافعي أحدهما كاف، فمن أدرك جزءاً من الليل وجزءاً من النهار فقد تم حجه باتفاق، والأفضل الوقوف عند الصخرات العظام هناك لأنه موقف رسول الله ﷺ. قوله: [بعد المبيت بمزدلفة] أي ويجمعون بها المغرب والعشاء جمع تأخير ويقصرون العشاء إلا أهلها ويستمرون بها إلى صلاة الصبح فيصلونها ثم يتوجهون إلى المشعر الحرام فيقفون به إلى الاسفار. قوله: [التلبية] هذا يجري على مذهب الشافعي، وأما عند مالك فيقطع التلبية من وصوله لعرفة وصلاته الظهر والعصر بها. قوله: [هو جبل في آخر المزدلفة] أي من جهة منى عند منارة بلا جامع. قوله: [قزح] على وزن عمر. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ١٩٧: قوله تعالى: ﴿وتزودوا﴾ الآية. روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن متوكلون، فأنزل الله ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾.

* أسباب نزول الآية ١٩٨: قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح﴾ الآية. روى البخاري عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في الموسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج. وأخرج أحمد وابن أبي حاتم بن جرير والحاكم وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر إنا نكري فهل لنا من حج؟ فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ فدعاه النبي ﷺ فقال: أنتم حجاج.

الحديث: «أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً» رواه مسلم ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾: لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل ﴿وَإِنْ﴾: مخففة ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِ﴾: قبل هداه ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ ١٩٨ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾: يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾: أي من عرفة بأن تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعاً عن الوقوف معهم، وثم للترتيب في الذكر ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾: من ذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ ١٩٩: بهم ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾: أديتم ﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾: عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾: كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: من ذكركم إياهم ونصب أشد على الحال من ذكراً المنصوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمِنَ النَّاسِ

[والكاف للتعليل] أي فالمعنى اذكروه لأجل هدايته إياكم، ولأجل أنكم كنتم قبل ذلك من الضالين. قوله: ﴿وإن﴾ [مخففة] أي مهملة لا عمل لها. قوله: ﴿لمن الضالين﴾ أي من التائهين عن الهدى فهي نعمة ثانية يجب الشكر عليها، قال تعالى في مقام تعداد النعم: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾ الآية.

قوله: ﴿ثم أفيضوا﴾ أي قفوا بعرفة، وتقدم أن معنى الافاضة الدفع فأطلقه وأراد لازمه وهو الوقوف. قوله: [ترفعاً] أي تكبراً. قوله: [وثم للترتيب في الذكر] جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الاتيان بثم يقتضي أن الأمر بالوقوف بعد رجوع الناس من عرفة ووصولهم منى مع أن الأمر ليس كذلك، فأجاب المفسر بذلك، وأجيب أيضاً بأن ثم بمعنى الواو وهي لا تقتضي ترتيباً وأجيب أيضاً بأن في الكلام تقديماً وتأخيراً، فقوله: ﴿ثم أفيضوا﴾ معطوف على قوله فاتقون، وقوله: ﴿فإذ أفضتم﴾ مرتب عليه، ويكون الخطاب لعموم الناس. قوله: ﴿واستغفروا الله﴾ أي اطلبوا منه مغفرة ذنوبكم بتلك المواضع المطهرة فانها مهبط تجلي الرحمات وإجابة الدعوات.

قوله: ﴿مناسككم﴾ جمع منسك وهي العبادات التي عين الشارع لها أماكن مخصوصة، كالطواف لا يكون إلا بالبيت، والسعي لا يكون إلا بين الصفا والمروة، والوقوف لا يكون إلا بعرفة، والرمي لا يكون إلا بمنى، فالمعنى أديتم العبادات في أماكنها المعهودة. قوله: [المفاخرة] كانت العرب في الجاهلية بعد فراغ حجهم يذكرون آباءهم بالخصال الحميدة نظماً ونثراً فكان الواحد منهم يقول مثلاً إن أبي كان كبير الجفنة أي القصعة فتاكاً بالشجعان وهكذا لأنه يوم اجتماع للقبائل من العام إلى العام. قوله: [من ذكراً المنصوب باذكروا] أي على المصدرية. قوله: [إذ لو تأخر عنه لكان صفة له] أي لأن القاعدة أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالاً وتعرب النكرة بحسب العوامل، فيكون التقدير فاذكروا الله ذكراً كائناً كذكركم آباءكم أو أشد.

---

* أسباب نزول الآية ١٩٩: قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا﴾. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كانت العرب تقف بعرفة وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ وأخرج ابن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كانت قريش يقفون بالمزدلفة، ويقف الناس بعرفة إلا شيبة بن ربيعة، فأنزل الله ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.

* أسباب نزول الآية ٢٠٠: قوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم يقول الرجل منهم كان أبي يطعم ويحمل الحمالات، ويحمل الديات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية، وفعال آبائهم فنزلت هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون. اللهم أجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاء وحسن لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين، فيقولون ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾.

﴿مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾: نصيبنا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ ٢٠٠: نصيب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: نعمة ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾: هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ٢٠١: بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خيري الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: ثواب ﴿مِنْ﴾: أجل ﴿مَا كَسَبُوا﴾: عملوا من الحج والدعاء ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٢٠٢: يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾: أي أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾: أي استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: أي في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: بالتعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾:

قوله: ﴿فمن الناس﴾ هذا بيان لحال من يقف بعرفة. قوله: ﴿من خلاق﴾ من صلة. قوله: [نصيب] أي حظ. وهذا دعاء غير المؤمنين بغير الآخرة. قوله ومنهم هذا هو دعاء المؤمنين بها. قوله: [نعمة] أي بركة وخيراً وذلك كالعافية والزوجة الحسنة والدار الواسعة وغير ذلك مما يعين على الدار الآخرة فكل أمر في الدنيا يوافق الطبع ويعين على الدار الآخرة فهو من حسنات الدنيا. قوله: [هي الجنة] أي دخولها بسلام بحيث يموت على الإسلام ولا يلحقه حساب ولا عذاب ويرى وجه الله الكريم، وهذا أحسن ما فسّر به حسنة الدنيا والآخرة، وهو معنى قوله في الحديث لعائشة «سلي الله العافية في الدارين».

قوله: ﴿وقنا عذاب النار﴾ من عطف اللازم على الملزوم، وأصل قنا أوقنا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها في المضارع ثم حذفت الهمزة للاستغناء عنها لأنه أتي بها توصلاً للنطق بالساكن وقد زال، وقد ورد أن المؤمن الناجي يكون بينه وبين النار مسيرة خمسمائة عام عرضاً وعمقاً. قوله: [بعدم دخولها] أي أصلاً فلا ندخلها ولا نراها. قوله: [لما كان عليه المشركون] أي وهو الأول، وقوله: ولحال المؤمنين أي وهو الثاني. قوله: [الحث على طلب خيري الدارين] أي لا التخيير بين كونه يدعوه بشيء يؤتاه في الدنيا فقط، أو بحسنة الدنيا والآخرة، ولخسة الأول في دعائهم لم يبين الله ما طلبوه في الدنيا. قوله: [ثواب] أي على الطلب فيؤتون سؤالهم ويزادون ثواباً على طلبهم، وذلك لأن الدعاء مخ العبادة. قوله: [في قدر نصف نهار] بل قد ورد أنه في مقدار ساعة بل ورد أيضاً كلمح البصر، وذلك كناية عن عظيم قدرته، فمن كان هذا وصفه ينبغي أن يتقى ويخشى، وما من أحد من المحاسبين إلا ويرى أنه لا محاسب غيره وذلك بعد انفضاض الموقف الذي تدنو الشمس فيه من الرؤوس، ويسيل العرق في الأرض سبعين ذراعاً، وتكون النار حول الخلائق، وتحيط الملائكة بالمخلوقات فيكونون سبع صفوف يحولون بينهم وبين النار، وهو يختلف باختلاف الناس فنسأل الله السلامة من أهواله. قوله: [عند رمي الجمرات] أي عند رمي كل حصاة من حصيات الجمار يقول الله أكبر، وكذلك عقب الصلوات وعند الذبح بأن يقول: بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك. قوله: [أي أيام التشريق الثلاثة] أي وهي ثاني يوم النحر وتالياه، وأما يوم النحر فمعلوم للذبح غير معدود للرمي، واليومان بعده معلومان معدودان، والرابع معدود غير معلوم عند مالك وأبي حنيفة وعند الشافعي معلوم أيضاً، وما ذكره المفسر من أن المراد بالأيام المعدودات أيام التشريق الثلاثة هو ما عليه مالك والشافعي، وإطلاق التشريق على الثلاثة إعتبار بمذهب الشافعي، والحاصل أن يوم النحر يفعل فيه رمي جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم طواف الافاضة، وفي الثاني يرمي ثلاث جمرات يبدأ بالتي تلي مسجد منى ثم بالوسطى ثم يختم بالعقبة، وكذا في الثالث والرابع إن لم يتعجل. قوله: [أي في ثاني أيام التشريق] دفع بذلك ما يتوهم أن له التعجل في كل من اليومين مع أنه لا معنى له. قوله: [بعد رمي جماره] أي وهو بعد الزوال

بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: بذلك أي هم مخيرون في ذلك ونفى الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾: الله في حجه لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٢٠٣: في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾: إنه موافق لقوله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ٢٠٤: شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق كان منافقاً حلو الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدني مجلسه فأكذبه الله في ذلك ومر بزرع وحمر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾: مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾: من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ ٢٠٥: أي لا يرضى به ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾: في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾: حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾: الذي أمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾: كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ٢٠٦: الفراش هي

ومحل التخيير إن لم تغرب عليه الشمس وهو بمنى وإلا فيلزمه المبيت بها لرمي الثالث، وأصل مشروعية الرمي عند أمر إبراهيم الخليل بذبح ولده، فلما توجه به لمنى تعرض له الشيطان عند المسجد فرماه بسبع حصيات، ثم تعرض له عند الوسطى فرماه أيضاً بسبع، ثم تعرض له عند العقبة فرماه أيضاً بسبع، فهو مما زال سببه وبقي حكمه.

قوله: ﴿فلا إثم عليه﴾ أي لا حرج لأنه رخصة. قوله: [أي هم مخيرون] جواب عن سؤال وهو أن المتأخر أتى بالمطلوب فكيف ينفي عنه الإثم، وأجيب أيضاً بأن ذكر الاثم في جانب المتأخر مشاكلة، وأجيب أيضاً بأنه رد على من زعم من الجاهلية أن على المعجل الاثم وعلى من زعم منهم أن على المتأخر الاثم. قوله: [ونفي الاثم] ﴿لمن اتقى﴾ أشار بذلك إلى أن لمن اتقى خبر لمحذوف قدره بقوله ونفي الاثم. قوله: [لأنه الحاج على الحقيقة] وفي نسخة في الحقيقة أي لاستكماله الشروط والآداب، وأما غير المتقي فعليه الاثم مطلقاً تعجل أو تأخر كالحاج بالمال الحرام ومرتكب المعاصي. قوله: [فيجازيكم بأعمالكم] أي إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قوله: ﴿ومن الناس﴾ معطوف على قوله فمن الناس من يقول ربنا الآية، فقد قسم الله الناس على أربعة أقسام: الأول من يطلب الدنيا لا غير، ومنهم من يطلب الدنيا والآخرة، ومنهم من يظهر أنه من أهل الآخرة مع أنه في الواقع من أهل النار، ومنهم من هو مؤمن ظاهراً وباطناً، وذكرهم على هذا الترتيب. قوله: [الاخنس بن شريق] هذا لقبه واسمه أبي وكان يتبعه ثلاثمئة منافق من بني زهرة، وسبب تلقيبه بالأخنس أنه اختفى يوم بدر هو وجماعته فقال لهم إن انتصر محمد فالعزة لكم لعدم ظهور العداوة منكم، وإن انتصر الكفار فقد كفيتموه. قوله: [حلو الكلام] أي والمنظر. قوله: [فيدني مجلسه] أي فيقربه منه وفي الحديث «إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم». قوله: [فأكذبه الله في ذلك] أي في دعواه وفي حلفه. قوله: [وحمر] جمع حمار. قوله: [وعقرها] أي قطع أرجلها. قوله: ﴿ليفسد فيها﴾ علة لقوله سعى. قوله: ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ تفصيل للإفساد.

قوله: ﴿بالاثم﴾ الباء للملابسة، والإتيان بقوله بالاثم يسمى عند علماء البديع تتميماً لأنه ربما يتوهم أن المراد

---

* أسباب نزول الآية ٢٠٤: قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما أصيبت السرية التي فيها عاصم ومرثد، قال رجلان من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق أقبل إلى النبي ﷺ وأظهر له الإسلام، فأعجبه ذلك منه ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، فأنزل الله الآية.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي﴾: يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾: أي يبذلها في طاعة الله ﴿ٱبْتِغَاءَ﴾: طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: رضاه وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ٢٠٧: حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُوا فِي ٱلسِّلْمِ﴾: بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾: حال من السلم أي في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ﴾: طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أي تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ٢٠٨: بين العداوة ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: ملتم

عزة ممدوحة. قوله: ﴿ولبئس المهاد﴾ أي إن الله جعل له جهنم غطاء ووطاء، فأكرمه كما تكرم أم الصبي ولدها بالغطاء والوطاء اللينين وذلك من باب التهكم. قوله: [وهو صهيب] أي ابن سنان الرومي حين أسلم تعرض له المشركون وآذوه، فقال إني رجل كبير مسكين ليس بنافعكم وفراري ليس بضاركم، فان كان من جهة المال فها هو فتركه وهاجر لرسول الله، وقد مدحه رسول الله بقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، أي لو انتفى عنه خوف الله لا يقع منه عصيان، لأن طاعته محبة في الله لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار. قوله: [حيث أرشدهم لما فيه رضاه] أي فقد جعل النعيم الدائم في نظير العمل القليل، فان الخلود في الجملة جزاء كلمة الإخلاص ومن جملة رأفته مضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات، وعدم مؤاخذة من كفر خوف القتل، وقبول التائب وإن بالغ في العصيان وطال زمانه. قوله: [ونزل في عبد الله بن سلام] أي وكان من أحبار اليهود. قوله: [وأصحابه] أي الذين أسلموا معه من اليهود. قوله: [لما عظموا السبت] أي احترموه بتحريم الصيد فيه كما كان في شرع موسى. قوله: [وكرهوا الإبل] أي حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. قوله: [بعد الإسلام] أي بعد أن دخلوا في الإسلام لم يتمسكوا بجميع شرائعه، فوبخهم الله على ذلك. قوله: [بفتح السين وكسرها] قراءتان سبعيتان هنا وفي الأنفال والقتال لكن الأكثر هنا الكسر وما هناك العكس، وقوله الإسلام إشارة لمعناه هنا على القراءتين، وأما في الأنفال والقتال فمعناه الصلح. قوله: [حال من السلم] أي وهو يذكر ويؤنث فلذا أتى بالتاء في كافة، وقال تعالى أيضاً: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾. قوله: [أي تزيينه] أي تحسينه أموراً لكم، والمعنى لا تتبعوا طرق الشيطان التي يزينها لكم بوسوسته. قوله: [بالتفريق] أي بأن تتبعوا محمداً في أمور، وموسى في أمور أخر.

قوله: ﴿إنه لكم عدو﴾ تعليل لما قبله، والعدو هو الذي يسره ما يضرك ويضره ما يسرك. قوله: [بين العداوة] من أبان اللازم، والمعنى أن عداوته بينة وظاهرة لمن نور الله بصيرته وأراد به خيراً، قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم

---

* أسباب نزول الآية ٢٠٧: قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ الآية، أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجراً إلى النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا: نعم، فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى ربح أبا يحيى ونزلت: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾.

وأخرج الحاكم في المستدرك نحوه من طريق ابن المسيب عن صهيب موصولاً، وأخرج أيضاً نحوه من مرسل عكرمة، وأخرجه أيضاً من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وفيه التصريح بنزول الآية، وقال صحيح على شرط مسلم. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت في صهيب وأبي ذر وجندب بن السكن أحد أهل أبي ذر.

* أسباب نزول الآية ٢٠٨: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد ابنا كعب وسعيد بن عمرو وقيس بن زيد كلهم من يهود: يا رسول الله يوم السبت يوم نعظمه فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها الليل، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ الآية.

عن الدخول في جميعه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجَج الظاهرة على أنه حق ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ ٢٠٩ : في صنعه ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أي أمره كقوله أو يأتي أمر ربك أي عذابه ﴿فِى ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾: السحاب ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: تم أمر هلاكهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ٢١٠ : بالبناء للمفعول والفاعل في الآخرة فيجازي ﴿سَلْ﴾: يا محمد ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تبكيتاً ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعولي آتينا ومميزها ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾: ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدلوها كفراً ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: أي ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾: كفراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ٢١١ : له ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من أهل مكة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: بالتمويه فأحبوها ﴿وَ﴾:

طائف من الشيطان تذكروا﴾. قوله: [عن الدخول في جميعه] أي جميع أحكامه. قوله: ﴿من بعد ما جاءتكم البينات﴾ إن قلت ان الزلل لا يكون إلا بعد مجيئها أجيب بأن المراد بمجيئها ظهورها ظهوراً بيناً. قوله: [لا يعجزه شيء] أي فلا تفلتون منه. قوله: ﴿حكيم﴾ [في صنعه] أي يضع الأشياء في محلها ومنه عذاب المفرق.

قوله: ﴿هل ينظرون﴾ الاستفهام هنا إنكاري توبيخي. قوله: [الدخول فيه] أي في جميع أحكامه. قوله: ﴿إلا أن يأتيهم الله﴾ استثناء مفرغ، والمعنى لا ينتظرون شيئاً إلا اتيان الله في ظلل. قوله: [أي أمره] دفع بذلك ما يقال إن الاتيان بمعنى الانتقال من صفات الحوادث وهي مستحيلة على الله تعالى. قوله: ﴿في ظلل﴾ ظرف للاتيان المذكور، والمعنى أن الله يرسل عليهم العذاب في صورة الرحمة، وذلك لأن شأن السحاب الرقيق أن تأتي بالأمطار التي يكون فيها منافع لهم، وذلك مكر عظيم من الله بهم.

قوله: ﴿والملائكة﴾ عطف على لفظ الجلالة، والمعنى أن إتيان الملائكة مصاحب لعذاب الله المظروف في السحاب الرقيق، وقرىء شاذاً بجر الملائكة واختلفوا في عطفه، فقيل معطوف على ظلل وقيل على الغمام. قوله: ﴿وقضي الأمر﴾ عبّر بالماضي لتحقق وقوعه، فالمقام للمضارع لمناسبة يأتيهم وينظرون وهذا وعيد عظيم لكل من لم يستجمع أحكام الإسلام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: [فيجازي كلا بعمله] أي فيحاسبكم على النقير والقطمير ويؤول أمركم إما إلى جنة أو إلى نار.

قوله: ﴿سل﴾ أصله اسأل نقلت فتحة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها فسقطت تلك الهمزة تخفيفاً ثم سقطت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار وزنه فل. قوله: [تبكيتاً] أي تقريعاً وتوبيخاً لا للاستفهام منهم، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ، أي فلا غرابة في عدم إيمانهم بك، فإننا آتيناهم آيات بينات على يد موسى فلم يؤمنوا ولم ينقادوا. قوله: [معلقة سل عن المفعول الثاني] التعليق هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً والالغاء إبطاله لفظاً ومحلاً فتكون جملة كم آتيناهم في المعنى في محل المفعول الثاني لسل إن قلت إن التعليق مختص بأفعال القلوب وسل ليست منها؟ أجيب بأنها سبب للعلم والعلم منها. قوله: [وهو ثاني مفعولي آتينا] أي كم ومفعولها الأول الهاء من هم. قوله: [ومميزها] أي مميز كم. قوله: [كفلق البحر] أي اثني عشر طريقاً. قوله: [وإنزال المن والسلوى] أي وهم في التيه حين أمروا بقتال الجبارين. قوله: [فبدلوها كفراً] هذا إشارة للبدل، والمعنى أن الله يأتيهم بالآيات فيبدلونها بالكفر.

قوله: ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾ من شرطية ويبدل فعل الشرط، وقوله: ﴿فان الله شديد العقاب﴾ جوابه. قوله:

هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: لفقرهم كبلال وعمّار وصهيب أي يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾: الشرك وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٢١٢: أي رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ﴾: إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: من كفر بالنار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾: بمعنى الكتب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بأنزل ﴿لِيَحْكُمَ﴾: به ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: من الدين ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾: أي الدين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: أي الكتاب

﴿من بعد ما جاءته﴾ أي اتضحت وثبتت له. قوله: [كفراً] هذا هو المفعول الثاني وقد صرح به في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾. قوله: [له] قدره المفسر لصحة جعل الجملة جواب الشرط.

قوله: ﴿زين للذين كفروا﴾ زين فعل ماض مبني للمفعول، ونائب الفاعل قوله الحياة الدنيا، وللذين كفروا متعلق بزين، وفاعل الزينة حقيقة هو الله، والشيطان مجازاً، وقرىء ببناء الفعل للفاعل، والحياة مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله أو الشيطان، وجرد الفعل من العلامة لكون نائب الفعل مجازي التأنيث سيما مع وجود الفاصل. قوله: [من أهل مكة] تخصيص بحسب السبب وإلا فكل كافر كذلك. قوله: [بالتمويه] أي التحسين الظاهر الذي باطنه قبيح. قوله: ﴿و﴾ [هم] ﴿يسخرون﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن الجملة حالية، قال ابن مالك:

وذات واو بعدها انو مبتدأ ... له المضارع اجعلن مسندا

قوله: [لفقرهم] أي لتركهم الدنيا وإقبالهم على الآخرة. قوله: [كعمار] أي ابن ياسر. قوله وبلال أي الحبشي لما أسلم عذب في الله عذاباً شديداً، وقوله وصهيب تقدمت قصته. قوله: ﴿والذين اتقوا﴾ جملة حالية. قوله: ﴿فوقهم﴾ أي حساً لكونهم في الجنة وهي عالية وجهنم سافلة، ومعنى لكونهم مكرمين والكفار مهانون. قوله: [والله يرزق] جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها. قوله: [أي رزقاً واسعاً في الآخرة] أي كما في الحديث «لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها». قوله: [أو في الدنيا] هذا تفسير آخر، وقوله: [بأن يملك المسخور منهم الخ] أي وقد حصل ذلك بعد الفتح وفي الغزوات، فإنه ما من غزوة إلا ويأخذ منهم الأموال والرقاب في تلك الغزوة، بل زادهم الله بأن ملكهم رقاب الملوك وأموالهم، والحاصل أن رزق المؤمن في الدنيا بغير حساب بخلاف الكافر، وفي الحديث «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب»، وأما في الآخرة فالأمر ظاهر.

قوله: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ أي في مبدإ الدنيا من آدم إلى إدريس وقيل من آدم إلى نوح، والمعنى أنهم كانوا على الحق ولا اختلاف بينهم في تلك المدة، وقيل كانوا على باطل في تلك المدة وهو ضعيف، ولذا لم يعرج عليه المفسر. قوله: [بأن آمن بعض الخ] أي بعد ظهور نوح أو إدريس. قوله: [من آمن] هذا معمول مبشرين، وقوله: [من كفر] معمول لمنذرين. قوله: ﴿وأنزل معهم﴾ أي مع مجموعهم لا جميعهم. قوله: [بمعنى الكتب] أشار بذلك إلى أن أل جنسية. قوله: [متعلق بأنزل] أي والباء للملابسة. قوله: ﴿ليحكم﴾ يحتمل عود الضمير على الله لأنه الحاكم حقيقة، ويحتمل عوده على الأنبياء باعتبار كل فرد من أفرادهم، أي ليحكم كل نبي بين أمته. قوله: [من الدين] بيان لما.

قوله: ﴿إلا الذين أوتوه﴾ استثناء مفرغ فالمستثنى منه محذوف، أي وما اختلف فيه أحد إلا الذين أوتوه، والمعنى لم يختلف في الدين أحد إلا الذين أوتوا الكتاب، فالاختلاف من عهد إنزال الكتب، وذلك يؤيد القول بأن الاختلاف

فآمن بعض وكفر بعض ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلف وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾: من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ﴾: للبيان ﴿الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٢١٣: طريق الحق. ونزل في جهد أصاب المسلمين ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: لم ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ﴾: شبه ما أتى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ﴾: جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾: شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾: المرض ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾: بالنصب والرفع أي قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: استبطاء للنصر لتناهي الشدة عليهم ﴿مَتَى﴾: يأتي

من زمن إدريس. قوله: [وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء] أي فيكون المعنى وما اختلف في الدين أحد من بعد ظهور الحجج الواضحة حال كون الاختلاف بغياً إلا الذين أوتوه، وإنما جعل مقدماً على الاستثناء لئلا يكون الاستثناء المفرغ متعدداً مع أنه لا يكون كذلك لأنه يصير المعنى حينئذ: إلا الذين أوتوه إلا من بعد ما جاءتهم البينات إلا بغياً بينهم.

قوله: ﴿بغياً﴾ أي ظلماً وتعدياً. قوله: [للبيان] أي بيان الأمر الذي اختلفوا فيه. قوله: [بإرادته] أي سبقت إرادته بهداية الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه الكفار. قوله: [هدايته] أشار بذلك إلى أنه مفعول يشاء، وأشار بذلك إلى أن الهداية والإضلال ليسا من فعل الإنسان بل بخلق الله، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً. قوله: [طريق الحق] أي دين الإسلام، سمي طريقاً لأنه يوصل للمقصود كما أن الطريق كذلك. قوله: [ونزل في جهد] هو بالفتح المشقة. قوله: [أصاب المسلمين] قيل كان ذلك في غزوة الأحزاب حين حاصر الكفار المدينة واحتاطوا بها وقطعوا عنها الوارد ولم يكن بينهم وبين دخولها إلا الخندق، وكانوا إذ ذاك عشرة آلاف مقاتل، فاشتد الكرب والخوف على المسلمين ولا سيما مع وجود ثلاثمائة منافق بين أظهرهم فنزلت الآية.

قوله: ﴿أم حسبتم﴾ قدر المفسر بل إشارة إلى أن أم منقطعة والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والمقصود منه تقويتهم على الصبر. قوله: ﴿لم﴾ قدرها إشارة إلى أن لما نافية بمعناها. قوله: [ما أتى] قدر ذلك المضاف إشارة إلى أن الشبه في الأمر الذي أتاهم لا في الذوات. قوله: ﴿من قبلكم﴾ تأكيد لخلوا. قوله: [من المحن] بيان لما أتى.

قوله: [بالنصب والرفع] أي فهما قراءتان سبعيتان والنصب بأن مضمرة وحتى بمعنى إلى وهي تنصب المضارع إذا كان مستقبلاً ولا شك أن القول مستقبل بالنسبة للزلزال. إن قلت: إن القول والزلزال قد مضى. فالجواب: أنه على حكاية الحال الماضية، وأما الرفع فهو بناء على أن الفعل بعدها حال مقارن لما قبلها، والحال لا ينصب بعد حتى فتحصل أن لها بعد حتى ثلاثة أحوال: إما أن يكون مستقبلاً أو ماضياً أو حالاً، فالأول ينصب والأخيران يرفعان. قوله: ﴿متى نصر الله﴾ قدر المفسر يأتي إشارة إلى أن نصر الله فاعل بفعل محذوف، ولكن الأحسن جعله مبتدأ مؤخراً ومتى خبر مقدم، وليس قول الرسول قلقاً وعدم صبر بل ذلك دعاء وطلب لما وعده الله به. قوله: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ أخذ من ذلك أنه إذا اشتد الكرب كان الدعاء بالفرج مستجاباً، قال تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ وقد حقق الله ذلك سريعاً كما قال في سورة الأحزاب: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾.

---

* أسباب نزول الآية ٢١٤: قوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ الآية. قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة قال: نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب أصاب النبي ﷺ يومئذ بلاء وحصر.

﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ : الذي وُعِدْناه فأجيبوا من قبل الله ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ٢١٤ : إتيانه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ : يا محمد ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ : أي الذي ينفقونه، والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخاً ذا مال فسأل النبي ﷺ عما ينفق وعلى من ينفق ﴿قُلْ﴾ : لهم ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ : بيان لما شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذي هو أحد شقي السؤال وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ : أي هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ : إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ ٢١٥ : فمجاز عليه ﴿كُتِبَ﴾ : فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ : للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ : مكروه ﴿لَّكُمْ﴾ : طبعاً لمشقته ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ : لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها

قوله: ﴿يسألونك﴾ أي أصحابك المسلمون. قوله: ﴿ماذا ينفقون﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، وذا اسم موصول بمعنى الذي خبره، وجملة ينفقون صلته والعائد محذوف أي ينفقونه، والمعنى أن أصحابك يسألونك عن الشيء الذي ينفقونه هل ينفقون مما تيسر ولو حراماً أو يتحرون الحلال، وفي الآية حذف سؤال آخر دل عليه الجواب، والتقدير وعلى من ينفقون، والسؤال عن صدقة التطوع بدليل الجواب. قوله: [السائل عمرو] أي وإنما جمع السائل في الآية لأن التكليف لكل مسلم، فكان هذا السائل ترجماناً عن كل مسلم، وإنما اعتنى بذلك السؤال لأن الإنسان يوم القيامة ورد أنه يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. قوله: [فسأل النبي الخ] أي وحينئذ ففي الآية اكتفاء في السؤال حيث حذف الشق الثاني واكتفى بجوابه. قوله: ﴿من خير﴾ أي حلال. قوله: [الذي هو أحد شقي السؤال] أي المذكور في الآية، وقوله: [وأجاب أي عن المصرف الخ] أي الذي سؤاله مطوي.

قوله: ﴿والأقربين﴾ أي من أولاد وإخوة وأعمام وعمات، وهو من عطف العام على الخاص، وصرح بذكر الوالدين وإن دخلا في الأقربين اعتناء بشأنهما. قوله: ﴿واليتامى﴾ جمع يتيم وهو من فقد أباه وهو دون البلوغ، وقدم اليتامى على المساكين لعجزهم عن التكسب. قوله: ﴿والمساكين﴾ المراد بهم ما يشمل الفقراء. قوله: ﴿وابن السبيل﴾ أي الغريب المسافر. قوله: ﴿وماتفعلوا من خير﴾ ما شرطية، وتفعلوا فعل الشرط، وما بعد الفاء جوابه، وأتى بتلك الجملة طمأنينة للمؤمن في الاكتفاء بوعد الله في المجازاة لأنه وعد بها ووعده لا يتخلف، ومع ذلك لا يغيب عن علمه مثقال ذرة، فيلزم من علمه بالخير من العبد مجازاته عليه، والإسرار بنفقة التطوع أفضل لأن صاحبها من جملة من يظلهُ الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله. قوله: [أو غيره] أي كالكلام اللين الطيب. قوله: ﴿فان الله به عليم﴾ أي وقد التزم جزاءه وحقيق بأن ينجزه.

قوله: ﴿كتب عليكم القتال﴾ أي وكان فرضه بعد الهجرة بعد أن نهى رسول الله عنه في نيف وسبعين آية، وهو فرض عين إن فجأ العدو، وكفاية إن لم يفجأ بأن كان في بلده ونحن الطالبون له. قوله: [الكفار] أي الحربيين لا أهل الذمة فيحرم قتالهم. قوله: [طبعاً] أي فهو مكروه من جهة الطبع ولا يلزم من كون الطبع يكرهه أنه كاره حكم الله به، بل هو من باب مخالفة النفس. قوله: ﴿وعسى ان تكرهوا شيئاً﴾ الترجي في كلام الله ليس على بابه بل هو للتحقيق لأنه خبر من أحاط بكل شيء علماً، وعسى هنا تامة تكتفي بمرفوعها قال ابن مالك:

بعد عسى اخلولق أوشك قد يرد ... غنى بأن يفعل عن ثان فقد

---

* أسباب نزول الآية ٢١٥ : قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم، فنزلت: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير﴾ الآية. وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان أن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ ماذا ننفق من أموالنا، وأين نضعها، فنزلت.

عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيراً لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شراً لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٢١٦: ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وأرسل النبي ﷺ أول سراياه وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾: المحرم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾: بدل اشتمال ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم وزراً، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾: مبتدأ منع للناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾: بالله ﴿وَ﴾: صد عن

قوله: ﴿وهو خير لكم﴾ جملة حالية من قوله شيئاً أو صفة له، فاستشكل كل منهما بأن الحال لا يأتي من النكرة بدون مسوغ وبأن الصفة لا تقترن بالواو. وأجيب عن الأول بأن إتيان الحال من النكرة بدون مسوغ قليل، وعن الثاني أن الصفة أجريت مجرى الحال في جواز اقترانها بالواو، وقوله الموجبة لسعادتها أي فالسعادة في طاعة الله والشقاوة في معاصيه. قوله: [إما الظفر والغنيمة] أي لمن عاش. وقوله: [أو الشهادة والأجر] أي لمن مات. قوله: [لأن فيه الذل] أي بغلبة العدو علينا. وقوله: [والفقر] أي لكونه يسلب مالنا. وقوله: [وحرمان الأجر] أي المترتب على الجهاد في سبيل الله وهو مضاعفة الحسنات إلى سبعمائة ضعف، وغير ذلك مما وعد الله به المجاهدين. قوله: [وأرسل النبي] هذا بيان لسبب نزول هذه الآيات من هنا إلى آخر الربع. قوله: [أول سراياه] أي وكانت تلك السرية إذ ذاك ثمانية رجال وقيل اثني عشر، أرسلهم النبي لمحل يقال له نخلة جهة الطائف يتجسسون على الكفار ويأتون بأخبارهم، فبينما هم في ذلك الموضع إذ مرت بهم عير لقريش من جهة الطائف ومعها أربعة رجال، فقتل أهل السرية أحد الأربعة وأسروا اثنين وهرب واحد وغنموا العير وما عليها، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين. واعلم أن جملة سراياه وغزواته سبعون، والسرية من خمسة رجال إلى أربعمائة وما فوقها يقال لها جيش، ثم صريح المفسر يقتضي أنه لم يكن قبلها سرية، والذي ذكره في المواهب أن أول سرية كانت في رمضان سابع شهر من هجرته عليه الصلاة والسلام، والثانية في شوال، والثالثة في صفر، وهذه هي الرابعة، وغزا قبل تلك السرية ثلاث غزوات إلا أن يجاب عن المفسر بأن المراد بأول سراياه التي حصل منها القتل والغنيمة للكفار، وأما ما قبلها فلم يقع فيها قتل ولا غنيمة. قوله: [وعليها عبد الله بن جحش] أي أميراً وهو ابن عمة رسول الله. قوله: [فقاتلوا المشركين] أي الذين كانوا مع العير. قوله: [والتبس عليهم برجب] أي حيث رأوا الهلال كبيراً فالتبس عليهم هل هو ابن ليلة أو ليلتين قوله: [تعيرهم الكفار باستحلاله] أي حيث قال الكفار للمسلمين أنتم قد استحللتم القتال في الأشهر الحرم.

قوله: ﴿ويسألونك﴾ أي سؤال اعتراض. قوله: [بدل اشتمال] أي من الشهر إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه. قوله: ﴿كبيراً﴾ أي إن كان عمداً. قوله: [مبتدأ وخبر] أي والمسوغ وصفه بالجار والمجرور. قوله: ﴿و﴾ [صد عن] قدر ذلك المفسر إشارة إلى أنه معطوف على سبيل الله مسلط عليه صد، لكن يلزم عليه العطف على المبتدأ قبل استكمال مسوغه، وأجيب بأنه لا يلزم محذور إلا إذا كان المعطوف أجنبياً من المعطوف عليه، وهنا ليس بأجنبي لأن

* أسباب نزول الآية ٢١٧: قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ الآية، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً، وبعث عليهم عبد الله بن جحش فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ الآية. فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً ليس لهم أجر، فأنزل الله ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾، وأخرجه ابن منده في الصحابة من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس.

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي مكة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾: وهم النبي ﷺ والمؤمنون وخبر المبتدأ ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظم وزراً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: مِنَ القتال فيه ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾: أي الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: أيها المؤمنون ﴿حَتَّىٰ﴾: كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾: إلى الكفر ﴿إِنِ ٱسْتَطَاعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: الصالحة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلاً وعليه الشافعي ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ٢١٧: ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر نزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾: فارقوا أوطانهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: لإعلاء دينه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: ثوابه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٢١٨: بهم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾: القمار ما حكمهما ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿فِيهِمَآ﴾: أي في

الكفر والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام من واد واحد. قوله: [وخبر المبتدإ] أي وما عطف عليه وإنما أفرد الخبر لأنه اسم تفضيل مجرد، والقاعدة أن اسم التفضيل إذا كان مجرداً أو مضافاً لنكرة يلزم أن يكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، قال ابن مالك:

وإنْ لِمَنْكُورٍ يُضَفْ أو جُرِّدا ... أُلْزِمَ تَذْكِيراً وأنْ يُوَحَّدا

قوله: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم﴾ المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال. قوله: [كي] ﴿يردوكم﴾ أشار بذلك إلى أن حتى للتعليل والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها، وعن دينكم متعلق بيردوكم. قوله: ﴿إن استطاعوا﴾ جملة شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه ومفعولها محذوف أيضاً، أي إن استطاعوا ذلك فلا يزالون يقاتلونكم.

قوله: ﴿ومن يرتدد منكم﴾ هكذا القراءة هنا بالفك لا غير، وأما في المائدة ففيها قراءتان بالفك والادغام. قوله: ﴿وأعمالهم﴾ [الصالحة] أي وأما السيئة فباقية يعذبون عليها. قوله: [وعليه الشافعي] هذا ضعيف والمعتمد عنده أنه يرجع له عمله مجرداً عن الثواب، وأما عند مالك وأبي حنيفة فهو كالكافر الأصلي إذا أسلم فلا يرجع له شيء من أعماله، ولا يؤمر بالقضاء ترغيباً له في الإسلام إلا ما أسلم في وقته فيفعله، وثمرة الخلاف تظهر في صحابي ارتد ثم عاد للإسلام ولم تثبت رؤيته للنبي بعد ذلك، هل ترجع له الصحبة مجردة عن الثواب، وعليه الشافعي أولاً وعليه مالك وأبو حنيفة، وأما زوجته فتبين منه وترجع له بالإسلام من غير عقد عند الشافعي، وعند مالك وأبي حنيفة لا ترجع له إلا بالعقد، وحكم المرتد عند مالك أنه يستتاب ثلاثة أيام، فان تاب وإلا قتل بعد غروب الثالث. قوله: [ولما ظن السرية الخ] بل ورد أنهم سألوا النبي عن ذلك.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ أي وهم عبد الله بن جحش ومن معه. قوله: [فارقوا أوطانهم] أشار بذلك إلى معنى الهجرة هنا. قوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ أي ومن رحمته بهم غفران خطيئتهم وقسم الغنيمة عليهم فانه نزل بعد هذه الآية: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ الآية، فأخذ رسول الله الخمس لبيت المال وفرق عليهم الأربعة أخماس.

قوله: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ السائل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الصحابة بقولهم: إن

---

* أسباب نزول الآية ٢١٩: قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر﴾ يأتي حديثها في سورة المائدة. قوله تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس أن نفراً من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ، فقالوا إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا فما ننفق منها؟ فأنزل الله ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ وأخرج أيضاً عن يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا، فأنزل الله هذه الآية.

تعاطيهما ﴿إثمٌ كبير﴾: عظيم وفي قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿ومنافع للناس﴾ باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كدّ في الميسر ﴿وإثمهما﴾: أي ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أكبر﴾: أعظم ﴿من نفعهما﴾: ولما نزلت شربها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾: أي ما قدره ﴿قل﴾: أنفقوا ﴿العفو﴾: أي الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم وفي قراءة بالرفع بتقدير هو: ﴿كذلك﴾: أي كما بين لكم ما ذكر ﴿يبين الله لكم

الخمر والميسر تضييعان العقل والمال فأفتنا فيهما، وحاصل ما وقع في الخمر في زمان رسول الله ﷺ أنه نزل فيه أربع آيات: الأولى نزلت بمكة تدل على حله وهي قوله تعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾ ثم سأل عمر ومعاذ وجماعة النبي ﷺ بالمدينة عن حكمه فنزل: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية، فشربها قوم لقوله: ﴿ومنافع للناس﴾ وامتنع آخرون خوفاً من قوله: ﴿فيهما إثم كبير﴾ ثم إن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً لبعض أصحابه فأكلوا وشربوا الخمر، فحضرت صلاة المغرب فأمهم واحد منهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بإسقاط لا إلى آخر السورة فنزل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ الآية، فحرمت في أوقات الصلاة دون غيرها، ثم إن عتبان بن مالك صنع طعاماً لجماعة من الصحابة وفيهم سعد بن أبي وقاص فأكلوا وشربوا الخمر فافتخروا وتناشدوا الشعر، فأنشد سعد قصيدة يمدح بها قومه ويهجو الأنصار فشج رجل منهم رأسه، فرفع ذلك لرسول الله ﷺ فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فأنزل الله آية المائدة إلى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ فقال عمر: انتهينا يا رب، فكان يوم نزولها عيداً عظيماً، والخمر كل مائع غيب العقل ولو من غير ماء العنب وهو نجس وفيه الحد قليلاً أو كثيراً، بل بالغ بعض المالكية في الحديث أوجبه على من وضع إبرة فيه ومصها وبلع ريقه، والحاصل أن المتخذ من ماء العنب نجس يحرم قليله وكثيره أسكر أم لا ويحد شاربه بإجماع، وأما المتخذ من غيره من سائر المائعات التي دخلتها الشدة المطربة فكذلك عند الأئمة الثلاثة وبعض الحنفية، وقال بعضهم لا يحرم منه إلا القدر المسكر، وأما الجامد الذي يغيب العقل كالحشيشة والأفيون والبنج والداتورة فطاهر يحرم تعاطي القدر المغيب للعقل منه وفيه الأدب. قوله: [القمار] هو آلات الملاهي التي يلعب بها في نظير مال فيشمل الطاب والشطرنج والسيجة، وأما إن كان بغير مال ففيه خلاف، قيل كبيرة وقيل صغيرة وقيل مكروه. قوله: [أي في تعاطيهما] لا حاجة له بعد تقدير حكمهما. قوله: [بالمثلثة] أي كثير. قوله: [باللذة والفرح] أي والقوة على الجماع والشجاعة والكرم. قوله: [إلى أن حرمتها آية المائدة] ظاهره أن آية المائدة نزلت بعد هذه الآية وليس كذلك بل بينهما آية النساء.

قوله: ﴿ويسألونك﴾ السائل عمرو بن الجموح المتقدم، فسأل أولاً عن جنس المال الذي ينفق منه وعلى من ينفقه، وسأل ثانياً عن القدر المنفق فلم يكن بين السؤالين تكرار، وتقدم الجواب عن الجمع بأنه لما كان ذلك السؤال ينفع جميع الناس فكأن السائل جميع الناس. قوله: [وتضيعوا أنفسكم] أي فالاسراف مذموم وكذا التقتير، قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾. قوله: [قراءة بالرفع] أي وهي لأبي عمرو من السبع، وسبب القراءتين الاختلاف في إعراب ماذا ينفقون، فمن أعرب ماذا جميعها اسم استفهام معمولاً لينفقون فالجملة فعلية فيكون جوابها كذلك، فقوله العفو بالنصب معمول لمحذوف، والجملة في محل نصب مقول القول لأن القول لا ينصب إلا الجمل أو ما قام مقامها، ومن أعرب ما وحدها اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبره وجملة ينفقون صلته فالجملة اسمية فيكون جوابها كذلك، فالعفو بالرفع خبر لمحذوف أي هو العفو، والجملة على كل حال مقول القول وهذا هو المناسب، وإلا فيصح

ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ۝٢١٩ ﴿فِي﴾: أمر ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَىٰ﴾: وما يلقونه من الحرج في شأنهم فإن واكلوهم يأثموا وإن عزلوا مالهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم فحرج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾: في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾: من ترك ذلك ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾: أي تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾: أي فهم إخوانكم في الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾: لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾: بها فيجازي كلا منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾٢٢٠: في صنعه

جعل السؤال جملة اسمية، والجواب جملة فعلية وبالعكس. قوله: ﴿في﴾ [أمر] ﴿الدنيا﴾ أي فتصلحوها ولا تسرفوا ولا تقتروا. قوله: ﴿والآخرة﴾ أي فتصلحوها بالأعمال الصالحة، فلا تشددوا حتى تملوا، ولا تتركوا حتى تغفلوا بل التوسط مطلوب في أمر الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ اشتد الكرب على أولياء الأيتام، فشكوا لرسول الله ذلك فقالوا يا رسول الله إنا إن خالطناهم فبالضرورة لا بد من أكل شيء من أموالهم، وإن عزلناهم يلزم عليه المشقة على اليتامى وعلى أوليائهم فنزلت الآية. قوله: [وما يلقونه من الحرج] هذا بيان لوجه السؤال كأنه قال ويسألونك عما يلقونه من الحرج في شأن اليتامى، والمراد بالحرج الوعيد الوارد في سورة النساء. قوله: [فإن واكلوهم] أي خالطوهم. قوله: [يأثموا] أي يقعوا في الإثم المترتب عليه الوعيد، وهذا بيان لوجه الحرج. قوله: [وإن عزلوا مالهم] أي مال اليتامى، وقوله: [من أموالهم] أي الأولياء ويصح العكس. قوله: [فحرج] أي هو حرج فالجملة جواب الشرط.

قوله: ﴿قل إصلاح لهم خير﴾ التنوين عوض عن المضاف اليه أي إصلاحكم لهم خير، والوعيد محمول على الأكل بنية الإفساد. قوله: [بتنميتها] الباء للسببية أي بسبب زيادتها بالاتجار فيها، وفي الحديث «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة». قوله: [ومداخلتكم] أي مخالطتكم لهم بأن تدخلوا أموالهم في أموالكم. قوله: ﴿خير﴾ [من ترك ذلك] أي العزل واختلف في تنمية مال اليتيم بالاتجار ونحوه، فقال مالك حفظ ماله بأي وجه واجب، والأولى أن يكون بالتنمية فهي ليست واجبة وحمل حديث اتجروا على الندب واسم التفضيل على بابه فترك التنمية خير أيضاً لكن الأولى التنمية، وقال الشافعي تنميته والاتجار فيه على حسب الطاقة واجب، وحمل الحديث على الوجوب واسم التفضيل في الآية على غير بابه، فترك التنمية لا خير فيه بل هي المتعينة. قوله: [أي فهم إخوانكم] أشار بذلك إلى أنه خبر لمحذوف والجملة جواب الشرط وهذا من التعبير باللازم، ولذا أشار له المفسر بقوله: [أي فلكم ذلك].

قوله: ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ أي فيدخل المفسد النار والمصلح الجنة، ودفع بذلك ما يقال ربما الأولياء يدعون الإصلاح بالخلطة، والواقع غير ذلك. قوله: [بتحريم المخالطة] أي بأن يكلف الأولياء بعزل مال اليتيم وطعامه وشرابه، وإن تلف شيء من ذلك فعلى الولي. قوله: ﴿إن الله عزيز﴾ هذا كالتعليل لما قبله، فالمعنى لو شاء الله عنتكم لأعنتكم لأنه غالب على أمره. قوله: ﴿حكيم﴾ [في صنعه] أي يضع الشيء في محله فحيث أوجب الله حفظ

---

* أسباب نزول الآية ٢٢٠: قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾. أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وإن الذين يأكلون أموال اليتامى﴾ الآية، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء، من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ الآية.

﴿وَلَا تَنكِحُوا﴾: تتزوجوا أيها المسلمون ﴿ٱلْمُشْرِكَاتِ﴾: أي الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾: حرة؛ لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾: تزوجوا ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي الكفار المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾: لماله وجماله ﴿أُولَٰئِكَ﴾: أي أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوا﴾: على لسان رسله ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾: أي العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته فتجب إجابته

مال اليتيم سوغ المخالطة رفقاً بالأولياء، والحاصل أنه يخرج من تركة أبي الأيتام مؤن تجهيزه، وأما ما أوصى به من السبح والجمع فمن ثلثه إن وسعه، وأما إن لم يوص وقد جرت العادة بذلك والمال واسع وفعل ذلك كبير رشيد، فعند المالكية يلزم الأيتام ذلك ولا يحرم الأكل منه حيث كان لا إسراف فيه وعند الشافعية لا يلزم الأيتام ذلك ويحرم الاكل منه، وأما إن كان المال ضيقاً فلا يلزم الايتام ذلك اتفاقاً ويحرم الاكل منه، إلا أن يهدي للأيتام ما يفي بما أكله. قوله: [تتزوجوا] يشير إلى أن المراد بالنكاح العقد لا الوطء، ولم يرد في القرآن بمعنى الوطء، وسبب نزول الآية أن رجلاً من الصحابة كان عاشقاً امرأة في الجاهلية، فلما أسلم اجتمع بها في مكة بعد هجرة النبي إلى المدينة فراودته عن نفسه، فقال لها: قد حال بيني وبين ما تطلبينه الإسلام، فقالت له فهل لك في التزوج بي فقال حتى استأذن رسول الله فلما أخبره نزلت الآية. قوله: [أيها المسلمون] تفسير للواو في تنكحوا. قوله: [الكافرات] أي الغير الكتابيات بدليل ما يأتي في المفسر.

قوله: ﴿حتى يؤمن﴾ فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهي فاعله سكنت وادغمت في نون الفعل. قوله: ﴿خير من مشركة﴾ اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار أمر الدنيا. قوله: [على من تزوج أمة] أي وهو عبد الله بن رواحة أو حذيفة بن اليمان كان عند كل منهما أمة فأعتقها وتزوج بها فعيرا بذلك وفي الحقيقة لم يتزوجا إلا بحرة، وأما التزوج بالأمة من غير عتق فيجوز بشرط أن لا يجد للحرائر طولاً وأن يخشى العنت أو تكون أمة كالجد وهذا إن كان يولد له منها وإلا فيجوز بغير شرط، وسيأتي التعرض له في قوله تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ الآيات. قوله: [بغير الكتابيات] أي الحرائر وأما الأمة الكتابية فلا تحل إلا بالملك.

قوله: ﴿ولا تنكحوا المشركين﴾ القراءة بضم التاء بإجماع، وهو ينصب مفعولين المشركين مفعول أول وقدر المفسر المفعول الثاني، والمعنى لا تزوجوا الكفار ولو أهل كتاب المؤمنات. قوله: [المؤمنات] قدره إشارة إلى مفعول تنكحوا الثاني. قوله: ﴿حتى يؤمنوا﴾ أي إلى أن يدخلوا في الايمان. قوله: ﴿ولو أعجبكم﴾ الواو للحال ولو شرطية بمعنى أن جوابها محذوف تقديره فلا تزوجوه. قوله: ﴿إلى الجنة والمغفرة﴾ قدم الجنة هنا لمناسبة النار، وإلا فالمغفرة سبب في دخول الجنة، والسبب مقدم على المسبب، وقد قدمت في قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم

---

* أسباب نزول الآية ٢٢١: قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والواحدي عن مقاتل قال: نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي استأذن النبي ﷺ في عناق أن يتزوجها، وهي مشتركة، وكانت ذات حظ وجمال، فنزل قوله تعالى: ﴿ولأمة مؤمنة﴾ الآية.

أخرج الواحدي من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم أنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره وقال لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل، فطعن عليه ناس، وقالوا ينكح أمة، فأنزل الله هذه الآية، وأخرجه ابن جرير عن السديد منقطعاً.

بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٢١ : يتعظون ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ : أي الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ : قذر أو محله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ : اتركوا وطأهن ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ : أي في وقته أو مكانه ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ : بالجماع ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ : بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ : بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ

وجنة﴾ وقوله تعالى : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة﴾ . قوله : [بتزويج أوليائه] أي وهم المسلمون . قوله : ﴿ويبين آياته للناس﴾ أي يظهرها ويوضحها لهم وللناس متعلق بيبين .

قوله : ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ السائل أبو الدحداح وجماعة من الصحابة ، وسبب ذلك أن اليهود كانوا يعتزلون النساء في المحيض بالمرة ، حتى إنه لا يبيت في مكان فيه حائض ، ولا تصنع له حاجة أبداً ، ثم اقتدت بهم الجاهلية ، وأما النصارى فبخلاف ذلك فإنهم كانوا لا يفرقون بين كونها حائضاً أو لا ، فبين الله أن شرعنا بين ذلك قواماً .

قوله : [أي الحيض أو مكانه] أعلم أن المحيض مصدر ميمي يصلح للزمان والمكان ، فقوله أو مكانه أي أو زمانه ، والحيض لغة السيلان يقال حاض الوادي إذا سال ، واصطلاحا دم أو صفرة أو كدرة خرج من قبل من تحمل عادة حالة الصحة والاعتياد ، فخرج بقولنا دم الخ القصة البيضاء فانها علامة الطهر من الحيض لا نفس الحيض ، وبقولنا من قبل من تحمل عادة أي وهو ما بين الاثنتي عشرة والخمسين تمنة ، وأما ما فوق الخمسين إلى الستين ومن التسعة إلى الاثني عشر يسأل النساء العارفات ، فان قلن إنه حيض كان حيضاً ، وإلا فلا خرج به من لا تحمل عادة لصغر أو يأس كبنت ست أو سبعين فليس بحيض ، وقولنا حالة الصحة والاعتياد خرج بذلك ما نزل على وجه المرض كالسلس فليس بحيض إلا أن تميزه بعد طهر تام وأكثره للمبتدأة نصف شهر فان زاد كان استحاضة ، وللمعتادة عادتها فان زاد استظهرت عليها بثلاثة أيام ما لم تجاوز نصف شهر وتصير هي مع الاستظهار عادة لها ، وأحكام الحيض مفصلة في الفروع . قوله : [ماذا يفعل بالنساء] هذا هو صورة السؤال .

قوله : ﴿قل هو﴾ أي المحيض بمعنى الدم السائل لا بالمعنى المصدري الذي هو السيلان ففيه استخدام . قوله : [قذر أو محله] لف ونشر مرتب فان قوله قذر راجع لتفسيره بالمصدر ، وقوله أو محله راجع لتفسيره بالمكان . قوله : ﴿فاعتزلوا النساء﴾ مفرع على قوله ﴿قل هو أذى﴾ ولما نزلت هذه الآية فهم بعض الصحابة أن الاعتزال مطلق حتى في المسكن ، فقال ناس من الأعراب : يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة ، فان آثرناهن هلك سائر أهل البيت ، وإن استأثرنا بها هلكت الحيض ، فقال إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن ولم تؤمروا باخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم ، ثم أعلم أنه يحرم وطء الحائض في الفرج باجماع ، وأما التلذذ بما بين السرة والركبة فان كان من الازار ففيه خلاف ، وأما ما عدا ذلك من سائر الجسد فهو جائز باجماع لما في الحديث : «الحائض تشد إزارها وشأنك بأعلاها» . قوله : [أي وقته أو مكانه] تفسير له بالزمان أو المكان . قوله : [بالجماع] أي فالمراد قرب خاص . قوله : [وفيه إدغام التاء في الأصل] أي فأصله يتطهرن قلبت التاء طاء ثم ادغمت في الطاء . قوله : [أي يغتسلن بعد انقطاعه] أي بالماء إن كان موجوداً وقدرن على استعماله وإلا فالتيمم يقوم مقامه ، ولا يجوز قربانها بعد الانقطاع وقبل الطهر عند الأئمة الثلاثة ، وجوزه أبو حنيفة

---

* أسباب نزول الآية ٢٢٢ : قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ الآية ، روى مسلم والترمذي عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت ، فسأل أصحاب النبي ﷺ ، فأنزل الله ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ الآية ، فقال : اصنعوا كل شيء إلا النكاح . وأخرج الباوردي في الصحابة من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس أن ثابت بن الدحداح سأل النبي ﷺ ، فنزلت ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ الآية ، وأخرج ابن جرير عن السدي نحو.

﴿أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ : بتجنبه في الحيض وهو القُبُل ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ : يثيب ويكرم ﴿ٱلتَّوَّابِينَ﴾ : من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ٢٢٢ : من الأقذار ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ : أي محل زرعكم الولد ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ : أي محله وهو القبل ﴿أَنَّىٰ﴾ : كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ : من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار نزل رداً لقول اليهود من أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ : العمل الصالح كالتسمية عند الجماع ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ : في أمره ونهيه ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ : بالبعث فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ

حيث انقطع بعد مضي أكثره وهو عشرة أيام عنده، وأما إن انقطع قبل مضي أكثره فلا يجوز قربانها إلا بالغسل أو بمضي وقت الصلاة.

قوله : ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ أي في المكان الذي أمركم الله بتجنبه في زمن المحيض. قوله : [ولا تعدوه] بسكون العين وضم الدال، ويصح فتح العين وتشديد الدال. قوله : [إلى غيره] أي وهو الدبر فلا يجوز الإيلاج فيه مطلقاً زمن الحيض أو لا. قوله : ﴿التوابين﴾ أي وهم الذين كلما أذنبوا تابوا. قوله : [من الأقذار] أي الحسية والمعنوية، وقدم التوابين لئلا يقنطوا وأخر المتطهرين لئلا يعجبوا وإن كانوا أعلى منهم.

قوله : ﴿نساؤكم حرث﴾ أي كالأرض تحرث ليوضع فيها البذر، فشبه النساء بالأرض التي تحرث وشبه النطفة بالبذر الذي يوضع في تلك الأرض، وشبه الولد بالزرع الذي ينبت من الأرض، والمراد من تلك الآية بيان الآية المتقدمة وهي قوله : ﴿من حيث أمركم الله﴾ فبين أن المراد به موضع الزرع وهو القبل لا غيره. قوله : [وهو القبل] أخذ بعضهم من الآية أنه يحرم وطء النساء في أدبارهن لأنه ليس محل الزرع، وحكمة النكاح وجود النسل، وإنما جعلت الشهوة وسيلة لذلك، وجعلت شهوة النساء أعظم، لأن مشقة النسل عليهن أعظم من الرجال، فتتسلى النساء عن المشقة بعظم الشهوة. قوله : ﴿أنى شئتم﴾ أنى بمعنى كيف فهي لتعميم الأحوال. قوله : [وإدبار] أي فيجامعها من جهة دبرها لكن في الفرج، والوارد في السنة عن رسول الله في صفة إتيانه لنسائه أنه كان يجلس بين شعبها الأربع وهي مستلقية على ظهرها، وقال الحكماء إدامة الجماع وهو مضطجع على جنبه يورث وجع الجنب. قوله : [جاء الولد أحول] أي بياض عينه مكان سوادها. قوله : [كالتسمية عند الجماع] أي بأن يقول : بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم جنبنا الشيطان وجنب

* أسباب نزول الآية ٢٢٣ : قوله تعالى : ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الآية. روى الشيخان وأبو داود والترمذي عن جابر قال : كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾. وأخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله : هلكت، قال وما أهلكك؟ قال : حولت رحلي الليلة فلم يرد عليه شيئاً، فأنزل الله هذه الآية ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة.

وأخرج ابن جرير وأبو يعلى وابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الآية، وأخرج البخاري عن ابن عمر قال : أنزلت هذه الآية في إتيان النساء في أدبارهن، وأخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد عنه قال : إنما أنزلت على الرسول ﷺ : ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ رخصة في إتيان الدبر. وأخرج أيضاً عنه : أن رجلاً أصاب امرأة في دبرها في زمن رسول الله ﷺ فأنكر ذلك فأنزل الله : ﴿نساؤكم حرث لكم﴾.

وأخرج أبو داود والحاكم عن ابن عباس قال : إن ابن عمر والله يغفر له وهم، إنما كان أهل هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود، وهم أهل كتاب كانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أنهم لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت : إنما كنا نؤتى على حرف فسرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : السبب الذي ذكره ابن عمر في نزول الآية مشهور، وكأن حديث أبي سعيد لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوهمه فيه.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٢٣: الذين اتقوه بالجنة ﴿وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ﴾: أي الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾: علة مانعة ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: أي نصباً لها بأن تكثروا الحلف به ﴿أَن﴾: لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾: فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢٢٤: بأحوالكم ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾: الكائن ﴿فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي قصدته

الشيطان ما رزقتنا، فانه إذا فعل ذلك حفظ الولد من الشيطان، وكتب له بعدد انفاسه وانفاس اولاده حسنات إلى يوم القيامة. قوله: [في أمره] أي بالإتيان في القبل والتسمية وقوله ونهيه عن الإتيان في الدبر، وإنما طلبت التسمية في ذلك الموضع لأنها ذكر في وقت غفلة فيكتب من الذاكرين الله في الغافلين، وأهل الله في ذلك لهم تجليات ومشاهدات تجل عن الحصر والكيف، وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: «حبب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» حيث قدم النساء، ولا يقال إن الاشتغال بمشاهدة المنعم يحجب عن اللذة، لأنه يقال إنه مقام جمال وبسط لا جلال وقبض، فعند ذلك تزداد القوة لما ورد أن رسول الله ﷺ أعطي قوة أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا في الجماع، ويقرب ذلك إذا اضافك ملك عظيم وصنع لك طعاماً عظيماً وجلس معك يباسطك بأنواع المباسطات، فان شهودك له ومسامرته تزيد لذتك في طعامه وشرابه أكثر من تمتعك بذلك في حال غيبتك عنه، فسبحان المعطي المانع.

قوله: ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ أي ملاقو جزائه. قوله: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة﴾ سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه أي نسيبه وهو النعمان بن بشير شيء، فحلف أنه لا يواصله أبداً فنزلت، وقيل نزلت في حق الصديق حين حلف على مسطح لما تكلم في الإفك أن لا يصله. قوله: ﴿لأيمانكم﴾ أي أفعال بركم، وسميت أيماناً لتعلق الأيمان بها، وقوله أن تبروا الخ بدل من أيمانكم. قوله: [أي نصبا لها] أي غرضاً مانعاً من فعل البر. قوله: [بأن تكثروا الحلف به] هذا تفسير آخر للآية، فكان المناسب للمفسر أن يأتي بأو. قوله: ﴿أن تبروا﴾ أي تصلوا الرحم مثلاً، وقوله: ﴿وتتقوا﴾ أي تصلوا أو تصوموا مثلاً، وقوله: ﴿وتصلحوا بين الناس﴾ من عطف الخاص على العام، والمعنى أن الفعل الذي يحصل لكم به خير فلا تحلفوا على تركه وهذا على التفسير الأول، وأما على الثاني فلا يحتاج لتقدير لا وإنما يقدر لام التعليل، أي لا تكثروا الحلف بالله لما فيه من ابتذال اسمه تعالى في كل شيء قليل أو كثير عظيم أو حقير، لأجل أن تكونوا من أهل البر والتقوى والاصلاح بين الناس فالنهي عن الكثرة على هذا والأيمان على بابها بمعنى الاقسام، وعرضة بمعنى معروض فهي اسم مفعول أي محل للحلف كغرض الرماة، وعلى الأول فهي بمعنى عارضة، أي لا تجعلوا الله مانعاً من بركم وتقواكم واصلاحكم بواسطة القسم به. قوله: [فتكره اليمين على ذلك] أي إن كان مندوباً وهو مفرع على التفسير الاول. قوله: [فهي طاعة] أي مندوب وتعتريها الحرمة كما إذا حلف على ترك واجب.

قوله: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو﴾ اختلف العلماء في معنى اللغو، فقال الشافعي هو ما سبق اليه اللسان من غير قصد عقد اليمين فلا اثم ولا كفارة له، وقال أبو حنيفة ومالك هو أن يحلف على ما يعتقد فيتبين خلافه، وفي الفروع تفاصيل موكولة لأربابها. قوله: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ وقعت هنا لكن بين نقيضين باعتبار وجود اليمين

* أسباب نزول الآية ٢٢٤: قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: حدثت أن قوله: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح.

من الإيمان إذا حنثتم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ ٢٢٥: بتأخير العقوبة عن مستحقها ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾: أي يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو﴾: رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٢٢٦: بهم ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾: أي عليه بأن لم يفيئوا فليوقعوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢٢٧: بعزمهم. المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي لينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: عن النكاح ﴿ثَلَٰثَةَ﴾

لأنها لا تخلو إما أن لا يقصدها القلب بل جرت على اللسان وهي اللغو عند الشافعي، وإما أن يقصدها وهي المنعقدة، والمعنى لا يؤاخذكم الله بغير المقصودة لقلوبكم وإنما يؤاخذكم بالمقصودة لها، وهذا التقرير على مذهب الشافعي. ويقال على مذهب أبي حنيفة ومالك لا يؤاخذكم الله باللغو أي بما حلفتم عليه معتقدين حقيقته بحيث يكون اللسان موافقا للجنان، ولكن يؤاخذكم بما حلفتم عليه غير معتقدين حقيقته وهي اليمين الغموس، وقد نظم الأجهوري من المالكية صور كفارة اللغو والغموس بقوله:

كفّر غموسا بلا ماض بكون كذا ... لغو بمستقبل لا غير فامتثلا

قوله: [لما كان من اللغو] أي والخطأ. قوله: [بتأخير العقوبة عن مستحقها] أي ومن ذلك اليمين الغموس فكفارتها الغمس في جهنم. قوله: ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ حقيقة الايلاء الحلف بالله أو بغيره على ترك وطء الزوجة المدخول بها المطيقة للوطء أكثر من أربعة أشهر، إما صريحا كلا أطؤك، أو ضمنا كلا أغتسل من جنابة منك، وحكمه كما قال الله، وللذين خبر مقدم وتربص مبتدأ مؤخر، والاضافة على معنى في أي انتظار في أربعة أشهر ولها النفقة والكسوة في تلك المدة، لأن الامتناع من قبله بخلاف الناشز فلا نفقة لها ولا كسوة لأن الامتناع منها. قوله: [أي يحلفون أن لا يجامعوهن] بيان لحقيقة الايلاء الشرعي، وإلا فمعناه لغة مطلق الحلف. قوله: ﴿أربعة أشهر﴾ أي وتحسب من يوم الحلف إن كانت صريحة في ترك الوطء، ومن يوم الرفع للحاكم إن لم تكن صريحة. قوله: [رجعوا فيها] أي في الأربعة أشهر ويلزمه ما يترتب على الحنث من كفارة إن كانت اليمين بالله أو العتق إن كان به. قوله: [أي عليه] أشار بذلك إلى أن الطلاق منصوب بنزع الخافض. قوله: [فليوقعوه] قدره المفسر إشارة لجواب الشرط، فان امتنعوا من إيقاعه ومن الوطء فان الحاكم يأمرها بالطلاق ثم يحكم به، وقيل ينشئ الطلاق وهو رجعي كالطلاق على المعسر بالنفقة، لأن كل طلاق أوقعه الحاكم فهو بائن إلا المولي والمعسر بالنفقة. قوله: [المعنى] أي المراد من قوله تعالى: ﴿فان فاؤوا﴾ الآيتين. قوله: [تربص ما ذكر] أي الاربعة أشهر. قوله: [إلا الفيئة أو الطلاق] أي ما لم ترض بالمقام معه بلا وطء، فان استمرت على ذلك فالأمر ظاهر، فان رفعت ثانيا وشكت للحاكم أمره إما بالفيئة أو الطلاق، فان امتنع منهما طلق عليه الحاكم.

قوله: ﴿والمطلقات﴾ أي رجعيا أو بائنا. قوله: ﴿بأنفسهن﴾ يحتمل أن الباء زائدة لتوكيد النون أي يتربصن أنفسهن، ويحتمل أنها للتعدية، والمعنى أنهن لا يحتجن لحكم. قوله: [عن النكاح] أي نكاح غير المطلق. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٢٢٨: قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن﴾ الآية، أخرج أبو داود وابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت: طلقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله العدة للطلاق: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ وذكر الثعلبي وهبة الله بن سلامة في الناسخ عن الكلبي ومقاتل أن إسماعيل بن عبد الله الغفاري طلق امرأته قتيلة على عهد رسول الله ﷺ ولم يعلم بحملها ثم علم فراجعها فولدت فماتت ومات ولدها، فنزلت: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾.

﴿قُرُوءٍ﴾: تمضي من حين الطلاق جمع قَرْءٍ بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان، وهذا في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة عليهن لقوله: ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق والإماء فعدتهن قرآن بالسنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾: من الولد أو الحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: بمراجعتهن ولو أبين ﴿فِي ذَلِكَ﴾: أي في زمن التربص ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾: بينهما لا ضرار المرأة وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا في الطلاق الرجعي وأحق لا تفضيل فيه إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدة ﴿وَلَهُنَّ﴾: على الأزواج ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾: لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: من الحقوق ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: شرعاً من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: فضيلة في الحق

[تمضي من حين الطلاق] أي وتصدق المرأة في ذلك لأنها امينة على فرجها إن مضى زمن تقضي العادة فيه بمضي الثلاثة الاقراء. قوله: **[بفتح القاف]** أي واما الضم فجمعه اقراء كقفل واقفال، وانما ضبطه المفسر بالفتح فقط لأجل جمعه في الآية على قروء، والا فهو في نفسه يصح فيه الضم والفتح. قوله: **[وهو الطهر]** أي واليه ذهب مالك والشافعي واحمد في اول امره. قوله: **[أو الحيض]** أي واليه ذهب أبو حنيفة واحمد في آخر امره. قوله: **[قولان]** أي للعلماء وتظهر ثمرة الخلاف فيما اذا طلقت في طهر ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت، فعند مالك والشافعي واحمد في اول امره انها تحل للازواج بمجرد رؤية الدم لأن الأقراء قد تمت، وعند أبي حنيفة واحمد في آخر أمره انها لا تحل حتى تطهر، واما اذا طلقها في الحيض فلا تحسب ذلك الحيض من العدة اتفاقاً، ويأتي الخلاف في الحيضة الرابعة هل تحل بأولها أو بانقضائها. قوله: **[وفي غير الآيسة]** أي وهي بنت كسبعين. قوله: **[والصغيرة]** أي المطيقة للوطء ولم تبلغ أوان الحمل. قوله: **[كما في سورة الطلاق]** راجع للآيسة والصغيرة والحامل، وحاصل ما في المقام أن غير المدخول بها لا عدة عليها في الطلاق حرة كانت أو أمة، وأما المدخول بها ففيها تفصيل، فالآيسة والصغيرة عدتهما ثلاثة اشهر، والحامل وضع حملها كله لا فرق في ذلك كله بين الحرة والأمة، وأما من يأتيها الحيض فعدتها ثلاثة اقراء إن كانت حرة، وقرءان إن كانت أمة، وهذا في الطلاق، وأما في الوفاة فسيأتي انها للحرة اربعة أشهر وعشر وللأمة نصفها، وللحامل وضع الحمل. قوله: **[من الولد أو الحيض]** أي أو عيوب الفرج كالرتق والقرن والعفل والبخر والافضاء.

قوله: **﴿إن كن يؤمن بالله﴾** هذا من باب الزجر والتشديد عليهن، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله فلا يحل.
قوله: **﴿وبعولتهن﴾** جمع بعل يطلق على الرجل والمرأة، لكن المراد به هنا الرجل، فالتاء لتأنيث الجمع لأن كل جمع يجوز تأنيثه. قوله: **[لا ضرار المرأة]** فتحرم الرجعة إذ ذاك ويعتريها الوجوب إن خشي على نفسه الزنا، وتكره إن أشغلته عن عبادة مندوبة، وتندب إن كانت تعينه على تلك العبادة. قوله: **[لجواز الرجعة]** أي مضيها فلا ينافي أنه شرط في جواز القدوم عليها. قوله: **[في نكاحهن في العدة]** صوابه أو يقول فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتهن كما عبر به غيره تأمل. قوله: **﴿ولهن مثل الذي عليهن﴾** حاصله أن الرجل له حقوق على المرأة من طبخ وعجن وكنس وغير ذلك من الخدمة الباطنية، وللمرأة حقوق على الرجل من نفقة وكسوة وإظهار محبة وغير ذلك، فالمماثلة في الآية في مطلق الوجوب لا في صفة الحقوق، وفي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما اثبته في الآخر، يشير لذلك تقدير المفسر قوله: **[الأزواج]** وقوله: **[لهم]**. قوله: **[فضيلة في الحق]** أي فحق الرجل زائد على حقها. قوله: **[لما ساقوه]** علة لوجوب طاعتهن لهم ومعناه دفعوه، وقوله من المهر والانفاق بيان لما.

من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ ٢٢٨: فيما دبره لخلقه ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾: أي التطليق الذي يراجع بعده ﴿مَرَّتَانِ﴾: أي اثنتان ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾: أي فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: من غير إضرار ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾: أي إرسالهن ﴿بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: أيها الأزواج ﴿أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: من المهور ﴿شَيْـًٔا﴾: إذا طلقتموهن ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: أي الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: أي لا يأتيا بما حدّه لهما من الحقوق وفي قراءة يُخافا بالبناء للمفعول فأن لا يقيما بدل اشتمال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية في الفعلين ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا

قوله: ﴿الطلاق مرتان﴾ سبب نزول هذه الآية انه كان في صدر الاسلام إذا طلق الرجل امرأته طلاقاً رجعياً وراجعها في العدة كان له ذلك ولو طلق الف مرة، فطلق رجل امرأته طلقة رجعية ثم راجعها قبل انقضاء عدتها بشيء يسير فقال: والله لا آويك ولا تحلين لغيري أبداً فنزلت الآية فاستأنف الناس الطلاق والغوا ما مضى، وقوله مرتان أي مرة بعد أخرى أو المرتان دفعة وهو تخصيص لقوله: ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ في ذلك. قوله: [أي التطليق] إنما فسّر اسم المصدر بالمصدر لأجل قوله أو تسريح. قوله: [أي اثنتان] دفع بذلك ما يتوهم أنه لا بد ان يكون على مرتين. قوله: [أي فعليكم] قدر ذلك إشارة إلى ان إمساك مبتدأ خبره محذوف، وقدره مقدماً عليه ليكون مسوغاً للابتداء بالنكرة. قوله: ﴿او تسريح﴾ يحتمل ان المراد بذلك إنشاء طلاق ثالث بعد المراجعة الثانية، ويحتمل ان المراد عدم المراجعة إذا طلقها ثانياً، واما الطلقة الثالثة فمأخوذة من قوله تعالى: ﴿فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ وهو الأقرب لأنه المتبادر من المفسر، فالرجل مخير في عدة الطلقة الاولى بين ان يراجعها بالمعروف أو يسرحها من غير مراجعة، وكذا في عدة الثانية. قوله: ﴿باحسان﴾ أي فيؤدي ما عليه لها من الحقوق ولا يذكرها بسوء.

قوله: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً﴾ يوضح معنى الآية قوله تعالى: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾ الآيتين. قوله: [من المهور] بيان لما. قوله: [إذا طلقتموهن] أي وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك. قوله: [أن لا يقيما حدود الله تعالى] أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بمن، التقدير من عدم إقامتها حدود الله، وسبب نزولها أن امرأة اسمها جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكت للنبي ﷺ حيث قالت يا رسول الله إني لا أعيبه في دين ولا في خلق غير أني وجدته مقبلاً في جماعة فرأيته أشدهم سواداً وقصراً وأقبحهم وجهاً لا يجمع رأسي ورأسه شيء وإني لأكره الكفر في الإسلام، فلما نزلت هذه الآية أمرها رسول الله بالفداء فأخذ ما كان أعطاه لها وطلقها، وكان قد أمهرها حديقة. قوله: [وفي قراءة] أي فهما سبعيتان. قوله: [بالبناء للمفعول] أي فالضمير نائب فاعل والفاعل ولاة ولاة الأمور، أي فإن خاف ولاة الأمور الزوجين وأن لا يقيما بدل اشتمال من نائب الفاعل. قوله: [وقرىء] أي قراءة شاذة.

---

* أسباب نزول الآية ٢٢٩ قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ الآية، أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة قالت: كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني ولا آويك أبداً، قالت وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة فأخبرت النبي ﷺ، فسكت حتى نزل القرآن ﴿الطلاق مرتان فأمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ قوله تعالى: ﴿ولا يحل لكم﴾ الآية.

أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس قال: كان الرجل يأكل مال امرأته من نحله الذي نحلها وغيره لا يرى أن عليه جناحاً فأنزل الله ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً﴾ أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس، وفي حبيبة وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فدعاه فذكر ذلك له، قال: وتطيب لي بذلك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، فنزلت: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا﴾ الآية.

﴿افْتَدَتْ بِهِ﴾: نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾٢٢٩ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: الزوج بعد الثنتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ﴾: بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾: تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾: ويطأها كما في الحديث، رواه الشيخان. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: أي الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: أي الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يَتَرَاجَعَا﴾: إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾: المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا

قوله: ﴿فإن خفتم﴾ خطاب لولاة الأمور. قوله: ﴿فيما افتدت به﴾ أي كان بمهرها أو أقل أو أكثر. قوله: [لا حرج على الزوج في أخذه] أي لعدم ظلمه لها، وقوله: [ولا على الزوجة في بذله] أي لدفعها الضرر عن نفسها. قوله: ﴿فلا تعتدوها﴾ أي تتجاوزوها بأن تعينوا الظالم على المظلوم منهما. قوله: ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ ذكر هذا الوعيد بعد النهي عن تعديها للمبالغة في التهديد. وقوله: ﴿الظالمون﴾ أي لأنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه.

قوله: ﴿فإن طلقها﴾ أي طلقة ثالثة سواء وقع الاثنتان في مرة أو مرتين، والمعنى فإن ثبت طلاقها ثلاثاً في مرة أو مرات ﴿فلا تحل﴾ الخ، كما إذا قال لها أنت طالق ثلاثاً أو ألبتة وهذا هو المجمع عليه، وأما القول بأن الطلاق الثلاث في مرة واحدة لا يقع إلا طلقة فلم يعرف إلا لابن تيمية من الحنابلة، وقد رد عليه أئمة مذهبه حتى قال العلماء إنه الضال المضل، ونسبتها للإمام أشهب من أئمة المالكية باطلة. قوله: ﴿حتى تنكح﴾ المراد به هنا العقد مع الوطء كما بين ذلك في الحديث والإجماع عليه، خلافاً لما نقل عن ابن المسيب أن العقد كاف في التحليل. قوله: ﴿زوجاً﴾ أي لا سيداً فلا يقع به تحليل، ولا بد من كون الزوج بالغاً عند مالك لقوله في الحديث: «حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته» ولا عسيلة للصبي، وقال الشافعي بعدم اشتراط بلوغه، ومن هنا المسألة الملفقة وهي أن يقلد الشافعي في صحة تحليل غير البالغ، ومالكاً في صحة طلاق وليه عنه لمصلحة وفي عدم العدة عليها من وطئه، وهذه المسألة قال العلماء فيها الورع تركها، ويشترط للتحليل عند مالك شروط عشرة تعلم من الفروع. قوله: [ويطؤها] أي ولا يشترط الانزال. قوله: [كما في الحديث] وهو أنه جاءت امرأة تسمى تميمة القرظية وكانت متزوجة بابن عمها رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن رفاعة أبت طلاقي فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي، وإنما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته، فمكثت مدة ثم جاءت ثانياً لرسول الله وقالت إنه مسني وذقت منه وذاق مني، فقال لها رسول الله إن قولك الأول كذبك الآن، فجاءت للصديق في خلافته وقالت له مثل ما قالت لرسول الله، فقال لها إني شهدت مجيئك لرسول الله ﷺ وكلامك له، لا ترجعي، فجاءت لعمر في خلافته فقالت له كذلك فقال لها إن عدت لرفاعة رجمتك. قوله: [رواه الشيخان] أي عن عائشة.

قوله: ﴿أن يتراجعا﴾ [إلى النكاح] أي بعقد ومهر وولي وشهود. قوله: [بعد انقضاء العدة] أي فلا بد من عدتين: عدة للزوج الأول وعدة للثاني. قوله: ﴿أن يقيما حدود الله﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ظن الثاني.

---

* أسباب نزول الآية ٢٣٠: قوله تعالى: ﴿فإن طلقها﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن مقاتل بن حبان قال: نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك، وهو ابن عمها، فطلقها طلاقاً بائناً، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، فطلقها فأتت النبي ﷺ فقالت: أنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى الأول؟ قال ﷺ: لا حتى يمس، ونزل فيها ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ فيجامعها فإن طلقها بعدما جامعها فلا جناح عليهما أن يتراجعا.

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٢٣٠: أي يتدبرون ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: من غير ضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾: بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾: مفعول له ﴿لِتَعْتَدُوا﴾: عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾: مهزوءاً بها بمخالفتها ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: ما فيه من الأحكام ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾: بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٣١: لا يخفى عليه شيء ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: خطاب للأولياء

ومعنى إقامة حدود الله زوال ما في أنفسهما من الكدر الذي كان سبباً في الطلاق. قوله: ﴿لقوم يعلمون﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بتلك الأحكام وهم الذين يعقلون الخطاب. قوله: [أي يتدبرون] أي ينظرون في عواقب أمورهم.

تنبيه: يقع الطلاق فيما ذكر ولو كان سكراناً بحرام لعدم عذره بذلك أو في حماقة، وليست الحماقة من باب الإكراه الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لا طلاق في إغلاق»، خلافاً لمن يفتي بذلك فإنه ضال مضل، اللهم إلا أن يطيش عقله فلا يعرف الأرض من السماء ويصير كالمجنون فلا شيء عليه.

قوله: ﴿وإذا طلقتم النساء﴾ أي طلاقاً رجعياً وإنما كرره للإيضاح. قوله: [قاربن انقضاء عدتهن] أي أشرفن عليها. قوله: [مفعول له] أي لأجله. قوله: ﴿لتعتدوا﴾ علة لقوله ضراراً. قوله: [بالإلجاء] أي الاضطرار. قوله: [تطويل الحبس] أي العدة. قوله: ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي لما في الحديث: «يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». قوله: [بمخالفتها] أي فأطلق الاستهزاء وأراد المخالفة. قوله: [ما فيه من الأحكام] أي العلوم النافعة. قوله: [بالعمل به] أي ولا تتخذوها هزواً. قوله: [لا يخفى عليه شيء] أي فيثيب المطيع ويعذب العاصي. قوله: [انقضت عدتهن] أي فبلوغ الأجل في المحلين مختلف. قوله: [خطاب للأولياء] أي وأما الخطاب في طلقتم فهو خطاب للأزواج، ويصح أن يكون خطاباً للأولياء أيضاً، والمعنى إذا رفعن أموركن اليكم أيها الأولياء وتسببتم في طلاقهن من أزواجهن، ثم زال ما في النفوس وأرادوا العقد على أزواجهم فلا يكن منكم عضل لهن

---

* أسباب نزول الآية ٢٣١: قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها يفعل ذلك يضاربها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية. وأخرج عن السدي قال: نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها مضارة فأنزل الله ﴿ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا﴾. قوله تعالى: ﴿ولا يتخذوا آيات الله هزواً﴾.

أخرج ابن أبي عمر في مسنده وابن مردويه عن أبي الدرداء قال: كان الرجل يطلق ثم يقول: لعبت، ويعتق ثم يقول: لعبت، فأنزل الله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾. وأخرج ابن المنذر عن عبادة بن الصامت نحوه، وأخرج ابن مردويه نحوه عن ابن عباس. وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل الحسن.

* أسباب نزول الآية ٢٣٢: قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء﴾ الآية، روى البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة فهويها وهويته، فخطبها مع الخطاب، فقال له يالكع: أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها والله لا ترجع إليك أبداً، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه فأنزل الله ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن﴾ إلى قوله ﴿وانتم لا تعلمون﴾ فلما سمعها معقل قال: سمع لربي وطاعة، ثم دعاه وقال: ازوجك وأكرمك.

وأخرجه ابن مردويه من طرق كثيرة ثم أخرج عن السدي قال: نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، فقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية، وكانت المرأة تريد زوجها قد راضته، فنزلت هذه الآية، والأول اصح، هو أقوى.

أي تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾: المطلِّقين لهن؛ لأنَّ سببَ نزولها أنَّ أختَ معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم ﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾: أي الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾: شرعاً ﴿ذَٰلِكَ﴾: النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: لأنه المنتفع به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي ترك العضل ﴿أَزْكَىٰ﴾: خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: لكم ولهم لما يُخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما فيه المصلحة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٢٣٢ ذلك فاتبعوا أمره ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾: أي ليرضعن ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾: عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾: صفة مؤكدة ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾: ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: أي الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: على الإرضاع إذا كن مطلقات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾: بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾: يضار ﴿مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾: أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾: أي وارث الأب

من ذلك. قوله: [أن أخت معقل] أي واسمها جميلة. قوله: [طلقها زوجها] أي واسمه عاصم بن عدي. قوله: [أي الأزواج والنساء] وغلب الذكور لشرفهم وهو جمع باعتبار أفراد الرجال والنساء. قوله: [لأنه المنتفع به] جواب عما يقال لمن خص المؤمنين. قوله: [بسبب العلاقة] أي الارتباط. قوله: [فاتبعوا أمره] أي ولا تطيعوا أنفسكم في العضل، فمتى كان لكل منهما رغبة في الآخر فلا يكن منكم منع في ذلك لأنه لا مصلحة فيه، وقد جرت عادة الله في كتابه أنه يتخلل الأحكام والقصص بالمواعظ الجليلة، وفي الحديث «كان يتخولنا بالمواعظ مخافة السآمة» علينا. قوله: [أي ليرضعن] فسره بالأمر إشارة إلى أن الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى فالمقصود منها الأمر وهو للندب للأم بشروط ثلاثة إن كان للولد أب موسر، أو مال، ووجد من ترضعه غير أمه وقبلها، فإن فقد شرط منها وجب عليها الرضاع.

قوله: ﴿أولادهن﴾ أي ذكوراً أو إناثاً. قوله: ﴿كاملين﴾ هذا تقريب عند مالك فالحق الشهران بالحولين وتحديد عند الشافعي. قوله: [صفة مؤكدة] أي لدفع توهم تسمية الأقل منهما باسم الكامل تسمحاً، والمقصود من النص على الحولين قطع النزاع بين الزوجين حيث اراد أحدهما أكثر من الحولين أو أقل، والآخر الحولين فانه يقضي لمن أرادهما. قوله: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ الجار والمجرور خبر لمبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله ذلك وهو جواب عن سؤال مقدر. قوله: [ولا زيادة عليه] أي خلافاً لمن قال إذا شحت المرأة قضي لها بثلاثين شهر أو لمن قال بثلاثة أعوام. قوله: ﴿وعلى المولود له﴾ أي المنسوب له الولد احترازاً عن ابن الزنا، ومن نفاه أبوه بلعان فلا يلزم اباه شيء من أجله لقطع نسبه. قوله: ﴿رزقهن﴾ أي دفع الرزق بمعنى الأجرة التي يتحصل بها الطعام والشراب والكسوة. قوله: [إذا كن مطلقات] أي بائناً، واما الرجعيات واللاتي في العصمة فلا يلزمه اجرة على الرضاع عند الشافعي وكذا عند مالك في غير من شأنها عدم الارضاع بنفسها كنساء الملوك. واما هي فلها ان تأخذ الأجرة على ذلك، هكذا حمله المفسر على غير الزوجة، وبعضهم حمله على ما يعم الزوجة بمعنى أن الزوجة تأخذ الأجرة على الرضاع ولو ناشزاً ولو يجرى على حكم النفقة الزوجية. قوله: [بقدر طاقته] أي عسراً ويسراً.

قوله: ﴿لا تكلف نفس﴾ ببناء الفعل للمجهول ونفس نائب الفاعل، وفي قراءة يكلف نفساً ببناء للفاعل، والفاعل هو الله سبحانه وتعالى. قوله: [بأن تكره على إرضاعه] أي بغير أجرة أو بأجرة دون أجرة المثل حيث طلبتها. قوله: [إذا امتنعت] أي ووجد غيرها وقبلها الولد وكان الأب موسراً وللولد مال، وإلا أكرهت الأم على إرضاعه إما بنفسها أو تكري

وهو الصبي أي على وليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾: أي الوالدان ﴿فِصَالًا﴾: فطاماً له قبل الحولين صادراً ﴿عَن تَرَاضٍ﴾: اتفاق ﴿مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾: خطاب للآباء ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾: مراضع غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾: إليهن ﴿مَّا آتَيْتُم﴾: أي أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالجميل كطيب النفس ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٣٣: لا يخفى عليه شيء منه ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾: يموتون ﴿مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: يتركون ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي ليتربصن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: بعدهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: من الليالي وهذا في غير الحوامل وأما الحوامل فعدتهن

له من يرضعه، قوله: [في ماله] أي وهو مقدم ثم مال الأب ثم مال الأم عند مالك. قوله: [للوالدة] أي المرضعة والدة كانت أو غيرها.

قوله: ﴿فإن أرادا فصالاً﴾ هذا تقييد لما تقدم في قوله حولين كاملين. قوله: ﴿عن تراض﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لفصالا قدره المفسر بقوله صادراً. قوله: [في فعل ذلك] أي ولا في الزيادة على الحولين عند الاتفاق بل هو جائز شرعاً، ومنعه الحكماء لما فيه من توريث البلادة للطفل. قوله: [مراضع] مفعول أول لتسترضعوا مؤخر، وأولادكم مفعول ثان مقدم على حذف الجار أي إن أردتم أن تطلبوا مراضع لأولادكم، لأن أفعل إذا كان متعديا إلى مفعول واحد وزيدت فيه السين للطلب، أو النسبة يصير متعدياً إلى مفعولين كما قال الزمخشري، وقال الجمهور إنما يتعدى للثاني بحرف الجر فيكون أولادكم منصوباً بنزع الخافض، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول أردتم. قوله: [غير الوالدات] أي حيث كانت أجرة الغير أقل من أجرة الأم أو كانت الغير ترضع مجاناً، أما إذا استويا فالأم أولى. قوله: ﴿إذا سلمتم﴾ ليس شرطاً لصحة الإجارة بل هو بيان للأكمل لأن التعجيل أطيب لنفوسهن. قوله: ﴿بالمعروف﴾ فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه متعلق بسلمتم، الثاني أنه متعلق بآتيتم، الثالث أنه حال من فاعل سلمتم أو آتيتم، والعامل فيه حينئذ محذوف أي ملتبسين بالمعروف. قوله: ﴿واتقوا الله﴾ مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع.

قوله: ﴿والذين يتوفون﴾ بضم الياء مبنياً للمفعول، وفي قراءة بفتحها مبنياً للفاعل، والمعنى عليها يستوفون آجالهم. قوله: [يموتون] المناسب تقبض أرواحهم ليناسب الفعل المبني للمفعول. قوله: ﴿أزواجاً﴾ جمع زوج بمعنى زوجة لأن الزوج يقع على الذكر والأنثى. قوله: [أي ليتربصن] أشار بذلك إلى أن المراد من الآية الأمر وإن كان ظاهرها الخبر له. قوله: ﴿بأنفسهن﴾ الباء زائدة للتأكيد والأصل يتربصن أنفسهن يعني لا بواسطة حكم حاكم، فإن العدة لا تحتاج لذلك. قوله: [بعدهم] الضمير عائد على الاسم الموصول الواقع على الرجال، وقدره المفسر ليصح الاخبار بجملة يتربصن عن الموصول هكذا أعرب المفسر، وبعضهم قدر في المبتدأ فقال وأزواج الذين يتوفون، وبعضهم قدر في الخبر حيث قال والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً أزواجهم يتربصن، فأزواجهم مبتدأ، وجملة يتربصن خبره، والمبتدأ وخبره خبر الأول والرابط موجود. قوله: [عن النكاح] أي نكاح الغير لهن.

قوله: ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾ إما مفعول ليتربصن على حذف مضاف أي مضي أربعة أشهر وعشر أو ظرف له. قوله: [من الليالي] أي مع النهار وخص الليالي لسبقها على النهار. قوله: [وهذا في غير الحوامل] أي ما تقدم من العموم لا يتناول الحوامل والاماء. قوله: [أن يضعن حملهن] أي كله ولو علقة أو مضغة فلا تحل إلا بوضعه ولو مكث

أنْ يضعن حملهن بآية الطلاق والأمة على النِصْف من ذلك بالسنة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت مدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من التزين والتعرض للخطاب ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: شرعاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢٣٤: عالم بباطنه كظاهره ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾: لوحتم ﴿بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: المتوفى عنهن أزواجهن في العدة كقول الإنسان مثلاً إنكِ لجميلة ومن يجد مثلكِ ورب راغب فيكِ ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾: أضمرتم ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾: من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: أي نكاحاً ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: أي ما عرف شرعاً من التعريض فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾: أي على عقده ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: أي المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُۥ﴾: بأنْ ينتهي ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾: من العزم وغيره ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾: أنْ يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ ٢٣٥: بتأخير العقوبة عن

الزمن الطويل في بطنها. قوله: [والأمة] بالجر معطوف على الحوامل. قوله: [على النصف من ذلك] أي فعدتها شهران وخمس ليال وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره وهي على النصف من ذلك واعلم أن ذلك تعبد أمرنا به الشارع ولم نعقل له معنى، ولذا أمرت بتلك العدة الصغيرة وزوجة الصغير، وما قيل إنه معلل بوجود حركة الحمل بعد الأربعة أشهر فغير مطرد في الأمة الصغيرة وزوجة الصغير. قوله: [بالسنة] أي الدليل السني. قوله: [من التزين] أي الشرعي بأنْ تفعل ذلك ببيتها. قوله: [والتعرض للخطاب] معطوف على التزين فلا يحرم كل من التزين والتعرض للخطاب بعد العدة، وأما فيها فيحرم على الأولياء وعليهن إذا بلغن ويجب عليهن كفهن ولو بالشتم والضرب. قوله: ﴿فيما عرضتم﴾ التعريض هو الكلام الذي يفهم منه المقصود بطرف خفي. قوله: ﴿من خطبة النساء﴾ بكسر الخاء التماس النكاح قوله: [ورب راغب] رب للتكثير.

قوله: ﴿أو أكننتم في أنفسكم﴾ أي ولو أخبرتم بذلك غير المجبر لها فالحرمة في التصريح لها أو لوليها المجبر. قوله: [فأباح لكم التعريض] أي والاضمار في أنفسكم وهو تفريع على قوله علم الله الواقع علة لقوله ولا جناح عليكم، والمعنى إنما لم يحرم عليكم التعريض والاضمار في الأنفس لعلمه أنه إنْ حرم عليكم ذلك لوقعتم فيما هو أعظم الذي هو التصريح فأباح لكم التعريض. قوله: ﴿سراً﴾ هو في الأصل ضد الجهر أطلق وأريد منه الوطء لأنه لا يكون إلا كذلك، ثم أطلق وأريد منه العقد لأنه سببه فهو مجاز على مجاز. قوله: [أي نكاحاً] أي عقداً. قوله: ﴿إلا﴾ [لكن] ﴿أن تقولوا﴾ الخ. جعل المفسر الاستثناء منقطعاً لأنّ التعريض ليس من المواعدة، والمواعدة إنما تحرم إذا كانت من الجانبين، وأما من جانب فتكره عند مالك. قوله: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أي فالعقد في العدة فاسد، ويفسخ، فإن انضم لذلك العقد مباشرة ولو بعد العدة تأبد تحريمها عند مالك، وعند الشافعي يفسخ العقد فقط، وله العقد عليها ثانية بعدها. قوله: [من العزم] أي التصميم على العقد فالعزم يؤاخذ الانسان به خيراً كان أو شراً، وقد نظم بعضهم الأمور التي تطرأ على الشخص فقال:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا ... فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

قوله: ﴿فاحذروه﴾ أي الله بمعنى احذروا عقابه. قوله: [لمن يحذره] أي يخافه، ففي الحديث «إذا أذنب

مستحقها ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن ﴿أَوْ﴾: لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مهراً، وما مصدرية ظرفية أي لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾: الضيق الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾: يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿مَتَاعًا﴾: تمتيعاً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: شرعاً صفة متاعاً ﴿حَقًّا﴾: صفة ثانية أو مصدر مؤكد ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٣٦: المطيعين ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن يَعْفُونَ﴾: أي الزوجات فيتركنه ﴿أَوْ يَعْفُوَا ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَن تَعْفُوٓا﴾: مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أي أن

العبد ذنباً وعلم أن الله يغفره غفر له بمجرد فعله الذنب. قوله: [بتأخير العقوبة عن مستحقها] أي فلا يغتر العاصي بذلك فلربما يكون ذلك التأخير استدراجاً له. قوله: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء﴾ سبب نزولها أن رجلاً من الأنصار تزوج امرأة تفويضاً ثم طلقها قبل الدخول، فرفعته لرسول الله ﷺ فنزلت، فقال له رسول الله أمتعها ولو بقلنسوتك. قوله: ﴿ما لم تمسوهن﴾ فعله مس مسند للرجل لأنه الأقوى في المس، والأقرب أن ما شرطية بمعنى إن وليست مصدرية ظرفية كما قال المفسر، لأن محل الظرفية فيما يقتضي الامتداد كقوله تعالى: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ لأن شأن الخلود الامتداد. قوله: [وفي قراءة تماسوهن] أي بضم التاء وفعله ماس مماسة مفاعلة من الجانبين، لأن كلا يمس الآخر، واستشكل مفهوم الآية بأن الطلاق بعد المس لا إثم فيه نعم فيه المهر. وأجيب بأنه مظنة الجناح بدفع المهر، ووجود الاثم من حيث إنه قد يوقعه زمن الحيض، وأما الطلاق قبل الدخول فلا جناح فيه أصلاً. قوله: [فطلقوهن] ﴿ومتعوهن﴾ أشار بذلك إلى أن ومتعوهن معطوف على محذوف قدره بقوله فطلقوهن. قوله: ﴿قدره﴾ بفتح الدال وسكونها قراءتان سبعيتان قوله: [يفيد أنه لانظر إلى قدر الزوجة] أي وهو أحد الأقوال عند الشافعي، والمفتي به عند مالك، ولكن المعتمد عند الشافعي مراعاة حال الزوج والزوجة. قوله: [تمتيعاً] أشار بذلك إلى أن اسم المصدر بمعنى المصدر. قوله: [شرعاً] أي لا بشيء محرام. قوله: [أو مصدر مؤكد] أي وعامله محذوف أي أحقه حقاً. واعلم أنه اختلف في المتعة، فقيل واجبة نظراً للأمر ولقوله حقاً وبه أخذ الشافعي، وقيل مندوبة نظراً لقوله بالمعروف، ولقوله على المحسنين، وبه أخذ مالك. قوله: ﴿من قبل﴾ متعلق بطلقتموهن. قوله: ﴿وقد فرضتم﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿فريضة﴾ بمعنى مفروضة مفعول به، وقيل مفعول مطلق بمعنى فرض، لكن الأول أقرب. قوله: ﴿فنصف ما فرضتم﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: [يجب لهن] ويحتمل أنه خبر لمبتدإ محذوف تقديره فاللازم لكم ما فرضتم، وما اسم موصول والعائد محذوف، وجملة فرضتم صلته ونصف مثلث الوزن ونصيف كرغيف، ولا يقرأ في جميع مواضع القرآن إلا بكسر النون لا غير. قوله: ﴿إلا أن يعفون﴾ إلا أداة استثناء، وأن حرف مصدري ونصب، ويعفون مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهي فاعل، والواو لام الكلمة لا واو الجماعة لأن وزنها يفعلن بخلاف الرجال يعفون فإن وزنه يفعون، وقدر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن العفو ليس من جنس ما قبله فإن ما قبله وجوب دفع نصف المهر. قوله: [فيترك لها الكل] أي وتسميته عفوا مشاكلة لما قبله. قوله: [الولي] أي المجبر، وقال به مالك. قوله: [محجورة] أي مجبورة.

قوله: ﴿وأن تعفوا﴾ الضمير عائد على من ذكر من الرجال والنساء، وإنما غلب الرجال لشرفهم، وأصله تعفوون

يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٣٧ : فيجازيكم به ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ : الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ : هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها أقوال وأفردها بالذكر لفضلها ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ : في الصلاة ﴿قَٰنِتِينَ﴾ ٢٣٨ : قيل مطيعين لقوله ﷺ : «كل قنوت في القرآن فهو طاعة» رواه أحمد وغيره. وقيل: ساكتين لحديث زيد بن أرقم «كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام» رواه الشيخان ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ : من عدو أو سيل أو سبع ﴿فَرِجَالًا﴾ : جمع راجل أي مشاة صلوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ : جمع

دخل الناصب فحذفت النون ثم استثقلت الضمة على الواو فحذفت فالتقى ساكنان حذفت لام الكلمة لالتقائهما. قوله: ﴿أقرب للتقوى﴾ استشكل كلام ابن عباس بأن عفو الولي لا تقوى فيه. أجيب بأن المراد بالتقوى الألفة، أي فإذا عفا الولي فربما تحصل الألفة من الزوج ثانياً. قوله: [أي أن يتفضل بعضكم على بعض] أي يفعل بعضكم مع بعض مكارم الأخلاق بأن يحصل العفو عن جميع المهر من الزوج، أو تعفو الزوجة عن النصف الذي يخصها.

قوله: ﴿حافظوا على الصلوات﴾ أتى بهذه الآية في خلال ما يتعلق بالأزواج والأولاد تنبيهاً على أنه لا ينبغي من العبد أن يشتغل عن حقوق سيده بأمر الأزواج والأولاد، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾. قوله: [بأدائها في أوقاتها] أي مع استكمال شروطها وفرائضها وسننها وآدابها، فإن فقد شيء من ذلك دخل في الوعيد، قال تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ وخص الصلاة بالذكر لأنها عماد الدين، ومعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

قوله: ﴿والصلاة الوسطى﴾ فعلى مؤنث الأوسط بمعنى الأفضل والأخير لا بمعنى المتوسطة بين شيئين، فإنه ليس فيه مزيد مزية وهو من عطف الخاص على العام، والنكتة مزيد فضلها على غيرها كليلة القدر فهي أفضل الليالي. قوله: [هي العصر] أي لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار، وبه قال الشافعي. قوله: [أو الصبح] أي لما ذكر ولما في الحديث «بورك لأمتي في بكورها» ولأنها تأتي الناس وهم نيام، وبه قال مالك. قوله: [أو الظهر] أي لأنها أول صلاة ظهرت في الاسلام. وقوله: [أو غيرها] قيل هي المغرب لأنها وتر صلاة النهار، وقيل العشاء لأنها تأتي الناس وهم كسالى، وقيل هي الصلاة على النبي، وقيل هي صلاة الجمعة، وقيل الجنازة، وقيل صلاة العيد وحكمة إخفائها ليحافظ الإنسان على ذلك كله، كما أخفى ليلة القدر في سائر الليالي ليقوم الانسان جميع الليالي وساعة الاجابة في يوم الجمعة والرجل الصالح في الخلق، واختار ابن العربي وابن أبي جمرة أن الصلاة الوسطى هي مجموع العصر والصبح مستدلين بأدلة كثيرة تشهد بفضل هذين الوقتين. قوله: [وأفردها بالذكر لفضلها] أشار بذلك لنكتة عطفها على الصلوات، لأن عطف الخاص على العام يحتاج لنكتة. قوله: [قيل مطيعين] أي لا مكرهين ولا كسالى بل ممتثلين الأمر مجتنبين النهي. قوله: [وقيل ساكتين] أي إلا عن ذكر الله ويلحق به مخاطبة النبي فإنها لا تبطل الصلاة. قوله: [من عدو] أي مسلم أو كافر. وقوله: [أو سيل أو سبع] أي دافع كل منهما الناس لو توانى واحد منهم أخذه ما ذكر. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٢٣٨ : قوله تعالى : ﴿حافظوا على الصلوات﴾ الآية، أخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والبيهقي وابن جرير عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهاجرة، وكانت أثقل الصلاة على أصحابه فنزلت ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾، أخرج أحمد والنسائي وابن جرير عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾.

وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿وقوموا لله قانتين﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا يتكلمون في الصلاة وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله ﴿وقوموا لله قانتين﴾.

راكب أي كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها ويومىء بالركوع والسجود ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾: من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أي صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ٢٣٩: قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾: فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾: وفي قراءة بالرفع أي عليهم ﴿لِأَزْوَاجِهِم﴾: ويعطوهن ﴿مَّتَاعاً﴾: ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾: تمام ﴿الْحَوْلِ﴾: من موتهم الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: حال أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾: شرعاً كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ ٢٤٠: في صنعه والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشراً السابقة المتأخرة في النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾:

[جمع راجل] أي ويجمع أيضاً على رَجْل بسكون الجيم، قال تعالى: ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ ويُجمع أيضاً على رجّال بتشديد الجيم المفتوحة. قوله: [أي مشاة] أي مستقبلين القبلة أم لا. قوله: [جمع راكب] هو في الأصل راكب الابل، لكن المراد به هنا الراكب مطلقاً إبلاً أو غيرها لصلاة الخوف أقسام تأتي في سورة النساء. قوله: [أي صلوا] إنما سمى الصلاة ذكراً لأنها جمعت أنواع الذكر.

قوله: ﴿كما علمكم﴾ أي على الصفة التي علمكم إياها قبل حصول الخوف ولو ركعة، وحكمة الاتيان في جانب الخوف بإن التي تفيد الشك وبإذا في جانب الأمن المفيدة للتحقيق الاشارة إلى أن الأصل الأمن وهو محقق، والخوف طارىء يزول. قوله: [وما موصولة] أي والعائد محذوف، والتقدير فاذكروا الله ذكراً مثل الذكر الذي علمكموه ما لم تكونوا تعلمون، وما الثانية بدل من ما الأولى أو من الضمير المحذوف، وقوله: [أو مصدرية] أي تسبك بمصدر، وظاهره أن الكاف أيضاً بمعنى مثل ولكنه بعيد فالأظهر أنها للتعليل، والتقدير فاذكروا الله لأجل تعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمون، وما معمول لتعليم.

قوله: ﴿والذين يتوفون منكم﴾ حاصله أنه كان في صدر الاسلام يجب على الرجل إذا حضرته الوفاة أن يوصي بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجته سنة لأنها عدتها، ولا ينقطع عنها ذلك إلا بخروجها من نفسها، ثم نسخ ذلك. قوله: [وفي قراءة بالرفع] أي وهي سبعية. قوله: ﴿متاعاً﴾ مفعول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويعطوهن. قوله: [حال] أي من الزوجات. قوله: [كالتزين وترك الإحداد] أي فكان حلالاً في العدة. قوله: [وقطع النفقة عنها] أي بخروجها من نفسها من غير إخراج أحد لها. قوله: [المتأخرة في النزول] جواب عن سؤال وهو أن المتقدم لا ينسخ المتأخر، أجاب بأنه وإن تقدم تلاوة إلا أنه متأخر في النزول. قوله: [والسكنى ثابتة لها عند الشافعي] أي أربعة أشهر وعشراً، وأما عند مالك فهي ثابتة لها إن كان المسكن له أو نقد كراءه، وإلا نقدت هي كراءه ومكثت مكانها حتى تخرج من العدة.

قوله: ﴿وللمطلقات﴾ أي مطلقاً قبل الدخول أو بعده إلا من طلقت قبل الدخول وأخذت نصف الصداق فلا متعة لها، وزاد مالك المختلعة فلا متعة لها أيضاً. قوله: ﴿متاع﴾ أي متعة وهي بقدر إمكان الزوج فقط عند مالك وعند

---

* أسباب نزول الآية ٢٤٠: قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ الآية، أخرج إسحاق بن راهويه في تفسيره عن مقاتل بن حبان أن رجلاً من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامرأته، فمات بالمدينة فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فأعطى الوالدين، وأعطى أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول، وفيه نزلت ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ٢٤١: قوله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزلت ﴿ومتعوهن على =

يعطيه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾: نصب بفعله المقدّر ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ٢٤١: الله تعالى كرّره ليعمّ الممسوسة أيضاً إذ الآية السابقة في غيرها ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢٤٢: تتدبرون ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أي ينته علمك ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: مفعول له وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾: فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾: بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

الشافعي بقدرهما، ويسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً. قوله: ﴿على المتقين﴾ إنما قال هنا ذلك وقال فيما تقدم على المحسنين لأن بعض الأعراب حين نزلت الآية الأولى طلق زوجته ولم يمتعها وقال إن أردت أحسنت وإن أردت لم أحسن، فنزلت حقاً على المتقين. قوله: [بفعله المقدر] أي تقديره أحقه حقاً. قوله: [إذ الآية السابقة في غيرها] أي وأما هذه فهي عامة في كل مطلقة ما عدا المطلقة قبل الدخول وأخذت نصف المهر، والمختلعة والمخيرة والمملكة عند مالك. قوله: [كما بين لكم ما ذكر] هذا وعد من الله ببيان كل شيء في القرآن، ولذا قال الشافعي: لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في القرآن. قوله: [استفهام تعجيب] أي إيقاع في العجب، والخطاب قيل للنبي، وقيل لكل من يصلح للخطاب وهو أولى. قوله: [وتشويق] أي إيقاعه في الشوق لأن ما سيق بعد الطلب ألذ مما سيق بلا تعب، وعطف التشويق على التعجيب من عطف المسبب على السبب. قوله: [أي ينته علمك] أشار بذلك إلى أن ترى مضمن معنى ينته والحامل له على ذلك تصريح الله بإلى. وإلا فرأى علمية تتعدى للمفعولين بنفسها. قوله: [ألفاً] تمييز حذفه من الأول لدلالة الأخير عليه، وقد ذكر المفسر ستة أقوال أصحها الثلاثة الأخيرة لأن ألوفاً جمع كثرة ومبدؤه بعد العشرات. قوله: [مفعول له] أي لأجله وقد استوفى شروطه المذكورة في العربية. قوله: [ففروا] أخذت الأئمة من الآية النهي عن الخروج من بلد فيها الطاعون، فقال مالك بالكراهة، وقال الشافعي بالحرمة. قوله: [فماتوا] قدره المفسر لعطف قوله: ﴿ثم أحياهم﴾ عليه، وقوله: ﴿فقال لهم﴾ قيل المراد على لسان ملك، وقيل كناية عن سرعة الايجاد. قوله: [بعد ثمانية أيام] أي حتى انتشرت عظامهم وذاب لحمهم [قوله حزقيل] هو الخليفة الثالث في بني إسرائيل بعد موسى، لأن موسى لما حضرته الوفاة خلف يوشع بن نون، فلما حضرته الوفاة خلف كالب، ثم عند موته خلف حزقيل ويسمى ابن العجوز لأنه جاءها وهي عجوز، ويلقب بذي الكفل لأنه كفل أي وقى سبعين نبياً من القتل. ورد أنه لما مر عليهم وهم موتى قال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويهللونك ويكبرونك، فبقيت وحدي لا قوم لي، فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمعت العظام، فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً فاكتست، ثم أمره الله أن يقول لها إن الله يأمرك ان تقومي فقاموا قائلين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت. إن قلت: كيف مات هؤلاء مرتين مع قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ قلت: إن الموت قبل استيفاء الأجل إما عقوبة كموت الذين سألوا الرؤية قبلهم، أو عبرة كموت العزير وحماره. قوله: [فعاشوا دهراً] أي مدة عمرهم. قوله: [أثر الموت] أي من الصفرة. قوله: [واستمرت في اسباطهم] أي أولادهم كما هو مشاهد في بعض اليهود. قوله: [ومنه

= الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾. قال رجل: إن احسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فأنزل الله ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حق على المتقين﴾.

﴿ٱلنَّاسِ﴾: وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ ٢٤٣: والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه ﴿وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي لإعلاء دينه ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢٤٤: بأحوالكم فمجازيكم ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾: بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾: وفي قراءة فيضعّفه بالتشديد ﴿لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾: يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾: يوسعه لمن يشاء امتحاناً ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢٤٥: في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾: الجماعة ﴿مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ﴾: موت ﴿مُوسَىٰٓ﴾:

إحياء هؤلاء] أي ليعتبروا ويظفروا بالسعادة. قوله: **[تشجيع المؤمنين]** أي حملهم على القتال. قوله: **[ولذا عطف عليه]** أي الخبر المذكور، وقيل معطوف على قوله: **﴿حافظوا على الصلوات﴾** الآية، وما بينهما اعتراض. قوله: **[لإعلاء دينه]** أي لا لغنيمة ولا لاظهار شجاعة ونحو ذلك. قوله: **﴿واعلموا﴾** الخ فيه وعد للمجاهدين ووعيد لمن تخلف عنهم. قوله: **[فيجازيكم]** أي على ما يعلم منكم فالجزاء على حساب البواطن لا الظواهر.

قوله: **﴿من ذا الذي﴾** يحتمل ان من اسم استفهام مبتدأ وذا خبر والذي بدل منها ويقرض صلة الموصول لا محل لها من الاعراب، ويحتمل ان من ذا اسم استفهام مبتدأ والذي خبر ويقرض صلة الموصول. قوله: **﴿يقرض الله﴾** أي يسلفه وهذا من تنزلات المولى لعباده، حيث خاطبهم مخاطبة المحتاج المضطر، مع انه غني عنهم رحمة بهم على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة، وسماه هنا قرضاً وفي آية براءة بيعاً، وفي الحقيقة لا بيع ولا قرض لان الملك كله له، وحينئذ فليست مضاعفته على ذلك رباً لأنه لا تجري أحكام الربا بين السيد وعبده الحادثين لملكه له صورة، فأولى بين السيد المالك القديم وعبده الذليل الضعيف الذي لا يملك شيئاً أصلاً فمن احسانه عليه خلق ونسب إليه. قوله: **﴿قرضاً﴾** مفعول مطلق لقوله يقرض. قوله: **[عن طيب قلب]** أي لا رياء ولا سمعة بل ينفقه من حلال خالصاً لله.

قوله: **﴿فيضاعفه﴾** بالرفع والنصب والتشديد والتخفيف قراءات أربع سبعية، فالرفع عطف على يقرض، والنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب الاستفهام. قوله: **[كما سيأتي]** أي في قوله تعالى: **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة﴾** الآية، وكثرة المضاعفة على حسب الاخلاص قال عليه الصلاة والسلام: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

قوله: **﴿والله يقبض ويبسط﴾** هذا كالدليل لما قبله، أي إن الانفاق لا يقبض الرزق وعدمه لا يبسطه، بل القابض الباسط هو الله. قوله: **[ابتلاء]** أي اختباراً هل يصبرون ولا يشكون أم لا. قوله: **[امتحاناً]** أي هل يشكرون أم لا، فالمطلوب من الإنسان أن يكون كما قال الشاعر:

استغن ما أغناك ربك بالغنى ... وإذا تصبك خصاصة فتحمل

فلا يشكو ربه في حال فقره، ولا يطغى في حال غناه، قال أهل الاشارات: في الآية إشارة خفية إلى أن القبض لا بد وأن يعقبه بسط بخلاف العكس. قوله: **[فيجازيكم بأعمالكم]** أي فيثيب المنفق ويعذب الممسك.

قوله: **﴿ألم تر﴾** ضمنت معنى ينتهي فعديت بإلى كما تقدم نظيره، والاستفهام هنا نظير ما تقدم فالمقصود من

---

* أسباب نزول الآية ٢٤٥: قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ الآية، روى ابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عمر قال: لما نزلت ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة﴾ إلى آخرها قال رسول الله ﷺ: رب زد أمتي، فنزلت ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾.

أي إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾: هو شمويل ﴿ابْعَثْ﴾: أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾: النبي لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾: بالفتح والكسر ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾: بسبيهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت أي لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾: عنه وجبنوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٢٤٦: فمجازيهم وسأل النبي ربه إرسال ملك فأجابه إلى إرسال طالوت ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾: لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغاً أو راعياً ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾: يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾: النبي لهم ﴿إِنَّ

ذكر هذه القصة العبرة حيث كانوا كثيراً ولم يوجد الصدق في غالبهم، فالمعنى لا تكونوا يا أمة محمد كمن ذكروا في الجبن والمخالفة. قوله: [الجماعة] أي الأشراف لأنهم هم الذين يملأون العين هيبة وأنساً. قوله: ﴿من بني إسرائيل﴾ من تبعيضية. وحاصل مبدأ تلك القصة أنه عند وفاة موسى خلف الله على بني إسرائيل يوشع بن نون فقام بالخلافة حق قيام، ثم لما مات تخلف عليهم كالب ثم حزقيل ثم إلياس ثم اليسع فقاموا جميعاً بالخلافة كمن قبلهم. ثم ظهرت لهم العمالقة وكانوا في بلد قريبة من بيت المقدس يقال لها فلسطين وهم من أولاد عمليق بن عاد، فغلبوا على كثير من بلادهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وزيادة وضربوا عليهم الجزية، ولم يكن فيهم إذ ذاك نبي ولا ذرية نبي إلا امرأة حبلى من ذرية لاوى من أولاد يعقوب فولدت غلاماً فسمته شمويل، فلما كبر نبأه الله عليهم وأرسله إليهم، ثم إنهم طلبوا منه ملكاً يقيم أمرهم ويرشدهم لما فيه صلاحهم فأقام لهم طالوت إلى آخر ما قص الله.

قوله: ﴿من بعد موسى﴾ من ابتدائية. قوله: [إلى قصتهم وخبرهم] بيان للمراد من الآية لأنه لا معنى لرؤية ذواتهم. قوله: ﴿نقاتل﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: [والاستفهام لتقرير التوقع] والمعنى أترقب منكم عدم القيام بالقتال. وقوله: [خبر عسى] أي واسمها التاء، وقوله: ﴿إن كتب عليكم القتال﴾ جملة معترضة بين اسمها وخبرها، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا تقاتلوا. قوله: ﴿قالوا وما لنا أن لا نقاتل﴾ ما استفهامية بمعنى شيء مبتدأ، ولنا متعلق بمحذوف خبر، وأن مقدر قبلها الجار، ولا بمعنى عدم، ويكون المعنى أي شيء ثبت لنا في عدم القتال. قوله: ﴿وقد أخرجنا﴾ جملة حالية والمعنى أخرج أصولنا وأبناؤهم. قوله: [فعل بهم ذلك قوم جالوت] أي حين مات آخر نبي لهم وهو اليسع، وضربوا عليهم الجزية وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وشيئاً فضلاً عن غيرهم. قوله: [أي لا مانع لنا منه] تفسير للمعنى المراد من الآية.

قوله: ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ مرتب على محذوف تقديره فدعا شمويل ربه بذلك فبعث لهم ملكاً وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم الخ. قوله: [وجبنوا] عطف تفسير وهو ترك القتال خوف الموت وسيأتي بيان جبنهم. قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ منصوباً على الاستثناء من الواو في تولوا وهو استثناء متصل، وكان عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر. قوله: ﴿والله عليم بالظالمين﴾ أي منهم وهذا وعيد عظيم لمن جبن عن القتال. قوله: [كيف] تفسير لأنى والعامل فيها يكون. قوله: [لأنه ليس من سبط المملكة] أي لكونه لم يكن من ذرية يهوذا بن يعقوب، وقوله: [ولا النبوة] أي لكونه لم يكن من ذرية لاوى بل هو من ذرية بنيامين أصغر أولاد يعقوب، وكانت ذريته لا نبوة فيهم ولا مملكة، بل أقيموا في الحرف الدنيئة من أجل معاصيهم. قوله: ﴿سعة﴾ أصله وسع حذفت فاء الكلمة وهي الواو وعوض عنها تاء التأنيث كما في عدة

اللهَ ٱصْطَفَاهُ﴾: اختاره لذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: سعة ﴿فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾: وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم خلقاً ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾: إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿وَٱللَّهُ وَاسِعٌ﴾: فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢٤٧: بمن هو أهل له ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾: لما طلبوا منه آية على ملكه: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾: الصندوق كان فيه صور الأنبياء أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدّمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: طمأنينة لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَٰرُونَ﴾: أي تركاهما وهي نعلا موسى وعصاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورضاض من الألواح ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: حال من فاعل يأتيكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾: على ملكه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٢٤٨: فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفاً ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾: خرج ﴿طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾: من

وزنه، وحذف في مضارعه لوقوعها بين عدوتيها لأن أصله يوسع. قوله: [وكان أعلم بني إسرائيل] أي فكان يحفظ التوراة. قوله: [وأتمهم خلقاً] أي فكان يزيد على أهل زمانه بكتفيه ورأسه. قيل ورد أنه لما دعا شمويل ربه أن يبعث لهم ملكاً أعطاه الله قرناً فيه طيب ويسمى طيب القدس وعصاً، وأوحي إليه إذا دخل عليك رجل اسمه طالوت فانظر في القرن فإذا فار فادهن رأسه به وقسه بالعصا، فإذا جاء طولها فهو الملك فلما دخل عليه فعل به كما أمر فإذا هو طولها، ثم دهن رأسه بذلك الدهن وقال له إن الله جعلك ملكاً على بني إسرائيل، فقال كيف ذلك مع أني أدنى منهم فقال له: الله يؤتي ملكه من يشاء. قوله: ﴿عليم﴾ [بمن هو أهل له] أي فلا حرج عليه في فعل ولا ترك.

قوله: ﴿قال لهم نبيهم﴾ أي حين استبعدوا مجيء الملك له. قوله: [لما طلبوا منه آية] لما بمعنى حين ظرف لقوله قالوا أي وقع منهم القول وقت طلبهم منه آية. قوله: [الصندوق] ويقال بالزاي والسين وكل من الثلاثة إما مفتوح أو مضموم أفصحها بالصاد مع الضم، وكان من خشب الشمشار وطوله ثلاثة أذرع، وعرضه ذراعان مموه بالذهب، وكان عند آدم فيه صور الأنبياء جميعهم، وفيه صورة محمد وبيته وأصحابه وقيامه يصلي بينهم. ثم توارثته ذرية آدم إلى أن وصل لموسى فكان يضع فيه التوراة ووضع فيه بقية الألواح التي تكسرت، ثم أخذه بنو إسرائيل بعد موسى، وكانوا إذا خرجوا للقتال يقدمونه بين أيديهم، وكانت الملائكة تحمله فوق رؤوس المتقاتلين، ثم يشرعون في القتال فإذا سمعوا صيحة تيقنوا النصر، فلما انقرضت أنبياؤهم سلط الله عليهم العمالقة بسبب فسادهم فأخذوا منهم الصندوق وجعلوه في موضع البول والغائط، فلما أراد الله إظهار ملك طالوت سلط عليهم البلاء، فكان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير، حتى خربت خمس بلاد من بلادهم، فلما كبر خوفهم منه أخرجوه للخلاء، ثم حملته الملائكة وأتت به طالوت. قوله: [أنزل الله على آدم] أي ثم توارثته ذريته من بعده. قوله: [فغلبتهم العمالقة] أي بعد موت أنبيائهم. قوله: [وكانوا يستفتحون به] أي يطلبون الفتح والنصر به. قوله: [ويسكنون إليه] أي يطمئنون بقدومه على العدو. قوله: [طمأنينة لقلوبكم] أي ففي للسببية فالمعنى أن السكينة تحصل بسببه ومن أجله، وقيل المراد بالسكينة صورة من زبرجد على صورة الهرة غير أن لها جناحين فإذا صوتت في الصندوق استبشروا بالنصر، وقيل المراد بالسكينة صور الأنبياء، فالظرفية على بابها. قوله: [أي تركاهما] بيان للمراد من الآية فأطلق الآل وأراد منه نفس موسى وهارون، وكثيراً ما يطلق آل الرجل على الرجل نفسه. قوله: [ورضاض الألواح] أي وكسرها. قوله: [حال من فاعل يأتيكم] أي وهو التابوت. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي إتيان التابوت على الوصف المذكور. قوله: [فاختار من شبابهم] أي الذين لا شاغل لهم دنيوي لأنه كان لا

بيت المقدس وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾: ليظهر المطيع منكم والعاصي وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾: أي من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: أي من أتباعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾: بالفتح والضم ﴿بِيَدِهِ﴾: فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾: لما وافوا بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: فاقتصروا على الغرفة روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُوا﴾: أي الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ﴾: قوة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾: بالبعث وهم الذين جاوزوه ﴿كَم﴾: خبرية بمعنى كثير ﴿مِّن فِئَةٍ﴾: جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ٢٤٩: بالعون والنصر ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: أي ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: اصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ٢٥٠: ﴿فَهَزَمُوهُم﴾: كسروهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ﴾: وكان في

يأخذ من كان عنده بناء لم يتم، ومن عقد على زوجة ولم يدخل بها، ومن كان مشغولاً بتجارة. قوله: [سبعين ألفاً] وقيل ثمانون ألفاً وقيل مائة ألف وعشرون ألفاً.

قوله: ﴿فلما فصل﴾ أي انفصل وهو مرتب على محذوف تقديره فجمعهم. قوله: [وهو بين الأردن] بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال وتشديد النون، موضع قريب من بيت المقدس، وقوله: [وفلسطين] بفتح الفاء وكسرها وفتح اللام لا غير، قال بعضهم إنه قرية، وقال بعضهم إنه عدة قرى قرب بيت المقدس.

قوله: ﴿فمن شرب منه﴾ أي بكثرة بدليل ما بعده، وهذا النهر باق يجري إلى الآن بين الخليل وغزة. قوله: [يذقه] أشار بذلك إلى أن الطعم بمعنى الذوقان، يطلق على المأكول والمشروب. قوله: [بالفتح والضم] قراءتان سبعيتان بمعنى الشيء المغروف، وقيل بالفتح اسم للاغتراف وبالضم اسم للشيء المغروف، وقيل بالفتح والضم بمعنى المصدر أشهرها أوسطها. قوله: ﴿إلا قليلاً منهم﴾ استثناء من قوله فشربوا منه المقيد بالكثرة، فالمعنى إلا قليلاً شربوا منه بقلة، فيؤخذ منه أن الجميع شربوا لكن أكثرهم شرب بكثرة، وأقلهم شرب منه بقلة. قوله: [وبضعة عشر] البضعة من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، لكن المراد هنا ثلاثة عشر كما في أكثر الروايات وهم عدة غزوة بدر.

قوله: ﴿فلما جاوزه﴾ أي تعداه. قوله: ﴿وجنوده﴾ قيل عدتهم مائة ألف شاكي السلاح وقيل أكثر، وكان طول جالوت ميلاً وخوذته التي على رأسه ثلثمائة رطل. قوله: ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله﴾ استشكل بأن من شرب كثيراً مؤمنون أيضاً، وأجيب بأنهم سلب إيمانهم بكثرة شربهم، وأجيب أيضاً بأن المراد يظنون أنهم ملاقو الله أي بالموت في تلك الواقعة فلا أمل لهم في الحياة. قوله: ﴿والله مع الصابرين﴾ قيل من كلامهم وقيل من كلام الله بشارة لهم، والمراد معية معنوية خاصة. قوله: [أي ظهروا لقتالهم] أي فلم يبق بينهم حجاب أبداً، بل خرجوا في البراز الذي هو صحراء الأرض. قوله: [اصبب] ﴿علينا صبراً﴾ أي كصب الماء على الأرض الجرز.

قوله: ﴿وقتل داود﴾ أي ابن أيشا وكان أيشا من جملة عسكر طالوت، وكان أولاده ثلاثة عشر معه أصغرهم داود وكان يرعى الغنم، فلما خرجوا للقتال مر داود بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون، فحمله، ثم مر بآخر فقال له احملني فاني حجر موسى فحمله، ثم مر بآخر فقال له احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله، ووضع الثلاثة في مخلاته، فلما تصافوا للقتال نادى طالوت كل من يقتل جالوت أزوجه ابنتي وأناصفه في ملكي، فلم يتقدم

عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾: أي داود ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: في بني إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾: كصنعة الدروع ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾: بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ ٢٥١: بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: فدفع بعضهم ببعض ﴿تِلْكَ﴾: أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾: نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٢٥٢: التأكيد بأن وغيرها رد لقول الكفار له لست مرسلا ﴿تِلْكَ﴾: مبتدأ ﴿الرُّسُلُ﴾: صفة، والخبر ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾: أي محمد ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾: على غيره بعموم الدعوة وختم

أحد، فسأل طالوت شمويل فدعا ربه فأتى بقرن فيه دهن وقيل له إن الذي يقتل جالوت هو الذي إذا وضع الدهن على رأسه لا يسيل على وجهه، فدعا طالوت القوم فصار يدهن رؤوسهم فلم تصادف تلك الصفة أحداً، إلى أن وصل لداود فصادف، فقال له أنت تبرز له؟ فقال نعم، فأتى بالمقلاع وأخرج حجراً من مخلاته وقال باسم رب ابراهيم، وأخرج حجراً آخر وقال باسم رب إسحاق، وأخرج حجراً آخر وقال باسم رب يعقوب، ثم وضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجراً واحداً، فرمي به جالوت فأصابه في خوذته وخرج من دماغه فقتل ثلاثين رجلاً، فأخذ داود جالوت حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح هو ومن معه من بني إسرائيل وزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك، فمكث كذلك أربعين سنة، فلما مات طالوت وشمويل انفرد بالملك فعاش نبياً ملكاً سبع سنين، ثم خلفه سليمان ولده في النبوة والملك. قوله: ﴿وآتاه الله الملك﴾ أي استقلالاً سبع سنين. قوله: [كصنعة الدروع] أي وكان يلين في يده من غير نار وينسجه كالغزل. قوله: [ومنطق الطير] أي فهم أصواتها بل وجميع الحيوانات.

قوله: ﴿ولولا دفع الله الناس﴾ أي لولا أن الله دفع الناس وهم أهل الكفر والمعاصي، ببعض الناس وهم أهل الإيمان والطاعة، لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد، وقيل معناه لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لفسدت الأرض أي هلكت ومن فيها، ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ ﴿ولو دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ الآية. قوله: ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ يعني دفع الفساد على هذا الوجه بطريق إنعام الله وتفضله فعم الناس كلهم، ومن المعلوم أن لولا حرف امتناع لوجود فالمعنى امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم عن بعضهم، وهذه الآية كالدليل لما ذكر في القصة من مشروعية القتال، ونصر داود على جالوت. قوله: [هذه الآيات] أي فالإشارة عائدة على ما تقدم من أول الربيع إلى آخره لما فيه من عظيم العجائب والإشارة في الآية للبعد نظراً لبعد زمن تلك القصة، وإنما فسره بالقريب نظراً للفظ الدال عليها، فأفاد المفسر أنه يصح إرادة المعنيين، فلا مخالفة بين إشارة الآية وإشارة المفسر. قوله: [بالصدق] أي الذي لا يحتمل النقيض. قوله: [وغيرها] أي وهي اللام والجملة الاسمية.

قوله: ﴿تلك الرسل﴾ اسم الإشارة عائد على الرسل المذكورين من أول السورة إلى هنا أو على المذكورين بلصقها، وأتى بالإشارة البعيدة نظراً لبعد زمنهم أو لبعد رتبتهم وعلوها عند الله. قوله: [صفة] أي أو عطف بيان أو بدل لأن المحلى بأل بعد اسم الإشارة يجوز فيه الثلاثة. قوله: [بتخصيصه بمنقبة] أي بصفة الكمال وذلك بفضل الله لا بصفة قائمة بذاته بحيث تقتضي التخصيص بالمناقب لذاته، قال تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء﴾. قوله: ﴿منهم من كلم الله﴾ بيان للتفضيل، وقوله: ﴿كلم الله﴾ أي كلمه الله بغير

النبوة وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: هدى الناس جميعاً ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: بعد الرسل أي أممهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾: لمشيئة ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾: ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾: كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾: تأكيد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ٢٥٣: من توفيق من شاء وخذلان من شاء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾: زكاته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ﴾: فداء ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾: صداقة تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾: بغير إذنه وهو يوم القيامة وفي قراءة برفع الثلاثة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾: بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ﴾

قوله: [كموسى] أي في الطور ليلة الإسراء، وإنما لم يشتهر بالكلام لأنه حاز منصباً أشرف من المكالمة وهي الرؤية. قوله: [أي محمداً] مثل هذا التفسير لا يقال من قبل الرأي بل هو الوارد، وقد أشار لذلك العارف بقوله:

وإن ذكروا نجوى الطور فاذكر ... نجي العرش مفتقراً لتغنى
فإن الله كلم ذاك وحياً ... وكلم ذا مشافهة وأدنى
وإن قابلت لفظة لن تراني ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خر مغشياً عليه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهناً

قوله: [بعموم الدعوة] أي لجميع المخلوقات حتى الجمادات والملائكة والجن، ولا يرد حكم سليمان في الجن فإنه حكم سلطنة لا رسالة. قوله: [وختم النبوة] أي فلا نبي بعده تبتدأ رسالته ويلزم من ذلك نسخ شرعه. قوله: [وتفضيل أمته على سائر الأمم] قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وأما قوله تعالى في حق بني إسرائيل: ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ فالمراد عالمو زمانهم. قوله: [والمعجزات المتكاثرة] أي الكثيرة التي لا تحصى بحد ولا عد، قال العارف البوصيري:

إنما فضلك الزمان وآيا ... تك فيما نعده الآناء

قوله: [والخصائص العديدة] أي كالحوض المورود والمقام المحمود والوسيلة وغير ذلك. قوله: ﴿البينات﴾ أي كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. قوله: [يسير معه حيث سار] أي من مبدأ خلقه لأن خلقه كان على يده. قوله: [هدى الناس] مفعول لشاء، وقوله: ﴿ما اقتتل﴾ جواب لو، وهو إشارة لقياس استثنائي نظمه أن تقول لو شاء الله هدى الناس جميعاً ما اقتتل الذين من بعد الرسل لكنهم اقتتلوا فلم يشأ الله هداهم جميعاً. قوله: [بعد الرسل] أي بعد مجيئهم. قوله: [أي أممهم] تفسير للذين. قوله: ﴿من بعد ما جاءتهم﴾ متعلق باقتتل وما مصدرية أي من بعد مجيء البينات لهم. قوله: [لاختلافهم] علة للاقتتال.

قوله: ﴿ولكن اختلفوا﴾ هذا استثناء لنقيض التالي فينتج نقيض المقدم، وهو لو يشأ الله هداهم لكنه عبر بالسبب وهو الاختلاف عن المسبب وهو الاقتتال. قوله: [لمشيئة ذلك] أي فلو شاء هداهم لم يختلفوا ولم يقتتلوا. فالحق واضح ظاهر، وإنما كفر من كفر بإرادة الله عدم إيمانه فالعبد مجبور في قالب مختار. قوله: [ثبت على إيمانه] أي بإرادة الله. قوله: [زكاته] قدره إشارة إلى أن المراد الانفاق الواجب بدليل الوعيد العظيم ونحو الزكاة كل نفقة واجبة. قوله: [بغير إذنه] أشار بذلك إلى أن الآية المطلقة فتحمل على المقيدة وهي قوله تعالى: ﴿من الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية. قوله: [برفع الثلاثة] أي على أن لا نافية مهملة أو عاملة عمل ليس لأنها إذا

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ٢٥٤: لوضعهم أمر الله في غير محله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾: أي لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ﴾: الدائم البقاء ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾: نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

تكررت تجاز إعمالها وإلغاؤها، وأما على القراءة الأولى فهي عاملة عمل إنّ تنصب الاسم وترفع الخبر. قوله: [بالله] أي فهو كفر تحقيقي، وقوله: [أو بما فرض عليهم] أي بالتفريط في الفرائض وهو كفر مجازي.

قوله: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ هذه الآية تسمى آية الكرسي وهي أفضل آي القرآن، لأن التوحيد الذي استفيد منها لم يستفد من آية سواها، لأن الشيء يشرف بشرف موضوعه، فانها اشتملت على أمهات المسائل الدالة على ثبوت الكمالات لله ونفي النقائص عنه تعالى، وورد في فضلها من الأحاديث الكثيرة ما يجل عن الحصر، منها من قرأها عند خروجه من بيته كان في ضمان الله حتى يرجع، ومنها من قرأها دُبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ومنها ما قرئت في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها، ومنها من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله، ومنها سيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي، ومنها ما ورد أنه نزل جبريل على موسى وقال له ربك يقول لك من قال عقب كل صلاة اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى آخرها، فان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إلى الله منه فيها سبعون ألف ألف حسنة، حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة، وأخذ العارفون منها فوائد جمة منها من قرأها عقب كل صلاة أربع عشرة عدة فصولها أحبه العالم العلوي والسفلي، ومن قرأها عدة الرسل ثلاثمائة وثلاث عشرة فرج الله عنه وأزال عنه ما يكره، ومنها من قرأها عدد حروفها وهي مائة وسبعون حرفاً لا يطلب منزلة إلا وجدها ولا سعة إلا نالها ولا فرجاً من سائر الشدائد إلا حصل، ومنها أنه إذا سقي المبطون حروفها مقطعة شفي بإذن الله، ومنها من كتبها عدد كلماتها وهي خمسون كلمة وحملها أدرك غرضه من عدوه وحاسده، وإن كان للمحبة والألفة نال مقصوده، وتسميتها آية الكرسي من باب تسمية الشيء باسم جزئه لذكره فيها. قوله: [الدائم البقاء] أي فحياته ذاتية له.

قوله: ﴿القيوم﴾ هو من صيغ المبالغة وإن لم تكن من الصيغ المشهورة. قوله: [المبالغ في القيام بتدبير خلقه] أي فلا يشغله شأن عن شأن ﴿ولا تخفي عليه خافية﴾ أبداً سواء منكم من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة، فقوم السماء وزينها، وبسط الأرض وجملها، وأرضى كل إنسان بما قسم له من غير تعب يحصل له من ذلك، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾.

قوله: ﴿لا تأخذه سنة﴾ هذا من صفات السلوب والسنة هي النوم في العين وهي نوم الأنبياء. قوله: ﴿ولا نوم﴾ عرف بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك، إن قلت حيث كان منزهاً عن السنة فهو منزه عن النوم بالأولى أجيب بأنه زيادة في الإيضاح، وأجيب أيضاً بأنه ذكر النوم لأنه ربما يتوهم من كونه يهجم قهراً أنه يغلبه فلا يلزم من نفي السنة نفي النوم وهذا هو الاتم لأنه لا يلزم من نفي الأخف نفي الأثقل. إن قلت: إن الملائكة أيضاً لا تأخذهم سنة ولا نوم فليس في ذكر هذه الصفة مزيد مزية. أجيب: بأن تنزه الملائكة عن النوم من إخبار الله فقط، وإلا فالعقل يجوّزه عليهم بخلاف تنزه الله عنه، فالدليل العقلي قائم على تنزهه عنه. قوله: ﴿له ما في

ٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً **﴿مَن ذَا ٱلَّذِي﴾**: أي لا أحد **﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾**: له فيها **﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾**: أي الخلق **﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾**: أي من أمر الدنيا والآخرة **﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾**: أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته **﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾**: أن يعلمهم به منها بإخبار الرسل **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾**: قيل أحاط علمه بهما وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» **﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾**: يثقله **﴿حِفْظُهُمَا﴾**: أي السموات والأرض **﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾**: فوق خلقه

السموات وما في الأرض﴾ كالدليل لما قبله، وأتى بما تغليباً لغير العاقل لكثرته. قوله: [ملكاً] بضم الميم معناه التصرف، وقوله وخلقاً أي إيجاداً، وقوله وعبيداً أي مملوكين له ﴿إن كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبداً﴾ ولا نزاع في كون السموات والأرض ملكاً لله، قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ وفي ذلك رد على الكفار حيث أثبتوا له شريكاً، فكأن الله يقول لهم ما أشركتموه لا يخرج عن السموات والأرض، وشأن الشريك أن يكون مستقلاً خارجاً عن مملكة الشريك الآخر.

قوله: ﴿من ذا﴾ اسم استفهام مبتدأ و﴿الذي﴾ خبره وهو استفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا شفيع في أحد يستحق النار يشفع عنده بغير مراده. قوله: [أي لا أحد] تفسير للاستفهام الإنكاري. قوله: ﴿إلا بإذنه﴾ أي مراده. قوله: [أي من أمر الدنيا] راجع لقوله ما بين أيديهم، وقوله: [والآخرة] راجع لقوله: ﴿وما خلفهم﴾ فهو لف ونشر مرتب ويصح العكس فيكون لفاً ونشراً مشوشاً، والأقرب أن يقال المراد بما بين أيديهم ما يستقبل من الدنيا والآخرة، وقوله وما خلفهم ما انقضى من أمر الدنيا، فعلم أمر الدنيا والآخرة مستو عنده بخلاف المخلوقات، قال الشاعر:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

قوله: [أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته] دفع بذلك ما يتوهم أن علم الله يتجزأ مع أنه ليس كذلك، وما يتوهم أيضاً أنه يشاء إطلاع أحد على علمه مع أنه مستحيل، إذ ليس في طاقة الحادث اطلاع على حقيقة القديم ولا صفاته، سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته. قوله: [منها] أي من معلوماته. قوله: [بأخبار الرسل] أي فلا يصل لأحد علم إلا بواسطة الأنبياء، فالأنبياء وسائط لأممهم في كل شيء، وواسطتهم رسول الله، قال العارف: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق. قوله: [وقيل أحاط علمه بهما] أي فالكرسي بضم الكاف وكسرها يطلق على العلم، كما يطلق على السرير الذي يجلس عليه. قوله: [وقيل الكرسي نفسه] أي وهو مخلوق عظيم فوق السماء السابعة، يحمله أربعة ملائكة، لكل ملك أربعة أوجه أرجلهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السابعة، وتحت الأرض السفلى ملك على صورة آدم يسأل الرزق لبني آدم، وملك على صورة الثور يسأل الرزق للبهائم، وملك على صورة السبع يسأل الرزق للوحوش، وملك على صورة النسر يسأل الرزق للطيور، بينهم وبين حملة العرش سبعون حجاباً من ظلمة، وسبعون حجاباً من نور، سمك كل حجاب خمسمائة سنة، وذلك لئلا تحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش، وخلق العرش والكرسي من حكم الله لا لإحتياج لهما. قال صاحب الجوهرة:

والعرش والكرسي ثم القلم والكاتبون اللوح كل حكم

قوله: [في ترس] هو ما يتترس به عند الحرب، وهو المسمى بالدرقة. قوله: ﴿ولا يؤوده﴾ أي الله وهو ظاهر، أو الكرسي وهو أبلغ لأنه إذا لم تثقل السموات والأرض مع عظمها الكرسي مع أنه مخلوق فكيف بخالقه. قوله: ﴿وهو

بالقهر ﴿الْعَظِيمُ﴾٢٥٥: الكبير ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: على الدخول فيه ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: الشيطان أو الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾: تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: بالعقد المحكم ﴿لَا انفِصَامَ﴾: انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾٢٥٦: بما يفعل ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾: ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

العلي﴾ أي المنزه عن صفات الحوادث فهو من صفات السلوب. قوله: ﴿العظيم﴾ أي المتصف بالعظم وقدم العلي عليه لأنه من باب تقديم التخلية على التحلية. قوله: ﴿لا إكراه في الدين﴾ قيل إن من هنا إلى خالدون من تمام آية الكرسي، وقيل ليست منها وهو الحق، وإنما ذكرت عقبها كالنتيجة لما ذكر فيها من خالص التوحيد، والمعنى لا يكره أحد أحداً على الدخول في الاسلام، فان الحق والباطل ظاهران لكل أحد فلا ينفع الاكراه، قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ قوله: [أي ظهر بالآيات البينات] أي الدلائل الظاهرة على باهر قدرته وعظيم حكمته، قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآية قوله: [فيمن كان له من الأنصار أولاد] أي وهو أبو الحصين كان له ابنان تنصرا قبل بعثة النبي ﷺ ثم قدما المدينة بتجارة زيت فلقيهما أبوهما، وأحب أن يكرههما على الاسلام، فارتفع معهما إلى النبي ﷺ فقال أبوهما يا رسول أيدخل بعضي النار وأنا أنظر اليه فنزلت هذه الآية ويحتمل أنها منسوخة بآيات القتال أو محكمة، وتحمل على من ضرب عليهم الجزية ويؤيده سبب نزولها. قوله: ﴿بالطاغوت﴾ مبالغة في الطغيان كالجبروت والملكوت، والمراد به ما يعبد من دون الله، ومعنى الكفر به جحده والاعراض عنه. قوله: [وهو يطلق على المفرد والجمع] أي ويعود الضمير عليه مؤنثاً ومذكراً وهو قيل مصدر وقيل اسم جنس.

قوله: ﴿ويؤمن بالله﴾ تقديم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله من باب تقديم التخلية على التحلية، لأنه لا يصح إيمان بالله مع إشراك غيره معه. قوله: ﴿فقد استمسك﴾ هذه الجملة جواب الشرط الذي هو من وقرن بالفاء لدخول قد عليها. قوله: [تمسك] أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لتقوية الاستمساك. قوله: ﴿بالعروة الوثقى﴾ فيه استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه دين الاسلام بالعروة الوثقى، وهي موضع المسك من الحبل بجامع أن كلا لا يخشى منه الخلل، واستعير اسم المشبه به وهو العروة الوثقى للمشبه وهو دين الاسلام، والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان لأنه من ملائمات المشبه به، أو فيه استعارة تمثيلية بأن يقال شبه حال من تمسك بدين الاسلام وأحكامه بحال من تمسك بالعروة الوثقى، بجامع أن كلا لا يخشى الانفكاك ولا الخلل، واستعير اسم المشبه به للمشبه والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان أيضاً. قوله: ﴿لا انفصام لها﴾ الانفصام الانقطاع بغير بينونة، والانقصام بالقاف الانقطاع مع بينونة، فالتعبير بالانفصام أبلغ. قوله: [لما يقال] أي سراً أو جهراً. قوله: [بما يفعل] أي خيراً أو شراً سراً أو جهراً.

قوله: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ هذا كالدليل لما قبله وولي فعيل بمعنى فاعل أي متولي أمر عباده، وأما الولي من

---

* أسباب نزول الآية ٢٥٦: قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾. روى أبو داود والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال: كانت المرأة مقلاة، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله ﴿لا إكراه في الدين﴾. أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت ﴿لا إكراه في الدين﴾ في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلماً، فقال النبي ﷺ: ألا أستكرهما، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله الآية.

* أسباب نزول الآية ٢٥٧: قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾. اخرج ابن جرير عن عبدة بن ابي لبابة في قوله ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ قال: =

﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ﴾: ذكر الإخراج إمّا في مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات أو في كل من آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به **﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** ٢٥٧ **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَاجَّ﴾**: جادل **﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾**: لـ **﴿أَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾**: أي حمله بطره بنعم الله على ذلك وهو نمرود **﴿إِذْ﴾**: بدل من حاج **﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾**: لما قال له من ربك الذي تدعونا إليه **﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾**: أي يخلق الحياة والموت في الأجساد **﴿قَالَ﴾**: هو **﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾**: بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل أحدهما

العبيد فبمعنى فاعل أي موالي طاعة ربه، أو بمعنى مفعول أي تولاه الله فلم يكله لغيره. قوله: [الكفر] شبه بالظلمات الحسية للحيرة وعدم الاهتداء في كل، ولأنه يكون كذلك يوم القيامة، قال تعالى: ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، وقوله: [الإيمان] شبه بالنور لأنه يهتدي بكل ولأنه يكون كذلك يوم القيامة، قال تعالى: **﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾**، فالكفر ظلمة معنوية في الدنيا وحسية في الآخرة، والإيمان نور معنوي في الدنيا وحسي في الآخرة. قوله: **﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾** إنما لم يقل والطاغوت أولياء الذين كفروا لأجل المقابلة لئلا يكون الطاغوت مقابلا لاسم الله وهو قبيح، فبدأ بكفرهم تقبيحاً وتبكيتاً لهم. قوله: [ذكر الاخراج الخ] جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الكفار لم يكونوا في نور فأخرجوا منه إلى الظلمات كيف ذلك. أجاب المفسر بجوابين: الأول أنه مشاكلة لما قبله والمراد منهم من أصل النور، والثاني أنه إخراج حقيقي وهو في كل من آمن بالنبي قبل مبعثه ثم ارتد بعد ذلك، وفي هذه الآية وعد من الله بالأمن للمؤمن من المخاوف دنيا وأخرى.

قوله: **﴿ألم تر﴾** الاستفهام لتقرير النفي مع التعجيب، والمعنى ألم ينته علمك إلى هذا الذي قابله الله بالجود والاحسان، وقابل مولاه بالكفر والطغيان، وهذا كالدليل لقوله: **﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾** الآية، فإن الشيطان طاغوت نمروذ وهو طاغوت غيره مما عدا إبراهيم ومن تبعه. قوله: **﴿إلى الذي حاج﴾** لم يصرح باسمه تبكيتا له وإظهارا لقبحه. قوله: [جادل] أي مجادلة باطلة وهي مقابلة الحجة بالحجة، فإبراهيم يجادل بالحق، ونمروذ يجادل بالباطل. قوله: **﴿في ربه﴾** أي إبراهيم فالاضافة للتشريف، أو نمروذ والاضافة لإقامة الحجة عليه حيث نازع خالقه في وصفه. قوله: **﴿أن آتاه الله الملك﴾** مفعول لأجله وهو مجرور باللام لفقد أحد شروطه وهو عدم اتحاد الفاعل، لأن فاعل المحاججة النمروذ وفاعل إيتاء الملك هو الله، قال ابن مالك: وإن شرط فقد، فاجرره بالحرف. وحذف الجار لأن حذفه مطرد مع أن وإن. قوله: [بطره] هو الاستخفاف بآلاء الله. قوله: [بنعم الله] أي وهي ملك الدنيا، لأنه لم يملك إلا أربعة اثنان مسلمان، واثنان كافران سليمان وذو القرنين، والنمروذ وبختنصر. قوله: [وهو نمروذ] أي ابن كنعان حملت به أمه من زنا خوفاً على ملك أبيه من الضياع حيث كان أبوه عقيماً، وهو أول من لبس التاج المكلل، وهذه الواقعة كانت بعد إلقاء إبراهيم في النار، وكان النمروذ قد ملك أقوات الأرض كلها، فكان لا يعطي القوت إلا لمن آمن به، فذهب إبراهيم إليه وطلب منه شيئاً من القوت فامتنع حتى يتبعه، فذهب إبراهيم إلى كثيب من رمل وملأ وعاءه فلما وصل منزله صار دقيقاً فصار يأكل منه هو ومن تبعه. قوله: [بدل من حاج] أي بدل اشتمال. قوله: [لما قال له] ظرف لقوله قال إبراهيم، أي قال إبراهيم ذلك وقت قوله له من ربك؟

قوله: **﴿أنا أحيي﴾** الضمير قيل أن وحدها والألف زائدة لبيان الحركة في حالة الوقف، وقيل بل كلها الضمير،

= هم الذين كانوا آمنوا بعيسى، فلما جاءهم محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية.

وأخرج عن مجاهد قال: كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به. فلما بعث محمد ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى، فأنزل الله هذه الآية.

وترك الآخر فلمّا رآه غبياً ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾: أنت ﴿مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾: تحير ودهش ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٢٥٨: بالكفر إلى حجة ﴿أَوْ﴾: رأيت ﴿كَٱلَّذِي﴾: الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: هي بيت المقدس راكباً على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سقوفها لما خربها بختنصر ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعظاماً لقدرته تعالى ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾: وألبثه ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾: تعالى له ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾: مكثت هنا ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نام أول

والصحيح أن فيه لغتين لغة تميم إثبات ألفه وصلاً ووقفاً، والثانية إثباتها وقفاً وحذفها وصلاً. قوله: [غبياً] أي بليداً لا يفهم جواباً ولا يحسن خطاباً، وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أن ما وقع من إبراهيم ليس صناعة المناظرة لأنه كان الواجب إبطال حجة الإحياء والإماتة التي ادعاها اللعين أولاً ثم ينتقل لحجة أخرى، أجاب المفسر بأنه لما رآه غبياً لم يدقق عليه في ذلك وانتقل لحجة أخرى.

قوله: ﴿أو كالذي﴾ هذا كالدليل لقوله: الله ولي الذين آمنوا، فهو من باب اللف والنشر المشوش فمن أراد الله هدايته جعل له كل شيء دليلاً يستدل به على ذات صانعه وصفاته، ومن أراد الله خذلانه أضله بكل شيء، وأعمى قلبه عن النظر في المصنوعات، وإنما قدم ما يتعلق بالكافر لقصر الكلام عليه واتصاله بما قبله بخلاف ما يتعلق بالمؤمن، واعلم أنهم ذكروا أن في الكاف قولين: الأول أنها بمعنى مثل وعليه درج المفسر حيث قدر رأيت فيكون المعنى ألم ينته علمك إلى مثل الذي مرّ أي مثله وصفته فقوله الكاف زائدة غير مناسب لحله، الثاني أنها زائدة والمعنى ألم ينته علمك إلى الشخص الذي مرّ الخ. قوله: [وهو عزير] أي ابن شرخيا كان من بني إسرائيل، قيل كان نبياً وقيل ولياً وقيل هو الخضر وقيل رجل كان كافراً ينكر البعث فأراد الله له الهدى، والقرية قيل هي بيت المقدس كما قال المفسر، وقيل هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت. قوله: [لما خربها بختنصر] بخت معناه ابن ونصر اسم للصنم، سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعته عنده فلما وجدوه قالوا بختنصر أي ابن الصنم، وكان كافراً ملك الأرض مشرقاً ومغرباً، وسبب تخريبها أن بني إسرائيل لما طغوا سلط الله عليهم بختنصر فتوجه اليهم في ستمائة راية، فلما ملكهم قسمهم ثلاثة أقسام: قسم قتله وقسم أقره بالشام وقسم استرقه، وكان ذلك مائة ألف، فقسمه بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل واحد أربعة فكانوا خمسة وعشرين ألف ملك، وكان من جملة من أسر عزير، وفك من الأسر فلما مر عليها وهي بهذه الحالة قال ما ذكر.

قوله: ﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ يحتمل أن المراد في الدنيا أو يوم القيامة، وليس ذلك شكاً واستغراباً لفعل الله، بل ذلك سؤال عن تعلق قدرة الله كأنه قال هل تعلقت قدرة الله بإحيائها فيحييها، أو بعدمه فيبقيها على ما هي عليه. قوله: [كيف] وقيل بمعنى متى. قوله: [استعظاماً لقدرته] أي إنه لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة. قوله: [وألبثه] قدره إشارة إلى أن قوله مائة عام متعلق بمحذوف، ولا يصح تعلقه بأماته لأنه لا معنى له. وسبب ذلك أنه لما دخل بيت المقدس وربط حماره فلم ير أحداً بها ثم رأى أشجارها قد أثمرت فأكل منها ونام فأماته الله في منامه، فلما مضى من موته سبعون سنة، وجه الله ملكاً من ملوك فارس إلى بيت الله المقدس ليعمره فعمره ورد من بقي من بني إسرائيل إليه، فلما تمت المائة أحياه الله.

قوله: ﴿أو بعض يوم﴾ أو للإضراب لأنه نام ضحوة النهار فأحيي آخر النهار، فظن أنه يوم النوم، فبالضرورة ليس

النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾: التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾: العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغير مع طول الزمان والهاء قيل أصل من سانهت وقيل للسكت من سانيت وفي قراءة بحذفها ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: كيف هو فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح، فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾: على البعث ﴿لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾: من حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: نحييها بضم النون وقرئ بفتحها من أنشز ونشر لغتان وفي قراءة بضمها والزاي نحركها ونرفعها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحماً ونفخ فيه الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾: علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٥٩: وفي قراءة أعلم: أمر من الله له ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ﴾: تعالى له ﴿أَوَلَمْ

يوماً كاملاً. قوله: [قيل أصل] أي فهي لام الكلمة والفعل مجزوم بسكون الهاء فأصل سنة سنهة. قوله: [وقيل للسكت] أي فهي زائدة وأصل سنة سنو. قوله: [وفي قراءة بحذفها] أي وصلاً. قوله: [من أنشر ونشر] لف ونشر مرتب. قوله: [ونرفعها] أي نرفع بعضها إلى بعض. قوله: [علم مشاهدة] جواب عن سؤال مقدر. قوله: [أمر من الله له] أي وترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، روي أن العزير لما أحيي ورأسه ولحيته إذ ذاك سوداوان وهو ابن أربعين سنة، ركب حماره وأتى محلته، فأنكره الناس وأنكر هو الناس والمنازل، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير، فقال عزير: يا هذه هذا منزل عزير، قالت: نعم وأين عزير، قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديداً قال: فإني عزير، قالت: سبحان الله وأنى يكون ذلك، قال: قد أماتني الله مائة عام ثم بعثني. قالت: إن عزيراً كان رجلاً مجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى أراك، فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فأخذ بيدها فقال لها قومي بإذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال، فنظرت اليه فقالت أشهد أنك عزير، فانطلقت به إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم، وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنته شيوخ، فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها، فقالت انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة، فنهض الناس فأقبلوا اليه، فقال ابنه كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فإذا هو كذلك، وقد كان قتل بختنصر ببيت المقدس من قراء التوراة أربعون ألف رجل، ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة، فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخل منها بحرف، فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بختنصر حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم، فذهبوا به إلى كرم جده ففتشوا فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد، فعند ذلك قالوا هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ هذا دليل آخر لقوله الله ولي الذين آمنوا، وقصة إبراهيم أبلغ من قصة العزير لعظم مقام إبراهيم، وإنما غاير الأسلوب ولم يقل أو كالذي ﴿قال رب أرني﴾ الخ لأن إبراهيم قد تقدم له ذكر، وأيضاً الأمر المعجز لم يقع له في نفسه كالعزير وإنما أراه الله ذلك في غيره، وسبب سؤال إبراهيم أنه مر بساحل طبريا فوجد جيفة إنسان وقيل حمار وقيل حوت، فلما رآه وجد السباع والطيور والسمك تأكل منها، فاشتاقت نفسه إلى رؤية جمع الله لها، فقال أعلم أن الله قادر على جمعها لكن أحب أن أرى ذلك، وقيل سبب سؤاله أنه لما حاجج النمرود حيث [قال ربي الذي يحيي ويميت] فقال النمرود أنا أحيي وأميت، ودعا برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر، فقال له إبراهيم ليس هذا إحياء فإن الاحياء إدخال الروح في الجسم وتقويمه بها، فقال النمرود أو ربك يفعل ذلك فقال إبراهيم نعم، فقال له هل عاينته فانتقل

﴿تُؤْمِنْ﴾: بقدرتي على الإحياء سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾: آمنتُ ﴿وَلَكِن﴾: سألتك ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾: يسكن ﴿قَلْبِي﴾: بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: بكسر الصاد وضمها أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾: من جبال أرضك ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾: إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: سريعاً ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ ٢٦٠: في صنعه فأخذ طاوساً ونسراً وغراباً وديكاً وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها ﴿مَثَلُ﴾: صفة نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

لحجة أخرى وهي ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق﴾ الآية، فعند ذلك تشوق للمعاينة لتقوى حجته على قومه إذا سألوه عن المعاينة وقال رب أرني، الآية.

قوله: ﴿أرني﴾ أصله أرئيني بوزن أكرمني حذفت الياء لأن الأمر كالمضارع فصار أرئني ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء، وحذفت الهمزة والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد فلما دخلت همزة النقل تعدت إلى مفعول ثان وهو جملة الاستفهام. قوله: [سأله] أي سأل الله إبراهيم، وقوله: [بذلك] أي بقدرته على إحياء الموتى. قوله: [ليجيب] علة لسأل وفاعل الاجابة إبراهيم وهو المسؤول. وقوله: [بما سأله] أي الله، وقوله: [فيعلم السامعون غرضه] أي لأن سؤاله أولاً يوهم عدم إيمانه فترتب على سؤال الله بقوله: ﴿أو لم تؤمن﴾ كشف إبراهيم عن مراده. بقوله: ﴿بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ قوله: [آمنت] قدره إشارة إلى أن قوله ولكن ليطمئن قلبي مرتب عليه وهناك محذوف آخر تقديره وليس سؤالي لعدم إيماني مني ولكن الخ. قوله: [يسكن] ﴿قلبي﴾ أي من اضطرابه واشتياقه إلى المعاينة، ولا يقدح ذلك في إيمان إبراهيم، فإن الانسان مؤمن برسول الله وبيت الله الحرام، ولكن قلبه مشتاق ومضطرب لمشاهدة رسول الله وبيته الحرام غاية الاشتياق، ومع ذلك لا يقدح في إيمانه بما ذكر، وكسؤال موسى رؤية الله مع كونه في أعلى مراتب الايمان بالله. قوله: [بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال] إن قلت: إن إيمان الأنبياء حق يقين لا علم يقين ولا عين يقين، فكيف يطلب إبراهيم الانتقال من علم اليقين الى عين اليقين مع أن مرتبته فوق ذلك، أجيب بأن هذا الكلام بالنسبة للذات والصفات لوجودها بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها، وأما إيجاد الله للأشياء فهو أمر اعتباري يطلع الله على ذلك من خصه برحمته فلا يشاهده إلا من رآه بعينه، وأجيب أيضاً بأنه ممن أهل حق اليقين في الجميع لأن الله يمثل لأحبائه الأمور الاعتبارية التي ستحصل. فتصير كالمشاهدة الحاضرة فلا فرق في حق اليقين بين شهود الذات والصفات والأفعال، وإنما طلب ذلك لأجل تمام الاستدلال والاحتجاج على قومه وهذا هو الاتم. قوله: [بكسر الصاد وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أملهن إليك] أي [وقطعهن] فهما معنيان لصرهن والمفسر جمع بينهما. قوله: [من جبال أرضك] أي من جبال حولك وكانت أربعاً وقيل سبعاً. قوله: [فأخذ طاووساً الخ] الحكمة في اختيار هذه الطيور الاربعة شبهها بالانسان فإن في الطاووس الخيلاء والعجب، وفي النسر شهوة الأكل والشرب، وفي الغراب الحرص، وفي الديك شهوة النكاح، وذلك كله في الانسان. قوله: [ثم أقبلت إلى رؤوسها] أي بدعائها ثانياً فالدعوة الأولى لالتئام أجزائها، والثانية لإتيانها اليه لأخذ رؤوسها وإنما لم تكن من جنس واحد ليظهر التميز وكانت من الطيور لأن الطير صفته الطيران في العلو، وهمة إبراهيم إلى جهة العلو فمعجزته مشاكلة لهمته.

قوله: ﴿مثل الذين ينفقون﴾ مثل مبتدأ مضاف للموصول وينفقون صلته والخبر قوله كمثل حبة، وقدر المفسر قوله نفقات ليصح التشبيه لأن ذوات المنفقين لا يصح تشبيهها بالحبة. والحاصل أنه لا يصح التشبيه إلا بتقدير، إما في الأول

أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾: أي طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾: فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمائة ضعف ﴿وَاللهُ يُضَاعِفُ﴾: أكثر من ذلك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ﴾: فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢٦١: بمن يستحق المضاعفة ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾: على المنفق عليه بقولهم مثلاً قد أحسنت إليه وجبرت حاله ﴿وَلَا أَذًى﴾: له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٢٦٢: في الآخرة ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: كلام حسن ورد على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾: بالمن وتعيير له بالسؤال ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾: عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ ٢٦٣: بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾: أي

كما صنع المفسر أو في الثاني أي مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل باذر حبة، قوله: ﴿طاعته﴾ أي واجبة أو مندوبة فيشمل الجهاد وطلب العلم والحج والتوسعة على العيال وغير ذلك، وكلما عظمت القربة كانت الحسنات فيها أكثر، قوله: ﴿أنبتت سبع سنابل﴾ أي في سبع شعب والأصل والساق واحد، وسنابل جمع سنبلة ويقال أيضاً: سبل وسبلة ففعل الأول سنبل والثاني سبل وغالباً يوجد ذلك في الذرة والدخن والشعير.

قوله: ﴿والله يضاعف﴾ [أكثر من ذلك] أي على حسب الإخلاص وطيب المال، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» واعلم أن أقل المضاعفة عشر ثم سبعون ثم سبعمائة ثم إلى غير نهاية، وظاهر المفسر أن وعد الله الذي لا يتخلف هو المضاعفة بالسبعمائة، وأما ما زاد فيختص برحمته من يشاء، والحق أن وعد الله الذي لا يتخلف هو المضاعفة بالعشر وما زاد فيختص به من يشاء فقوله: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ صادق بما فوق العشرة، قوله: ﴿والله واسع﴾ [فضله] أي فلا يستغرب إعطاؤه الشيء الكثير في نظير شيء قليل لا تخفى عليه خافية، وهذا كالدليل لما قبله، قوله: ﴿الذين ينفقون أموالهم﴾ نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما في غزوة تبوك، حيث جهز عثمان ألف بعير بأحلاسها وأقتابها ووضع بين يدي رسول الله ألف دينار، فصار رسول الله يقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم» وأتى عبد الرحمن النبي عليه الصلاة والسلام بأربعة آلاف درهم وأخبره بأنه أبقى لأهله نظيرها، فقال له: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت» فصار بعد ذلك ماله كالتراب. قوله: ﴿مناً﴾ هو تعداد النعم، وأتى بثم إشارة إلى أن المن يقع بعد الإنفاق بمهلة وهو حرام محبط للعمل إلا من الوالد على ولده، والشيخ على تلميذه والسيد على عبده، فليس بحرام، قوله: ﴿ولا أذى﴾ من عطف العام على الخاص، لأن المن من جملة الأذى، قوله: [ونحوه] أي كأن يعطيه ويسبه، قوله: ﴿عند ربهم﴾ أي مدخر عنده والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان.

قوله: ﴿ولا خوف عليهم﴾ أي في الآخرة والخوف غم لما يستقبل، وقوله: ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي فيها والحزن غم لما مضى فقوله: [والآخرة] راجع لهما وأما في الدنيا فلا مانع من حصول ذلك لما في الحديث «أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل». قوله: ﴿قول معروف﴾ الخ قول مبتدأ ومعروف صفته ومغفرة معطوف عليه وخير خبره، وسوغ الابتداء بالنكرة الأولى وصفها، وبالثانية عطفها على ما له مسوغ. قوله: [كلام حسن] أي من المسؤول كأن يقول له الله يرزقك مثلاً، قوله: ﴿خير من صدقة يتبعها أذى﴾ اعلم أن أعلى المراتب الإحسان مع الكلام الحسن، ثم الكلام الحسن من غير إعطاء، وأدناها الإعطاء مع الأذى، وهل له في هذه الحالة ثواب لقضاء حاجة السائل، ويعاقب من جهة الأذية أو لا ثواب ولا عقاب، أو يعاقب فقط ولا ثواب لوجود الأذية، ويؤيده ما يأتي في قوله: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم

أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ : إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ : أي كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ : أي مرائياً لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ : وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ : حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ : مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ : صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ : استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذي ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ : عملوا أي لا يجدون له ثواباً في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٢٦٤ : ﴿وَمَثَلُ﴾ : نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ﴾ : طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ : أي تحقيقاً للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له. ومن ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ : بستان ﴿بِرُبْوَةٍ﴾ : بضم الراء وفتحها مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ﴾ : أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ : بضم الكاف وسكونها ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ : مثلي ما يثمر غيرها ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ : مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها المعنى تثمر وتزكو كثر المطر أم قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٦٥ : فيجازيكم به ﴿أَيَوَدُّ﴾ : أيحب ﴿أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ : بستان ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا﴾ : ثمر ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

بالمن﴾ الآية، وعلى ذلك فيشكل الإتيان باسم التفضيل، وأجيب بأن الخيرية بالنسبة للسائل لا للمسؤول.

قوله: ﴿والله غني﴾ أي فلا يحوج عباده الفقراء إلى من الأغنياء وأذاهم، ويرزقهم من جهة أخرى إذا استد باب يفتح الله عشرة، وفي الحقيقة الصدقة نفع مصرف لصاحبها (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) وأما قسمة الله للعبد فلا تخطئه، بل إن لم تكن من هذا فمن غيره، قوله: [أي أجورها] يحتمل أن المراد مضاعفتها أو ثوابها من أصله، قوله: [إبطالاً] أشار بذلك إلى أن قوله كالذي صفة لمصدر محذوف، قوله: [أي كإبطال نفقة الذي] الكلام على حذف مضاف أي كإبطال أجر نفقة الذي الخ، قوله: [أي مرائيا لهم] أشار بذلك إلى أن رئاء مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل ينفق، والمراءاة مفاعلة من الجانبين. قوله: [وهو المنافق] أي وهو قسمان: نفاق عملي ونفاق ديني، فالأول أن يقصد بصدقاته وصلاته وصومه غير وجه الله لكنه مسلم، والثاني أن يظهر الإسلام ويخفي الكفر، فمعنى قوله: ﴿ولا يؤمن بالله﴾ أي أصلاً بأن يكون كافراً أو إيماناً كاملاً بأن يكون مسلماً عاصياً.

قوله: ﴿فمثله﴾ أي في الإنفاق، قوله: [حجر أملس] أي وهو كبير، قوله: [مطر شديد] وأوله رش ثم طش ثم طل ثم نضح ثم هطل ثم وابل، قوله: [وجمع الضمير باعتبار معنى الذي] أي وأفرد فيما قبله نظر اللفظة قوله: ﴿ابتغاء﴾ مفعول لأجله قوله: [أي تحقيقاً للثواب] أي جازماً ومصمماً أن الله يثيبه. قوله: [مكان مرتفع] أي طيب حسن شجره تام ثمره، وقوله: [مستو] أي لا مسنم لعدم بقاء الماء عليه، وقوله: [بضم الراء وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان، قوله: [لارتفاعها] أي واستوائها، قوله: [كثرت أم قلت] أي فحيث حسن باطنه بالإخلاص فقليل عمله ككثيره في رضا الله عنه، قال العارف:

وبعد الفنا في الله كن كيف ما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

قوله: [فيجازيكم به] في ذلك وعد للمخلصين برضا الله والفوز الأكبر ووعيد للمرائين بغضب الله وعدم الرضا عليهم، قوله: ﴿أيود أحدكم﴾ شروع في ذكر مثال آخر للمرائي والمان والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ومصبه قوله فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت. وقوله: [أيحب] تفسير ليود فالمودة هي المحبة لكن مع تمني اللقاء، قوله: ﴿جنة﴾

وَ﴾: قد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾: فضعف من الكبر عن الكسب ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: أولاد صغار لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾: ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾: ففقدها أحوج ما كان إليها وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في الآخرة والاستفهام بمعنى النفي وعن ابن عباس هو لرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما بيّن ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢٦٦: فتعتبرون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾: أي زكوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: جياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾: من المال ﴿وَمِنْ﴾: طيبات ﴿مَآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من الحبوب والثمار

قيل إنّ المراد بالجنة الأرض ذات الشجر، وقيل الشجر نفسه. قوله: ﴿من نخيل﴾ اسم جنس جمعي واحده نخلة ولا يكون إلا لشجر البلح، والأعناب جمع عنبة اسم للكرم المعلوم، وخصهما لعظم منافعهما، ومزيد فضلهما على سائر الأشجار، وإلا فالمراد في الآية جميع الثمار بدليل باقي الآية.

قوله: ﴿له فيها﴾ [ثمر] ﴿من كل الثمرات﴾ أشار بذلك إلى أنّ من كل الثمرات جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف على حدّ منا ظعن ومنا أقام، أي منا فريق ظعن ومنا فريق أقام، وكقوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ أي ما منا أحد. وقوله له متعلق بمحذوف خبر لثمر المقدر وقوله فيها متعلق بمحذوف حال من ضمير الخبر. قوله: ﴿وأصابه الكبر﴾ الجملة حالية و[قد] مقدرة كما ذكره المفسر، لأن الجملة الماضوية إذا وقعت حالاً فانّ قد تصحبها إما لفظاً أو تقديراً. وقوله: ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ جملة حالية أيضاً.

قوله: ﴿فأصابها إعصار﴾ هذا هو مصب الاستفهام لأنّ هذا هو موضع المصيبة. قوله: [ريح شديدة] هي المسماة بالزوبعة لأنها تعصر الشجر كما يعصر الإنسان الثوب وتقلعه من أصله. قوله: ﴿فاحترقت﴾ معطوف على أصابها. قوله: [أحوج ما كان اليها] حال من فاعل فقدها، أي فقدها هو حال كونه محتاجاً اليها. قوله: [عجزة] جمع عاجز ككملة وكامل. قوله: [وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمان] أي لأنهما خصلتان من خصال المنافقين، وهو كافر بهما إن استحل ذلك. قوله: [والاستفهام بمعنى النفي] أي فهو إنكاري يعني لا يحب مسلم ذلك. قوله: [وعن ابن عباس] أي فهو تفسير آخر لمعنى الآية. قوله: [ما ذكر] أي من نفقة المخلص بقوله: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ الآية، ونفقة المرائي والمان بقوله: ﴿فمثله كمثل صفوان﴾ الآية. قوله: ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ أي فلم يكلفكم إلا بعد البيان.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا﴾ هذا نتيجة ما قبله، فبيّن أولاً الاخلاص في الانفاق، وبيّن هنا الاخلاص في الشيء المنفق. قوله: [زكوا] أي أدوا الزكاة وما قاربها. قوله: [من المال] أي وهو النقد والمواشي وعروض التجارة. قوله: ﴿ومن﴾ [طيبات] ﴿ما أخرجنا لكم من الأرض﴾ ظاهر الآية أنّ جميع ما خرج من الأرض يجب فيه الزكاة، ولكن

---

* أسباب نزول الآية ٢٦٧: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ الآية. روى الحاكم والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن البراء قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار كنا اصحاب نخل وكان يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ الآية.

وروى ابو داود والنسائي والحاكم عن سهل بن حنيف قال: كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها في الصدقة، فنزلت ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾. وروى الحاكم عن جابر قال: أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء، فنزل القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ الآية. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان اصحاب رسول الله ﷺ يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون به، فأنزل الله هذه الآية.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾: تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الرديء ﴿مِنْهُ﴾: أي من المذكور ﴿تُنفِقُونَ﴾: ـهُ في الزكاة حال من ضمير تيمموا ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾: أي الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾: عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ ٢٦٧: محمود على كل حال ﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾: يخوفكم به إن تصدقتم فتمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: البخل ومنع الزكاة ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾: على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾: لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾: رزقاً خلفاً منه ﴿وَٱللَّهُ وَاسِعٌ﴾: فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢٦٨: بالمنفق ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾: العلم النافع المؤدي إلى العمل ﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: لمصيره إلى

تفصيل ذلك موكول للسنة، فأوجب الشافعي الزكاة فيما كان مقتاتاً للآدمي حالة الاختيار إذا بلغ ذلك خمسة أوسق ففيه إن سقي بآلة نصف العشر وبغيرها العشر، وأبقاها أبو حنيفة على ظاهرها فأوجب الزكاة في جميع ما يخرج من الأرض من مأكولات الآدمي كالفواكه والخضراوات وأوجب في ذلك العشر قليلاً أو كثيراً، وعند مالك تجب الزكاة في عشرين نوعاً: القمح والشعير والسلت والدخن والذرة والأرز والعلس، والقطاني السبع وهي: الفول والحمص والترمس والبسلة والجلبان واللوبيا والعدس، وذوات الزيوت الأربع وهي: الزيتون والقرطم وحب الفجل الأحمر والسمسم والتمر والزبيب، فيخرج من ذلك نصف العشر إن سقي بآلة، والعشر كاملاً إن سقي بغيرها إن بلغ حب ذلك أو زيت ما له زيت خمسة أوسق. قوله: [أي من المذكور] أي الخبيث. فقوله: ﴿منه تنفقون﴾ متعلق بالخبيث.

قوله: ﴿ولستم بآخذيه﴾ هذا احتجاج على من أدى الزكاة من الرديء وامتنع من إعطائها من الطيب، وقد نزلت في الأنصار عن البراء بن عازب قال نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر أو التمر فيأكل، وكان فينا من لا يرغب في الخير، فيأتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله ﴿ولا تيمموا﴾ الآية. قوله: [بالتساهل] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ كناية عن التساهل، لأن من تساهل في شيء فقد غض بصره عنه. قوله: [عن نفقاتكم] أي فأمركم بها لانتفاعكم بها لا لعجزه عن نفقة الفقراء.

قوله: ﴿الشيطان يعدكم﴾ أي يخبركم بأسباب الفقر ويجعله بين أعينكم. قوله: [البخل] قال بعضهم الفحشاء في القرآن جميعه معناه الزنا إلا هذه فمعناها البخل، والمعنى يغويكم ويخبركم بأمور يتسبب عنها البخل فيترتب على ذلك مطاوعتكم له كمطاوعة المأمور للآمر، وسمي إخبار الشيطان بالفقر وعداً مع انه وعيد لأنه شر مشاكلة لقوله: ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾. قوله: [خلفا منه] ورد أن الله يبعث ملكين أحدهما ينادي: اللهم أعط منفقاً خلفاً والآخر ينادي اللهم أعط ممسكاً تلفاً، وفي الحديث أيضاً «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة به، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء» أخرجه الترمذي. قوله: [بالمنفق] يقرأ بصيغة اسم الفاعل أي بنية الشخص المنفق، وبصيغة اسم المفعول أي بالشيء المنفق. قوله: [العلم النافع الخ] هذا هو أصح الأقوال وأولاها بالصواب وفي تفسيرها أقوال كثيرة: قيل النبوة، وقيل المعرفة بأحكام القرآن، وقيل الفهم فيه، وقيل الاصابة في القول والفعل، وقيل الفقه في الدين مطلقاً، وقيل خشية الله، وقيل القرآن لما ورد «إذا أراد الله إنزال العذاب بقوم سمع تعليم صبيانهم الحكمة رفعه عنهم» ويشهد لما قاله المفسر حديث «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها للناس» قوله:

السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: فيه إدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿إِلَّآ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ ٢٦٩: أصحاب العقول ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: أديتم من زكاة أو صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: فوفيتم به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾: فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: بمنع الزكاة أو النذر أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ ٢٧٠: مانعين لهم من عذابه ﴿إِن تُبْدُوا﴾: تظهروا ﴿ٱلصَّدَقَاتِ﴾: أي النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: أي نعم شيئاً إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾: تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من إبدائها وإيتائها الأغنياء أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾: بالياء والنون مجزوماً بالعطف على محل فهو ومرفوعاً على الاستئناف ﴿عَنكُم مِّن﴾: بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢٧١: عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء

[المؤدي إلى العمل] أي وأما شقشقة اللسان التي لم تورث القلب خشية فلا تسمى حكمة بل يعذب الإنسان على ذلك ويبعث جاهلاً، قال الامام الشافعي:

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى ... وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا
فبشره أن الله أولاه نقمة ... ينكل بها من قبل من عبد الوثنا

نسأل الله السلامة. قوله: [فيه إدغام التاء في الأصل الخ] أي فإن أصله يتذكر قلبت التاء ذالاً ثم أعجمت وأدغمت في الذال. قوله: [أصحاب العقول] أي الكاملة السالمة من شوائب النقص. قوله: [فوفيتم به] أشار بذلك إلى أن في الآية حذف العاطف والمعطوف، لأن المجازاة لا تترتب إلا على الوفاء بالنذر لا على نفس النذر. قوله: ﴿فان الله يعلمه﴾ دليل الجواب، وقدر المفسر الجواب بقوله: [فيجازيكم عليه]. قوله: ﴿من أنصار﴾ من صلة، والأنصار الأعوان.

قوله: ﴿إن تبدوا الصدقات﴾ لما تقدم فضل الصدقة كأن قائلاً يقول هل هذا الفضل مخصوص بمن أسرها أو بمن أعلنها فأجاب بذلك وحذف من هنا شيئاً أثبت نظيره في الآخر تقديره إن تبدو الصدقات وتعطوها الأغنياء فنعما هي. قوله: [أي النوافل] أي فالمراد بالصدقات صدقات التطوع لأنها هي التي يصح إعطاؤها للأغنياء. قوله: ﴿فنعما هي﴾ بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان، والعين مكسورة على كل حال، والقياس فتح النون لأنه على وزن علم، وإنما كسرت النون في القراءة الأخرى إتباعاً لكسرة العين، ونعم فعل ماض وما مميز وقيل فاعل وهي هو المخصوص بالمدح. قوله: [شيئاً] تفسير لما. قوله: [إبداؤها] بيان لكون المخصوص على حذف مضاف. قوله: [فالأفضل إظهارها] أي حيث كان مشهوراً بالمال ولم يخش على نفسه تسلط الظلمة على ماله. قوله: [وإيتاؤها الفقراء متعين] التعيين بالنسبة للأغنياء وإلا فالأصناف التي تدفع لهم ثمانية مذكورة في سورة براءة. قوله: [بالياء] أي مع الرفع لا غير، وقوله: [والنون] أي مع الجزم والرفع فالقراءات ثلاث، فقول المفسر مجزوماً ومرفوعاً راجع لقوله والنون لا غير. قوله: [على محل فهو] أي مع خبره ومحله جزم لوقوعه جواب الشرط. قوله: [بعض] ﴿سيئاتكم﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿من﴾ للتبعيض لأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات، بخلاف التوبة فتكفر جميعها. قوله: [لا يخفى عليه شيء منه] أي من العمل سراً أو جهراً، فإسرار العمل لا يدل على الاخلاص، وإجهاره لا يدل على الرياء. قوله: [ولما منع] أشار بذلك إلى سبب نزول الآية. قوله: [من التصدق على المشركين] أي الكفار الفقراء يهوداً أو غيرهم. قوله: [ليسلموا] أي ليضطروا فربما يترتب على ذلك إسلامهم.

منه ولما منع ﷺ من التصدق على المشركين ليسلموا نزل ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾: أي الناس إلى الدخول في الإسلام إنما عليك البلاغ ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: أي ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا خبر بمعنى النهي ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ٢٧٢: تنقصون منه شيئاً والجملتان تأكيد للأولى ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: خبر مبتدأ محذوف أي الصدقات ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي حبسوا أنفسهم على الجهاد نزلت في أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ

قوله: ﴿ليس عليك هداهم﴾ أي لم يكلفك يا محمد ربك بخلق الهدى فيهم، بل كلفك بتبليغ شرعه، ويسمى هدى أيضاً، قال تعالى: ﴿ولكل قوم هاد﴾ بمعنى مبلغ ودال لهم على طريق الحق، فتحصل أن الهدى يطلق بمعنى الدلالة وهو مكلف به الأنبياء والعلماء، وبمعنى إيصال الخير للقلب، وهو لم يكلف به أحد، قال تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ومن هنا قول العارف: من نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم، ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم، فعذرهم بالنظر لخلق الله الضلال والهدى في قلوبهم، فالخالق للضلال والهدى والأفعال جميعها هو الله وحده، فمن نظر لذلك لم يستقبح فعل أحد لأنه فعل الله في الحقيقة قال العارف:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً ... رأيت جميع الكائنات ملاحا
وإن لم تر إلا مظاهر صنعه ... حجبت فصيرت الحسان قباحا

ومقتهم بالنظر للتكليف الظاهري فالعبد مجبور في قالب مختار. قوله: [هدايته] قدره إشارة إلى مفعول يشاء. قوله: [لأن ثوابه لها] أي فلا يضيع الثواب سواء تصدق على مؤمن أو مشرك. قوله: [لا غيره من أعراض الدنيا] أي فلا تجعلوا نفقاتكم عليه إلا لوجه الله لا لشيء آخر لأن من كان مقصده وجه الله فلا يخيب أبداً كانت النفقة على مسلم أو كافر، بل ورد أن الله غفر لإنسان بسبب سقيه كلباً يلهث عطشاً. قوله: [خبر بمعنى النهي] راجع للجملة الثانية أي فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى، والمعنى لا تجعلوا إنفاقكم إلا خالصاً لوجه الله لا لغرض آخر لا دنيوي ولا أخروي، وهذا هو المقام الأعلى، أو لا تقصدوا إلا وجه الله بمعنى ثوابه، وهذا أدنى منه، وارتكبه المفسر وإن كانت الآية محتملة لهما بالنظر لأخلاق العامة، والمعنى في هذه الجملة أن تكون خبرية لفظاً ومعنى وتكون مقيدة لما قبلها فالمعنى: ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم﴾ إن قصدتم بها وجه الله. قوله: ﴿من خير﴾ أي قليلاً أو كثيراً. قوله: [تنقصون منه شيئاً] أي سواء كان قليلاً أو كثيراً ولو خردلة. قوله: [للأولى] أي وهي قوله: ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم﴾ قوله: [أي الصدقات] أي المتقدم ذكرها تصرف وتعطى للفقراء الذين أحصروا الخ. قوله: [في أهل الصفة] أي وهي محل في مؤخر المسجد النبوي، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمراد كل من كان متصفاً بأوصافهم فالصدقات تعطى له. قوله: [وهم أربعمائة] أي ورئيسهم عبد الرحمن بن صخر المكنى بأبي هريرة. قوله: [من المهاجرين] أي الذين هاجروا مع رسول الله من مكة وما حولها وتركوا أموالهم وديارهم، ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر، وكانوا غير متزوجين، وكانوا يستغرقون أوقاتهم في الاشتغال بالقرآن والسنة والعبادة ليلاً والجهاد نهاراً، وكانوا يقفون أول صف

---

* أسباب نزول الآية ٢٧٢: قوله تعالى: ﴿ليس عليك هداهم﴾ الآية، روى النسائي والحاكم والبزار والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم، فنزلت هذه الآية ﴿ليس عليك هداهم﴾ إلى قوله ﴿وأنتم لا تظلمون﴾، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، فنزلت ﴿ليس عليك هداهم﴾ الآية. فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين.

﴿ضَرْباً﴾: سفراً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾: بحالهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: أي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾: يا مخاطباً ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿لَا يَسْأَلُونَ ٱلنَّاسَ﴾: شيئاً فيلحفون ﴿إِلْحَافاً﴾: أي لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٢٧٣: فمجاز عليه ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٢٧٤ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا﴾: أي يأخذونه وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: من قبورهم ﴿إِلَّا﴾: قياماً ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾: يصرعه ﴿ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: الجنون بهم متعلق بيقومون ﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا﴾: في الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى رداً عليهم

في الصلاة والجهاد. قوله: [أرصدوا لتعلم القرآن] أي والصلاة خلف النبي وقيام الليل. قوله: [بالجهاد] أي في طاعة الله، إما بالغزو أو بتعلمهم القرآن، وغير ذلك من أنواع الطاعات. قوله: [وأثر الجهد] أي من عظيم الخدمة مع الجوع. قوله: [شيئاً] قدره إشارة إلى مفعول يسألون، وقوله: [فيحلفون] قدره إشارة إلى أن إلحافاً مفعول لمحذوف. قوله: [أي لا سؤال لهم أصلاً] أي فالنفي منصب على القيد وهو الالحاف والمقيد وهو أصل السؤال، فالالحاف منفي قطعاً لانتفاء أصل السؤال.

قوله: ﴿وما تنفقوا من خير﴾ هذه الجملة تأكيد للجملة المتقدمة. قوله: ﴿الذين ينفقون أموالهم﴾ قيل نزلت في أبي بكر حيث تصدق بأربعين ألف دينار، عشرة آلاف بالليل ومثلها بالنهار، ومثلها سراً ومثلها علانية، وقيل في علي كان معه أربعة دراهم لم يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلاً، وبآخر نهاراً وبآخر سراً وبآخر علانية، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمراد بيان أجر المنفق على هذا الوجه، فلا خصوصية لأبي بكر بذلك ولا لعلي. قوله: [أي يأخذونه] أشار بذلك إلى أن المراد ليس خصوص الأكل بل التناول مطلقاً. قوله: [القدر] مراده به ربا الفضل أي الزيادة وهو حرام في متحد الجنس فقط، وقوله: [والأجل] مراده به ربا النساء وهو حرام وإن تعدد الجنس، قال الأجهوري:

رِبَا النَّسَا فِي النَّقْدِ حُرِّمْ وَمِثْلُهُ ... طَعَامٌ وَإِنْ جِنْسَاهُمَا قَدْ تَعَدَّدَا
وَخُصَّ رِبَا فَضْلٍ بِنَقْدٍ وَمِثْلُهُ ... طَعَامُ رِبَاً إِنْ جِنْسُ كُلٍّ تَوَحَّدَا

واعلم أن الربا محرم كتاباً وسنة واجماعاً فمن استحله فقد كفر، وقد ورد في ذم آكل الربا من الأحاديث ما لا يحصى، فمنها «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده كلهم في اللعنة سواء»، ومنها «أنه رأى ليلة الإسراء رجلاً يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل آكل الربا». قوله: ﴿الذي يتخبطه الشيطان﴾ أي وهذه علامة يعرفون بها يوم القيامة. قوله: [بسبب أنهم] ﴿قالوا﴾ الخ أي فقد ضلوا بالربا قولاً وفعلاً واعتقاداً. قوله: [وهذا من عكس التشبيه] أي فقد جعلوا المشبه به مشبهاً، فجعلوا الربا أصلاً في الحل والبيع مقيساً عليه. قوله: [له ما سلف]

---

* أسباب نزول الآية ٢٧٤: قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾ الآية. أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية ﴿الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم﴾ في أصحاب الخيل يزيد وأبوه مجهولان. وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني مسند ضعيف عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب كانت معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً وبالنهار درهماً وسراً درهماً وعلانية درهماً. وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ﴾: بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾: وعظ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾: عن أكله ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: قبل النهي أي لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾: في العفو عنه ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾: إلى أكله مشبهاً له بالبيع في الحل ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ٢٧٥ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾: ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: بتحليل الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ ٢٧٦: فاجر بأكله أي يعاقبه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٢٧٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟﴾: اتركوا ﴿مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٢٧٨: صادقين في إيمانكم فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى. نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي بربا كان له قبل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾: ما أمرتم به ﴿فَأْذَنُوا۟﴾: اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: لكم، فيه تهديد شديد لهم، ولما نزلت قالوا: لا يد لنا بحربه ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾: أصول ﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾: بزيادة ﴿وَلَا

أي سبق قبل النهي عنه. قوله: [في العفو عنه] أي عن أكله، والمعنى فأمره في الثواب لامتثال أمر الله موكول له، يعني أن من سمع النهي من رسول الله عنه وتاب فقد فاز بما أكله قبل النهي وثوابه موكول لله، فهذه الآية محمولة على الصحابة الذين سبق منهم الربا قبل تحريمه. قوله: ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لاستحلالهم ما حرم الله. قوله: ﴿يمحق الله الربا﴾ أي المال كله. قوله: ﴿ويربي الصدقات﴾ أي لما في الحديث «إذا تصدق العبد بصدقة فإن الله يربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون في ميزانه كأحد». قوله: [أي يعاقبه] تفسير لعدم محبة الله له. قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ أي بما أنزل الله ومن جملة ذلك تحريم الربا. وقوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي بتركهم الربا واتباعهم ما أحل الله. قوله: ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ نص عليهما وإن كانا داخلين في قوله وعملوا الصالحات لعظم شأنهما. قوله: ﴿ولا خوف عليهم﴾ أي من مكروه يوم القيامة. وقوله: ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي في يوم القيامة على ما فاتهم من الدنيا. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا﴾ أي امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿وذروا﴾ أمر من وذر يذر وأصله أوذروا حذفت الواو حملاً على حذفها في المضارع. قوله: [لما طالب بعض الصحابة] قيل هو عثمان بن عفان والعباس كانا أسلما رجلاً في قدر من التمر، فلما حل الأجل طالباه فقال لهما إن أعطيتكما الحق بتمامه لم يبق شيء للعيال، وإنما أعطيكما الآن نصفه والنصف الآخر أخراني به وأزيدكما مثله، فتراضيا معه على ذلك قبل التحريم ثم حل الأجل فطالباه بذلك فنزلت الآية. إن قلت: كيف يطالبانه بالربا مع علمهما بالنهي السابق قبل التحريم؟ أجيب: بأنهما تأولا ذلك حيث ظنا أنه لا حرمة إلا على من جدد عقداً بعد التحريم. قوله: ﴿فائذنوا﴾ بالقصر والمد قراءتان سبعيتان، فعلى القصر معناها أيقنوا وعلى المد معناها أعلموا غيركم بذلك، وكلام المفسر يحتملهما. قوله: ﴿بحرب﴾ أي حرب الكفار إن استحله أو البغاة إن لم يستحله. قوله: [لا يدي لنا] هكذا بالتثنية وكان مقتضى الفصيح لا يدين إلا أن يقال حذفت النون تخفيفاً، أو يلاحظ إضافته للضمير واللام مقحمة، وفي نسخة لا يد لنا بالإفراد وهي ظاهرة، ومعناهما لا

---

* أسباب نزول الآية ٢٧٨: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا﴾ الآية. أخرج أبو يعلى في مسنده وابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: اما جعلنا اشقى الناس الربا، ووضع عن الناس غيرنا، فقال بنو عمرو: صولحنا أن لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في ثقيف منهم مسعود، وحبيب، وربيعة، وعبد ياليل: بنو عمرو، وبنو عمير.

تُظْلَمُونَ﴾ ٢٧٩: بنقص **﴿وَإِنْ كَانَ﴾**: وقع غريم **﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾**: له أي عليكم تأخيره **﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾**: بفتح السين وضمها أي وقت يسر **﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾**: بالتشديد على ادغام التاء في الأصل في الصاد وبالتخفيف على حذفها أي تتصدقوا على المعسر بالإبراء **﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** ٢٨٠: أنه خير فافعلوه في الحديث: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» رواه مسلم. **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ﴾**: بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تصيرون **﴿فِيهِ إِلَى اللهِ﴾**: هو يوم القيامة **﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾** فيه **﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾**: جزاء **﴿مَا كَسَبَتْ﴾**: عملت من خير وشر **﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** ٢٨١: بنقص حسنة أو زيادة سيئة **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾**: تعاملتم **﴿بِدَيْنٍ﴾**: كسلم وقرض **﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾**: معلوم **﴿فَاكْتُبُوهُ﴾** استيثاقاً ودفعاً للنزاع **﴿وَلْيَكْتُبْ﴾**: كتاب الدين

طاقة ولا قدرة لنا على محاربته، وهذا كناية عن كونهم امتثلوا ما أمروا به لورود هذا الوعيد العظيم فيه، ومن ذلك قول عمر وكان قد صعد المنبر: أيها الناس إن آية الربا آخر ما نزل على نبيكم ولو عاش لبين لكم وجوهاً كثيرة لا تعلمونها فاتقوا الربا والريبة. قوله: **﴿لا تظلمون﴾** [بزيادة] ومن ذلك مهاداة المدين لرب الدين فهو حرام وربّاً إن لم تكن عادته الهدية قبل شغل الذمة. قوله: [**وقع غريم**] أشار بذلك إلى أن كان تامة ومن فاعلها وهو الأقرب، ويصح كونها ناقصة وذو اسمها وخبرها محذوف تقديره غريماً لكم. قوله: **﴿ذو عسرة﴾** أي حيث كان ثابتاً عسره بالبينة أو باقرار صاحب الدين، وأما من لم يكن عسره ثابتاً بأن كان ظاهر الملاء فإنه يحبس حتى يؤدي أو يثبت عسره أو يموت. قوله: [**عليكم تأخيره**] أي وجوباً وأشار بذلك إلى أن نظرة مبتدأ خبره محذوف. قوله: [**في الأصل في الصاد**] أي فأصله تتصدقوا قلبت الثانية صاداً ثم أدغمت في الصاد. قوله: [**على حذفها**] أي التاء، قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

قوله: [**بالابراء**] أي وهو مندوب وهو أفضل من الواجب الذي هو الانظار لأنه انظار وزيادة، وله نظائر نظمها المفسر بقوله:

الفرض أفضل ما أتى متعبد ... حتى ولو قد جاء منه بأكثر

إلا التطهر قبل وقت وابتدا ... بالسلام كذاك ابرا المعسر

قوله: **﴿واتقوا يوماً﴾** هذه الآية آخر القرآن نزولاً كما قال ابن عباس، وأمر جبريل رسول الله بوضعها على رأس مائتين وثمانين آية، وتقدم لنا أن البقرة مائتان وست وثمانون آية، فيكون الباقي بعد خمس آيات أولها آية الدين، وثانيها وإن كنتم على سفر إلى قوله عليم، ثالثها لله ما في السموات وما في الأرض إلى قدير، رابعها آمن الرسول إلى المصير، خامسها لا يكلف الله نفساً إلا وسعها إلى آخرها، ونزلت قبل وفاة رسول الله بثلاث ساعات، وقيل بسبعة أيام، وقيل بأحد وعشرين، وقيل بأحد وثمانين. قوله: [**جزاء**] **﴿وما كسبت﴾** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾** هذه الآية من هنا إلى عليم أطول آي القرآن، وقد اشتملت على بيان إرشاد العباد لمصالح دنياهم، وذلك لأن الدنيا مزرعة الآخرة والدين المعاملة، فحينئذ لا يتم إصلاح الآخرة إلا بإصلاح الدنيا، فبين هنا ما به إصلاح الدنيا. قوله: [**تعاملتم**] فسر المداينة بالمعاملة التي هي مفاعلة من الجانبين، أي سواء كنت آخذاً أو مأخوذاً منك. قوله: **﴿بدين﴾** حكمة التصريح به وإن علم من تداينتم ليعود الضمير في قوله فاكتبوه عليه صراحة، وأيضاً لدفع توهم أن المراد بالمداينة المجازاة كقوله كما يدين الفتى يدان أي كما يجازي يجازى، وأيضاً

﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ﴾ : بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ : يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ : من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ : إذا دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ : أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها. والكاف متعلقة بيأب ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ : تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ : يمل الكاتب ﴿ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ : الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ﴾ : في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ : ينقص ﴿مِنْهُ﴾ : أي الحق ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ : مبذراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ : عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ : متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم ﴿بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُوا﴾ : أشهدوا على الدين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ : شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ : أي بالغي المسلمين الأحرار ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ : أي الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ

صرح به إشارة إلى عموم الدين قليلاً أو كثيراً جليلاً أو حقيراً، فالمعنى لا تستخفون به. قوله: [كسلم] أي مسلم فيه كما إذا دفع عشرة دراهم مثلاً ليأتي له بقنطار من سمن عند أجل معلوم بينهما. وقوله: [وقرض] المراد به السلف.

قوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي وأما الحال فلا يحتاج لكتابة لأنه ليس من المهمات ولمزيد المشقة قوله: [معلوم] أي فالجهل فيه مفسد للعقد إن كان مسلماً، وأما السلف فيجوز فيه التأجيل والحلول فإن وقع على الحلول فلا بد عند مالك من مضي زمن يمكن انتفاعه به عادة، وإن وقع على التأجيل فيلزم المقرض الصبر إلى الأجل عند مالك وعند الشافعي لا يلزمه الصبر إليه بل له أن يطلبه قبله. قوله: [استيثاقاً] أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للارشاد لا للوجوب، كالأمر بالصلاة والصوم بحيث يعاقب على تركه. قوله: [كتاب الدين] أشار بذلك إلى أن مفعول يكتب محذوف. قوله: ﴿بالعدل﴾ أي ولا يكون إلا فقيهاً عدلاً، ويشترط أن يكتب كلاماً معروفاً لا موهماً.

قوله: ﴿ولا يأب﴾ لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الألف والفتحة دليل عليها وكاتب فاعل يأب، وقوله: [من] ﴿أن يكتب﴾ قدر من إشارة إلى أن الجار والمجرور محذوف وهو مطرد مع أن وإن عند أمن اللبس فهو في محل نصب مفعول ليأب. قوله: [والكاف متعلقة بيأب] أي تعليلية وما مصدرية وعبارة غيره والكاف متعلقة بلا يأب وهي الأوضح، لأن من لم يعرف الوضع ولا الأحكام لا يتعلق به النهي، والمعنى لا يمتنع كاتب من الكتابة من أجل تعليم الله له تلك الكتابة. قوله: [تأكيد] أي زيادة في الايضاح. قوله: [الكاتب] مفعول أول ليملل ومفعوله الثاني قوله الدين. قوله: [يمل] أشار بذلك إلى أن الاملاء والاملال لغتان يقال أمليته وأمللته بمعنى ألقيت عليه ذلك شيئاً فشيئاً، ومن ذلك سميت الملة ملة لإملائها وإلقائها على رسول الله شيئاً فشيئاً والقراءة بالفك هنا، ويصح في غير القرآن الادغام لقول ابن مالك: وفي جزم وشبه الجزم تخيير قفي. قوله: [لأنه المشهود عليه] أي فلا يكتب الكاتب إلا بحضرتهما لقطع النزاع بينهما.

قوله: ﴿وليتق الله ربه﴾ أي فلا يكتب كلاماً موهماً للزيادة أو النقص، قوله: ﴿ولا يبخس منه شيئاً﴾ تفسير للتقوى وذلك كأن يكتب ألفاً ولم يبين كونه فضة أو محبوباً أو ريالاً أو غير ذلك أو عشرين محبوباً مثلاً، ولم يبين كونها معاملة أو ذهباً أو غير ذلك، قوله: ﴿فإن كان الذي عليه الحق﴾ أي أو الذي له الحق، قوله: [مبذراً] أي في أمور دنياه عند مالك أو في أمور دنياه ودينه عند الشافعي، قوله: [أو كبر] أي مفرط بحيث لا يدري شيئاً أو كان من عليه الحق أنثى يخشى منها الفتنة فتوكل محرمها، قوله: [ومترجم] أي إن كان لا يعرف اللغة العربية مثلاً، قوله: ﴿بالعدل﴾ متعلق بقوله فليملل، قوله: [أشهدوا على الدين] أشار بذلك إلى أن السين والتاء لتأكيد الطلب. قوله: ﴿من رجالكم﴾ متعلق بمحذوف صفة لشهيدين، قوله: [أي بالغي المسلمين الاحرار] أي العقلاء العدول، فشهادة الصبيان لا تقبل في

﴿وَٱمْرَأَتَانِ﴾: يشهدون ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ﴾: لدينه وعدالته وتعدد النساء لأجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾: تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾: الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فَتُذَكِّرَ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿إِحْدَاهُمَا﴾: الذاكرة ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾: الناسية وجملة الأذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه وفي قراءة بكسر إن شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾: زائدة ﴿دُعُوا﴾: إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾: تملوا من ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾: أي ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾: كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾: قليلا أو كثيرا ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾: وقت حلوله حال من الهاء في تكتبوه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِنْدَ ٱللَّهِ﴾

الأموال ولا فيما آل اليها، وعند مالك تجوز شهادة الصبيان على بعضهم في الجراح، وكذا لا تقبل شهادة العبيد ولا الكفار ولا المجانين ولا غير العدول، ولكن إذا لم يوجد العدول فليستكثر من الشهود، قوله: ﴿فرجل وامرأتان﴾ أي في الأموال وما آل اليها، فاذا لم يوجد الرجل كفى اليمين معهما كما يكفي اليمين معه وحده، وهذا مذهب مالك والشافعي وأما أبو حنيفة فلا يكتفي باليمين مع الشاهد.

قوله: ﴿ممن ترضون﴾ متعلق باستشهدوا فيؤخذ منه شرط العدالة في الجميع، وقد صرح بالعدالة في مواضع أخر، قوله: [وعدالته] العدل هو من لم يفعل كبيرة ولا صغيرة خسة كتطفيف حبة، ولا ما يخل بالمروءة كالأكل في الأسواق. قوله: [وتعدد النساء الخ] أشار بذلك إلى قوله إن قوله أن تضل متعلق بمحذوف جواب عن سؤال مقدر تقديره لم اشترط تعدد النساء مع أنهن شقائق الرجال؟ أجيب بأنه لتذكر إحداهما الأخرى، وإنما احتيج للتذكار لأن شأنهن النسيان لنقص عقلهن وعدم ضبطهن. قوله: [فتذكر] معطوف على تضل عطف مسبب على سبب أو معلول على علة، لأن التذكار علة للتعداد، والاضلال علة للتذكار فهو علة للعلة. قوله: [ورفع تذكر] أي بالتشديد لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية فعلى هذه القراءة تضل فعل الشرط وهو مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام، قوله: [استئناف] أي خبر لمبتدأ محذوف، والجملة في محل جزم جواب الشرط، أي فهي تذكر.

قوله: [لا يأب الشهداء] أي لا يجوز للشهود الامتناع من أداء الشهادة أو تحملها، لأنه فرض كفاية إن وجد من يثبت به الحق غيرهم وان لم يوجد غيرهم كان التحمل أو الأداء فرض عين، ومن تأخر عن ذلك كان عاصياً. قوله: [من] ﴿أن تكتبوه﴾ أشار بذلك إلى أن قوله أن تكتبوه في تأويل مصدر مجرور بمن مقدرة معمول لتسأموا، والمعنى ولا تسأموا من كتابته وظاهره لزوم تقديره من، وليس كذلك لأن سئم يتعدى بنفسه وبحرف الجر فعلى عدم التقدير أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لتسأموا. قوله: [لكثرة وقوع ذلك] علة للنهي أي لا يسأم من الكتابة من يكثر منه الحقوق فبالأولى من لم تكثر منه، وظاهر قوله أي ما شهدتم عليه أن الضمير في تكتبوه عائد على الشهود وهو معنى صحيح فبين أولاً كتابة المتداينين، وثانياً كتابة الشاهدين لشهادتهما لتكون تلك الكتابة مذكرة لهما، ويصح أن يكون خطاباً للمتداينين ويؤول قول المفسر ما شهدتم بأشهدتم، قوله: ﴿صغيراً﴾ [كان] قدر كان إشارة إلى أن صغيراً أو كبيراً خبران لكان المحذوف، قال ابن مالك:

ويحذفونها ويبقون الخبر وبعد إن ولو كثيراً ذا اشتهر

وليس بمتعين بل يصح جعلهما حالين من الهاء في تكتبوه، قوله: [أي الكتب] أي المفهوم من أن تكتبوه على حد

وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: أي أعون على إقامتها لأنه يذكرها ﴿وَأَدْنَىٰ﴾: أقرب إلى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ﴾: تقع ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾: وفي قراءة بالنصب فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: أي تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: في ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: والمراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: عليه فإنه أدفع للاختلاف وهذا وما قبله أمر ندب ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة أو لا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾: ما نهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾: خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٨٢ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ

﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾. قوله: ﴿وأقوم للشهادة﴾ هذا يؤيد ما ذكره المفسر أولاً من أن الضمير في تكتبوه عائد على الشهود. قوله: [أي تشكوا في قدر الحق والأجل] أي فيلزم على ذلك إما ضرر المدين أو من له الدين.

قوله: ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ إما بالرفع على أن تكون تامة، أو بالنصب على أنها ناقصة واسمها ضمير تكون قراءتان سبعيتان وحاضرة وتديرونها صفتان لتجارة، وهو وصف بالجملة بعد الوصف بالمفرد، عكس قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ والاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً من عموم الأحوال ويحتمل أن يكون منقطعاً وهو الأقرب، لأن ما بيع مناجزة ليس داخلاً تحت قوله إلى أجل مسمى، الآية، قوله: [تقبضونها] راجع لقوله تديرونها وقوله ولا أجل فيها راجع لقوله حاضرة، فهو لف ونشر مشوش، قوله: [أمر ندب] أي إرشاد لمصالح الدنيا لقطع النزاع، وهذا تقييد للاستثناء أي إن الإشهاد المذكور يكون في العقارات والأمور التي تبقى، وأما الاستثناء فمحله الأمور التي لا تبقى، قوله: [صاحب الحق] قدره إشارة إلى أن يضار اسم فاعل، وكاتب فاعل، وأصله يضارر، فلا ناهية ويضار مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام، قوله: [بتحريف] أي في الكتابة بأن يزيد أو ينقص فيضر البائع أو المشتري، وقوله: [أو امتناع من الشهادة] أي يتركها حتى يأخذ عليها جعلاً مثلاً وذلك إضرار من الكاتب، والشهيد لصاحب الحق، قوله: [أو لا يضرهما صاحب الحق] أي فيضار مبني للمفعول، وكاتب وشهيد نائب الفاعل فأصله يضارَر، قوله: [ما لا يليق في الكتابة] أي بأن يأمره بكتابة ما لم يطلع عليه أو يمتنع من إعطاء أجرته له، وقوله: [والشهادة] أي بأن يستشهد على ما لم يرد ويأخذه على مسافة القصر قهراً من غير دفع شيء له يتمون به. قوله: [ما نهيتم عنه] أي من مضارة الكاتب والشاهد.

قوله: ﴿فإنه فسوق﴾ أي يترتب عليه الفسوق آخراً لأن من لم يدر العواقب فليس له في الدنيا صاحب، قوله: [لاحق] ﴿بكم﴾ قدره إشارة إلى أن بكم متعلق بمحذوف، قوله: [أو مستأنفة] الأولى الاقتصار عليه لأن جعله حالاً خلاف القاعدة النحوية، فإن القاعدة إن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالاً فإن الضمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضاً عطفها على جملة واتقوا الله لأنه يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء وفيه خلاف، وقوله: ﴿ويعلمكم الله﴾ أي العلم النافع لأن العلم نور لا يهدى لغير المتقي، قال الإمام الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأعلمني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

وقال الإمام مالك: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم، فالتقوى سبب لإعطاء العلم النافع. قوله: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ أي فيجازي كلاً من الفاسق والمتقي على ما صدر منه. قوله: ﴿وإن كنتم على سفر﴾ في

سفر﴾: أي مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَٰنٌ﴾: وفي قراءة فرهان جمع رهن ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾: تستوثقون بها وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد، وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾: أي الدائن المدين على حقه فلم يرتهنه ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤْتُمِنَ﴾: أي المدين ﴿أَمَٰنَتَهُ﴾: دينه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ﴾: في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾: إذا دعيتم لإقامتها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾: خص بالذكر لأنه محل الشهادة ولأنه إذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ٢٨٣: لا يخفى عليه شيء منه. (*) ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا﴾: تظهروا ﴿مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾: من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تسروه ﴿يُحَاسِبْكُم﴾: يخبركم ﴿بِهِ ٱللَّهُ﴾:

استعارة تبعية حيث شبه الظرفية المطلقة بالاستعلاء المطلق، فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت على الموضوعة للاستعلاء الخاص لمعنى في الموضوعة للظرفية الخاصة عكس ولأصلبنكم في جذوع النخل، والجامع بينهما التمكن في كل، فكما أن المسافر متمكن من السفر كذلك الراكب متمكن من الركوب ومستعل على المركوب، وقد أشار للاستعارة المفسر بقوله: [أي مسافرين].

قوله: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً﴾ يصح عطفه على فعل الشرط فهو في محل جزم، أو على خبر كان فهو في محل نصب، أو حالاً فهو في محل نصب أيضاً، ولم يقل ولا شهوداً لأن الشأن وجودهم إذ ذاك بخلاف الكاتب. قوله: ﴿فرهن﴾ مبتدأ وقوله مقبوضة صفته وخبره محذوف قدره المفسر بقوله تستوثقون بها والجملة جواب الشرط في محل جزم. قوله: [جمع رهن] أي كل من رهن ورهان جمع لرهن. قوله: [وبينت السنة الخ] جواب عن سؤال مقدر، وهو أن مفهوم الآية أن الرهن في الحضر لا يسوغ أخذه أجاب بأن السنة بينت الجواز في الحضر. قوله: [لأن التوثق فيه أشد] أي لأن الغالب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والتعرض للموت. قوله: [اشتراط القبض في الرهن] أي وهل يشترط من الراهن الإقباض بأن يسلمه الرهن بيده خلاف عند مالك والشافعي والمعتمد عدم اشتراطه ولا بد أن يكون القبض بعلم الراهن أو وكيله ورضاه، فلو سرقه المرتهن مثلاً ومات الراهن أو فلس فلا يختص المرتهن به بل هو أسوة الغرماء.

قوله: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ أي رضي بعضكم وهو صاحب الدين بأمانة بعض وهو المدين. قوله: [فلم يرتهنه] تفريع على قوله فإن أمن الخ. قوله: ﴿فليؤد﴾ الخ جواب الشرط وقرن بالفاء لأن الجملة طلبية، وقد أكد ذلك بأمور: منها الأمر، ومنها تسميته أمانة، ومنها الأمر بتقوى الله في الأداء، ومنها التصريح بقوله: الله ربه. قوله: [دينه] إنما سماه أمانة لأنه صار لا يعلم إلا منه. قوله: ﴿وليتق الله ربه﴾ أي ليخش عقاب ربه في الأداء ولا يماطله به. قوله: ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ أي الإقرار بالدين وسمي شهادة لأنه لا يعلم إلا من المدين فكأنه شاهد بالدين، فحيث كتمه فقد كتم الشهادة بالدين. قوله: ﴿فإنه آثم﴾ جواب الشرط وقلبه فاعل بآثم. قوله: [ولأنه إذا أثم تبعه غيره] أي في الإثم لأنه سلطان الأعضاء إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله. قوله: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ أي فيجازي الخلق على أعمالهم خيراً أو شراً. قوله: ﴿لله ما في السموات والأرض﴾ أي ملكاً وخلقاً وعبيداً وهذا كالدليل لما قبله، وعبر بما تغليباً لغير العاقل لكثرته. قوله: [تظهروا] ﴿ما في أنفسكم﴾ أي فتفعلوا بمقتضاه. قوله: [والعزم عليه] عطف تفسير وهذا هو محل المؤاخذة، وهو إشارة لجواب عن الآية حيث عمم في المؤاخذة مع أنه لا يؤاخذ إلا بالفعل أو العزم عليه، ولكن ينافيه ما يأتي من أن عموم الآية منسوخ بآية ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ إلا

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده الحديث رقم ١٧٠٩٠ ج ٦ في مسند عبد الله بن يزيد.

يومَ القيامة ﴿فيغفِرُ لِمَن يشاءُ﴾ : المغفرة له ﴿ويعذِّبُ مَن يشاءُ﴾ : تعذيبه والفعلانِ بالجزم عطفاً على جواب الشرط والرفع أي فهو ﴿والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾٢٨٤ : ومنه محاسبتكم وجزاؤكم ﴿آمنَ﴾ : صدَقَ ﴿الرسولُ﴾ : محمد ﴿بما أُنزِلَ إليه مِن ربِّه﴾ : من القرآنِ ﴿والمؤمنونَ﴾ : عطف عليه ﴿كلٌّ﴾ : تنوينه عوض عن المضاف إليه ﴿آمنَ بالله وملائكتِه وكُتبِه﴾ : بالجمع والإفراد ﴿ورُسُلِه﴾ : يقولون : ﴿لا نُفرِّقُ بين أحدٍ مِن رُسُلِه﴾ : فنؤمن ببعض ونكفر

أنْ يقالَ إنه إشارة لجوابٍ آخر، فما يأتي على هذا بيانٌ للمرادِ هنا، والحاصل أنه إن أبقيت الآية على عمومها كانت منسوخة بما بعدها وإن حملت على العزم فلا نسخ، وما يأتي توضيح لما أجمل هنا، وقد تقدمت مراتب القصد نظماً ونثراً. قوله: [يخبركم] أي يعلمكم به. قوله: [والفعلان بالجزم عطفاً على جواب الشرط] أي الذي هو يحاسب، وقوله: [والرفع أي] على الاستئناف خبرٌ لمحذوف قراءتان سبعيتان، ويصح في غير القرآن النصب على إضمار أنْ قال ابن مالك:

والفعلُ من بعدِ الجزا إنْ يقترن … بالفا أو الواو بتثليثٍ قمن

وهذه الآية محمولة على مَنْ مات مسلماً عاصياً لا من مات كافراً. قوله: [ومنه محاسبتكم] ورد أنه يحاسب الخلق في نصف يوم من أيام الدنيا. قوله: ﴿آمن الرسول﴾ روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين آخر سورة البقرة كفتاه». قيل عن قيام الليل كما روي عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزل الله علي آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأتاه عن قيام الليل آمن الرسول إلى آخر السورة». وقيل كفتاه من شر الشيطان فلا يكون عليه سلطان، وإنما ختم السورة بهاتين الآيتين لأنها بينت فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وقصص الأنبياء فناسب أن يذكر تصديق النبي والمؤمنين بجميع ذلك.

قوله: ﴿والمؤمنون﴾ أي فاشترك الرسول والمؤمنون في أصل الايمان، لكن افترقا من جهة أخرى، وهو أن إيمان الرسول من قبيل حق اليقين، وإيمان المؤمنين من قبيل علم اليقين أو عين اليقين فالافتراق من حيث المراتب لا من حيث أصله. قوله: [عطف عليه] أي فهو مرفوع بالفاعلية والوقف عليه، ويدل على صحة هذا قراءة علي بن أبي طالب وآمن المؤمنون فأظهر الفعل ويكون قوله: ﴿كل آمن﴾ جملة من مبتدأ وخبر تدل على أن جميع من تقدم ذكره آمن بما ذكر. قوله: [عوض عن المضاف اليه] أي فيكون الضمير الذي ناب عنه التنوين في كل راجعاً إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم، وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين ليكون المراد بيان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع.

قوله: ﴿كل آمن بالله﴾ كل مبتدأ أخبر عنه بخبرين راعى في أولهما لفظ كل فأفرد، وفي ثانيهما معناها فجمع حيث قال: ﴿وقالوا سمعنا﴾ الخ. قوله: [بالجمع والافراد] أي في الكتب قراءتان سبعيتان. قوله: [يقول الخ] قدر الفعل ليفيد أن هذه الجملة منصوبة بقول محذوف، وهذا القول المضمر في محل نصب على الحال أي قائلين. قوله: ﴿بين

* أسباب نزول الآية ٢٨٥ : قوله تعالى: ﴿آمن الرسول﴾ الآية، روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ اشتد ذلك على الصحابة. فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب، فقالوا: قد انزل عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم: ﴿سمعنا وعصينا﴾؟ بل قولوا ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ فلما اقترأها القوم وذللت بها ألسنتهم انزل الله في أثرها ﴿آمن الرسول﴾ الآية، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ إلى آخرها، وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه.

ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ : أي ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ : نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ٢٨٥ : المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ : أي ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ : من الخير أي ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ : من الشر أي وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه وقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ : بالعقاب ﴿إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ : تركنا الصواب لا عن عمد كما أخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث، فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ : أمراً يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ : أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع

أحد من رسله﴾ أي في الايمان به وأضيف بين إلى أحد وهو مفرد، وإن كانت قاعدتهم أنه إنما يضاف إلى متعدد نحو بين زيد وعمرو، لأن أحد يستوي فيه الواحد والمتعدد. قوله: [فنؤمن ببعض الخ] بالنصب في حين النفي فالنفي مسلط عليه، وسيأتي وصفهم في قوله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ الآية. قوله: [سماع قبول] فيه تعريض بالرد على من قال سمعنا وعصينا. قوله: ﴿وأطعنا﴾ أي انقدنا للطاعة ولو بالعزم عليها.

قوله: ﴿غفرانك﴾ مفعول المحذوف قدره المفسر بقوله نسألك، ومعنى الغفران ستر الذنوب كبيرها وصغيرها جليها وخفيها، فالانسان يطلب المغفرة ولو في حالة الطاعة بسبب ما يطرأ عليها من العجب وحب المحمدة وغير ذلك من الآفات التي تذهبها، فالعارف لا يعتمد على أعماله أبداً، وعلامة ذلك كونه يجدد التوبة والاستغفار ولو كان متلبساً بأكبر الطاعات. قوله: ﴿ربنا﴾ منادى وحرف النداء محذوف أي يا ربنا. قوله: ﴿وإليك المصير﴾ قيل معطوف على محذوف تقديره لك المبدأ وإليك المصير. قوله: [ولما نزلت الآية قبلها] أي قوله وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله. قوله: [من الوسوسة] أي التي تطرأ على القلب كالهاجس وهو ما لاح وذهب بسرعة، والخاطر وهو ما لاح ومكث برهة من الزمن، وحديث النفس هو تزيينها الأمور وتحسينها، وهذه لا تكتب خيراً كانت أو شراً، والهم وهو ترجيح الفعل وهو يكتب إن كان خيراً لا شراً، وأما العزم فيكتب خيره وشره. قوله: [فنزل] ﴿لا يكلف الله﴾ أي فهذه الآية إما ناسخة للأولى أو مبينة لها، وتقدمت الإشارة بذلك.

قوله: ﴿لها ما كسبت﴾ عبر في جانب الخير باللام، وفي جانب الشر بعلى لأن اللام للمسرة وعلى للمضرة، وعبر في جانب الطاعة بكسبت، وفي جانب المعصية باكتسبت لأن شأن المعصية التعالي والشهوة بخلاف الطاعة فشأنها عدم الشهوة كما في الحديث «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وأيضاً لا يؤخذ في المعصية بالهم بل بالعزم أو الفعل بخلاف الطاعة فيكتب له ثواب الهم عليها، وأيضاً يؤجر المرء رغماً عن انفه بخلاف المعصية، وأيضاً الطاعة تتعدى لغير فاعلها بخلاف المعصية. قوله: [ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد] هذا في جانب المعصية، وأما في جانب الطاعة فقد تنفع في غير فاعلها. قوله: [ولا بما لم يكسبه] المناسب يكتسبه. قوله: [مما وسوست به نفسه] أي من هاجس وخاطر وحديث نفس وهم.

قوله: ﴿إن نسينا أو أخطأنا﴾ أي أو استكرهنا عليه، وقد علم ذلك من قوله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ومن هنا إلى آخر السورة سبع دعوات مستجابة. قوله: [تركنا الصواب لا عن عمد] تفسير لكل من الخطأ والنسيان. قوله: [كما ورد في الحديث] أي رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. قوله: [فسؤاله اعتراف بنعمة الله] جواب عما يقال حيث رفعه الله فما وجه سؤالنا لرفعه فأجاب بما ذكر. قوله: [من قتل النفس في التوبة] أي حين عبدوا العجل

النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾: قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾: من التكاليف والبلاء ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: امح ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾: في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ٢٨٦: (*) بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء وفي الحديث لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقيب كل كلمة قد فعلت.

فتوبتهم قتل طائعهم العاصي منهم، وأما توبتنا فالندم. قوله: [واخراج ربع المال في الزكاة] أي وأما نحن فربع العشر في النقدين والعشر أو نصفه في الحبوب. قوله: [وقرض موضع النجاسة] أي من الثوب أو البدن. قوله: [من التكاليف] أي فلم يكلفنا بالحج من غير استطاعة مثلاً، ولا بالصلاة من قيام مع كونه مريضاً لا يقدر عليه، ولا باستعمال الماء مع عدم القدرة عليه. قوله: [والبلاء] أي فكان ينزل بمن قبلنا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والصيحة والخسف والمسخ، وغير ذلك من انواع البلايا العامة التي لا تبقي ولا تذر. قوله: [امح ذنوبنا] أي من الصحف.

قوله: ﴿واغفر لنا﴾ أي استرها عن أعين المخلوقات. قوله: ﴿وارحمنا﴾ أي أنعم علينا وذلك في حق من تاب جزماً، وأما من لم يتب ومات فأمره مفوض لخالقه. قوله: [سيدنا ومتولي أمورنا] هذا أحد معاني المولى ويطلق على الناصر، ولا شك ان الله كذلك. قوله: [أن ينصر مواليه] أي عبيده فإن المولى كما يطلق على العبد يطلق على السيد. قوله: [عقيب] لغة رديئة في عقب. وقوله: [كل كلمة] أي وهي سبع وكلها مستجابة، وكرر لفظ ربنا بين المتعاطفات زيادة في التضرع. قوله: [قد فعلت] أي أجبت مطلوبكم لما في الحديث: «إن الله لأفرح بتوبة عبده ممن ضلت منه راحلته فوجدها بعد طلبها» وفي رواية لما قرأ النبي قوله: (غفرانك ربنا) قال الله قد غفرت، وفي قوله: (ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال لا أؤاخذكم، وفي قوله: (ولا تحمل علينا إصرا) قال لا أحمل عليكم، وفي قوله: (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال لا أحملكم، وفي قوله: (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)، قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين، والحكمة في زيادة قوله القوم ولم يقل الكافرين أنه لا يلزم من النصرة على أفراد الكفار النصرة على الهيئة المجتمعة وفي هذه الآية تعليم آداب الدعاء وفي الحديث: «إذا دعوتم فعمموا».

فضل سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فُتح اليوم، لم يفتح قط إلّا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نَزَلَ إلى الأرض لم ينزل قطّ إلا اليوم، فسلّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقْرأ بحرفٍ منهما إلا أُعْطِيتَه». قوله: «نقيضاً» أي صوتاً كصوت الباب إذا فتح.
رواه مسلم في صحيحه.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة آل عمران

[مدنية وآياتها مائتان]

﴿الٓمٓ﴾¹: الله أعلم بمراده بذلك ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾² ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾:

بسم الله الرحمن الرحيم
سور آل عمران مدنية
مائتان أو إلا آية

قوله: [سورة آل عمران] مبتدأ ومدنية خبره، ومائتان خبر ثان. وقوله: [مدنية] أي نزلت بعد الهجرة وإن بغير أرض المدينة، وتسميتها بذلك الإسم من باب تسمية الشيء باسم جزئه، واختلف في عمران الذي سميت به، فقيل المراد به أبو موسى وهارون فآله موسى وهارون، وقيل المراد به أبو مريم والمراد بآله مريم وابنها عيسى، ويقرب ذلك ذكر قصتهما أثر ذكره، وبين عمران أبي موسى وعمران أبي مريم ألف وثمانمائة عام. قوله: [أو إلا آية] أو لحكاية الخلاف، وسببه الإختلاف في عد البسملة من السورة، فمن عدها قال مائتان ومن لم يعدها قال إلا آية، وورد في فضل هذه السورة أنها أمان من الحيات وكنز للفقير، وأنه يكتب لمن قرأ منها ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ إلى آخرها آخر الليل ثواب من قام الليل كله. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] مشى في ذلك على مذهب السلف في المتشابه، وهكذا عادته في فواتح السور، وقد تقدم الكلام في ذلك بأبسط عبارة، وأعلم أنه قرىء عند إسقاط الهمزة من الله وفتح ميم ألم للنقل بمد الميم ست حركات أو حركتين، وعند إسكان الميم حالة الوقف وإثبات الهمزة بمد الميم ست حركات، فالقراءات ثلاثة.

قوله: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ سبب نزولها قدوم وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً فيهم أربعة عشر من أشرافهم ثلاثة منهم أكابرهم أميرهم وحبرهم ووزيرهم يحاجون رسول الله في عيسى، فتارة قالوا إن عيسى ابن الله لأنه لم يكن له أب، وتارة قالوا إنه الله لأنه يحيي الموتى، وتارة قالوا إنه ثالث ثلاثة لأنه يقول فعلنا وخلقنا، فلو كان واحداً لذكره مفرداً، فشرع النبي يرد عليهم تلك الشبه، فقال لهم: أتسلمون أن الله حي لا يموت؟ فقالوا نعم، فقال أتسلمون أن عيسى يموت؟ فقالوا نعم، فقال لهم أتسلمون أن الله يصور في الأرحام كيف يشاء؟ فقالوا نعم، إلى غير ذلك فنزلت تلك السورة منها نيف وثمانون آية على طبق ما رد عليهم به، قوله: ﴿الحي﴾ أي ذو الحياة الذاتية. وقوله:

القرآن ملتبساً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله من الكتب ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ ٣ مِن قَبْلُ﴾: أي قبل تنزيله ﴿هُدًى﴾: حال بمعنى هاديين من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ﴾: ممن تبعهما وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضي للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ٤﴾: عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾: كائن ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ٥﴾: لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي، وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿القيوم﴾ أي القائم بأمور خلقه من غير واسطة معين، قوله: [ملتبساً] ﴿بالحق﴾ أشار بذلك إلى أن الباء في بالحق للملابسة في محل نصب على الحال فيكون مصدقاً حالاً بعد حال.

قوله: ﴿مصدقاً﴾ حال من الكتاب، قوله: ﴿لما بين يديه﴾ في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه بسلطان تقدمه عسكره، وجاء على أثرهم يؤيدهم ويقويهم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله: ﴿لما بين يديه﴾ فإثباته تخييل. قوله: ﴿وأنزل التوراة﴾ أي على موسى وقوله: ﴿والإنجيل﴾ أي على عيسى، واختلف الناس في هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أم لا لكونهما أعجميين، فذهب جماعة إلى الأول فقالوا التوراة مشتقة من قولهم وري إذا قدح فظهر منه نار، فلما كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به من الضلال إلى الهدى كما يخرج بالنار من الظلام إلى النور سمي هذا الكتاب بالتوراة، والإنجيل مشتق من النجل وهو التوسعة ومنه العين النجلاء لسعتها فسمي الإنجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن في التوراة، إذ حلل فيه أشياء كانت محرمة فيها، والصحيح أنهما ليسا مشتقين لأنهما عبرانيان. قوله: [أي قبل تنزيله] أي الكتاب الذي هو القرآن، قوله: [حال] أي من التوراة والإنجيل، قوله: [ممن تبعهما] أشار بذلك إلى أن المراد بالهدى الوصول لا مجرد الدلالة، قوله: [وعبر فيهما بأنزل الخ] جواب عن سؤال مقدر، وقيل إن ذلك تفنن، وقيل أن مادة نزل تفيد التكرار غالباً، ومادة أنزل تفيد عدمه غالباً، فلعل المفسر مشى هذا الجواب على ذلك، وإلا فالهمز والتضعيف أخوان. قوله: [بخلافه] أي فإنه نزل مفرقاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة. قوله: [ليعم ما عداها] أي فهو من عطف العام على الخاص، فالمراد بالفرقان هنا الفارق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن فالفرقان كما يطلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب.

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ أي كنصارى نجران. قوله: ﴿لهم عذاب شديد﴾ أي في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالنار. قوله: [وعده] أي بالخير وقوله ووعيده أي بالشر. قوله: [لا يقدر على مثلها أحد] أي لأن غاية عذاب غيره الموت وفيه راحة للمعذب، ولا يقدر على إعادة روحه حتى تتألم ثانياً، وأما عذاب الله فدائم لا آخر له، قال تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾. قوله: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء﴾ هذا رد لقولهم إن عيسى إله لأنه يعلم الأمور، فرد عليهم بأن الله هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وليس كذلك عيسى. قوله: [كائن] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ متعلق بمحذوف صفة لشيء. قوله: [وخصهما بالذكر] جواب عن سؤال مقدر. قوله: [لا يتجاوزهما] أي لا يتعداهما. قوله: ﴿هو الذي يصوركم﴾ هذه حجة أخرى للرد على تلك الفرقة كأنه يقول لا إله إلا من يصوركم في الأرحام كيف يشاء، وأما عيسى فإنه وإن كان

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ٦: في صنعه ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: لا تفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكماً في قوله أحكمت آياته بمعنى أنه ليس فيه عيب ومتشابهاً في قوله كتاباً متشابهاً بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾: لجهالهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: تفسيره ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾: تفسيره ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: وحده ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾: الثابتون المتمكنون ﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾: مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ

يحيي الموتى فبإذن الله، ولا يقدر أن يصوركم في الأرحام كيف يشاء بل هو مصوَّر في الرحم، فالمصوَّر لا يصوِّر غيره بل ولا نفسه. قوله: ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره عديم المثال. قوله: ﴿الحكيم﴾ أي ذو الحكمة وهي وضع الشيء في محله.

قوله: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ قيل سبب نزولها أن وفد نجران قالوا للنبي ﷺ ألست تقول إن عيسى روح الله وكلمته؟ فقال نعم، فقالوا حسبنا أي يكفينا ذلك في كونه ابن الله، فنزلت الآية، والمعنى أن الله أنزل القرآن منه محكم ومنه متشابه، وقوله روح الله وكلمته من المتشابه الذي لا يعرفون معناه ولا يفهمون تأويله، بل معنى ذلك أنه روح من الله أي نوره وكلمته، بمعنى أنه قال له كن فكان، فهو عبد من جملة العباد ميزه الله بالنبوة والرسالة. قوله: [أصله] إنما فسر الأم بذلك لصحة الإخبار بالمفرد عن الجمع، لأن الأصل يصدق بالمتعدد. وأجيب أيضاً بأنه عبر بالمفرد إشارة إلى أن المجموع بمنزلة آية واحدة على حد ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ وما سلكه المفسر أظهر. قوله: [المعتمد عليه في الأحكام] أي الذي يعول عليه في أحكام الدين والدنيا هو المحكم، وأما المتشابه فلم يكلف بمعرفة معناه بل نؤمن به ونفوض علمه لله.

قوله: ﴿وأخر متشابهات﴾ إن قلت هلا نزل كله محكماً لأنه نزل لإرشاد العباد ومداره على المحكم لا على المتشابه؟ أجيب بأنه نزل على أسلوب العرب، فإن أسلوبهم التعبير بالمجاز والكناية والتلميح وغير ذلك من المستحسنات، فلو نزل كله محكماً لقالت العرب إن القرآن على لغتنا فهلا ذكر فيه مستحسنات لغاتنا. قوله: [لا يفهم معانيها] أي إلا بفكر وتأمل كما هو مذهب الخلف. قوله: [كأوائل السور] أي بعضها وأدخلت الكاف باقي الآيات المتشابهة. قوله: [وجعله كله محكماً الخ] جواب عن سؤال مقدر كأن قائلاً هذه الآية بينت أن القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه، وآية أخرى بينت أن كله محكم، وآية أخرى أفادت أن كله متشابه، فبين هذه الآيات تناف أجاب المفسر بما ذكره. قوله: [بمعنى أنه ليس فيه عيب] أي لا في ألفاظه ولا في معانيه. قوله: [في الحسن والصدق] قال ابن عباس: تفسير القرآن أربعة أقسام: قسم لا يسع أحداً جهله كقوله: ﴿قل هو الله أحد﴾، وقسم يتوقف على معرفة لغات العرب كقوله: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾، وقسم تعرفه العلماء الراسخون في العلم، وقسم لا يعلمه إلا الله، ودخل تحت القسمين الأخيرين المتشابه، وحكمة الإتيان بالمتشابه الزيادة في الإعجاز عن الإتيان بمثله، فإن المحكم وإن فهموا معناه إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بلفظ مثل ألفاظه، والمتشابه عجزوا عن فهم معناه كما عجزوا عن الإتيان بمثله. قوله: [ميل عن الحق] أي إلى الباطل. قوله: [بوقوعهم في الشبهات واللبس] أي كنصارى نجران ومن حذا حذوهم ممن أخذ بظاهر القرآن، فإن العلماء ذكروا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة.

قوله: ﴿وابتغاء تأويله﴾ معطوف على ابتغاء الأول، والمعنى أنهم يتجرؤون على تفسيره بتفسير باطل لا أصل له. قوله: ﴿وما يعلم تأويله﴾ أي تفسيره على الحقيقة. قوله: ﴿إلا الله﴾ [وحده] هذه طريقة السلف واختارها المفسر

﴿آمَنَّا بِهِ﴾: أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾: من المحكم والمتشابه ﴿مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٧]: أصحاب العقول ويقولون أيضاً إذا رأوا من يتبعه ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾: من عندك ﴿رَحْمَةً﴾: تثبيتاً ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[٨]: يا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾: تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾: أي في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ﴾: هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٩]: موعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى، والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة، ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها، روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ إلى آخرها وقال: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» وروى الطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال، وذكر منها «أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله إلا

لكونها أسلم، فالوقف على قوله إلا الله، وأما طريقة الخلف فهي أحكم، فالوقف على أولي الألباب، فالراسخون معطوف على لفظ الجلالة، قال بعضهم ويؤيد طريقة الخلف قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾.

قوله: ﴿والراسخون﴾ كلام مستأنف فالواو للاستئناف والراسخون مبتدأ، وفي العلم متعلق بالراسخون وخبره يقولون كما قاله المفسر، قال مالك: الراسخ في العلم من جمع أربع خصال: الخشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه.

قوله: ﴿من عند ربنا﴾ أي ففهمنا المحكم وأخفى علينا المتشابه. قوله: [في الأصل في الذال] أي فأصله يتذكر قلبت التاء ذالاً ثم أدغمت في الذال. قوله: [أصحاب العقول] أي السليمة المستنيرة. قوله: [من يتبعه] أي يتبع الباطل. قوله: ﴿بعد إذ هديتنا﴾ أي بعد وقت هدايتك وتبيينك الحق لنا. قوله: [تثبيتاً] فسر الرحمة هنا بذلك لأنه المراد هنا، وأما في غير هذا الموضع فقد تفسر بالمطر أو الغفران. قوله: ﴿إنك أنت الوهاب﴾ أي الذي يعطي النوال قبل السؤال.

قوله: ﴿ربنا إنك جامع الناس﴾ منادى وحرف النداء محذوف، قدره المفسر إشارة إلى أنه دعاء. قوله: [أي في يوم] أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في. قوله: [فيه التفات] أي على أنه من كلام الراسخين. قوله: [ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى] أي فلا التفات فيه على مذهب الجمهور، وأما على مذهب السكاكي ففيه التفات على كل حال لأنه أتى على خلاف السياق. قوله: [روى الشيخان] قصده بذلك الاستدلال على ذم المتبعين للمتشابه ومدح الراسخين. قوله: [فأولئك الذين سمى الله] أي بقوله: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ الآية. قوله: [فاحذروهم] الخطاب لعائشة وإنما ذكر وجمع تعظيماً لها أو إشارة إلى عدم خصوصيتها بذلك. قوله: [وروى الطبراني] أي في معجمه الكبير. قوله: [إلا ثلاث خلال] هذه نسخة وفي أخرى خصال. قوله: [وذكر منها الخ] هذه هي الخلة الثانية وترك اثنتين، ونص الحديث: أخرج الطبراني عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وما

الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب» الحديث. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾: تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي عذابه ﴿شَيْئًا وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ ١٠: بفتح الواو ما توقد به، كدأبهم ﴿كَدَأْبِ﴾: كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: والجملة مفسرة لما قبلها ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ١١: ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام مرجعه من بدر فقالوا له: لا يغرنك إن قتلت نفراً من قريش أغماراً لا يعرفون القتال ﴿قُل﴾: يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من اليهود ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: بالتاء والياء في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية

يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب، وأن يزداد علمهم فيضعوه ولا يسألوا عنه».

قوله: ﴿الذين كفروا﴾ قيل المراد بهم جميع من كفروا من أول الزمان إلى آخره، وقيل المراد بهم نصارى نجران، وقيل كفار مكة، وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿أموالهم ولا أولادهم﴾ قدم الأموال لأن الشأن أن الشخص أول ما يقتدي بالأموال ثم بالأولاد، والمعنى أن زينتهم وعزهم لا يدفع عنهم شيئاً من عقاب الله أبداً لا قليلاً ولا كثيراً. قوله: [أي عذابه] أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف.

قوله: ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى. قوله: [بفتح الواو] أي باتفاق السبعة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى الإيقاد. قوله: [ما يوقد به] أي وهو الحطب مثلاً. قوله: [دأبهم] ﴿كدأب﴾ أشار بذلك إلى أن قوله كدأب خبر لمحذوف قدره بقوله دأبهم، وهذا بيان لسبب كونهم وقود النار، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ أي فلا تحزن يا محمد فإن ما نزل بالأمم الذين كفروا من قبلك ينزل بمن كفر بك. قوله: [كعاد وثمود] بيان للأمم وادخلت الكاف باقي الأمم الذين كفروا بأنبيائهم، كقوم نوح وقوم موسى وغيرهم. قوله: [أهلكهم] ﴿بذنوبهم﴾ أي انتقم منهم دنيا وأخرى. قوله: [والجملة مفسرة لما قبلها] أي جملة كذبوا وما قبلها هي قوله كدأب آل فرعون. وأعلم أن هنا قال كذبوا بآياتنا، وفي آية أخرى كفروا بآيات الله وفي آية أخرى كذبوا بآيات ربهم، وحكمة ذلك التفنن في التعبير على عادة فصحاء العرب، والباء في قوله بذنوبهم يحتمل أن تكون للملابسة، والمعنى أخذهم الله والحال أنهم ملتبسون بذنوبهم يعني من غير توبة، ويحتمل أن تكون للسببية والمعنى أخذهم الله بسبب ذنوبهم، والأول أبلغ لأن فيه دفع توهم أن موتهم كفارة لما وقع منهم. قوله: [ونزل لما أمر ﷺ] حاصل ذلك أنه لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة جمع يهودها وهم قريظة وبنو النضير، ودعاهم للإسلام وتوعدهم إن لم يسلموا أو يؤدوا الجزية قاتلهم، فقالوا له ما ذكره المفسر. قوله: [أغماراً] جمع غمر بالضم وهو الرجل الذي لا يعرف الأمور، وأما بالكسر فمعناه الحقد، وبالفتح مع سكون الميم يطلق على الشدة، وأما بفتحتين فمعناه الدسم. قوله: [من اليهود] أي قريظة وبني النضير ومن حذا حذوهم كأهل خيبر. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة في الخطاب لهم والياء معناها الإخبار

---

* أسباب نزول الآية ١٢ قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾. روى أبو داود في سننه والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس لما أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر يهود: أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً، فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾ إلى قوله ﴿لأولي الأبصار﴾. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة، قال فنحاص اليهودي يوم بدر: لا يغرن محمداً أن قتل قريشاً وغلبها، إن قريشاً لا تحسن القتال، فنزلت هذه الآية.

وقد وقع ذلك ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ : بالوجهين في الآخرة ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ : فتدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ١٢ : الفراش هي ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ : عبرة وذكر الفعل للفصل ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ : فرقتين ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ : يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ : أي طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ : أي الكفار ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ : أي المسلمين أي أكثر منهم وكانوا نحو

بأنهم سيغلبون. قوله: [وقد وقع ذلك] أي فقتل من فحول قريظة ستمائة حول الخندق، وكان القاتل لهم علي بن أبي طالب، وقوله: [وضرب الجزية] أي على أهل خيبر، وأما بنو النضير فأجلاهم إلى الشام. قوله: [بالوجهين] أي بالتاء والياء وهما سبعيتان أيضاً. قوله: ﴿وبئس المهاد﴾ المقصود من ذلك بيان سوء مآلهم، قال تعالى: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾، وقال تعالى: ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾. قوله: [هي] هذا هو المخصوص بالذم وفاعل بئس قوله المهاد.

قوله: ﴿قد كان لكم آية﴾ يحتمل أن يكون ذلك محل جملة مقول النبي للكفار أي قل لهم ما ذكر وقل لهم ﴿قد كان لكم آية﴾ فعلى ذلك الخطاب لليهود، ويحتمل أن يكون ذلك خطاباً لكفار مكة أو للمؤمنين ويكون مستأنفاً. قوله: [للفصل] أي بالجار والمجرور الواقع خبراً لكان على حد أتى القاضي بنت الواقف، وأجيب أيضاً بأن الفاعل مجازي التأنيث أو مذكر معنى، لأن الآية معناها البرهان. قوله: [فرقتين] إنما سميت الفرقة فئة لأنه يفاء بمعنى يرجع إليها في الشدائد.

قوله: ﴿فئة تقاتل في سبيل الله﴾ برفع فئة باتفاق السبعة مبتدأ خبره تقاتل إلخ والمعنى فئة مؤمنة، وقوله: ﴿وأخرى كافرة﴾ يعني تقاتل في سبيل الطاغوت ففيه شبه احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: [كانوا ثلثمائة] أي من المهاجرين سبعة وسبعون صاحب رايتهم علي بن أبي طالب، ومن الأنصار مائتان وستة وثلاثون صاحب رايتهم سعد بن عبادة، والذي مات منهم في تلك الغزوة أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. قوله: [معهم فرسان] ورد أنه كان معهم سبعون بعيراً. قوله: [رجالة] جمع راجل بمعنى ماش. قوله: ﴿يرونهم﴾ هكذا بالياء للسبعة ما عدا نافعاً فقرأ بالتاء، ورأى بصرية والواو فاعل عائد على المؤمنين، والهاء مفعول عائد على الكفار ومثليهم حال، والهاء إما عائدة على المؤمنين، والمعنى يشاهد المؤمنون الكفار قدر أنفسهم مرتين، أو الكفار والمعنى يرى المؤمنون الكفار قدر الكفار مرتين محنة للمؤمنين، ويحتمل أن الواو عائدة على الكفار والهاء عائدة على المؤمنين، والهاء في مثليهم إما عائدة على الكفار والمعنى يرى الكفار المؤمنين قدرهم مرتين فترتب على ذلك هزيمتهم، أو عائدة على المؤمنين والمعنى يرى الكفار المؤمنين قدر المؤمنين مرتين ففي هذه القراءة احتمالات أربع قد علمتها ومثلها على قراءة التاء لأنه يحتمل أن الخطاب للمؤمنين، فالواو عائدة على المؤمنين والهاء عائدة على الكفار، والضمير في مثليهم إما عائد على الكفار وهو ظاهر، أو على المؤمنين ويكون فيه التفات من الخطاب للغيبة وكان مقتضى الظاهر أن يقول مثليكم، ويحتمل أن الخطاب للكفار فالواو عائدة على الكفار والهاء عائدة على المؤمنين، والضمير في مثليهم إما عائد على المؤمنين وهو ظاهر أو على الكفار وفيه التفات أيضاً. بقي شيء آخر وهو أن مقتضى الآية أن المرئي كثير، سواء كان الرائي الكفار أو المسلمين، ومقتضى ما يأتي في سورة الأنفال أن المرئي قليل فحصل بين الآيتين تناف، وأجيب عن ذلك بحمل ما يأتي على حالة البعد، وما هنا على حالة التقاء الصفين، وحكمة ذلك أنهم إذا شاهدوا القلة على بعد حملهم ذلك على الاقتحام. قوله: [أي الكفار] يقرأ بالرفع تفسيراً للواو وبالنصب تفسيراً للهاء. قوله: [وقد نصرهم الله مع قلتهم] أي مع كونهم عدداً قليلاً جداً ولا عدد معهم.

ألف ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: أي رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾: يقوي ﴿بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ نصره ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾١٣: لذوي البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾: ما تشتهيه النفس وتدعو إليه زينها الله ابتلاء أو الشيطان ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾: المجمعة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: الحسان ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: أي الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾: الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾١٤: المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره ﴿قُلْ﴾: يا محمد

قوله: ﴿لأولي الأبصار﴾ صفة لعبرة. قوله: [أفلا تعتبرون] الخطاب لليهود أو لكفار مكة. قوله: [بذلك] أي بالنصر ورؤية الجيش مثليهم. قوله: ﴿زين للناس﴾ هذه الآية مسوقة لبيان حقارة الدنيا وتزهيد المسلمين فيها، ففي الحديث «ظاهرها غرة وباطنها عبرة» وقال الشاعر:

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركمو مني ابتسام ... فقولي مضحك والفعل مبكي

والفعل مبني للمفعول، والمزين حقيقة هو الله، ويصح أن يكون الشيطان باعتبار وسوسته، ولذا نوع فيه المفسر.

قوله: ﴿حب الشهوات﴾ جمع شهوة وهي ميل النفس لمحبوبها، ولما كان ذلك المعنى ليس مراداً فسرها بالذي تشتهيه النفس ففيه إشارة إلى أنه أطلق المصدر، وأريد اسم المفعول إن قلت إنه يدخل في الناس الأنبياء مع أنهم معصومون من ذلك. أجيب بأنه عام مخصوص بما عدا الأنبياء، وأما هم فهم معصومون من الميل إلى ما سوى الله كما في الحديث «حبب إلي من دنياكم ثلاث» ولم يقل من دنيانا، وفي الحديث أيضاً «لست من الدنيا ولا الدنيا مني». قوله: [زينها الله] أي أوجد فيها الزينة. قوله: [ابتلاء] أي اختباراً، قال تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾. قوله: [أو الشيطان] أي بالوسوسة.

قوله: ﴿من النساء﴾ متعلق بمحذوف حال من الشهوات وهو تفصيل لما أجمل فيها، وقدم النساء لأنهن أعظم زينة الدنيا، فإنهن حبالة الشيطان، ويحملن الإنسان على قطع الرحم واكتساب المال من الحرام وارتكاب المحرمات، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء، ما رأيت ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحكيم منكن». قوله: ﴿والبنين﴾ قدمهم على الأموال لأنهم فرع النساء وأكبر فتنة من الأموال، لأن الإنسان يفدي بنيه بالمال ولم يقل والبنات لأن الشأن أن الفخر في الذكور دون الإناث.

قوله: ﴿والقناطير﴾ جمع قنطار قيل المراد به المال الكثير، وقيل ألف أوقية ومائتا أوقية، وقيل اثنا عشر ألف أوقية، وقيل غير ذلك، ودرج المفسر على الأول. قوله: ﴿المقنطرة﴾ قيل وزنها مفعللة فتكون النون أصلية، وقيل وزنها مفنعلة فالنون زائدة، ويترتب على ذلك النون في قنطار هل هي أصلية فوزنه فعلال، أو زائدة فوزنه فنعال، وأقل القناطير المقنطرة تسعة، لأن المراد تعددت جموع القناطير عنده ثلاثة ففوق. قوله: ﴿والفضة﴾ الواو بمعنى أو المانعة الخلو فتجوز الجمع، وقدم الذهب والفضة على ما عداهما لأن فخر صاحبهما أعظم. قوله: ﴿والخيل المسومة﴾ قدمها على الأنعام لأن فخرها أعظم. قوله: [الزرع] أي مطلقاً حب أو غيرها. قوله: [ثم يفنى] أي يزول هو وصاحبه، قال تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ الآية. قوله: [فينبغي الرغبة فيه] أي في ذلك المآب، وفي الآية اكتفاء أي وعنده سوء المآب، فحسن المآب لمن لم يغتر بالدنيا وجعلها مزرعة للآخرة، وسوء المآب لمن اغتر بها وآثرها على الآخرة.

لقومك ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾: أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِن ذَٰلِكُمْ﴾: المذكور من الشهوات استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾: خبر مبتدؤه ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾: أي مقدرين الخلود ﴿فِيهَا﴾: إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض وغيره مما يستقذر ﴿وَرِضْوَانٌ﴾: بكسر أوله وضمه لغتان أي رضا كثير ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾: عالم ﴿بِالْعِبَادِ﴾ ١٥ فيجازي كلاً منهم بعمله ﴿الَّذِينَ﴾: نعت أو بدل من الذين قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾: صدقنا بك وبرسولك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ١٦ ﴿الصَّابِرِينَ﴾: على الطاعة وعن المعصية نعت ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: في الإيمان ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾: المطيعين لله ﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾: المتصدقين ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾: الله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ ١٧: أواخر الليل خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة

قوله: ﴿أؤنبئكم﴾ قرىء في السبع بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية مع زيادة مدّ بينهما وبدون زيادة، فالقراءات أربع، وليس في القرآن همزة مضمومة بعد مفتوحة إلا ما هنا، وما في ص أأنزل عليه الذكر، وما في اقتربت الساعة أألقي عليه الذكر. قوله: [من الشهوات] أي المشتهيات. قوله: [استفهام تقرير] أي تثبيت. قوله: ﴿للذين اتقوا﴾ [الشرك] أي الإيمان، وإنما اقتصر عليه لأن أصل دخول الجنة إنما يتوقف عليه فقط. قوله: ﴿عند ربهم﴾ في محل نصب على الحال من جنات. قوله: ﴿جنات﴾ أي سبع: جنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن وجنة الفردوس ودار السلام ودار الجلال، وأبوابها ثمانية عشر وأعظمها جنة الفردوس. قوله: أي [مقدرين الخلود] أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال منتظرة أي منتظرين الخلود فيها إذا دخلوها، لأنه ينادي المنادي حين استقرار أهل الدارين فيهما يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، فيقع الفرح الدائم في قلوب أهل الجنة، والحزن الدائم في قلوب أهل النار.

قوله: ﴿وأزواج مطهرة﴾ أي من الحور وغيرهن من نساء الدنيا. قوله: [لغتان] أي وقرىء بهما في السبع في جميع لفظ رضوان الواقع في القرآن إلا الثاني في المائدة فإنه بالكسر باتفاق السبعة، وهو قوله من اتبع رضوانه سبل السلام، والمكسور قياسي والمضموم سماعي ومعناهما واحد، وقول المفسر كثير أخذ الكثرة من التنوين. قوله: [أي رضا كثير] أي عظيم لا سخط بعده أبداً. قوله: [فيجازي كلاً منهم بعمله] أي فيدخل المتقين الجنة والعاصين النار. قوله: [نعت] أي للذين اتقوا. قوله: [على الطاعة] أي على فعلها، وقوله: [وعن المعصية] أي نهاهم الله عنها فأمسكوا عنها وانتهوا.

قوله: ﴿والصادقين﴾ إن قيل كيف دخلت الواو على هذه الصفات مع أن الموصوف فيها واحد؟ أجيب بجوابين: أحدهما أن الصفات إذا تكررت جاز أن يعطف بعضها على بعض بالواو وإن كان الموصوف بها واحداً، ودخول الواو في مثل هذا للتفخيم لأنه يؤذن بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف بها؛ ثانيهما لا نسلم أن الموصوف بها واحد بل هو متعدد، والصفات موزعة عليهم، فبعضهم صابر وبعضهم صادق، ففيه إشارة إلى أن بعضها كاف في المدح. قوله: [في الإيمان] أي صدقوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم. قوله: [المطيعين لله] أي بأي نوع من أنواع الطاعة. قوله: [بأن يقولوا اللهم اغفر لنا] أي أو غير ذلك من أنواع الطاعات، فالمراد بالمستغفرين المتعرضون للمغفرة إما بسؤال المغفرة أو غيرها من الطاعات. قوله: [وآخر الليل] ويدخل بالنصف الأخير منه، وقيل الأسحار ما بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فينبغي اغتنام هذين الوقتين فإن لم يمكن الأول فالثاني.

ولذة النوم ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: بيّن لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ﴾: أي لا معبود في الوجود بحق ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾: شهد بذلك ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: بالإقرار ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾: من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قَآئِمَۢا﴾: بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة أي تفرّد ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: كرّره تأكيداً ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ١٨: في صنعه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾: المرضي ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: هو ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد وفي قراءة بفتح أنّ بدل من أنه الخ بدل اشتمال ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ

قوله: ﴿شهد الله﴾ سبب نزولها أن حبرين من أحبار الشام قدما على رسول الله بالمدينة فقالا له نسألك عن شيء آخر أن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال: سلا، فقالا له أخبرنا عن أعظم شهادة في القرآن فنزلت فآمنا به، ولكونها أعظم كان وقت نزولها حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فحين نزلت تساقطت تلك الأصنام، وورد في فضلها أنه يوم القيامة يجاء بمن كان يحفظها فيقول الله له إن لعبدي هذا عندي عهداً فأوفيه إياه أدخلوا عبدي الجنة فيدخلونه من غير سابقة عذاب، ومن فضلها أنها تقلع عرق الشرك من القلب وتنفع من الوسواس، ولذا اختارها العارفون في ختم صلاتهم فيقرؤونها عقب كل صلاة، ثم اعلم أن معنى الشهادة الإقرار باللسان، والإذعان بالقلب وذلك مستحيل على الله تعالى، فالمراد بين وأظهر لخلقه بالدلائل القطعية أنه الخ، ففي الكلام استعارة تبعية حيث شبه البيان بالشهادة، واستعار اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الشهادة شهد بمعنى بين، والجامع الوثوق بكل لأن من أقر وأذعن حصل له وثوق، كما أن من بين حصل للسامع وثوق بخبره، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: [بين لخلقه الخ] قوله: [في الوجود] أي الدنيوي والأخروي. قوله: ﴿و﴾ [شهد بذلك] ﴿الملائكة﴾ أشار بذلك إلى أن الملائكة معطوف على لفظ الجلالة فهو مرفوع، وقدر الفعل دفعاً لاستعمال اللفظ في حقيقته ومجازه وفيه خلاف ولا يتمشى التنزيل عليه، فإن الشهادة في حق الملائكة معناها الإقرار، وأما في حق الله فمعناها التبيين.

قوله: ﴿وأولو العلم﴾ لم يقدر الفعل اكتفاء بما قدره في جانب الملائكة. قوله: [بالاعتقاد] أي في القلب، وقوله: [واللفظ] أي باللسان وإنما اقتصر في جانب الملائكة على الإقرار دون أولي العلم لأن توحيد الملائكة جبلي لهم مخلوقون عليه كالنفس، فلا يتوهم فيهم عدم الاعتقاد بخلاف الإنس فاختياري لهم لوجود المنافقين فيهم دون الملائكة. قوله: [ونصبه على الحال] أي إما من لفظ الجلالة أو من الضمير المنفصل بعد إلا، والأحسن الثاني ليفيد أن الله شهد شهادتين: الأولى أنه لا إله إلا هو، والثانية أنه قائم بالقسط، فمتعلق الأولى تنزيه ذاته، ومتعلق الثانية تنزيه صفاته. قوله: [معنى الجملة] أي جملة لا إله إلا هو، وقوله: [أي تفرد] بيان لمعنى الجملة. قوله: ﴿بالقسط﴾ بيان لكرمه تعالى: فالمعنى أنه تعالى ثابت الألوهية، وأن جميع الخلق مملوكون له يتصرف فيهم كيف يشاء، فلو أدخل الطائعين جميعاً النار لا حرج عليه، غير أنه لا يفعل ذلك بل هو قائم بالقسط. قوله: [تأكيداً] أي وتوطئة لقوله: العزيز الحكيم. قوله: ﴿العزيز﴾ [في ملكه] أي عديم المثال أو قاهر لخلقه، وهو راجع لقوله إنه لا إله إلا هو. قوله: ﴿الحكيم﴾ [في صنعه] أي يصنع الشيء في محله وهو راجع لقوله قائماً بالقسط، والعزيز الحكيم إما خبران لمبتدأ محذوف، وإما بدلان من ضمير المنفصل، أو نعتان له على جواز نعت ضمير الغيبة.

قوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ نزلت لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من دين اليهودية، وادعت النصارى أن لا دين أفضل من دين النصرانية. قوله: [هو] ﴿الإسلام﴾ قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة معرفة الطرفين فتفيد الحصر. قوله: [المبعوث به الرسل] أي جميعهم من آدم إلى محمد قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين﴾ فأصل الدين واحد، وإنما الاختلاف في

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ﴾: اليهود والنصارى في الدين بأن وحّد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: بالتوحيد ﴿بَغْياً﴾: من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [١٩]: أي المجازاة له ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ﴾: لهم ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: انقدت له أنا ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾: وخصّ الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ﴾: اليهود والنصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّينَ﴾: مشركي العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾: أي أسلموا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَدَوْا﴾: من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ﴾: أي التبليغ للرسالة ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ﴾ [٢٠]: فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾: وفي قراءة يقاتلون ﴿ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ

الفروع. قوله: [بدل اشتمال] أي فيكون من تمام آية شهد الله، لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، وهذا إن أريد بالإسلام الشرع المنقول، وأما إن أريد به التوحيد كان بدل كل من كل.

قوله: ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ جواب عن سؤال نشأ من قوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ كأنه قيل حيث كان الدين واحداً من آدم إلى الآن فما اختلاف أهل الكتاب. قوله: ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ استثناء من محذوف، أي ما كان اختلافهم في حال من الأحوال إلا في حال مجيء العلم لهم، فالمعنى لا عذر ولا شبهة لهم في ذلك الاختلاف، لأن الله بيّن لهم الحق من الباطل، وإنما كفرهم واختلافهم محض عناد، قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾. قوله: ﴿ومن يكفر﴾ من اسم شرط جازم ويكفر فعل الشرط، وقوله: ﴿فإن الله سريع الحساب﴾ دليل الجواب والجواب محذوف أي فيعذبه، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ كأنه قال له: لا تحزن على كفر من كفر فإن الله معذبه.

قوله: ﴿فإن حاجوك﴾ أي اليهود والنصارى حيث أنكروا عموم رسالتك أو أصلها، وجملة حاجوك فعل الشرط، وجوابه فقل وما عطف عليه. قوله: ﴿ومن اتبعن﴾ معطوف على ضمير ﴿أسلمت﴾ المتصل، وقد وجد الفاصل وهو قوله: ﴿وجهي لله﴾ إذا علمت ذلك، فتقدير المفسر أنا، توضيح وبيان للضمير المتصل لا ليفيد الفاصل فإنه قد حصل بقوله وجهي لله، قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما وما هنا من قبيله، ومفعول اتبعن محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي ومن اتبعن أسلم وجهه. قوله: [لشرفه] أي لوجود الحواس الخمس فيه. قوله: ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ أي التوراة بالنسبة لليهود، والإنجيل بالنسبة للنصارى، وفيه وضع الموصول موضع الضمير لمقابلته بالأميين. قوله: [مشركي العرب] أي ومن عداهم ممن لا كتاب لهم. قوله: [أي أسلموا] أي فهو استفهام تقريعي، والمقصود الأمر على حد ﴿فهل أنتم منتهون﴾. قوله: ﴿فقد اهتدوا﴾ أي انتفعوا وحصل لهم الرضا والقبول وتم لهم السعد والوصول، وبهذا اندفع ما يقال إن فعل الشرط متحد مع جوابه، كأنه قال فإن أسلموا فقد أسلموا.

قوله: ﴿وإن تولوا﴾ أي داموا عليه وهو فعل الشرط، وقوله: ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره فلا تحزن عليهم وأمرهم إلى الله. قوله: [أي التبليغ للرسالة] أي وقد بلغت فلا تأس عليهم. قوله: ﴿والله بصير بالعباد﴾ أي عليهم بهم ومطلع عليهم وناظر إليهم فلا يغيب عنه شيء من أفعالهم. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي هذه الآية نزلت قبل الأمر به، فإن رسول الله أمر بالإمساك والإعراض عنهم في نحو نيف وسبعين آية ثم أمر

﴿ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: وهم اليهود رُوي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أعلمهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢١: مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء في خبر إن لشبه إسمها الموصول بالشرط ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: فلا اعتداد بها لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ٢٢: مانعين من العذاب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: حظاً ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾: حال ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ٢٣: عن قبول حكمه. نزل في اليهود زنى

بقتالهم. قوله: ﴿بآياتِ الله﴾ أي القرآن وغيره. قوله: [وفي قراءة يقاتلون] صوابه تأخيرها بعد المعطوف إذ هي التي فيها القراءتان، وأما هذه فيقتلون باتفاق السبعة.

قوله: ﴿بغير حق﴾ إن قلت إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق. أجيب بأنه في اعتقادهم أيضاً فهو زيادة في التشنيع عليهم، فالمعنى اعجب يا محمد من بلادة هؤلاء حيث يقتلون الأنبياء وهم معتقدون أن قتلهم خلاف الحق ويقتلون من يأمرهم بالعدل. قوله: [وهم اليهود] أي قوم موسى، وإنما خوطب من كان في زمنه ﷺ بذلك لرضاهم بفعلهم مع كونهم كانوا عازمين على قتله ﷺ. قوله: [ثلاثة وأربعين] وفي رواية أخرى سبعين. قوله: [من يومهم] أي فقتلوا الأنبياء أول النهار والعباد آخره. قوله: [أعلمهم] أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الإعلام بالعذاب بالبشارة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البشارة بشرهم بمعنى أعلمهم بالعذاب، والجامع الانتقال من حال لأخرى في كل. قوله: [وذكر البشارة تهكم] أي لأن البشارة هي الخبر السار، والنذارة الخبر الضار، فكأنه يقول هو لا يتخلف، كما أن الوعد بالخير لا يتخلف. قوله: [لشبه اسمها الموصول] أي وهو في الأصل كان مبتدأ والمبتدأ متى وقع اسم موصول، ولو منسوخاً قرن خبره بالفاء. قوله: [كصدقة وصلة رحم] إن قلت إن مثل هذا العمل لا يتوقف على الإسلام لعدم توقفه على النية فينتفع به الكافر فلا يتم قول المفسر فلا اعتداد بها لعدم شرطها، فلعل ذلك محمول على جماعة مخصوصين باشروا قتل الأنبياء وعاندوهم، وإلا فصدقة الكافر وصلة رحمه تنفعه في الدنيا بتوسعتها عليه مثلاً لا غير، ولا ينتفع بها في الآخرة إجماعاً لأن محل الجزاء الجنة وهو عنها بمعزل، لأنه ليس له في الآخرة إلا النار.

قوله: ﴿ألم تر﴾ الخطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه النظر. قوله: ﴿إلى كتاب الله﴾ أي التوراة. قوله: [في اليهود] أي يهود خيبر. قوله: [زنى منهم اثنان] أي من أشرافهم ثم سألوا أحبارهم فأخبروهم بأن التوراة نصت على رجمهم، ولكن أخذتهم الشفقة عليهم لكونهم من أشرافهم فتحاكموا إلى النبي ﷺ لعله أن يوجد في دينه فرج لهم، فقال لهم النبي حكم ديني رجمكم، والذي أعلمه أن في التوراة كذلك، فقال بعضهم جرت علينا يا محمد فقال هلموا إلي بأعلمكم بالتوراة، فقالوا عبد الله بن صوريا كان بفدك، فأتي به فسأله النبي عن حكم الزاني والزانية في التوراة، فقال ائتوني بالتوراة، فقرأ منها على النبي ﷺ حتى وصل آية الرجم فوضع يده عليها وقرأ ما بعدها، وكان عبد الله بن سلام حاضراً إذ ذاك، وكان من أحبارهم قبل الإسلام، فقال يا رسول الله إن الرجل أخفى آية الرجم وقرأ ما بعدها،

---

* أسباب نزول الآية ٢٣: قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا﴾ الآية، اخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدارس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه، قال: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه، فأنزل الله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون﴾ إلى قوله ﴿يفترون﴾.

منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا ﴿ذٰلِكَ﴾: التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾: أي بسبب قولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم﴾: متعلق بقوله ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [٢٤]: من قولهم ذلك ﴿فَكَيْفَ﴾: حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾: أي في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ﴾: هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾: أي الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٢٥]: بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ونزل لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾: يا الله ﴿مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي﴾: تعطي ﴿ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾: من خلقك ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾

فأمره النبي بأخذها منه فأخذها وقرأها فإذا فيها: إن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما، وإن كانت امرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها، فأمر ﷺ برجمهما فغضبت اليهود لذلك. قوله: [فوجد فيها] أي الرجم.

قوله: ﴿بأنهم قالوا﴾ أي بسبب قولهم ذلك فهونوا على أنفسهم جميع الموبقات من قتل الأنبياء وعصيانهم وغير ذلك. قوله: [من قولهم ذلك] أي وهو لن تمسنا النار إلا أياما معدودات. قوله: ﴿فكيف﴾ قوله: [حالهم] رد لقولهم المذكور وإبطال لما غرهم باستعظام ما سيقع لهم من الأهوال، ويجوز أن يكون كيف خبرا مقدما والمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: [حالهم]. وقوله: ﴿إذا جمعناهم﴾ ظرف غير مضمن معنى الشرط منصوب على الظرفية والعامل فيه متعلق الخبر. قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي في مجيئه ووقوع ما فيه.

قوله: ﴿وهم﴾ قوله: [أي الناس] فيه إشارة إلى أنه ذكر ضميرهم، وجمعه باعتبار معنى كل نفس. قوله: [ونزل لما وعد] وذلك أنه حين تحزبت عليه الأحزاب سنة خمس من الهجرة حتى تجمع عليه عشر آلاف مقاتل، وكان المسلمون إذ ذاك نحو الألفين معه بالمدينة، فأشاروا عليه بحفر الخندق فجعل على كل عشرة أربعين ذراعا، فبينما هم في ذلك، إذ ظهرت لهم صخرة عظيمة لا تعمل فيها المعاول، فكرب من كانت في قسمته، فاستجاروا برسول الله، فأخذ ﷺ المعول من سلمان الفارسي وضرب الصخرة أول مرة فخرج منها نور فملأ ما بين لابتي المدينة، فقال أضاء لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب، والحيرة بكسر الحاء المهملة وسكون الياء مدينة بقرب الكوفة، وتمثيله القصور بأنياب الكلاب لشبهها لها في البياض وانضمام بعضها لبعض مع الإشارة إلى تحقيرها، ثم ضرب الثانية وقال: أضاء لي منها قصور الروم، ثم ضرب الثالثة وقال: أضاء لي منها قصور صنعاء اليمن، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فابشروا، فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر ما ذكر، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من شدة الخوف ولا تستطيعون البروز، فنزلت الآية، وكسر الصخرة في الثلاث ضربات من عزمه وقوته البشرية، وإلا لو كان معجزة لأشار لها فقط، وروي في فضل تلك الآية أحاديث لا تحصى، منها ما روي أن الله لما أمر فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك بالنزول إلى الأرض، قالوا يا ربنا لا تهبطنا دار الذنوب وإلى من يعصيك، فقال تعالى وعزتي وجلالي ما يقرؤكن عبد عقب كل صلاة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه، وإلا نظرت له بعيني المكنونة في اليوم والليلة سبعين مرة، وإلا قضيت له في اليوم والليلة سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا أعذته من عدوه بنصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت. قوله: [يا الله] أشار بذلك إلى أن الميم معوضة عن

* أسباب نزول الآية ٢٦: قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته، فأنزل الله ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ الآية.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾: بإيتائه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾: بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾: بقدرتك ﴿ٱلْخَيْرُ﴾: أي والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٦ ﴿تُولِجُ﴾: تدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾: تدخله ﴿فِي ٱلَّيْلِ﴾: فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾: كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٢٧: أي رزقاً واسعاً ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: يوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾: أي غير ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي يوالهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾: دين ﴿ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾

ياء النداء، فهو مبني على الضم في محل نصب. والميم عوض عن ياء النداء، وذلك من جملة ما خص به لفظ الجلالة ومن جملتها اجتماع يا وأل.

قوله: ﴿مالك الملك﴾ يصح أن يكون بدلاً أو عطف بيان أو نعتاً لمحل اللهم أو منادى حذفت منه ياء النداء، والملك هو من العرش للفرش، وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك ومالك الملك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم. قوله: ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾ إما صفة لمالك الملك أو استئناف بياني دليل لكونه مالك الملك. قوله: [من تشاء] أي كمحمد وأصحابه. قوله: [بإيتائه] أي الملك. قوله: [بنزعه منه] أي بنزع الملك من فارس والروم وغيرهما. قوله: [بقدرتك] هذا تأويل الخلف، وأما السلف فيؤمنون بذلك ويفوضون علم ذلك لله. قوله: [أي والشر] أشار بذلك إلى أن فيه اكتفاء، وإنما اقتصر على الخير لأن الآية مسوقة في الخير بدليل سبب نزولها وإن كان لفظها عاماً، أو يقال إنما اقتصر على الخير لأنه صنعه، وأما الشر فبالنظر للمنعكس عليه قال بعض العارفين:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا ... رأيت جميع الكائنات ملاحا

وإن لم تر إلا مظاهر صنعه ... حجبت فصيرت الحسان قباحا

ففعل الله كله خير لأن أفعاله دائرة بين الفضل والعدل، ولا ينسب له الشر أصلاً، وإنما ينسب الشر للمخالف، وليس لمولانا حاكم يخالفه فيما أمره به بل هو الفعال لما يريد. قوله: ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ دليل لما تقدم. قوله: [فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر] أي بقدر ما نقص ساعة بساعة ودرجة بدرجة. قوله: [كالإنسان والطائر الخ] ويصح أن يراد بالحي المسلم وبالميت الكافر قوله: [من النطفة والبيضة] لف ونشر مرتب. قوله: ﴿بغير حساب﴾ أي ومن غير توقف على عمل، وإلا فلو توقف رزقه على عمل منا لما أعطانا شيئاً أبداً، بل لم يبق لنا نعمه التي هي موجودة فينا، كالسمع والبصر والكلام واليدين والرجلين وغير ذلك، فسبحان الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

قوله: ﴿لا يتخذ المؤمنون﴾ قيل نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، كان منافقاً يخفي الكفر ويحب أهله ويواليهم باطناً، وكان بصحبته على هذه الخصلة ثلثمائة، وكانوا يحبون ظفر الأعداء برسول الله وأصحابه، وإنما كانوا يظهرون الإسلام فقط، فمعنى الآية أن من علامة الإيمان عدم موالاة أهل الكفر، قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾. قوله: ﴿أولياء﴾ أي أصدقاء وقوله: [يوالونهم] أي يحبونهم ويميلون إليهم. قوله: ﴿من دون

---

* أسباب نزول الآية ٢٨: قوله تعالى: ﴿لا يتخذ﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن حثمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود، واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبوا، فأنزل الله فيهم ﴿لا يتخذ المؤمنون﴾ إلى قوله ﴿والله على كل شيء قدير﴾.

﴿إلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾: مصدر تقيته أي تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجري فيمن هو في بلد ليس قوياً فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾: يخوفكم ﴿اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: أن يغضب عليكم إن واليتموهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ٢٨: المرجع فيجازيكم ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾: تظهروه ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ﴾: هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٩: ومنه تعذيب من والاهم اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ ـه ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ ـه ﴿مِنْ سُوءٍ﴾: مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾: غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ

المؤمنين﴾ في محل الحال من الفاعل، أي حال كون المؤمنين متجاوزين بموالاتهم المؤمنين أي تاركين قصر الولاية عليهم، وذلك الترك يصدق بصورتين، كونها مشتركة بين الكفار والمؤمنين، أو مختصة بالكفار، فالصورتان داخلتان في منطوق النهي، وإنما الواجب على المؤمنين قصر الموالاة والمحبة على بعضهم.

قوله: ﴿فليس من الله﴾ الكلام على حذف مضاف، قدره المفسر بقوله دين وفيه حذف مضاف أيضاً أي من أهل دين الله، فالمعنى أنه كافر، وإذا اطلعنا عليه فلا نبقيه بل نقتله ويسمى زنديقاً ومنافقاً، واسم ليس ضمير يعود على من الشرطية. قوله: ﴿إلا أن تتقوا﴾ هذا استثناء مفرغ من عموم الأحوال، أي لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لشيء من الأشياء، ولا لغرض من الأغراض إلا للتقية ظاهراً بحيث يكون مواليه في الظاهر ومعاديه في الباطن. ومحصله أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم، إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه مطمئناً قلبه بالإيمان، فالتقية لا تكون إلا مع الخوف على النفس أو العرض. قوله: ﴿تقاة﴾ وزنه فعلة ويجمع على تقى كرطبة ورطب، وأصله وقية لأنه من الوقاية، فأبدلت الواو تاء والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقوله: من [تقيته] بفتح القاف بوزن رميته وهو بمعنى اتقيته. قوله: [دون القلب] أي فالموالاة به حرام إجماعاً. قوله: [وهذا] أي قوله إلا أن تتقوا. قوله: [ليس قوياً فيها] أي الإسلام ليس قوياً في تلك البلدة، كأن يجعل أمراء تلك البلدة الحكام من أهل الكفر، فالواجب مداراتهم ظاهراً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، كما وقع لرسول الله ﷺ أنه كان في داره يوماً، إذ أقبل عليه رجل فطرق الباب فقال من؟ فقال فلان فقال سراً: بئس أخو العشيرة، ثم لما خرج إليه أطلق له وجهه وصار يلاطفه بالقول، فلما انصرف قالت له عائشة: رأيت منك عجباً، سمعتك تقول قولاً ثم فعلت خلافه، فقال يا عائشة إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم.

قوله: ﴿ويحذركم﴾ الكاف مفعول أول، ونفسه مفعول ثان، وهو على حذف مضاف أشار له المفسر بقوله أن يغضب عليكم، والأصل غضبت نفسه، أي فإن واليتموهم غضب الله بجلاله عليكم. قوله: [فيجازيكم] أي إما بالثواب إن لم توالوهم أو بالعقاب إن واليتموهم. قوله: ﴿يعلمه الله﴾ أي فيرتب الجزاء على ذلك. قوله: ﴿يوم تجد﴾ ظرف لمحذوف أي اذكر. قوله: ﴿محضراً﴾ أي حاضراً ظاهراً تفرح به، وذلك كالصدقات والصيام والصلاة مثلاً. قوله: ﴿أمداً بعيداً﴾ أي مسافة طويلة فيتمنى أن لم يكن رآه، وقد ورد أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله الصالح في صورة حسنة، فيقول له طالما كنت أقلقك في الدنيا فاركب على ظهري الآن فيركبه إلى الحشر، وذلك قوله تعالى: ﴿ونحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ وإذا كان غير صالح وجد عمله السيء في صورة قبيحة، فيقول له طالما كنت تتمتع بي في الدنيا فأنا أركبك الآن، وذلك قوله تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ ولو شرطية، في الكلام حذفان أحدهما حذف مفعول تود، والثاني حذف جواب لو، والتقدير تود تباعد؟ ما بينها وبينه، لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً لسرت بذلك.

﴿نَفْسَهُ﴾: كرّر للتأكيد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ﴾ ٣٠. ونزل لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبا لله ليقربونا إليه ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾: بمعنى أنه يثيبكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٣١: به ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ٣٢: فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: إختار ﴿ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾:

قوله: ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ أي شديد الرحمة بهم، حيث قطع عذرهم بتبيين ذلك في زمن يسع التوبة والرجوع إليه فيه. ومن جملة رأفته كثرة التكرار والتأكيد في الكلام لعله يصل إلى قلوب السامعين فيعملوا بمقتضاه. قوله: [ونزل لما قالوا إلخ] وقيل سبب نزولها قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه. وقيل قول نصارى نجران ما عبدنا عيسى وأمه إلا محبة لله. وقيل سبب نزولها أن النبي دخل الكعبة فوجد الكفار يعلقون على الأصنام بيض النعام ويزخرفونها فقال لهم ما هذه ملة إبراهيم التي تدعونها، فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. قوله: ﴿قل﴾ [لهم يا محمد] أي رداً لمقالهم. قوله: ﴿فاتبعوني﴾ أي في جميع ما جئت به، والمعنى أن اتباع النبي فيما جاء به دليل على محبة الإنسان لربه، وهي ميل القلب نحوه وإيثار طاعته على هوى نفسه فيلزم من المحبة الطاعة، قال بعض العارفين:

لو قال تيها قف على جمر الغضا ... لوقفت ممتثلاً ولم أتوقف

وقال بعضهم:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فمن ادعى المحبة من غير طاعة فدعواه باطلة لا تقبل. قوله: [بمعنى أنه يثيبكم] أشار بذلك إلى أن معنى المحبة الأصلي محال في حقه تعالى، وأن المراد بمحبة الله للعبد قبوله والإثابة على أعماله. قوله: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ أي يمحها من الصحف، فالمحبوب لا يبقى عليه ذنب، والمبغوض لا تبقى له طاعة، قال بعض العارفين: واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضر مع الحب منك. قوله: ﴿رحيم به﴾ أي في الدنيا والآخرة. قوله: [من التوحيد] أي وغيره من شرائع الدين. قوله: [أعرضوا عن الطاعة] أي فلم يتبعوك فيما أمرت به. قوله: [فيه إقامة الظاهر] أي تبكيتاً لهم.

قوله: ﴿إن الله اصطفى آدم﴾ قال ابن عباس: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام والنبوة والرسالة، وأنتم يا معشر اليهود على غير دينهم، وعاش آدم في الأرض تسعمائة وستين سنة، وأما مدة إقامته في الجنة فلا تحسب. قوله: ﴿ونوحاً﴾ هذا لقبه، واسمه الأصلي عبد الغفار، وقيل السكن، ولقب بنوح لكثرة نوحه، وهو من نسل إدريس لأنه ابن لمك بن متوشلخ بن إدريس عليهم الصلاة والسلام، وعمر ألف سنة وخمسين، والمعنى اختياره بالنبوة والرسالة وجعله من أولي العزم. قوله: ﴿وآل إبراهيم﴾ أي اصطفاه بالنبوة والرسالة والخلة، وعمر إبراهيم مائة وسبعين سنة. قوله: ﴿وآل

---

* أسباب نزول الآية ٣١: قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد إنا لنحب ربنا، فأنزل الله ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ الآية.

بمعنى أنفسهما ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٣٣: بجعل الأنبياء من نسلهم ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ﴾: ولد ﴿بَعْضٍ﴾: منهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٣٤: اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾: حنة لما أسنت واشتاقت للولد فدعت الله وأحست بالحمل يا ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ﴾: أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: الدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾ ٣٥: بالنيات وهلك عمران وهي حامل ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاماً إذ لم يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾: معتذرة يا ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾: أي عالم ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾: جملة اعتراض من كلامه تعالى وفي قراءة بضم التاء ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾: الذي طلبت ﴿كَالْأُنْثَى﴾: التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعورتها

عمران﴾ قيل المراد عمران أبو مريم وهو الأقرب، وقيل أبو موسى وهارون، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة. قوله: [بمعنى أنفسهما] وقيل إنهما حقيقة، فآل إبراهيم أولاده، وآل عمران أبو مريم مريم وابنها، وأبو موسى موسى هارون. قوله: ﴿على العالمين﴾ المراد عالمو زمانهم.

قوله: ﴿ذرية﴾ بدل من آدم وما عطف عليه، وهي إما مأخوذة من الذر أو من الذرء بمعنى الخلق. قوله: ﴿بعضها من﴾ [ولد] ﴿بعض﴾ أي متناسلين من بعض، فالمراد البعضية في النسب، وقيل المراد بعضها من بعض في الصلاح والنبوة والرسالة، فكما أن الأصول أنبياء ورسل كذلك الذرية، بل في بعضها ما يفوق الأصول جميعها كسيدنا محمد ﷺ.

قوله: ﴿إذ قالت﴾ ظرف في محل نصب على المفعولية لمحذوف، قدره المفسر بقوله: [اذكر] والتقدير اذكر يا محمد وقت قول امرأة عمران، والمقصود ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت لا ذكر الوقت نفسه. قوله: [حنة] أي بنت فاقود، وكان لها أخت تسمى إشاع بنت فاقود أيضاً متزوجة بزكريا عليه السلام، وكان عمران من السادات الصالحين، وكان له التكلم على سدنة بيت المقدس، واسم أبيه ماثان. قوله: [واشتاقت للولد] سبب ذلك أنها كانت يوماً جالسة في ظل الشجرة، فرأت طائراً يطعم فرخه ويسقيه، فعطفت واشتاقت للولد من أجل رؤية ذلك الطائر، فدعت الله أن يرزقها ولداً ونذرت أن تهبه لبيت المقدس يخدمه، وكان ما من رجل من أشراف بيت المقدس إلا وله ولد منذور لخدمته، فاستجاب الله دعاءها فحملت، فلما أحست بالحمل جددت النذر ثانياً بقولها: ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾ فلامها زوجها على ذلك حيث أطلقت في نذرها ولم تقيده بالذكر، فبقيت في حيرة وكرب إلى أن وضعت، فلما وضعتها ورأتها أنثى اعتذرت إلى الله إلى آخر ما يأتي. قوله: [عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا] أي وكانوا يفعلون ذلك بالصبيان إلى أن يبلغوا الحلم، فإذا بلغوا عرضوا ذلك الأمر عليهم، فإن اختاروا الخدمة مكثوا وكلفوا بها ولا يخرجون لشيء من شواغل الدنيا، وإن اختاروا عدم الخدمة أجيبوا لذلك. قوله: [وهلك عمران وهي حامل] أي وحين نذرت ذلك النذر لامها فكربت ثم لما وضعتها الخ فهو مرتب محذوف. قوله: [جارية] حال من الهاء في ولدتها.

قوله: ﴿قالت﴾ [معتذرة] حال من فاعل قالت لا إعلاماً له تعالى فإنه لا يليق ذلك، فإنه عالم بها من قبل أن تعلم بها هي. قوله: ﴿أنثى﴾ حال من الضمير في وضعتها مؤكدة له، ويحتمل أن تكون مؤسسة بالنظر لعوده على النسمة الشاملة للذكر والأنثى. قوله: [جملة اعتراض] أي بين كلامي حنة تفخيماً وتعظيماً لشأن ذلك المولود. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية. قوله: [بضم التاء] أي ويكون ذلك من كلامها اعتذاراً. قوله: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ يحتمل أن يكون ذلك من كلام الله والمعنى ليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي أعطيتها لك، فإن ما وهبته لك أعظم مما طلبته

وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ٣٦ المطرود في الحديث ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها رواه الشيخان ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: أي قبل مريم من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أمها الأحبار سدنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا: لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، كما قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدوداً أو مقصوراً والفاعل الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾: الغرفة وهي أشرف

لنفسك، فالقصد تفخيم شأنها، ويحتمل أن يكون من كلام حنة ويكون في الكلام قلب، والمعنى ليست الأنثى التي وهبت لي الذكر الذي طلبته، فالذكر أعظم من حيث قوته على الخدمة وخلوه من القذارة كالحيض والنفاس، فيكون اعتذاراً واقعاً منها. قوله: [ونحوه] أي كالنفاس.

قوله: ﴿وإني سميتها﴾ معطوف على إني وضعتها أنثى، ويكون ما بينهما اعتراض على أنه من كلام الله، وأما على أنه من كلامها فتكون من جملة مقولها. قوله: ﴿مريم﴾ معناه بلغتهم العابدة خادمة الرب. قوله: ﴿وإني أعيذها﴾ أي أحصنها وأجيرها. قوله: [أولادها] أي ولم تلد إلا عيسى. قوله: ﴿الرجيم﴾ فعيل بمعنى مفعول أي مطرود كما قال المفسر، أو مرجوم بالشهب من السماء. قوله: [إلا مسه الشيطان] أي نخسه في جنبه وظاهره حتى الأنبياء وهو كذلك. إن قلت الأنبياء معصومون من الشيطان فلا سبيل له عليهم، أجيب بأنهم معصومون من وسوسته وإغوائه لا من نخسه في أجسامهم، فإن ذلك لا يقدح في عصمتهم منه. إن قلت إن موضوع الآية أن دعوة أم مريم كانت بعد وضعها وتسميتها، فلم تنفع مريم من نخس الشيطان، وإنما نفعت ولدها فقط، فلم تحصل مطابقة بين الآية والحديث إلا أن يقال إن حفظهما من نخس الشيطان كان واقعاً، وإن لم تدع حنة فدعوتها طابقت ما أراده الله بهما، ومع ذلك فالمناسب للمفسر أن لا يأتي بالحديث تفسيراً للآية، وقد ورد أن الشيطان نخسهما أيضاً إلا أنه صادف الغشاء.

قوله: ﴿فتقبلها﴾ أي رضي بها خادمة لبيت المقدس، وخلصها من دنس الأطفال والنساء. قوله: ﴿بقبول﴾ يحتمل أن الباء زائدة أي قبولاً، ويكون منصوباً على المصدر المحذوف الزوائد، وإلا لقيل تقبلاً أو تقبيلاً، ويحتمل أنها أصلية، والمراد بالقبول اسم لما يقبل به الشيء كالوجور والسعوط. قوله: [كما ينبت المولود في العام] أي في العقل والمعرفة، وإلا فالكلام من قبيل المبالغة. قوله: [سدنة بيت المقدس] أي خدمته. قوله: [هذه النذيرة] أي المنذورة.

قوله: [لأنها بنت إمامهم] أي رئيسهم واميرهم. قوله: [لأن خالتها عندي] أورد أنهم قالوا لو كانت القرابة مقتضية لأخذها لكانت أمها أولى. قوله: [إلى نهر الأردن] أي وهو نهر يجري إلى الآن. قوله: [وألقوا أقلامهم] قيل سهامهم، وقيل التي كانوا يكتبون بها التوراة، وقيل أقلامهم من حديد. قوله: [وصعد] أي على وجه الماء، أي ومن غرق قلمه أو ذهب مع الماء فلا حق له فيها. قوله: [بأكلها] بضم الهمزة فيه وفيما بعده بمعنى الشيء المأكول والمشروب والذي يدهن به.

قوله: [ممدوداً أو مقصوراً] راجع لقراءة التشديد لا غير، وأما التخفيف فليس فيه إلا المد مع رفعه على الفاعلية.

قوله: [والفاعل الله] أي بالنسبة للتشديد.

المجالس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى﴾: من أين ﴿لَكِ هَذَا قَالَتْ﴾: وهي صغيرة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾٣٧: رزقاً واسعاً بلا تبعة ﴿هُنَالِكَ﴾: أي لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾: لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: ولداً صالحاً ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾: مجيب ﴿الدُّعَاءِ﴾٣٨ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي جبريل ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾: أي المسجد ﴿أَنَّ﴾: أي بأن وفي قراءة بالكسر بتقدير القول ﴿اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾: مثقلاً ومخففاً ﴿بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ﴾: كائنة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾: أي بعيسى أنه روح الله وسمي كلمة لأنه خلق بكلمة كن.

قوله: ﴿كلما دخل عليها زكريا﴾ أي في أي وقت دخل عليها فيه وجد إلخ، وزكريا بالمد والقصر قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿المحراب﴾ هو اسم لكل محل من محال العبادة فسميت الغرفة بذلك لأنها في المسجد وهو محل العبادة. قوله: ﴿وجد عندها﴾ حال من زكريا، التقدير قائلاً. قوله: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ حال كونه واجداً عندها رزقاً يا مريم إلخ، ورزقاً مفعول لقوله وجد. ووجد بمعنى أصاب. قوله: [وهي صغيرة] أي فهي ممن جملة من تكلم في المهد. قوله: [بلا تبعة] أي حق عليه، فليس أعطاؤه الرزق لحق العباد، بل هو من محض فضله وجوده.

قوله: ﴿هنالك﴾ أصلها ظرف مكان لكن استعملت هنا ظرف زمان، ويحتمل أن تكون ظرف مكان معنوي، والمعنى عند تلك الواقعة دعا زكريا الخ وهو كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في أثناء قصة مريم لما بينهما من قوة الارتباط لأن فضل بعض الأقارب يدل على فضل الآخر وهو محكمة قوله تعالى: ﴿ذرية بعضها من بعض﴾. قوله: [لما رأى ذلك زكريا] أي ما تقدم من قصة حنة حيث دعت الله أن يرزقها بولد مع يأسها وكبر سنها، فأجابها الله مع كونها لم تكن نبية، وأعطاها مريم وجعلها أفضل من الذكور، وصار يأتيها رزقها من الجنة، وأكرمها إكراماً عظيماً، فكان ذلك الأمر العجيب باعثاً له على طلب الولد. قوله: [وعلم] أي تنبه واستحضر عند مشاهدة تلك الخوارق للعادة على حد: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ فشهود الكرامات تزيد في اليقين والكامل يقبل الكمال. قوله: [على الكبر] أي منه ومن زوجته، قيل كان وقت الدعاء عمره ثمانون سنة، وعمرها ثمان وخمسون، وبين الدعاء والإجابة أربعون سنة. قوله: [وكان أهل بيته] أي أقاربه. قوله: [لما دخل المحراب] أي المسجد.

قوله: ﴿ذرية﴾ الذرية تطلق على المفرد والجمع، فلذا قال المفسر ولداً صالحاً. قوله: ﴿إنك سميع﴾ ليس المراد به الاسم بل المراد المجيب أي سميع سماع إجابة كما قال المفسر. قوله: ﴿فنادته الملائكة﴾ أي بعد مضي أربعين سنة من دعوته. قوله: [أي جبريل] أي فهو من تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له. قوله: ﴿وهو قائم﴾ جملة حالية من الهاء في نادته، وجملة يصلي إما خبر ثان أو حال ثانية أو صفة لقائم، وقوله: ﴿في المحراب﴾ متعلق بيصلي أو بقائم. قوله: [أي بأن] أي فهو بدل من نادته. قوله: [بتقدير القول] أي استئناف تقديره قائلين إن الله يبشرك الخ. قوله: [مثقلاً ومخففاً] أي فهما قراءتان سبعيتان مع فتح همزة إن وكسرها فهما أربع، فالمثقل بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين المشددة، والمخفف بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين المخففة.

قوله: ﴿بيحيى﴾ قيل إنه منقول من الفعل فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويكون عربياً، وسمي بذلك لأنه يحيي القلوب الميتة، وقيل أعجمي فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية والعجمة، ويجمع في حالة الرفع على يحيون، وفي حالة النصب على يحيين، وتثنيته في حالة الرفع يحيان، وفي النصب والجر يحيين. قوله:

﴿وَسَيِّدًا﴾: متبوعاً ﴿وَحَصُورًا﴾: ممنوعاً من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٣٩: رُوي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها ﴿قَالَ﴾: رب ﴿أَنَّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾: أي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: بلغت ثمانية وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾: من خلق الله غلاماً منكما ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٠: لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾: عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾: أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: أي بلياليها ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إشارة

﴿مصدقاً﴾ هو وما بعده أحوال من يحيى. قوله: [إنه روح الله] أي سر نشأ من الله. قوله: [لأنه خلقه بكلمة كن] وقيل لأن الكلمة التي قالها له الله وهي كذلك الله يخلق ما يشاء، وقيل لأن الكلمة التي قالها الله لجبريل حيث أمره بالنفخ في جيبها. قوله: [متبوعاً] أي ما يقتدى به قيل إنه أعطي النبوة من حين الولادة. قوله: [ممنوعاً من النساء] أي اختياراً لشغله بربه وهذا هو المراد بالحصور هنا، وإلا فمعناه الممنوع من النساء مطلقاً سواء كان اضطراراً أو اختياراً.

قوله: ﴿ونبياً من الصالحين﴾ أي من كبار المرسلين القائمين بحقوقك وحقوق عبادك. قوله: [روي أنه لم يعمل خطيئة الخ] هذا لا يخصه بل كذلك غيره من الأنبياء. قوله: ﴿أنى يكون﴾ تستعمل أنى شرطية كقول الشاعر:

فأصبحت أنى تأتها تستجر بها ... تجد حطباً جزلا وناراً تأججا

وتستعمل اسم استفهام كما هنا فلذا فسرها بكيف ويكون ناقصة وغلام اسمها وخبرها أنى، التقدير رب يكون لي غلام على أي حالة، فالاستفهام من أحوال الغلام لا عن ذاته. قوله: ﴿وقد بلغني الكبر﴾ هنا أسند البلوغ للكبر، وفيما يأتي في سورة مريم أسنده لنفسه، وكلاهما صحيح لأن البلوغ من الطرفين، والجملة حالية وكذا ما بعدها. قوله: [أي بلغت نهاية السن] أي بالنسبة لأهل زماني فلا ينافي أن المتقدمين كان الواحد منهم يعمر الألف.

قوله: ﴿كذلك﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: [الأمر] وقوله من خلق غلام بيان لمرجع اسم الإشارة، والكاف في كذلك يحتمل أن تكون صلة، والمعنى قال الله الأمر ذلك، واسم الإشارة راجع إلى خلق الولد، ويحتمل أن تكون أصلية، والمعنى قال الله الأمر كذلك أي كما قلت لا تغيير فيه ولا تبديل، فاسم الإشارة راجع إلى القول. قوله: [ألهمه السؤال] أي بقوله أنى يكون لي غلام. قوله: [ليجاب بها] علة للإلهام وقوله [لإظهار] علة لقوله: [ليجاب] فهو علة مقدمة على معلولها. إن قلت: ما الحكمة في قوله في قصة زكريا الله يفعل ما يشاء، وفي قصة مريم الله يخلق ما يشاء؟ قلت: الحكمة أن خرق العادة في عيسى أعظم من يحيى، فإن عيسى لم يكن له أب مع كون أمه عذراء، وأما يحيى فأبواه موجودان وإن كان هناك مانع من الحمل، فعبّر في جانب عيسى بالخلق الذي هو إنشاء واختراع دون الفعل. قوله: [ولما تاقت نفسه] أي اشتاقت.

قوله: ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي لأزداد بها شكراً على ما أعطيتني وسروراً به. قوله: [وعلامة على حمل امرأتي] أي فإن الحمل في مبدئه خفي فطلب علامة على ظهور علوقها به. قوله: ﴿أن لا تكلم الناس﴾ أي يأتيك مانع من الله يمنعك من الكلام بغير ذكر الله. قوله: [أي بلياليها] أخذ ذلك مما يأتي في سورة مريم جمعاً بين الموضعين والقصتين، ومن ذلك اختار بعض أكابر الصوفية أن الخلوة مع الرياضة لبلوغ المراد ثلاثة أيام بلياليها، يجعل ذكر الله فيها شعاره ودثاره ولا يتكلم فيها. قوله: ﴿إلا رمزاً﴾ استثناء منقطع على التحقيق، لأن الرمز لا يقال له كلام اصطلاحاً

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ﴾: صلِّ ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَارِ﴾ ٤١: أواخر النهار وأوائله ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أي جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ﴾: اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: من مسيس الرجال ﴿وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ٤٢: أي أهل زمانك ﴿يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾: أطيعيه ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾ ٤٣: أي صلي مع المصلين ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾: في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾: يربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ٤٤: في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي، اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أي جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾: أي ولد ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ

وإن كان كلاماً لغة، لكن ليس مراداً هنا. قوله: [إشارة] أي وكانت بسبابته اليمنى. قوله: [اواخر النهار] راجع للعشي وقوله: [واوائله] راجع للابكار فهو لف ونشر مرتب، وخص هذين الوقتين لفرضية الصلاة عليه فيهما.

قوله: ﴿وإذ قالت الملائكة﴾ عطف على قوله إذ قالت امرأة عمران، والمناسبة بينهما ظاهرة، فإن تلك قصة الأم وهذه قصة البنت، وأما قصة زكريا فذكرت بينهما لأن رؤية العجائب في الأولى هي الحاملة لزكريا على طلب الولد. قوله: [أي جبريل] أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له. قوله: ﴿يا مريم﴾ الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي، الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم على الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس: فكأن الله يقول لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. قوله: [من مسيس الرجال] أي ومن الحيض والنفاس وكل قذر. قوله: [أي أهل زمانك] أشار بذلك إلى أن العالمين عام مخصوص بما عدا خديجة وفاطمة وعائشة، وهذه طريقة مرجوحة، والحق أن مريم افضل النساء على الاطلاق ثم فاطمة ثم خديجة ثم عائشة، قال بعضهم في ذلك:

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة   خديجة ثم من قد برأ الله

وبالجملة فأفضل النساء خمسة: مريم وخديجة وفاطمة وعائشة وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون وهي زوجة النبي ﷺ في الجنة وكذلك مريم. قوله: ﴿يا مريم اقنتي﴾ تكرار الخطاب باسمها يفيد ما قلنا أولاً من أنه أشار لرد ما قيل إنها زوجته. قوله: ﴿واسجدي واركعي﴾ قدم السجود لشرفه والواو لا تقتضي ترتيباً إن كانت صلاتهم كصلاتنا من تقديم الركوع على السجود، وإن كانت بالعكس فالأمر ظاهر. قوله: ﴿مع الراكعين﴾ لم يقل مع الراكعات، إما لدخول جمع المؤنث في المذكر بالتغليب، أو المعنى صلي كصلاة الرجال من حيث الخشية وعلو الهمة، لا كصلاة النساء من حيث التفريط وعدم الخشية. قوله: ﴿نوحيه﴾ أي المذكور فالضمير عائد على اسم الإشارة لأفراده. قوله: ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ أي وقت القائهم أقلامهم. قوله: ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ هذا بمعنى ما قبله، والمعنى يختصمون قبل القاء الاقلام. قوله: [فتعرف ذلك الخ] مسبب عن النفي أي ما كنت حاضراً حتى تعرف ذلك وتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي لا من جهة غيره، لأن بلده ليست بلد علم، ولم يجلس بين يدي معلم، ولم يقرأ كتاباً، ولم يكن هو ولا أحد من اجداده حاضراً وقت حصول تلك الوقائع، فتعين أن يكون ذلك بوحي من الله. قال العارف:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم

قوله: ﴿إذ قالت الملائكة﴾ قدر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف، وهذا شروع في ذكر قصة عيسى وما فيها من العجائب. قوله: [أي جبريل] أي فهو من باب تسمية الخاص باسم العام. قوله: ﴿يبشرك﴾ البشارة

مَرْيَمَ﴾: خاطبها بنسبته إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاه ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: بالنبوة ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾: بالشفاعة والدرجات العلا ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ٤٥: عند الله ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾: أي طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٤٦ قَالَتْ: رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: بتزوج ولا غيره ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾: من خلق ولد منك بلا أب ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٤٧: أي فهو يكون ﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾: بالنون والياء ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾:

هي الخبر السار وضدها النذارة وهي الخبر الضار. قوله: ﴿بكلمة منه﴾ أي الله. قوله: [أي ولد] أي مولود وعبّر عنه بالكلمة لأنه يقول كن من غير واسطة مادة، واتفق أن نصرانياً قدم على الرشيد فوجد عنده الحسن بن علي الواقدي، فقال النصراني للخليفة والعالم: إن في كلام الله آية تدل على أن عيسى جزء من الله، فقال له: وما تلك الآية؟ فقال النصراني: ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ فمن للتبعيض، فمقتضى ذلك أنه جزء منه، فقال الشيخ: إذا كانت من للتبعيض هنا فكذلك هي في قوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ إذ لا فرق بينهما، فبهت النصراني وأسلم، وأغدق الخليفة على الشيخ أغداقاً عظيماً وكان يوماً مشهوداً، وإنما من للابتداء على حد إن الله خلق نور نبيك من نوره، والمعنى خلقه بلا واسطة مادة. واعلم أن تلك البشارة تضمنت خمسة عشر وصفاً.

قوله: ﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ ظاهره أن هذه الأشياء كلها جعلت اسماً واحداً له، مع أن المسيح لقبه وابن مريم كنيته، وإنما الإسم عيسى فقط، ويجاب بأنه لما كان لا يتميز إلا بهذه الأشياء كلها جعلت اسماً واحداً، والمسيح فعيل إما بمعنى فاعل لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برىء، أو لأنه كان يمسح الأرض في الزمن القليل لهداية الخلق، أو مفعول لأنه ممسوح بالبركة أو ممسوح القدم بمعنى أنها لا أخمص لها، وأما الدجال فيلقب بالمسيح إما لأنه يمسح الأرض في الزمن القليل لإضلال الناس، أو لأنه ممسوح العين، فهو من تسمية الأضداد ومن الأسماء المشتركة، وعيسى من العيس وهو البياض المشرب بحمرة لأن لونه كان كذلك. قوله: [إذ عادة الرجال] أي والنساء.

قوله: ﴿وجيهاً﴾ حال من المسيح. قوله: [ذا جاه] أي عز وسؤدد. قوله: [بالنبوة] أي والمعجزات الباهرة والحكمة التي لا تضاهى. قوله: [والدرجات العلا] أي من حيث إنه من أولي العزم. قوله: [عند الله] عندية مكانة لا مكان أي قرب ومنزلة. قوله: ﴿في المهد﴾ أي زمنه والمهد فراش الصبي زمن طفوليته، وورد أنه كان تكلم حين ولادته كما قص الله في سورة مريم. قوله: [قبل وقت الكلام] أي وانقطع إلى وقته المعتاد، وكان يحدث أمه وهو في بطنها، فإذا اشتغلت أمه بكلام إنسان اشتغل هو بالتسبيح. قوله: ﴿وكهلاً﴾ أي بين الثلاثين والأربعين، والمقصود بشارة أمه بطول عمره لا كون كلامه حينئذ خرق عادة. قوله: ﴿ومن الصالحين﴾ أي الكاملين في الصلاح وهم سادات الرسل، قال في الصالحين للكمال. قوله: [بتزوج ولا غيره] أي كالزنا وقد صرح به في سورة مريم بقوله: ﴿ولم أك بغياً﴾ وهذا إستفهام عن الحالة التي يأتي عليها ذلك الولد، وإنما استفهمت عن ذلك لأنها جازمة أنها منذورة لخدمة بيت المقدس وأنها مقبولة، وكانت عاداتهم أن المنذور لا يتزوج، فهذا هو حكمة استعظامها ذلك.

قوله: ﴿كذلك﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: الأمر، والكاف يحتمل زيادتها والأصل الأمر ذلك ويحتمل أصالتها، وقد تقدم ذلك. قوله: ﴿إذا قضى أمراً﴾ القضاء هو تعلق ارادة الله بالأشياء أزلاً. قوله: [أراد خلقه] أي تعلقت إرادته بخلقه تعلقاً تنجيزياً قديماً. قوله: [أي فهو يكون] أشار بذلك إلى أن جملة يكون خبر لمحذوف. قوله: [بالنون والياء] أي قراءتان سبعيتان، فعلى الياء الأمر ظاهر، وعلى النون فهو التفات من الغيبة للخطاب. قوله: [الخط]

الخطَّ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ ٤٨ وَ﴾: نجعله ﴿رَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿أَنِّي﴾: أي بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾: علامة على صدقي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هي ﴿أَنِّي﴾: وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿أَخْلُقُ﴾: أصوّر ﴿لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ﴾: مثل صورته فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾: الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْراً﴾: وفي قراءة طائراً ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادته فخلق لهم الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُبْرِئُ﴾: أشفي ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾: الذي ولد أعمى ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾: وخصا بالذكر لأنهما داءا إعياء، وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفاً بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: كرره لنفي توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقاً له وابن

ورد أنه كان حسن الخط جداً، وكان يعلّمه للصغار في المكتب. قوله: ﴿والحكمة﴾ أي النبوة. قوله: ﴿والتوراة﴾ إن قلت إنها كتاب موسى. أجيب بأنه كان يحفظها ويتعبد بها إلا ما نسخ منها في الإنجيل. قوله: ﴿ورسولاً﴾ معمول بمحذوف قدره المفسر بقوله: [نجعله] لأنه المناسب له. قوله: [في الصبا] أي وهو ابن ثلاث سنين، وقوله: [أو بعد البلوغ] أي وهو ابن ثلاثين سنة، وكلا القولين ضعيف، والمعتمد أنه نبىء على رأس الأربعين، وعاش نبياً ورسولاً ثمانين سنة، فلم يرفع إلا وهو ابن مائة وعشرين سنة. قوله: [فنفخ جبريل في جيب درعها] أي وكان عمرها إذ ذاك قيل عشر سنين، وقيل ثلاث عشرة، وقيل ست عشرة سنة. قوله: [ما ذكر في سورة مريم] أي في قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ الآيات، واختلف في مدة حملها، فقيل تسعة أشهر، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ساعة واحدة وهو المشهور.

قوله: ﴿أني قد جئتكم﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فلما بعثه الله الخ، وهو إشارة لقصة رسالته بعد أن ذكر قصة بشارته وحمله وولادته. قوله: [اصور] دفع بذلك ما يقال إن الخلق هو الإيجاد بعد العدم وهو مخصوص بالله تعالى، فأجاب بأن معنى الخلق التصوير. قوله: [مفعول] أي لأخلق. قوله: [الضمير للكاف] ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغايرة بين ما هنا وبين ما يأتي في آخر المائدة أن المتكلم هنا عيسى وهناك الله. قوله: [وفي قراءة طائراً] أي بالإفراد وأما الأولى فهو اسم جمع وهما سبعيتان. قوله: [الخفاش] أي الوطواط. وقوله: [لأنه أكمل الطير خلقاً] أي لأن له اسناناً وثدياً، ويحيض كالنساء ويطير من غير ريش، ولا يبصر إلا في ساعة بعد المغرب وبعد الصبح، وما بقي من الزمن هو فيه أعمى. قوله: [سقط ميتاً] أي ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق. قوله: [الذي ولد اعمى] أي ممسوح العين أم لا وإبراؤه للطارىء أولوي.

قوله: ﴿والأبرص﴾ هو من به داء البرص وهو داء عظيم يشبه البهق إذا نخس نزل منه ماء. قوله: [لأنهما داءا إعياء] أي أعييا الأطباء الذين كانوا في زمنه، فإن معجزة كل نبي على شكل أهل زمانه، كموسى فإنه بعث في زمن كثرت فيه السحرة فأعياهم بالعصا واليد البيضاء، وسيدنا محمد فإنه بعث في زمن العرب البلغاء فأعياهم بالقرآن. قوله: [بشرط الإيمان] أي بالقلب واللسان، فإن آمن بلسانه فقط لم يشف. قوله: [لنفي توهم الألوهية فيه] أي في عيسى بهذا الوصف الذي لم يشارك الله فيه أحد صورة، فقوله: ﴿بإذن الله﴾ رد عليهم، فالمعنى لو كان دليلاً على ألوهيته لكان بإذنه. قوله: [عازر] بفتح الزاي. وقوله: [صديقاً له] أي عيسى وكان قد تمرض، فأرسلت أخته لعيسى فأخبرته بمرضه وكان على مسافة ثلاثة أيام، فجاء فوجده قد مات ودفن، فذهب مع أخته إلى قبره فدعا بالإسم الأعظم فأحيي وعاش

العَجوز وابْنَة العاشر فعاشوا ووُلد لهم وسامَ بن نُوحٍ ومات في الحال ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾: تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾: مما لم أعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٤٩ وَ﴾: جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: فيها فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له وقيل: أحل الجميع فبعض بمعنى كل ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: كرره تأكيداً وليبني عليه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠﴾: فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾: الذي آمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ ٥١﴾: فكذبوه ولم يؤمنوا به ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾: علم ﴿عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾: وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي﴾: أعواني ذاهباً ﴿إِلَى

إلى أن وُلِد له. قوله: [وابن العجوز] أي وأحياه قبل دفنه حين مر به على عيسى وهو على أعناق الرجال، فدعا الله فجلس ولبس ثيابه وأتى أهله، وقوله: [وابنة العاشر] أي الذي كان يأخذ العشر من الناس، وقوله: [وسام بن نوح] أي وكان قد مات من نحو أربعة آلاف سنة، فدعا الله فأحياه فقام وقد شاب نصف رأسه، ثم قال له مت بإذن الله فقال نعم لكن لا أذوق حرارة الموت ثانياً فقال له كذلك.

قوله: ﴿وأنبئكم بما تأكلون﴾ ورد أنه كان يخبر الصبيان الذين يعلمهم الخط بما في بيوت إبائهم من المدخرات، فيذهب الأولاد ويخبرون آباءهم بذلك، ثم إنهم تجمعوا وحبسوا أولادهم عنه فجاء إليهم وسأل عنهم فأنكروهم، فقال لهم من الذين خلف الأبواب فقالوا هم خنازير، فقال كذلك إن شاء الله ففتحوا عليهم فوجدوهم كذلك، فكربوا وتجمعوا على قتله فحملته أمه على حمار لها وجاءت به مصر، فإن قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق؟ أجيب بأن المنجم والكاهن لا بد لكل واحد من مقدمات يرجع إليها ويعتمد عليها في أخباره، فالمنجم يستعين بواسطة الكواكب والكاهن يستعين بخبر من الجن، وقد يخطئان كثيراً، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فبواسطة الوحي السماوي، وهو من عند الله لا بواسطة حساب ولا غيره فتأمل.

قوله: ﴿إن في ذلك لآية لكم﴾ هذه الجملة يحتمل أن تكون من كلام عيسى أو من كلام الله، وقوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ جوابه محذوف أي انتفعتم بهذه الآية. قوله: ﴿ومصدقاً﴾ حال معطوفة على حال مقدرة، وهي متعلق قوله بآية التقدير جئتكم حال كوني متلبساً بآية وحال كوني مصدقاً، ويشعر بذلك تقدير المفسر قوله جئتكم وليس معطوفاً على وجيهاً لأن وجيهاً من جملة المبشر به وهو من كلام الله، وأما قوله مصدقاً فهو من كلام عيسى. قوله: [قبلي] ﴿من التوراة﴾ أي وهو كتاب موسى، وكان بينه وبين عيسى ألف سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة، وأول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى. قوله: ﴿ولأحل لكم﴾ معمول لمحذوف تقديره وجئتكم لأجل التحليل، ولا يصح عطفه على مصدقاً لأن ذاك حال وذا تعليل ﴿قوله بعض الذي حرم عليكم﴾ أي بسبب ظلمكم كذي الظفر وشحوم البقر والغنم. قوله: [ما لا صيصية له] أي شوكة يؤذي بها، وأما ما له صيصية فهو باق على حله لم يحرم. قوله: [فبعض بمعنى كل] استشكل بأنه يلزم عليه تحليل كالزنا والقتل. وأجيب بأن المراد جميع ما طرأ تحريمه من أجل التشديد، لا ما كان محرماً بالأصالة. قوله: [وليبني عليه] ﴿فاتقوا الله﴾ أي فحيث أمرتكم بما ذكر من ظهور الآيات فاتقوا الله الخ. قوله: [وطاعته] معطوف على توحيد الله من عطف العام على الخاص.

قوله: ﴿الله ربي وربكم﴾ هذا رد لدعواهم بنوته لله، وإلا لقال إن الله أبي. ﴿قوله طريق مستقيم﴾ أي دين قيم من تمسك به فقد نجا ومن حاد عنه وقع في الردي. قوله: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أحس يتعدى بنفسه وبحرف

ٱللَّهِ﴾: لأنصر دينه ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور، وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿آمَنَّا﴾: صدقنا ﴿بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾: يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ٥٢ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾: من الإنجيل ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾: عيسى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾ ٥٣: لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا﴾: أي كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾: بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه

الجر، والإحساس الإدراك بأحد الحواس الخمس: السمع والبصر والذوق واللمس والشم، والمعنى أدركه منهم عناداً بعد ظهور تلك الآيات البينات.

قوله: ﴿قال من أنصاري﴾ أي من ينصرني. وقوله: ﴿إلى الله﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الياء في أنصاري، قدره المفسر بقوله ذاهباً. قوله: [أعوان دينه] أي أهل دينه فنصرة الدين كناية عن نصرة أهله. قوله: [وكانوا اثني عشر] أي وكان لهم كبيران اسمهما شمعون ويعقوب. قوله: [وهو البياض الخالص] أي لبياض قلوبهم وثيابهم فأعطاهم الله بياض بواطنهم وظواهرهم. قوله: [وقيل كانوا قصارين] وقيل لأنهم حوروا النبي بمعنى نصروه، وقيل كانوا صيادين للسمك، وقيل كانوا صباغين، وقيل كانوا ملوكاً، ورد أن عيسى مر على هؤلاء وهم يصطادون السمك، فقال لهم: اذهبوا بنا لنصطاد الخلق، فقالوا كيف ذلك؟ فقال ندلهم على عبادة الله، فقالوا له: ومن أنت؟ فقال: روح الله، فقالوا له: وما آيتك على ذلك؟ وكانوا طول نهارهم يطرحون الشبك لا يخرج لهم شيء من السمك، فأمر أن يطرح الشبكة واحد منهم ففعل، فخرج لهم سمك ملأ مركبين، فآمنوا به وساروا بسيره، وقيل إن شمعون كان ملكاً، فرأى عيسى ذات يوم يأكل من إناء هو والناس ولا يفرغ ذلك الطعام، فآمن به ونزل عن ملكه وتبعه أقاربه، وقيل كان في صغره عند صباغ، فأمره بصبغ ثياب متعددة ألواناً متغايرة وذهب لحاجة، فوضع تلك الثياب في دن واحد وقال أيتها الثياب كوني كما أريد، فجاء الصباغ وسأله عن الثياب فقال ها هي في هذا الدن، فحزن حزناً عظيماً فأخرجها من الدن فوجدها كما أمره الصباغ فآمن به هو وأقاربه، وقيل إن الاثني عشر كانوا لا صنعة لهم حين آمنوا بعيسى وكانوا سياحين معه، وكانوا كلما جاعوا شكوا لعيسى فينزل لهم كل واحد رغيفان، وكلما ظمئوا شكوا له فتنبع لهم عين في أي محل كانوا فيه، فقال لهم يوماً هناك من هو أفضل منكم، فقالوا من؟ فقال الذين يأكلون من كسب أيديهم، فاستعملوا قصارة الثياب، وقد يجمع بين الروايات المختلفة بأن بعض الاثني عشر كان من الملوك، وبعضهم من الصيادين، وبعضهم من القصارين، وبعضهم من الصباغين. قوله: ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أي الموحدين مطلقاً أو الذين فضلتهم بالشهادة وهم محمد وأمته، لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب.

قوله: ﴿ومكروا﴾ المكر هو الخديعة وإظهار خلاف ما يبطن. قوله: [غيلة] هي بكسر الغين المعجمة وسكون الياء التحتية، أي يخدع الرجل فيذهب به إلى موضع لا يراه أحد به ويقتله.

قوله: ﴿ومكر الله﴾ أي جازاهم على مكرهم، فحيث أضمروا على أخذ عيسى من حيث لا يحتسب، جازاهم على ذلك وأخذهم من حيث لم يحتسبوا. قوله: [بأن ألقى شبه عيسى الخ] حاصل ذلك أنهم لما تجمعوا على قتله، جاءه جبريل فوجده في مكان في سقفه فرجة فرفعه من تلك الفرجة إلى السماء، وأمر ملك اليهود رجلاً اسمه ططيانوس أن يدخل على عيسى فيقتله، فلما دخل فلم يجده خرج وقد ألقى الله شبه عيسى عليه، فلما رأوه ظنوه عيسى فقتلوه، وفتشوا على عيسى فلم يجدوه، ثم قالوا إذا كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإذا كان صاحبنا فأين عيسى، فوقع بينهم قتال عظيم.

ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾٥٤: أعلمهم به، اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: قابضك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾: مبعدك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾: صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾٥٥: من أمر الدين ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي ٱلدُّنْيَا﴾: بالقتل والسبي والجزية ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾: بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ مِن نَّاصِرِينَ﴾٥٦: مانعين منه ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾: بالياء والنون ﴿أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾٥٧: أي يعاقبهم، رُوي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها: إن

قوله: ﴿والله خير الماكرين﴾ أي أقواهم مكراً بحيث يقدر على إيصال الضرر لهم من حيث لم يحتسبوا كما أضمروا ذلك لعيسى، ولا يقال لله ماكر أو مكار إلا مشاكلة ويؤول بما علمت لأن أصل المكر يستعمل في المحتال لأخذ صاحبه لعجزه عنه وهو مستحيل على الله. قوله: [اذكر] ﴿إذ قال الله﴾ أشار بذلك إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف، والمعنى أن اليهود لما تجمعوا على قتله وتحيلوا على أخذه جعل الله كيدهم في نحورهم، وقال الله يا عيسى الخ فهو من تفصيل قوله ومكر الله. قوله: ﴿إني متوفيك﴾ إختلف في التوفي فقيل معناه مبلغك الأمل بأن تبلغ عمرك بتمامه ولا تموت بقتل أحد بل من الله، وقيل معناه بالنوم أي فرفع إلى السماء وهو نائم فلم يحصل له انزعاج، وقيل معناه مميتك قابض لروحك لا يقال أنه يقتضي أنه يموت قبل الرفع إلى السماء لأنه يقال إن الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً فالكلام على التقديم والتأخير، والمعنى أني رافعك إلي ومتوفيك بعد ذلك، والمقصود بشارته بنجاته من اليهود ورفعه إلى السماء، واعلم أن الأنبياء الذين أمروا بالقتال معصومون من القتل فلا خصوصية لعيسى، وأما من لم يؤمر به فلا مانع من كون الكفار يقتلونه لأنه مأمور بالصبر، وذلك كما وقع لزكريا حين نشروه بالشجرة. قوله: [قابضك] ﴿ورافعك﴾ أشار بذلك إلى أن عطف ورافعك على متوفيك للتفسير وهو تقرير آخر غير ما تقدم. قوله: ﴿ورافعك إلي﴾ أي إلى كرامتي وأهل قربي. وقوله: [من الدنيا] أراد بها الأرض.

قوله: ﴿وجاعل الذين اتبعوك﴾ أي أحبوك وانتسبوا لك، فإن صدقوا بمحمد أيضاً وأحبوه أو ماتوا قبل بعثته فقد تم لهم العز دنيا وأخرى، وإن لم يصدقوا بمحمد ولم يحبوه فقد حازوا على الدنيا. ﴿وما لهم في الآخرة من خلاق﴾ فالنصارى لهم عز في الدنيا وسلطنة على اليهود إلى يوم القيامة. قوله: [وهم اليهود] أي فهو عز على خصوص اليهود لا مطلقاً ما داموا كفاراً، وذلك أنه لما رفع الله عيسى افترق أصحابه ثلاث فرق، فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية، وقالت أخرى كان فينا ابن الله ثم رفعه إليه وهم النسطورية، وقالت أخرى كان فينا عبد الله ورسوله ثم رفعه الله إليه وهذه الفرقة هم المسلمون، فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم، فلم يزل الإسلام منطمساً إلى أن بعث محمد. قوله: [يعلونهم بالحجة] أي يغلبونهم بالأدلة. قوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ أي طائفة بعد طائفة. قوله: ﴿ثم إلي مرجعكم﴾ خطاب لجميع المخلوقات.

قوله: ﴿فأما الذين كفروا﴾ تفصيل لما يؤول أمر الناس إليه في الآخرة. قوله: [بالقتل والسبي] أي مع الذل والهوان. قوله: [مانعين منه] أي من العذاب. قوله: [بالياء والنون] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [فتعلقت به أمه] أعلم أنه بعد رفعه بسبعة أيام قال الله له اهبط إلى مريم، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها، ولم يحزن عليك أحد حزنها، ثم لتجمعن الحواريين فبثهم في الأرض دعاة إلى الله، فأهبطه الله عز وجل، فاجتمعت له الحواريون فبثهم في الأرض، فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليه، إذا علمت ذلك، فقوله: [تعلقت به أمه] محمول

القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين، وروى الشيخان حديث «أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية» وفي حديث مسلم «أنه يمكث سبع سنين» وفي حديث عند أبي داود الطيالسي «أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه» فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده ﴿ذلك﴾: المذكور من أمر عيسى ﴿نتلوه﴾ نقصه

على هذا الصعود الثاني، وإلا فالأول لم تعلم به هي ولا أصحابه. قوله: **[وبكت]** أي على فراقه. قوله: **[وكان ذلك ليلة القدر]** إن قلت إن ليلة القدر من خصائص هذه الأمة، أجيب بأن الذي خصائص هذه الأمة فضلها من كونها خيراً من ألف شهر، وكونها تنزل فيها الملائكة من الغروب إلى طلوع الفجر، وكون الدعاء فيها مجاباً بعين المطلوب، فلا ينافي ثبوتها في الأمم السابقة، لكن لا بهذا الفضل. قوله: **[وله ثلاث وثلاثون سنة]** أي وعليه فقيل جاءته النبوة من حين الولادة وقيل على رأس الثلاثين، وبعد هذا فما قاله المفسر ضعيف رجع عنه كما قاله سيدي محمد الزرقاني في شرح المواهب، والحق الذي اعتمده الاشياخ أنه ما رفع إلا بعد مضي مائة وعشرين سنة، وجاءته النبوة على رأس الأربعين كغيره، وعمر أمه حين رفع على الأول ست وأربعون سنة وعاشت بعده ست سنين فيكون عمرها اثنين وخمسين، وعلى الثاني مائة وتسعة وثلاثين، واعلم أنه لما رفع كساه الله حلة النور وسلبه شهوة الطعام والشراب والنوم، وجعل له ريشاً يطير به كالملائكة فهو حكمهم. قوله: **[إنه ينزل]** أي على منارة بني أمية حين يضايق الدجال المهدي والخلق جميعاً، فيهرعون إلى دمشق الشام وهو محتاط بهم، فينزل عند إقامة الصلاة، فيريد المهدي التأخر فيأمره عيسى بالتقدم، فبعد الصلاة يتوجهون إلى الدجال وهو في بلد، فإذا رأى عيسى ذاب كالملح فيهزمه الله، ثم يظهر العدل والصلاح في الأرض. قوله: **[ويحكم بشريعة نبينا]** إن قلت إن وضع الجزية ليس من شرع نبينا، أجيب بأنه منه غير أن أخذها مغيى بنزول عيسى كما أخبر بذلك نبينا فوضعها أيضاً من شرعنا. **﴿قوله سبع سنين﴾** أي فوق الثلاث والثلاثين وهو ضعيف. قوله: **[أربعين سنة]** قيل من ولادته فيكون مكثه بعد النزول سبع سنين كالرواية الأولى، وقيل مبدأ الأربعين من نزوله، وعلى كونها من نزوله فعلى كونه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين يكون عمره ثلاثاً وسبعين سنة، وعلى أنه رفع وهو ابن مائة وعشرين فيكون عمره مائة وستين. قوله: **[ويصلى عليه]** أي يصلي عليه المسلمون ويدفن في السهوة الشريفة، فإذا جاء يوم القيامة قام أبو بكر وعمر بين رسولين سيدنا محمد وعيسى عليهما السلام.

قوله: **﴿ذلك﴾** اسم الإشارة عائد على ما تقدم من عجائب عيسى، وأفرده باعتبار ما ذكر كما أشار لذلك المفسر.

---

* أسباب نزول الآية ٥٨: قوله تعالى: ﴿ذلك نتلوه عليك﴾، أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: أتى رسول الله ﷺ راهبا نجران، فقال أحدهما من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يؤامر ربه، فنزل عليه ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ إلى ﴿من الممترين﴾ وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: ان رهطاً من نجران قدموا على النبي ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنه عبد الله، فقال أجل، فقالوا فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾: إلى قوله ﴿من الممترين﴾.

وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده ﴿أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه ﴿طس سليمان باسم إله إبراهيم واسحاق ويعقوب من محمد النبي﴾ الحديث وفيه فبعثوا إليه شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجباراً الحرثي، فانطلقوا فأتوه فسألهم وسألوه، فلم يزل به وبهم المسألة، حتى قالوا: ما تقول في عيسى؟ قال: ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآيات ﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ إلى قوله ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الأزرق بن قيس قال: قدم على النبي ﷺ أسقف نجران والعاقب، فعرض عليهما الإسلام فقالا: إنا كنا مسلمين قبلك، قال كذبتما، إنه منع منكما الإسلام ثلاث قولكما: اتخذ الله ولداً، وأكلكما لحم الخنزير، وسجودكما للصنم، قالا فمن أبو عيسى، فما درى رسول الله ﷺ ما يرد عليهم حتى أنزل الله ﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ إلى قوله: ﴿وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾ فدعاهما إلى الملاعنة فأبيا وأقرا بالجزية ورجعا.

﴿عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿مِنَ ٱلْآيَاتِ﴾: حالٌ من الهاءِ في نتلوه وعاملُه في ذلك من معنى الإشارة ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ٥٨: المحكم أي القرآنِ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾: شأنَه الغريبَ ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾: كشأنه في خلقه من غير أبٍ وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكونَ أقطعَ للخصم وأوقعَ في النفس ﴿خَلَقَهُۥ﴾: أي آدمَ أي قالبَه ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾: بشراً ﴿فَيَكُونُ﴾ ٥٩: أي فكان وكذلك عيسى قال له: كن من غير أب فكان ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: خبر لمبتدأ محذوفٍ أي أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ ٦٠: الشاكين فيه ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾: جادلَك من النصارى ﴿فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: بأمره ﴿فَقُلْ﴾: لهم ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾: فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: نتضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى

قوله: [وعامله في ذلك الخ] لأنه مضمن معنى أشير واعترض ذلك بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في نتلوه، والعامل فيه هو نتلوه، قال بعضهم معتذراً عن المفسر بأنه خلط إعراباً بآخر. وحاصل ذلك أن قوله ذلك مبتدأ وقوله نتلوه خبره، وقوله من الآيات حال من الهاء وعامله هو نتلو أو من الآيات خبره ونتلوه حال، وعاملها ما في ذلك من معنى الإشارة، وهذا هو الذي يشير له المفسر على قول بعضهم. قوله: ﴿والذكر الحكيم﴾ عطف على الآيات للتفسير.

قوله: ﴿إن مثل عيسى﴾ سبب نزولها أن وفد نجران قدموا على النبي ﷺ فقالوا له: نراك تسب صاحبنا، فقال من هو؟ قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله، فقال رسول الله أجل إنه عبد الله ورسوله، فقالوا: هل له مثل من الخلق خلق من غير أب؟ فنزلت الآية. قوله: [الغريب] أي وهو عيسى، وقوله: [بالأغرب] أي وهو آدم، وأغربيته من وجوه منها أنه لم يسبق له أمثال أصلاً، ومنها وجود الأم لعيسى دون آدم، إن قلت: وجه الشبه بينهما ليس بتام. أجيب: بأنه يكفي وجه واحد وهو عدم الأبوة لكل.

قوله: ﴿خلقه من تراب﴾ جملة مفسرة لما قبلها لا محل لها من الإعراب. قوله: [أي قالبه] بفتح اللام وهو الجسم، وأما الروح فمن نور نبينا ﷺ، وإنما حمل الخلق على القالب لا على صورة الجسم الشاملة للروح نظراً لقوله ثم قال كن الخ، وإلا لكان ضائعاً. قوله: [وكذلك عيسى الخ] أشار بذلك إلى وجه الشبه بينهما، واتفق أن عالماً أسير في بلاد الروم فوجدهم يعبدون عيسى، فقال لهم لم تعبدون عيسى؟ فقالوا لأنه لا أب له، فقال لهم: آدم أولى لأنه معدوم الأبوين، فقالوا له: آدم وإن كان بلا أب إلا أنه لا يحيي الموتى، فقال لهم: إذا كان كذلك فحزقيل أولى لأنه أحيا ثمانية آلاف وقيل أكثر بدعوته وعيسى أحيا أربعة أنفار، فقالوا: إن عيسى يبرىء الأكمه والأبرص، فقال: جرجيس أحرق وطبخ ولم يضره الحرق ولا الطبخ. قوله: [أي أمر عيسى] أي الذي قصه الله في كتابه. قوله: ﴿فلا تكن من الممترين﴾ خطاب له والمراد أمته على حد ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ لأنه معصوم من الامتراء والشرك وكل كبيرة وصغيرة. قوله: [من النصارى] أي نصارى نجران أو غيرهم. وقوله: [بأمره] أي أنه عبد الله ولم يكن ابنه.

قوله: ﴿تعالوا﴾ أصله تعاليوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فالتقى ساكنان الألف والواو وحذفت الألف لالتقائهما وهو فعل أمر صحيح مبني على حذف النون والواو فاعل وهو مفتوح اللام دائماً لمذكر أو مؤنث. قوله: ﴿أبناءنا وأبناءكم﴾ أي الذكور، وقوله: ﴿ونساءنا ونساءكم﴾ أي الإناث منهم، والحكمة في حضور الأولاد زيادة التغليظ في اليمين، وتأكيد لمزيد صدقه وكذبهم، ولما كانت المباهلة أمراً عظيماً لم تشرع بعد النبي إلا في اللعان بين الزوجين.

﴿الْكَاذِبِينَ﴾ ٦١: بأن نقول اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه، فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وإنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: «إذا دعوت فأمنوا»، فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية» رواه أبو نعيم، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً، وروي لو خرجوا لاحترقوا ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾: الخبر ﴿الْحَقُّ﴾: الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ﴾: زائدة ﴿إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٦٢: في صنعه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ٦٣: فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مصدر بمعنى مستوٍ أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: هي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾:

قوله: ﴿ثم نبتهل﴾ الابتهال من البَهْلة بفتح الباء وضمها هي اللعنة في الأصل، ثم استعمل في كل دعاء مجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً. قوله: [لذلك] أي للتضرع والدعاء. قوله: فقال [ذوو رأيهم] أي فرجعوا إليهم وشاوروهم فقال الخ. قوله: [لقد عرفتم نبوته] أي نبوة محمد. قوله: [ما باهل] أي نازع. قوله: [فوادعوا الرجل] أي صالحوه على مال يأخذه منكم. قوله: [وقد خرج] الجملة حالية. قوله: [وصالحوه على الجزية] ورد أنها ألفا حلة نصفها في صفر ونصفها في رجب، وثلاثون درعاً وثلاثون بعيراً وثلاثون فرساً وثلاثون من كل صنف من أصناف السلاح، وقد ثبتت هذه الرواية في بعض نسخ الجلال القديمة. قوله: [وعن ابن عباس الخ] أي وورد أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تولى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم عليهم الوادي ناراً، ولم يبق نصراني على وجه الأرض إلى يوم القيامة».

قوله: ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ هذا نتيجة ما قبله واسم الإشارة عائد على ما ذكر من أمر عيسى وأنه ليس ابن الله، وأكد الجملة بأن واللام وكونها معرفة الطرفين لشدة إنكارهم. قوله: [زائدة] أي وإله مبتدأ والله خبره وهو قصر إفراد. قوله: [وفيه وضع الظاهر الخ] أي زيادة في التبكيت عليهم.

قوله: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ سبب نزولها أن نصارى نجران اختصموا مع اليهود في شأن إبراهيم، فزعمت النصارى أنه كان نصرانياً وهم على دينه، وزعمت اليهود أنه كان يهودياً وهم على دينه، فقدموا متحاكمين إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ كلا الفريقين كاذب، فقالت النصارى ما تريد إلا أن نتخذك معبوداً كما اتخذت اليهود العزير رباً، وقالت اليهود ما تريد إلا أن نتخذك معبوداً كما اتخذت النصارى المسيح رباً، فنزلت. قوله: ﴿إلى كلمة﴾ متعلق بتعالوا ذكره المتعلق هنا لأن المقصود الاجتماع على هذه الكلمة بخلاف التي قبلها، فإن المقصود منها مجرد الإقبال أو حذفه من الأول، وتقديره إلى المباهلة لدلالة الثاني عليه.

قوله: ﴿ألا نعبد إلا الله﴾ هذه الجملة في محل رفع خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هي، وإنما أطلق عليها كلمة مع أنها جمل للارتباط بعضها ببعض، قال ابن مالك: وكلمة بها كلام قد يؤم، نظير قوله تعالى: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾. قوله: [كما اتخذتم الأحبار] أي وهم علماء اليهود والرهبان عباد النصارى واتخاذهم أرباباً من حيث إنهم ينسبون التحليل والتحريم والإقالة من الذنوب لهم ولا يتبعون ما أنزل الله، بل المدار عندهم على ما حللته الأحبار والرهبان أو حرموه، وهذه الآية وإن كانت خطاباً لليهود والنصارى إلا أنها تجر بذيلها على من يشرك بالله غيره من

أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُواْ﴾: أنتم لهم ﴿اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾٦٤: موحدون. ونزل لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه، وقالت النصارى كذلك ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾: تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾: بزعمكم أنه على دينكم ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ﴾: بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾٦٥: بطلان قولكم ﴿هَا﴾: للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ يا ﴿هَؤُلاء﴾: والخبر ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾: من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: من شأن إبراهيم ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ﴾: شأنه ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾٦٦ـ قال تعالى تبرئة لإبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُّسْلِماً﴾: موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾٦٧ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾: أحقهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: في زمانه ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾: محمد لموافقته له

المسلمين كضعفاء الإيمان الذين يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون أو ينفعون بذواتهم، ويحلّون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، ومع ذلك يحدثون بدعاً عظيمة ما أنزل الله بها من سلطان، ويجعلون تلك البدع طرقاً لهؤلاء الأولياء، ويزعمون أنها منجية وإن كانت مخالفة للشرع، ويحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾**. قوله: **[أعرضوا عن التوحيد]** أي لم يمتثلوا أمرك واتبعوا أحبارهم ورهبانهم فيما يأمرونهم به.

قوله: **﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾** أي منقادون لله وبرئيون منكم ومن عقائدكم. قوله: **[ونزل لما قال اليهود إلخ]** أي وتحاكموا عند النبي ﷺ ليفصل بينهما. قوله: **[وقالت النصارى كذلك]** أي هو نصراني ونحن على دينه.

قوله: **﴿يا أهل الكتاب﴾** أي اليهود والنصارى. قوله: **﴿لم تحاجون﴾** أي يحاجج بعضكم بعضاً، والاستفهام توبيخي إنكاري. قوله: **﴿في إبراهيم﴾** أي في دينه فهو على حذف مضاف، وإليه يشير المفسر بقوله: **[بزعمكم أنه على دينكم]**. قوله: **[بزمن طويل]** أي فكان بين التوراة وإبراهيم ألف سنة، وبينه وبين الإنجيل ألفا سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة. قوله: **[وبعد نزولهما الخ]** بهذا التقدير تمت الحجة عليهم، فالمعنى أن المانع من كونهم على دين إبراهيم تغييرهم وتبديلهم، وإلا فلو تمسكوا بالتوراة والإنجيل حقيقة لما اختلفوا ولكانوا على دين إبراهيم. قوله: **[حدثت اليهودية والنصرانية]** أي اللتان ابتدعوهما حيث غيروا التوراة وسموها اليهودية، وغيروا الإنجيل وسموه النصرانية. قوله: **﴿أفلا تعقلون﴾** أي أغفلتم عما زعمتم فلا تعقلون ما تقولونه.

قوله: **﴿ها أنتم﴾** يقرأ إما بالألف وبعدها همزة إما محققة أو مسهلة أو بدون ألف، والهمزة إما محققة أو مسهلة أو بالألف فقط بدون همزة أصلاً، فالقراءات خمس وكلها سبعية. قوله: **[من أمر موسى وعيسى]** أي الذي نطقت به التوراة والإنجيل من أنهما عبدان ورسولان لله، يامران بعبادة الله وحده ولا يشركان به غيره. قوله: **[من شأن إبراهيم]** أي لكونه لم يذكر في كتبكم ما كان إبراهيم عليه، فكيف تدعون أنكم على دينه مع جهلكم به. قوله: **[إلى الدين القيم]** أي المستقيم الذي لا أعوجاج فيه. قوله: **[موحداً]** أي منقاداً ممتثلاً أوامر ربه مجتنباً نواهيه. قوله: **﴿وما كان من المشركين﴾** أي معه غيره. قوله: **﴿للذين اتبعوه﴾** زيدت اللام للتقوية وهي لام الابتداء زحلقت للخبر، كما قال في الخلاصة:

---

* أسباب نزول الآية ٦٥: قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون﴾ الآية، روى ابن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده فقالت الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهودياً وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون﴾ الآية، أخرجه البيهقي في الدلائل.

في أكثر شرعه ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: من أمته فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه لا أنتم ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾٦٨: ناصرهم وحافظهم. ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾: لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾٦٩ بذلك ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن المشتمل على نعت محمد ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾٧٠: تعلمون أنه حق ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾: تخلطون ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: أي نعت النبي ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾٧١ أنه حق ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ﴾: اليهود

وبعد ذاتِ الكسْرِ تصحبُ الخَبَرْ ... لامُ ابتداءٍ نحو إنّي لَوَزَرْ

قوله: [في زمانه] أي وهم أولاده كإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولادهم إلى يوم القيامة، قال: تعالى: ﴿ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ الآية. قوله: [لموافقته له في أكثر شرعه] أي فعقائد محمد التي هو عليها لا تخالف ما قصه الله في كتابه عن إبراهيم. إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسّر أن يقول لموافقته له في الأصول، أو يقال إن الموافقة في الفروع من حيث السهولة، فإن شريعة محمد سهلة نهلة كشريعة إبراهيم، لا كشريعة موسى فإنها صعبة التكاليف بسبب عناد بني إسرائيل، وهذا هو محمل المفسّر. قوله: [من أمته] أي أمة محمد ﷺ قوله: [ناصرهم] أي على أعدائهم، وقوله: [وحافظهم] أي واقيهم من أعدائهم.

قوله: ﴿ودت﴾ أي أحبت ولو مصدرية، والمعنى أحبت جماعة من اليهود والنصارى إضلالكم أي رجوعكم عن الإسلام إلى الكفر، وكانوا يتوددون إليهم بالهدايا. قوله: [لأن أثم اضلالهم عليهم] أي لأن الدال على الشر كفاعله، ويؤخذ من ذلك أن المقوي لشوكة الكفر بالشبه الباطلة والحجج العاطلة عليه إثم كفره وإثم كفر من تبعه إلى يوم القيامة. قوله: [بذلك] أي يكون إثم الضلال لاحقاً بهم لقساوة قلوبهم، فلم يعرفوا أنهم لا يضرون إلا أنفسهم. قوله: [القرآن المشتمل على نعت محمد] أي وقيل هي التوراة والإنجيل فإنهما مشتملان على نعته أيضاً، قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ الآية. قوله: [تعلمون أنه حق] أي من التوراة والإنجيل. قوله: ﴿الحق﴾ أي وهو نعت محمد وأصحابه المذكور في التوراة والإنجيل، وقوله: ﴿بالباطل﴾ أي وهو التغيير لتلك النعوت. قوله: [بالتحريف والتزوير] أي الكذب في تلك الصفات. قوله: [إنه حق] أي إنه نبي حقاً، وما جاء به من عند ربه حق.

قوله: ﴿وقالت طائفة﴾ شروع في بيان تلبيسات اليهود، ورد أنه اجتمع اثنا عشر من أحبار خيبر، وأجمع رأيهم على أنهم يظهرون الإسلام في أول النهار وفي آخره يرجعون لدينهم ويأمرون الناس بذلك، وقصدهم بذلك دخول الشك على من آمن به ﷺ، فلما أجمعوا وصمموا على ذلك جعل الله كيدهم في نحورهم ولم يفعلوا شيئاً من ذلك، ولو فعلوه لعاد شؤمه عليهم وقتلوا إن لم يتوبوا، لأن المرتد لا يبقى على ردته فمن نكث فإنما ينكث على نفسه. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٧٢: قوله تعالى: ﴿وقالت طائفة﴾ الآية، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عبد الله ابن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل﴾ إلى قوله ﴿واسع عليم﴾، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك قال: كانت اليهود تقول أحبارهم للذين من دونهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فأنزل الله: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾.

لبعضهم ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي القرآنِ ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾: أوّلَه ﴿وَاكْفُرُوا﴾: به ﴿آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾: أي المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ﴾ ٧٢: عن دينهم إذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعْد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه وقالوا أيضاً: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾: تصدّقوا ﴿إِلَّا لِمَنْ﴾: اللام زائد ﴿تَبِعَ﴾: وافق ﴿دِينَكُمْ﴾: قال تعالى: ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾: الذي هو الإسلام وما عداه ضلال والجملة اعتراض ﴿أَنْ﴾: اي بأن ﴿يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾: من الكتاب والحكمة والفضائل، وأن مفعول تؤمنوا، والمستثنى منه أحد قدّم عليه المستثنى، المعنى لا تقروا بأن أحداً يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم ﴿أَوْ﴾: بأن ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾: أي المؤمنون يغلبوكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: يوم القيامة لأنكم أصحّ ديناً، وفي قراءة أأن بهمزة التوبيخ أي إيتاء أحد مثله

﴿آمنوا﴾ أيْ صدّقوا ظاهراً باللسان. قوله: [أي القرآن] هذا هو المشهور في تفسير الآية، وقيل الذي أنزل على الذين آمنوا هو القبلة حين أمر النبي بالتحول للكعبة ثانياً بعد استقباله بيت المقدس، فحينئذٍ حصل لليهود غيظ وحزن عظيم، فأجمع رأيهم على موافقة المؤمنين أول النهار ومخالفتهم آخره، لعله يحصل الشك لأصحابه فيرجعون عن دينهم. قوله: [أوله] أشار بذلك إلى أن وجه النهار ظرف زمان لقوله آمنوا. قوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ علة لقوله آمنوا بالذي أنزل الخ. قوله: [إذ يقولون] علة للعلة.

قوله: ﴿ولا تؤمنوا﴾ هذا من جملة تلبيساتهم، وحاصل إعراب هذه الآية أن يقال لا ناهية وتؤمنوا مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل، وقوله: ﴿أن يؤتى﴾ أن حرف مصدري ونصب، ويؤتى منصوب بها وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وهو في تأويل مصدر معمول لقوله ولا تؤمنوا، وأحد نائب فاعل يؤتى وهو مفعول أول له ومثل مفعول ثاني، وقوله: [إلا] أداة استثناء و[لمن] اللام زائدة ومن منصوب على الاستثناء والمستثنى منه قوله أحد وما اسم موصول وأوتيتم صلتها والعائد محذوف، والمعنى لا تصدّقوا إتيان أحد من الفضائل والكمالات مثل الذي أوتيتموه إلا من تبع دينكم، وأما من لم يتبعه كمحمد فلا تصدّقوه، وهذا الوجه وإن كان صحيحاً من جهة المعنى، إلا أنه مشكل من جهة الصناعة لأن فيه تقديم المستثنى على المستثنى منه ومعمول الصلة عليها. قوله: [والجملة اعتراض] أي بين العامل والمعمول. قوله: [وأن مفعول تؤمنوا] أيْ مع صلتها. قوله: [والمعنى لا تقروا الخ] إيضاحه أنهم قالوا انظروا فيمن ادّعى شيئاً من النبوة والفضائل والكمالات، فإن كان متبعاً لدينكم فصدّقوه وإلا فكذّبوه، والمناسب للمفسر أن يقول والمعنى لا تصدقوا الخ، وحاصل هذا المعنى الذي أشار له المفسر أنه ضمّن تؤمنوا معنى تقروا لتكون اللام أصلية والمستثنى منه محذوف تقديره لأحد، والمعنى لا تقروا ولا تعترفوا لأحد بأنه يؤتى أحد مثل الذي أوتيتموه من الفضائل والكمالات إلا لشخص اتبع دينكم، وهذا كله كناية عن نفي النبوة عن محمد ﷺ، وهذا المعنى صحيح من جهة العربية، والمعنى والمفسّر من شدة اختصاره خلط هذا التقرير بالتقرير المتقدّم وقد علمتهما.

قوله: ﴿أو يحاجوكم﴾ معطوف على يؤتى، والضمير عائد على أحد المتقدم، وإنما جمعه لأن أحداً في معنى الجمع، والمعنى على الأول لا تصدقوا أن أحداً يحاجكم ويغلبكم عند ربكم يوم القيامة إلا من اتبع دينكم، وأما من لم يتبعه فلا حجة له عليكم، وعلى الثاني لا تقروا بأن أحداً يغلبكم ويحاججكم عند ربكم إلا من تبع دينكم، وأما غيره فلا تقروا ولا تعترفوا له بذلك. قوله: [وفي قراءة أأن] وهي سبعية لابن كثير لكن بتسهيل الثانية. قوله: [بهمزة التوبيخ] أيْ الاستفهام التوبيخي، والكلام قد تمّ قبل الاستفهام، والمستثنى منه محذوف على كلا التقديرين، والمعنى لا تصدّقوا أحداً في دعواه النبوة والفضائل إلا من تبع دينكم، أو لا تقروا لأحد من الناس أنه على هدى وخير إلا لمن تبع دينكم، وقوله قل إن الهدى هدى الله رد لمقالتهم، وجملة الاستفهام استئنافية، فالمعنى أن يؤتى أحد مثل الذي أوتيتموه

تقرون به قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾: فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ ٧٣: بمن هو أهله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٧٤ ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾: أي بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: لا تفارقه فمتى فارقته أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشي ديناراً فجحده ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾: بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: أي العرب ﴿سَبِيلٌ﴾: أي إثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم، ونسبوه إليه تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٧٥: أنهم كاذبون ﴿بَلَىٰ﴾: عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾: الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله

أو يكون له محاججة عند ربكم، وجوابه لا يكون ذلك وهو استبعاد منهم لفضل الله. قوله: [أي إيتاء أحد الخ] أشار بذلك إلى أن قوله أن يؤتى في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره تقرون به.

قوله: ﴿قل إن الفضل بيد الله﴾ رد عليهم حيث استبعدوا أن الله لا يؤتي أحداً مثل ما آتاهم من الفضل والنبوة، وفي الحقيقة هو رد لدعواهم من أولها إلى آخرها. قوله: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ أي فيعطيه لمن يشاء. قوله: ﴿ومن أهل الكتاب﴾ شروع في بيان قبائحهم في أمور الدنيا، بعد أن ذكر قبائحهم في أمور الدين، والجار والمجرور خبر مقدم، ومن اسم موصول أو نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر. وقوله: ﴿إن تأمنه﴾ ويؤده جملة شرطية إما صلة أو صفة، وراعى في إفراد الضمير في تأمنه لفظ من، ولو راعى معناها لقال تأمنهم. قوله: [أي بمال كثير] أشار بذلك إلى بيان شأن هذا المؤتمن، وإن كان سبب النزول في قنطار حقيقة، فالمقصود بيان شرفه من جهة الأمانة فلا مفهوم للقنطار، بل لو ائتمن على قناطير متعددة لم يخنه فيها. قوله: ﴿يؤده﴾ يقرأ بالسكون وبالكسر مع الإشباع وتركه فهي ثلاث سبعيات. قوله: [أودعه رجل] أي قرشي. قوله: ﴿بدينار﴾ أصله دنار بنونين قلبت الأولى ياء دفعاً للثقل، والباء في قوله بدينار وبقنطار بمعنى في وهو على حذف مضاف، في حفظ قنطار، وفي حفظ دينار، ويصح أن تكون بمعنى على لتعدي الأمانة بها في القرآن كثيراً، نحو لا تأمنا على يوسف، هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل، والدينار أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط وزنه ثلاث شعيرات، فوزن الدينار بالشعير اثنتان وسبعون شعيرة.

قوله: ﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾ ما مصدرية ظرفية ودام فعل ماض والتاء اسمها وقائماً خبرها، إلا مدة دوامك قائماً عليه، والمعنى لا يؤده إليك في حال من الأحوال، إلا في حال ملازمتك له وإشهادك عليه. قوله: [فجحده] أي أنكره. قوله: [أي بسبب قولهم] أشار بذلك إلى أن الباء سببية وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء. قوله: [أي العرب] أي وغيرهم ممن ليس من أهل كتابهم. قوله: [لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم الخ] روي أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وجميع ما في الأرض ملك لأبينا، وأولاد السيد يتصرفون في ملك أبيهم، وقيل إنهم قالوا: المال لنا وظلمنا فيه العرب، وقيل: إنهم قالوا إن الله أباح لنا مال من خالف ديننا، وادعوا أن ذلك في التوراة. ورد أن النبي لما قالوا ذلك قال: «كذبوا ما من شيء إلا وهو تحت قدمي، يعني منسوخ، ما عدا الأمانة فإنها مؤداة للبر والفاجر». قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ هذا بالنسبة لعلمائهم، وما عداهم مقلدون لهم في ذلك. قوله: ﴿بلى﴾ إضراب إبطالي وهو مغن عن جملة قدرها المفسر بقوله عليهم فيهم سبيل. قوله: ﴿من أوفى بعهده﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للإبطال الأول. قوله: [الذي عاهد الله عليه] أي فهو من إضافة المصدر لفاعله، وقوله: [أو بعهد الله إليه] أي فهو من إضافة المصدر

إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ٧٦: فيه وضع الظاهر موضع المضمر، أي يحبهم بمعنى يثيبهم. ونزل في اليهود لمّا بدلوا نعت النبي وعهد الله إليهم في التوراة أو فيمن حلف كاذباً في دعوى أو في بيع سلعة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾: حلفهم به تعالى كاذبين ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾: نصيب ﴿لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: يرحمهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧٧: مؤلم ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾: أي أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾: طائفة

لمفعوله، فكلّ من العبد والمولى معاهِدٌ ومعاهَدٌ، فعهد الله للعبد إثابته، وعهد العبد لمولاه عدم مخالفته له. قوله: [من أداء الأمانة الخ] ورد في الحديث: «خمس من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه واحدة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». قوله: [فيه وضع الظاهر موضع المضمر] أي وكان مقتضى الظاهر أن يقول فإن الله يحبه، وفيه أيضاً مراعاة معنى من. قوله: [لما بدلوا الخ] شروع في سبب نزول الآية وقد ذكره على ثلاثة أوجه. قوله: [نعت النبي] من الجماعة الذين بدلوا نعته حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف. قوله: [في دعوى] أي كانت بين رجلين في بئر أحدهما الأشعث بن قيس فاختصما إلى النبي ﷺ، فقال شاهداك أو يمينه فقال الأشعث بن قيس إذاً يحلف كاذباً ولا يبالي، وقوله: [أو بيع سلعة] أي فيمن أراد بيعها وحلف لقد أعطي فيها كذا كاذباً.

قوله: ﴿بعهد الله﴾ الباء داخلة على المتروك أي يتركون الوفاء به في نظير الثمن القليل. قوله: ﴿أولئك لا خلاق لهم﴾ أي فهم مخلدون في النار إن استحلوا ذلك. قوله: [ولا يكلمهم الله] إن قلت إن قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ الآية، يقتضي أن الله يقع منه كلام لهم، فكيف الجمع بين الاثنين؟ أجيب بأن قوله تعالى ﴿ولا يكلمهم الله﴾ أي كلام رضا فلا ينافي أنه يكلمهم كلام غضب أو لا يكلمهم أصلاً وآيات الكلام على لسان الملائكة، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾. قوله: ﴿ولا ينظر إليهم﴾ أي نظر رحمة وإلا فهو ناظر لكل شيء. قوله: [يطهرهم] أي من الذنوب ولا يثني عليهم وهذا استخفاف بهم.

قوله: ﴿وإن منهم لفريقاً﴾ هذا من جملة قبائحهم وتلبيساتهم، وأكدت الجملة بأن واللام إشارة إلى أن ذلك محقق منهم. قوله: [ككعب بن الأشرف] أدخلت الكاف، مالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وأبي بن ياسر، وشعبة بن عمرو الشاعر. قوله: ﴿يلوون ألسنتهم﴾ في محل نصب صفة لفريقاً، وقوله: ﴿منهم﴾ متعلق بمحذوف خبر إن، وراعى في الجمع معنى فريقاً لأنه اسم جمع كرهط وقوم، قال بعضهم يجوز مراعاة اللفظ، وألسنتهم جمع لسان، وهذا على أنه مذكر، وأما على أنه مؤنث فهو جمع لألسن كذراع وأذرع، والمراد من الألسنة الكلام، ففيه إطلاق الشيء

---

* أسباب نزول الآية ٧٧: قوله تعالى: ﴿إن الذين يشترون﴾ الآية، روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال ألك بينة؟ قلت لا، فقال لليهودي احلف، فقلت: يا رسول الله إذن يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى آخر الآية. وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلاً أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت هذه الآية ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾. قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لا منافاة بين الحديثين، بل يحمل على أن النزول كان بالسببين معاً. وأخرج ابن جرير عن عكرمة: أن الآية نزلت في حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف وغيرهما ـ من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدلوه وحلفوا أنه من عند الله. قال الحافظ ابن حجر: الآية محتملة، لكن العمدة في ذلك ما ثبت في الصحيح.

ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾: أي يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾: أي المحرّف ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾٧٨: أنهم كاذبون. ونزل لما قال نصارى نجران: أن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا، أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ ﴿مَا كَانَ﴾: ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾: أي الفهم للشريعة ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ﴾: يقول: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: علماء عاملين منسوب إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيمًا ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾٧٩: أي بسبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا ﴿وَلَا

على آلته، والباء في بالكتاب بمعنى في، أي يلفتون ألسنتهم في حال قراءة الكتاب. قوله: [أي يعطفونها] أي يلفتونها. قوله: [عن المنزل] متعلق بيعطفونها، وكذا قوله: [من نعت النبي] بيان لما. قوله: [ونحوه] أي كآية الرجم وغيرها مما يشهد للنبي بالتصديق.

قوله: ﴿لتحسبوه﴾ أي أيها المؤمنون، فالمقصود من ذلك إدخال اللبس على المؤمنين. قوله: ﴿من الكتاب﴾ في محل نصب مفعول ثان لتحسبوه، والهاء مفعول أول. قوله: ﴿وما هو من الكتاب﴾ أي لا في الواقع ولا في اعتقادهم، وأظهر في محل الإضمار في الموضعين زيادة في التبكيت عليهم. قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ الواو للحال، وقوله: [أنهم كاذبون] إشارة إلى مفعول يعلمون. قوله: [ونزل لما قال نصارى نجران] أي حين قدموا على النبي ﷺ، فالمراد بالبشر على هذا هو عيسى وبالكتاب الإنجيل، وقوله: [أو لما طلب بعض المسلمين الخ] أو لتنويع الخلاف، فالمراد بالبشر على ذلك هو محمد ﷺ، وبالكتاب القرآن، وآخر الآية يؤيد هذا السبب.

قوله: ﴿ما كان الخ﴾ هذه الصيغة يؤتى بها للنفي العام الذي لا يجوز عقلًا ثبوته وهو المراد هنا، وكذلك قوله تعالى: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي لا يمكن ولا يتصور عقلًا صدور دعوى الألوهية من نبي قط ويؤتى بها للنفي الخاص، كقول أبي بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم في الصلاة بين يدي رسول الله، أي ما ينبغي له ذلك، فقول المفسر ينبغي أي يمكن وقد فسره المحلي في سورة يس في قوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ بذلك. قوله: ﴿ثم يقول﴾ معطوف على يؤتي، ولهذا العطف لازم يتوقف صحة المعنى عليه لأن مصب النفي المعطوف والمعطوف عليه. قوله: ﴿للناس﴾ أي أمة محمد على الثاني، ونصارى نجران على الأول. قوله: ﴿من دون الله﴾ أي من غير أن يقصرهم على الله بأن يشرك نفسه مع الله في العبادة أو يفرد نفسه بالعبادة، وهذه الجملة حال من الواو في ﴿كونوا﴾ أي حال كونكم متجاوزين الله إشراكًا أو إفرادًا. قوله: ﴿ولكن﴾ استدراك على ما تقدم. قوله: [زيادة ألف ونون] أي كرقباني وشعراني ولحياني، وقوله: [تفخيمًا] أي للمبالغة. قوله: ﴿بما كنتم﴾ الباء سببية. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالعلم سبب للعمل، فقبيح على العالم تركه العمل، وأقبح منه أن يرشد الناس ويهديهم مع كونه هو غير مهتد في نفسه، قال بعضهم:

---

* أسباب نزول الآية ٧٩ قوله تعالى: ﴿ما كان لبشر﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق والبيهقي عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ قال ﷺ: معاذ الله، فأنزل الله في ذلك ﴿ما كان لبشر﴾ إلى قوله ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾.

وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن الحسن قال: بلغني أن رجلًا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال لا: ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، فأنزل الله ﴿ما كان لبشر﴾ إلى قوله ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾.

﴿يَأْمُرَكُمْ﴾: بالرفع استئنافاً أي الله، والنصب عطفاً على يقول أي البشر ﴿أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾: كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيراً والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ٨٠: لا ينبغي له هذا ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ﴾: حين ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: عهدهم ﴿لَمَآ﴾: بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أي الذي ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾: إياه

وعالم بعلمه لن يعملن معذب من قبل عباد الوثن

فمثل العالم الذي يعلم الناس وهو غير عامل كشمعة موقودة تضيء للناس وتحرق نفسها، وفي هذا المعنى قال بعضهم:

أتنهى الأناس ولا تنتهي متى تلحق القوم يا لكع
ويا حجر السن ما تستحي تسن الحديد ولا تقطع

قوله: [أي الله] أشار بذلك إلى أن فاعل يأمر ضمير مستتر عائد على الله. قوله: [عطفاً على يقول] أي لأنه في حيز النفي، وتكون لا زائدة لتأكيد النفي، والمعنى لا يمكن لبشر أن يأمر بعبادة الناس له، ولا بعبادة الملائكة والنبيين. قوله: [أي البشر] أي ففاعله ضمير يعود على البشر، ولا يصح كون الفاعل ضميراً يعود على الله. قوله: ﴿أرباباً﴾ أي بل نحبهم ونعتقد أنهم عبيد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، لا يضرون ولا ينفعون، فنتوسل بهم إلى الله، كذلك لا لكونهم أرباباً. قوله: [كما اتخذت الصابئة الخ] هم فرقة من اليهود صبئوا بمعنى مالوا عن دين موسى إلى عبادة الملائكة وقالوا إنهم بنات الله. قوله: [واليهود عزيراً] أي حيث رأوه يحفظ التوراة. قوله: [والنصارى عيسى] أي حيث رأوه جاء من غير أب ويحيي الموتى. قوله: [لا ينبغي له هذا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي، نظير قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾.

قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ إذ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، والمراد ذكر العهد نفسه لا ذكر وقته، والميثاق هو عهد مؤكد باليمين، واختلف فيه هل كان ذلك في عالم الذر، وعليه يكون قوله آتيتكم من كتاب وحكمة في عالم الأشباح، فالمعاهدة لما يأتي أو كان ذلك في عالم الأشباح، وكانت تلك المعاهدة تنزل في كتبهم، وعليه تكون المعاهدة في الحالة الراهنة، واختلف في الرسول المعاهد عليه في جميع الأنبياء، فذهب جماعة من الصحابة والتابعين، منهم سعيد بن جبير وطاوس إلى أن كل نبي يعاهد على من يأتي بعده من الأنبياء، فأخذ العهد على آدم إن جاءه رسول مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه، وكذلك شيث أخذ عليه العهد، وهكذا إلى إبراهيم إلى موسى إلى بقية أنبياء بني إسرائيل، إلى عيسى، فهو ﷺ تعاهد عليه مع كل نبي في عموم الأنبياء، ومع عيسى عوهد عليه بالخصوص، وهي حكمة قوله تعالى: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ وذهب جماعة أخرى من الصحابة منهم ابن عباس وعلي بن أبي طالب والسدي وقتادة، إلى أن المراد بالرسول المعاهد عليه هو سيدنا محمد ﷺ فأخذ الله العهد على كل نبي بانفراده لئن جاءه محمد وهو حي مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه، وعليه فلو ظهر محمد في زمن أي نبي من الأنبياء، لبطل شرع ذلك النبي وكان هو وأمته من أتباعه، واقتصر على هذا القول المفسر، قال السبكي يؤخذ من الآية على هذا التفسير أنه نبي الأنبياء وأن الأنبياء نوابه، والحكمة في تلك المعاهدة ارتباط أولهم بآخرهم، وبيان عصمتهم من داء الحسد، من الأمم التي تكفر بالرسول المبعوث. قوله: [وتوكيد معنى القسم] أي مؤكدة لليمين المأخوذ من الميثاق، فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد بيمين. قوله: [متعلقة بأخذ] أي على أنها للتعليل مع حذف

وفي قراءة آتيناكم ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾: من الكتاب والحكمة وهو محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾: جواب القسم إن أدركتموه وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾: تعالى لهم ﴿أَأَقْرَرْتُمْ﴾: بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾: قبلتم ﴿عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: عهدي ﴿قَالُوا: أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾: على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ٨١: عليكم وعليهم ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾: أعرض ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الميثاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ٨٢ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾: بالياء أي المتولون والتاء ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾: بلا إباء ﴿وَكَرْهًا﴾: بالسيف ومعاينة ما يلجئ إليه ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ٨٣: بالتاء والياء والهمزة للإنكار ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

المضاف، أي الرعاية وحفظ ما آتيتكم. قوله: [وما موصولة] على الوجهين وهي على الأول مبتدأ وآتيتكم صلتها، وقوله: ﴿من كتاب﴾ بيان لما ﴿وحكمة﴾ معطوف على ﴿كتاب﴾. وقوله: ﴿ثم جاءكم﴾ معطوف على آتيتكم و﴿مصدق﴾ صفة لرسول، وقوله: ﴿لتؤمنن به﴾ جواب القسم، وخبر المبتدأ محذوف تقديره تؤمنون به وتنصرونه، والضميران في ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ راجعان للرسول، واستشكل عود الضمير على الرسول، مع أن المبتدأ في الحقيقة الكتاب والحكمة، وانظر ما الجواب. قوله: ﴿أأقررتم﴾ بتخفيف الهمزتين بألف بينهما وتركها، وتسهيل الثانية بألف وبدونها، وبإبدال الثانية ألفاً، فالقراءات خمس. قوله: [عهد] سمي العهد بالإصر لأن فيه مشقة.

قوله: ﴿قالوا أقررنا﴾ جواب عن سؤال تقديره ماذا قالوا حينئذ؟ وثمرة المعاهدة على محمد مع علم الله أنه لا يأتي في زمن نبي من الأنبياء الثواب على العزم بالإتباع، والعقاب على العزم بعدم الإيمان، فجميع الأنبياء يثابون على الإيمان بمحمد، ومن عزم على عدم الإيمان به لو ظهر عوقب. قوله: ﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ إن قلت إن الأنبياء معصومون من ذلك، أجيب بأن الشرطية لا تقتضي الوقوع أو خطاب لهم، والمراد أممهم. قوله: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ هذا رد على اليهود والنصارى، حيث ادعى كل دين إبراهيم واختصموا إلى النبي، فقال النبي كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم، والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا فغير دين الله يبغون؟.

قوله: ﴿وله أسلم﴾ جملة حالية. قوله: ﴿طوعاً﴾ راجع لجميع أهل السماء وبعض أهل الأرض، وقوله: ﴿وكرهاً﴾ راجع لبعض أهل الأرض فطوعاً وكرهاً مصدران في موضع الحال، والتقدير طائعين وكارهين. قوله: [ومعاينة ما يلجأ إليه] أي إلى الإسلام كنطق الجبل وإدراك فرعون وقومه الغرق، قال تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾ الآية. قوله: [والهمزة للإنكار] أي التوبيخي وقدم المفعول لأن المقصود إنكاره.

قوله: ﴿قل آمنا﴾ لما تقدم أن الله أمر الأنبياء بالإيمان بمحمد على أرجح التفسيرين، ذكر هنا أمره بالإيمان وأفرد في قوله قل، وجمع في قوله آمنا لأن النبي هو المخاطب بالوحي والتبليغ فقط، وأما الإيمان فمخاطب به هو وأتباعه. قوله: ﴿بالله﴾ أي صدقنا بأن الله متصف بكل كمال، ومستحيل عليه كل نقص. قوله: ﴿وما أنزل علينا﴾ أي وهو القرآن، وعبر هنا بعلى، وفي سورة البقرة بإلى، لأن مادة النزول تتعدى بهما، غير أنه بالنظر للمبدأ يعدى بعلى كما هنا لأن المخاطب بذلك هو الموحى إليه وهو محمد والأنبياء بعده، وبالنظر للمنتهى كما في البقرة يعدي، بإلى لأن المأمور بذلك أمم.

قوله: ﴿وما أنزل على إبراهيم﴾ إنما صرح بأسماء هؤلاء لأن أهل الكتاب يعترفون بكتبهم ونبوتهم. قوله: ﴿وإسماعيل﴾ الخ، وما أنزل على هؤلاء من الوحي، وكانوا يتعبدون بشرع إبراهيم بوحي من الله، وإسماعيل أبو

﴿وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولاده ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ٨٤: مخلصون في العبادة، ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ٨٥ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه ﴿كَيْفَ﴾: أي لا ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾: أي وشهادتهم ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾: قد ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٨٦: أي الكافرين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ

العرب، وإسحاق أبو العجم، ويعقوب ابن إسحاق، والأسباط أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر رجلاً، يوسف وإخوته، ويؤخذ من الآية أنهم أنبياء يجب الإيمان بهم وهو المعتمد، وما يأتي في سورة يوسف من الوقائع العظيمة الموهمة عدم عصمتهم، فمؤول بأنهم مأمورون بذلك باطناً من حضرة الله، كأفعال الخضر عليه السلام، قال تعالى في حقه: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ ويقال فيهم ما قيل فيه بالأولى، فإن المعتمد أن الخضر ليس بنبي، والأسباط أنبياء على المعتمد، وموافقة ظاهر الشرع إنما تلزم الرسول المشرع فتأمل. قوله: [أولاده] أي أولاد يعقوب فهم أسباط لإبراهيم، بمعنى أولاد بنيه لا بالمعنى المصطلح عليه وهو أولاد البنت.

قوله: ﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾ أي من التوراة والإنجيل ومعجزاتهما. قوله: ﴿والنبيون﴾ عطف عام على خاص، فيجب الإيمان بالنبيين عموماً إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، فيجب الإيمان تفصيلاً بخمسة وعشرين نبياً ثمانية عشر في الأنعام، ومحمد وآدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل، من أنكر أي واحد منهم بعد علمه فقد كفر، ويجب الإيمان الإجمالي بما عدا هؤلاء، ولا يعلم عدتهم إلا الله. قوله: [بالتصديق والتكذيب] أي بالتصديق لبعض والتكذيب للبعض الآخر، كما فعلت اليهود والنصارى. قوله: [مخلصون في العبادة] أشار بذلك إلى أن المراد بالإسلام هنا حقيقته وهو الانقياد الظاهري. قوله: [فيمن ارتد] أي وهم اثنا عشر أسلموا بالمدينة، ولحقوا بأهل الكفر في مكة، منهم الحرث بن سويد الأنصاري ولكنه أسلم بعد ذلك.

قوله: ﴿من يبتغ غير الإسلام﴾ اعلم أن جمهور السبعة على الفك لوجود الفاصل الحكمي وهو الياء التي حذفها الجازم، لأن المحذوف لعلة كالثابت، وقرأ أبو عمرو في أحد وجهيه بالإدغام نظراً للصورة الظاهرية، ونظيره في القرآن كل مثلين بينهما فاصل حكمي ففيه الوجهان نحو ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ ﴿وإن يك كاذباً﴾ ومن اسم شرط، ويبتغ فعله، وغير مفعول، ودينا تمييز لغير أو بدل منه أو مفعول وغير حال لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: ﴿فلن يقبل منه﴾ أي ولا يقرّ عليه. قوله: ﴿كيف﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي كما يشير له المفسر بقوله: [أي] ﴿يهدي﴾ وقيل إنه استبعادي أي فهداهم مستبعد، قال العارف البوصيري:

وإذا البينات لم تغن شيئاً … فالتماس الهدى بهن عناء

قوله: [أي وشهادتهم] أشار بذلك إلى أن الفعل مؤول باسم الذي هو الإيمان. قوله: ﴿والناس أجمعين﴾ أي

---

* أسباب نزول الآية ٨٦: قوله تعالى ﴿كيف يهدي الله قوماً﴾ الآيات، روى النسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ندم فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فنزلت ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا﴾ إلى قوله ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم. وأخرج مسدد في مسنده وعبد الرزاق عن مجاهد: قال: قال جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ثم كفر، فرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه القرآن ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ فحملها إليه رجل من قومه، فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وان رسول الله ﷺ لأصدق منك، وان الله لأصدق الثلاثة، فرجع فأسلم وحسن إسلامه.

﴿جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ٨٧ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ٨٨: يمهلون ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ ٨٩: بهم. ونزل في اليهود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾: بموسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾: بمحمد ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: إذا غرغروا وماتوا كفاراً ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ٩٠ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ﴾: مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾: أدخل الفاء في خبر إن لشبه الذين بالشرط وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ٩١: مانعين منه ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾: أي ثوابه وهو الجنة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾: تصدقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: من أموالكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٩٢: فيجازي عليه. ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾: حلالاً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾: يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾: وهو الإبل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر

حتى أهل النار في النار، قال تعالى ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾. قوله: [أي اللعنة] أي ومن لوازمها الخلود في النار، وقوله: [المدلول بها] أي اللعنة، وقوله: [عليها] أي على النار. قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ أي كالحرث بن سويد فإنه لما ارتد وذهب لمكة مع الكفار وأراد الله له الهدى بعث لأخ له في المدينة وكان مسلماً يقول له أخبر رسول الله ﷺ أني إذا اتيت هل أقبل، فأخبر رسول الله بذلك فنزلت هذه الآية، فبعثها له بمكة فأتى طائعاً وأسلم وحسن إسلامه، وهذا شروع في تقسيم الكفار إلى ثلاثة أقسام: قسم منهم كفر ولم يعد، وقسم كفر ثم عاد للإسلام ظاهراً فقط، وقسم كفر ثم أسلم ظاهراً وباطناً. قوله: ﴿من بعد ذلك﴾ أي الكفر. قوله: ﴿رحيم﴾ [بهم] أي حيث قبل توبتهم. قوله: [بعيسى] أي والإنجيل، وقوله: [بموسى] أي والتوراة، وقوله: [بمحمد] أي والقرآن. قوله: [إذا غرغروا] أشار بذلك إلى أن الآية مقيدة بذلك وهذا في الكافر، وأما العاصي فتقبل منه عند الغرغرة. قوله: ﴿أو ماتوا كفاراً﴾ أي بأن تابوا عند معاينة العذاب. قوله: ﴿ملء الأرض﴾ أي مشرقها ومغربها. قوله: ﴿ذهباً﴾ تمييز وخصه بالذكر لأنه أحسن الأموال وأغلاها. قوله: ﴿ولو افتدى به﴾ أي هذا إذا تصدق به، بل ولو افتداه أهله به بالصدقة لا تنفعه منه أو من غيره لأجله.

قوله: ﴿لن تنالوا البر﴾ لما ذكر أن صدقة الكافر لا تنفعه ذكر هنا أن صدقة المسلم وجميع طاعاته تنفعه. قوله: [أي ثوابه] أي البر أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف. قوله: [تصدقوا] بحذف إحدى التاءين على التخفيف، أو بدون حذف على التشديد بقلب إحدى التاءين صاداً أو بإدغامها في الصاد. قوله: [من أموالكم] أي وغيرها من الأنفس والجاه. قوله: ﴿فإن الله به عليم﴾ هذه الجملة في محل الجواب، أي فحيث كان عليماً بذلك لا يضيع من جزائه شيء. وقد أشار لذلك المفسر بقوله فيجازون عليه. قوله: [ونزل لما قال اليهود الخ] أي سبب نزولها قول اليهود ما ذكر. قوله: [وكان لا يأكل لحوم الإبل] أي زعموا أن ما ذكر حرام على إبراهيم، فلو كنت على ملته لما كان ذلك حلالاً لك، فرد الله عليهم زعمهم.

قوله: ﴿كل الطعام﴾ أي الذي هو حلال في شرعنا، فما هو حلال في شرعنا كان حلالاً في شرعه. قوله: [حلالاً] أشار بذلك إلى أنه يقال حل وحلال وكذلك حرم وحرام. قوله: ﴿إلا ما حرم إسرائيل﴾ معناه بالعربية عبد الله وهو اسمه ويعقوب لقبه. قوله: [عرق النسا] أي وهو عرق ينفر في بطن الفخذ يعجز صاحبه، وورد في دوائه عن أنس عن النبي ﷺ أنه يؤتى بكبش عربي ويذبح وتؤخذ أليته وتقطع ثم تسلى بالنار، ثم يؤخذ ذلك ويقسم ثلاثة أجزاء ويشرب

إنْ شفي لا يأكلها فحرّم عليه ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾: وذلك بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾: ليتبين صدق قولكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٩٣: فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى: ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٩٤: المتجاوزون الحق إلى الباطل ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾: في هذا كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٩٥. ونزل لما قالوا: قبلتنا قبل قبلتكم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾: متعبداً ﴿لِلنَّاسِ﴾: في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: بالباء لغة في مكة سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين، وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته» ﴿مُبَارَكًا﴾: حال من الذي أي ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ ٩٦: لأنه قبلتهم ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾: منها ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه ومنها تضعيف الحسنات

كل جزء على الريق، قال أنس: فما زلت أصف ذلك لمن نزل به فشفي به أكثر من مائة. قوله: [فنذر إن شفي لا يأكلها] أي وكان لحمها أحب المأكول إليه، ولبنها أحب المشروب إليه، ومثل هذا النذر لا يلزم في شرعنا لأن النذر إنما يلزم به ما ندب، وترك ما ذكر ليس مندوباً. قوله: [فحرم عليه] قيل حرمت أيضاً على أولاده تبعاً له، وقيل هو حرمها على نفسه وعلى ذريته.

قوله: ﴿من قبل﴾ ظرف متعلق بحلاً مع ملاحظة الاستثناء، ويحتمل أنه متعلق بقوله إلا ما حرم. قوله: [وذلك بعد إبراهيم] أي بألف سنة. قوله: [صدق قولكم] أي إخباركم عنه بأن ما ذكر حرام عليه. قوله: [فبهتوا] من باب علم أو نصر أو كرم أو زهي، والمعنى دهشوا وتحيروا وانقطعت حجتهم. قوله: ﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ أي اختلقه من عند نفسه. قوله: [أن التحريم] أي لخصوص لحوم الإبل وألبانها. قوله: ﴿قل صدق الله﴾ أي ثبت وتقرر صدقه وظهر كذبكم. قوله: [كجميع ما أخبر به] أي كصدقه في جميع إخباره التي جاءت بها الرسل. قوله: [التي أنا عليها] أي وجميع المؤمنين.

قوله: ﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض لهم بأنهم هم المشركون، وبيان أن النبي على ملة إبراهيم من حيث السهولة وأصول الدين. قوله: [ونزل لما قالوا الخ] أي حين حولت القبلة قالوا لم تحولت عن قبلتنا مع كونها أقدم وأفضل. قوله: [لغة في مكة] أي فأبدلت الميم باء. قوله: [لأنها تبك أعناق الجبابرة] أي وسميت مكة لأنها من المك وهو الإزالة، فإنها تزيل الذنوب وتمحوها. قوله: [بناه الملائكة] ورد أن الله لما خلق البيت المعمور، وكانت ملائكة السماء تطوف به، اشتاقت ملائكة الأرض لبيت مثله، فأمرهم ببناء بيت محاذ للبيت الذي في السماء وكان من درة بيضاء وطافت به قبل آدم ألفي سنة. قوله: [ووضع بعده] أي بعد بنائه ظاهره أنه وضع بعد بناء الملائكة بأربعين سنة، فيكون من وضع الملائكة ويكون متقدماً على آدم وليس كذلك، بل الحق أن بيت المقدس وضعه آدم بعد بنائه هو البيت الحرام بأربعين سنة. قوله: [زبدة] بالتحريك رغوة بيضاء. قوله: [ذا بركة] أي من حيث الحج به وتكفير السيئات لمن دخله بذل وانكسار. قوله: [لأنه قبلتهم] أي يتوجهون إليه عند الصلاة، وعموم الآية يشهد بأنه قبلة حتى للجمادات، ولذلك ترى الأشجار عند انحنائها تكون لجهته. قوله: [وبقي إلى الآن] أشار بذلك إلى أن في الحجر آيتين غوص

فيه وأن الطير لا يعلوه ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾: لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: واجب بكسر الحاء وفتحها لغتان في مصدر حج بمعنى قصد ويبدل من الناس ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: طريقاً فسّره ﷺ بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٩٧: الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٨: فيجازيكم عليه ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾: تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: بتكذيبكم النبي وكتم نعته ﴿تَبْغُونَهَا﴾: أي تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾:

إبراهيم فيه وصعوده به ونزوله به، وكونه باقياً إلى الآن. قوله: [تضعيف الحسنات فيه] أي فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة، قوله: [وأن الطير لا يعلوه] أي لا يمر على ظهره إلا إذا كان بالطير مرض فيمر ليشتفي بهوائه. قوله: [بقتل] أي ولو قصاصاً، هذا ما كان في الجاهلية فكان الرجل يقتل ويدخله فلا يتعرض له ما دام فيه، وأما بعد الإسلام فعند مالك والشافعي إن قتل اقتص منه فيه، وعند أبي حنيفة لا يقتص منه فيه ما دام فيه وإنما يضيق عليه حتى يخرج، وهذا هو الأمر في الدنيا، وأما في الآخرة فبتكفير السيئات ومضاعفة الحسنات.

قوله: ﴿ولله على الناس﴾ خبر مقدم و﴿حج البيت﴾ مبتدأ مؤخر، والحج لغة القصد، واصطلاحاً عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعاً وسعياً بين الصفا والمروة كذلك ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص، وهو فرض عين في العمر مرة، وواجب كفاية كل عام إن قصد إقامة الموسم، ومندوب إن لم يقصد ذلك. قوله: [لغتان] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [ويبدل من الناس] أي بدل بعض من كل، والعائد محذوف تقديره منهم. قوله: ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ أي على سبيل العادة، فلا يجب بطيران ولا خطوة، لكن لو فعل سقط الفرض، وأما المشي فيجب به عند مالك إن قدر عليه.

قوله: ﴿ومن كفر﴾ [بالله] أي أنكر وحدانيته أو جحد شيئاً من أحكامه. وقوله: [أو بما فرضه] تفسير ثان. قوله: ﴿فإن الله غني عن العالمين﴾ أي فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم قال تعالى: ﴿فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد﴾.

قوله: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى، وخصهم بالذكر لأن كفرهم محض عناد قوله: [القرآن] أي وما الحق به من المعجزات الباهرة. قوله: ﴿على ما تعملون﴾ أي من الكفر. قوله: [تصرفون] أي تمنعون. قوله: [أي دينه] أي المعتدل.

قوله: ﴿من آمن﴾ يحتمل أن المعنى من آمن بالفعل تسعون في رده عن الإيمان إلى الكفر ويحتمل أن المراد من أراد الإيمان تصدوه عن كونه يؤمن بالله. قوله: ﴿تبغونها﴾ الجملة حالية من الواو في تصدون. قوله: ﴿عوجاً﴾ هو بكسر العين في المعاني وبفتحها في الأجسام، يقال اعوجت الطريق واعوج الحائط، بمعنى قام بالأول العوج بالكسر، وبالثاني العوج بالفتح، والمعنى تتركون السبيل المعتدلة وتطلبون السبل المعوجة. قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾. قوله: [مصدر] أي حال من ضمير

---

* أسباب نزول الآية ٩٧: قوله تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني﴾ الآية، أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾ الآية ـ قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: أن الله فرض على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا ن يحجوا، فأنزل الله ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق ﴿وأنتم شهداء﴾: عالمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسلام كما في كتابكم ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾٩٩: من الكفر والتكذيب وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم. ونزل لما مر بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تآلفهم فذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾١٠٠: ﴿وكيف تكفرون﴾: استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم﴾: يتمسك ﴿بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾١٠١ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾: بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا

تبغونها. قوله: ﴿وأنتم شهداء﴾ الجملة حالية من الواو في تبغونها. قوله: ﴿كما في كتابكم﴾ المراد به الجنس الصادق بالتوراة والإنجيل.

قوله: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ دفع بذلك توهم أن الله حيث أمهلهم فهو غافل عنهم، وقال تعالى أيضاً: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الآيات. قوله: [من الكفر الخ] بيان لما. قوله: [ونزل لما مر بعض اليهود] أي واسمه شاس. قوله: [فغاظه تآلفهم] أي توددهم ومحبة بعضهم لبعض، بعد أن كان ما كان بينهم من الشحناء والبغضاء. قوله: [فذكرهم] ورد أنه كان معه شاب يهودي فقال له اذهب إلى بني قيلة هؤلاء وقل لهم أتذكرون يوم بعاث، واذكر لهم ما تناشدوه بينهم من الأشعار التي فيها الهجو لبعضهم بعضاً، وكان يوم بعاث عظيماً في اقتتال الأوس والخزرج، وكانت الغلبة فيه للخزرج، فذهب ففعل كما أمره، فقالوا السلاح السلاح، فنزل جبريل على النبي ﷺ بالآيات إلى قوله: ﴿لعلكم تهتدون﴾ فخرج النبي مع بعض أصحابه فوجدهم في الصحراء مصطفين للقتال، فقال يا معشر المسلمين أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم إصر الجاهلية وألف بين قلوبكم، وقرأ عليهم الآيات، فعلموا أنها نزغة من عدوهم، فألقوا السلاح وصار يعانق بعضهم بعضاً، قال جابر بن عبد الله: ما رأيت يوماً أشأم منه ولا أسر منه، كان أوله شؤماً وآخره سروراً. قوله: ﴿فريقاً﴾ هو شاس واتباعه، قوله: ﴿يردوكم﴾ أي يصيروكم فالكاف مفعول أول، وكافرين مفعول ثان، فرد تنصب مفعولين، كقول الشاعر:

فرد وجوههن البيض سوداً ... ورد شعورهن السود بيضا

قوله: ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾ هاتان الجملتان حالان والمعنى كيف يحصل منكم الكفر والحال أنكم تتلى عليكم آيات الله أي القرآن وفيكم رسوله محمد فهذا الأمر مستبعد أن يكون بعد تمام الهدى الكفر والضلال. قوله: ﴿إلى صراط مستقيم﴾ أي دين قيم لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام. قوله: ﴿حق تقاته﴾ صفة المصدر محذوف أي تقوى حق تقاته. قوله: [بأن يطاع الخ] تصوير للتقوى حق التقوى، وهذه أخلاق الأنبياء والمرسلين لعصمتهم وتكون لخواص عباد الله الذين على قدم الأنبياء ولذلك قال بعض العارفين:

---

* أسباب نزول الآية ١٠٠: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا﴾ الآية. أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت ﴿وكيف تكفرون﴾ الآية والآيتان بعدها.

وأخرج ابن إسحاق وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال: مر شاس بن قيس، وكان يهودياً على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعاث ففعل، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس بن قيظي من الأوس. وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار، ومن كان معهما ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب﴾ الآية، وفي شاس بن قيس ﴿يا أهل الكتاب لم تصدون﴾ الآية.

يكفر ويذكر فلا ينسى فقالوا: يا رسول الله ومن يقوي على هذا فنسخ بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ١٠٢: موحدون ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾: تمسكوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾: أي دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: بعد الإسلام ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: أنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾: يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾: قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ﴾: جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾: طرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾: بالإيمان ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٠٣ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾: الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ﴾: الداعون الآمرون

وَلَو خَطَرَتْ لي في سِواكَ إرادَةٌ ... على خاطِري يَوماً حَكَمتُ بِرِدَّتي

ولكن ليس معنى ذلك أنه يكون كافراً يستحق الخلود في النار، بل هذا لسان محب عاشق وردّة نقصه عن مرتبة حبه إلى مرتبة أدنى منها في الحب، وأما القرآن فنزل على أخلاق العوام لتعليمهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين، فنسخ الآية من حيث التكليف بهذا المعنى على سبيل الوجوب، وأما الرقي لتلك المراتب فمما يتنافس فيه المتنافسون على سبيل التطوع والتقرب فتدبر. قوله: [فنسخ بقوله الخ] أي فيقال في قوله: [بأن يطاع] بحسب الطاقة، وقوله: [فلا يعصى] يعني أصلاً، وكذا قوله: [ويشكر ولا يكفر ويذكر فلا ينسى] ويناسب الناسخة قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين﴾ وقيل إن الآية ليست منسوخة بل آية ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ مبينة للمراد منها. قوله: ﴿ولا تموتن﴾ أي يا بني قيلة الأوس والخزرج، قوله: ﴿إلا وأنتم مسلمون﴾ أي فلا يكن منكم موت على حالة دون حالة الإسلام، والمعنى دوموا على الإسلام إلى الممات، ولا تغيروا ولا تبدلوا لئلا يصادفكم الموت في حالة التغيير، قال المفسر في بعض كتبه وما شاع من تفسير قوله تعالى: ﴿إلا وأنتم مسلمون﴾ متزوجون فهو باطل لا أصل له، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي، وخص حالة الموت بذلك لأن ثمرة الأعمال تظهر في تلك الحالة والمدار عليها.

قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ أي حين الدخول في الإسلام، وقوله: ﴿ولا تفرقوا﴾ أي فدوموا على الاجتماع ولا يكن منكم تفرقة. قوله: [أي دينه] أي أو القرآن، وفي الكلام استعارة حيث شبه الدين أو القرآن بالحبل، واستعير اسم المشبه به وهو الحبل للمشبه، وهو الدين أو القرآن على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع بينهما التوصل للمقصود في كل، وإضافته للفظ الجلالة قرينة مانعة والاعتصام ترشيح، وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الوثوق بالاعتصام، واستعار الاعتصام للوثوق، واشتق من الاعتصام اعتصموا بمعنى ثقوا. قوله: ﴿إخواناً﴾ خبر ثان لأصبحتم، وقوله: [والولاية] أي النصرة أي ينصر بعضكم بعضاً. قوله: ﴿يبين الله لكم آياته﴾ أي يزيدكم بياناً ما دام رسول الله فيكم، قوله: ﴿تهتدون﴾ أي تدومون على الهداية وتزيدون فيها.

قوله: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ يحتمل أنها ناقصة، وأمة اسمها ويدعون خبرها، ومنكم إما ظرف لغو متعلق بتكن أو حال من أمة أو من الواو في يدعون أو تامة وأمة فاعلها، وجملة يدعون صفة لأمة ومنكم حال أو متعلق بتكن. قوله: ﴿يدعون إلى الخير﴾ مفعوله هو وما بعده من يأمرون وينهون محذوف تقديره الناس. قوله: [الإسلام] إنما قصره عليه لأنه رأس الأمور ولأجل قوله بعد ﴿ويأمرون بالمعروف﴾، قوله: ﴿بالمعروف﴾ المراد به ما طلبه الشارع، إما على سبيل الوجوب كالصلوات الخمس وبر الوالدين وصلة الرحم، أو الندب كالنوافل وصدقات التطوع. وقوله: ﴿عن المنكر﴾ المراد به ما نهى عنه الشارع، إما على سبيل الحرمة كالزنا والقتل والسرقة أو على سبيل الكراهة. قوله: [ومن

الناهون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾١٠٤: الفائزون ومن للتبعيض لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل أمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل وقيل زائدة أي لتكونوا أمة ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾: عن دينهم ﴿وَٱخْتَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ﴾: وهم اليهود والنصارى ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾١٠٥ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: أي يوم القيامة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم توبيخاً ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: يوم أخذ الميثاق ﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾١٠٦ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: وهم

للتبعيض] أي بناء على أن المخاطب بفرض الكفاية بعض غير معيّن أو معيّن في علم الله. قوله: **[كالجاهل]** أي فلا يأمر ولا ينهى لأنه ربما أمر بمنكر أو نهى عن معروف لعدم علمه بذلك. قوله: **[وقيل زائدة]** أي بناء على أن المخاطب بفرض الكفاية الجميع ويسقط بفعل بعضهم. قوله: **[أي لتكونوا أمة]** أي دعاة للخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر. قوله: **[وهم اليهود والنصارى]** أي فافترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون في النار، والنصارى اثنتين وسبعين فرقة والباقون في النار، وأخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون في النار، وهذا التفرق من بعد الصحابة، فالناجي من كان على قدم النبي وأصحابه، ويختلف في كل زمن بالقلة والكثرة، ففي الصدر الأول كانوا ظاهرين أقوياء، وكلما تقادم الزمان ازدادوا في الاختفاء، لكن لا تنقطع الفرقة الناجية ما دام القرآن موجوداً، قال الله تعالى: ﴿الله الذي نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ الآية، فلولا أن أهل القرآن الذين يتدبرونه موجودون لما بقي القرآن، إن قلت إن دعاءهم مستجاب فهلا دعوا بإصلاح العالم مثلاً؟ أجيب بأنهم لا يلهمون الدعاء بغير ما في علم الله، فإذا علم الله أن العالم لا يصلح مثلاً فلا يلهمون ولا يوفقون للدعاء بإصلاحه بل هم أشد الناس صبراً وتحملاً للمكاره ورضاً بالقضاء والقدر وفي ذلك قلت:

أرح قلبك العاني وسلم له القضا تفز بالرضا فالأصل لا يتحول
علامة أهل الله فينا ثلاثة أمان وتسليم وصبر مجمل

والتفرق المذموم إنما هو في العقائد لا في الفروع فإنه رحمة لعباد الله. قوله: ﴿وأولئك﴾ مبتدأ وعذاب مبتدأ ثان ولهم متعلق بمحذوف خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول. قوله: ﴿يوم تبيض وجوه﴾ ظرف متعلق بما تعلق به الجار والمجرور تقديره وأولئك الذين تفرقوا في العقائد عذاب عظيم مستقر لهم يوم تبيض وجوه الخ. يعني أنه يكون ويحصل ذلك العذاب حينئذ، ويحتمل أن قوله: ﴿يوم﴾ مفعول المحذوف تقديره اذكر يوم تبيض وجوه. وبياض الوجه إما حقيقة فقد ورد أن وجه المؤمن يكون أضوأ من الشمس في رابعة النهار، وإما كناية عن الفرح والسرور ومثله يقال في اسوداد الوجه، وذلك حين تطاير الصحف، فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه ويقول ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ الآية والكافر يأخذ كتابه بشماله ويقول ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ الآية.

قوله: ﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ تفصيل لما أجمل أولاً، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إن أردت تفصيل ما تقدم فأقول لك أما الذين اسودت وجوههم وقدم في التفصيل هذا القسم مبادرة بالتحذير، وليكون في الكلام حسن ابتداء وحسن اختتام، فابتدأ الآية بالبشرى وختمها كذلك. قوله: **[فيلقون في النار]** أي وإلقاؤهم مختلف، فمنهم من يؤخذ بالكلاليب، ومنهم من يؤخذ بالنواصي والأقدام، وعلى كل حال فهم يسحبون في النار على وجوههم، وهذه الجملة خبر المبتدأ قدرها المفسر، وذلك لأن الجزاء في المقابل هو الكون في الجنة، فالمناسب هنا أن يكون هو الكون في النار، وتقدير القول هنا لأجل أن يكون حذف الفاء في جواب أما مقيساً. قوله: **[ويقال لهم]** يحتمل أن ذلك من كلام الله لهم، ويحتمل أن ذلك على لسان الملائكة. قوله: **[يوم أخذ الميثاق]** دفع بذلك ما يقال إن الآية ظاهرة فيمن

المؤمنون ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: أي جنته ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٠٧ تِلْكَ﴾: أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٨﴾: بأن يأخذهم بغير جرم ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تصير ﴿ٱلأُمُورُ ١٠٩ كُنتُمْ﴾: يا أمة محمد في علم الله تعالى ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾: أظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ آمَنَ

ارتد بعد إيمانه لا فيمن كان كافراً واستمر على كفره، وأجيب أيضاً بأن هذا يحمل على اليهود والنصارى، فإنهم كانوا مؤمنين برسول الله قبل البعثة ثم كفروا به بعدها، وأجيب أيضاً بأن قوله: ﴿بعد إيمانكم﴾ أي بعد ظهور الأدلة التي توجب الإيمان.

قوله: ﴿فذوقوا العذاب﴾ فيه استعارة بالكناية حيث شبه العذاب بشيء مر يذاق، وطوي ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الاذاقة فاثباتها تخييل. قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ الباء سببية، فالكفر سبب في إذاقة العذاب، بخلاف الطاعات فلم يجعلها الله سبباً لدخول الجنة، بل دخول الجنة بمحض فضل الله. وإنما كان جزاء الكفار الخلود في النار لأن الكفر إنكار لكمالات الله وهي لا تتناهى، فكان جزاؤه عذاباً لا يتناهى، وذلك يتحقق بالخلود، بخلاف معصية المؤمن. قوله: [أي جنته] أي ففيه إطلاق الحال وإرادة المحل، فالجنة محل هبوط الرحمة والرحمة ناشئة عن ذات الله فقولهم اللهم أجمعنا في مستقر رحمتك، فالمراد بالمستقر محل هبوط الرحمة وهي الجنة لا ذات الله. قوله: ﴿بالحق﴾ أي الصدق. قوله: ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ أي فحيث انتفت إرادة الظلم فالظلم منفي بالأولى، لأن تعلق الإرادة في التعقل سابق على الفعل. قوله: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي فيتصرف في ملكه كيف شاء. قوله: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي فلا مفر منه ولا محيص عنه قوله: ﴿كنتم خير أمة﴾ هذا مدح عظيم وتفضيل من الله لهذه الأمة المحمدية، وفيه إعلام بتثبيتهم على تلك الأوصاف العظيمة، واعلم أن المخاطب مشافهة الصحابة وثبتت لهم هذه الصفات المرضية فمدحهم الله على ذلك، ومن تمسك بأوصافهم وأخلاقهم كان ممدوحاً مثلهم، وهذا المدح يدل على أن أوصافهم مرضية لله، فشرفهم الله بشرف نبيهم، قال صاحب البردة:

لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأشرف الرسل كنا أكرم الأمم

وقال في الهمزية:

ولك الأمة التي غبطتها ... بك لما أتيتها الأنبياء

ومدحهم الله سابقاً بقوله: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ الآية، وبالجملة فهو ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق، وأمته أفضل الأمم على الإطلاق، وكان فعل ناقص يفيد الإتصاف في الماضي، لكن المراد هنا الدوام على حد ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ والتاء اسمها وخير خبرها، وقوله: ﴿أخرجت للناس﴾ صفة لأمة. قوله: [في علم الله] أي وقيل في اللوح المحفوظ، وقيل في كتب الأمم السابقة. قوله: ﴿للناس﴾ إنما عبر باللام دون من، إشارة إلى أن هذه الأمة نفع ورحمة لنفسها وللخلق عموماً. في الدنيا بالدعاء لجميع الأمم، وفي الآخرة بالشهادة للأنبياء. قوله: ﴿تأمرون بالمعروف﴾ إما خبر بعد خبر لكان، والمقصود منه تفصيل ما أجمل أولاً، أو صفة لمعنى الخيرية، أو استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما وجه الخيرية، وراعى في الخطاب لفظ كنتم، ولو راعى الخبر لقال يأمرون، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة، واختيرت صيغة الخطاب تشريفاً لهم وإشارة إلى رفع الحجب عنهم، حيث خاطبهم ولم يخبر عنهم وأنهم مقربون من حضرة الله. إن قلت إن الإيمان هو الأصل فلم لم يقدم؟ أجيب بأنه غير مخصوص بهم،

﴿أَهْلُ ٱلْكِتَابِ لَكَانَ﴾: الإيمان ﴿خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ ١١٠: الكافرون ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾: أي اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّا أَذًى﴾: باللسان من سب ووعيد ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ ١١١: عليكم بل لكم النصر عليهم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾: كائنين ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وَبَآءُو﴾: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ﴾: تأكيد ﴿بِمَا عَصَواْ﴾: أمر الله ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ ١١٢: يتجاوزون

وإنما الفضل الثابت لهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الأمة لها شبه بالأنبياء من حيث إنها مهتدية في نفسها هادية لغيرها. قوله: ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ أي الهيود والنصارى.

قوله: ﴿خيراً لهم﴾ أي من الايمان بموسى وعيسى في زمانهما، أي أن من آمن بمحمد أعلى وأفضل ممن أدرك موسى وعيسى وآمن به لدخوله في هذا المدح العظيم، أو المعنى خيراً لهم مما هم عليه في زعمهم، وإن كان في الواقع ما هم عليه ليس بخير، أو ذلك تهكم بهم، أو أن أفعل التفضيل ليس على بابه أي لكان هو الخير لهم. قوله: ﴿منهم المؤمنون﴾ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر نشأ من قوله: ﴿ولو آمن اهل الكتاب﴾ كأن قائلاً قال وهل آمن منهم احد او لا فأجاب بذلك. قوله: [كعبد الله بن سلام] أي من اليهود وادخلت الكاف النجاشي وغيره من النصارى. قوله: [الكافرون] أي وسماهم فاسقين لانهم فسقوا في دينهم، فليسوا عدولاً فيه. قوله: ﴿إلا اذى﴾ قيل استثناء منقطع وهو المتبادر من المفسر، والمعنى لا يصل لكم منهم ضرر بشيء أصلاً لكن يقع منهم أذى باللسان، قال تعالى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ ففي الحقيقة لا ضرر في ذلك، وقيل الاستثناء متصل، والمعنى لن يصل لكم منهم ضرر في حال من الأحوال، إلا في حال الضرر اللساني. قوله: [من سب] أي للنبي وأصحابه، وقوله: [ووعيد] أي للمؤمنين بقولهم إنا نغلبهم، وستكون العزة لنا والذلة لهم.

قوله: ﴿ثم لا ينصرون﴾ ليس معطوفاً على جواب الشرط، وإلا لأوهم أنهم قد ينصرون من غير قتال، بل هو مستأنف ليفيد سلب النصرة عنهم في جميع الأحوال. قوله: ﴿أينما ثقفوا﴾ أين اسم شرط وثقفوا فعل الشرط وجوابه محذوف لدلالة ضربت عليهم الذلة عليه، التقدير أينما ثقفوا تضرب عليهم الذلة. قوله: [فلا عز لهم] أي ولذا لم يوجد منهم سلطان أصلاً فالذل قد علاهم للمؤمنين والنصارى لقوله تعالى: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾. قوله: [ولا اعتصام] معطوف على قوله فلا عز لهم، وقدر ذلك ليرتب قوله: ﴿إلا بحبل من الله﴾ عليه إشارة إلى أنه مستثنى من محذوف. قوله: ﴿بحبل من الله﴾ أي وهو الإيمان. قوله: [أي لا عصمة لهم غير ذلك] أي لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وأموالهم وعاشوا في الذل. قوله: [ذلك] أي المذكور من ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله. قوله: ﴿ويقتلون الانبياء﴾ أي فقتلوا أول النهار سبعين نبياً وآخره أربعمائة عابد. إن قلت: إن القاتل للأنبياء أجدادهم فلم أوخذوا بفعل أصولهم أجيب بأن رضا الفروع بقتل أصولهم الأنبياء صيره كأنه واقع منهم، فالقتل وقع من أصولهم بالفعل ومنهم بالعزم والتصميم، فهم الآن لو تمكنوا من النبي والمسلمين ما أبقوا واحداً. قوله: ﴿بغير حق﴾ أي حتى في اعتقادهم، فاعتقادهم عدم الحقية مطابق للواقع غير أنه عناد منهم. قوله: [تأكيد] أي فالعصيان والاعتداء هو عين الكفر وقتل

الحلال إلى الحرام ﴿لَيْسُواْ﴾: أي أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾: مستوين ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: أي في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ١١٣: يصلّون حال ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ﴾: الموصوفون بما ذكر ﴿مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ ١١٤: ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾: بالتاء أيتها الأمة وبالياء أي الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾: بالوجهين أي تعدموا ثوابه بل تجازون عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ ١١٥ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾: تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا

الأنبياء، ويحتمل أنه ليس تأكيداً بل هو علة للعلة، أي فعلة ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله كفرهم وقتلهم الأنبياء، وعلة الكفر والقتل عصيانهم أمر الله وتجاوزهم الحدّ.

قوله: ﴿ليسوا سواء﴾ هذه الجملة راجعة لجميع أهل الكتاب أي هم غير مستوين في العقيدة، بل منهم من هو على حق ومنهم من هو على باطل. قوله: [مستوين] دفع بذلك ما يقال إن سواء خبر عن الواو في ليسوا فكان حقه أن يجمع مطابقة له، فأجاب بأن سواء مصدر من التسوية بمعنى مستوين. قوله: ﴿من أهل الكتاب أمة﴾ هذا كالتفصيل لقوله ليسوا سواء. قوله: [كعبد الله بن سلام وأصحابه] أي من اليهود، وكالنجاشي وأربعين من نصارى نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثلاثة من الروم، كجماعة من الأنصار كأسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وصرمة ابن أنس، كانوا يتعبدون بما يعرفون من الشرائع القديمة، فلما بعث النبي صدقوه ونصروه. قوله: ﴿آناء الليل﴾ إما جمع أنى كعصا أو أني كمعي أو أني كظبي أو أنى كحمل أو أنو كجزو. قوله: [أي في ساعاته] أي اللغوية وهي دقائقه ولحظاته، قال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾. قوله: [يصلون] سمى الصلاة سجوداً لأنه أشرف أجزائها، وقوله: [حال] أي من قوله: ﴿يتلون﴾ أي يقرؤون القرآن في حال صلاتهم.

قوله: ﴿يؤمنون بالله﴾ أي يصدقون بأن الله متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص، وقوله: ﴿واليوم الآخر﴾ أي وما فيه من النعيم والعقاب فيصدقون بأنه حق. قوله: ﴿ويأمرون﴾ مفعوله هو وينهون محذوف تقديره الناس. قوله: ﴿ويسارعون﴾ أي يبادرون بامتثال أمر الله، إن قلت إن العجلة مذمومة، ففي الحديث العجلة من الشيطان إلا في أمور. أجيب: بأن معنى المسارعة أنه إذا تعارض حق لله وحظ لنفسه بادر لحق الله وترك حظه، وأما العجلة فهي المبادرة للشيء مطلقاً كأن يبادر للصلاة قبل وقتها، أو في الصلاة بأن لا يتقن ركوعها ولا سجودها، فإن ذلك مذموم إلا في أمور، فهي مسارعة لا عجلة كالتوبة وتقديم الطعام للضيف وتجهيز الميت وزواج البكر والصلاة في أول وقتها. قوله: [ومنهم من ليسوا كذلك] قدر ذلك إشارة إلى أن في الآية حذف المقابل. قوله: [وبالياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿من خير﴾ أي قليل أو كثير، قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾. قوله: [بالوجهين] أي التاء والياء. قوله: [بل تجازون عليه] أي في الآخرة.

---

* أسباب نزول الآية ١١٣: قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مندة في الصحابة عن ابن عباس قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سمية، وأسيد بن سمية، وأسد بن عبد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب﴾ الآية.

وأخرج أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما انه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، وأنزلت هذه الآية ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ حتى بلغ ﴿والله عليم بالمتقين﴾.

﴿أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: أي من عذابه ﴿شَيْئًا﴾: وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١١٦ ﴿مَثَلُ﴾: صفة ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾: أي الكفار ﴿فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: في عداوة النبي أو صدقة ونحوها ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾: زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: فلم ينتفعوا به، فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾: بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ١١٧: بالكفر الموجب لضياعها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾: أصفياء تطلعونهم على سركم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: نصب بنزع الخافض أي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾: تمنوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: أي عنتكم وهو شدة الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾: ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾: العداوة لكم ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾: من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: على عداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ١١٨: ذلك فلا توالوهم ﴿هَا﴾: للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾: يا ﴿أُولَاءِ﴾: المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾: لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾: لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾: أي بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾: أطراف

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ قيل نزلت في قريظة وبني النضير، وقيل في مشركي العرب، وقيل فيما هو أعم وهو الأقرب. قوله: ﴿شيئاً﴾ أي قليلاً كان أو كثيراً. قوله: [يدفع عن نفسه] أي في الدنيا. قوله: ﴿مثل ما ينفقون﴾ يحتمل أن ما اسم موصول وينفقون صلتها والعائد محذوف، ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر تقدير الأول مثل المال الذي ينفقونه، وتقدير الثاني مثل إنفاقهم. قوله: [في عداوة النبي] أي في مثل حروبه، وقوله: [أو صدقة] أي على فقرائهم أو فقراء المسلمين. قوله: [ونحوها] أي كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

قوله: ﴿كمثل ريح﴾ أي كمثل مهلك ريح فالكلام على حذف مضاف. قوله: [حر] أي ويسمى بالسموم، وقوله: [أو برد شديد] أي ويسمى بالزمهرير. قوله: ﴿أصابت﴾ أي تلك الريح. قوله: [أي زرع] سماه حرثاً لأنه يحرث. قوله: ﴿قوم ظلموا أنفسهم﴾ هذا وصف المشبه به. قوله: ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ هذا في جانب المشبه فلا تكرار.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نزلت في قوم من المؤمنين كان لهم أقارب من المنافقين والكفار وكانوا يواصلونهم. قوله: [أصفياء] أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة، حيث شبه الأصفياء ببطانة الثوب الملتصقة به، واستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع شدة الالتصاق على حد الناس دثار والأنصار شعار. قوله: [أي لا يقصرون في الفساد] أي فليس عندهم تقصير في ذلك بل هو شأنهم. قوله: ﴿ما عنتم﴾ ما مصدرية تسبك بمصدر أي ودوا عنتكم بمعنى تعبكم ومشقتكم. قوله: [بالوقيعة فيكم] أي في أعراضكم بالغيبة وغيرها. قوله: [فلا توالوهم] أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: ﴿بالكتاب﴾ أي جنسه، وقوله: [ولا يؤمنون بكتابكم] أي القرآن. قوله: ﴿وإذا خلوا﴾ أي خلا بعضهم ببعض. قوله: ﴿عليكم﴾ أي من أجلكم.

• أسباب نزول الآية ١١٨: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا﴾. أخرج ابن جرير وابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ الآية.

الأصابع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾: شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازاً وإن لم يكن ثم عض ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾: أي ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ١١٩: بما في القلوب ومنه ما يضمره هؤلاء ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾: تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾: نعمة كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: كهزيمة وجدب ﴿يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾: وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى أنهم متناهون في عداوتكم فلم توالونهم فاجتنبوهم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾: على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾: الله في موالاتهم وغيرها ﴿لَا يَضِرُّكُمْ﴾: بكسر الضاد وسكون الراء وضمها وتشديدها ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ ١٢٠: عالم فيجازيهم به ﴿وَ﴾: اذكر يا محمد ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾: تنزل ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾: مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ ١٢١:

قوله: ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ أي مصاحبين له وهو دعاء عليهم بذلك. قوله: [وجدب] هو ضد الخصب. قوله: [وجملة الشرط] أي وهي إن تمسسكم الخ وقوله: [بالشرط] وهو قوله: ﴿وإذا لقوكم﴾ وقوله [وما بينهما] أي وهو قوله: ﴿قل موتوا﴾ الآية. قوله: [بكسر الضاد] أي فهما قراءتان سبعيتان، الأولى من ضار يضير، والثانية من ضر يضر، والفعل من كليهما مجزوم جواباً للشرط، وجزمه على الأولى ظاهر، وعلى الثانية بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الاتباع. قوله: ﴿كيدهم﴾ الكيد احتيال الشخص ليقع غيره في مكروه. قوله: [بالياء] أي وقد اتفق عليها العشرة، وقوله: [والتاء] أي وهي شاذة، فكان على المفسر أن ينبه على شذوذها، كأن يقول: وقرىء بالتاء كما هو عادته.

قوله: ﴿وإذ غدوت﴾ جمهور المفسرين على أن هذه الآية متعلقة بغزوة أحد، وقيل بغزوة بدر، وقيل بغزوة الأحزاب، والصحيح الأول، ولذا مشى المفسر عليه. قوله: ﴿من أهلك﴾ أي من بيت أهلك وهي زوجته عائشة، وكان قدوم جيش الكفار يوم الاربعاء رابع شوال وأميرهم إذ ذاك أبو سفيان فجمع ﷺ الأنصار والمهاجرين وشاورهم في الخروج لهم أو المكث في المدينة ينتظرونهم، فأشار عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين هو وجماعة من الأنصار بعدم الخروج فان أبوا قاتلهم الرجال والنساء، وأشار جماعة بالخروج، فدخل ﷺ منزله ولبس لأمته وخرج فقال هلموا إلى الخروج، فقالوا يا رسول الله ما لنا رأي معك، فقال ما من نبي يلبس لأمته ويرجع حتى يحكم الله له بين عدوه، وكان قد رأى في المنام بقراً ودرعاً حصيناً وضع يده فيه وثلما في ذبابة سيفه، فقالوا ما أولته فقال أما البقر فخير، وأما الدرع الحصين فهي المدينة، وأما الثلم في السيف فهزيمة، فخرج ﷺ هو وأصحابه بعد صلاة الجمعة، فلما أصبحوا جعل الجيش خمسة أقسام، جناحان ومقدم وساقة ووسط، وأنزل كلاً في منزلته، وأمرهم أن يثبتوا مكانهم ولا يتحولوا،

* أسباب نزول الآية ١٢١: قوله تعالى: ﴿وإذ غدوت﴾، أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلى عن المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتكم يوم أحد، فقال اقرأ بعد العشرين ومئة من آل عمران تجد قصتنا ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾ إلى قوله ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه﴾ قال: هو تمني المؤمنين لقاء العدو إلى قوله ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم﴾ قال: هو صياح الشيطان يوم أحد: قتل محمد إلى قوله ﴿أمنة نعاساً﴾ قال: ألقي عليهم للنوم. وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: فينا نزلت في بني سلمة وبني حارثة ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم عن الشعبي: أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين، فشق عليهم، فأنزل الله ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم﴾ إلى قوله ﴿مسومين﴾ فبلغت كرزاً الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمون بالخمسة.

لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم وهو يوم أُحُد خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشِّعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد وسوى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال: «انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا غُلبنا أو نُصرنا» ﴿إِذْ﴾: بدل من إذ قبله ﴿هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾: بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿أَن تَفْشَلَا﴾: تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وقال: علامَ نقتل أنفسنا وأولادنا وقال لأبي جابر السلمي القائل له: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١٢٢: ليثقوا به دون غيره. ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: بقلة العدد

وأخبرهم أنه بمجرد ملاقاة الصفوف تحصل الهزيمة للكفار، فلما التقى الصفّان ولى عبد الله بن أبي بن سلول هو وجماعته الثلثمائة وقالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، ولم يبق إلا ستمائة وخمسون، فهزم الصحابة الكفار أولاً واشتغلوا بالغنيمة، فنزع الله من قلوب الكفار الرعب فكروا عليهم مرة واحدة، ففر المسلمون ما عدا النبي وبعض الصحابة، فبعد ذلك اجتمع المسلمون للقتال، فقتل من كلٍّ سبعون وكانت العزة لله ورسوله. قوله: [وهو يوم أحد] أي وهو قول جمهور المفسرين وهو المعتمد. قوله: [أو إلا خمسين] أي فهما قولان. قوله: [سابع شوال] وقيل كان في نصفه فيكون قدوم الكفار يوم اثني عشر منه. قوله: [وعسكره] بالجر معطوف على الضمير المجرور في ظهره أي وجعل ظهر عسكره. قوله: [وأجلس جيشاً من الرماة] أي وهم المسلمون بالساقة. قوله: [وقال انضحوا] أي فرّقوا من النضح وهو الرش، والمعنى فرقوا الأعداء عنا بالنبل. قوله: [ولا تبرحوا] هذا في الحقيقة خطاب وأمر للجميع. قوله: ﴿همت طائفتان﴾ أي أرادت ولما كان الهم بالمعصية لا يكتب مدحهم الله بقوله: ﴿والله وليهما﴾ وأما بالطاعة فيكتب، وأما العزم فيكتب خيراً أو شراً، وما دونك ذلك من مراتب القصد لا يكتب أصلاً لا خيراً ولا شراً. قال بعضهم:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا — فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت — سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

قوله: [بنو سلمة] أي وهم من الخزرج، وقوله: [وبنو حارثة] أي وهم من الأوس. قوله: [وأصحابه] أي وكانوا ثلثمائة. قوله: [علام نقتل أنفسنا وأولادنا] أي لأي شيء نقتل. قوله: [وقال] أي عبد الله بن أبي ومقول القول قوله: [لو نعلم قتالاً الخ]. قوله: [القائل له] صفة لأبي جابر. قوله: [أنشدكم الله] أي أحلفكم بالله، وقوله: [في نبيكم وأنفسكم] أي في حفظهما قوله: [فثبتهما الله] أي الطائفتين بعد أن حصلت لهما التفرقة أولاً، وشج وجه رسول الله وكسرت رباعيته وضرب نيفاً وسبعين ضربة ما بين سهم وسيف، وطلحة بن عبد الله أحد العشرة يلقاها عن رسول الله، وحينئذ نادى إبليس والمنافقون في الناس إن محمداً قد مات، وكان ﷺ في محل منخفض فأراد الصعود ليراه المسلمون فلم ينهض، فحمله طلحة على ظهره وقد كان على المصطفى درعان، فلما رآه المسلمون فرحوا وصاروا يأتون إليه من كل فج كالناقة الغائب عنها ولدها إذا رأته، فحصل الثبات والنصر وباتت الهزيمة على الكفار. قوله: [ناصرهما] أي ولم يؤاخذهما بذلك الهم.

قوله: ﴿ولقد نصركم﴾ هذا الكلام تسلية للنبي وأصحابه فيما وقع لهم في غزوة أُحد، يعني أنه سبق لكم النصر

والسلاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٢٣: نعمه ﴿إذ﴾: ظرف لنصركم ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: توعدهم تطميناً ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ﴾: يعينكم ﴿رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ ١٢٤: بالتخفيف والتشديد ﴿بلى﴾: يكفيكم ذلك وفي الأنفال بألف لأنه أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾: على لقاء العدو ﴿وتتقوا﴾: الله في المخالفة ﴿ويأتوكم﴾: أي المشركون ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ﴾: وقتهم ﴿هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ١٢٥: بكسر الواو وفتحها أي معلمين وقد صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾: بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾: فلا

فلا تحزنوا بحصول تلك الشدة، وحكمتها تمييز المنافق من المؤمن لا الهزيمة كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾. قوله: [موضع بين مكة والمدينة] أي فسميت الواقعة باسم الموضع، وقيل إن بدراً اسم بئر حفرها رجل يقال له بدر فسمي المكان باسم ذلك الرجل. قوله: [بقلة العدد والسلاح] أي فلم يكن معهم إلا ثلاثة أفراس وثلاثة سيوف وكانت عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر وعدة الكفار نحو ألف. قوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ [نعمه] أي حيث نصركم مع كونكم أذلة فظفروا بهم وأخذوا شجعانهم ما بين قتيل وأسير.

قوله: ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ سبب هذا القول أنه لما تلاقى الصفان جاء للصحابة خبر بأن كرز بن جابر يمد الكفار ويمنعهم، فحزنت الصحابة حزناً شديداً فأنزل الله تلك الآية. قوله: ﴿ألن يكفيكم﴾ الاستفهام إنكاري نظير ألست بربكم. قوله: [يعينكم] أي يزيدكم. قوله: ﴿بثلاثة آلاف من الملائكة﴾. إن قلت: ما الحاجة إلى ذلك العدد الكثير فإن جبريل وحده أو أي ملك كاف في قتال الكفار؟ أجيب: بأن ذلك ينسب النصر لرسول الله والمؤمنين لقوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ فلو هلكوا بشيء مما هلك به الأمم السابقة لم يكن في ذلك مزيد فخر للمؤمنين ولا شفاء لغيظهم لكونه خارجاً عن اختيارهم.

قوله: ﴿بلى﴾ حرف جواب أي وهو إيجاب للنفي في قوله تعالى: ﴿ألن يكفيكم﴾ وأما جواب الشرط فهو قوله يمددكم. قوله: [لأنه أمدهم أولاً بها] هذا إشارة لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتي. قوله: ﴿من فورهم﴾ يطلق الفور على قوة الغليان يقال فار القدر غلا، ويطلق على الوقت الحاضر وهو المراد هنا. قوله: [بكسر الواو] أي اسم فاعل والمعنى معلمين أنفسهم آداب الحرب، وقوله: [وفتحها] أي اسم مفعول بمعنى أن الله علمهم آدابه. قوله: [وأنجز الله وعدهم] أي فكلما حصل للمؤمنين ضعف زادهم الله من الملائكة. قوله: [على خيل بلق] أي وجوهها وأيديها وأرجلها بيض، وقوله: [وعليهم عمائم صفر أو بيض] أي فيها روايتان وجمع بأن جبريل كانت عمامته صفراء وباقيهم بيض. قوله: [أرسلوها] أي طرفها، ورد عن علي أنه قال كنت في قليب بدر فاشتدت ريح عظيمة فرأيت جبريل نزل بألفين من الملائكة فسار أمام المصطفى، ثم اشتدت ريح فرأيت إسرافيل نزل بألفين من الملائكة فسار على يمينه. ثم اشتدت ريح فرأيت ميكائيل نزل بألف فسار على يساره. واعلم أن قتال الملائكة من خصائص هذه الأمة وليس مخصوصاً بواقعة بدر، بل ورد أن جبريل وميكائيل قاتلا مع النبي في أحد حين فرت أصحابه. قوله: [أي الامداد] أي المفهوم من قوله يمددكم.

قوله: ﴿إلا بشرى﴾ البشارة هي الخبر السار، ولا تطلق على الضد إلا مقيدة، كقوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾. قوله: ﴿ولتطمئن﴾ معطوف على بشرى الواقع مفعولاً لأجله، وجر باللام لعدم استيفائه شروط المفعول من

تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾١٢٦: يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند ﴿لِيَقْطَعَ﴾: متعلق بنصركم أي ليهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾: بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا﴾: يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ﴾١٢٧: لم ينالوا ما راموه. ونزلت لما كسرت رباعيته ﷺ وشج وجهه يوم أحد وقال: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم» ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾:

اجله، فإنّ فاعل الجعل الله، وفاعل الطمأنينة القلوب، فلم يتحد في الفاعل وشرطه الاتحاد. قوله: [فلا تجزع من كثرة العدو] ورد أن الملائكة كانت تقاتل وتقول للمؤمنين اثبتوا فإن عدوكم قليل والله معكم. قوله: [وليس بكثرة الجند] أي فلا تتوهموا أن النصر بكثرة العدد. قوله: [متعلق بنصركم] أي المتقدم في قوله: ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾. قوله: [أي ليهلك] إنما فسره بذلك لأن القطع يأتي لمعان منها التفريق كقوله تعالى: ﴿وقطعناهم في الأرض أمماً﴾ وليس مراداً هنا، ومنها الهلاك وهو المراد. قوله: [بالقتل] أي وكانوا سبعين، وقوله: [والأسر] أي وكانوا كذلك.

قوله: ﴿أو يكبتهم﴾ الكبت بمعنى الكبد فتاؤه مبدلة من الدال وهو الغيظ الذي يحرق الكبد. قوله: [لم ينالوا ما راموا] أي ما قصدوه. قوله: [لما كسرت رباعيته] أي السنة التي بين الثنايا والناب، وقوله: [وشج وجهه] أي غاصت فيه حلقة المغفر. قوله: [وقال كيف يفلح قوم الخ] أي وقد عزم على أن يدعو عليهم كذا قيل، والأقرب أن مقالة النبي حزناً على عدم إيمانهم فإن قصد النبي هداهم، وحيث وقع منهم ذلك الفعل فهو دليل على عدم إيمانهم فيفوت مقصد النبي، فسلاه الله بالآية كما سلاه بقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾، وبقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾. وقوله: [يوم أحد] أي وقيل نزلت في أهل بئر معونة، وهم سبعون رجلاً من القراء بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة، وهي بين مكة وعسفان، ليعلموا الناس القرآن والعلم، وأمر عليهم المنذر بن عمرو، وكان ذلك في صفر سنة أربع من الهجرة، فخانهم عامر بن الطفيل وقتلهم عن آخرهم. فاشتد غضب رسول الله ﷺ فسلاه الله بذلك.

قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي لا تملك لهم نفعاً فتصلحهم ولا ضراً فتهلكهم، فنفى ذلك من حيث الإيجاد والإعدام، وأما من حيث الدلالة والشفاعة فهو الدليل الشفيع المشفع جعل الله مفاتيح خزائنه بيده، فمن زعم أن النبي كآحاد الناس لا يملك شيئاً أصلاً ولا نفع به لا ظاهراً ولا باطناً، فهو كافر خاسر الدنيا والآخرة، واستدلاله بهذه

---

* أسباب نزول الآية: ١٢٨ قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية: روى أحمد ومسلم عن أنس: أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية. وروى أحمد والبخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم العن فلاناً، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية، فنزلت هذه الآية ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ إلى آخرها، فتيب عليهم كلهم، وروى البخاري عن أبي هريرة ونحوه.

قال الحافظ ابن حجر: طريق الجمع بين الحديثين: أنه ﷺ دعا على المذكورين في صلاته بعدما وقع له من الأمر المذكور يوم أحد، فنزلت الآية في الأمرين معاً فيما وقع له وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم. قال: لكن يشكل على ذلك ما وقع في مسلم من حديث أبي هريرة: أنه ﷺ كان يقول في الفجر: اللهم العن رعلاً وزكوان وعصية، حتى أنزل الله عليه ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾، ووجه الإشكال أن الآية نزلت في قصة أحد، وقصة رعل وزكوان بعدها، ثم ظهرت لي علة الخبر وأن فيه إدراجاً، فإن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عمن بلغه، بين ذلك مسلم، وهذا البلاغ لا يصح فيما ذكر به. قال: ويحتمل أن يقال أن قصتهم كانت عقب ذلك، وتأخر نزول الآية عن سببها قليلاً، ثم نزلت في جميع ذلك.

قلت: ورد في سبب نزولها إيضاً ما أخرجه البخاري في تاريخه وابن إسماعيل عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ، فقال: إنك تنهي عن السب، ثم تحول فحول قفاه إلى النبي ﷺ، وكشف استه، فلعنه، ودعا عليه، فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية، ثم أسلم الرجل فحسن اسلامه، مرسل غريب.

بمعنى إلى أنْ ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ١٢٨: بالكفر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: تعذيبه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ ١٢٩: بأهل طاعته ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَٰوا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾: بألف ودونها بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ١٣٠: تفوزون ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ١٣١: أن تعذبوا بها ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ١٣٢ ﴿وَسَارِعُوا﴾: بواو ودونها ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: أي كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى والعرض السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٣: الله بعمل الطاعات وترك المعاصي ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾: في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: اليسر والعسر ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾: الكافين عن إمضائه مع

الآية ضلال مبين. قوله: ﴿فانهم ظالمون﴾ علة لقوله ﴿أو يعذبهم﴾. قوله: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ هذا كالدليل لما قبله. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾ سبب نزول هذه الآية أن الرجل كان في الجاهلية إذا كان له دين على آخر وحل الأجل ولم يقدر الغريم على وفائه قال له صاحب الدين زدني في الدين وأزيدك في الأجل، فكانوا يفعلون ذلك مراراً، فربما زاد الدين زيادة عظيمة. قوله: [وتؤخروا الطلب] أي في نظير تلك الزيادة والواجب إنظار المعسر من غير شيء والتشديد على الموسر المماطل. قوله: [بتركه] أي الربا وكذا كل ما نهى الله عنه. قوله: [أن تعذبوا بها] أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف، أي اتقوا تعذيب النار، أي اجعلوا بينكم وبينه وقاية.

قوله: ﴿وسارعوا﴾ أي بادروا. قوله: [بواو ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو تكون الجملة معطوفة على جملة واتقوا النار، وعلى عدمها تكون الجملة استئنافية، كأن قائلاً قال وما كيفية تقوى النار وبأي شيء يكون تقواها، فأجاب بقوله سارعوا الخ، إن قلت: إن ما خالف الرسم العثماني شاذ فمقتضاه أن أحد القراءتين مخالف للرسم: أجيب: بأن المصاحف العثمانية تعددت، فبعضها بالواو وبعضها بدونها، ولا يرد هذا الاشكال إلا لو كان واحداً. قوله: ﴿إلى مغفرة﴾ أي إلى أسبابها وهو الانهماك في الطاعات والبعد عن المعاصي. قوله: ﴿وجنة﴾ عطفها على المغفرة من عطف المسبب على السبب، ومرادنا بالسبب الظاهري وإلا فالسبب الحقيقي هو فضل الله. قوله: [كعرضهما] أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف وأداة التشبيه وقد صرح بهما في سورة الحديد، قال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ واختلف هل هذا التشبيه حقيقي والمعنى لو بسطت السموات كل واحدة بجانب الأخرى وكذلك الأرض، لكان ما ذكر مماثلاً لعرض الجنة، وأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وإنما لم يقل طولها لأنه لا يلزم من سعة الطول سعة العرض بخلاف العكس، وهذا تفسير ابن عباس، أو مجازي وهو كناية عن عظم سعتها، وإلا فالسموات والأرض لو اتصلت بعضها ببعض كان ما ذكر أقل مما يعطاه أبو بكر الصديق فضلاً عن غيره، لما ورد أن جبريل يسير بأجنحته الستمائة في ملكه شهراً. إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول أو العرض السعة ليفيد أنه تفسير آخر.

قوله: ﴿أعدت للمتقين﴾ أي هيئت وأحضرت وقدم هذا الوصف لأنه مستلزم لجميع الأوصاف، والمتقين جمع متق وهو المنهمك في الطاعات المجتنب المعاصي. قوله: [اليسر والعسر] أي الرخاء والشدة وذلك لثقته بربه واعتماده

* أسباب نزول الآية: ١٣٠ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾، أخرج الفريابي عن مجاهد قال: كانوا يتبايعون إلى الأجل، فإذا حل الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾. وأخرج أيضاً عن عطاء قال: كانت ثقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نربيكم وتؤخرون عنا، فنزلت ﴿لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾.

القدرة ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ : ممن ظلمهم أي التاركين عقوبتهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٣٤ : بهذه الأفعال أي يثيبهم ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ : ذنباً قبيحاً كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ : بما دونه كالقبلة ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ : أي وعيده ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ﴾ : أي لا ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ : يديموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ : بل أقلعوا عنه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٣٥ : أن الذي أتوه معصية ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ : حال مقدرة أي مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ

عليه، فينفق في كل زمن على حسب حاله فيه قليلاً أو كثيراً ولا يستخف بالصدقة، ففي الحديث «اتقوا النار ولو بشق تمرة» وفي رواية «ولو بظلف محرق». قوله: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ أي وهو نارية تحل في القلب تظهر آثارها على الجوارح. قوله: [الكافين عن إمضائه مع القدرة] أي الكاتمين الغضب مع القدرة على العمل بمقتضاه بظواهرهم وبواطنهم، وكظم الغيظ من أعظم العبادة، ورد من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمناً وإيماناً، إن قلت: ورد عن الشافعي أنه قال من استغضب ولم يغضب فهو حمار فمقتضاه أنه مذموم ومقتضى الآية أنه من المتقين. أجيب: بأن كلام الشافعي يحمل على إذا ما رأى حرمات الله تفعل ولم ينه عنها ولم يغضب لأجلها، وقد اتفق للإمام الحسن زمن خلافته وكان حليماً جداً أن رجلاً قدم عليه ليمتحنه فصار يسبه ويتكلم فيه وهو يتبسم، فقال له الرجل إن شتمتني واحدة شتمتك مائة، فقال له الحسن إن شتمتني مائة ما شتمتك واحدة فوقع على قدمه وقبلها وقال أشهد أنك على خلق رسول الله.

قوله: ﴿والعافين عن الناس﴾ عطف على الكاظمين من عطف العام على الخاص، لأن العفو أعم من أن يكون معه كظم غيظ أو لا، كما إذا سبه وهو غائب فبلغه ذلك فعفا عنه من غير أن يستفزه الغضب، واتفق للإمام زين العابدين أن جاريته كانت تصب عليه ماء الوضوء، فسقط الإبريق على رأسه فشج وجهه فرفع بصره لها فقالت له والكاظمين الغيظ، فقال كظمت غيظي، فقالت والعافين عن الناس فقال عفوت عنك، فقالت والله يحب المحسنين، فقال أنت حرة لوجه الله. قوله: ﴿والذين إذا فعلوا﴾ شروع في ذكر التوابين بعد أن ذكر المطهرين، وبقي قسم ثالث وهم الذين أصروا على المعاصي وماتوا من غير توبة فأمرهم مفوض لله إما أن يدخلهم الجنة من غير سابقة عذاب أو يعذبهم بقدر الجرم ثم يدخلهم الجنة خلافاً للمعتزلة حيث منعوا غفران الذنوب لهم.

قوله: ﴿والذين﴾ مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وجزاؤهم مبتدأ ثالث، وقوله: ﴿مغفرة﴾ خبر الثالث وهو وخبره خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول، وقوله: [كالزنا] أي وغيره من الكبائر. قوله: [ذنباً قبيحاً] أي كبيراً، وقوله: [بما دونه] أي كالصغائر وهذه الآية نزلت في حق رجل تمار مرت عليه امرأة وأرادت أن تشتري منه تمراً فأعجبته فقال لها إن التمر الجيد داخل الحانوت فدخل معها الحانوت وفعل معها ما عدا الإيلاج وأعطاها التمر، فتذكر هيبة الله وعقابه، فجاء لرسول الله يبكي فنزلت الآية، قوله: [أي وعيده] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ أي أقلعوا عنها وتابوا، قوله: ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ جملة معترضة بين الحال وصاحبها قصد بها التعليل، قوله: ﴿ولم يصروا﴾ جملة حالية من الواو في استغفروا، قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ جملة حالية أيضاً. وقوله: [إن الذي أتوه معصية] إشارة لمفعول يعلمون. والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها والنهي عنها والوعيد عليها لأنه قد يقوم على الذنوب من لا يعلم أنه ذنب. ولا يؤخذ بذلك كالمجتهدين من الصحابة في قتال بعضهم، ولذلك كان الواحد منهم إذا ظهر له الخطأ أقلع في الحال. قوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ المعنى أن القصور والأشجار مشرفة على الأنهار.

﴿ٱلْعَامِلِينَ﴾ ١٣٦: بالطاعة هذا الأجر. ونزل في هزيمة أحد ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُوا﴾: أيها المؤمنون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٣٧: الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فأنا أمهلهم لوقتهم ﴿هَٰذَا﴾: القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾: كلهم ﴿وَهُدًى﴾: من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨: منهم ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: على ما أصابكم بأحد ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: بالغلبة عليهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٣٩: حقاً وجوابه دلّ

قوله: ﴿ونعم أجر العاملين﴾ نعم فعل ماض وأجر فاعل والمخصوص بالمدح محذوف قدّره المفسّر بقوله هذا الأجر الذي هو المغفرة أو الجنة. قوله: [ونزل في هزيمة أحد] أي تسلية للنبي وأصحابه على ما أصابهم من الحزن الذي وقع لهم في تلك الغزوة، فكأن الله يقول لهم لا تحزنوا فإن هذه سُنن من قبلكم والعبرة بالخواتم وقد تم النصر لكم على أعدائكم. قوله: ﴿قد خلت﴾ من الخلو بمعنى المضي. قوله: [في الكفار] أي كعاد مع هود، وكثمود مع صالح، وكقوم نوح معه، وكقوم لوط معه، وكالنمروذ مع إبراهيم. وكفرعون مع موسى. فإن الله أمهل هؤلاء ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، فكذلك هؤلاء. قال تعالى: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ وقال عليه الصلاة والسلام «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». قوله: [بإمهالهم] أي على سبيل الاستدراج. والمعنى فلا تحزنوا مما وقع لكم فإن الله يمهل ولا يهمل.

قوله: ﴿فسيروا﴾ إنما قرن الفعل بالفاء لما في الجملة الأولى من معنى الشرط، كأن الله يقول إن كنتم في شك مما ذكرته لكم فسيروا في الأرض لتروا آثارهم. قوله: [أي آخر أمرهم] أي وهو الهلاك الأخروي بإخبار الله ورسله والدنيوي بالمشاهدة. قوله: [فإنما أمهلهم لوقتهم] أي المقدّر لهم ولا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات. قوله: ﴿بيان﴾ إما باقٍ على مصدريته مبالغة أو بمعنى مبين أو ذو بيان على حد زيد عدل، ولذلك يسمى القرآن أيضاً فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل. قوله: [كلهم] أي مسلمين أو كفاراً، وإنما كان بياناً للجميع لإقامة الحجة على الكافر يوم القيامة وتعذيبه.

قوله: ﴿وهدى﴾ [من الضلالة] أي هاد من الكفر أو المعصية. قوله: ﴿للمتقين﴾ راجع لقوله: ﴿وهدى وموعظة﴾ وخصهم لأنهم هم المنتفعون بذلك. قال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ قوله: ﴿ولا تهنوا﴾ هذا من جملة التسلية للنبي وأصحابه، وأصله توهنوا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها. وسبب ذلك أنه لما حصلت التفرقة لأصحاب النبي ﷺ يوم أحد وقتل منهم سبعون وجرح منهم ناس كثيرون، وقتل من الكفار نيف وعشرون وجرح منهم ناس كثيرون، قال أبو سفيان رئيس الكفار منادياً للنبي وأصحابه أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهى القوم أن يجيبوه، فقال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت أحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك، ثم أخذ أبو سفيان يرتجز بقوله: اعل هبل اعل هبل. فقال عليه الصلاة والسلام ألا تجيبوه قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: إن لنا عزى ولا عزى لكم. فقال عليه الصلاة والسلام قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. وفي رواية قال أبو سفيان: يوم بيوم وإن الأيام دول والحرب سجال، فقال عمر: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، ثم أمر النبي أصحابه جميعاً بالإقبال على قتال الكفار ثانياً فصار الجريح منهم يزحف على الركب، ووقع الحرب بينهم وباتت الهزيمة على الكفار، فنزلت الآية تسلية للنبي وأصحابه.

قوله: ﴿وأنتم الأعلون﴾ أصله الأعلوون استثقلت الضمة على الواو فحذفت ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها

عليه مجموع ما قبله ﴿إن يمسسكم﴾: يصبكم بأحد ﴿قرح﴾: بفتح القاف وضمها جهد من جرح ونحوه ﴿فقد مس القوم﴾: الكفار ﴿قرح مثله﴾: ببدر ﴿وتلك الأيام نداولها﴾: نصرفها ﴿بين الناس﴾: يوماً لفرقة ويوماً لأخرى ليتعظوا ﴿وليعلم الله﴾: علم ظهور ﴿الذين آمنوا﴾: أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾: يكرمهم بالشهادة ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ ١٤٠: الكافرين أي يعاقبهم وما ينعم به عليهم استدراج ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾: يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿ويمحق﴾: يهلك ﴿الكافرين﴾ ١٤١ ﴿أم﴾: بل أ﴿حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما﴾: لم ﴿يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾: علم ظهور ﴿ويعلم الصابرين﴾ ١٤٢ في الشدائد ﴿ولقد كنتم تمنون﴾: فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿الموت من قبل أن

قلبت ألفاً فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما وبقيت الفتحة لتدل عليها. قوله: [مجموع ما قبله] أي وهو قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا. قوله: [بفتح القاف وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا تحزنوا، وقوله: ﴿فقد مس القوم﴾ الخ مفرع عليه. قوله: [ببدر] أي فكانت الغلبة فيه للمؤمنين من أوله إلى آخره، وقال بعضهم بل في أحد أيضاً، لأن الغلبة آخراً كانت للمؤمنين، وأما غزوة بدر فكانت للمؤمنين خاصة. قوله: ﴿نداولها﴾ المداولة نقل الشيء من واحد لآخر، والمعنى إنما جعلنا الأيام دولاً بين الناس يوماً للكفار ويوماً للمسلمين لتتعظوا وليعلم الله الخ. قوله: [علم ظهور] جواب عن سؤال مقدر حاصله أن علم الله قديم لا يتجدد فكيف ذلك؟ فأجاب: بأن المراد ليظهر متعلق علمه بتمييز المؤمن من غيره، والمعنى أن نصرة الكافر تارة ليست لمحبة الله له، بل ليتميز المؤمن من المنافق وليتخذ منكم شهداء، وإلا فالله لا يحب الكافرين. قوله: [أي يعاقبهم] تفسير لعدم محبة الله للظالمين. قوله: [وما ينعم به عليهم استدراج] جواب عن سؤال مقدر تقديره إنا نرى الله ينصرهم تارة وينعم عليهم بالدنيا وزينتها، فأجاب بأنها نقم في صورة نعم.

قوله: ﴿وليمحص الله﴾ الخ هذه حكمة ثالثة، والمعنى إنما جعلنا الغلبة أولاً للكفار ليتميز المؤمن من الكافر ويتخذ منهم شهداء، ويخلص المؤمنين من الذنوب، ويأخذ الكفار شيئاً فشيئاً. قوله: [بما يصيبهم] أي بسبب ما يصيبهم من الجهد والمشقة. قوله: ﴿ويمحق الكافرين﴾ أي يأخذهم ويهلكهم شيئاً فشيئاً، لأن المحق الإهلاك شيئاً فشيئاً. قوله: ﴿أم حسبتم﴾ أم منقطعة فلذا فسرها ببل التي للإضراب الانتقالي، والهمزة التي قدرها المفسر للاستفهام الإنكاري، والمعنى لا تظنوا يا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة مع السابقين بمجرد الإيمان من غير جهاد وصبر بل مع الجهاد والصبر وهو خطاب لأهل أحد حيث أمروا بالقتال مع كونهم جرحى وتشديد عليهم في ذلك، والمقصود من ذلك تعليم من يأتي بعدهم، وإلا فهم قد جاهدوا في الله حق جهاده، وصبروا صبراً جميلاً. قوله: ﴿ولما يعلم الله﴾ لما حرف نفي وجزم وقلب تفيد توقع الفعل، فلذا عبر بها دون لم وقد حصل ذلك ويعلم مجزوم بلما وعلامة جزمه السكون وحرك بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين، والله فاعل يعلم، وذلك كناية عن عدم حصول الجهاد والصبر، لأن ما لم يعلمه الله لم يكن حاصلاً.

قوله: ﴿ويعلم الصابرين﴾ هكذا بالنصب باتفاق القراء بأن مضمرة بعد واو المعية على حد لا تأكل السمك

---

* أسباب نزول الآية ١٤٠ قوله تعالى: ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾، أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت امرأة ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالا: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء ونزل القرآن على ما قالت ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾.

* أسباب نزول الآية ١٤٣ قوله تعالى: ﴿ولقد كنتم﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس: أن رجالاً من الصحابة كانوا =

تَلْقَوْهُ﴾: حيث قلتم ليت لنا يوماً كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾: أي سببه الحرب ﴿وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾١٤٣: أي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلم انهزمتم. ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

وتشرب اللبن. قوله: [في الشدائد] أي البلايا كالأمراض والفقر والمحن، فيكون عن الله راضياً في السراء والضراء، وقوله: ﴿الذين جاهدوا﴾ يدخل فيه جهاد النفس بمخالفة شهواتها لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ قوله: [فيه حذف إحدى التاءين] أي تخفيفاً، قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدي قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

قوله: ﴿من قبل أن تلقوه﴾ يحتمل أن الضمير عائد على الموت بمعنى سببه وهو الحرب، أو على العدو نفسه وهو وإن كان غير متقدم الذكر لكنه معلوم من السياق. قوله: [ما نال شهداؤه] أي من الأجر العظيم، ففي الحديث «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» قوله: [أي سببه] ويحتمل أن الضمير عائد على العدو. قوله: [أي بصراء] أشار بذلك إلى أن نظر بصرية تنصب مفعولاً واحداً قدره بقوله الحال، ويحتمل أنها علمية ومفعولاها محذوفان تقديرهما تعلمون إخوانكم ما بين مقتول ومجروح. قوله: [ونزل في هزيمتهم] أي في أحد حين تفرقوا. قوله: [لما أشيع] أي أشاع المنافقون. قوله: [أن النبي قتل] أي وكذا أبو بكر وعمر.

قوله: ﴿وما محمد إلا رسول الله﴾ أي لا رب معبود فالقصر قصر قلب، والمقصود من ذلك الرد على المنافقين، حيث قالوا لضعفاء المسلمين إن كان محمد قتل فارجعوا إلى دينكم ودين آبائكم، فأفاد أن محمداً عبد مرسل يجوز عليه الموت لا رب معبود حتى تترك عبادة الله من أجل موته، لأن المقصود من وجوده تبليغ رسالة ربه، ولذلك نزل قرب وفاته ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ولكن يجب علينا تعظيمه واحترامه حياً وميتاً، واعتقاد أن معجزاته باقية واتباعه وطاعته، قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ولم يقل وهو حي، وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ولم يقل لأصحابك، وقال عليه الصلاة والسلام: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» فمن اعتقد أن النبي لا نفع به بعد الموت بل هو كآحاد الناس فهو الضال المضل.

= يقولون ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر أو ليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيراً أو نلتمس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق، فأشهدهم الله أحداً فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله ﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ١٤٤ قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول الله﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن عمر قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت ﴿وما محمد إلا رسول﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرح وتداعوا نبي الله قالوا: قد قتل فقال أناس: لو كان نبياً ما قتل، وقال أناس: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به، فأنزل الله ﴿وما محمد إلا رسول﴾ الآية.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي نجيح: أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال: ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم، فنزلت. وأخرج ابن راهويه في مسنده عن الزهري: أن الشيطان صاح يوم أحد أن محمداً قد قتل، قال كعب بن مالك: أنا أول من عرف رسول الله ﷺ رأيت عينيه من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: هذا رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وما محمد إلا رسول﴾ الآية.

قُتِلَ﴾: كغيره ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: رجعتم إلى الكفر والجملة الأخيرة محلّ الاستفهام الإنكاري أي ما كان معبوداً فترجعوا ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: وإنما يضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ١٤٤ نعمه بالثبات ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بقضائه ﴿كِتَٰبًا﴾: مصدر أي كتب الله ذلك ﴿مُّؤَجَّلًا﴾: مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة ﴿وَمَن يُرِدْ﴾: بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي جزاءه منها ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: ما قسم له ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: أي من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ١٤٥ ﴿وَكَأَيِّن﴾: كم ﴿مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾: وفي قراءة قاتل والفاعل ضميره ﴿مَعَهُۥ﴾: خبر مبتدؤه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: جبنوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى

قوله: ﴿أو قتل﴾ أي مرضاً. قوله: [رجعتم إلى الكفر] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ كناية عن الرجوع للكفر لا حقيقة الانقلاب على الأعقاب الذي هو السقوط إلى خلف، وهذه الآية قالها أبو بكر الصديق يوم وفاته ﷺ حين طاشت عقول الصحابة وارتد من ارتد، حتى قال عمر: كل من قال إن محمداً قد مات رميت عنقه بسيفي، فبلغ أبا بكر الخبر فدخل على النبي ﷺ وكشف اللثام عن وجهه وقبله بين عينيه وقال طبت يا حبيبي حياً وميتاً، كنت أود لو أفديك بنفسي ومالي، ولكن قال الله إنك ميت وإنهم ميتون، وخرج وجمع الصحابة وصعد المنبر وخطب خطبة عظيمة قال فيها: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقد قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ الآية، فثبت الناس حتى قال عمر: والله كأن هذه الآية لم أسمعها إلا من أبي بكر. قوله: [والجملة الأخيرة] أي التي هي قوله: ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾. قوله: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ هذا رد لمن يفر من القتال خوفاً على نفسه من الموت. قوله: [لا يتقدم ولا يتأخر] أي لقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾. قوله: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا﴾ أي يصرف نيته للدنيا وزخارفها تاركاً الآخرة وما فيها. قوله: [وما قسم له] هذا هو مفعول نؤته الثاني والأول هو الهاء. قوله: [أي من ثوابها] أي وما قسم له من الدنيا يأتيه على كل حال، فلا فرق بين من يطلبها ومن لا يطلبها، فلا تجعل الدنيا أكبر همك ولا مبلغ علمك، بل اجعل مطمح نظرك عبادة ربك، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ وما قدر لك فلا بد من وصوله إليك طلبته أو لا.

قوله: ﴿وكأين من نبي قتل﴾ هذا من جملة التسلية لأهل أحد على ما أصابهم، وفيه توبيخ لمن انهزم منهم وتحريض على القتال، وأصل كأين أي الاستفهامية دخلت عليها كاف التشبيه فاكتسبتها معنى كم الخبرية فلذا فسرها بها، وكأين مبتدأ ومن نبي مميزها وجملة قاتل خبرها ونائب فاعل قاتل ضمير يعود على كأين المفسر بقوله من نبي، وعلى القراءة الثانية يكون الضمير فاعل قاتل، وقوله: ﴿معه ربيون﴾ مبتدأ وخبر والجملة حالية. واستشكلت القراءة الأولى بأنه لم يرد أن نبياً قتل في حال الجهاد، بل متى أمر النبي بالجهاد عصم من القتل، ومقتضى الآية وقوع ذلك. وأجيب بأن المعنى قتله قومه ظلماً في غير حرب، ولكن الأحسن أن نائب الفاعل قوله: ربيون، ومعه ظرف متعلق بقتل، فالقتل واقع للربيين لا للأنبياء، وهو رد لقول الكفار لو كان نبياً ما قتلت أصحابه وهو بينهم، هذا الإعراب يجري في القراءة الثانية أيضاً، والضمير في أصابهم يعود على الأمم، ويتفرع على هذين الإعرابين صحة الوقف على قتل أو قاتل على الإعراب الأول دون الثاني. قوله: [والفاعل] أي حقيقة على القراءة الثانية، أو حكماً على القراءة الأولى.

قوله: ﴿ربيون﴾ هكذا بكسر الراء جمع ربي نسبة للرب على غير قياس ومعناه العالم الرباني، أو منسوب للربة

سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: عن الجهاد ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا﴾: خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبي ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ١٤٦: على البلاء أي يثيبهم ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾: عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾: تجاوزنا الحد ﴿فِيٓ أَمْرِنَا﴾: إيذاناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضماً لأنفسهم ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: بالقوة على الجهاد ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ١٤٧ ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾: أي الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٤٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: إلى الكفر ﴿فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ ١٤٩ ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ ١٥٠: فأطيعوه دونهم ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ﴾: بسكون العين وضمها الخوف وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا﴾: بسبب إشراكهم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: حجة على عبادته وهو الأصنام ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٥١: الكافرين هي ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾: إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم

بالكسر بمعنى الجماعة وعليه مشى المفسر، وقياس الأول فتح الراء وقد قرأ بها ابن عباس، وقرئ بضم الراء بمعنى الجماعة الكثيرة أيضاً، والقراءتان شاذتان، والمعنى لا تحزنوا على ما لكم فكم من نبي قاتل والحال أن معه أصحابه فلم يضعفوا الخ ورد أنه لما نزلت الآية أخذ النبي وأصحابه في التوجه خلف الأعداء فساروا ثمانية أميال صحيحهم وجريحهم وباتت الهزيمة على الكفار. قوله: ﴿فما وهنوا﴾ هكذا بفتح الهاء وقرئ بسكون الهاء وكسرها. قوله: ﴿وما استكانوا﴾ قيل أصله استكنوا زيد في الفتحة فصارت ألفاً، وقيل أصله استكونوا نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً.

قوله: ﴿وما كان قولهم﴾ أي الربيين وهذا بيان محاسن أقوالهم بعد بيان محاسن أفعالهم. قوله: [عند قتل نبيهم] ظاهره حتى في جهاد الكفار وتقدم ما فيه. قوله: ﴿فآتاهم الله﴾ أي بسبب دعائهم وحسن أفعالهم. قوله: [والغنيمة] إن قلت إنها لم تحل إلا لهذه الأمة المحمدية، أجيب بأن المراد بالغنيمة تملك أموال الكفار ورقابهم، ولا يلزم من الملك حل أكلها. قوله: [وحسنه التفضل فوق الاستحقاق] يعني أن ثواب الآخرة كله الجنة وهو حسن، وأحسن منه الزيادة لهم فوق ما يستحقون. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نزلت في أهل أحد حين تفرقوا، وصار عبد الله بن سلول يقول لضعفائهم امضوا بنا إلى أبي سفيان نأخذ لكم منه عهداً ألم أقل لكم إنه ليس بنبي. قوله: ﴿الذين كفروا﴾ أي كعبد الله بن سلول وغيره من المنافقين.

قوله: ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ أي للدنيا بالأسر والخزي والآخرة بالعذاب الدائم. قوله: ﴿والله خير الناصرين﴾ أفعل التفضيل ليس على بابه. قوله: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ هذا وعد حسن من الله بنصر المسلمين وخذلان الكفار. قوله: [بسبب إشراكهم] أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية. قوله: [حجة] سماها سلطاناً لقوتها ونفوذها. قوله: [وهو] أي ما لم ينزل به سلطاناً. قوله: ﴿ومأواهم النار﴾ هذا بيان لحالهم في الآخرة بعد أن بين حالهم في الدنيا، وكل ذلك مسبب عن الإشراك بالله، فهم في الدنيا مرعوبون وفي الآخرة معذبون.

قوله: ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ سبب نزولها أن أصحاب رسول الله ﷺ لما رجعوا إلى المدينة تذاكروا ما وقع في تلك الغزوة حيث قالوا إن الله وعدنا بالنصر على لسان نبيه فلأي شيء غلبنا، فنزلت الآية رداً عليهم. قوله:

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾: اختلفتم ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾: أي أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم: نذهب فقد نصر أصحابنا وبعضكم لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُم﴾: أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾: الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾: من النصر وجواب إذا دل عليه ما قبله أي منعكم نصره ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾: فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾: عطف على جواب إذا المقدر ردكم بالهزيمة ﴿عَنْهُمْ﴾: أي الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: ما ارتكبتموه ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٥٢ بالعفو اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تبعدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾: تعرجون ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: أي من ورائكم يقول: إلي عباد الله إلي عباد الله ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: فجازاكم ﴿غَمًّۢا﴾: بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾: بسبب غمكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على

﴿وعده﴾ مفعول ثان لصدق لأنه يتعدى لمفعولين الأول لنفسه والثاني إما كذلك كما هنا أو بحرف الجر وهو في قوله: ﴿إذ تحسونهم﴾ ظرف لقوله: ﴿صدقكم﴾ وحسّ يطلق بمعنى علم ووجد وطلب وقتل وهو المراد هنا.

قوله: ﴿حتى إذا فشلتم﴾ حتى ابتدائية بمعنى أن ما بعدها مستأنف، ويصح أن تكون غائية بمعنى إلى، والمعنى ولقد استمر معكم النصر إلى أن فشلتم وتنازعتم وعصيتم فتخلف وعده ومنعكم النصر وإذا على الأول ظرف لما يستقبل من الزمان وعصيتم معطوف على فشلتم وجواب إذا محذوف قدره المفسر بقوله: [منعكم نصره]. وقوله: ﴿ثم صرفكم﴾ معطوف على ذلك المحذوف، وقوله: ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ الخ معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. قوله: [جبنتم عن القتال] أي بسبب الالتفات للغنيمة. قوله: [فتركتم المركز] أي الموضع الذي أقامكم فيه رسول الله، فإنه تقدم أنه قسم الجيش خمسة أقسام ساقة ومقدم وجناحان وقلب، وأمرهم بالثبات سواء حصل النصر أو الهزيمة، فظهرت لهم إمارات النصر أولاً، فبعضهم ترك مركزه وذهب للغنيمة، والبعض ثبت.

قوله: ﴿من بعد ما أراكم﴾ تنازعه كل من فشلتم وتنازعتم وعصيتم، فأعمل الأخير وأضمر في الأولين وحذف. قوله: ﴿ما تحبون﴾ مفعول ثان لأرى، والكاف مفعول أول. قوله: [من النصر] أي أولاً فلما وقع الاختلاف تغير الحال. قوله: [دل عليه ما قبله] أي وهو قوله: ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾. قوله: [كعبد الله بن جبير] أي وكان أميراً على الرماة. قوله: ﴿ولقد عفا عنكم﴾ أي عن المؤمن منكم بعد توبته. قوله: [اذكروا] قدره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف، ويصح أنه ظرف لقوله: عصيتم، التقدير وقت بعدكم الخ. قوله: ﴿إذ تصعدون﴾ فلعله رباعي بمعنى تبعدن، وقرئ تصعدون من الثلاثي بمعنى تذهبون متفرقين في البرية.

قوله: ﴿ولا تلوون﴾ قرأ الجمهور على أنها بواوين، وقرئ شذوذاً بإبدال الواو الأولى همزة وأصلها تلويون بواوين بينهما ياء هي لام الكلمة فأعل بحذفها، وقرأ الحسن شاذاً بواو واحدة. قوله: [تعرجون] أي لا تقيمون مع أحد بل كل واحد ذاهب على حدة. قوله: ﴿يدعوكم﴾ أي يناديكم ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، وقيل ثمانية عشر رجلاً، وقيل لم يبق معه إلا طلحة عن يساره وجبريل عن يمينه، وجمع بين الأقوال بأن ذلك بحسب اختلاف الأوقات حين احتاطت به الكفار. قوله: [أي من ورائكم] أشار بذلك إلى أن الأخرى بمعنى آخر وفي بمعنى من، ويصح أن يبقى الكلام على ما هو عليه، ويكون المعنى والرسول يدعوكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى. قوله: [يقول إلي عباد الله] تمامه أنا رسول الله من يكر فله الجنة. قوله: [فجازاكم] أشار بذلك إلى أن المراد بالثواب مطلق المجازاة وإلا فالثواب هو

أي مضاعفاً على غمّ فوت الغنيمة ﴿لكيلا﴾: متعلق بعفا أو بأثابكم فلا زائدة ﴿تحزنوا على ما فاتكم﴾: من الغنيمة ﴿ولا ما أصابكم﴾: من القتل والهزيمة ﴿والله خبير بما تعملون﴾١٥٣ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة﴾: أمناً ﴿نعاساً﴾: بدل ﴿يغشى﴾: بالياء والتاء ﴿طائفة منكم﴾: وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾: أي حملتهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون ﴿يظنون بالله﴾: ظناً ﴿غير﴾: الظن ﴿الحق ظن﴾: أي كظن ﴿الجاهلية﴾: حيث اعتقدوا أن النبي قتل أو لا ينصر ﴿يقولون هل﴾: ما ﴿لنا من الأمر﴾: أي النصر الذي

ما يكون في نظير الأعمال الصالحة وإنما سماه ثواباً لأن عاقبته محمودة. قوله: [أي مضاعفاً] أي زائداً. قوله: [متعلق بعفا] أي وتكون لا أصلية، والمعنى عفا عنكم ليذهب عنكم الحزن. قوله: [أو بأثابكم] أي فيكون المعنى أثابكم غماً بغم لأجل حزنكم على فوات الغنيمة وعلى قتل أصحابكم. قوله: [فلا زائدة] أي على هذا الثاني فقط.

قوله: ﴿والله خبير بما تعملون﴾ أي فيعلم المخلص من غيره فإن منهم من لزم رسول الله ولم ينتقل من موضعه أبداً وهو طلحة بن عبد الله، ومنهم من ثبت لولا غلبة الكفار كبقية الإثني عشر أو الثمانية عشر، ومنهم من فر خوفاً من القتل، ومنهم من فر ابتداء لإظهار هزيمة المؤمنين وهؤلاء منافقون وقد ظهروا في تلك الغزوة وافتضحوا، وأما المؤمنون فقد تم لهم النصر وعفا الله عن مسيئهم. قوله: ﴿ثم أنزل عليكم﴾ ثم للترتيب بدليل تصريحه بالبعدية بعد ذلك بقوله: ﴿من بعد الغم﴾. قوله: [أمناً] أشار بذلك إلى أن الأمنة والأمن بمعنى واحد وهو الطمأنينة، زال سبب الخوف أولاً، وقيل إن الأمن هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، والأمنة الطمأنينة مع وجود أسبابه. قوله: [بدل] أي بدل كل من كل وهو ظاهر لأن الأمنة هي النعاس بعينها، وقيل بدل اشتمال لأن الأمنة لها اشتمال بالنعاس وهو له اشتمال بها لأنه لا يحصل النعاس إلا لآمن. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء الضمير عائد على النعاس، وعلى التاء الضمير عائد على الأمنة. قوله: [يميدون] أي يميلون. وقوله: [تحت الحجف] بفتحتين وتقديم الحاء جمع حجفة كقصبة، وقصب اسم للترس والدرقة كما في المصباح. قوله: [وتسقط السيوف منهم] أي المرة بعد المرة وكلما سقطت أخذوها.

قوله: ﴿وطائفة﴾ أي من غيركم وهم المنافقون. قوله: ﴿قد أهمتهم أنفسهم﴾ أهم فعل ماض والتاء علامة التأنيث وأنفسهم فاعل، والمعنى أنهم يحرصون على نجاة أنفسهم من الموت لا تشييداً للدين. قوله: [ظناً] ﴿غير﴾ [الظن] ﴿الحق﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿غير الحق﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول ليظنون، وقوله: ﴿الحق﴾ صفة لمصدر محذوف مضاف لغير، وقوله: ﴿ظن الجاهلية﴾ صفة ثانية وهو منصوب بنزع الخافض، والمعنى أن هذه الطائفة حملتهم أنفسهم على الهزيمة لنجاتها، ومن أوصافهم أنهم يظنون في ربهم ظناً باطلاً مثل ظن الجاهلية بمعنى أهل الجهل والكفر حيث ظنوا أن النبي قتل وأن دينه قد بطل، قال تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ وقال تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ فحسن الظن بالله من علامات الإيمان، قال تعالى في الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي ما شاء وبالجملة فمن أراد أن يعلم عاقبة ربه فلينظر إلى ظنه بربه.

---

* أسباب نزول الآية ١٥٤ قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم﴾ الآيات، أخرج ابن راهويه عن الزبير قال: لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا ذقنه في صدره، فوالله أني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: لولنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا فحفظتها، فأنزل الله في ذلك ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾ إلى قوله: ﴿والله عليم بذات الصدور﴾.

وعدناه ﴿مِنْ﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾: بالنصب توكيد أو الرفع مبتدأ خبره ﴿لِلَّهِ﴾: أي القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ﴾: يظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾: بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾: أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرهاً ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾: خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾: قضي ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾: منكم ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة ﴿وَ﴾: فعل ما فعل بأحد ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾: يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٥٤: بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يبتلي ليظهر للناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾: عن القتال ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون إلا اثنا عشر رجلا ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ﴾: أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾: بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾: من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ ١٥٥: لا يعجل على العصاة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ﴾

قوله: ﴿يقولون﴾ أي اعتراضاً على رسول الله وتكذيباً له. قوله: ﴿هل لنا﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي أي ما ثبت لنا من النصر شيء، فلنا خبر مقدم وشيء مبتدأ مؤخر، ومن زائدة فيه، ومن الأمر حال من شيء. قوله: [بالنصب] توكيد أي للأمر، وخبر إن قوله لله. قوله: [أو بالرفع مبتدأ الخ] أي والجملة خبر إن والقراءتان سبعيتان. قوله: [أي القضاء له] تفسير والمعنى أن النصر بيد الله والله هو الفاعل المختار، وليس النصر بكثرة العدد والعدة. قوله: [بيان لما قبله] أي استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما الذي يخفونه. قوله: ﴿لو كان لنا من الأمر﴾ أي الاختيار والرأي. قوله: [لكن أخرجنا كرهاً] أي فحصل القتل فينا. قوله: ﴿قل﴾ [لهم] أي رداً لمقالتهم واعتقادهم دفع قضاء الله المبرم.

قوله: ﴿لو كنتم في بيوتكم﴾ أي لو لم تخرجوا إلى أحد ومكثتم في بيوتكم وقوله: ﴿لبرز﴾ جواب ﴿لو﴾ والمعنى لخرج من قضي عليه بالموت إلى المحل الذي مات به لسبب من الأسباب ونفذ حكم الله فيه، مما اتفق أن سليمان بن داود عليهما السلام كان جالساً، وإذا بملك الموت أقبل عليه ونظر إلى رجل في مجلسه، فارتعدت فرائص الرجل، فلما ذهب ملك الموت قال الرجل: يا نبي الله إني خفت من نظرة هذا الرجل، فقال: هو ملك الموت، قال الرجل: مر الرياح لتذهب بي إلى أقصى البلاد ففعل، فبعد لحظة وإذا بملك الموت قد أقبل على سليمان فقال له: إن الله أمرني أن أقبض روح ذلك الرجل بتلك الأرض، فلما وجدته في مجلسك تحيرت، فكان منه ما كان، فهو قد خرج هارباً وفي الواقع خرج لمصرعه. قوله: ﴿و﴾ [فعل ما فعل] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ليبتلي﴾ علة لمحذوف والواو عاطفة لذلك المحذوف على أنزل.

قوله: ﴿وليمحص﴾ عطف على (ليبتلي) من عطف المسبب على السبب. قوله: [ليظهر للناس] أي المؤمن الخالص من غيره. قوله: [إلا اثنا عشر] منهم أبو بكر وعلي وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وتقدم في رواية أن من بقي ثمانية عشر، وقيل لم يبق إلا طلحة، وتقدم الجمع بين هذه الروايات. قوله: [وهو مخالفة أمر النبي] أي حيث قسمهم خمسة أقسام وأقام كلا في مركز وقال لهم لا تبرحوا عن مكانكم غلبنا أو نصرنا، فبعضهم تفرق للغنيمة، والبعض فرقة الأعداء.

قوله: ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ أي عن الجماعة الذين تفرقوا للغنيمة وعصوا أمر النبي. قوله: ﴿إن الله غفور

آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: أي في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾: سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾: جمع غازٍ فقُتلوا ﴿لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾: أي لا تقولوا كقولهم: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ﴾: القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: بالتاءِ والياء ﴿بَصِيرٌ﴾ ١٥٦: فيجازيكم به ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾: بضم الميم وكسرها من مات يموت ويمات أي أتاكم الموت فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾: كائنة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾: لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ﴾ ١٥٧: من الدنيا بالتاءِ والياء ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿مُّتُّمْ﴾:

حليم﴾ هذه الجملة تأكيد وعلة لما قبلها، أي إنما عفا عنهم لأنه كثير المغفرة للذنوب واسع الحلم، فلا يعجل بالعقوبة على العاصي لأن الكل في قبضته، ولا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات. قوله: ﴿لا تكونوا كالذين كفروا﴾ يعني لا تشبهوهم في قولهم في شأن من مات أو قتل، لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فهم يعتقدون أن الفرار نافع من قضاء الله. قوله: ﴿لإخوانهم﴾ أي في النسب أو الكفر أو الضلال، والمعنى لا تكونوا مثلهم في كفرهم ولا في قولهم لإخوانهم الخ. قوله: ﴿إذا ضربوا﴾ إذا هنا لمجرد الزمان وأتى بإذا إشارة إلى أن هذا الأمر محقق منهم. قوله: [سافروا] أي مطلقاً لغزو أو لا. قوله: [فماتوا] أخذه من قوله الآتي ﴿ما ماتوا﴾. قوله: ﴿غزا﴾ خبر كان منصوب بفتحة مقدرة على الألف المنقلبة عن الواو. قوله: [جمع غاز] أي على غير قياس، وقياس المعتل غزاة كقضاة. قوله: [فقتلوا] أخذه من قوله: ﴿وما قتلوا﴾. قوله: ﴿ما ماتوا﴾ راجع لقوله: ﴿إذا ضربوا في الأرض﴾ وقوله: ﴿وما قتلوا﴾ راجع لقوله: ﴿أو كانوا غزاً﴾. قوله: [أي لا تقولوا كقولهم] أي فإنه شائبة من الكفر والضلال واعتقاده كفر.

قوله: ﴿ليجعل﴾ اللام للعاقبة والصيرورة كهي في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا﴾ والمعنى أن الكفار قصدوا بهذا الكلام اللوم على من خرج ومنع من يريد الخروج، فكان عاقبة ذلك كونه يجعل حسرة في قلوبهم. قوله: [فلا يمنع عن الموت قعود] أي عن الغزو والسفر، ولا يجلب الغزو والسفر موتاً، بل لكل أجل كتاب ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء يكون وعيداً للكفار، وعلى التاء يكون تحذيراً للمؤمنين. قوله: [فيجازيكم به] أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: [لام قسم] أي موطئة تقديره والله لئن قتلتم. قوله: [بضم الميم وكسرها] قراءتان سبعيتان، وقوله: [من مات يموت] راجع للضم ووزنه قال يقول، وأصله يموت بسكون الميم وضم الواو نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها. قوله: [ويمات] راجع لقوله: [وكسرها] فيكون من باب خاف يخاف، وأصله يموت بسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً. قوله: [أي اتاكم الموت فيه] أي في السفر. قوله: ﴿لمغفرة﴾ أي تأتيه، وقوله: ﴿ورحمة﴾ أي إحسان فالموت خير من الحياة إن كان في سفر غير معصية أو جهاد فإنه شهادة على كل حال. قوله: [جواب القسم] أي جواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم، لقول ابن مالك:
واحذف لدى اجتماع شرط وقسم. جواب ما أخرت. قوله: [وهو في موضع الفعل] أي فتقديره لغفرت لكم ورحمتكم، وظاهره أن جواب القسم لا بد أن يكون جملة فعلية وليس كذلك، بل يكون جملة اسمية، وقدم القتل هنا على الموت لأنه أهم وأشرف، وقدم الموت أولاً لمراعاة الترتيب، وأخر لأنه أعم من القتل. قوله: ﴿مما تجمعون﴾ يحتمل أن ما مصدرية، والمعنى خير من جمعكم الدنيا أو موصولة، والعائد محذوف تقديره خير من الذي تجمعونه من

بالوجهين ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾: في الجهاد أو غيره ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾: لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ ١٥٨: في الآخرة فيجازيكم ﴿فَبِمَا﴾: ما زائدة ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾: يا محمد ﴿لَهُمْ﴾: أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيء الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: جافياً فأغلظت لهم ﴿لَانفَضُّوا﴾: تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ﴾: تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾: ما أتوه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: ذنوبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾: استخرج آراءهم ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾: أي شأنك من الحرب وغيره تطبيباً لقلوبهم وليستن بك وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثق به لا بالمشاورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ١٥٩: عليه ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾: يعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: يترك نصركم كيوم أحد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أي بعد خذلانه أي فلا ناصر لكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾: لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: ليثق

الدنيا. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بالوجهين] أي السابقين من ضم الميم وكسرها. قوله: ﴿لإلى الله تحشرون﴾ قال بعضهم إن الآية تشير إلى مقامات العبودية الثلاثة: الأول من يعبد الله خوفاً من ناره وإليه الإشارة بقوله لمغفرة. الثاني من يعبد الله شوقاً إلى جنته وإليه الإشارة بقوله ورحمة. الثالث من يعبد الله لذاته لا طمعاً ولا خوفاً وإليه الإشارة بقوله لإلى الله تحشرون، وفي الحقيقة الثالثة قد حاز جميعها لكن من غير قصد منه لأن مشاهدة الله لا تكون إلا في الجنة ولا بد. ومن ذلك قول بعض العارفين:

ليس قصدي من الجنان نعيماً غير أني أريدها لأراك

قوله: [ما زائدة] أي للتوكيد، والمعنى فبسبب رحمة من الله كنت ليناً سهلاً على الخلق. قال أنس بن مالك: خدمت رسول الله عشر سنين فما لامني على شيء فعلته أو تركته. قوله: ﴿رحمة من الله﴾ التنوين للتعظيم. قوله: ﴿ولو كنت فظاً﴾ أي صعب القول والفعل، ومن سهولته قبول توبة وحشي قاتل عمه حمزة. قوله: [سيء الخلق] المناسب أن يفسره بصعوبة القول والفعل. قوله: ﴿غليظ القلب﴾ أي قاسيه. قوله: ﴿لانفضوا من حولك﴾ أي ذهبوا إلى الكفار ولم يبق منهم أحد، وأما من قبله من الأنبياء فقد عاملوا قومهم بالجلال، كنوح حين قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، وكهود وصالح، فنبينا رحمة للعالمين ولولا رحمته بنا ما بقي منا أحد، فكان شفيعاً عند ربه لنا في كل بلاء عام طلبته الأنبياء لأممهم. قوله: ﴿فاعف عنهم﴾ شروع في ذكر ترقيه لهم، فذكر أولاً العفو عنهم، ثم الاستغفار لهم ليطهرهم ربهم من الذنوب، فإذا طهروا وصاروا أصفياء خلفاء شاورهم في الأمر. قوله: [تطبيباً لقلوبهم] أي تونيساً وجبراً لئلا ينفر ضعفاء المؤمنين لو لم تحصل المشاورة منه. قوله: [وليستن بك] أي ليصير سنة لمن يأتي بعدك، وليظهر صاحب الرأي السديد من غيره، ولذا قدموا بعد النبي أبا بكر لأنه كان يشاوره كثيراً، ثم عمر لأن القرآن كان ينزل على طبق ما يقول، واختلف هل كانت المشاورة في أمر الدين والدنيا أو الدنيا فقط، فقيل بالأول ولكن لا يتبع إلا الوحي، وإنما المشاورة تطبيباً لخاطرهم، وقيل بالثاني وهو الظاهر. قوله: [ثق به] أي فلا يردك عنه أحد. قوله: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ أي يثيب المفوضين الأمور إليه.

قوله: ﴿إن ينصركم الله﴾ هذا خطاب تشريف للمؤمنين المجاهدين. قوله: [يعنكم] أشار بذلك إلى أن النصر بمعنى الإعانة، ويطلق بمعنى الجمع، قال تعالى ﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾ وبمعنى الانتقام، قال تعالى: ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾. قوله: ﴿فلا غالب لكم﴾ أي ولو اجتمعت عليكم أهل الأرض جميعاً. قوله: [أي بعد خذلانه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والضمير عائد على الله. قوله: ﴿فلا ناصر لكم﴾ أشار

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ١٦٠: ونزل لمّا فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها ﴿وما كان﴾: ما ينبغي ﴿لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾: يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك وفي قراءة بالبناء للمفعول أي ينسب إلى الغلول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾: حاملاً له على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾: الغال وغيره جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾: عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ١٦١: شيئاً ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾: فأطاع ولم يغل ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾: رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: لمعصيته وغلوله ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ١٦٢: المرجع هي، لا ﴿هُمْ﴾

بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولم يقل فلا ناصر لكم إشارة لعدم تقنيطهم من النصر تلطفاً بهم، أي فارجعوا إليه ينصركم، قال تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾.

قوله: ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ أي المصدقون بأن النصر والخذلان من عند الله، والمعنى فإذا علمتم أيها المؤمنون أن من نصره الله فلا يغلبه أحد، ومن خذله لا ناصر له سواه، فثقوا به واعتمدوا عليه. قوله: [لما فقدت قطيفة] أي من الغنيمة. قوله: [فقال بعض الناس] أي من المنافقين. قوله: [ينبغي] أي يمكن والمعنى لا يتأتى ذلك لأن الأنبياء معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها، وأما قوله تعالى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ حكاية عن سيدنا يوسف، فقال بعض المفسرين: إن يوسف وهو صغير وجد صنماً عند جده، فأخذه خفية وكسره ووضعه في محل القذر. قوله: [فلا تظنوا به ذلك] أي لأنها خيانة وهي محرمة والنبي معصوم من ذلك، فمن جوز المعصية على النبي فقد كفر لما فاته للعصمة الواجبة.

قوله: ﴿ومن يغلل﴾ كلام مستأنف قصد به التحذير لغير المعصومين. قوله: [حاملاً له على عنقه] أي والناس ناظرون له فضيحة له، روى الشيخان عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً، والرغاء صوت البعير، والثغاء صوت الشاة، والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة، والحمحمة صوت الفرس، وقوله لا ألفين نفي معناه النهي أي لا يغل أحدكم حتى ألقاه هكذا.

قوله: ﴿أفمن﴾ الهمزة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصدارة. قوله: [ولم يغل] أي لم يسرق ولم يخن. قوله: ﴿بسخط﴾ مصدر قياسي لسخط بكسر الخاء، وله مصدر سماعي وهو سخط بضم السين وسكون الخاء. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ١٦١ قوله تعالى: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ الآية، أخرج أبو داود والترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، فقدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ إلى آخر الآية. وأخرج الطبراني في الكبير بسند رجال ثقات عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ جيشاً فردت رايته ثم بعث فردت، ثم بعث بغلول رأس غزال من ذهب فنزلت ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾.

﴿دَرَجَاتٌ﴾: أي أصحاب درجات ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: أي مختلفو المنازل، فلمن اتبع رضوانه الثواب، ولمن باء بسخطه العقاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾١٦٣: فيجازيهم به ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أي عربياً مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لا ملكاً ولا عجمياً ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة ﴿وَإِن﴾: مخففة أي إنهم ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ﴾: أي قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾١٦٤: بيّن ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: بأحد بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾: متعجبين ﴿أَنَّىٰ﴾: من أين لنا ﴿هَٰذَا﴾: الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿هُوَ﴾

﴿هي﴾ هذا هو المخصوص بالذم، قوله: [لا] جواب الاستفهام. قوله: ﴿هم درجات﴾ أي رتب فمنهم المقبول فله الدرجات العلا، ومنهم المردود فله الدركات السفلي، وفيه تغليب الدرجات على الدركات لشرفها.

قوله: ﴿لقد من الله﴾ هذا ترق في تعظيمه ﷺ، فنزهه أولاً عن الغلول، ثم بيّن أن وجوده بينهم نعمة عظيمة أنعم بها عليهم، وفي الحقيقة هو نعمة حتى على الكفار، وإنما خص المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بها وتدوم عليهم، وأما الكفار وإن أمنوا به من الخسف والمسخ وكل بلاء عام ورزقوا به، إلا أن عاقبتهم الخلود في دار البوار ويتبرأ منهم ولا يشفع لهم في النجاة من العذاب.

بشرى لنا معشر الإسلام إنّ لنا ... من العناية ركناً غير منهدم

قوله: [لا ملكاً] أي لعدم إطاقة البشر له، قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾. قوله: [ولا عجمياً] أي لعدم فهمهم عنه ما أرسل به، ومن نعم الله أيضاً كون القرآن عربياً، قال تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾ الآية. قوله: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ أي بنفسه أو بواسطة كالعلماء. قوله: [السنة] العلم النافع. قوله: [مخففة] أي من الثقيلة لا عمل لها لقول ابن مالك:

وخففت إنّ فقلّ العمل ... وتلزم اللام إذا ما تهمل

قوله: ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي كفر واضح ظاهر، قال العارف البرعي:

أتى والجاهلية في ضلال ... وكفر تعبد الحجر الأصناما
وتأكل ميتة ودماً وتسطو ... على موءودة الأطفال دفنا
فجاء بملة الإسلام يتلو ... مثاني في صلاة الخمس مثنى

قوله: ﴿أو لما أصابتكم﴾ الهمزة داخلة على قوله: ﴿قلتم أنى هذا﴾ التقدير أقلتم أنى هذا حين أصابتكم الخ. قوله: [وأسر سبعين] لأن الفخر بالمأسور أعظم من المقتول لدلالته على عظم الشجاعة، فلذا قال قد أصبتم مثليها، والمقصود من ذلك التسلية للمؤمنين. قوله: [والجملة الأخيرة] أي وهي قوله قلتم. قوله: [محل الاستفهام الانكاري] أي فهو بمعنى النفي والمعنى لا تقولوا ذلك حين أصابتكم مصيبة، لأنه من عند أنفسكم فسببه ظاهر فلا يتعجب منه.

---

* أسباب نزول الآية ١٦٥ قوله تعالى: ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه فأنزل الله ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ الآية.

﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾: لأنكم تركتم المركز فخذلتم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٦٥: ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: بأحد ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾: الله علم ظهور ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٦٦: حقاً ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ﴾: الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أعداءه ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾: عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾: نحسن ﴿قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾: قال تعالى تكذيباً لهم ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾: بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ١٦٧: من النفاق ﴿الَّذِينَ﴾: بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: في الدين ﴿وَ﴾: قد ﴿قَعَدُوا﴾: عن الجهاد ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾: أي شهداء أحد أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلْ﴾: لهم ﴿فَادْرَءُوا﴾: ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٦٨: في أن القعود ينجي منه. ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾: هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث

قوله: [بخلافكم] أي مخالفتكم والمعنى جازاكم عليها. قوله: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ شروع في بيان الحكم التي ترتبت على هزيمة المؤمنين بأحد. قوله: [علم ظهور] أي بالنسبة للخلق. قوله: [أصحابه] أي وكانوا ثلاثمائة. قوله: ﴿تعالوا قاتلوا﴾ أي إما في المقدم بالسيف، أو في المؤخر بالسهام. قوله: [بتكثير سوادكم] أي عددكم وأشخاصكم. قوله: [بما أظهروا] أي بسببه أي فإظهارهم الخذلان للمؤمنين سبب في كونهم أقرب للكفر من الإيمان. قوله: [بدل من الذين قبله] أي وهو قوله الذين نافقوا. قوله: ﴿وقعدوا﴾ الجملة حالية فلذا قدر المفسر قد.

قوله: ﴿قل فادرؤا عن أنفسكم الموت﴾ ورد أنه نزل بهم الموت وهم في دورهم، فمات منهم سبعون من غير قتال في يوم أحد. قوله: [ونزل في الشهداء] قيل شهداء بدر وقيل أحد وقيل شهداء بئر معونة، وهم سبعون أرسلهم النبي ﷺ لأهل نجد يعلمونهم القرآن فقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا واحد فر هارباً، وأخبر النبي ﷺ بذلك، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعد الحسن لكل من قتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وسبب ذلك أن الشهداء الذين قتلوا لما رأوا ما رأوا من الحياة والرزق والنعيم الدائم، قالوا ربنا ومن يوصل خبرنا لاخواننا الأحياء، فقال لهم الله أنا أبلغ خبركم لاخوانكم، فقال تعالى: ﴿ولا تحسبن﴾.

قوله: ﴿ولا تحسبن﴾ الخطاب قيل للنبي، وقيل لكل من يصلح للخطاب، و﴿الذين﴾ مفعول أول و﴿أمواتاً﴾ مفعول ثان و﴿بل﴾ للإضراب الانتقالي و﴿أحياء﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله [وهم] قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [في سبيل الله] أي طاعته، والمعنى لم يكن لهم قصد إلا إعلاء دينه. قوله ﴿بل أحياء﴾ بل للعطف، وما بعدها خبر لمحذوف، والجملة معطوفة على ما قبلها، وهذه الحياة ليست كحياة الدنيا بل

---

* أسباب نزول الآية ١٦٩ قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن﴾ الآية، روى أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لما أصيب اخوانكم بأحد جعلَ الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله أنا أبلغهم عنكم، فأنزل هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا﴾ الآية وما بعدها، وروى الترمذي عن جابر نحوه.

شاءت كما ورد في الحديث ﴿يُرْزَقُونَ﴾ ١٦٩: يأكلون من ثمار الجنة ﴿فَرِحِينَ﴾: حال من ضمير يرزقون ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾: من إخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١٧٠: في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾: ثواب ﴿مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: زيادة عليه ﴿وَأَنَّ﴾: بالفتح عطفاً على نعمة والكسر استئنافاً ﴿اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٧١: بل يأجرهم ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا

هي أعلى وأجل منها، لأنهم يسرحون حيث شاءت أرواحهم. قوله: ﴿عند ربهم﴾ خبر ثان، والمعنى أنهم في كرامة ربهم وضيافته، وقوله: ﴿يرزقون﴾ خبر ثالث. قوله: [كما ورد في الحديث] أي وهو أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش». وأما أجسادهم فمحلها القبور، غير أن الأرواح لها تعلق بها، فلذلك لا يحصل لأجسادهم بلاء، فأرواحهم لها جولان عظيم من البرزخ إلى أعلى السموات إلى داخل الجنان، والطيور الخضر لها كالهوادج مع كونها متصلة بجسم صاحبها، وما وصل للروح من النعيم يحصل للجسم أيضاً، وذلك نظير النائم، فان النائم يرى أن روحه في المشرق أو في المغرب مع كونها متصلة بجسمه، وكالأولياء الذين أعطاهم الله التصريف، فان الواحد منهم يكون جالساً في مكان، وروحه تسرح في أمكنة متعددة، وربك على كل شيء قدير، ولذلك قال الله تعالى في آية البقرة ﴿ولكن لا تشعرون﴾ ومثل الشهداء الأنبياء أجل وأعلى، وأما المؤمنون غير الشهداء والأنبياء فأرواحهم تسرح من القبر إلى باب الجنة، وتنظر ما أعد لها من النعيم المقيم، لكن لا تدخلها إلى يوم القيامة، وذلك يسمى عالم البرزخ، واتساعه بالنسبة للدنيا كاتساع الدنيا بالنسبة لبطن الأم.

قوله: ﴿بما آتاهم﴾ متعلق بقوله ﴿فرحين﴾ والذي آتاهم الله من فضله هو حياتهم ورزقهم. قوله: ﴿و﴾ [هم] ﴿يستبشرون﴾ أشار بذلك إلى أن يستبشرون خبر لمحذوف، والجملة إما حالية من الضمير في فرحين أو مستأنفة. قوله: [بالذين لم يلحقوا بهم] أي في الموت، والمعنى أنهم يفرحون بما أعطاهم الله، ويفرحون بما أعد لإخوانهم الذين لم يموتوا الآن، سواء كانوا موجودين أو سيوجدون إلى يوم القيامة، لدخولهم الجنة واطلاعهم على منازل المؤمنين فيها. قوله: ﴿من خلفهم﴾ حال من الواو في يلحقوا، أي حال كون الذين لم يلحقوا بهم متخلفين عنهم. قوله: [المعنى يفرحون] أي المتقدمون، وقوله: [بأمنهم] أي المتأخرين. قوله: ﴿بنعمة من الله﴾ أي لهم ولإخوانهم. قوله: [بالفتح عطفاً على نعمة] أي ويكون المعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع الخ، وقوله: [والكسر] استئنافاً أي في معنى العلة لما قبله، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿الذين استجابوا﴾ نزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانياً بعد حصول التفرقة لهم، فخرجوا وساروا خلف العدو ثمانية أميال، فوقع بينهم ما وقع في مكان يقال له حمراء الأسد، فحصل التوافق بين أبي سفيان والنبي أن يرفعوا القتال إلى العام القابل، والموعد بدر الصغرى، فسار أبو سفيان وأصحابه، ومكث النبي ﷺ بحمراء الأسد من يوم الأحد إلى يوم الجمعة إذا علمت ذلك، فقول المفسر [بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان الخ] ليس بشديد فان الآية

---

* أسباب نزول الآية ١٧٢ قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن الله قذف الرعب في قلب أبي سفيان يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب، وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى، وأنهم قدموا بعد وقعة أحد وكان =

مع النبي ﷺ سُوق بدر العام المقبل من يوم أحد ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: بأحد وخبر المبتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾: بطاعته ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾: مخالفته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧٢: هو الجنة ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: أي نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾: الجموع ليستأصلوكم ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾: ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾: ذلك القول ﴿إِيمَٰنًا﴾: تصديقاً بالله ويقيناً ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: كافينا أمرهم ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ١٧٣: المفوض إليه الأمر هو وخرجوا مع النبي ﷺ فوافوا سُوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾: رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: بسلامة وربح ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾: من قتل أو

نزلت مدحاً لمن أجاب الرسول للقتال ثانياً في غزوة أحد يوم الأحد بعد الواقعة التي كانت يوم السبت، وتسمى غزوة يوم الأحد غزوة حمراء الأسد، وهي التي مدحهم الله بها وانجبر خللهم بها. قوله: [بأحد] المناسب أن يقول بعد ذلك يوم السبت، واستجابوا له يوم الأحد. قوله: ﴿منهم﴾ من بيانية على حد فاجتنبوا الرجس من الأوثان.

قوله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ شروع في ذكر غزوة بدر الثالثة وتسمى بدر الصغرى، وكانت في السنة الرابعة من شعبان وهو يوم موسم عظيم لقبائل العرب كل عام، فخرج أبو سفيان حتى نزل مر الظهران، فألقى الله الرعب في قلبه فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي، فقال أبو سفيان يا نعيم إني قد واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر وهذا عام جدب، فأحب أن يكون الخلف منه لا مني، فاذهب إلى المدينة فثبطهم عن الخروج، ولك عندي عشرة من الابل، فانطلق نعيم إلى المدينة فوجد النبي وأصحابه يتجهزون، فقال لهم ما تريدون فقالوا لميعاد أبي سفيان، فقال لهم لا تقدرون عليهم فإنهم قد جمعوا لكم فاخشوهم، فقال النبي لأخرجن اليهم ولو وحدي، فخرج النبي في ألف وخمسمائة مقاتل حتى بلغوا بدراً وكانت موضع سوق للعرب يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام، فصادفوا الموسم وباعوا ما كان معهم من التجارات، فربحوا في الدرهم درهمين ولم يأتهم أحد من المشركين، فرجعوا بربح وأجر عظيمين، وأسلم كثير من أهل القبائل حينئذ. قوله: [أي نعيم بن مسعود] أي فأطلق الكل وأراد البعض، وقد أسلم بعد ذلك عام الخندق. قوله: [ذلك القول] أشار بذلك إلى فاعل زاد على حد ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾. قوله: [هو] أي الله وهو إشارة للمخصوص بالمدح، وهذه الدعوة من أفضل الدعوات، وقد استعملها العارفون للمهمات وجعلوا عدتها أربعمائة وخمسين، فمن فعلها كفاه الله ما أهمه. قوله: [فلم يأتوا] أي أبو سفيان وأصحابه، وقد أسلم هو يوم الفتح بعد أن أسر. قوله: [وربحوا] أي في الدرهم درهمين. قوله: [بسلامة وربح] راجع للنعمة والفضل. قوله: [أي القائل لكم] أي

= أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك، فندب النبي ﷺ الناس لينطلقوا معه فجاء الشيطان فخوف أولياءه، فقال: ان الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال: إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء. فأنزل الله ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ الآية.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم، بئسما صنعتم ارجعوا، فسمع رسول الله فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة، فأنزل الله ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ الآية، وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله ﴿فانقلبوا بنعمة من الله﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه عن أبي رافع أن النبي ﷺ وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية.

جرح ﴿وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾: بطاعته ورسوله في الخروج ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ١٧٤: على أهل طاعته ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾: أي القائل لكم إن الناس الخ ﴿ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ﴾: كم ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾: الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾: في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٧٥: حقاً ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾: بضم الياء وكسر الزاي وبفتحها وضم الزاي من حزنه لغة في أحزنه ﴿ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: يقعون فيه سريعاً بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أي لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئاً﴾: بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً﴾: نصيباً ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾: أي الجنة فلذلك خذلهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧٦: في النار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَانِ﴾: أي أخذوه بدله ﴿لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ﴾: بكفرهم ﴿شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٧٧: مؤلم ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾: بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي﴾: أي إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾: بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾: وأن ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُمْلِي﴾: نمهل ﴿لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾: بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ١٧٨: ذو إهانة في الآخرة ﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ

وهو نعيم بن مسعود الأشجعي. قوله: ﴿يخوفكم أولياءه﴾ أشار بذلك إلى أن يخوف ينصب مفعولين الكاف المقدرة مفعول أول وأولياء مفعول ثان، والمعنى يخوفكم شر أوليائه وهم الكفار.

قوله: ﴿ولا يحزنك﴾ نزلت تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين. قوله: [بضم الياء الخ] قراءتان سبعيتان ولغتان مشهورتان، الأولى من أحزن، والثانية من حزن. قوله: [يقعون فيه] أشار بذلك إلى أن يسارعون مضمن معنى يقعون فعداه بفي إشارة إلى أنهم تلبسوا بالكفر وليسوا بخارجين عنه. قوله: [بنصرته] أي الكفر بمقاتلة النبي وأصحابه. قوله: ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً﴾ علة للنفي وهو على حذف مضاف تقديره لن يضروا أولياء الله شيئاً، وإنما أسند الضرر لنفسه تشريفاً لهم، كأن محاربة المسلمين محاربة له. إن قلت: إن قتلهم للمؤمنين مشاهد وهو ضرر فكيف ينفى؟ أجيب: بأنه ليس بضرر بل هو شهادة فالمؤمنون فائزون على كل حال قتلوا أو قُتلوا والكافرون خاسرون على كل حال قَتلوا أو قُتلوا. قوله: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ أي جزاء لمسارعتهم في الكفر ونصرتهم له.

قوله: ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالايمان﴾ هذه الجملة مؤكدة لما قبلها. قوله: [أي أخذوه بدله] يعني تركوا الايمان واختاروا الكفر. قوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ إنما وصف العذاب هنا بكونه أليماً، لأن من اشترى سلعة وخسر فيها تألم منها، ووصفه فيما تقدم بالعظيم، لأن المسارعة للشيء تقتضي عظمه. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء الخطاب للنبي، وقوله: ﴿الذين كفروا﴾ مفعول أول لتحسبن، وقوله: ﴿إنما نملي لهم﴾ في محل المفعول الثاني، وهو تسلية للنبي ﷺ، والمعنى لا تظن أن إمهال الكافر بطول عمره وأكله من رزق الله ومقاتلته في أولياء الله خير له، وإنما إمهاله ليزداد إثماً وجرماً، قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ الآية، وعلى الياء فقوله: ﴿الذين كفروا﴾ فاعل تحسبن، وقوله: ﴿إنما نملي لهم خير﴾ سد مسد مفعوليها كما قال المفسر، والمعنى لا يظن الكفار أن إملاءنا وإمهالنا لهم خير لهم بل هو شر لهم لأننا إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً. قوله: [أي إملاءنا] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر اسم إن. قوله: [ومسد الثاني في الأخرى] أي ومفعولها الأول هم الذين كفروا. قوله: ﴿إنما نملي لهم﴾ تعليل لما قبله. قوله: ﴿ولهم عذاب مهين﴾ وصفه بالإهانة لأن من شأن من طال عمره في الكفر أن تنفذ كلمته ويزداد عزاً فعومل بضد ما لقي في الدنيا.

﴿لِيَذَرَ﴾: ليترك ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ﴾: أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾: من اختلاط المُخْلِص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾: بالتخفيف والتشديد يفصل ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: المنافق ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: المؤمن بالتكاليف الشاقة المُبَيِّنة لذلك وفعل ذلك يوم أحد ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: فتعرفوا المُنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي﴾: يختار ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾: النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧٩ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾: بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي بزكاته ﴿هُوَ﴾: أي بخلهم ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾: مفعول ثان والضمير للفصل والأول بخلهم مقدراً قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾: أي بزكاته من المال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: بالياء والتاء ﴿خَبِيرٌ﴾ ١٨٠: فيجازيكم به ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾: وهم اليهود قالوه لما نزل ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

قوله: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين﴾ هذا وعد من الله لنبيه بأنه سيميّز له المؤمن من المنافق. قوله: [أيها الناس] أي المؤمنون والكفار. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [وفعل ذلك يوم أحد] أي حيث امتحنهم بالقدوم على العدو وبذل الأموال، وكذلك في غزوة الأحزاب، وكذلك في ميعاد أبي سفيان في العام المقبل من أحد، ففضحهم الله وميّزهم في مواضع عديدة. قوله: ﴿على الغيب﴾ أي ما غاب عنهم.

قوله: ﴿ولكن الله﴾ استدراك على ما تقدم في قوله: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ كأنه قال إلا الرسل فإنه يُطلعهم على الغيب. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي بزكاته] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي بزكاة ما آتاهم الله من فضله. قوله: [مقدراً قبل الموصول] أي فتقديره ولا تحسبن بخل الذين يبخلون الخ خيراً لهم إذا علمت ذلك، فقول المفسر بخلهم فيه تسمح لأن المقدر قبل الموصول يكون مضافاً له لا للضمير، وإنما المضاف للضمير هو ما قدر قبل الضمير. قوله: [وقبل الضمير] أي فتقديره ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ الخ، بخلهم خيراً لهم. قوله: [كما ورد في الحديث] أي وهو قوله عليه الصلاة والسلام «يمثّل مانع الزكاة بشجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه ويقول أنا كنزك أنا مالك» ثم تلا ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ الآية، وهذا إذا كان المال من حلال فما بالك إذا كان من حرام وبخل به. قوله: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ هذا كالدليل لما قبله، كأنه قال لا معنى للبخل بالمال، فإنه لله يعطيه لمن يشاء ليصرفه فيما أمر به مدة حياته، فإذا مات رجع المال لصاحبه. قال الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع

قوله: ﴿لقد سمع الله﴾ اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لقد سمع الخ. وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ لما أمرهم بالدخول في الإسلام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، قال كبراء اليهود كحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وفنحاص بن عاذوراء، لأبي بكر الصديق حين أمرهم بما ذكر على لسان رسوله: (إن الله فقير ونحن أغنياء) ولو كان غنياً ما استقرضنا، ومعنى سمعه له علمه وإحصاؤه والمجازاة عليه. قوله: ﴿من ذا الذي يقرض

---

* أسباب نزول الآية ١٨١: قوله تعالى: ﴿لقد سمع الله﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر بيت =

وقالوا: لو كان غنياً ما استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾: في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه وفي قراءة بالياء مبنياً للمفعول ﴿وَ﴾: نكتب ﴿قَتْلَهُمْ﴾: بالنصب والرفع ﴿الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾: بالنون والياء أي الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ١٨١: النار ويقال لهم إذا ألقوا فيها ﴿ذَٰلِكَ﴾: العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: عبّر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾: أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ ١٨٢: فيعذبهم بغير ذنب ﴿الَّذِينَ﴾: نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾: لمحمد ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَا﴾: في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾: نصدقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: فلا نؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد قال تعالى: ﴿قُلْ﴾: لهم توبيخاً ﴿قَدْ جَاءَكُمْ

الله قرضاً حسناً﴾ هذا من تلطف الله بعباده وتنزله لهم، وإلا فالملك لله وحده، وإنما سماها قرضاً لأن جزاءه عليه كمجازاة المقترض أو أعظم، فمن إحسانه علينا خلق ونسب إلينا، وليس معناه أقرضوا الله لينتفع به، بل معناه أعطوا الفقراء لأجلي ومجازاتكم عليّ. قوله: [وفي قراءة بالياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى هذه القراءة يكون الموصول وصلته نائب الفاعل، وعلى الأولى يكون مفعولاً، والفاعل ضمير يعود على الله. قوله: [بالنصب والرفع] لف ونشر مرتب وهو معطوف على محل الموصول، وصلته محله إما نصب على قراءة النون، أو رفع على قراءة الياء. قوله: ﴿بغير حق﴾ أي حتى في اعتقادهم. إن قلت: إن ذلك كان في أجدادهم فلم أوخذوا به؟ أجيب: بأن رضاهم به صيره كأنه واقع منهم، لأن الرضا بالكفر كفر. قوله: [أي الله] هذا تفسير لقراءة الياء، ويحتمل أنه راجع لقراءة النون ويكون حل معنى، وإلا فمقتضي حلها أن يقول أي نحن. قوله: [عبر بها عن الإنسان الخ] أي فهو من باب تسمية الكل باسم جزئه، وقوله: [لأن أكثر الأفعال تزاول بها] علة لارتكاب المجاز. قوله: ﴿وأن الله﴾ معطوف على الموصول عطف علة على معلول، التقدير ذلك العذاب بما قدمت أيديكم لأن ﴿الله ليس بظلام للعبيد﴾ قوله: [أي بذي ظلم] دفع بذلك ما يقال إن المنفي كثرة الظلم، فيفيد أن أصل الظلم ثابت، فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للمبالغة كتمار. قال ابن مالك:

ومع فاعل وفعّال فعل ... في نسب أغنى من اليا قبل

قوله: [نعت للذين قبله] أي وهو ﴿قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ فقد وصفهم بأوصاف زادتهم قبحاً وشناعة. قوله: [في التوراة] أي على لسان موسى، قيل إن تلك المقالة لم تقع أصلاً فهي كذب محض، وقيل إنها موجودة في التوراة إلا في حق المسيح ومحمد، وأما هما فمعجزاتهما غير ذلك، فهم قد كذبوا على التوراة على كل حال. قوله: [من نعم] أي إبل وبقر وغنم وغيرها أي كخيل وبغال وحمير وأمتعة. قوله: [بيضاء] أي لا دخان لها ولها دوي. قوله: [إلا في المسيح ومحمد] هذه طريقة، والطريقة الأخرى أن هذا العهد باطل وكذب من أصله. قوله:

= المدارس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وأنه إلينا لفقير ولو كان غنياً عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال يا أبا بكر: ما حملك على ما صنعت؟ قال يا رسول الله قال قولاً عظيماً يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فجحد فنحاص، فأنزل الله ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت اليهود النبي ﷺ حين أنزل الله ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ فقالوا يا محمد افتقر ربك يسأل عباده؟ فأنزل الله: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير﴾ الآية.

﴿رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾: كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٨٣]: في أنكم تؤمنون عند الإتيان به ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾: كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ﴾: وفي قراءة بإثبات الباء فيهما ﴿الْمُنِيرِ﴾[١٨٤]: الواضح كالتوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ﴾: بعد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: نال غاية مطلوبه ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١٨٥]: الباطل يتمتع به قليلاً ثم يفنى ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين لتختبرن

[كزكريا ويحيى] أي فجاؤوا بقربانٍ وأكلته النار. قوله: [لرضاهم به] أي والرضا بالكفر كفر. قوله: ﴿فلم قتلتموهم﴾ أي فلأي شيء قتلتموهم.

قوله: ﴿فإن كذبوك﴾ أي داموا على تكذيبك، وجواب الشرط محذوف قدّره المفسر بقوله فاصبر كما صبروا والمناسب ذكره بلصقه وأما فقد كذب رسل فدليل الجواب، ولا يصح أن يكون جواباً لأنه ماض بالنسبة للشرط، وهذا تسلية له ﷺ قوله: [المعجزات] أي الظاهرة الباهرة. قوله: ﴿والزبر﴾ جمع زبور وهو كل كتاب اشتمل على المواعظ من الزبر، وهو الموعظة والزجر. قوله: ﴿والكتاب﴾ عطف خاص على العام، وإنما خصهما لشرفهما. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ هذا أيضاً من جملة التسلية له ﷺ، والمعنى كل روح ذائقة الموت لجسمها وإلا فالروح لا تموت، وعموم الآية يشمل حتى الشهداء والأنبياء والملائكة. وأما قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء﴾ فمعناه ترد بعد خروجها لهم، وكذلك الأنبياء والملائكة، وأما ما عداهم فلا ترد لهم إلا عند النفخة الثانية. قوله: [جزاء أعمالكم] أي خيرها أو شرها. قوله: ﴿يوم القيامة﴾ أي وما ألحق به لما ورد «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». قوله: ﴿وأدخل الجنة﴾ أي مع السابقين أو بعد الخروج من النار. قوله: ﴿وما الحياة الدنيا﴾ أي القريبة وهي التي نحن ملتبسون بها. قوله: [الباطل] أي الزائل الذي لا يبقى، ويصح أن يراد بالغرور مصدر بمعنى اسم المفعول، أي المخدوع بالشيء الحسن ظاهره القبيح باطنه بمعنى أنه لا يدري العواقب. قال الامام الشافعي:

إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

قوله: ﴿لتبلون﴾ إخبار من الله للمؤمنين بانه سيقع لهم بلايا من الله بلا واسطة، ومن الكفار أذى كثير في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، وأمر منه لهم بالصبر حين وقوع ذلك، لأن الجنة حفت بالمكاره، واللام موطئة لقسم محذوف، وتبلون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي النونات، والواو نائب فاعل، والنون للتوكيد، وأصله تبلوون أكد فصار تبلوونن، ثم أتى باللام لتدل على القسم المحذوف تحركت الواو الأولى التي هي اللام الكلمة، وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فالتقى ساكنان، حذفت الألف لالتقاء الساكنين، ثم حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، ثم حركت الواو بحركة مجانسة لها. قوله: [لالتقاء الساكنين] علة لمحذوف تقديره وحذفت الألف المنقلبة عن الواو الأولى

﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾: بالفرائض فيها والجوائح ﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾: بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾: من العرب ﴿أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾: من السب والطعن والتشبيب بنسائكم ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾: على ذلك ﴿وَتَتَّقُواْ﴾: الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ ١٨٦: أي من معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾: أي ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾: أي الكتاب بالياء والتاء في الفعلين ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: طرحوا الميثاق ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾: فلم يعملوا به ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ﴾: أخذوا بدله ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾: من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ ١٨٧: شراؤهم هذا ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾: بالتاء والياء ﴿ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾: فعلوا من إضلال الناس ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾: من التمسك بالحق وهم

لالتقاء الساكنين. قوله: [لتختبرن] حل لمعنى لتبلون، والمعنى يعاملكم معاملة المختبر، وإلا فهو أعلم بكم من أنفسكم. قوله: [بالفرائض فيها] أي كالزكاة والكفارات والنذور، وقوله: [والجوائح] أي الأمور السماوية التي تهلك الزرع، كالجراد والفار والظلمة، قوله: [بالعبادات] أي التكاليف بها، وقوله: [والبلاء] أي الذي يصيب الإنسان في نفسه، كالعمى والجراحات وغير ذلك.

قوله: ﴿من قبلكم﴾ جار ومجرور حال من قوله: ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ وأصل لتسمعن تسمعون أكد بالنون ولام القسم، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما ولوجود الضمة التي تدل عليها. قوله: [والتشبيب بنسائكم] أي تذكر محاسنهن وأوصافهن بالقصائد وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف لعنه الله. قوله: [على ذلك] أي المذكور من الابتلاء في الأموال والأنفس، وسماع الأذى من أهل الكتاب. قوله [لوجوبه أي فالصبر على ما ذكر والتقوى لله من الأمور الواجبة، فإن من علامة الإيمان الصبر والتقوى، وقبيح على الإنسان يدعي محبة الله ثم لم يصبر على أحكامه. قال العارف:

تدعي مذهب الهوى ثم تشكو ... أين دعواك في الهوى يا معنى
لو وجدناك صابراً لبلانا ... لأعطيناك كل ما تتمنى

قوله: [بالياء والتاء في الفعلين] أي وهما ليبيننه ولا يكتمونه وهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء إخبار عنهم وعلى التاء حكاية للحال الماضية. قوله: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ كناية عن عدم التمسك به، لأن من لم يتمسك بشيء ولم يعتنه طرحه خلف ظهره. قوله: [شراؤهم] أشار به إلى أن ما مؤولة بمصدر فاعل بئس، وقوله: [هذا] هو المخصوص بالذم، وهذه الآية وإن وردت في الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين الذين يكتمون الحق وينصرون الباطل. قوله: [بالياء والتاء] فعلى التاء الخطاب للنبي أو لمن يصلح له الخطاب ﴿والذين﴾ مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف

---

* أسباب نزول الآية ١٨٦: قوله تعالى: ﴿ولتسمعن﴾ الآية، روى ابن أبي حاتم وابن المنذر بسند حسن عن ابن عباس أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفنحاص من قوله: إن الله فقير ونحن أغنياء؛ وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر.
* أسباب نزول الآية ١٨٨: قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين يفرحون﴾ الآية، روى الشيخان وغيرهما من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن مروان قال لبوابه يا رافع إلى عباس فقل: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه.

على ضلال ﴿فلا تحسبنهم﴾: بالوجهين تأكيد ﴿بمفازة﴾: بمكان ينجون فيه ﴿من العذاب﴾: في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ ١٨٨: مؤلم فيها ومفعولا يحسب الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾: خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ١٨٩: ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾: وما فيهما من العجائب ﴿واختلاف الليل والنهار﴾: بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لآيات﴾: دلالات على قدرته تعالى ﴿لأولي الألباب﴾ ١٩٠: لذوي العقول ﴿الذين﴾: نعت لما قبله

دل عليه. قوله: ﴿بمفازة من العذاب﴾ تقديره ناجين من عذاب الله، وعلى الياء فقوله: ﴿الذين﴾ فاعل ومفعولاها محذوفان تقديرهما أنفسهم ناجين من عذاب الله، وسيأتي يشير لذلك المفسر. قوله: [بالوجهين] أي الياء والتاء، لكن على قراءة الياء والتاء مفتوحة، وهذه الآية تجر بذيلها على من يكون خبيث الباطن ويحب زينة الظاهر، كأن يظهر العلم والصلاح والتقوى مع كونه في الباطن ضالاً مضلاً.

قوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ أي التصرف فيما في السماوات وما في الأرض، لأن ذات السماوات والأرض لا نزاع في أنهما مملوكان لله. قوله: [ومنه] أي من الشيء المقدور عليه.

قوله: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ ائتنا بآية تدل على أن الله واحد، فقال تعالى رداً عليهم: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآيات، وإن حرف توكيد ونصب، وفي خلق جار ومجرور خبرها مقدم، وخلق مضاف، والسماوات مضاف اليه، وقوله: ﴿لآيات﴾ اسمها مؤخر. قوله: [وما فيهما من العجائب] أشار بذلك إلى أن خلق باق على مصدريته بمعنى الايجاد، ويحتمل أن يكون بمعنى اسم المفعول، أي مخلوقات السماوات الأرض وقوله: [من العجائب] أي كالنجوم والشمس والقمر والسحاب بالنسبة للسماوات، والبحار والجبال والنباتات والحيوانات بالنسبة للأرض، قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ وبالجملة ففي كل شيء له آية، تدل على أنه الواحد. قوله: [بالمجيء والذهاب] أي بمجيء الليل عقب النهار، والنهار عقب الليل، فليس أحد يقدر على إتيان الليل في النهار ولا العكس. قوله: [والزيادة والنقصان] أي زيادة أحدهما بقدر ما نقص من الآخر. قوله:

= وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري: أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف الرسول ﷺ، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ الآية، أخرج عبد في تفسيره عن زيد بن أسلم: أن رافع بن خديج وزيد بن ثابت كانا عند مروان، فقال مروان يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾.

قال رافع: أنزلت في أناس من المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ اعتذروا وقالوا ما حبسنا عنكم إلا شغل، فلوددنا أنا كنا معكم، فأنزل الله فيهم هذه الآية، وكأن مروان أنكر ذلك فجزع رافع من ذلك فقال زيد بن ثابت أنشدك بالله هل تعلم ما أقول؟ قال نعم. قال الحافظ بن حجر يجمع بين هذا وبين قول ابن عباس بأنه يمكن أن تكون نزلت في الفريقين معاً. قال وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود: نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد. وروى ابن أبي حاتم من طرق عن جماعة من التابعين نحو ذلك، ورجحه ابن جرير، ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، انتهى.

* أسباب نزول الآية ١٩٠: قوله تعالى: ﴿أن في خلق السماوات﴾ الآية. أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا عصاه، ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه فنزلت الآية: ﴿أن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ فليتفكروا فيها.

أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾: مضطجعين أي في كل حالٍ وعن ابن عباس يصلّون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾: ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا﴾: الخلق الذي نراه ﴿بَاطِلاً﴾: حال عبثاً بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ١٩١ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾: للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾: أهنته ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿مِنْ﴾: زائدة ﴿أَنصَارٍ﴾ ١٩٢: يمنعونهم من عذاب الله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي﴾: يدعو الناس ﴿لِلإِيمَانِ﴾: أي إليه وهو محمد أو القرآن ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾: به ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾: غط ﴿عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: فلا

[دلالات] أي براهين قطعية دالة على كونه متصفاً بالكمالات، منزهاً عن النقائص. قوله: [ذوي العقول] أي أصحاب العقول الكاملة. قوله: [نعت لما قبله] أي وهو أولى فهو في محل جر. قوله: [مضطجعين] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وعلى جنوبهم﴾ متعلق بمحذوف حال، فهو حال مؤولة بعد حال صريحة. قوله: [أي في كل حال] تفسير لقوله: ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾. قوله: [يصلون كذلك] أي قياماً إن قدروا، فإن لم يقدروا فقعوداً، فإن لم يقدروا فعلى جنوبهم. قوله: [ليستدلوا به على قدرة صانعهما] أي واتصافه بالكمالات، فالتفكر مورث للعلم والمعرفة، قال العارف أبو الحسن الشاذلي: ذرة من عمل القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الأبدان. قوله: [يقولون] قدره إشارة إلى أنه حال من الواو في ﴿يتفكرون﴾، والمعنى ﴿يتفكرون﴾ قائلين ﴿ربنا﴾ الخ وهو إشارة لثمرة الفكر، فثمرة الفكر الاستدلال والمعرفة بالله. قوله: [حال] أي من قوله: ﴿هذا﴾ وهذه الحال لا يستغنى عنها فهي واجبة الذكر كقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾.

قوله: ﴿سبحانك﴾ مصدر منصوب بفعل محذوف وجوباً تقديره أسبح سبحانك، وهذه الجملة معترضة بين قوله: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ وبين قوله: ﴿فقنا عذاب النار﴾. قوله: ﴿فقنا عذاب النار﴾ هذا متسبب عن قوله: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ أي فحيث وحدناك ونزهناك عن النقائص فقنا عذاب النار، لأن النار جزاء من عصى ولم يوحد.

قوله: ﴿إنك من تدخل النار الخ﴾ هذا علة لما قبله، والمعنى إنما طلبنا الوقاية من عذاب النار، لأن من أدخلته النار فقد أخزيته. قوله: [للخلود فيها] جواب عن سؤال مقدر تقديره أن قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ يقتضي أن جميع المؤمنين غير مخزيين، مع أن بعض العصاة منهم يدخل النار تطهيراً لما اقترفه، وهذه الآية تدل على أن من دخل النار مخزي وإن مؤمناً. فأجاب المفسر بحمل هذه الآية على الكفار. قوله: [زائدة] أي للتوكيد في المبتدأ المؤخر، وقوله: ﴿للظالمين﴾ خبر مقدم. قوله: ﴿منادياً﴾ أي داعياً وهو على حذف مضاف أي نداء مناد. قوله: ﴿ينادي﴾ صفة لمنادياً على الصحيح، خلافاً لمن جعله مفعولاً ثانياً لسمع لأنها لا تنصب إلا مفعولاً واحداً على الصحيح. قوله: [وهو محمد] أي فإسناد النداء اليه حقيقي، وقوله: [أو القرآن] أي فإسناد النداء إليه مجازي، والمعنى منادى به.

قوله: ﴿أن آمنوا﴾ أن تفسيرية، وقوله: ﴿بربكم﴾ أي صدقوا بأنه يجب له كل كمال، ويستحيل عليه كل نقص. قوله: ﴿فاغفر لنا ذنوبنا﴾ أي استرها عن أعين الخلق، وقوله: ﴿وكفر عنا سيآتنا﴾ أي غطها عنا فلا تؤاخذنا بها وامحها

تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾: اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾: في جملة ﴿الْأَبْرَارِ﴾[٢٩٣]: الأنبياء والصالحين ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾: أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾: به ﴿عَلَى﴾: ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾: من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يخلف سؤال أن يجعلهم من مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[١٩٤]: الوعد بالبعث والجزاء ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: دعاءهم ﴿أَنِّي﴾: أي بأني ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ﴾: كائن ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾: أي الذكور من

من الصحف، وهو ترقي عظيم في طلب المغفرة، فهو من عطف الخاص على العام. قوله: [بالعقاب عليها] أي ولا بالعتاب عليها.

قوله: ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ أي احشرنا معهم واجعلنا في زمرتهم، والمراد بالأبرار المطهرون الذين لم يفعلوا ذنوباً. قوله: ﴿وآتنا﴾ معطوف على محذوف، تقديره حقق لنا ما ذكرنا ﴿وآتنا﴾. قوله: [من الرحمة والفضل] بيان لما. قوله: [وسؤالهم ذلك الخ] أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله أن يقال إن وعد الله لا يتخلف قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ فلا فائدة في ذلك السؤال، أجاب المفسر بقوله سؤال أن يجعلهم الخ. وحاصل ذلك الجواب أن العاقبة مجهولة، ووعد الله لا يخلف لمن حمدت عاقبته، ومن أين لنا حسن العاقبة، ففائدة السؤال أن الله يحسن عاقبتهم، فإذا حسنت يحقق وعده تعالى إن قلت: لا يخلو الأمر إما أن تكون العاقبة في نفس الأمر محمودة فوعد الله له محقق ولا بد، وإما أن تكون غير محمودة فليس له عند الله وعد أصلاً فلا فائدة في الدعاء. أجيب: بأن توفيقه للدعاء دليل على أن الله لا يخلف وعده الذي وعده إياه، قال بعضهم: ما وفقك للدعاء إلا ليعطيك، فحيث وفق العبد للدعاء كان دليلاً على قبوله وإنابته وحسن عاقبته، ولذا لم يوفق إبليس للتوبة ولا للدعاء. قوله: [وتكرير ربنا الخ] جواب عن سؤال مقدر حاصله أنه لم كرر لفظ ربنا خمس مرات، فأجاب بأنه مبالغة في التضرع، أي الخضوع والتذلل، ولما ورد أنه الاسم الأعظم، وعن جعفر الصادق: من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، قيل وكيف ذلك؟ قال اقرؤوا قوله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآيات، وهي من أوراد الصالحين تقرأ إلى آخر السورة عند الاستيقاظ من النوم ليلاً فمن لازم عليها تحقق بما فيها، وحصل له ثواب من قام الليل. قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ظرف لقوله ﴿ولا تخزنا﴾ أي لا تفضحنا في ذلك اليوم. قوله: ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ علة لقوله: ﴿آتنا ما وعدتنا﴾ الخ.

قوله: ﴿فاستجاب لهم﴾ أي لأولي الألباب الموصوفين بما تقدم، واستجاب بمعنى أجاب، فالسين والتاء زائدتان للتأكيد وهو يتعدى بنفسه واللام. قوله: ﴿ربهم﴾ إنما عبر به دون غيره من الأسماء لمناسبة دعائهم به. قوله: [أي بأني] أشار بذلك إلى أن أن بفتح الهمزة باتفاق السبعة وفيه حذف الجار وهو مطرد إذا أمن اللبس، قال ابن مالك:

وحذفه مع إن وأن يطرد مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

وهذه الباء للسببية وقرئ شذوذاً بإثباتها، وقرئ شذوذاً أيضاً بكسر الهمزة على تقدير القول. قوله: ﴿لا أضيع﴾ هكذا بسكون الياء من أضاع، وقرئ بتشديد الياء من ضيع. قوله: ﴿منكم﴾ جار ومجرور صفة لعامل، وقوله: ﴿من

● أسباب نزول الآية ١٩٥: قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم﴾ الآية. أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ إلى آخر الآية.

الإناث وبالعكس والجملة مؤكدة لما قبلها أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها. نزلت لما قالت أم سلمة يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: من مكة إلى المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾: ديني ﴿وَقَاتَلُوا﴾: الكفار ﴿وَقُتِلُوا﴾: بالتخفيف والتشديد وفي قراءة بتقديمه ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أسترها بالمغفرة ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾: مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: فيه التفات عن التكلم ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ ١٩٥: الجزاء. ونزل لما قال المسلمون أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: تصرفهم ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ ١٩٦: بالتجارة والكسب هو ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ١٩٧: الفراش هي ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

ذكر أو أنثى﴾ من بيانية وقيل زائدة وذكر أو أنثى بدل من عامل، وقيل أن الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله بدل كل من كل. قوله: ﴿بعضكم من بعض﴾ هذه الجملة قصد بها التعليل والتعميم، والمعنى لا أضيع عمل عامل منكم جميعاً ذكر أو أنثى لأن ربكم واحد، وأصلكم واحد، ودينكم واحد، وبعضكم متناسل من بعض. قوله: [مؤكدة لما قبلها] أي قصد بها التعميم. قوله: [نزلت] أي هذه الآية من هنا إلى قوله: ﴿والله عنده حسن الثواب﴾. قوله: [من مكة إلى المدينة] أي أو إلى الحبشة كما كان في صدر الإسلام، فكان من أسلم ولم يأمن على نفسه يأمره النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، إلى أن جاءه الإذن بالهجرة إلى المدينة.

قوله: ﴿وأخرجوا من ديارهم﴾ يشير بذلك إلى أن الإخراج قهري، لأنه وإن كان في الظاهر طائعاً إلا أنه في الباطن مكره. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان، وقوله: [وفي قراءة بتقديمه] أي المبني للمفعول لكن بالتخفيف، فالقراءات ثلاث، وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى مع، أي قتلوا مع كونهم قاتلوا فلم يفروا، بل قتلوا في حال مقاتلتهم الأعداء. قوله: ﴿لأكفرن﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي وحقي وجلالي لأكفرن، والقسم وجوابه في محل رفع خبر. قوله: ﴿فالذين هاجروا﴾ الخ، هذا الوعد الحسن لمن اتصف بجميع تلك الصفات أو بعضها. قوله: [أسترها بالمغفرة] أي عن الخلق وأبدلها حسنات. قوله: ﴿ثواباً﴾ هو في الأصل مقدار من الجزاء أعده الله لعباده المؤمنين في الآخرة في نظير أعمالهم الحسنة، لكن المراد به هنا الإثابة فهو مصدر مؤكد كما قال المفسر، ويصح أن يكون حالاً من جنات، أي لأدخلنهم جنات حال كونها ثواباً بمعنى مثاباً بها، أي في نظير أعمالهم الحسنة. قوله: [من معنى لأكفرن] أي وما بعده وهو لأدخلنهم فهما في معنى لأثيبنهم.

قوله: ﴿من عند الله﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لثواباً. قوله: [فيه التفات عن التكلم] أي وكان مقتضى الظاهر أن يقول ثواباً من عندي وإنما أظهر في محل الإضمار تشريفاً لهم. قوله: ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ لفظ الجلالة مبتدأ، وقوله: ﴿حسن الثواب﴾ مبتدأ ثان، وقوله: ﴿عنده﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، ويحتمل أن يكون حسن الثواب فاعلاً بالظرف قبله، والجملة خبر المبتدأ وإضافة حسن للثواب من إضافة الصفة للموصوف، أي الثواب الحسن كالجنة وما فيها، وأتى بهذه الآية تعليلاً لما قبلها. قوله: ﴿لا يغرنك﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمقصود غيره، لأن هذه المقالة واقعة من ضعفاء المسلمين، ولا ناهية، ويغرنك فعل مضارع مبني على الفتح لإتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والكاف مفعوله، والمعنى لا تغتر بتقلبهم الخ.

قوله: ﴿متاع قليل﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو. قوله: [يتمتعون] أي ينتفعون ويتنعمون به. قوله: [هي] أشار به إلى أنه المخصوص بالذم. قوله: ﴿لكن الذين اتقوا﴾ إنما أتى بالاستدراك دفعاً لما يتوهم من أن الدنيا

﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾: أي مقدرين الخلود ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾: هو ما يعد للضيف ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من الثواب ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ١٩٨: من متاع الدنيا ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: أي القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: أي التوراة والإنجيل ﴿خَاشِعِينَ﴾: حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من أي متواضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت النبي ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا بأن يكتموها خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: يؤتونه مرتين كما في القصص ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ١٩٩: يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾: على الطاعات والمصائب وعن المعاصي ﴿وَصَابِرُوا﴾: الكفار فلا يكونوا أشد صبراً منكم

مذمومة، ومتاع قليل مطلقاً للمؤمن والكافر، فأفاد أن المؤمن وإن أخذ في التجارة والتكسب لا يضره ذلك، بل له في الآخرة الدرجات العلا، فذم الدنيا ومعيشتها للكافر خاصة، قال العارف:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا لا بارك الله في الدنيا بلا دين

قوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ صفة لجنات. قوله: [أي مقدرين الخلود] أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة، لأن وقت دخولهم الجنة ليسوا بخالدين فيها. قوله: [ونصبه على الحال] أي لهم جنات حال كونها مهيئة ومعدة للمؤمنين، كما يقري الإنسان ضيفه أفخر ما عنده. قوله: ﴿من عند الله﴾ هذه الجملة صفة لنزلاً وإنما سمي ﴿نزلاً﴾ لأنه ارتفع عنهم تكاليف السعي والكسب، فهو شيء سهل مهيأ لهم من غير تعب، ولذلك حين دخولها يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. قوله: ﴿للأبرار﴾ أي المتقين.

قوله: ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ سبب نزولها أنه يوم موت النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه عطية الله، أسلم من غير أن يرى النبي ﷺ، ودخلت رعيته في الإسلام تبعاً له، جاء جبريل وأخبره بأنهم متوجهون بجنازته ليصلوا عليه، فخرج النبي وأصحابه إلى الصحراء فكشف للنبي عنه فصلى عليه هو وأصحابه، فلما فرغوا قال المنافقون انظروا إلى هذا الرجل يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه، فنزلت الآية. قوله: [كعبد الله بن سلام] أي وأربعين من نصارى نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم، وراعى في الصلة لفظ ﴿من﴾ وفي قوله: ﴿خاشعين﴾ وما بعده معناها. قوله: [بأن يكتموها] تصوير للشراء المنفي. قوله: [يؤتونه مرتين] أي لإيمانهم بكتابهم والقرآن. قوله: [كما في القصص] أي في سورة القصص، قال تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾. قوله: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ أي المجازاة على الخير والشر.

قوله: ﴿أيايها الذين آمنوا اصبروا﴾ لما بين في هذه السورة فضل الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الأحكام العظيمة، ختمت بما يفيد المحافظة على ذلك. قوله: [على الطاعات الخ] أشار بذلك إلى مراتب الصبر الثلاثة، وأعظمها الصبر عن المعصية. قوله: [فلا يكونوا أشد صبراً منكم] أي فلا تفروا من الأعداء

---

* أسباب نزول الآية ١٩٩: قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ الآية. روى النسائي عن أنس قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ وروى ابن جرير نحوه عن جابر، وفي المستدرك عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت في النجاشي ﴿وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ الآية.

﴿وَرَابِطُوا﴾: أقيموا على الجهادِ ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾: في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٢٠٠: تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

واصبروا على الجهاد، وخصّه وإنْ دَخل في عموم الصّبر لأنه أعظم أنواعه وجامع لها، فإنه صَبْر على الطاعة وهو الجهاد، وعن المعْصية وهو الفرار من العدو، وعلى المصيبة وهي القتل والجرح. قوله: ﴿ورابطوا﴾ أصل المرابطة أن يربط كُل من الخصمين خيولهم بحيث يكونون مستعدين للقتال ثم توسع فيه، وجعل كل مقيم في الثغر لحراسة العدو مرابطاً، وإن لم يكن عدو ولا مركوب مربوط. قوله: [في جميع أحوالكم] أي حالاتكم من رخاء وشدة وعسر ويسر وصحة ومرض. قوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، والفلاح هو الفوز والظفر، ورد أن من قرأ سورة آل عمران أعطاه الله بكل آية منها أماناً على جسر جهنم.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة النساء

[مدنية مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ : أي أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ : أي عقابه بأنْ تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ : آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ : حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ : فرق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ : من آدم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النساء مدنية

مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية

مدنية أي كلها، وإنّ خواطب بمطلعها أهل مكة، لأن القاعدة أنه متى قيل في القرآن ﴿يا أيها الناس﴾ كان خطاباً لأهل مكة، ومتى قيل ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ كان خطاباً لأهل المدينة. قوله: [وخمس أو ست] أو لتنويع الخلاف فهي مائة وسبعون جزماً والخلاف فيما زاد. قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ الخطاب للمكلفين عموماً، ذكوراً وإناثاً، إنساً أو جناً، لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وليس مخصوصاً بمن كان موجوداً وقت النزول لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾.

قوله: ﴿اتقوا ربكم﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، ولذلك يحصل بالإسلام، فإن المسلم العاصي قد اتقى الشرك وهو أعظم المنهيات بالإيمان وهو أعظم المأمورات، لكن يقال لها تقوى عامة، وتقوى الخواص هي اجتناب المنهيات جميعها، وامتثال المأمورات على حسب الطاقة، وتقوى خواص الخواص هي الانهماك في طاعة الله، وعدم الشغل بغيره ولو مباحاً، والآية صادقة بهذه المراتب كلها.

قوله: ﴿الذي خلقكم﴾ تأكيد للأمر المتقدم، فالمعنى اتقوا الله لأنه مالككم ومربيكم، ومن أوصافه أنه خلقكم وأنشأكم من نفس واحدة، فمن كان بهذه الصفات فهو أحق بأن يتقى لأنه لا استغناء عنه، بل كل من خلقه مفتقر إليه في كل لمحة وطرفة ولحظة، وفي ذلك إشارة إلى أن التقوى تكون في حق بعضنا بعضاً لأن أصلنا واحد، فالواجب علينا اتقاء ربنا لأنه الخالق لنا، واتقاء بعضنا بعضاً لأننا كلنا من أصل واحد.

قوله: ﴿وخلق منها﴾ أي من تلك النفس الواحدة. قوله: ﴿زوجها﴾ يقال في الأنثى زوج وزوجة، والأفصح الأول. قوله: [حواء] بالمد سميت بذلك لأنها خلقت من حي. قوله: [من ضلع من أضلاعه] أي بعد أن أخذه النوم ولم يشعر بذلك ولم يتألم، فلما استيقظ من النوم وجدها فمال إليها فأراد أن يمد يده إليها، فقالت له الملائكة: مه يا آدم حتى

وحواء ﴿رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾: كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ﴾: فيه إدغام التاء في الأصل في السين وفي قراءة بالتخفيف بحذفها أي تتساءلون ﴿بِهِ﴾: فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله وأنشدك بالله ﴿وَ﴾: اتقوا ﴿الأَرْحَامَ﴾: أن تقطعوها وفي قراءة بالجر عطفاً على الضمير في به وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾

تؤدي مهرها، قال فما مهرها؟ قالوا حتى تصلي على النبي ﷺ، في رواية ثلاث صلوات، وفي رواية سبعة عشر، وفي ذلك إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة لكل موجود حتى أبيه آدم. إن قلت: حيث كانت حواء مخلوقة من ضلع آدم فهي أخت لأولاده، فمقتضاه أنه يحل لمن يخلق منها التزوج بها في شرعه. أجيب: بأن تفرع حواء من آدم ليس كتفرع الولد من الوالد، بل نباتها من الضلع كما تنبت النخلة من النواة، فلا يحكم عليها بأنها بنت آدم ويقال لها أخت أولاده، بل هي أمهم لا غير، واختلف هل كان خلق حواء خارج الجنة، وبه قال جماعة، وقال ابن عباس وجماعة إنه كان داخل الجنة، ولا مانع من كونه أخذه النوم فيها، لأن الممنوع النوم بعد دخولها يوم القيامة. قوله: ﴿ونساء﴾ كثيرة أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء، ورد أن حواء حملت من آدم عشرين بطناً، أو أربعين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى، وكان يزوج ذكر هذه البطن لأنثى البطن الأخرى، فنزلت اختلاف البطون منزلة اختلاف الآباء والأمهات، وما مات حتى اجتمع من ذريته مباشرة وبواسطة فوق المائة ألف يشتغلون بأنواع الصنائع والتجارة.

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ معطوف على قوله: ﴿اتقوا ربكم﴾. قوله: ﴿الذي تساءلون به﴾ أي يقسم بعضكم على بعض به لأنه عظيم جليل، فحيث كان كذلك فهو أحق بأن يتقى. قوله: [فيه إدغام التاء الخ] أي فأصله تتساءلون به، قلبت التاء سيناً ثم أدغمت في السين وإنما قلبت التاء سيناً لقرب مخرجيهما. قوله: [بحذفها] أي التاء الثانية وحذفت تخفيفاً. قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدي قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

قوله: [حيث يقول بعضكم الخ] أي فيدخل الحمى ولا يتعرض له، وكان ذلك في الجاهلية، والمعنى اتقوا الله لأنه ربكم وخالقكم من نفس واحدة، ولأنه عظيم يقسم به وتقضى الحوائج باسمه. قوله: ﴿والأرحام﴾ هكذا بالنصب معطوف على لفظ الجلالة، والعامل فيه اتقوا، ولذا قدره المفسر. قوله: [أن تقطعوها] إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره واتقوا قطع الأرحام لما في الحديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»، ومواصلة الأرحام تختلف باختلاف الناس، فمنهم الغني والفقير، فالواجب على الغني المواصلة بالهدايا والتحف والكلام اللين، وعلى الفقير باللين والسعي لهم ومعاشرتهم بالمعروف، ولا فرق بين الأحياء والأموات. قوله: [وفي قراءة بالجر] أي مع تخفيف تساءلون وهي لحمزة، وأما قراءة النصب فبالتشديد والتخفيف، فالقراءات ثلاثة وكلها سبعية. قوله: [عطفاً على الضمير في به] أي من غير عود الخافض، وهي وإن كانت لغة فصيحة إلا أنها خلاف الكثير، وقد أشار لذلك ابن مالك بقوله:

وعود خافض لدى عطف على ... ضمير خفض لازماً قد جعلا
وليس عندي لازماً إذ قد أتى ... في النظم والنثر الصحيح مثبتا

فأشار بالنثر الصحيح إلى الآية وبالنظم إلى قول الشاعر:

قد بت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام. قوله: [وكانوا يتناشدون بالرحم] هذا مرتب على القراءة الثانية، أي فالمعنى اتقوا الله لأنكم

﴿عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[1]: حافظاً لأعمالكم فيجازيكم بها أي لم يزل متصفاً بذلك. ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه ﴿وآتوا اليتامى﴾: الصغار الذين لا أب لهم ﴿أموالهم﴾: إذا بلغوا ﴿ولا تتبدلوا الخبيث﴾: الحرام ﴿بالطيب﴾: الحلال أي تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿ولا تأكلوا أموالهم﴾: مضمومة ﴿إلى أموالكم إنه﴾: أي أكلها ﴿كان حوباً﴾: ذنباً ﴿كبيراً﴾[2]: عظيماً ولما نزلت تحرجوا من

تتناشدون به، واتقوا الأرحام لأنكم تتناشدون بها، ومن التناشد بها قول هارون لأخيه موسى صلوات الله وسلامه عليهما: «يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي». قوله: [إن الله كان عليكم رقيباً] هذا تعليل لقوله: ﴿اتقوا ربكم﴾ والرقيب لغة من ينظر في الأمور ويتأمل فيها، واصطلاحاً الحفيظ الذي لا يغيب عن حفظه شيء، وهذا المعنى هو المراد في حق الله تعالى. قوله: [حافظاً لأعمالكم] أي جميعها خيرها وشرها، سرها وجهرها، قال تعالى: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾.

قوله: [أي لم يزل متصفاً بذلك] جواب عن سؤال مقدر تقديره أن لفظ كان يفيد الانقطاع، فيفيد أن الله اتصف بالحفظ فيما مضى وانقطع، فأجاب بأن كان هنا للاستمرار، أي هو متصف بذلك أزلاً وأبداً. قوله: [ونزل في يتيم] أي بحسب ما كان، وإلا فوقت طلبه رشيداً. قوله: [طلب من وليه] أي وكان عماً لذلك اليتيم. قوله: [فمنعه] أي فلما منعه شكا لرسول الله ﷺ فنزلت الآية، فلما سمعها الولي قال أطعت الله وأطعت رسوله، ونعوذ بالله من الحوب الكبير.

قوله: ﴿وآتوا اليتامى﴾ شروع في ذكر مواطن التقوى، وقدم مال اليتيم لأن فيه وعيداً عظيماً وتحذيراً شديداً، واليتامى جمع يتيم ويجمع أيضاً على أيتام من اليتم وهو لغة الانفراد، ومنه الدرة اليتيمة بمعنى عديمة المثل، ومنه يتيم سيد الكائنات عليه أفضل الصلاة والسلام، قال العارف:

أخذ الإله أبا النبي ولم يزل ... برسوله الفرد الكريم رحيما
نفسي الفداء لمفرد في يتمه ... والدر أحسن ما يكون يتيما

واصطلاحاً أشار له المفسر بقوله: [الألى] لا أب لهم، أي ولو كانت أمهم موجودة، فاليتيم في الآدمي من كان معدوم الأب وهو صغير، وفي غيره من كان معدوم الأم، فإن مات الأبوان قيل للصغير لطيم، وإن ماتت أمه فقط قيل له عجمي. قوله: [الألى] بضم الهمزة وفتح اللام اسم موصول لجمع الذي كالذين. قوله: [إذا بلغوا] أي وكانوا راشدين، بدليل قوله تعالى: ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ الآية.

قوله: ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ هذا نهي آخر، وكان ولي اليتيم في الجاهلية يأخذ مال اليتيم الجيد ويدفع بدله الرديء كشاة هزيلة يدفعها ويأخذ شاة سمينة، ودرهم زائف يتركه لليتيم، ويأخذ بدله الجيد، ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم. قوله: [الحرام] أي وإن كان جيداً، وقوله: [الحلال] أي وإن كان رديئاً. قوله: [أي تأخذوه بدله] أشار بذلك إلى أن الباء داخلة على المتروك. قوله: [مضمومة] أي بأن تجمعوا ماله على أموالكم وتصرفوا من الجميع، وقصده بذلك أكل الجميع، وهذا نهي ثالث، لأن الأمر الأول تضمن نهياً أي لا تمنعوا اليتامى من أموالهم إذا رشدوا أو لا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم. إن قلت: مقتضى الآية أن أكل مال اليتيم منفرداً ليس بذنب عظيم، أجيب: بأنه نص على مستقبح الأوصاف زيادة في التشنيع على من يأكله مع الاستغناء، وإلا فأكله منفرداً كأكله مضموماً لماله في ارتكاب الإثم الكبير. قوله: ﴿حوباً﴾ بضم الحاء باتفاق السبعة، وقرئ شذوذاً بفتح الحاء وسكون الواو وقبلها ألفاً والمعنى واحد. قوله: [ولما نزلت] أي آيات اليتيم التي ورد النهي فيها. قوله: [تحرجوا] أي شق

ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾: تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾: فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فَانكِحُوا﴾: تزوجوا ﴿مَا﴾: بمعنى من ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾: أي اثنتين اثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: فيهن بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِدَةً﴾: انكحوها ﴿أَوْ﴾: اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من الأماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾٣: تجوروا ﴿وَآتُوا﴾: أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾: جمع صدقة

عليهم وطلبوا الخروج من الحرج الذي هو الاثم. قوله: [من الأزواج] أي اليتامى، فكان الواحد منهم إذا وجد يتيمة ذات مال وجمال رغب فيها لأجل مالها، فلما نزلت آية النهي عن أكل مال اليتيم شق عليهم ذلك فنزلت ﴿وإن خفتم﴾ فالنهي في الأولى عام في اليتامى مطلقاً أزواجاً أو لا، والثاني خاص بالأزواج اليتامى. قوله: ﴿أن لا تقسطوا﴾ من أقسط بمعنى عدل، وأما القاسط فمعناه الجائر، وقرىء تقسطوا بفتح التاء وتحمل على أن لا زائدة أو لغة في أقسط بمعنى عدل، فتكون مستعملة في الشيء وضده.

قوله: ﴿في اليتامى﴾ أي في نكاحهم. قوله: [فتحرجتم] أي طلبتم الخروج من الحرج الذي هو الاثم، وقوله: [فخافوا] جواب الشرط، قالت عائشة: هذه الآية في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن ينتقص صداقها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في إكمال الصداق، وأمروا بالنكاح من غيرهن، قالت عائشة: فاستفتى الناس رسول الله ﷺ بعد ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويستفتونك في النساء - إلى قوله - وترغبون﴾ أن تنكحوهن، فبين الله لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بأمثالها في إكمال الصداق، وبين في تلك الآية إن اليتيمة إذا كانت مرغوباً عنها لقلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال أي الله فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق، وقال الحسن: كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها، فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه، وإنما تزوجها كراهية أن يدخل غريب فيشاركها في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص إلى أن تموت فيرثها، فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية. قوله: [بين النساء] أي اليتامى. قوله: [بمعنى من] أي الواقعة على العاقل، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره أن ما لغير العاقل ولا شك أن النساء عقلاء، فأجاب بأن ما بمعنى من، وعبر عنهن بما لنقص عقلهن عن الرجال. وأجيب أيضاً بأن ما واقعة على الأوصاف، والمعنى وانكحوا الوصف الذي يعجبكم من النساء كالحسب والنسب والجمال وفي الحديث «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

قوله: ﴿من النساء﴾ أي الغير اليتامى، وقد تضمنت هذه الآية النهي عن نكاح اليتامى من أجل أموالهن والزيادة على أربع. قوله: ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ بدل من النساء. قوله: [أي اثنين اثنين] المعنى أباح لكم في الاختيار اثنين أو ثلاثاً أو أربعاً، فالواو ليست للعطف، وإلا لزم أنه بيان جمع تسع، وبه قالت الظاهرية، ولا بمعنى أو وإلا لزم أن من اختار اثنين لا يجوز له أن ينتقل إلى ثلاث أو أربع. قوله: [ولا تزيدوا على ذلك] هذا محط السياق. قوله: [إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات] أي فلا يجب العدل بينهن، لا في القسم، ولا في النفقة، ولا في الكسوة. قوله: ﴿أدنى﴾ يتعدى بإلى واللام، تقول دنوت إليه وله. قوله: ﴿أن لا تعولوا﴾ العول في الأصل معناه الميل، من قولهم عال الميزان

---

* أسباب نزول الآية ٤: قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح قال: كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك، فأنزل ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾.

مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾: مصدر عطية عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾: تمييز محوّل عن الفاعل أي طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا﴾: طيباً ﴿مَرِيئًا﴾: محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة نزلت رداً على من كره ذلك ﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾: أيها الأولياء ﴿السُّفَهَاءَ﴾: المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾: أي أموالهم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: مصدر قام أي تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم فيضعوها في غير وجهها وفي قراءة قيماً جمع قيمة ما تقوم به الأمتعة ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾:

عولاً أي مال وعال في الحكم إذا جار. قوله: [تجوروا] أي تظلموا، وفي الحديث: «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط».

قوله: ﴿وآتوا النساء﴾ أتى بهذه الآية استطراداً بين أحكام اليتامى لمناسبة ذكر النساء، وآتى بالمد مصدره الايتاء بمعنى الاعطاء، فلذا فسره به، وأما بالقصر فمصدره الاتيان بمعنى المجيء. قوله: [جمع صدقة] إما بضم الدال أو فتحها أو إسكانها، ويقال أيضاً صداق بفتح الصاد وكسرها، ومعنى الجميع المهر الذي يجعل للمرأة في نظير البضع، وأقله عند المالكية ربع دينار شرعي، أو ثلاث دراهم شرعية، أو مقوم بأحدهما، وعند الشافعي يكفي أي شيء متمول ولو خاتماً من حديد، وعند الحنفية عشرة دراهم شرعية، وأكثره لا حد له بل بحسب ما تراضوا عليه، والأمر للأزواج، فالمعنى لا تنكحوا النساء إلا بمهر، وخصصت السنة نكاح التفويض وهو العقد من غير تسمية مهر، فهو صحيح لكن يلزمه بعد الدخول صداق المثل. قوله: [مصدر] أي مؤكد لقوله آتوا من معناه كجلست قعوداً، ويسمى ذلك المصدر معنوياً. قوله: [عن طيب نفس] أي خالصاً لا منة للزوج به عليها.

قوله: ﴿فإن طبن﴾ أي النسوة. وقوله: ﴿منه﴾ الضمير عائد على الصداق المعلوم من قوله صدقات، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو البيان، فيحل للمرأة الرشيدة بعد الدخول أن تعطي زوجها المهر كله أو بعضه عند جميع الأئمة إلا الليث فعنده لا يحل لها أن تعطيه جميعه، فمن على ذلك يتعين أن تكون للتبعيض لا للبيان. قوله: [أي طابت أنفسهن] هذا بيان لكون نفساً في الأصل فاعلاً. قوله: [فوهبنه لكم] أي اختياراً لا قهراً، وإلا فلا يحل أخذه، ويشترط أيضاً أن تكون المرأة رشيدة بالغة، وإلا فلا يحل أخذه.

قوله: ﴿فكلوه﴾ أي انتفعوا به، فأطلق الأكل وأراد مطلق الانتفاع. قوله: ﴿مريئاً﴾ أي ممروءاً لا غصة فيه ولا عقبة من قولهم جرى الطعام في المريء، أي العرق الأحمر الكائن تحت الحلقوم المسمى بالبلعوم، وهنيئاً مريئاً حالان من مفعول كلوه، والمعنى كلوه حال كونه هنيئاً حلالاً مريئاً سائغاً لا نكد فيه. قوله: [في الآخرة] أي ولا في الدنيا، فليس لورثتها طلبه. قوله: [على من كره ذلك] أي استنكافاً عنه وجعله كالرجوع في الهبة.

قوله: ﴿ولا تؤتوا السفهاء﴾ هذا رجوع لتتميم أحكام اليتامى، وأصل تؤتوا تؤتيوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان الياء والواو، حذفت الياء لالتقائهما. قوله: [والصبيان] معطوف على المبذرين. قوله: [أي أموالهم] أي وإنما نسبها للأولياء لأنهم هم المتصرفون فيها، فالإضافة ليست للملك وإنما هي لأدنى ملابسة. قوله: ﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ جعل بمعنى صير، ولفظ الجلالة فاعله، وقياماً مفعول ثان، والمفعول الأول محذوف تقديره جعلها، والضمير عائد على الأموال، ويحتمل أن جعل بمعنى خلق فقياماً حال، والمعنى لا تعطوا المبذرين والصبيان أموالهم التي جعل الله مقومة لمعاشهم وصلاحهم. قوله: [أودكم] الأود بفتحتين وبفتح فسكون معناه العوج. قوله: [وفي قراءة قيما] أي وهي سبعية أيضاً، وقرئ شذوذاً قواماً بفتح القاف وكسرها وقوماً كعنبا، وعموم الآية يشمل من

أطعموهم منها ﴿وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ ٥: عِدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا ﴿وَابْتَلُوا﴾: اختبروا ﴿الْيَتَامَى﴾: قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾: أي صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾: أبصرتم ﴿مِنْهُمْ رُشْداً﴾: صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾: أيها الأولياء ﴿إِسْرَافاً﴾: بغير حق حال ﴿وَبِدَاراً﴾: أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾: رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَنْ كَانَ﴾: من الأولياء ﴿غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ﴾: منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾: أنهم تسلموها

أعطى مال اليتيم لسفيه مبذر يتجر له فيه وهو مشهور بالسفه والتبذير، فإن الولي منهي عن ذلك ويضمنه لفهمه بالأولى.

قوله: ﴿وارزقوهم فيها﴾ حكمة التعبير بفي أنه ينبغي للولي أن يعطي مال اليتيم لرجل أمين يتجر فيه، ويكون مصرفه من الربح لا من أصل المال. وفي الحديث: «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة» فالتجارة في أموال اليتامى مطلوبة عند جميع الأئمة. قوله: [عدوهم عدة جميلة] أي كأن يقول له مالك عندي وأنا أمين عليه، فإذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك، وهكذا تطييباً لخاطرهم وجدهم في أسباب الرشد.

قوله: ﴿وابتلوا اليتامى﴾ أي ولا تتركوهم هملاً، بل علموهم الصنائع وأمور الدنيا والدين، ولا تفرطوا في ذلك حتى يبلغوا. قوله: [بالاحتلام] أي نزول المني. قوله: [حتى إذا بلغوا] حتى ابتدائية، وإذا شرطية، وفعل الشرط قوله بلغوا، وجوابها قوله ﴿فإن آنستم﴾ الخ فشرط إعطاء الولي المال لليتيم بلوغ النكاح وعلم الرشد. قوله: [عند الشافعي] أي وعند مالك وأبي حنيفة ثمانية عشر. ومن علامات البلوغ: الحيض وكبر الثدي للإناث ونبات العانة ونتف الإبط وفرق الأرنبة وغلظ الحنجرة، فإذا وجدت تلك العلامات حكم ببلوغه عند مالك، وأما عند الشافعي فلا يحكم بالبلوغ إلا بالاحتلام أو الحيض أو بلوغ خمسة عشر سنة، وما عدا ذلك علامة على البلوغ ولا يحكم عليه به. قوله: [أبصرتم] المناسب أن يقول علمتم، لأن الرشد يعلم ولا يشاهد بالبصر. قوله: [صلاحاً في دينهم ومالهم] هذا مذهب الشافعي، ويكفي عند مالك في الرشد إصلاح المال فقط.

قوله: ﴿فادفعوا﴾ جواب الشرط الثاني. قوله: [حال] أي من الواو في تأكلوا مؤولا بمسرفين. قوله: [مخافة ﴿أن يكبروا﴾] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿أن يكبروا﴾ مفعول لأجله، ومفعول ﴿بدارا﴾ محذوف تقديره ولا تأكلوها حال كونكم مسرفين فيها مبادرين لأكلها، مخافة طرو كبرهم عليكم فيأخذوها منكم. قوله: ﴿أن يكبروا﴾ مضارع كبر بوزن علم ومصدره كبراً كعنباً. قوله: [من الأولياء] أولياء الأيتام. قوله: [أي يعف عن مال اليتيم] أي يتباعد عنه لما فيه من الوعيد العظيم الآتي في قوله تعالى: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ فالواجب على الولي إن كان غنياً التباعد عن مال اليتيم بالمرة، بل ينبغي له أن لا يخلط ماله بماله، بل يعطيه لغيره ليتجر له فيه، ويكون هو ناظراً عليه. قوله: [ويمتنع من أكله] أي فإذا أكله وأطعمه لغيره ولو لمن يصنع سبحاً أو جمعاً لوالد اليتيم ضمنه إذا لم يوص الميت بذلك، وأما إن لم يكن لليتامى ولي وليس فيهم كبير رشيد، حرم الأكل من مالهم وكل من أكل شيئاً لزمه عوضه. قوله: [بقدر أجرة عمله] أي ما لم تزد على كفايته، وإلا فله كفايته فقط، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك له أجرة مثله مطلقاً زادت عن كفايته أو لا.

قوله: ﴿فإذا دفعتم﴾ مرتب على قوله: ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ والمعنى فإذا أردتم الدفع فأشهدوا لئلا يقع

وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة وهذا أمر إرشاد ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾: الباء زائدة ﴿حَسِيبًا﴾: حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم. ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار ﴿لِّلرِّجَالِ﴾: الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾: حظ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾: أي المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾: جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾٧: مقطوعاً بتسليمه إليهم ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾: ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾: شيئاً قبل القسمة ﴿وَقُولُوا﴾: أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾: إذا كان الورثة صغاراً ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾٨: جميلا بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وإنه للصغار وهذا قيل إنه منسوخ وقيل: لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب وعن ابن عباس

اختلاف فترجعوا إلى البينة، هذا هو المشهور في المذاهب أن الولي لا يصدّق في الدفع إلا ببينة تشهد أنه دفعه لهم بعد رشدهم، فإن لم تكن بينة غرمه، وهناك قول ضعيف عند مالك وهو أنه يصدق في الدفع بيمين، فعلة الإشهاد على هذا القول لئلا يحلف الولي، والفرق بين الأمين والوصي أن الوصي لما كان له التصرف في مال اليتيم كان ضامناً له إلا ببينة تشهد بالدفع، والأمين لا تصرف له في الأمانة فصدّق بيمين في الدفع، ولذا إذا تصرف فيها كانت متعلقة بذمته، فلا يصدّق في دفعها إلا ببينة كالدين. قوله: [وهذا أمر إرشاد] أي تعليم لمصالح الدنيا فهو أمر ندب. قوله: [الباء زائدة] أي في فاعل كفى، فلفظ الجلالة فاعل مرفوع بضمة مقدّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائد، وفي قوله: ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ وعد حسن لمن كان سليماً ولم يلتمس من مال اليتيم شيئاً، ولو اتهمه اليتيم بأكله ظلماً وعدواناً، ووعيد لمن أكله وظلمه وإن لم يثبت عليه ذلك.

قوله: ﴿للرجال نصيب﴾ سبب نزولها أن أوس بن ثابت توفي وترك امرأته واسمها أم كحة وثلاث بنات، وأقام وصيين واسمهما سويد وعرفجة ولدا عمه، فأخذا المال جميعه فجاءت المرأة للنبي ﷺ وقالت: مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات، وأنا امرأته ولم يكن عندي ما أنفقه عليهن، وترك مالاً حسناً، فأخذه سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته شيئاً، فدعاهما النبي فقالا أولادها لا يركبن فرساً، ولا يحملن كلاً، ولا ينكين عدواً، فنزلت هذه الآية، وبيّن أن الارث غير مختص بالرجال البالغين، وأوقف النبي التركة حتى نزلت ﴿يوصيكم الله﴾ الآية، فأعطى الزوجة الثمن، والبنات الثلثين، وابني عمه ما بقي. قوله: [الأولاد] أخذه من قوله: ﴿الوالدان﴾. وقوله: [والأقرباء] أخذه من قوله: ﴿والأقربون﴾. قوله: ﴿مما قل منه﴾ بدل من قوله: ﴿مما ترك﴾ قوله: ﴿نصيباً مفروضاً﴾ مفعول ثان لفعل محذوف قدّره بقوله: [جعله الله].

قوله: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى﴾ معنى ذلك إذا مات الميت وترك من يرث ومن لا يرث، وحضر جميعهم قسمة الميراث، طلب الشارع إعطاء من لا يرث، وكذا المساكين واليتامى شيئاً قبل القسمة جبراً لخاطرهم، باجتهاد من يقسم التركة بحسب قلة المال وكثرته، واختلف هل هذا منسوخ هو الحق، وقيل ليس بمنسوخ، واختلف على هذا هل الأمر للوجوب أو الندب وهو المعتمد على هذا القول. قوله: [إذا كانت الورثة صغاراً] أي أو التركة قليلة.

---

* أسباب نزول الآية ٧: قوله تعالى: ﴿للرجال نصيب﴾ أخرج أبو الشيخ وابن حبان في كتاب الفرائض من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار من الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا عمه خالدوعرفجة وهما عصبة، فأخذوا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال ما أدري ما أقول؟ ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان﴾ الآية.

واجب ﴿وَلْيَخْشَ﴾: أي ليخف على اليتامى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾: أي قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافاً﴾: أولاداً صغاراً ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾: الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا ٱللَّهَ﴾: في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا﴾: للميت ﴿قَوْلاً سَدِيداً﴾ ٩: صواباً بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْماً﴾: بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: أي ملئها ﴿نَاراً﴾: لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: بالبناء للفاعل والمفعول يدخلون ﴿سَعِيراً﴾ ١٠: ناراً شديدة يحترقون فيها ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يأمركم ﴿ٱللَّهُ فِيۤ﴾: شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾: بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾: منهم ﴿مِثْلُ

قوله: ﴿وليخش﴾ قرأ السبعة بسكون اللام وغيرهم بكسرها وعلى كل اللام للأمر، وسبب نزولها أنه كان في الجاهلية إذا حضر أحدهم الموت وقد حضره جماعة، يحملوه على تفرقة ماله للفقراء والمساكين، ويحرمون أولاده منه، فيترتب على ذلك كونهم بعد موته عالة على الناس ويضيعون، فنزلت الآية تحذيراً لمن يحمل الميت على ذلك من وصي أو غيره، فإنه كما يدين الفتى يدان، فكما يتقي الله في يتامى غيره، فجزاؤه أن يقيض الله له من يتقي الله في أولاده. قوله: [أي ليخفف على اليتامى] المعنى ليخف الله على اليتامى. قوله: ﴿الذين لو تركوا﴾ لو شرطية بمعنى إن، فنقلت الماضي للاستقبال، كما قال ابن مالك وجماعة، فتركوا فعل الشرط. قوله: ﴿خافوا﴾ جوابه، وقوله: ﴿فليتقوا﴾ مرتب عليه. قوله: ﴿خافوا عليهم﴾ [الضياع] إن قلت: ما ذنب اليتيم حتى يعاقب بالضياع؟ أجيب بأن ذلك تعذيب لأبيه، لأن ما يؤذي الحي يؤذي الميت، وليس تعذيباً لهم، بل قد يكون رفعة لهم إن اتقوا الله. قوله: [وليأتوا إليهم ما يحبون الخ] أي يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم بعد موتهم. قوله: [للميت] ويحتمل أن يكون لليتامى، بأن يقولوا لهم لا تخافوا ولا تحزنوا، فنحن مثل آبائكم. قوله: [ولا يتركهم عالة] أي فقراء يتكففون وجوه الناس.

قوله: ﴿إن الذين يأكلون﴾ نزلت في حق رجل من غطفان، مات أخوه وترك ولداً يتيماً فأكل عمه ماله، والمعنى يتلفون أموالهم، فالتعبير بالأكل عن الإتلاف مجاز. قوله: ﴿ظلماً﴾ يحتمل أن يكون مفعولاً لأجله، أي لأجل الظلم، ويحتمل أن يكون حالاً من يأكلون، أي حال كون الأكل ظلماً. قوله: ﴿إنما يأكلون﴾ هذه الجملة خبر إن الأولى، والتعبير بالأكل مجاز باعتبار ما يؤول إليه أو المعنى يأكلون بسبب النار. قوله: [بالبناء للفاعل والمفعول] أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: [ناراً شديدة] أشار بذلك إلى أنه ليس المراد خصوص الطبقة المسماة بذلك، لأنها لعباد الوثن خاصة وربما مات آكل مال اليتيم مسلماً. والحاصل: أنه تارة تطلق تلك الأسماء على ما يعم جميع الطبقات وتارة تطلق على مسمياتها خاصة. قوله: [يحترقون فيها] أي إن لم يتوبوا. روي أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة، والدخان يخرج من قبره ومن فمه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا.

قوله: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ هذا شروع في تفصيل ما أجمل أولاً في قوله: ﴿للرجال نصيب﴾ الخ، قوله:

* أسباب نزول الآية ١١: قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله﴾ أخرج الأئمة الستة عن جابر بن عبد الله قال: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش علي فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾. وأخرج احمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث.

قال الحافظ ابن حجر: تمسك بهذا من قال: إن الآية نزلت في قصة ابنتي سعد، ولم تنزل في قصة جابر خصوصاً أن جابراً لم يكن له يومئذ =

﴿حَظِّ﴾ نصيب ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن كُنَّ﴾: أي الأولاد ﴿نِسَآءً﴾: فقط ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: الميت وكذا الاثنتان لأنه للأختين بقوله: ﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾ فهما أولى ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى وفوق قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِن كَانَتْ﴾: المولودة ﴿وَٰحِدَةً﴾: وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾: أي الميت ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: ذكراً أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾: فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾: بضم الهمزة وكسرها فراراً من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿ٱلثُّلُثُ﴾: أي ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾: أي اثنان فصاعداً ذكوراً أو إناثاً ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾: والباقي

[يأمركم] أي على سبيل الوجوب. قوله: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ هذا كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر، قوله: [فله نصف المال الخ] أي إن لم يكن معهم صاحب فرض، وإلا فيأخذ فرضه، ثم الباقي يقسم مثل حظ الانثيين.

قوله: ﴿فإن كن نساء﴾ إن حرف شرط، وكن فعل شرط، ونساء خبر كن، واسمها النون، وفوق ﴿اثنتين﴾ صفة لنساء، وقوله: ﴿فلهن﴾ جواب الشرط. قوله: [أي الأولاد] أي بعضهم، ففي الكلام استخدام، فذكر الأولاد بمعنى، وأعاد الضمير عليه بمعنى آخر، نظير قوله تعالى: ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ بعد قوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾. قوله: [لأنه للأختين] أي الفرض المذكور وهذان وجهان: أحدهما القياس على الأختين. والثاني القياس على البنت الواحدة، وهما على كون فوق ليست صلة. قوله: [وقيل لدفع توهم زيادة النصيب] هذا القيل محتمل لأن تكون أصلية أو زائدة، فالمعنى أن ما فوق البنتين حكمهما حكم البنتين. قوله: [وفي قراءة بالرفع] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [ذكراً أو أنثى] أي فإن كان الولد ذكراً أخذ ما فضل عن سدسيهما، وإن كانت أنثى أخذت النصف فرضها، والأم سدسها، والأب الباقي فرضاً وتعصيباً. قوله: [وألحق بالولد ولد الابن الخ] أي بالقياس المساوي، قوله: [بضم الهمزة وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [فراراً] راجع للكسر، وقوله: [في الموضعين] أي في قوله: ﴿فلأمه الثلث﴾ وقوله: ﴿فلأمه السدس﴾ أي وما بقي بعد الزوج أي أو الزوجة وهما الغراوان، وقد أشار لهما صاحب الرحبية بقوله:

وإن يكن زوج وأم وأب ... فثلث الباقي لها مرتب
وهكذا مع زوجة فصاعدا ... فلا تكن عن العلوم قاعدا

= ولد، قال: والجواب أنها نزلت في الأمرين معاً، ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين، وآخرها وهو قوله ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ في قصة جابر، ويكون مراد جابر بقوله، فنزلت ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾: أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية. انتهى. وقد ورد سبب ثالث، أخرج ابن جرير عن السدي قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة وخمس بنات، فجاء الورثة يأخذون ماله فشكت أم كحة ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾. ثم قال في أم كحة ﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن﴾. وقد ورد في قصة سعد بن الربيع وجه آخر، فأخرج القاضي إسماعيل في أحكام القرآن من طريق عبد الملك بن حزم أن عمرة بنت حزم كانت تحت سعد بن الربيع، فقتل عنها بأحد، وكان له منها ابنة، فأتت النبي ﷺ تطلب ميراث ابنتها، ففيها نزلت ﴿يستفتونك في النساء﴾ الآية.

للأب ولا شيء للأخوة وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِي﴾: بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَا أَوْ﴾: قضاء ﴿دَيْنٍ﴾: عليه وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾: مبتدأ خبره ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾: في الدنيا والآخرة فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالم بذلك الله ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ١١: فيما دبره لهم أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾: منكم

ثلث الباقي في الحقيقة، إما ربع أو سدس، وقد انعقد الإجماع على ذلك، قوله: ﴿فإن كان له إخوة﴾ تقدم أن الأم يفرض لها جميع ثلث المال أو ثلث الباقي، إن لم يكن للميت فرع وارث، وأفاد هنا أنه مع وجود الأخوة يفرض لها السدس، فيفهم منه أنه عند عدم الأخوة أيضاً، يكون لها الثلث، فتحصل أن لها الثلث بشرطين عدميين، وهما عدم الأخوة، وعدم الفرع الوارث. قوله: [ذكوراً وإناثاً] أي أشقاء أو لأب أو لأم. قوله: [ولا شيء للأخوة] أي مطلقاً لكونهم محجوبين بالأب، ولذلك قال في التلمسانية:

وفيهم في الحجب أمر عجب ... لكونهم قد حجبوا وحجبوا

فلو كان بدل الأب جد لكان مثله عند أبي حنيفة. وعند الأئمة الثلاثة يشترك مع الأخوة. على تفصيل في ذلك مذكور في الفروع. قوله: ﴿من بعد وصية﴾ متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: [وارث من ذكر الخ] وهو قيد في جميع ما تقدم. قوله: [تنفيذ] ﴿وصية﴾ أي تخرج من رأس المال إن حملها الثلث. وشرطها أن لا تكون في معصية، فلو أوصى بمال يصرف على الكنيسة، أو على من يشرب الخمر. أو غير ذلك، فلا تنفذ. قوله: [بالبناء للمفعول والفاعل] أي فهما قراءتان سبعيتان. فعلى الأولى نائب الفاعل الجار والمجرور. قال ابن مالك:

وقابل من ظرف أو من مصدر ... أو حرف جر بنيابة حري

وعلى الثانية الفاعل ضمير يعود على الميت. قوله: ﴿وتقديم الوصية﴾ أي اللفظ، وإلا فأو لأحد الشيئين لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً. والمعنى وإرث ما ذكر، يحصل من بعد وصية إن كانت، أو دين إن كان. فإن اجتمعت الوصية والدين قدم الدين. قوله: [للاهتمام بها] أي وشأن الورثة الشح بها. ومنازعة الموصى له بخلاف الدين. قوله: ﴿آباؤكم وأبناؤكم﴾ هذه الجملة معترضة بين قوله: ﴿من بعد وصية﴾ وقوله: ﴿فريضة من الله﴾. قوله: ﴿أيهم﴾ اسم استفهام مبتدأ و﴿أقرب﴾ خبره. ﴿ولكم﴾ جار ومجرور متعلق بأقرب، و﴿ونفعاً﴾ تمييز، والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي تدرون، والمعنى لا تدرون أقربية نفعهم لكم ويحتمل أنها اسم موصول مفعول أول لتدرون والمفعول الثاني محذوف، والمعنى لا تدرون الذي هو أقرب لكم نفعاً الآباء والأبناء. قوله: [في الدنيا] أي كحسن القيام بالمصالح والإحسان إليه بعد موته، وقوله: [أو الآخرة] أي كالشفاعة أو [في الدنيا والآخرة] لما ورد أن أحد الوالدين أو الولدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة، سأل أن يرفع إليه فيرفع الآخر بشفاعته. قوله: [فظان] إما بالرفع صفة لموصوف محذوف مبتدأ أي ففريق ظان، أو بالجر مجرور برب. وقوله: [فيكون الأب أنفع] أي في الواقع ونفس الأمر. قوله: [وبالعكس] أي وفريق ظان أن أباه أنفع فيعطيه الميراث، فيكون الابن أنفع.

قوله: ﴿فريضة﴾ مفعول لفعل محذوف قدره بقوله: [ففرض لكم الميراث] وهو راجع لقوله: ﴿يوصيكم﴾ فيحتمل أنه مصدر مؤكد لعامله من لفظه، ودرج على ذلك المفسر، أو من معناه تقديره يوصيكم فريضة، لأن الإيصاء معناه الأمر. قوله: [أي لم يزل متصفاً بذلك] دفع به ما قد يتوهم من كان الاتصاف بذلك في الزمن الماضي وانقطع، فأفاد أن صفات الله لا تتقيد بزمان فهي للاستمرار، وبعضهم يجعلها في صفات الله زائدة. قوله: ﴿ولكم نصف﴾ هو

أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾: أي الزوجات تعددن أولا ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾: صفة والخبر ﴿كَلَالَةً﴾: أي لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾: تورث كلالة ﴿وَلَهُ﴾: أي للموروث كلالة ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾: أي من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾: مما ترك ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾: أي الأخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾: أي من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾: يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾: حال من ضمير يوصي أي غير مدخل

أيضاً من جملة التفصيل لما أجمل في قوله أولاً ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾. قوله: ﴿إن لم يكن لهن﴾ أي للزوجات، والمراد الجنس وقوله: [ولد] أي واحداً ومتعدداً، ذكراً أو أنثى، فالزوج يأخذ النصف بشرط عدمه. قوله: [أو من غيركم] أي ولو من زنا، فإن ولد الزنا ينسب لأمه.

قوله: ﴿فإن كان لهن ولد﴾ هذا مفهوم قوله: ﴿إن لم يكن لهن ولد﴾ صرح به لإفادة الحكم فيه. قوله: ﴿من بعد وصية﴾ تقدم أنه متعلق بمحذوف تقديره وهذا الاستحقاق يكون بعد تنفيذ وصية. قوله: [ولد الابن] أي ذكراً كان ذلك الولد أو أنثى، فإن بنت الابن كابن الابن، وأما أولاد البنت ذكوراً أو إناثاً فلا يحجب الزوج بهم عن نصفه ولذلك قال شاعرهم:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وكلام المفسر في غاية الحسن حيث قال وولد الابن، ولم يقل كالخازن وولد الولد لأنه يشمل أولاد البنات وهو غير صحيح. قوله: ﴿إن لم يكن لكم ولد﴾ أي ذكر أو أنثى، واحد أو متعدد قوله: [منهن أو من غيرهن] المناسب تقديمه عند قوله: ﴿إن لم يكن لكم ولد﴾ ليكون على منوال ما تقدم له في نظيره. وقوله: [أو من غيرهن] أي نسيب، فإن كان ابن زنا فلا يحجب الزوجة من الربع إلى الثمن لأنه لا يلحق بأبيه ولا يرث منه، ومن لا يرث لا يحجب وارثاً. قوله: [وولد الابن كالولد] أي وأما أولاد البنات فليسوا مثلهم لأنهم من ذوي الأرحام. قوله: ﴿يورث﴾ [صفة] أي ويصح أن يكون خبراً. وقوله: ﴿كلالة﴾ حال من الضمير في يورث. قوله: [والخبر] ﴿كلالة﴾ أي واسمها رجل، وهذا على أنها ناقصة، وأما على أنها تامة فرجل فاعل، ويورث صفته، وكلالة حال. قوله: [أي ولا والد له ولا ولد] هذا هو أرجح الأقوال في تفسير الكلالة. والحاصل أنه اختلف الناس في معنى الكلالة فقال جمهور اللغويين إنه الميت الذي لا ولد له ولا والد، وقيل الذي لا والد له فقط، وقيل الذي لا ولد له فقط، وقيل هو من لا يرثه أب ولا أم، وعلى هذه الأقوال كلها، فالكلالة واقعة على الميت، وقيل الكلالة الورثة ما عدا الأبوين والولد، سموا بذلك لأن الميت بذهاب طرفية تكلله الورثة، أي أحاطوا به من جميع نواحيه، ويؤيد القول الذي مشى عليه المفسر، أن الآية نزلت في جابر رضي الله عنه، ولم يكن له يوم أنزلت أب ولا ابن. قوله: [وقرأ به ابن مسعود وغيره] أي قراءة شاذة، وإنما استدل بهذه القراءة، لأنها بمنزلة رواية الآحاد، ورواية الآحاد يستدل بها لأنها منقولة عن النبي ﷺ. قوله: [أي من واحد] أي لأن أو في الآية لأحد الشيئين، فإذا اجتمع ذكر وأنثى من ولد الأم كان لهما الثلث، وكذا إن زادوا عن ذلك، ويسقط الأخوة للأم بستة: الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن والأب والجد. قوله: [من ضمير يوصي] أي هو عائد على

الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةً﴾: مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ ١٢: بتأخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾: بالياء والنون التفاتاً ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ١٣ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾: بالوجهين ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ﴾: فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ١٤: ذو إهانة روعي في الضمائر في الآيتين لفظ من وفي خالدين معناها ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: الزنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾: أي من رجالكم المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾: عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: احبسوهن ﴿فِي ٱلْبُيُوتِ﴾: وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾: أي ملائكته ﴿أَوْ﴾: إلى أن ﴿يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ ١٥: طريقاً إلى الخروج منها أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلاً بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً ورجم المحصنة وفي الحديث لما بين الحد

الميت. قوله: [أي غير مدخل الضرر] أشار بذلك إلى أن مضار اسم فاعل. قوله: [بأن يوصي بأكثر من الثلث] هذا تصوير لادخال الضرر، ويبطل ما زاد على الثلث إن لم يجزه الورثة. قوله: [من قتل] أي فلا يرث القاتل من تركة المقتول شيئاً كما في الحديث. قوله: [أو اختلاف دين] أي بالإسلام والكفر، فلا يرث المسلم الكافر، ولا العكس.

قوله: [أو رق] أي فلا يرث الرقيق من تركة الحر شيئاً ولا العكس. قوله: [وما بعده] أي من المواريث والوصايا. قوله: [التي حدها لعباده] أي بينها وفصلها. قوله: [بالياء والنون] أي فهما قراءتان سبعيتان. وقوله: [التفاتا] راجع للنون وهو التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت قصورها. قوله: [بالوجهين] أي الياء والنون. قوله: ﴿خالداً فيها﴾ المراد بالخلود طول المكث إن مات مسلماً وعلى حقيقته إن مات كافراً، وحكمة الإفراد في جانب العذاب أنه كما يعذب بالنار يعذب بالغربة وحكمة الجمع في جانب النعيم أنه كما ينعم بالجنة ينعم باجتماعه مع أحبابه فيها ويزورهم ويزورونه. قوله: [لفظ من] أي فأفرد في قوله: ﴿يدخله﴾ في الموضعين، وفي قوله: ﴿وله﴾. قوله: [وفي خالدين معناها] أي فجمع. قوله: ﴿واللاتي﴾ الخ جمع التي وهو اسم موصول مبتدأ. وقوله: ﴿يأتين الفاحشة﴾ صلته. وقوله: ﴿فاستشهدوا﴾ خبره وقرن بالفاء لأن المبتدأ أشبه الشرط في العموم، لأن المبتدأ إذا وقع اسماً موصولاً، ووصل بجملة فعلية أشبه الشرط فيقرن خبره بالفاء، خصوصاً إذا أخبر عنه بجملة طلبية. قوله: ﴿من نسائكم﴾ بيان للاتي. قوله: ﴿أربعة منكم﴾ أي عدولاً، والعدل هو الذكر الحر المكلف الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة، ولا ما يخل بالمروءة، وهذه الشهادة على رؤية الزنا وأما الاقرار فيكفي اثنان عليه، والخطاب في قوله: ﴿فاستشهدوا﴾ لولاة الأمور كالقضاة والحكام. قوله: [أي من رجالكم المسلمين] أي الأحرار، وأما النساء والأرقاء والصبيان فلا تقبل شهادتهم، ويشترط في الشهادة أن تكون متحدة وقتاً ورؤية ومكاناً، فلو اختلف شيء من ذلك حد الشهود. قوله: [وامنعوهن من مخالطة الناس] أي الرجال، وهو عطف علة على معلول. قوله: [أي ملائكته] دفع بذلك ما يقال إن التوفي هو الموت ففيه إسناد الشيء لنفسه.

قوله: ﴿أو يجعل الله﴾ أو حرف عطف، ويجعل معطوف على يتوفى، فهو داخل في الغاية، وأشار المفسر لذلك بقوله: [إلى أن] ﴿يجعل﴾ ويصح أن تكون أو بمعنى إلا كما في قوله لألزمنك أو تقضيني حقي، فهو مخرج من قوله: ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ فالمعنى إلا أن يجعل الله لهن سبيلاً، فلا تمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت. قوله: [ثم جعل لهن سبيلاً] أي بنزول آية النور، واختلف في هذه الآية، قيل منسوخة بآية النور أو مفصلة لها وهو الحق، وقد

قال: «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً» رواه مسلم. ﴿وَٱلَّذَانِ﴾: بتخفيف النون وتشديدها ﴿يَأْتِيَانِهَا﴾: أي الفاحشة الزنا أو اللواط ﴿مِنكُمْ﴾: أي الرجال ﴿فَآذُوهُمَا﴾: بالسب والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾: منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾: العمل ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾: ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّاباً﴾: على من تاب ﴿رَّحِيماً﴾ ١٦: به وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وإن كان محصناً بل يجلد ويغرب وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والأول: أراد الزاني والزانية ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحبس ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾: المعصية ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: حال أي جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾: زمن ﴿قَرِيبٍ﴾: قبل أن يغرغروا ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً﴾: بخلقه ﴿حَكِيماً﴾ ١٧: في صنعه بهم ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾: الذنوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: وأخذ في النزع ﴿قَالَ﴾: عند مشاهدة ما هو فيه

مشى عليه المفسر. قوله: [بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً] هذا هو مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك التغريب خاص بالذكر، وأما الأنثى فلا تغرب. قوله: [رواه مسلم] وتمامه الثيب ترجم، والبكر تجلد. قوله: [بتخفيف النون وتشديدها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أو اللواط] أو لتنويع الخلاف في تفسير الفاحشة هنا، وسيرجح الثاني بقوله: وإرادة اللواط أظهر الخ، ويصح أن يراد بالفاحشة الزنا واللواط معاً الواقعان من الرجال، وأما الزنا من النساء فقد تقدم حكمه.

قوله: ﴿فآذوهما﴾ أي ما لم يتوبا. قوله: [وهذا منسوخ بالحد] أي فالبكر يجلد مائة، ويغرب عاماً، والمحصن يرجم إلى أن يموت. قوله: [عند الشافعي] أي وعند مالك يرجم اللائط مطلقاً، فاعلاً أو مفعولاً أحصنا أو لم يحصنا، حيث كانا بالغين مختارين، وعند أبي حنيفة حده رميه من شاهق أو رمي حائط عليه. قوله: [لكن المفعول به الخ] أي وأما الفاعل عنده فكالزاني، إن كان محصناً يرجم، وإن كان غير محصن جلد مائة وغرب عاماً. قوله: [بل يجلد ويغرب] أي إن كان بالغاً مختاراً. قوله: [بدليل تثنية الضمير] أي في قوله: ﴿واللذان﴾ وقد يقال إن فيه تغليب الذكر على الأنثى. قوله: [وهو مخصوص] أي ما ذكر من [الأذى والتوبة والإعراض].

قوله: [إنما التوبة على الله] هذا حسن ترتيب، حيث ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة. وقوله: ﴿على الله﴾ أي التزامها تفضلاً منه وإحساناً، لأن وعد الكريم لا يتخلف على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة. قوله: [المعصية] أي ولو كانت كفراً. قوله: [أي جاهلين] إنما قرن العصيان بالجهل، لأن العصيان لا يتأتى مع العلم، بل حين وقوع المعصية يسلب العلم، لأن أشد الناس خشية العلماء. قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. قوله: [قبل أن يغرغروا] أي قبل أن تبلغ الروح الحلقوم، وإنما كان الزمن الذي بين وقوع المعصية والغرغرة قريباً، لأن كل ما هو آت قريب، والعمر وإن طال قليل، وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يجدد التوبة في كل لحظة، لأن الموت متوقع في كل لمحة، ولذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ما خرج مني نفس وانتظرت عوده، وورد أنه ما من نفس يخرج من ابن آدم إلا بإذن من الله في العود ثانياً وعمر جديد.

قوله: ﴿وليست التوبة﴾ أي قبولها. قوله: [وأخذ في النزع] أي بلغت الروح الحلقوم وغرغر الميت، لأن الإنسان عند الغرغرة يرى مقعده في الجنة أو في النار، فيظهر عليه علامة البشرى أو الحزن، فلا ينفعه الندم إذ ذاك.

﴿إِنِّي تُبْتُ ٱلْآنَ﴾: فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُولَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾١٨: مؤلماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ﴾: أي ذاتهن ﴿كَرْهًا﴾: بالفتح والضم لغتان أي مكرهيهن على ذلك كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاؤوا تزوجوها بلا صداق أو زوجوها وأخذوا صداقها أو عضلوها حتى تفتدي بما ورثته أو تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك ﴿وَلَا﴾: أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم

قوله: ﴿ولا الذين﴾ معطوف على قوله: ﴿للذين يعملون السيئات﴾ والمعنى ليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ، وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فهو في محل جر. قوله: ﴿أولئك أعتدنا﴾ أصله أعددنا قلبت الدال الأولى تاء، وقد أشار لذلك المفسر بقوله: [أعددنا] والمعنى أحضرنا وهيأنا.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم الآية﴾ الخ، سبب نزولها أنه كان في الجاهلية وصدر الإسلام إذا مات الرجل وترك امرأة، جاء ابنه من غيرها أو قريبه فرمى عليها ثوبه فيخير فيها بعد ذلك، فإما أن يتزوجها بلا مهر، أو يزوجها لغيره ويأخذ مهرها، أو يعضلها حتى تفتدي منه، أو تموت ويأخذ ميراثها، ثم لما توفي أبو قيس، وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية، قام ابن له قيل اسمه قيس، فطرح عليها ثوبه ثم تركها، فلم يقربها ولم ينفق عليها، فأتت كبيشة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا قيس توفي وأخذني ابنه، فلم ينفق علي ولم يخل سبيلي، فقال: امكثي في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك، فنزلت هذه الآية. قوله: [أي ذاتهن] دفع بذلك ما يقال إن ميراث الرجل من المرأة قد تقدم، وهو إما النصف أو الربع، وليس بمنهي عنه. قوله: [لغتان] المناسب قراءتان وهما سبعيتان. قوله: [أي مكرهين] بكسر الراء اسم فاعل، ومفعوله محذوف تقديره مكرهين لهن على ذلك. قوله: [كانوا في الجاهلية] أي وصدر الإسلام، وهو إشارة لسبب نزول الآية، وقد أجمل فيه. قوله: [بلا صداق] أي اتكالا على الصداق الذي دفعه أبوه.

قوله: ﴿ولا تعضلوهن﴾ معطوف على قوله: ﴿لا يحل لكم﴾ الخ، والمعنى لا يحل لكم ميراث النساء ولا عضلهن، وهو خطاب للأزواج كان الرجل يكره المرأة ولها عليه المهر، فيسيء عشرتها ويضارها لتفتدي منه. قوله: [أي تمنعوا أزواجكم] أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على النساء، لا بالمعنى الأول، فإن المراد بالنساء فيما تقدم

---

* أسباب نزول الآية ١٩: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ روى البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية.
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ وله شاهد عن عكرمة عن ابن جرير.
وأخرج ابن أبي حاتم والفريابي والطبراني عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: توفي أبو قيس بن الأسلت وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنما أعدك ولداً وأنت من صالحي قومك، فأتت للنبي ﷺ فأخبرته، فقال: ارجعي إلى بيتك، فنزلت هذه الآية ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾، وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: كان الرجل إذا توفي عن امرأته كان ابنه أحق بها أن ينكحها إن شاء إن لم تكن أمه أو ينكحها من شاء، فلما مات أبو قيس بن الأسلت قام ابنه محصن فورث نكاح امرأته ولم يورثها من المال شيئاً، فأتت للنبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال ارجعي لعل الله ينزل فيك شيئاً، فنزلت هذه الآية ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾، ونزلت ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ الآية.
وأخرج أيضاً عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في ناس من الأنصار كان اذا مات الرجل منهم كان أملك الناس بامرأة وليه فيمسكها حتى تموت. وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قلت لعطاء ﴿وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم﴾ قال: كنا نتحدث أنها نزلت في محمد ﷺ حين نكح امرأة زيد بن حارثة، قال المشركون في ذلك، فنزلت ﴿وحلائل أبناءكم الذين من أصلابكم﴾ ونزلت ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾. ونزلت ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾.

فيهن ضراراً ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾: من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾: بفتح الياء وكسرها أي بينت أو هي بينة أي زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾: فاصبروا ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ١٩: ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولداً صالحاً ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾: أي أخذها بدلها بأن طلقتموها ﴿وَ﴾: قد ﴿آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾: أي الزوجات ﴿قِنْطَارًا﴾: مالاً كثيراً صداقاً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾: ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ٢٠: بيناً ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾: أي بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾: وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: بالجماع المقرر للمهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا﴾: عهداً ﴿غَلِيظًا﴾ ٢١: شديداً وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾: بمعنى من ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا﴾: لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾: من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه

نساء غيركم، وفيما هنا نساؤكم، ففي الكلام استخدام. قوله: ﴿لتذهبوا﴾ علة لقوله: ﴿ولا تعضلوهن﴾. قوله: ﴿ببعض ما آتيتموهن﴾ أي ومن باب أولى أخذ الجميع.

قوله: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة﴾ هذا استثناء من عموم الأحوال، والمعنى لا يحل عضل النساء لأجل أخذ بعض ما آتيتموهن في حال من الأحوال، إلا في حال إتيانهن بفاحشة مبينة. قوله: [بفتح الياء وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أو نشوز] أي خروج عن طاعة الزوج. قوله: [فلكم أن تضاروهن] إن قلت: إن المضارة لا تجوز فكيف ذلك؟ أجيب بأن هذا منسوخ، أو بأن المراد بها الوعظ والهجر والضرب على طبق ما يأتي في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ الآيات وتسميته حينئذ مضارة مشاكلة نظير: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾. قوله: [وعاشروهن] قيل معطوف على قوله فيما تقدم ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ وقيل معطوف على قوله: ﴿ولا تعضلوهن﴾ وعليه فالعطف للتوكيد، والمعنى لا تضاروهن وعاشروهن بالمعروف، بأن تطيبوا لهن القول والفعل، ومن ذلك تعليمهن مصالح دينهن ودنياهن. قوله: [الاجمال في القول] أي بالقول الجميل الخ.

قوله: ﴿فإن كرهتموهن﴾ أي طبعاً من غير ظهور ما يوجب الكراهة منهن. قوله: [فاصبروا] هذا هو جواب الشرط، وقوله: ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً﴾ علة له. قوله: [ولداً صالحاً] أي ذكراً أو أنثى، ففي الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» وبالجملة فالإحسان إلى النساء من مكارم الأخلاق، وإن وقعت منهن الاساءة، لما في الحديث «يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». قوله: [بأن طلقتموها] أي بعد الدخول، وأما قبله فليس لها عنده إلا نصف المهر. قوله: [مالاً كثيراً] أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالقنطار التحديد. قوله: [ظلماً] أشار بذلك إلى أنه أطلق البهتان وهو في الأصل الكذب، وأراد به الظلم مجازاً. قوله: [والاستفهام للتوبيخ والانكار في] ﴿وكيف تأخذونه﴾ أي وفيما قبله. قوله: [بالجماع] هكذا فسره به الشافعي، وقال مالك بالخلوة التي يتأتى فيها الوطء. قوله: [المقرر للمهر] أي وهو الواقع من بالغ في مطيقة، وقال الشافعي بل ولو لم تكن مطيقة. قوله: ﴿وأخذن﴾ أي النساء، والآخذ في الحقيقة هو الله، وإنما أسند للنساء مجازاً عقلياً من الاسناد للسبب.

قوله: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم﴾ شروع منه سبحانه وتعالى في المحرمات من النساء على الرجال، وابتدأ بتحريم زوجة الأب اعتناء بها، فإن الجاهلية كانوا يفعلون ذلك كثيراً، ولما كان ذلك الأمر قبيحاً شرعاً وطبعاً أفرده

﴿إِنَّهُ﴾: أي نكاحهن ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾: قبيحاً ﴿وَمَقْتاً﴾: سبباً للمقت من الله وهو أشد البغض ﴿وَسَاءَ﴾: بئس ﴿سَبِيلاً﴾ ٢٢: طريقاً ذلك ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾: أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾: وشملت بنات الأولاد وإن سفلن ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾: من جهة الأب أو الأم ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾: أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾: أي أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾: ويدخل فيهن أولادهم ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ

بالنهي ولم يدرجه في جملة المحرمات الآتية. قوله: ﴿ما نكح آباؤكم﴾ المراد بالنكاح العقد، وبالآباء الأصول وإن علوا، فمتى عقد أحد من أصولك على امرأة، فلا يحل لك ولا لأحد من ذريتك تزوجها بحال، وهذه إحدى المحرمات بالصهر، وهن أربع، والباقي زوجة الابن، وأم الزوجة، وبنت الزوجة، وكل ذلك يحصل التحريم فيه بمجرد العقد، إلا بنت الزوجة فلا يحرمها إلا الدخول بأمها، والمراد بالدخول عند مالك التلذذ مطلقاً وإن لم تكن خلوة، وعند الشافعي لا بد من الوطء، وأما جارية الأب فلا تحرم على الابن، إلا إن تلذذ بها الأب، وسيأتي في الآية تحريم باقي الأصهار. قوله: ﴿من النساء﴾ بيان لما التي بمعنى من، وعبر بما التي لغير العاقل غالباً إشارة إلى أن النساء ناقصات عقل. قوله: ﴿إلا﴾ [لكن] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن النهي مستقبل، والاستثناء ماض، ولا يستثنى الماضي من المستقبل، وفي الحقيقة الاستثناء من قوله بعد ﴿إنه كان فاحشة﴾ الخ، وحكمة هذا الاستثناء دفع توهم أن من فعله، ولو قبل بالتحريم يحصل له هذا الوعيد الشديد.

قوله: ﴿إنه كان فاحشة﴾ علة لقوله: ﴿ولا تنكحوا﴾ وكان إما صلة، أو مجردة عن معنى الزمان الماضي، فهي بمعنى صار. قوله: ﴿وساء سبيلاً﴾ مقول لقول محذوف معطوف على فاحشة، أي ومقولاً فيه ساء سبيلاً، ويحتمل أنه كلام مستأنف لإنشاء الذم. قوله: [ذلك] قدره إشارة إلى المخصوص بالذم، والمعنى أن من تزوج بزوجة الأب بعد التحريم، ارتكب أمراً قبيحاً، واستحق أشد البغض من الله، وسلك طريقاً قبيحاً خبيثاً.

قوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ شروع في ذكر المحرمات بالنسب، وأمهات جمع أم، فالهاء زائدة في الجمع، للفرق بين جمع من يعقل ومن لا يعقل، وهذا على أن المفرد أم، وأما على أن المفرد أمهة فليست زائدة، وقد يتعاكس على الأول، فيقال في العقلاء أمات، وفي غيرهم أمهات. قوله: [تنكحوهن] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن الذوات لا تحرم، وإنما التحريم متعلق بالفعل. قوله: [وشملت بنات الأولاد] أي ذكوراً وإناثاً. قوله: ﴿وأخواتكم﴾ جمع أخت، يقال في الأنثى أخت، وفي الذكر أخ، وجمع الأول أخوات، والثاني إخوة. قوله: [من جهة الأب أو الأم] أي ومن باب أولى الشقيقات. قوله: [أي أخوات آبائكم] أي مطلقاً شقيقات أو لأب أو لأم. قوله: [وأجدادكم] أي وإن علوا. قوله: [أي أخوات أمهاتكم] أي مطلقاً شقيقات أو لأب أو لأم. قوله: [وجداتكم] أي وإن علون. قوله: [ويدخل فيهن بنات أولادهن] أي الأخوات ذكوراً وإناثاً وإن سفلن، وفيه تغليب الأخت على الأخ لقربها، وفي نسخة أولادهم بميم الجمع، ويكون عائداً على الأخ، وغلبه على الأخت تشريفاً.

قوله: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ شروع في ذكر المحرمات بالرضاع. قوله: [قبل استكمال الحولين] ظاهره ولو كان مستغنياً عن اللبن، ولكن يقيد عند مالك بما إذا لم يستغن عن اللبن داخل الحولين، وإلا فلا يحرم كبعد الحولين. قوله: [خمس رضعات] أي متفرقات، وهذا مذهب الإمام الشافعي وابن حنبل، وأما مذهب مالك وأبي حنيفة فالمصة الواحدة كافية في التحريم. قوله: [كما بينه الحديث] أي الصحيح لأن من قواعد الشافعي كلما صح

﴿ٱلرَّضَاعَةِ﴾: ويلحق بذلك بالسنة البناتُ منها وهنّ من أرضعتهن موطوأته والعماتُ والخالاتُ وبناتُ الأخ وبناتُ الأختِ منها لحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رواه البخاري ومسلم ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾: جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ٱللَّاتِي فِي حُجُورِكُم﴾ تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ ٱللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: أي جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وَحَلَائِلُ﴾: أزواج ﴿أَبْنَائِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾: بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾: من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة الجمعُ بينها وبين عمتها أو خالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معاً ويطأ واحدة ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾: في الجاهلية من نكاحهم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾: لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾[٢٣]: بكم في ذلك ﴿وَ﴾: حرمت عليكم ﴿ٱلْمُحْصَنَاتُ﴾: أي ذوات الأزواج ﴿مِنَ ٱلنِّسَاءِ﴾: أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر

الحديث كان مذهباً له، وأما مالك فكذلك ما لم يعارضه عمل أهل المدينة وإجماعهم، وإلا حمل الحديث عنده على أنه منسوخ، فعمل أهل المدينة حجة عند مالك دون غيره.

قوله: ﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾ أي وسواء كانت تلك الأخت بنتاً لمن أرضعتك أو لا، كما إذا رضعت امرأة ابن عمر وبنت زيد فإنها تصير أختاً له من الرضاعة. قوله: [ويلحق بذلك] أي بما ذكر من الأمهات والأخوات من الرضاعة.

قوله: [من أرضعتهن موطوأته] ظاهره ولو بزنا، وهو كذلك عند مالك، وأما عند الشافعي فيقيد الوطء بكونه من نكاح أو شبهته، أو ملك أو شبهته، وأما بالزنا فلا يحرم عنده. قوله: ﴿اللاتي في حجوركم﴾ جمع حجر وهو في الأصل مقدم الثوب، أطلق وأريد به كونهم في تربيته. قوله: [موافقه للغالب] أي فإن الغالب عدم استغناء الربيبة عن أمها فهي في حجر زوجها. قوله: [أي جامعتموهن] هذا مذهب الشافعي، وعند مالك يكفي مطلق التلذذ في التحريم. قوله: ﴿الذين من أصلابكم﴾ نزلت رداً لقول بعض المنافقين حين تزوج النبي ﷺ حليلة زيد وكان متبنياً له، إن محمداً تزوج حليلة ابنه. قوله: ﴿بين الأختين﴾ أي مطلقاً شقيقتين أو لأب أو لأم. قوله: [الجمع بينها وبين عمتها الخ] أي وضابط ذلك أن يقال كل اثنتين لو قدرت آية ذكر ما حرم فإنه يحرم جمعهما، وأما لو كان التقدير في أحد الجانبين يحرم وفي الآخر لا يحرم، فإنه لا يحرم، كجمع المرأة وأم زوجها أو بنته من غيرها، أو المرأة وجاريتها، كما قال الأجهوري:

وجمع مرأة وأم البعل ... أو بنته أو رقها ذو حل

قوله: [ويطأ واحدة] أي ويحرم الأخرى. قوله: ﴿إلا﴾ [لكن] ﴿ما قد سلف﴾ هذا استثناء منقطع كالأول، ولم يقل هنا ﴿إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا﴾ لعله بالقياس على ما تقدم. قوله: [بعض ما ذكر] أي وهو نكاح الأختين.

قوله: ﴿والمحصنات﴾ معطوف على قوله: ﴿أمهاتكم﴾ فهو مندرج في سلك المحرمات، ولذا قدر المفسر قوله حرمت

---

* أسباب نزول الآية ٢٤: قوله تعالى: ﴿والمحصنات﴾ الآية، روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا سبايا من سبي أوطاس لهن ازواج فكرهن أن نقع عليهن، ولهن أزواج فسألنا النبي ﷺ فنزلت ﴿والمحصنات من النساء إلى ما ملكت أيمانكم﴾ يقول الا ما أفاء الله عليكم فاستحللنا بها فروجهن. وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: نزلت يوم حنين لما فتح الله حنيناً أصاب المسلمون نساء من نساء أهل الكتاب لهن أزواج، وكان الرجل اذا أراد أن يأتي المرأة قالت: ان لي زوجاً، فسئل النبي ﷺ عن ذلك، فأنزل الله، ﴿والمحصنات من النساء﴾ الآية. قوله تعالى ﴿ولا جناح﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عمر بن سليمان عن أبيه قال: زعم حضرمي أن رجالا كانوا يفرضون المهر ثم عسى أن تدرك أحدهم العسرة، فنزلت ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾.

مسلمات كن أولاً ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من الإماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾: نصب على المصدر أي كتب ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ﴾: بالبناء للفاعل والمفعول ﴿لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾: أي سوى ما حرّم عليكم من النساء ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾: تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُم﴾: بصداق أو ثمن ﴿مُّحْصِنِينَ﴾: متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: زانين ﴿فَمَا﴾: أي من ﴿اسْتَمْتَعْتُم﴾: تمتعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾: ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن التي فرضتم لهن ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم﴾: أنتم وهن ﴿بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾: من حطها أو بعضها أو زيادة عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ٢٤: فيما

عليكم، ﴿والمحصنات﴾ بفتح الصاد هنا باتفاق السبعة، وأما في غير هذا الموضع فقرأ الكسائي بالكسر، فعلى الفتح هو اسم مفعول، وفاعل الاحصان إما الأزواج أو الأولياء أو الله، وعلى الكسر اسم فاعل بمعنى إنهن أحصن أنفسهن، واعلم أن الاحصان يطلق على التزوج كما في هذه الآية، وعلى الحرية كما في قوله: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات﴾ وعلى الإسلام كما في قوله: ﴿فإذا أحصن﴾ وعلى العفة كما في قوله: ﴿محصنات غير مسافحات﴾. قوله: [أن تنكحوهن] أي تعقدوا عليهن في العصمة وما ألحق بها كالعدة، وقد أشار لذلك بقوله: [قبل مفارقة أزواجهن]. قوله: [أو لا] أي بل كن إماء أو كتابيات.

قوله: ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ الاستثناء متصل، ويشير له قول المفسر وإن كان لهن أزواج، ولكن فيه شائبة انقطاع من وجهين: الأول أن المستثنى الوطء، والمستثنى منه العقد، الثاني أن المستثنى منه المتزوجات بالفعل، والمستثنى من كن متزوجات، فإنه بمجرد السبي تنقطع عصمة الكافر. قوله: [نصب على المصدر] أي المؤكد لعامله المعنوي المستفاد من قوله حرمت، فإن التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد. قوله: [بالبناء للفاعل والمفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان، والفاعل هو الله، وحذف للعلم به. قوله: ﴿ما وراء ذلكم﴾ أي غير ما ذكر لكم، وهذا عام مخصوص بغير ما حرم بالسنة كباقي المحرمات من الرضاع، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، والملاعنة على ملاعنها، والمعتدة، فقوله: [أي سوى ما حرم عليكم من النساء] أي كتاباً وسنة.

قوله: ﴿أن تبتغوا﴾ علة لقوله: ﴿وأحل لكم﴾ أي أحل لكم لأجل أن تبتغوا. قوله: [بصداق] أي بالتزوج، وقوله: [أو ثمن] أي بالملك. قوله: [متزوجين] أي أو متملكين بدليل قوله: [أو ثمن]. وقوله: ﴿غير مسافحين﴾ حال أخرى، وسمي الزنا سفاحاً لأن الزانيين لا يقصدان إلا صب الماء، ولا يقصدان نسلا، فإن الأصل في السفح الصب. قوله: ﴿فما استمتعتم﴾ أشار المفسر بقوله: [أي من] إلى أن ما واقعة على من يعقل وهن الزوجات، والمراد الزوجات اللاتي تمتعتم به منهن، فالآية واردة في النكاح الصحيح، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ الآية، وكرره لتتميم حكم الحل، وقيل إن الآية وردت في نكاح المتعة، وكان في صدر الاسلام حلالاً، فكان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ثم يسرحها، وقد نسخ هذا، فعلى هذا الآية منسوخة. قوله: [بالوطء] أي ومقدماته. قوله: [مهورهن] سمي المهر أجراً لأنه في مقابلة الاستمتاع لا الذات. قوله: [فرضتم لهن] أشار بذلك إلى أن فريضة مفعول لمحذوف وهو متصل بما قبله، فإن لم يكن فرض لها شيئاً وقد دخل بها، فإنه يلزمه مهر مثلها. قوله: ﴿ولا جناح عليكم﴾ أي ولا عليهن. قوله: [أنتم وهن] أي إن كن رشيدات، أو أولياؤهن إن كن سفيهات. قوله: [من حطها الخ] بيان لما، والكلام موزع، والمعنى فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الحط، ولا جناح عليهن فيما تراضين من أخذ الزيادة.

دبره لهم ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾: أي غنى ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: هو جري على الغالب فلا مفهوم له ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾: ينكح ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم﴾: فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر إليه فإنه العالم بتفصيلها ورب أمة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾: أي أنتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: مواليهن ﴿وَآتُوهُنَّ﴾: أعطوهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: من غير مطل ونقص ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عفائف حال ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾: زانيات جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾: أخلاء يزنون بهن سراً ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾: زوجن وفي قراءة بالبناء للفاعل تزوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾: زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾: الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾: الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾:

قوله: ﴿ومن لم يستطع﴾ مَنْ شرطية أو موصولة، ويستطع إما فعلُ الشرطِ أو صلة الموصول، وقوله: ﴿منكم﴾ أي الأحرار وهو شروع في بيان حكم نكاح الإماء للأحرار، فأفاد أنه لا يجوز للحر أن ينكح الأمة إلا بشروط ثلاثة: أن لا يجد للحرائر طولاً، وأن تكون تلك الأمة مؤمنة، وأن يخشى على نفسه العنت، وذلك الحكم يخصص ما تقدم في قوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ وقوله: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ وعلة حرمة نكاح الأمة لئلا يصير الولد رقيقاً لسيد الأمة، فإن كان لا يولد له أو لها أو كان ولده يعتق على سيدها مثل أمة الجد، فإنه يجوز له تزوج الأمة بشرط كونها مؤمنة.

قوله: ﴿أن ينكح المحصنات﴾ أنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لقوله طولاً على حد، ﴿أو طعام في يوم ذي مسغبة يتيماً﴾. قوله: [فلا مفهوم له] أي فإذا وجد طولاً لحرة كتابية، فلا يجوز له أن يتزوج بالأمة. قوله: ﴿فمما ملكت أيمانكم﴾ إما جواب الشرط أو خبر المبتدأ، وقدر المفسر العامل مؤخراً لإفادة الحصر. قوله: ﴿من فتياتكم﴾ جمع فتاة وهي الشابة من النساء. قوله: [تفضل الحرة فيه] أي الإيمان بأن تكون من كبار الأولياء وأرباب الأسرار مثلاً.

قوله: ﴿بعضكم من بعض﴾ أي من جنس بعض في الدين والنسب، كقول علي كرم الله وجهه بيت شعر من البسيط:

النـاس مـن جهـة التـمثيـل أكـفـاء أبـوهـم آدم والأم حــواء

قوله: [من غير مطل] أي عدم أداء مع القدرة عليه. قوله: [حال] أي من قوله: ﴿فانكحوهن﴾ أي حال كونهن عفائف عن الزنا، وهذا شرط كمال على المعتمد. قوله: ﴿غير مسافحات﴾ حال مؤكدة. قوله: ﴿ولا متخذات أخدان﴾ جمع خدن بالكسر وهو الصاحب والخليل، وإنما ذكره بعده لأنه كان في الجاهلية الزنا قسمان: جهراً وسراً، فكان الأكابر منهم يحرمون القسم الأول ويحلون القسم الثاني. قوله: [وفي قراءة بالبناء للفاعل] أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى على هذه القراءة أحصن أنفسهن.

قوله: ﴿فإن أتين﴾ شرط في الشرط، وقوله: ﴿فعليهن﴾ الخ، جواب الثاني، والثاني وجوابه جواب الأول على حد: إن جئتني فإن لم أكرمك فعبدي حر. قوله: [الأبكار] إنما قيد بذلك لأن حد غير البكر من الأحرار الرجم وهو لا يتنصف. قوله: [ويغربن نصف سنة] هذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك فلا تغريب على الرقيق ذكراً أو أنثى. قوله: [ولم يجعل الأحصان الخ] إنما احتاج للسؤال والجواب، لأنه فسر الإحصان بالتزوج، وإلا فلو فسره

خافَ ﴿ٱلْعَنَتَ﴾: الزنا وأصله المشقة سمي به الزنا لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنكُمْ﴾: بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعي وخرج بقوله: من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾: عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لئلا يصير الولد رقيقاً ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٢٥: بالتوسعة في ذلك ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾: طرائق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بكم ﴿حَكِيمٌ﴾ ٢٦: فيما دبره لكم ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: كرره ليبني عليه ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ ٢٧: تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾: يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ ٢٨: لا يصبر عن النساء والشهوات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾:

بالإسلام كما فعل غيره لما احتاج لذلك كله. قوله: [وأصله المشقة] أي أصله الثاني، وإلا فأصله الأول الكسر بعد الجبر، ثم نقل لكل مشقة تحصل للإنسان. قوله: [والعقوبة في الآخرة] أي وإن لم يقم عليه الحد في الدنيا على المعتمد من أن الحدود جوابر. قوله: [فلا يحل له نكاحها] محل ذلك إن لم يخف العنت في أمة معينة ولم يجد ما يكفه عنها من الحرائر، فعند مالك يجوز له نكاحها لأنه عادم للحرائر حكماً. قوله: [وعليه الشافعي] أي ومالك وأحمد، وقال أبو حنيفة بجواز نكاح الأمة لمن ليس تحته حرة بالفعل، ولو كان واجداً لمهرها، وخالف في اشتراط إسلام الأمة. قوله: [ولو عدم] أي الطول وخاف العنت.

قوله: ﴿وأن تصبروا خير لكم﴾ أي فالصبر أجمل حيث أمكن التحمل على ذلك لقوله في الحديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»، ولقوله تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾. قوله: [بالتوسعة في ذلك] أي في نكاح الأمة. قوله: ﴿ليبين لكم﴾ أي يفصل ويظهر. قوله: [فتتبعوهم] أي على منوال شرعكم. قوله: ﴿ويتوب عليكم﴾ أي يقبل توبتكم إذا تبتم. قوله: [عن معصيته] أي اللغوية، وإلا فقبل التشريع لم تكن معصية.

قوله: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ أي يحب ذلك ويرضاه، وليست الإرادة على حقيقتها، لأنه يقتضي أن إرادة الله متعلقة بتوبة كل، مع أنه ليس كذلك، فالمعنى الله يحب توبة العبد فيتوب عليه، ومن هنا قيل إن قبول التوبة قطعي. قوله: [أو المجوس] أي فكانوا يجوزون نكاح الأخوات من الأب وبنت الأخ، فلما حرمهن الله صاروا يقولون للمؤمنين إنكم تحلون نكاح بنت العمة وبنت الخالة، فلا فرق بينهما وبين بنت الأخ والأخت. قوله: [فتكونوا مثلهم] أي لأن المصيبة إذا عمت هانت. قوله: [يسهل عليكم أحكام الشرع] أي فلم يجعلها ثقيلة عسرة كما كان في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، وقال تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

قوله: ﴿وخلق الإنسان﴾ هذا كالتعليل لقوله: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾. قوله: ﴿لا يصبر عن النساء﴾ أي لما في الحديث «لا خير في النساء ولا صبر عنهن، يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». وقوله: [أو الشهوات] أي مطلقاً ومن جملتها النساء، وفي الحديث «إن لنفسك عليك حقاً». قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ لما بين النهي عن بعض الفروج وإباحة بعضها، شرع يبين النهي عن بعض الأموال

تقع ﴿تِجَارَةٌ﴾: وفي قراءة بالنصب أي تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾: وطيب نفس فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها أياً كان في الدنيا أو الآخرة بقرينة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ٢٩: في منعه لكم من ذلك ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي ما نهي عنه ﴿عُدْوَٰنًا﴾: تجاوزاً للحلال حال ﴿وَظُلْمًا﴾: تأكيد ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾: ندخله ﴿نَارًا﴾: يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ٣٠: هيناً ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هي إلى السبعمائة أقرب ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: الصغائر بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾: بضم الميم وفتحها أي إدخالاً أو موضعاً ﴿كَرِيمًا﴾ ٣١: هو الجنة ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلى

والأنفس. قوله: ﴿لا تأكلوا أموالكم﴾ أي بإنفاقها في المعاصي، والمراد بالأكل مطلق الأخذ، وإنما عبر بالأكل لأنه معظم المقصود من الأموال. قوله: [كالربا والغصب] أي والسرقة والرشوة وغير ذلك من المحرمات. قوله: ﴿إلا﴾ [لكن] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع. قوله: [وفي قراءة بالنصب] أي على أن تكون ناقصة وتجارة خبرها واسمها محذوف، وأما على الرفع فتكون تامة، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿عن تراض منكم﴾ أي وأما إذا لم تكن عن تراض، بل كانت غصباً أو غشاً أو خديعة، فليست حلالاً، ويشترط أيضاً أن تكون على الوجه المرضي في الشرع، وخص التجارة بالذكر لأن غالب التصرف في الأموال بها لذوي المروءات. قوله: [أياً كان في الدنيا الخ] أي كأن يزني وهو محصن، فيترتب عليه الرجم، أو يقتل أحداً فيقتل، أو يقتل نفسه غماً وأسفاً لما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً». قوله: [أي ما نهي عنه] أي وهو قتل النفس أو أكل الأموال بالباطل. قوله: [تأكيد] أي لأن الظلم والعدوان بمعنى واحد، وهو تجاوز الحد.

قوله: ﴿وكان ذلك﴾ أي الاصلاء المذكور. قوله: [وهي ما ورد عليها وعيد] أي واحد، ولا تحد بالعد. قوله: [أقرب] أي منها للسبعين التي قيل بها. قوله: [بالطاعات] أي بفعلها زيادة على الاجتناب كذا قيل، وقيل لا يشترط ذلك، بل تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فقط، فإن اجتناب الكبائر من أعظم الطاعات، وهو المعتمد. قوله: [بضم الميم] أي فيكون مصدراً على صورة المفعول لأن مصدر الرباعي يأتي على صورة اسم المفعول ومفعوله محذوف، أي ندخلكم الجنة إدخالاً. وقوله: [وفتحها] أي فيكون اسم مكان. قوله: [أي إدخالاً أو موضعاً] لف ونشر مرتب، ويحتمل أن كلاً لكل لكن الأول أقرب، وهما سبعيتان إلا في الإسراء فبالضم لا غير. قوله: [هو الجنة] هذا يناسب كونه اسم مكان، وأما على كونه مصدراً فالمراد أن قرار الادخال الكريم الجنة، ومعنى كونه كريماً أنه لا نكد فيه ولا تعب، بل فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قوله: ﴿ولا تتمنوا﴾ سيأتي في المفسر سبب نزولها، وهو تمني أم سلمة كونها من الرجال، وذلك لأن الله

---

* أسباب نزول الآية ٣٢: قوله تعالى: ﴿ولا تتمنوا﴾ روى الترمذي والحاكم عن أم سلمة أنها قالت يغزو الرجال ولا يغزو النساء وانما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ وأنزل فيها ﴿ان المسلمين والمسلمات﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت امرأة للنبي ﷺ فقالت: يا نبي الله للذكر مثل حظ الانثيين، وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في العمل هكذا؟ إن عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة فأنزل الله ﴿ولا تتمنوا﴾ الآية.

التحاسد والتباغض ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾: ثواب ﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا﴾: بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾: من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن نزلت لما قالت أم سلمة ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال ﴿وَٱسْأَلُوا﴾: بهمزة ودونها ﴿ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾: ما احتجتم إليه يعطكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ٣٢: ومنه محل الفضل وسؤالكم ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾: عصبة يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ

فضل الرجال على النساء بأمور منها: الجهاد والجمعة والزيادة في الميراث وغير ذلك، والتمني هو التعلق بحصول أمر في المستقبل، عكس التلهف لأنه التعلق بحصول أمر في الماضي، فإن تعلق بانتقال ما لغيره له أو لغيره مع زواله عنه، فهو محسد مذموم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ وفي ذلك قال ابن حنبل:

ألا قل لمن بات لي حاسداً ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله ... كأنك لم ترض لي ما وهب
فكان جزاؤك أن خصني ... وسد عليك طريق الطلب

وإن تعلق بمثل ما لغيره مع بقاء نعمته، فإن كان تقوى أو صلاحاً وانفاق مال في الخير فهو مندوب، وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس» وأما إن كان تمني المال لمجرد الغنى فهو جائز. قوله: [وغيره] أي من أنواع البر، كالصلاة والصوم وغيرهما. قوله: [من طاعة أزواجهن] أي لما في الحديث «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وفي الحديث «إذا بات الرجل غضباناً على زوجته باتت الملائكة تلعنها إلى الصباح». قوله: [أم سلمة] أي هي زوج النبي ﷺ، وقد ترتب على تمنيها نزول تلك الآية، ونزول قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾. قوله: [ليتنا كنا رجالاً] أي ينتقل لنا وصفهم، ولا خصوصية لأم سلمة بهذا التمني، فقد تمنى مثلها جماعة من النسوة، وقيل سبب نزولها تمني الرجال أن الله كما فضلهم على النساء في الدنيا، يفضلهم عليهن في الآخرة. قوله: [بهمزة ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان. والحاصل إن هذه المادة إن وردت في القرآن بواو وفاء لغير غائب ففيها القراءتان نحو ﴿فاسئلوا أهل الذكر﴾ ﴿واسئلوا الله من فضله﴾ وإن وردت بغيرهما فالقراءة بدون الهمزة لا غير، نحو ﴿سل بني إسرائيل﴾، وإن وردت لغائب مع الواو أو الفاء نحو ﴿وليسئلوا ما أنفقوا﴾، فالقراءة بالهمزة لا غير.

قوله: ﴿ولكل﴾ أي لكل من مات من الرجال أو النساء موالي، أي ورثة يرثونهم، وقوله: ﴿مما ترك الوالدن والأقربون﴾ أي من المال الذي تركه الوالدان والأقربون إن ماتوا، وهذا حل المفسر، وقال غيره إن قوله: ﴿الوالدين والأقربون﴾ بيان للموالي فيكونون وارثين لا موروثين، وكل صحيح، والأقرب الأول وعليه ابن عباس، والقصد بذلك نسخ ما كانت عليه الجاهلية من توريث الحلفاء فكان الواحد منهم يأخذ بيمين صاحبه ويقول له دمي دمك وهدمي هدمك، أعقل عنك وتعقل عني، وأرثك وترثني، وقد كان في صدر الإسلام لكل واحد من صاحبه السدس، ثم نسخ بهذه الآية، أو بقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ كما يأتي. وقوله: دمي دمك أي أنت ولي دمي وأنا ولي دمك، وقوله: هدمي هدمك بفتح الهاء وسكون الدال أي إذا وقع بيننا قتل كان المقتول منا هدراً، وقوله أعقل عنك وتعقل عني، أي إذا الزمتك دية شاركتك فيها وأنت كذلك.

ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾: لهم من المال ﴿وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتْ﴾: بألف ودونها ﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾: جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أي الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾: الآن ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: حظوظهم من الميراث وهو السدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[٣٣]: مطلعاً ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله ﴿وَأُولُوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾: مسلطون ﴿عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا﴾: عليهن ﴿مِنْ

قوله: ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿فآتوهم﴾ وقد فرضه المفسّر في تحالف الجاهلية، وبعضهم فرضه في مؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار، وكلٌ صحيح، وعلى كلٍ فالميراث لهم منسوخ قوله: [بألف ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان. وروي عن حمزة التشديد مع حذف الألف. قوله: ﴿فآتوهم﴾ [الآن] أي في صدر الإسلام، وقد علمت أن المفسّر فرضه في تحالف الجاهلية، ويجوز فرضه في محالفة المهاجرين مع الأنصار. قوله: [وهذا منسوخ] أي قوله: ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ الآية. قوله: [بقوله وأولوا الأرحام] وقيل منسوخ بالآية قبلها، والواقع أن كلا ناسخ لها.

قوله: ﴿الرجال قوامون﴾ سبب نزولها أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار، نشزت زوجته واسمها حبيبة بنت زيد فلطمها، فانطلق بها أبوها إلى النبي ﷺ وقال له قد لطم كريمتي، فقال النبي لتقتص من زوجها، فذهبت مع أبيها، فقال له عليه الصلاة والسلام: ارجعوا إن جبريل أتاني وقرأ الآية، ثم قال أردنا أمراً وأراد الله أمراً، وما أراده الله خير. وهذا كلام مستأنف قصد به بيان تفضيل الرجال على النساء، وأفاد أن التفضيل لحكمتين: الأولى وهبية، والثانية كسبية، واعلم أن بعض الرجال أفضل من جنس النساء، فلا ينافي أن بعض أفراد النساء أفضل من بعض أفراد الرجال، كمريم بنت عمران، وفاطمة الزهراء، وخديجة، وعائشة. قوله: [مسلطون] أي قيام سلطنة، كقيام الولاة على الرعايا فالمرأة رعية زوجها، وفي الحديث «كل راع مسؤول عن رعيته». قوله: [ويأخذون على أيديهن] أي يمنعونهن من كل مكروه كالخروج من المنزل.

قوله: ﴿بما فضل﴾ الباء سببية وما مصدرية، أي بتفضيل الله، والبعض الأول الرجال، والثاني النساء، وأبهم البعض إشارة إلى أن التفضيل بالجملة لا بالتفصيل. قوله: [بالعلم الخ] أشار المفسّر لبعض الأمور التي فضلت الرجال بها على النساء، ومنها زيادة العقل والدين، والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات، وكون الأنبياء والسلاطين من الرجال، ومنها كون الرجل يتزوج بأربع في الدنيا، وبأكثر في الجنة، دون المرأة، وكون الطلاق والرجعة بيد الرجل.

---

* أسباب نزول الآية ٣٣: قوله تعالى: ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ الآية، أخرج أبو داود في سننه من طريق ابن اسحاق عن داود بن الحصين قال: كنت أقرأ على أم سعد ابنة الربيع، وكانت مقيمة في حجر أبي بكر، فقرأت ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ فقالت: لا، ولكن والذين عقدت، وإنما نزلت في أبي بكر وابنه حين أبى الإسلام، فحلف أبو بكر أن لا يورثه، فلما أسلم أمره أن يؤتيه نصيبه.
* أسباب نزول الآية ٣٤: قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها. فقال رسول الله ﷺ: القصاص، فأنزل الله ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ الآية، فرجعت بغير قصاص. وأخرج ابن جرير من طرق عن الحسن، وفي بعضها أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فنزلت ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه﴾، ونزلت ﴿الرجال قوامون على النساء﴾، وأخرج نحوه عن ابن جريج والسدي، وأخرج ابن مردويه عن علي قال: أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له، فقالت يا رسول الله: إنه ضربني، فأثر في وجهي، فقال رسول الله: ليس له ذلك، فأنزل الله ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ الآية، فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً.

أموالهم ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾: منهن ﴿قَانِتَاتٌ﴾: مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾: أي لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظَ﴾: هن ﴿اللَّهُ﴾: حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: عصيانهن لكم بأن ظهرت أمارته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: فخوفوهن الله ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾: اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾: ضرباً غير مبرح إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾: فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾: تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: طريقاً إلى ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ ٣٤: فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾: علمتم ﴿شِقَاقَ﴾: خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾: بين الزوجين والإضافة للاتساع أي شقاقاً بينهما ﴿فَابْعَثُوا﴾: إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾: رجلاً عدلاً ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾: أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾: ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان إن رأياه قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾: أي الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾: بين الزوجين أي يقدرهما على ما هو

قوله: ﴿وبما أنفقوا﴾ يقال فيه ما قيل في قوله: ﴿بما فضل الله﴾ أي وبإنفاقهم، ومن جملة الانفاق دفع المهر.

قوله: [مطيعات لأزواجهن] أي في غير معصية الله. قوله: [في غيبة أزواجهن] أي عنهم. قوله: ﴿بما حفظ الله﴾ أشار المفسر إلى أن ما اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف قدره بقوله هن، والباء سببية أي بسبب الذي، أو شيء حفظهن الله به، ولفظ الجلالة فاعل حفظ، والمعنى أن الله كما أوصى الأزواج بحفظ النساء، كذلك لا تسمى النساء صالحات إلا إذا حفظهن الأزواج، لأنه كما يدين الفتى يدان، ويحتمل أن ما مصدرية، والمعنى بحفظ الله، أي توفيق الله لهن. قوله: [عصيانهن لكم] أي فيما تأمرونهن به. قوله: [بأن ظهرت إماراته] أي النشوز بأن ظننتم ذلك.

قوله: ﴿فعظوهن﴾ أي بنحو: اتقي الله واحذري عقابه، فإن الرجل له حق على المرأة، وهذا الترتيب واجب، وأخذ وجوبه من السنة. قوله: [غير مبرح] أي وهو الذي لا يكسر عظماً، ولا يشين جارحة، واعلم أن الهجر والضرب لا يسوغ فعلهما إلا إذا تحقق النشوز، ويزاد في الضرب ظن الإفادة، وأما الوعظ فلا يشترط فيه تحقق النشوز، ولا ظن الإفادة. قوله: [طريقاً إلى ضربهن ظلماً] أي كأن توبخوهن على ما كان منهن، فيلجأ الأمر إلى الخصام والضرب، فإن عدن للنشوز رجع الترتيب الأول، ولا يضربن من أول وهلة. قوله: [فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن] أي فالمطلوب أن تستوصوا بهن خيراً لما في الحديث «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

قوله: ﴿وإن خفتم﴾ الخطاب لولاة الأمور أو لأشراف البلدة التي هما بها. قوله: [والإضافة للإتساع] أي والأصل شقاقاً بينهما، فأضيف المصدر إلى ظرفه مثل مكر الليل. قوله: ﴿حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ أي إن وجد كل من الأهلين معاً، فإن لم يوجدا، أو وجد أحدهما دون الآخر، اختار ولي الأمر رجلين، وبعثهما واحداً عنها وواحداً عنه، واعلم أن كون الحكمين من الأهلين عند وجودهما مندوب عند الشافعي، وواجب عند مالك. قوله: [إن رأياه] أي صواباً ومصلحة. قوله: [أي الحكمان] ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين، والمعنى إن يرد الزوجان إصلاحاً معاشرة بالمعروف وترك ما يسيء تحصل الموافقة بينهما، وقوله: [بين الزوجين] ويحتمل أن يعود على الحكمين، والمعنى لا يحصل اختلاف بين الحكمين، بل تحصل الموافقة بينهما، فيحكمان بما أنزل الله، فتحصل أن الضميرين يصح عودهما معاً على الزوجين أو الحكمين، أو الأول للزوجين، والثاني للحكمين وبالعكس، وقوله: ﴿إصلاحاً﴾ أي مصلحة، وإليه يشير قول المفسر بعد ذلك من اصلاح أو فراق.

الطَّاعَةُ من إصلاحٍ أو فراقٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بكلِّ شيءٍ ﴿خَبِيرًا﴾ ٣٥: بالبواطن كالظواهر ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوه ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَ﴾: أحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: برًّا ولين جانبٍ ﴿وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القريبِ منك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: البعيدِ عنك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: الرفيقِ في سفرٍ أو صناعةٍ وقيل الزوجة ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطعِ في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: من الأرقاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبرًا ﴿فَخُورًا﴾ ٣٦: على الناس بما أوتي ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿يَبْخَلُونَ﴾: بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا

قوله: ﴿واعبدوا الله﴾ الخطاب للمكلفين، لأن العبادة تتوقف على معرفة المعبود والنية، ولكن المراد ما يشمل القربة التي هي ما تتوقف على معرفة المتقرَّب إليه، والطاعة التي لا تتوقف على شيء. قوله: [وحِّدوه] حيث فسّر العبادة بالتوحيد، كان قوله بعد ذلك ﴿ولا تشركوا﴾ تأكيدًا، ولكن الأولى التعميم كما قدمناه، فيكون قوله: ﴿ولا تشركوا﴾ تأسيسًا، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾.

قوله: ﴿ولا تشركوا به شيئًا﴾ يحتمل أن شيئًا مفعول به، والمعنى لا تشركوا به شيئًا من الأشياء صنمًا أو غيره، ويحتمل أنه مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف، والمعنى إشراكًا شيئًا جليًا أو خفيًا كالرياء والسمعة. قوله: ﴿وبالوالدين﴾ قرن برَّ الوالدين بعبادة الله، إشارة لتأكد حقهما وتخويفًا من عقوقهما، وقدّر المفسر أحسنوا إشارة إلى أن ﴿إحسانًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، والجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلقًا بأحسنوا المقدر، وإليه يشير المفسر، ويحتمل أنه متعلق باحسانًا؛ ولا يقال إن المصدر لا يعمل في متقدم، لأنه يقال محله في غير الجار والمجرور والظرف. قوله: ﴿برًا ولين جانب﴾ أي بأن يعظمهما ويخدمهما ويفعل معهما أنواع البر، وقد بيّن أنواعه في قوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ الآية، وإنما خص حالة الكبر لأن عندها يثقلان، وإنما تكررت الآيات المتعلقة بالوصية على الوالدين دون العكس، لأن الله جعل الرأفة القائمة بقلوب الوالدين على الأولاد، مغنية عن التكليف بالقيام بحقوق الأولاد بخلاف الأولاد، فلذا شدّد على الأولاد دون الوالدين.

قوله: ﴿وبذي القربى﴾ كرر الباء إشارة إلى تأكيد حق القرابة لما في الحديث «الرحم معلقة بالعرش تقول يا رب من وصلني فأوصله ومن قطعني فاقطعه». قوله: ﴿واليتامى﴾ جمع يتيم وهو من مات أبوه، ويستمر يتمه إلى البلوغ، فإذا بلغ زال يتمه. قوله: ﴿والمساكين﴾ جمع مسكين وهو من التصقت يده بالتراب، والمراد ما يشمل الفقير. قوله: [أو النسب] أو مانعة خلو تجوز الجمع، لما في الحديث «الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، وجار له حقان: حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق واحد حق الجوار، وهو المشرك من أهل الكتاب». قوله: [الرفيق في سفر] ومثله الملاصق لك في نحو درس علم أو صلاة. قوله: [المنقطع في سفر] المناسب تفسيره بالغريب كان منقطعًا أو لا. قوله: [من الأرقاء] لا مفهوم له بل مثله الدواب المملوكة، وإنما خص الأرقاء لقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فالإحسان إليهم متأكد لقوله في الحديث «إن الله ملّككم إياهم ولو شاء ملّكهم إياكم». قوله: ﴿إن الله﴾ علة لمحذوف تقديره أمركم الله بذلك فلا تفخروا إن الله الخ. قوله: [متكبرًا] أي معجبًا بنفسه مستحقرًا لغيره. قوله: [بما أوتي] أي من النعم. قوله: [بما يجب عليهم] أي من الزكاة وغيرها. قوله: ﴿بالبخل﴾ [به] أي بما

---

* أسباب نزول الآية ٣٧: قوله تعالى: ﴿الذين يبخلون﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ الآية. وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي =

﴿آتاهم الله من فضله﴾: من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد ﴿وأعتدنا للكافرين﴾: بذلك وبغيره ﴿عذاباً مهيناً﴾ ٣٧: ذا إهانة ﴿والذين﴾: عطف على الذين قبله ﴿ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾: مرائين لهم ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾: كالمنافقين وأهل مكة ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾ ٣٨: صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فساء﴾: بئس ﴿قريناً﴾: هو ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾: أي أي ضرر عليهم في ذلك والاستفهام للإنكار ولو مصدرية أي لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وكان الله بهم عليماً﴾ ٣٩: فيجازيهم بما عملوا ﴿إن الله لا يظلم﴾: أحداً ﴿مثقال﴾: وزن ﴿ذرة﴾: أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وإن تك﴾: الذرة ﴿حسنة﴾: من مؤمن وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿يضاعفها﴾: من عشر إلى أكثر من سبعمائة وفي قراءة يضعفها بالتشديد ﴿ويؤت من لدنه﴾: أي من عنده مع المضاعفة ﴿أجراً عظيماً﴾ ٤٠: لا يقدره أحد ﴿فكيف﴾: حال الكفار ﴿إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾: يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وجئنا بك﴾: يا محمد ﴿على هؤلاء شهيداً﴾ ٤١ ﴿يومئذ﴾: يوم المجيء ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو﴾:

يجب. قوله: [من العلم] أي كصفات النبي الموجودة في التوراة والإنجيل.

قوله: ﴿وأعتدنا للكافرين﴾ علة لخبر المبتدأ المحذوف. قوله: [مرائين لهم] أشار به إلى أن رئاء حال من الواو في ينفقون. قوله: [كهؤلاء] أي الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون، ومن ينفق ماله مرائياً، ومن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر. قوله: ﴿فساء قريناً﴾ ساء بمعنى بئس تساق للذم فهي نظيرتها في المعنى والعمل، وقريناً تمييز، والأصل فساء القرين قرينهم، وقدر المخصوص بالذم بقوله: [هو] واعلم أن كل إنسان له قرين من الشياطين يوسوس له في الدنيا ويكون معه في النار في سلسلة، واختلف فقيل الذم في الدنيا على مطاوعته فيما يأمره به، وقيل في الآخرة على مقارنته له في السلسلة في النار. قوله: [أي أي ضرر] أشار بذلك إلى أن ماذا استفهام وهو للإنكار والتوبيخ. قوله: [ولو مصدرية] أي والكلام على تقدير في، وإليه يشير المفسر بقوله أي لا ضرر عليهم فيه، فالتقدير وماذا عليهم في إيمانهم.

قوله: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ المقصود من ذلك إظهار العدل في المجازاة على السيئات وكمال الفضل في المجازاة على الحسنات. قوله: [أصغر نملة] وقيل هو الهباء الذي يكون في الشمس. قوله: [من مؤمن] أي لا من كافر، بل تكون هباء منثوراً. قوله: [وفي قراءة بالرفع] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يضاعفها﴾ أي يضاعف ثوابها. قوله: [لا يقدره] أي لا يحصره ولا يعده، بل من محض فضله وكرمه.

قوله: ﴿فكيف﴾ خبر لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: [حال الكفار] وهو استفهام تعجبي استعظامي، أي تعجب من حالهم، فإنه بلغ الغاية في الفظاعة والشناعة، لعظيم ما رأوه من الأهوال العظيمة. قوله: [إذا جئنا] ظرف متعلق بالمبتدأ المحذوف. قوله: ﴿على هؤلاء﴾ أي أمم الأنبياء الكفار حين ينكرون تبليغ أنبيائهم لهم الرسالة. وحاصل ذلك، أنه بعد انقضاض الموقف تحضر الأنبياء مع أممهم، فيقول الله للأمم: ألم تبلغكم الرسل الشرائع،

= محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: كان كردوم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالاً من الأنصار ينصحون لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ إلى قوله ﴿وكان الله بهم عليماً﴾.

أي أن ﴿تُسَوَّى﴾: بالبناء للمفعول وللفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل ومع إدغامها في السين أي تتسوى ﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾: بأن يكونوا تراباً مثلها لعظم هوله كما في آية أخرى: ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثاً﴾ ٤٢: عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَاةَ﴾: أي لا تصلوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾: من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال السكر

فيقولون: يا ربنا ما بلغونا، فيسأل الله الرسل: ألم تبلغوهم ما أرسلتكم به؟ فيقولون: بلى، فيقول الله للرسل: هل لكم شهود؟ فيقولون: محمد وأمته، فيؤتى بهم فيشهدون على الأمم بالتكذيب وللأنبياء بالبراءة، ثم بعد ذلك إن وقع منهم إنكار تنطق عليهم ألسنتهم، بل وجميع أعضائهم والأزمنة والأمكنة بتكذيبهم، وهذا الاحتمال هو الأظهر، ويحتمل أن اسم الإشارة عائد على المشركين مطلقاً من أول الزمان إلى آخره، أو عائد على الكفار والمنافقين من أمته ﷺ وإنما رجع للنبي وأمته على الاحتمال الأول، وإن كانت الدعوى من معصوم، تبكيتاً لكفار الأمم السابقة، وإظهاراً لشرف هذه الأمة وعظم قدرها. قوله: [يوم المجيء] أشار بذلك إلى أن التنوين في يومئذ عوض عن جملة جئنا من كل أمة إلى آخرها.

قوله: ﴿يود الذين كفروا﴾ أي يتمنى الكفار مطلقاً. قوله: ﴿وعصوا الرسول﴾ أي رسول كل أمة فأل فيه للجنس. قوله: [أي أن] أشار بذلك إلى أن ﴿لو﴾ مصدرية. قوله: [بالبناء للمفعول] أي مع تخفيف السين. وقوله: [للفاعل الخ] هذه قراءة ثانية، وقوله: [ومع إدغامها] قراءة ثالثة. فالحاصل أن القراءات ثلاث: البناء للمفعول مع تخفيف السين، والبناء للفاعل مع التخفيف بحذف إحدى التاءين، والتشديد بقلب التاء سيناً وإدغامها في السين. قوله: [بأن يكون تراباً مثلها] أو بأن تنشق الأرض وتبتلعهم أو يدفنون فيها، والأقرب ما ذكره المفسر لأن خير ما فسرته بالوارد.

قوله: ﴿ولا يكتمون﴾ معطوف على ﴿يود﴾ فأخبر عنهم بأنهم يوم القيامة يقع منهم شيئان: تمني أن الأرض تستوي بهم، وعدم كتمانهم عن الله حديثاً. قوله: [وفي وقت آخر الخ] جواب عن سؤال، وهو أن هذه الآية أفادت عدم الكتمان، وآية الأنعام أفادت إثباته. وحاصل الجواب أن الكتمان يقع منهم ابتداء وعدمه انتهاء.

قوله: ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ إنما نهي عن القربان للمبالغة في النهي، وقوله: ﴿وأنتم سكارى﴾ إن قلت: إن السكران لا عقل عنده فكيف ينهى؟ أجيب: بأن المراد لا تسكروا في أوقات الصلوات. قوله: [لأن سبب نزولها]

---

* أسباب نزول الآية ٤٣: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا﴾ الآية، روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن علي قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾. وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر عن علي قال: نزلت هذه الآية قوله ﴿ولا جنباً﴾ - في المسافر تصيبه الجنابة فيتيمم ويصلي. وأخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك قال: كنت أرحل ناقة رسول الله ﷺ فأصابتني جنابة في ليلة باردة، فخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ الآية كلها.

وأخرج الطبراني عن الأسلع قال: كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له، فقال لي ذات يوم: يا أسلع قم فارحل، فقلت: يا رسول الله أصابتني جنابة، فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل بآية الصعيد فقال رسول الله ﷺ: قم يا أسلع فتيمم، فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، فقمت فتيممت ثم رحلت له. وأخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب: أن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممراً إلا في المسجد، فأنزل الله قوله ﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع ان يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم يناوله =

﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾: بأن تصحوا ﴿وَلَا جُنُبًا﴾: بإيلاج أو إنزال ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾: مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾: طريق أي مسافرين ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾: فلكم أن تصلوا استثناء المسافر لأن له حكماً آخر سيأتي وقيل المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة أي المساجد إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾: مرضاً يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾: هو المكان المعد لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: وفي قراءة بلا ألف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعي وألحق به الجس بباقي البشرة وعن ابن عباس هو الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾: تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تراباً طاهراً فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ٤٣ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: حظاً ﴿مِّنَ

اختصر المفسر السبب. وحاصله أنه روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: صنع لنا ابن عوف طعاماً فدعانا، فأكلنا وأسقانا خمراً قبل أن تحرم الخمر، فأخذت منا، وحضرت الصلاة، أي صلاة المغرب، فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون، فنزلت الآية، فحرمت في أوقات الصلاة حتى نزلت آية المائدة فحرمت مطلقاً.

قوله: ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ حتى جارة بمعنى إلى، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة، وما يجوز فيها أن تكون بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة، والعائد على كل محذوف أو مصدرية ولا حذف. قوله: [ونصبه على الحال] أي فهو معطوف على قوله: ﴿وأنتم سكارى﴾. قوله: [وهو يطلق] أي لفظ جنب. قوله: ﴿إلا عابري سبيل﴾ الأحسن أن إلا بمعنى غير صفة لجنباً، ومفهومه أن الجنب المسافر يكفيه التيمم وهو كذلك. قوله: [سيأتي] أي في قوله: ﴿أو على سفر﴾ الخ. قوله: [وقيل المراد النهي الخ] هذا تفسير آخر للآية، وبه أخذ الإمام الشافعي، وقال مالك بحرمة مرور الجنب في المسجد إذا كان غير مضطر. قوله: [يضره الماء] أي فيتيمم ويصلي، ولا إعادة عليه عند مالك وأبي حنيفة، وقال الشافعي بالإعادة. قوله: [أي مسافرين] أي ولو كان غير قصر. قوله: [أو محدثون] أي بالريح مثلاً. قوله: [وهو المكان المعد لقضاء الحاجة] أي في الأصل، ثم أطلق على نفس الحاجة من إطلاق المحل، وإرادة الحال يدل عليه. قوله: [أي أحدث]. قوله: [وهو الجس باليد] أي ولو كان من غير قصد أو وجدان لغير محرم وعليه الشافعي، وقال مالك يقيد بالقصد أو الوجدان، وأخذ أبو حنيفة بكلام ابن عباس، فالجس باليد عنده لا يوجب الوضوء مطلقاً. قوله: [وهو راجع إلى ما عدا المرضى] أي وأما المرضى فيتيممون مع وجوده لأنهم لا يقدرون على استعماله، أو يراد بعدم الوجود حقيقة أو حكماً فيشمل المرضى، لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً. قوله: [بعد دخول الوقت] إنما قيد بذلك لأن التيمم لا يصح قبله. قوله: [تراباً طاهراً] هكذا فسره به الشافعي، وقال مالك الصعيد هو ما صعد على وجه الأرض من أجزائها، ولم يحرق بالنار، ولم يكن من الجواهر النفيسة كالتراب أو الرمل أو الحجارة أو غير ذلك. قوله: [مع المرفقين] أي فمسحهما واجب وبه أخذ الشافعي، وقال مالك إن التكميل للمرفقين سنة، وإنما الفرض عنده مسح اليدين للكوعين كما هو ظاهر الآية. قوله: [منه] قدره لبيان الممسوح به، كما صرح به في آية المائدة. قوله: [ومسح

= فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿وإن كنتم مرضى﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابراهيم النخعي قال: قال أصحاب النبي ﷺ جراحة ففشت فيهم، ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت ﴿وإن كنتم مرضى﴾ الآية كلها.

﴿الْكِتَابِ﴾: وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾[٤٤]: تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾: منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾: حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾[٤٥]: مانعاً لكم من كيدهم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾: الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾: للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾: قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: حال بمعنى الدعاء أي لا سمعت ﴿وَ﴾: يقولون له ﴿رَاعِنَا﴾: وقد نهي عن خطابه بها وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لَيًّا﴾: تحريفاً ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا﴾: قدحاً ﴿فِي

يتعدي بنفسه] أي فعليه تكون الباء زائدة، وقوله: [وبالحرف] أي وعليه تكون الباء للتعدية؛ لأن سيبويه حكي: مسحت رأسه وبرأسه.

قوله: ﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾ تعليل للترخيص المستفاد مما قبله. قوله: ﴿ألم تر﴾ كلام مستأنف سيق لتعجب النبي والمؤمنين من سوء حالهم. قوله: ﴿إلى الذين﴾ أبهمهم لفظاعة حالهم وشناعته. قوله: ﴿من الكتاب﴾ أي التوراة. قوله: [وهم اليهود] أي بعض علمائهم. قوله: [بالهدى] قدره إشارة إلى أن المقابل محذوف. والمعنى أنهم يأخذون الضلالة بدل الهدى، والمراد بالضلالة الكفر وتكذيب سيدنا محمد، والمراد بالهدى الإيمان وتصديقه.

قوله: ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ هذا ترق في التعجيب. والمعنى أنهم اختاروا الضلالة لأنفسهم، ومع ذلك يحبونها لغيرهم، قال تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ روي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في حبرين من أحبار اليهود، كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي رهطه يثبطانهم عن الإسلام، وعنه أيضاً أنها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم، كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويا لسانهما وعاباه. قوله: [لتجتنبوهم] أي لتتحرزوا منهم. قوله: ﴿وكفى بالله﴾ الباء حرف جر زائد، ولفظ الجلالة فاعل كفى. قوله: ﴿وكفى بالله نصيراً﴾ تأكيد لما قبله وهو معنى قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾.

قوله: ﴿من الذين هادوا﴾ خبر مقدم لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله قوم، وقوله: ﴿يحرفون﴾ نعت لذلك المحذوف، وحذف المنعوت كثير إن تقدمه من التبعيضية على حد: منا ظعن ومنا أقام، أي فريق ظعن، وفريق أقام، وهذا الكلام تفصيل لبعض قبائحهم. قوله: ﴿الكلم﴾ أي الكلام. قوله: [من نعت محمد] أي من كونه أبيض مشرباً بحمرة، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير مثلاً، فقد حرفوه وقالوا أسود اللون، طويل جداً، حرصاً على الرياسة، وعلى ما يأخذونه من سفلتهم، ومن جملة ما غيروه آية الرجم بالجلد. ومن ذلك أنه في كتبهم من خالف محمداً خلد في النار، فغيروه وقالوا لن تمسنا النار إلا أربعين يوماً، مدة عبادة العجل.

قوله: ﴿وعصينا﴾ [أمرك] هذا بحسب باطنهم، وأما بحسب ظاهرهم فمعناه عصينا قول غيرك، وكذا قوله: ﴿واسمع غير مسمع﴾ أي اسمع الخير منا غير سامع ما يؤذيك، وكذا قوله: ﴿وراعنا﴾ أي اشملنا بنظرك، فهذا من الكلام الموجه الذي يحتمل معنيين مختلفين في المدح والذم. قوله: [أي لا سمعت] يحتمل أن المعنى لا سمعت خيراً ولا سمعت شيئاً أصلاً بأن تبتلى بالصمم أو الموت. قوله: [وقد نهي عن خطابه بها] أي في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين

---

* أسباب نزول الآية ٤٤: قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود، وإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال أرعنا سمعك يا محمد حتى نفقهك، ثم طعن في الاسلام دعابة، فأنزل الله فيه ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة﴾.

﴿ٱلدِّينِ﴾: الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: بدل وعصينا ﴿وَٱسْمَعْ﴾: فقط ﴿وَٱنْظُرْنَا﴾: انظر إلينا بدل راعنا ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾: مما قالوه ﴿وَأَقْوَمَ﴾: أعدل منه ﴿وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدهم عن رحمته ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ ٤٦: منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾: من القرآن ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾: من التوراة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً﴾: نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾: فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: نمسخهم قردة ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾: مسخنا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾: منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: قضاؤه ﴿مَفْعُولاً﴾ ٤٧: ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقيل كان وعيداً بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾: أي

آمنوا لا تقولوا راعنا﴾. قوله: [وهي كلمة سب بلغتهم] يحتمل أنها موضوعة للسب في لغتهم، ويحتمل أنهم قصدوا بها السب، وإن كانت تحتمل الدعاء بخير من الرعاية وهي الحفظ وبشر ومعناها الرعونة وهي الطيش في العقل، كأنهم يقولون اشملنا برعونتك. قوله: ﴿لياً بألسنتهم﴾ أي صرفاً للكلام عن ظاهره، وأصله لويا، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وهو في الأصل فتل الحبل، فشبه به الكلام الذي قصد منه غير ظاهره وطوي، ذكر المشبه به وهو الحبل المفتول، ورمز له بشيء من لوازمه وهو اللي، فإثباته تخييل.

قوله: ﴿لكان خيراً لهم﴾ هذا جواب لو، واسم التفضيل ليس على بابه، ويحتمل أنه على بابه على حسب ما زعموا من أن حرصهم على الكفر يبقي لهم حظ الرياسة والدنيا التي يأخذونها من عوامهم وهو خير دنيوي. قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ صفة لموصوف محذوف، أي إلا فريقاً قليلاً. قوله: [نمحو] أي نزيل ما فيها. قوله: [فقيل كان وعيداً بشرط] أي لأن رحمة الله تسبق غضبه، والحاصل أنه اختلف في ذلك الوعيد، هل كان معلقاً ثم ارتفع، وقيل إنه واقع لكن في آخر الزمان، وقيل إنه واقع في الآخرة، فيقومون من قبورهم ممسوخة صورهم، ولا مانع من إرادتها كلها، وليس في القرآن وعيد لأمة محمد بتعجيل العقوبة مثل هذا، لأنهم بالغوا في الكفر وإيذاء النبي ﷺ. وقوله: [بشرط] أي وهو عدم إيمان أحد منهم، ويؤيده ما روي أن عبد الله بن سلام لما قدم من الشام، وقد سمع بهذه الآية أتى رسول الله ﷺ قبل أن يأتي أهله وقال يا رسول الله وما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي إلى قفاي، وكذا ما روي أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية على كعب الأحبار، فقال كعب الأحبار: يا رب آمنت يا رب أسلمت. مخافة أن يصيبه وعيدها. قوله: [وقيل يكون] أي يحصل، وقوله: [قبل قيام الساعة] أي زمن عيسى. قوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أشار له المفسر بقوله: [أي الإشراك] والمعنى أن الله لا يغفر للكافر إشراكاً أو غيره، فالمراد بالشرك الكفر، لا الشرك الأصغر الذي هو الرياء، فإنه من جملة الذنوب التي تغفر، وهذا رد على اليهود، حيث زعموا أن الشرك لا يضرهم لكون أجدادهم أنبياء، وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه. قوله: [من

---

* أسباب نزول الآية ٤٧: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب﴾ الآية. أخرج ابن اسحاق عن ابن عباس قال: كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسيد، فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله انكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق، فقالوا ما نعرف ذلك يا محمد، فأنزل الله فيهم ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ٤٨: قوله تعالى: ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به﴾، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: ان لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: وما دينه؟ قال يصلي ويوحد الله، قال: استوهب منه دينه فان أبى فابتعه منه، فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحاً على دينه، فنزلت ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

الإشراك ﴿بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾: سوى ﴿ذَلِكَ﴾: من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا﴾: ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾ ٤٨: كبيراً ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: وهم اليهود حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه أي ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي﴾: يطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾: بالإيمان ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ ٤٩*: قدر قشرة النواة ﴿انْظُرْ﴾: متعجباً ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: بذلك ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ ٥٠: بيناً. ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم

الذنوب] بيان لما. قوله: ﴿لمن يشاء﴾ [المغفرة له] أي إن مات من غير توبة، وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، هذا معنى قول صاحب الجوهرة:

ومن يمت ولم يتب من ذنبه ... فأمره مفوض لربه

والغالب المغفرة لأن فضل الله واسع، ورحمته تغلب غضبه، وكل ذلك ما لم يمت هديماً أو غريقاً أو مقتولاً ظلماً مثلاً، وإلا فيقوم ما ذكر مقام التوبة. قوله: ﴿ألم تر﴾ كالدليل لما قبله. قوله: [وهم اليهود] وقيل هم والنصارى، لأن هذه المقالة وقعت منهما لقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾. قوله: [حيث قالوا نحن أبناء الله] أي كالأبناء من حيث أن منزلتنا عنده عظيمة، وقائل هذه اللفظة كافر، ولو على سبيل المجاز. قوله: [أي ليس الأمر بتزكيتهم الخ] أي ليس الأمر منوطاً ومعتبراً بتزكيتهم أنفسهم وهذا تمهيد لقوله تعالى: ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾. قوله: [بالإيمان] أي وجميع الأعمال الصالحة، وإنما اقتصر عليه لأن مدار النجاة عليه.

قوله: ﴿ولا يظلمون﴾ يحتمل أن الضمير عائد على المؤمنين، أي فيجازيهم على أعمالهم الصالحة، ولا ينقص منه شيء ولو كان أقل قليل، وهذا هو المتبادر من المفسر، وقيل إنه عائد على الكفار، أي فيعذبهم بذنوبهم، ولا ينقصون شيئاً من أعمالهم، ويحتمل العموم وهو الأولى. قوله: [قدر قشرة النواة] هذا سبق قلم، والمناسب قدر الخيط الذي يكون في بطن النواة، وأما القطمير فهو قشر النواة، والنقير النقرة التي تكون في وسطها، والثفروق هو ما بين النواة والقمع، ذكر في القرآن الثلاثة الأول، وعادة العرب تمثل بأحد الأربعة لأقل قليل. قوله: [متعجباً] أشار بذلك إلى أن الاستفهام تعجبي.

قوله: ﴿وكفى به﴾ أي بالافتراء. قوله: [ونزل في كعب بن الأشرف الخ] حاصل ما ذكره الخازن، أنه بعد وقعة بدر، ضاق صدر كعب بن الأشرف، فركب مع سبعين راكباً من اليهود حتى قدموا مكة، فنزلوا على أبي سفيان وأصحابه، فأحسنوا مثواهم، ثم قال لهم أبو سفيان وأصحابه: ماذا تريدون؟ فقالوا: نريد حرب محمد ونقض عهده، فقال أبو سفيان وأصحابه: لا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم، فإن كان ما تقولون حقاً، فاسجدوا لهذين الصنمين، ففعلوا، ثم قال كعب: ليأت منكم ثلاثون رجلاً ومنا ثلاثون، فنلزق أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب البيت لنجهدن في قتال محمد، ففعلوا، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب ونحن أميون، فأينا أهدى سبيلاً أنحن أم محمد؟ فقال كعب: اعرض علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج ونسقيهم الماء، ونقري الضيف، ونفك العاني ونصل

---

* أسباب نزول الآية ٤٩: قوله تعالى: ﴿ألم تر الى الذين يزكون﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك وغيرهم.

ومحاربة النبي ﷺ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ﴾: صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل أم محمد؟ وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: أي أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ ⁵¹: أقوم طريقاً ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ﴾ ـه ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ ⁵²: مانعاً من عذابه ﴿أَمْ﴾: بل ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذاً لَا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيراً﴾ ⁵³: أي شيئاً تافهاً قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾: أي النبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: من النبوة وكثرة النساء أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾: جده كموسى وداود وسليمان ﴿ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: والنبوة ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ ⁵⁴: فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة وسرية ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾: بمحمد ﷺ

الرحم، ونعمر بيت ربنا ونطوف به، ونحن من أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه والحرم وقطع الرحم، وديننا القديم، ودين محمد حادث، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد، فنزلت الآية. قوله: [ونحوه من علماء اليهود] أي وكانوا سبعين راكباً. قوله: [وحرضوا المشركين] أي أبا سفيان وأصحابه. قوله: [بثأرهم] بالهمز وتركه.

قوله: ﴿ألم تر﴾ أي تعلم وتنظر لفعلهم. قوله: ﴿من الكتاب﴾ أي التوراة. قوله: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ أي بسجودهم لهما. قوله: [صنمان لقريش] وقيل الجبت اسم لكل صنم يعبد، والطاغوت الشيطان الذي يلبس الصنم ويكلم الناس، فلكل صنم شيطان يغر الناس. قوله: [ونفك العاني] أي الأسير. قوله: [نفعل] يحتمل أنه بالفاء والعين، أي نفعل غير ما ذكر من الأمور الجميلة المستحسنة، أو بالعين ثم القاف أي نؤدي العقل بمعنى الدية عن حلفائنا. قوله: [أي أنتم] أشار بذلك إلى أنه خطاب لهم، وإنما المولى حكاه عنهم بالمعنى. قوله: [أي ليس لهم] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿فإذاً﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر، أشار له المفسر بقوله: [ولو كان] وإنما قدر لو دون أن، لأن الجواب مرفوع لا مجزوم، وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بالجهل، وسيأتي ذمهم بالحسد. قوله: [بل] الإضراب انتقالي من صفة لصفة أخرى أقبح منها. قوله: [أي النبي] أي فهو من باب تسمية الخاص باسم العام إشارة إلى أنه جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين، قال الشاعر:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

قوله: [جده] بيان لإبراهيم فهو بالجر. قوله: [تسع وتسعون امرأة] أي غير امرأة وزيره، فقد أخذها بعد موته، فتكامل له

---

* أسباب نزول الآية ٥١: قوله تعالى: ﴿ألم تر الى الذين أوتوا﴾ الآية، أخرج أحمد وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير، فنزلت فيهم ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ ونزلت ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ إلى ﴿نصيراً﴾.

وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان، وبني قريظة: حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمارة وهوذة بن قيس، وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش، قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأولى، فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه، وممن اتبعه، فأنزل الله ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ إلى قوله ﴿ملكاً عظيماً﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قال أهل الكتاب زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة وليس همه إلا النكاح، فأي ملك أفضل من هذا؟ فأنزل الله ﴿أم يحسدون الناس﴾ الآية، وأخرج ابن سعد عن عمر مولى عفرة نحوه أبسط منه.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُ﴾: فلم يؤمن ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾٥٥: عذاباً لمن لا يؤمن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾: ندخلهم ﴿نَاراً﴾: يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾: احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾: بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ﴾: ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَزِيزاً﴾: لا يعجزه شيء ﴿حَكِيماً﴾٥٦: في خلقه ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض وكل قذر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾٥٧: دائماً لا تنسخه شمس وهو ظل الجنة ﴿إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلأَمَانَاتِ﴾: أي ما اؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾: نزلت لما أخذ علي رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قسراً لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح

قوله: ﴿فمنهم من آمن به﴾ أي كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: [فلم يؤمن] أي ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما. قوله: [بأن تعاد إلى حالها] ورد أنها تعاد في الساعة الواحدة مائة مرة، بل ورد أنها تعاد في اليوم الواحد سبعين ألف مرة، وورد أن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسروع، وورد أن ضرس الكافر يكون كأحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام. قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ ذكر للمقابل وهو راجع لقوله: ﴿فمنهم من آمن به﴾ كما أن قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ راجع لقوله: ﴿ومنهم من صد عنه﴾ على عادته سبحانه إذا ذكر الوعيد أعقبه بالوعد. قوله: [وكل قذر] أي كالنفاس وغيره. قوله: [لا تنسخه شمس] أي لعدم وجودها. قال تعالى: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا﴾.

قوله: ﴿إن الله يأمركم﴾ الخطاب للمكلفين لما سيأتي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿أن تؤدوا الأمانات﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان ليأمر، والأصل يأمركم تأدية الأمانات، أو منصوب بنزع الخافض لأن حذفه مع أن وأنّ مطرد، ويقال في ﴿وأن تحكموا بالعدل﴾ ما قيل فيه لأنه معطوف عليه، وقوله: ﴿إذا حكمتم﴾ ظرف له، ولا يقال يلزم عليه تقديم معمول الصلة عليها لأنه يقال إنه ظرف ويغتفر فيه ما لا يغتفر في غيره. قوله: [من الحقوق] اعلم أن الأمانات ثلاثة أقسام، الأول: عبادات الله بأن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات، الثاني نعمة التي أنعم بها كالسمع والبصر والعافية وغير ذلك فلا يصرفها فيما يغضب الله، الثالث: حقوق العباد كالودائع وغيرها فيجب على الإنسان تأدية الأمانات مطلقاً، كانت قولية أو فعلية أو اعتقادية، فالقولية كحفظ القرآن، والفعلية كحفظ الودائع والعواري، والإعتقادية كالتوحيد وحسن الظن بالخلق، وبالجملة فهذه الآية من جوامع الكلم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض﴾ الآية على التحقيق. قوله: [نزلت لما أخذ علي مفتاح الكعبة الخ] قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة، فلما دخل

---

* أسباب نزول الآية ٥٨: قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم﴾، اخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به فلما بسط يده اليه قام العباس فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكف عثمان يده، فقال رسول الله ﷺ هات المفتاح يا عثمان، فقال: هاك أمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قال: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ حتى فرغ من الآية.

وأخرج شعبة في تفسيره عن حجاج عن ابن جريج قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة أخذ منه رسول الله مفتاح الكعبة، فدخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان، فناوله المفتاح، قال: وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله من الكعبة، وهو يتلو هذه الآية: فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك، قلت: ظاهر هذا أنها نزلت في جوف الكعبة.

ومنعه وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال: هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له علي الآية فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقي في ولده والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع ﴿وإذا حكمتم بين الناس﴾: يأمركم ﴿أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا﴾: فيه إدغام ميم نعم في ما النكرة الموصوفة أي نعم شيئاً ﴿يعظكم به﴾: تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إن الله كان سميعاً﴾: لما يقال ﴿بصيراً﴾٥٨: بما يفعل ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي﴾: أصحاب ﴿الأمر﴾: أي الولاة ﴿منكم﴾: أي إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿فإن تنازعتم﴾: اختلفتم ﴿في شيء فردوه إلى الله﴾: أي إلى كتابه

النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح فقيل له إنه مع عثمان. وطلب منه فأبى وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ المفتاح وفتح الباب، ودخل رسول الله البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح لتجتمع له السقاية والسدانة، فأنزل الله هذه الآية، فأمر رسول الله علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر له، ففعل ذلك، فقال عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق، فقال علي لقد أنزل الله في شأنك قرآناً وقرأ عليه الآية فأسلم، فكان المفتاح معه إلى أن مات، فدفعه إلى أخيه شيبة فهي في أولادهم إلى يوم القيامة. قوله: [الحجبي] أي الذي يحجب الناس بمعنى يمنعهم من الدخول. قوله: [سادنها] أي خادمها، وقوله: [قسراً] أي قهراً. قوله: [لما قدم النبي] ظرف لأخذ وكان ذلك في رمضان، وقوله: [عام الفتح] أي وهو سنة ثمان. قوله: [وقال لو علمت الخ] أي فهو غير مصدق برسالته، وإلا فذاته إذ ذاك غير خافية على أحد. قوله: [خالدة تالدة] أي مخلدة في المستقبل كما كانت متأصلة فيكم. قوله: [فعمومها معتبر الخ] أشار بذلك لما قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومحل ذلك إن لم توجد قرينة الخصوص فيكون معتبراً، كالنهي عن قتل النساء، فإن سببه أن رسول الله رأى امرأة حربية مقتولة، فذلك يدل على اختصاصه بالحربيات، فلا يدخل فيه المرتدة ولا الزانية. قوله: ﴿وإذا حكمتم﴾ فيه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه وهو جائز إذا كان ظرفاً. قوله: ﴿نعما﴾ بكسر النون أتباعاً لكسرة العين، وأصله نعم على وزن علم. قوله: [أي نعم شيئاً] أشار بذلك إلى أن ما مميز، ويكون الفاعل مستتراً وجوباً تقديره نعم هذا الشيء شيئاً، والمخصوص بالمدح محذوف قدره بقوله: [تأدية الأمانة] وقيل أن ما فاعل، وقد ذكر القولين ابن مالك بقوله:

وما مميز وقيل فاعل … في نحو نعم ما يقول الفاضل

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هذا خطاب لسائر الناس، بعد أن خاطب ولاة الأمور بالحكم بالعدل، وفي هذه الآية إشارة لأدلة الفقه الأربعة، فقوله: ﴿أطيعوا الله﴾ إشارة للكتاب، وقوله: ﴿وأطيعوا الرسول﴾ إشارة للسنة، وقوله: ﴿وأولي الأمر﴾ إشارة للإجماع، وقوله: ﴿فإن تنازعتم﴾ إشارة للقياس. قوله: ﴿وأولي الأمر﴾ يدخل فيه الخلفاء الراشدون، والأئمة المجتهدون، والقضاة والحكام. قوله: [أي إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله] أي لا بمعصية فلا

---

* أسباب نزول الآية ٥٩: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله﴾ روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية كذا، أخرجه مختصراً وقال الداودي هذا وهم، يعني الافتراء على ابن عباس، فإن عبد الله بن حذافة خرج على جيش فغضب فأوقد ناراً وقال: اقتحموا فامتنع بعض وهم بعض أن يفعل، قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون غيره، وأن كانت نزلت بعده فإنما قيل لهم: إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم لم لم تطيعوه، وأجاب الحافظ ابن حجر بأن المقصود في قصته: فإن تنازعتم في شيء فإنهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة، والتوقف فراراً من النار فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع، وهو الرد إلى الله والرسول، وقد أخرج ابن جرير أنها نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميراً، فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما، فنزلت.

﴿وَالرَّسُولِ﴾: مدة حياته وبعده إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ﴾: أي الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾: لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ ٥٩: مآلاً. ونزل لما اختصم يهودي ومنافق فدعا إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك فقال للمنافق أكذلك؟ فقال: نعم فقتله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾: الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾: ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ ٦٠: عن الحق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾: في القرآن من الحكم ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾: يعرضون

يطاعوا في ذلك لما في الحديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». قوله: ﴿في شيء﴾ أي غير منصوص عليه. قوله: [مدة حياته] أي بسؤاله، وقوله: [إلى سنته] أي فيعرض عليها.

قوله: ﴿إن كنتم تؤمنون﴾ أي فردوه. قوله: ﴿ذلك خير﴾ اسم التفضيل ليس على بابه بقرينة ﴿إن كنتم تؤمنون﴾ فمخالفة ما ذكر ليس فيها خير، بل هي شر وضلال. قوله: [مآلا] أي عاقبة. قوله: [ونزل لما اختصم يهودي الخ] حاصلها تفصيلاً، قال ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: ننطلق إلى محمد، وقال المنافق: ننطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الطاغوت، فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر، فأتيا عمر، فقال اليهود اختصمت أنا وهذا إلى محمد، فقضى عليه، فلم يرض بقضائه، وزعم أنه يخاصمني إليك، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ فقال نعم، فقال لهما عمر: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج، فضرب به المنافق حتى برد أي مات، وقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، فنزلت هذه الآية، وقال جبريل: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق، وإنما دعا المنافق لكعب بن الأشرف لأنه يقبل الرشوة، والنبي لا يقبلها بل يحكم بالحق، وكان الحق إذ ذاك مع اليهودي.

قوله: ﴿يزعمون﴾ أي يقولون قولاً كذباً، لأن الزعم مطية الكذب. قوله: ﴿وما أنزل من قبلك﴾ أي وهو جميع الكتب السماوية. قوله: [الكثير الطغيان] وقيل إنه صنم يعبد من دون الله، وقيل اسم لكل من يعبد من دون الله صنماً أو غيره. قوله: ﴿بعيداً﴾ يحتمل أنه صفة كاشفة لأن الضلال هو البعد ويحتمل أنه صفة مخصصة، ويكون معنى بعده أنه لا يهتدي بعد ذلك أصلاً، وهذا هو مراد الشيطان، ويؤيده قول المفسر عن الحق. قوله: ﴿رأيت المنافقين﴾ رأى بصرية والمنافقين مفعول لها، وجملة يصدون حال. قوله: [يعرضون] أشار بذلك إلى أن الصد هنا بمعنى الإعراض

• أسباب نزول الآية ٦٠: قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا﴾ إلى قوله ﴿إلا إحساناً وتوفيقاً﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: كان الجلاس بن الصامت، ومتعب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشر يدعون الإسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومه كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ فدعوهم إلى الكهان حكام الجاهلية فأنزل الله فيهم ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فقال اليهودي أحاكمك إلى أهل دينك أو قال النبي لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرشوة في الحكم، فاختلفا واتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة، فنزلت.

﴿عَنكَ﴾: إلى غيرك ﴿صُدُوداً﴾ ٦١ ﴿فَكَيْفَ﴾: يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من الكفر والمعاصي أي يقدرون على الإعراض والفرار منها لا ﴿ثُمَّ جَاؤُوكَ﴾: معطوف على يصدون ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ﴾: ما ﴿أَرَدْنَا﴾: بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَاناً﴾: صلحاً ﴿وَتَوْفِيقاً﴾ ٦٢: تأليفاً بين الخصمين بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: بالصفح ﴿وَعِظْهُمْ﴾: خوفهم الله ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي﴾: شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ ٦٣: مؤثراً فيهم أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾: فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾: بأمره لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاؤُوكَ﴾: تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾: فيه التفات عن الخطاب تفخيماً لشأنه ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً﴾: عليهم ﴿رَّحِيماً﴾ ٦٤: بهم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾: لا زائدة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾: اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ

فهو لازم، لا بمعنى المنع فيكون متعدياً، فقوله: ﴿صدوداً﴾ مفعل مطلق لقوله: ﴿يصدون﴾. قوله: ﴿فكيف﴾ يصح أن تكون مفعولاً لمحذوف تقديره [يصنعون] كما قدره المفسر، ويصح أن تكون خبراً لمحذوف تقديره صنعهم.

قوله: ﴿إذا أصابتهم مصيبة﴾ أي عاجلة أو آجلة. قوله: [لا] هذا جواب الاستفهام. قوله: ﴿ثم جاؤك﴾ أي أهل المنافق، يعتذرون إليك ويسترون على أنفسهم النفاق، ويحتمل أنهم جاؤوا مطالبين بدمه مثبتين إسلامه، فلولا هذه الآية لربما اقتص من عمر لعدم البينة على كفر المنافق. قوله: [بالتقريب] أي التساهل في الحكم، كأن يعمل صلحاً، ويقسم المدعى به بين الخصمين. قوله: ﴿فأعرض عنهم﴾ أي ولا تقتلهم، وهذا قبل الأمر بإخراجهم وقتلهم، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول عذرهم. قوله: ﴿في﴾ [شأن] ﴿انفسهم﴾ أي في حقها وما انطوت عليه، ويحتمل أن المعنى خالياً بهم ليس معهم غيرهم. قوله: [ليرجعوا] أي لعله أن يترتب عن ذلك رجوعهم عما هم عليه. قوله: [بأمره] أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالأذن الإرادة، وإلا فيلزم عليه أن لا يتخلف عن طاعة أحد، لأن ما أراد الله وقوعه واقع، ولا بد مع أن الواقع خلافه، فدفع ذلك المفسر بقوله: [بأمره] لأنه لا يلزم من الإرادة الأمر ولا عكس. قوله: [بتحاكمهم] الباء سببية.

قوله: ﴿فاستغفروا الله﴾ أي بالتوبة والإخلاص. قوله: ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ أي سامحهم وعفا عنهم وطلب لهم المغفرة، لأنه تعلق بهم حقان: حق لله وحق لرسوله. قوله: [فيه التفات] أي وحقه واستغفرت لهم. قوله: [لا زائدة] أي لتأكيد القسم، وهو اختيار الزمخشري في الكشاف وهو الأحسن، ولذا اقتصر عليه المفسر. قوله: ﴿حتى يحكموك﴾ الخ هذه شروط ثلاثة لكمال الإيمان، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم

---

* أسباب نزول الآية ٦٥: قوله تعالى: ﴿فلا وربك﴾، أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة، فقال ﷺ: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجهه ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار، ثم أرسل الماء إلى جارك واستوعب للزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾.

وأخرج الطبراني في الكبير والحميدي في مسنده عن أم سلمة قالت: خاصم الزبير رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقضى للزبير فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته، فنزلت ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿فلا وربك﴾ الآية قال: أنزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء، فقضى النبي ﷺ أن يسقي الأعلى ثم الأسفل.

حَرَجاً﴾: ضيقاً أو شكاً ﴿مِمَّا قَضَيْتَ﴾: به ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾: ينقادوا لحكمِك ﴿تَسْلِيماً﴾ ٦٥: من غير معارضة ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾: مفسِّرة ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾: أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء ﴿مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: من طاعة الرسول ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ ٦٦: تحقيقاً لإيمانهم ﴿وَإِذاً﴾: أي لو ثبتوا ﴿لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا﴾: من عندنا ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾ ٦٧: هو الجنة ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ ٦٨: قال بعض الصحابة للنبي ﷺ:

بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ الآيات. قوله: [اختلط] أي أشكل والتبس.

قوله: [من غير معارضة] أي بأن ينقادوا للأحكام من غير توقف.

قوله: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ بيان لسوء حالهم، وأنهم لو شدد عليهم كما شدد على من قبلهم لم يفعل ذلك إلا ما قل منهم. قوله: [مفسرة] أي بمعنى أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه نظير: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ وانطلق الملأ منهم أن امشوا، ويحتمل أن تكون مصدرية، وعليه فيكون ﴿كتبنا﴾ بمعنى ألزمنا، التقدير ولو أنا ألزمناهم قتل أنفسهم. قوله: ﴿أن اقتلوا﴾ جمهور القراء على ضم النون والواو من أو أخرجوا، وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما، وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو، وأما ضم النون وكسر الواو فلم يقرأ به أحد. قوله: [على البدل] أي وهو المختار عند النحاة، قال ابن مالك: وبعد نفي أو كنفي انتخب. اتباع ما اتصل. قوله: [والنصب على الاستثناء] أي فهما قراءتان سبعيتان على حد سواء وإن كان الرفع أرجح عند النحاة من النصب، فالمنزه عنه القرآن كونه ليس على قواعد النحاة، وأما كون بعض القراءات له وجه قوي في العربية دون بعض فلا مانع منه.

قوله: ﴿لكان خيراً لهم﴾ اسم التفضيل ليس على بابه إذ ما هم عليه ليس بخير. قوله: [أي لو ثبتوا] ليس تفسيراً لإذاً بل إشارة إلى أن ﴿إذاً﴾ واقعة في جواب سؤال مقدر، وقوله: ﴿لآتيناهم﴾ جواب الشرط، وأصل الكلام فما جزاؤهم لو ثبتوا إذاً لآتيناهم الخ، فالحامل للمفسر على تقدير [لو ثبتوا] قوله بعد ﴿لآتيناهم﴾ والحامل لنا على تقدير السؤال قوله: ﴿إذاً﴾ وهي هنا ملغاة عن عمل النصب لفقد شرطها. قوله: ﴿صراطاً مستقيماً﴾ أي ديناً قيماً لا إعوجاج فيه، وهو دين الإسلام، فتحصل أنهم لو امتثلوا لأعطاهم الله خير الدنيا والآخرة. قوله: [وأنت في الدرجات العلى] أي التي ليس فوقها درجة، وهذا السؤال كما توجه من الصحابة، يتوجه أيضاً من الأنبياء، فإنه أعلى من جميع المخلوقات على الإطلاق حتى الأنبياء، قال البوصيري:

كيف ترقى رقيك الأنبياء … يا سماء ما طاولتها سماء

= وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه ردنا إلى عمر بن الخطاب فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال ردنا إلى عمر، فقال أكذاك؟ قال نعم فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه، فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله، فأنزل الله ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ الآية مرسل غريب في إسناده ابن لهيعة وله شاهد أخرجه رحيم في تفسيره من طريق عتبة بن ضمرة عن أبيه.

وأخرج ابن جرير عن السدي قال: لما نزلت ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ افتخر ثابت بن قيس بن شماس، ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا، فقال ثابت: والله لو كتب الله علينا اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا، فأنزل الله ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾.

كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلا ونحن أسفل منك فنزل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: فيما أمر به ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾: أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: القتلى في سبيل الله ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾: غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ٦٩: رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره ﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: تفضل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ ٧٠: بثواب الآخرة أي فثقوا بما أخبركم به ولا ينبئك مثل خبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾: من عدوكم أي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَٱنفِرُوا۟﴾: انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾: متفرقين سرية بعد أخرى ﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟

قوله: [فيما أمرا به] أي ونهيا عنه فالطاعة امتثال المأمورات واجتناب المنهيات قوله: ﴿من النبيين﴾ الخ، بيان للذين والمعنى أن من أطاع الله كان رفيقاً لمن ذكر، وليس ذلك بسفر ولا مشقة، بل يكشف له عمن ذكر ويحادثه مع كون كل في درجته لا يصعد هذا لهذا، ولا ينزل هذا لهذا، قال تعالى: ﴿إخوانا على سرر متقابلين﴾ فإذا تمنى الشخص مشاهدة النبي ومحادثته، حصل ذلك من غير مشقة ولا انتقال. قوله: [أفاضل أصحاب الأنبياء] أي فالصديقية تحت مرتبة النبوة. قوله: ﴿والصالحين﴾ أي القائمين بحقوق الله وحقوق عباده. قوله: [غير من ذكر] أتى به دفعاً للتكرار، لأن جميع من تقدم صالحون.

قوله: ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾ حسن كنعم تستعمل للمدح وفيها معنى التعجب، وأولئك فاعل، ورفيقاً تمييز، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره هؤلاء. قوله: [رفقاء] أشار بذلك إلى أن رفيقاً فعيل يستوي فيه الواحد وغيره، ويحتمل أنه أفرد نظراً لكل واحد مما ذكر. قوله: [والحضور معهم] أي مجالستهم حيثما أحب. قوله: [مبتدأ خبره] ﴿الفضل﴾ ويحتمل أن ﴿الفضل﴾ نعت لاسم الإشارة أو بدل، وقوله: ﴿من الله﴾ خبره. قوله: [لا أنهم نالوه بطاعتهم] أي نالوا ذلك الرفق بسبب طاعتهم، ففي الحقيقة دخول الجنة وارتقاء منازلها ومرافقة من ذكر بمحض فضل الله، وإلا فأي طاعة يستحق بها الإنسان شيئاً من ذلك. قوله: [أي فثقوا] أي اعتمدوا على ذلك الخبر ولا تشكوا. قوله: [ولا ينبئك مثل خبير] أي لا يخبرك بأحوال الجنة وغيرها، مثل خبير عالم ببواطن الأشياء كظواهرها الذي هو الله تعالى. قوله: ﴿حذركم﴾ هو والحذر بفتحتين مصدران بمعنى التحفظ والتيقظ وهو مبالغة، كأنه جعل حفظ النفس آلة تؤخذ، وبعضهم فسر الحذر بآلة الحرب، وعليه فلا مبالغة في قوله: ﴿خذوا﴾.

قوله: ﴿فانفروا﴾ فعله نفر ينفر من باب ضرب وقعد، مصدره النفر والنفور والنفير. قوله: ﴿ثبات﴾ جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة، والسرية الجماعة أقلها مائة وغايتها أربعمائة، والمنسر من أربعمائة إلى ثمانمائة، والجيش من ثمانمائة إلى أربعة الآف، والجحفل ما زاد على ذلك. قوله: [سرية بعد أخرى] أي جماعات

* أسباب نزول الآية ٦٩: قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله﴾ أخرج الطبراني وابن مردويه بسند لا بأس به عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد النبي ﷺ شيئاً حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ الآية..

وأخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: قال أصحاب محمد ﷺ: يا رسول الله، ما ينبغي لنا أن نفارقك فإنك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فأنزل الله ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ الآية. وأخرج عن عكرمة قال: أتى فتى النبي ﷺ، فقال يا نبي الله إن لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك، فإنك في الجنة في الدرجات العلى، فأنزل الله هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: أنت معي في الجنة إن شاء الله، وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن جبير ومسروق والربيع وقتادة والسدي.

﴿جَمِيعاً﴾[٧١]: مجتمعين ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾: ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾: كقتل وهزيمة ﴿قَالَ: قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾[٧٢]: حاضراً فأصاب ﴿وَلَئِنْ﴾: لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾: كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾: نادماً ﴿كَأَنْ﴾: مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَمْ يَكُنْ﴾: بالياء والتاء ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾: معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله: قد أنعم الله علي اعترض به بين القول ومقوله وهو: ﴿يَا﴾: للتنبيه ﴿لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[٧٣]: آخذ حظاً وافراً من الغنيمة قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾: لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ﴾: يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾: يظفر بعدوه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[٧٤]: ثواباً جزيلاً ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾: استفهام توبيخ أي لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ وَ﴾: في تخليص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾: الذين حبسهم الكفار عن

بعد جماعات، سرية أو غيرها. قوله: ﴿أو انفروا جميعاً﴾ هذا التخيير لولاة الأمور بحسب اجتهادهم. قوله: ﴿لمن﴾ اللام لام ابتداء دخلت على اسم إن لوقوع الخبر فاصلاً. وقوله: [ليتأخرن] أشار بذلك إلى أن بطأ لازم بمعنى قام به البطء وهو التأخر، ويصح أن يكون متعدياً، والمفعول محذوف أي غيره، فالمعنى يكسلن غيره عن القتال. قوله: [من حيث الظاهر] أي وإلا ففي نفس الأمر ليس منهم بل هو عدو لهم. قوله: [وهزيمة] أي لبعض الجيش، وإلا فمن قال إن رسول الله هزم، فقد كفر، وما وقع في أحد وهوازن كان لأطراف الجيش من حيث الغنيمة. قوله: [فأصاب] هو بالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية بعد الأمر.

قوله: ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ هذه الآية معنى قوله تعالى ﴿إن تصبكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء الأمر ظاهر، وعلى الياء فالمودة بمعنى الود. قوله: [وهذا راجع] أي قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، والمعنى حاله في الفرح بمصيبة المسلمين كحال من لم يكن بينكم وبينه مودة. قوله: [للتنبيه] أي لدخولها على الحرف، ويحتمل أنها للنداء، والمنادى محذوف أي يا هؤلاء. قوله: ﴿فأفوز﴾ منصوب بأن مضمرة في جواب النهي بعد فاء السببية. قوله: ﴿فليقاتل﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا ترك المنافقون القتال وتأخروا عنه فليقاتل الخ. قوله: [يبيعون] دفع بذلك ما يقال إن القاعدة دخول الباء في الشراء على المتروك، ولا يصح ذلك هنا لأنه يصير ذماً، فأجاب بأن الشراء بمعنى البيع نظير ﴿وشروه بثمن بخس﴾. قوله: ﴿ومن يقاتل﴾ الخ، من اسم شرط مبتدأ، ويقاتل فعل الشرط، وقوله: ﴿فيقتل أو يغلب﴾ معطوف على ﴿يقاتل﴾ عطف مسبب على سبب، وقوله: ﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه خبر المبتدأ.

قوله: ﴿وما لكم﴾ الخ، ما اسم استفهام مبتدأ، ولكم جار ومجرور خبره، وجملة ﴿لا تقاتلون﴾ في محل نصب على الحال، والمعنى أي شيء ثبت لكم حال كونكم غير مقاتلين، وهذا أحسن الأعاريب. قوله: ﴿و﴾ [في تخليص] ﴿المستضعفين﴾ أشار بذلك إلى أن قوله ﴿والمستضعفين﴾ معطوف على سبيل الله، لكن على حذف مضاف. وسبب نزولها أنه كان قبل الهجرة لم يشرع الجهاد، فلما هاجر عليه الصلاة والسلام أمر بالجهاد، فتكاسل بعض ضعفاء المؤمنين وجميع المنافقين، فنزلت الآية توبيخاً لهم على ترك القتال، لإعلاء كلمة الله وتخليص المستضعفين. قوله: ﴿والولدان﴾ قيل جمع وليد بمعنى ولد، وقيل جمع ولد أي الصغار. قوله: [الذين حبسهم الكفار] أي بمكة. قوله:

الهجرة وآذوهم قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: داعين يا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾: بالكفر ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾: من عندك ﴿وَلِيًّا﴾: يتولى أمورنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ٧٥: يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسّر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولي ﷺ عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ ٧٦: واهياً لا يقاوم كيد الله بالكافرين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾: عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾: يخافون ﴿ٱلنَّاسَ﴾: الكفار أي عذابهم بالقتل

[كنت أنا وأمي] أي وأخي الفضل. قوله: ﴿الذين﴾ صفة للمستضعفين و﴿يقولون﴾ صلة الذين. قوله: ﴿الظالم﴾ نعت القرية و﴿أهلها﴾ فاعل الظالم وذكر النعت وإن كان المنعوت مؤنثاً لأنه نعت سببي رفع اسماً ظاهراً، فذكر نظراً لذلك الاسم الظاهر. قوله: [إلى أن فتحت مكة] أي في السنة الثامنة من الهجرة. قوله: [عتاب بن أسيد] أي وكان عمره ثمانية عشر سنة، فكان ينصر المظلومين من الظالمين، ويأخذ للضعيف من القوي، والدعاء بهذه الآية مستجاب لمن وقع في بلدة كثر ظلم أهلها.

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ الخ المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال وترغيبهم فيه. قوله: ﴿في سبيل الله﴾ أي في مرضاته لإعلاء دينه. وقوله: ﴿في سبيل الطاغوت﴾ أي في مرضاته. قوله: [تغلبوهم] مجزوم في جواب الأمر. قوله: [لقوتكم] علة له. قوله: ﴿كان ضعيفاً﴾ أي بالنسبة إلى كيد الله تعالى، وأما عظم كيد النساء في آية يوسف، فبالنسبة إلى الرجال فضعف كيد الشيطان لمقابلته بكيد الله، وعظم كيد النساء لمقابلته بكيد الرجال، وإلا فأصل كيد النساء بالتقدير من الشيطان، وفي الحديث «النساء حبائل الشيطان». قوله: [واهياً] أي لا ضرر فيه أصلاً، ولذا خذل الشيطان أولياءه لما رأى الملائكة نزلت يوم بدر، وكان النصر لأولياء الله وحزبه.

قوله: ﴿ألم تر﴾ الاستفهام تعجبي، أي تعجب يا محمد من قومك كيف يكرهون القتال مع كونهم قبل ذلك كانوا طالبين له وراغبين فيه. قوله: [وهم جماعة من الصحابة] منهم عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وسعد بن أبي وقاص، وقدامة بن مظعون، وجماعة كانوا بمكة يتحملون أذى الكفار كثيراً، والله يأمرهم بالتحمل والكف عن القتال في نيف وسبعين آية، فكانوا يقولون لولا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فلما هاجر النبي ﷺ وأمر بالقتال كرهوا ذلك فنزلت الآية. وقوله: [بمكة] متعلق بـ [طلبوه] وليس ذلك نفاقاً منهم، وإنما كراهتهم ذلك، إما لغلبة الرأفة عليهم أو لمحبتهم المعيشة في طاعة الله، وإلا لذمهم الله على ذلك، ولما نزلت الآية، أقلعوا عما خطر ببالهم، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، وجاهدوا في الله حق جهاده.

قوله: ﴿إذا فريق﴾ قيل إذا ظرف مكان وقيل ظرف زمان وقيل حرف والأولى الأول، وعليه فإذا خبر مقدم، وفريق مبتدأ مؤخر، ومنهم صفة لفريق، وكذلك جملة ﴿يخشون﴾ ويصح أن تكون حالاً لوجود المسوغ، والتقدير ففي

---

* أسباب نزول الآية ٧٧: قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ الآية. أخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة قال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ الآية.

﴿كَخَشْيَةِ﴾ هم عذابَ ﴿اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ : من خشيتهم له ونصب أشدّ على الحال وجواب لمّا دلّ عليه إذا وما بعدها أي فاجأتهم الخشية ﴿وَقَالُوا﴾ : جزعاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾ : هلا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ : لهم ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ : ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾ : آيل إلى الفناء ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ : أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ : عقاب الله بترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ : بالتاء والياء تنقصون من أعمالكم ﴿فَتِيلًا﴾ ٧٧ : قدر قشرة النواة فجاهدوا ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ : حصون ﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ : مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ : أي اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ : خصب وسعة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ : جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ : يا محمد أي بشؤمك ﴿قُلْ﴾ : لهم ﴿كُلٌّ﴾ : من الحسنة والسيئة ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ : من قبله ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ : أي لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ ٧٨ : يلقى إليهم وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفي مقاربة الفعل أشدّ من نفيه ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ : أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ : خير ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ : أتتك فضلا منه ﴿وَمَا

الحضرة فريق كائن منهم خاشون أو خاشين. قوله: ﴿كخشية الله﴾ مفعول مطلق أي خشية كخشية الله. قوله: [أي عذابهم بالقتل] ويحتمل أن المراد بخشيتهم احترامهم القرابة. قوله: [ونصب أشد على الحال] أي من خشية الثاني، لأنه نعت نكرة تقدم عليها. قوله: [دل عليه إذا الخ] المناسب أن يقول وجواب لما إذا وما بعدها. قوله: [أي فاجأتهم الخشية] الأوضح أن يقول فاجأ كتب القتال عليهم الخشية، لأن الخشية لأن الخشية فاجأت كتب القتال لا ذواتهم.

قوله: [جزعاً من الموت] يحتمل أنهم قالوا ذلك لاعتقادهم أن القاتل يقطع المقتول أجله، فأعلمهم الله تعالى أن الأجل محتم، لا يزيد بالبعد عن القتال ولا ينقص به، وليس ذلك نقصاً فيهم. قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ وقال تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ ويحتمل أنهم قالوا ذلك بحسب الطبيعة البشرية، وليس عندهم اعتقاد ذلك. قوله: ﴿قل﴾ [لهم] أي ليزدادوا رغبة في دار البقاء، وزهداً في دار الفناء.

قوله: ﴿خير لمن اتقى﴾ أي لأنه لا كدر فيها ولا نصب، ولذلك حين دخولها يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. قوله: [بترك معصيته] أي كالشرك وغيره، ومعلوم أن كل من زادت تقواه، كان نعيمه في الآخرة أكبر. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً لهم، وعلى الياء يكون تحديثاً عنهم، والمعنى بلغهم يا محمد أنهم لا يظلمون فتيلاً. قوله: [قدر قشرة النواة] تقدم أنه غير مناسب، والمناسب تفسيره بالخيط الذي يكون في باطن نواة.

قوله: ﴿أين ما تكونوا﴾ هذا تسلية لهم أيضاً وأين اسم شرط جازم، وما صلة، وتكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو اسمها و﴿يدرككم﴾ جواب الشرط، و﴿الموت﴾ فاعله، والمعنى أن الموت يدرككم أينما تكونوا في أي زمان أو مكان متى حضر الأجل. قوله: ﴿في بروج﴾ جمع برج وهو القلعة والحصن. قوله: [مرتفعة] أي عالية البناء، أو المعنى مطلية بالشيد أي الجص. قوله: [أي اليهود] أي والمنافقين. قوله: [عند قدوم النبي المدينة] أي حيث دعاهم إلى الإيمان فكفروا فحصل لهم الجدب، فقالوا هذا شؤمه، والشؤم ضد اليمن والبركة. قوله: ﴿من عند الله﴾ أي خلقاً وإيجاداً.

قوله: ﴿فمال هؤلاء القوم﴾ الخ، أي أي شيء ثبت لهؤلاء لا يقربون من فهم الحديث والموعظة. قوله: [وما استفهام تعجيب] أي وتوبيخ. قوله: [أيها الأنسان] أي فهو خطاب عام لكل أحد وقيل الخطاب للنبي والمراد به غيره.

أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: بلية ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾: أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾: يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾: حال مؤكدة ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ ٧٩: على رسالتك ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن طاعته فلا يهمنك ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ ٨٠: حافظاً لأعمالهم بل نذيراً وإلينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي المنافقون إذا جاؤوك أمرنا ﴿طَاعَةٌ﴾: لك ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾: خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: بإدغام التاء في الطائفة وتركه أي أضمرت ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾: لك في حضورك من الطاعة أي عصيانك ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾: يأمر بكتب ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾: في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: بالصفح ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ثق به فإنه كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ ٨١: مفوضاً إليه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾: يتأملون ﴿الْقُرْآنَ﴾: وما فيه من المعاني البديعة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ ٨٢: تناقضاً

قوله: ﴿فمن نفسك﴾ أي من شؤمك وسوء كسبك فنسبة ذلك إلى النفس مجاز، باعتبار سوء الكسب والشؤم من اسناد الشيء لسببه، وبهذا اندفع التنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿قل كل من عند الله﴾ فنسبة الأشياء جميعها إلى الله من حيث الإيجاد، ونسبة الشر إلى العبد، فباعتبار أن سوء كسبه متسبب في ذلك، عن عائشة رضي الله عنها قالت «ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب، ولا الشوكة يشاكها، وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر» وأما حديث «أشدكم بلاء الأنبياء الخ» فمعناه أن الله امتحنهم بالبلايا، والقى عليهم الصبر والمحبة، فشاهدوا إعطاء الله في تلك البلايا، فصارت البلايا عطايا، فتحصل أن البلاء إما أن يكون من شؤم الذنب، وذلك للعصاة الذين لم يتلقوه بالرضا والتسليم، وإما أن يكون إختباراً أو امتحاناً، وذلك للأنبياء والصالحين ليرقيهم به أعلى الدرجات، ولذلك قال العارف الجيلي:

تلذ لي الآلام مذ أنت مسقمي ... وإن تمتحني فهي عندي صنائع

قوله: ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ والمعنى حيث ثبتت رسالته بشهادة الله، اتضح من ذلك أن من أطاعه فقد أطاع الله. قوله: [فلا يهمنك] بضم الياء من أهم، أو بفتحها من هم، ومعناه لا يحزنك إعراضهم وقدره المفسر إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فما أرسلناك﴾ الخ علة للجواب المحذوف. قوله: [بل نذيراً] اقتصر عليه لأنه في سياق من أعرض، ولا يناسبه إلا الانذار، وإلا فرسول الله بعث بشيراً ونذيراً. قوله: [أمرنا] ﴿طاعة﴾ أشار بذلك إلى أن طاعة خبر مبتدإ محذوف واجب الحذف، لأن الخبر مصدر بدل من لفظ الفعل، فهو نائب عن أطعنا، ويصح أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أي منا طاعة. قوله: [بإدغام التاء في الطاء] أي بعد قلبها طاء. وقوله: [وتركه] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي أضمرت] المعنى أظهرت ما أضمرته! وإلا فالإضمار كان واقعاً منهم قبل الخروج من عند النبي ﷺ. قوله: [من الطاعة] بيان الذي تقول. قوله: [إلى عصيانك] تفسير لقوله: ﴿غير الذي تقول﴾. قوله: [ليجازوا عليه] أي في العاجل والآجل.

قوله: ﴿فأعرض عنهم﴾ أي لا تقتلهم ولا تفضحهم، وهذا قبل الأمر بقتالهم وإخراجهم. قوله: [ثق به] أي اعتمد عليه. قوله: ﴿أفلا يتدبرون﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره أيعرضون عنك فلا يتدبرون، وهو استقباح لحالهم وتشنيع عليهم، والتدبر في الأصل النظر في عواقب الأمور، لتقع على الوجه الأكمل، والمراد هنا مطلق التأمل والتفكر.

في معانيه وتبايناً في نظمه ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾: عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿مِنَ الْأَمْنِ﴾: بالنصر ﴿أَوِ الْخَوْفِ﴾: بالهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أفشوه نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: أي الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾: أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾: هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا، ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾: يتتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾: من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾: لكم بالقرآن ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾: فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾[٨٣] ﴿فَقَاتِلْ﴾:

قوله: [تناقضا في معانيه] أي بأن يكون بعض أخباره غير مطابق لبعض. قوله: [وتباينه في نظمه] أي بأن يكون بعضه فصيحاً بليغاً، وبعضه ليس كذلك، فلما كان جميعه على منوال واحد، ليس بعضه مناقضاً لبعض، بل أخباره كلها متوافقة، وهو فصيح بليغ ليس فيه ما ينافي ذلك ثبت أنه من عند الله لأن هذا الأمر لا يقدر عليه غيره، ولو ثبت فرضاً أنه من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً في المعنى أو اللفظ، إن قلت إن قوله كثيراً ربما يوهم أن فيه اختلافاً قليلاً، أجيب: أن التقييد بالكثرة للمبالغة، والمعنى أن القرآن ليس فيه اختلاف أصلاً، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فضلاً عن القليل فهو من عند الله، فلم يكن فيه اختلاف أصلاً لا كثير ولا قليل.

قوله: ﴿وإذا جاءهم أمر﴾ الخ، سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يبعث البعوث والسرايا، فإذا غلبوا الكفار أو غلبوهم بادر المنافقون للاستخبار عن حالهم، ثم يتحدثون بذلك ويشيعونه قبل أن يسمعوه من رسول الله ﷺ أو كبار أصحابه، وقصدهم بذلك افتتان ضعفاء المؤمنين.

قوله: ﴿من الأمن﴾ الخ، بيان للأمر. قوله: [من المنافقين] أي وقصدهم بذلك فتنة الضعفاء. قوله: [أو ضعفاء المؤمنين] أي جهلاً منهم بذلك وهما قولان والراجح الأول. قوله: [فتضعف قلوب المؤمنين] هذا ظاهر بالنسبة للهزيمة، وأما إشاعة النصر فالضعف فيه من حيث أن هذا الخبر بما وصل الكفار فيتجهزون ويعيدون الحرب ثانياً، ففيه فتنة للضعفاء على كل حال. قوله: [من أكابر الصحابة] أي كأبي بكر وعمر ونظائرهما. قوله: [حتى يخبروا به] بالبناء للمفعول، أي حتى يخبرهم النبي به. قوله: [هل هو مما ينبغي الخ] أي لعلموا صفته وكيفيته، وإلا فهم عالمون به قبل ذلك. قوله: [وهم المذيعون] أي المنافقون أو ضعفاء المؤمنين، وهو تفسير للذين يستنبطونه، وهو إظهار في محل الاضمار أي لعلموه. وقوله: ﴿منهم﴾ من ابتدائية، والجار والمجرور متعلق بيستنبطون، والمعنى يتلقونه من جهة الرسول أو كبار الصحابة. قوله: [بالإسلام] أي بسبب إرسال محمد ﷺ.

قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ اعلم أن في هذا الاستثناء ستة أوجه: أحدها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم، والمعنى لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم فإنه لم يتبعه، كقس بن ساعدة وعمرو بن نفيل وورقة بن نوفل ممن كان على دين عيسى قبل بعثة محمد، والمراد بالفضل والرحمة المنتفيين على هذا بعثة محمد والقرآن. ثانيها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم أيضاً، لكنه واقع على من لم يبلغ التكليف، ويكون الاستثناء منقطعاً. ثالثها أنه مستثنى من فاعل أذاعوا، والمعنى أظهر وأخبر الأمن أو الخوف إلا قليلاً فلم يظهروا. رابعها أنه مستثنى من فاعل علمه، أي علمه الذين يستنبطونه إلا قليلاً فلم يعلموا.

* أسباب نزول الآية ٨٣: قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم﴾ الآية. روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخل المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى رسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ فكنت أنا استنبط ذلك الأمر.

يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾: فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾: حرب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾: منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ ٨٤: تعذيباً منهم فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي» فخرج بسبعين راكباً إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم ومنع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل عمران ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾: بين الناس ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾: موافقة للشرع ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾: من الأجر ﴿مِنْهَا﴾:

خامسها أنه مستثنى من فاعل وجدوا أي إلا قليلاً، فلم يجدوا فيه اختلافاً كثيراً لبلادتهم وعدم معرفتهم. سادسها أن قوله لاتبعتم خطاب لجميع الناس عموماً، والمراد بالقليل أمة محمد ﷺ، وأحسن هذه الأوجه أولها، وهو المأخوذ من سياق المفسر، وأبعدها الأخير تأمل.

قوله: ﴿فقاتل في سبيل الله﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا تكاسلوا عن القتال فقاتل الخ، فإنك منصور على كل حال، ولو اجتمعت عليك أهل الأرض جميعاً. قوله: ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ هذه الجملة حال من فاعل قاتل، والمعنى قاتل في سبيل الله ولا تنظر لكسلهم حال كونك غير مكلف إلا نفسك، فلا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم عن القتال، وقد كان رسول الله ﷺ في شدة الحرب لا يتغير وجهه أبداً، بل كان يتبسم إذ ذاك ولا يكترث بملاقاة الأعداء، قال البوصيري:

مُسْفِرٌ يلتقي الكتيبة بسّا ... ما إذا أسهم الوجوه اللقاء

قوله: [المعنى قاتل ولو وحدك] أي فكان من خصائصه ﷺ أنه إذا هم بالحرب لا يرجع حتى يحكم الله بينه وبين عدوه. قوله: ﴿وحرض المؤمنين﴾ أي بالآيات الواردة في فضل الجهاد، فإن تخلفوا بعد ذلك فلا يضرونك، وإنما وبالهم على أنفسهم. قوله: ﴿عسى الله﴾ الخ هذا وعد من الله بكفهم، وهو وإن ورد بصيغة الترجي، فهو في المعنى محقق لتعلق قدرته وإرادته بذلك، ويستحيل تخلف ما تعلقا به لأنه يصير عاجزاً، فلا فرق في تحقق وعد الله بين أن يرد بصيغة الترجي أو غيره. قوله: ﴿والله أشد بأساً﴾ أي قوة وسطوة. قوله: ﴿تنكيلاً﴾ من النكل، وهو في الأصل القيد ثم أطلق على العذاب. قوله: [والذي نفسي بيده] إنما أقسم بذلك لأنه دائماً في حضرة ربه. قوله: [بيده] أي قدرته، وكان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يحلف بذلك. قوله: [فخرج بسبعين راكباً] أي في السنة الرابعة لأن أحداً كانت في الثالثة، فلما انصرف منها أبو سفيان نادى بأعلى صوته يا محمد موعدك العام القابل في بدر، فقال عليه الصلاة والسلام: إن شاء الله تعالى، فلما جاء العام القابل طلب المؤمنين للخروج، فتقاعد المنافقون وتبعهم بعض ضعفاء المؤمنين بسبب تثبيط نعيم بن مسعود الأشجعي لهم، قال تعالى حكاية عنه: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم الآيات﴾ وقوله: [بسبعين راكباً] تبع في ذلك بعض النسخ وهو ضعيف، والراجح أنه خرج معه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان، فألقى الله في قلوب الأعداء الرعب، ولم ينتقلوا من محل يسمى الآن بوادي فاطمة فاجتمعت قبائل العرب من كل جهة لإقامة السوق في بدر، فصارت الصحابة يتجرون إلى أن ربحوا ربحاً عظيماً، فمكثوا في بدر ثمانية أيام، فلم تأت الكفار ولم يحصل بينهم حرب أصلاً، قال تعالى: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ وتقدم بسط القصة في آل عمران.

قوله: [ومنع أبي سفيان] معطوف على الفاء فهو مصدر.

قوله: ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ هذه الجملة أفادت أن تحريض النبي للمؤمنين على القتال شفاعة حسنة، فله

بسببها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾: مخالفة له ﴿يَكُن لَّهُ كِفْلٌ﴾: نصيب من الوزر ﴿مِّنْهَا﴾: بسببها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ ٨٥: مقتدراً فيجازي كل أحد بما عمله ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾: كأن قيل لكم سلام عليكم ﴿فَحَيُّوا﴾: المحيّي ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾: بأن تقولوا له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾: بأن تقولوا له

حظ وافر في نظير ذلك، والشفاعة هي سؤال الخير للغير، ويندرج في ذلك الدعاء للمسلم بظهر الغيب، فقد ورد «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك» وفي الحديث أيضاً «ادعوني بألسنة لم تعصيتموني بها» قال العلماء هو الدعاء للغير. قوله: ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ إنما أطلق عليها شفاعة مشاكلة، لأن حقيقة الشفاعة لا تكون إلا في الخير، قال بعضهم هي النميمة، وهي نقل الكلام لإيقاع العداوة بين الناس، وقيل هي السعي بالفساد مطلقاً. قوله: [نصيب] أشار بذلك إلى أن الكفل مرادف للنصيب وإنما غاير تفنناً. قوله: ﴿مقيتا﴾ هو في الأصل معناه الموصل لكل أحد قوته، ومعلوم أن هذا لا يكون إلا من المقتدر أطلق وأريد منه المقتدر بمعنى القادر الذي لا يعجزه شيء. قوله: [بما عمله] أي من خير أو شر.

قوله: ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ هذا من جملة أفراد الشفاعة الحسنة، وفيه تعليم محاسن الأخلاق، وهو أنه ينبغي للانسان أن يجازي على المعروف بأحسن منه أو بمثله، والتحية في الأصل الدعاء بطول الحياة، وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضاً يقول له حياك الله، ثم استعملت في الإسلام وإنما اختير لفظ السلام على لفظها الأصلي لأنه أتم وأنفع، لأن السلام معناه السلامة من الآفات الدنيوية والأخروية، ورحمة الله إنعامه وإحسانه وبركاته تحفظه من الزوال، وأما طول الحياة فلا يلزم منه السلامة من الآفات، بل قد يكون طول الحياة مذموماً كما إذا كان في المعاصي، فكان السلام بهذا المعنى أتم وأكمل، وأصل تحية تحيية كتزكية، نقلت حركة الياء الأولى إلى ما قبلها ثم أدغمت فيما بعدها. قوله: [كأن قيل لكم سلام عليكم] أي بهذا اللفظ وما شابهه، كالسلام عليكم، أو سلامي عليكم، أو سلام الله عليكم والأولى أن يأتي بميم الجمع، ولو كان المسلم عليه واحداً أو مثنى أو جمع نسوة نظراً للملائكة المصاحبين للمسلم عليه، فإذا سلم بغير هذا اللفظ كأمان الله عليكم أو غير ذلك، فلا يجب عليه الرد، ومن المطلوب المصافحة، لما ورد أنها تذهب الغل من القلوب، وأما تقبيل اليد فهو مكروه إلا لمن ترجى بركته كشيخ أو والد، وأما المعانقة فمكروهة إلا لشوق، كقدوم من سفر ونحوه، واعلم أن ابتداء السلام سنة، ورده فرض كفاية، ولكن الابتداء أفضل من الرد، لما ورد «أن للبادىء تسعين حسنة، وللراد عشرة» ومثله الوضوء قبل الوقت فإنه مندوب، لكنه أفضل من الوضوء بعده الواجب، وإبراء المعسر مندوب، وهو أفضل من انظاره الواجب. وجمع ذلك بعضهم في قوله:

الفرض أفضل من تطوع عابد ... حتى ولو قد جاء منه بأكثر

إلا التطهر قبل وقت وابتدا ... ء للسلام كذاك إبرا المعسر

وقد تقدم في آخر البقرة. قوله: ﴿فحيوا﴾ أصله حييوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة فالتقى ساكنان الياء والواو، فحذفت الياء وضم ما قبل الواو. قوله: [بأن تقولوا عليك السلام ورحمة الله وبركاته] أي فإذا اقتصر البادىء على السلام وزاد الراد الرحمة والبركة، روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال الرجل: نقصتني الفضل على سلامي، فأين ما قاله الله؟ فقال ﷺ: لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله، ولا يزاد على البركة شيء لا من البادىء ولا

كما قال أي الواجب أحدهما والأول أفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٨٦]: محاسباً فيجازي عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير ويقال للكافر وعليك ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: والله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: من قبوركم ﴿إِلَىٰ﴾: في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[٨٧]: قولا. ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم فقال فريق اقتلهم وقال فريق: لا. فنزل ﴿فَمَا لَكُمْ﴾: أي ما شأنكم صرتم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾

من الراد، لما ورد أن رجلاً سلم على ابن عباس فقال له السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئاً، فقال ابن عباس إن السلام انتهى إلى البركة.

قوله: ﴿أو ردوها﴾ أي ردوا مثلها على حذ واسأل القرية لأن رد عينها محال. قوله: [والمبتدع] أي صاحب البدعة التي تخالف الشرع. قوله: [والفاسق] أي بالجارحة المتجاهر. قوله: [على قاضي الحاجة] أي ومن في حكمه كمن في محل مستقذر، أو في حال الاستنجاء. قوله: [ومن في الحمام] أي في محل الحرارة لا خارجه في محل نزع الثياب. قوله: [والآكل] أي بالفعل بأن كان فمه مشغولاً بالمضغ لا وقت خلوه منه فيجب الرد. قوله: [بل يكره في غير الأخير] أي الآكل بالفعل. قوله: [ويقال للكافر وعليك] أي لأنه يقول في سلامه السام عليك، والسام الموت، فيرد عليه بقوله وعليك، ومحل ذلك مما لم يتحقق منه النطق بالسلام بلفظه وإلا فيرد.

قوله: ﴿الله﴾ مبتدأ، ﴿ولا إله إلا هو﴾ خبر أول، ﴿وليجمعنكم﴾ خبر ثان، ورد بالخبر الأول على منكري التوحيد، وبالثاني على منكري البعث. قوله: [والله] أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿ليجمعنكم﴾ موطئة لقسم محذوف. قوله: ﴿ليجمعنكم﴾ أي يحشركم بعد تفرقكم، قال تعالى: ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾. قوله: ﴿إلى﴾ [في] أشار بذلك إلى أن ﴿إلى﴾ مضمنة معنى [في] ويصح بقاؤها على أصلها، ويضمن الفعل معنى يحشر، وهو الأقرب، لأن التجوز في الفعل أكثر من التجوز في الحرف. قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا تردد ولا تحير في ذلك اليوم. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿حديثا﴾ تمييز. قوله: [ولما رجع ناس] هذا إشارة لسبب نزول الآية، والمراد بالناس عبد الله بن أبي وأصحابه الثلاثمائة وكانوا منافقين. قوله: [اختلف الناس] أي الصحابة، وقوله: [اقتلهم] أي للأمارة الدالة على كفرهم، وقوله: [وقال فريق لا] أي لنطقهم بالشهادتين، واللوم في الحقيقة راجع على الفريق الثاني القائل لا تقتلهم.

قوله: ﴿فما لكم في المنافقين﴾ ما مبتدأ ولكم جار ومجرور خبر، وفي المنافقين متعلق بما تعلق به الخبر، أو

---

* أسباب نزول الآية ٨٨: قوله تعالى: ﴿فما لكم في المنافقين﴾ الآية، روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم، وفرقة تقول لا فأنزل الله ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾. وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن سعد بن معاذ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: من لي بمن يؤذيني، ويجمع في بيته من يؤذيني، فقال سعد بن معاذ: إن كان من الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك، فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة رسول الله ﷺ، ولقد عرفت ما هو منك، فقام أسيد بن حضير فقال: إنك يا ابن عبادة منافق وتحب المنافقين، فقام محمد بن مسلمة فقال: أسكتوا يا أيها الناس فإن فينا رسول الله ﷺ وهو يأمرنا فننفذ أمره، فأنزل الله ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ الآية.
وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف أن قوماً من العرب أتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء المدينة وحماها فاركسوا، خرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من الصحابة، فقالوا لهم: ما لكم رجعتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة، فقالوا أما لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فقال بعضهم: نافقوا وقال بعضهم: لم ينافقوا، فأنزل الله ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ الآية. في إسناده تدليس وانقطاع.

﴿فِئَتَيْنِ﴾ : فرقتين ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ : ردهم ﴿بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ : من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ﴾ه ﴿ٱللَّهُ﴾ : أي تعدوهم من جملة المهتدين والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ه ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾٨٨ : طريقاً إلى الهدى ﴿وَدُّوا۟﴾ : تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ﴾ : أنتم وهم ﴿سَوَآءً﴾ : في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ : توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ : هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ : وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ : بالأسر ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ : توالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾٨٩ : تنصرون به على عدوكم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ : يلجؤون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ

متعلق بمحذوف حال من فئتين لأنه نعت نكرة تقدم عليها، أو متعلق بفئتين لتأوله بمشتق أي مفترقين، وقوله: ﴿فئتين﴾ خبر لصار المحذوفة كما قدره المفسر. قوله: ﴿والله أركسهم﴾ الركس في الأصل النكس، وهو قلب الشيء على رأسه، فمعناه على هذا ردهم من حالة العلو وهو عز الإسلام، إلى السفل وهو ذل الكفر بالسبي والقتل. قوله: [ردهم] أي عن القتال ومنعهم منه، ولم يجر على أيديهم خير بسبب كسبهم، كما في الحديث «إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه» وفي نسخة بددهم أي فرق شملهم وجمعهم. قوله: [من الكفر الخ] بيان لما كسبوا، وقوله [والمعاصي] عطف عام على خاص. قوله: [للانكار] أي مع التوبيخ، والمعنى لا تفترقوا في قتلهم، أو لا تجعلوهم من المهتدين، ولا تعدوهم منهم، وهذا إشارة لليأس من هداهم، فلم يهتدوا بعد ذلك أبداً. قوله: ﴿كما كفروا﴾ نعت لمحذوف، والتقدير ودوا لو تكفرون كفراً مثل كفرهم. قوله: ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ مفرع على قوله: ﴿ودوا لو تكفرون﴾ والجمع باعتبار الأفراد.

قوله: ﴿حتى يهاجروا﴾ غاية في عدم اتخاذ الأولياء منهم، والمعنى امتنعوا من اتخاذ الأولياء منهم إلى أن تقع منهم الهجرة، بمعنى الجهاد في سبيل الله مخلصين له الدين، واعلم أن الهجرة ثلاثة أقسام: هجرة للمؤمنين في أول الإسلام وهي قوله تعالى للفقراء المهاجرين، وهجرة المنافقين وهي خروجهم للقتال مع رسول الله صابرين محتسبين لا لأغراض الدنيا وهي المرادة هنا، وهجرة عن جميع المعاصي وهي التي قال فيها عليه الصلاة والسلام: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه». قوله: ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عما أمرتهم به، وقوله: [وأقاموا على ما هم عليه] دفع به ما يتوهم من قوله: ﴿تولوا﴾ أنه كان حصل منهم إقبال ثم أعرضوا، فأجاب بأن المراد أقاموا وداموا على ما هم عليه. قوله: ﴿حيث وجدتموهم﴾ أي في حل أو حرم لأنهم من جملة الكفار، فيفعل بهم ما فعل بسائر الكفار.

قوله: ﴿إلا الذين يصلون﴾ هذا استثناء من الأخذ والقتل فقط، ولا يرجع للموالاة فإنها لا تجوز مطلقاً. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٩٠: قوله تعالى: ﴿إلا الذين يصلون﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد الى قومي بني مدلج فأتيته فقلت: أنشدك النعمة، بلغني أنك تريد أن تبعث الى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فان أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وان لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد، فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ وان أسلمت قريش أسلموا معهم، وأنزل الله ﴿الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت ﴿الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك المدلجي، وفي بني جذيمة بن عامر بن عبد مناف. وأخرج أيضاً عن مجاهد أنها نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصده ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه.

﴿وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: عهد بالأمان لهم ولِمَنْ وَصل إليهم كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عُوَيْمِر الأسلمي ﴿أَوْ﴾: الذين ﴿جَاؤُوكُمْ﴾: وقد ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ﴾: عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾: مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾: معكم أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾: تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾: بأن يقوّي قلوبهم: ولكنه لم يشأه فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾: الصلح أي انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ٩٠: طريقاً بالأخذ والقتل ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾: بإظهار الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾: بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان ﴿كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾: دعوا إلى الشرك ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾: وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾: بترك قتالكم ﴿وَ﴾: لم ﴿يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ﴾: لم ﴿يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾: عنكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾: بالأسر ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم ﴿وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ٩١: برهاناً بيناً ظاهراً على قتلهم وسبيهم لغدرهم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾: أي ما ينبغي أن يصدر

﴿إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ أي وهم الأسلميون، فكان رسول الله ﷺ وقت خروجه إلى مكة، قد وقع بينه وبين هلال بن عويمر الأسلمي عهد، أن لا يعين على النبي ولا يعينه، وعلى أن من لجأ إليه لا يتعرض له، وكذلك بنو بكر بن زيد وخزاعة.

قوله: ﴿أو جاؤوكم﴾ معطوف على ﴿يصلون﴾ كما قدر الموصول المفسر، فالمستثنى فريقان: فريق التجؤوا للمعاهدين، وفريق ترك قتالنا مع قومه، وقتال قومه معنا. قوله: ﴿وقد حصرت صدورهم﴾ أي وهم بنو مدلج جاؤوا لرسول الله غير مقاتلين. قوله: [وهذا] أي قوله: ﴿إلا الذين يصلون﴾ وقوله: ﴿أو جاؤوكم﴾ وقوله: [وما بعده] أي وهو قوله: ﴿فإن اعتزلوكم﴾ الخ، قوله: [منسوخ بآية السيف] أي التي نزلت في براءة وهي قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآيات فصار بعد نزول آية السيف لا يقبل منهم عهد أبداً، إلى أن انتشر الإسلام، فخصصت آية السيف بالجزية والعهود. قوله: ﴿ولو شاء الله﴾ الخ، هذا تسلية للمؤمنين وتذكير لنعم الله عليهم. قوله: ﴿لسلطهم﴾ هذا تمهيد لجواب ﴿لو﴾ وجوابها. قوله: ﴿فلقاتلوكم﴾ قوله: [ولكنه لم يشأه الخ] أشار بهذا الإستدراك إلى تتميم القياس، لأنه ذكر المقدم بقوله: ﴿ولو شاء الله﴾ والتالي بقوله: ﴿لسلطهم عليكم﴾ فذكر المفسر نقيض المقدم بقوله لكن، والنتيجة بقوله: [فألقى في قلوبهم الرعب].

قوله: ﴿فإن اعتزلوكم﴾ أي بوجه من الوجوه المتقدمة، وهي التجاؤهم إلى من بيننا وبينه عهد، أو تركهم القتال معنا ومع قومهم. قوله: [أي انقادوا] للصلح والأمان ورضوا به. قوله: ﴿آخرين﴾ أي قوماً آخرين من المنافقين، وسيأتي أنهم أسد وغطفان، كانوا حول المدينة فأسلموا ظاهراً ليأمنوا من القتل والأسر، وكانوا إذا خلوا بالكفار يقولون آمنا بالقرد والعقرب والخنفساء، وإذا لقوا النبي وأصحابه يقولون إنا على دينكم ليأمنوا من الفريقين. قوله: [وقعوا أشد وقوع] أي رجعوا إلى الشرك أعظم رجوع. قوله: [لغدرهم] أي خيانتهم.

قوله: ﴿وما كان لمؤمن﴾ أي لا يسوغ ولا يصلح لمتصف بالإيمان أن يقتل أخاه في الإيمان، والمعنى يبعد كل

● أسباب نزول الآية ٩٢: قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: كان الحارث بن يزيد من بني عامر بن لؤي يعذب عياش بن أبي ربيعة مع أبي جهل ثم خرج الحارث مهاجراً الى النبي ﷺ فلقيه عياش بالحرة فعلاه بالسيف وهو يحسب أنه كافر، ثم

منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَأً﴾: مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾: بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً ﴿فَتَحْرِيرُ﴾: عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾: نسمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾: عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾: مؤداة ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: أي ورثة المقتول ﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾: يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها وبينت السنة أنها مائة من الإبل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته إلا الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغني منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن

البعد، لأن شأن الإيمان الرأفة والرحمة بالاخوان، قال تعالى مدحاً في أصحاب رسول الله ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾. قوله: ﴿إلا خطأ﴾ الاستثناء منقطع لأن ما قبله محمول على العمد، والمعنى لكن قد يقع خطأ، ويصح أن يكون متصلاً، والمعنى لا ينبغي أن يقع القتل من المؤمن للمؤمن في حال من الأحوال إلا في حالة الخطأ. قوله: [مخطئاً] أشار بذلك إلى أن خطأ حال، إلا أنه مؤول باسم الفاعل. قوله: [من غير قصد] أي للضرب من أصله، أو ضرب من يجوز له ضربه فصادف غيره.

قوله: ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ﴾ الخ، حاصل ما ذكره في الخطأ ثلاثة أقسام لأن المقتول إما مؤمن وورثته مسلمون، أو مؤمن وورثته حربيون، أو معاهد، فالأول فيه الدية والكفارة وكذا الثالث، وأما الثاني ففيه الكفارة فقط، ومن إما اسم موصول مبتدأ وقتل صلتها، وقوله: ﴿فتحرير﴾ خبره وقرن بالفاء لشبهة بالشرط، وإما اسم شرط وقتل فعله، وقوله فتحرير جوابه والجملة خبره من حيث كونه مبتدأ. قوله: [عليه] أشار بذلك إلى أن قوله فتحرير مبتدأ خبره محذوف، ويصح أن يكون خبر المحذوف، والتقدير فالواجب عليه تحرير الخ، أو فاعل بفعل محذوف أي فيجب عليه تحرير.

قوله: ﴿ودية﴾ معطوف على تحرير، والدية: في الأصل مصدر أطلقت على المال المأخوذ في نظير القتل، وهو المراد هنا، ولذا وصفها بمسلمة، وأصلها ودي حذفت الواو وعوض عنها تاء التأنيث. قوله: ﴿إلا أن يصدقوا﴾ أصله يتصدقوا قلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد وهو حال من أهله، والمعنى إلا متصدقين. قوله: [بأن يعفو] أي أهله وسمي العفو عنها صدقة تنبيهاً على فضله، لأن كل معروف صدقة. قوله: [أنها مائة من الإبل] هذا مخصوص بأهل الإبل، وأما على أهل الذهب فألف دينار، وعلى أهل الورق اثنا عشر ألف درهم. قوله: [بنت مخاض] أي وهي ما أوفت سنة ودخلت في الثانية. قوله: [وكذا بنات لبون] أي وابن اللبون ما أوفى سنتين ودخل في الثالثة. قوله: [وحقاق] الحقة ما أوفت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة، وقوله: [وجذاع] الجذعة ما أوفت أربع سنين ودخلت في الخامسة. قوله: [وأنها على عاقلة القاتل] أي وهو إن كان غنياً كواحد منهم عند مالك، وعند الشافعي ليس عليه شيء منها، وهذه دية الخطأ، وأما دية العمد فمغلظة من أربعة أنواع: بإسقاط ابن اللبون من كل نوع خمس وعشرون عند مالك، إلا إذا قتل الأب ابنه عمداً غير قاصد ازهاق روحه بأن لم يذبحه، فعليه ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة، والخلفة: الناقة الحامل، والتغليظ عند الشافعي يكون بتلك الأنواع الثلاثة لا غير. قوله: [إلا الأصل والفرع] هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فلا فرق بين الأصل والفرع وغيرهما، في أن كلاً منهما يدفع كغيره. قوله: [على الغني منهم نصف دينار] يؤخذ منه أن العاقلة غير محدودة بعدد، وهو مذهب الشافعي، وعند مالك تفرض الدية على

جاء النبي ﷺ فأخبره، فنزلت ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً الا خطأ﴾ الآية، وأخرج نحوه عن مجاهد والسدي، وأخرج ابن اسحاق وأبو يعلى والحارث بن أبي أسامة وأبو مسلم الكجي عن القاسم بن محمد نحوه، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ونحوه.

تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِنْ كَانَ﴾: المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾: حرب ﴿لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم ﴿وَإِنْ كَانَ﴾: المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: عهد كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾: له ﴿مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾: وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً وثلثا عشرها إن كان مجوسياً ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: على قاتله ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾: عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾: مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ ٩٢: فيما دبره لهم ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾: بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾: أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ٩٣: في النار وهذا مؤول بمن يستحله أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي ولا بدع في

ما زاد على الألف من أقاربه، وقيل على سبعمائة. قوله: ﴿فإن كان من قوم عدو لكم﴾ أي بأن جاء من بلاد الكفر واسلم عندنا ثم قتل خطأ. قوله: [حرب] بكسر الحاء أي محارب. قوله: ﴿فإن كان من قوم﴾ الخ أي بأن كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً. قوله: [وهي ثلث دية المؤمن] هذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم، كأنثى الحر المسلم. قوله: [وثلثا عشرها إن كان مجوسياً] هذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأنثاه على النصف منه. قوله: [الرقبة] قدره إشارة إلى أن مفعول يجد محذوف. قوله: ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ يقال فيه من الإعراب ما قيل في ﴿فتحرير رقبة﴾. قوله: [وبه أخذ الشافعي] أي ومالك. قوله: [المقدر] أي وتقديره تاب الله عليكم توبة، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، أي شرع لكم ذلك لأجل التوبة عليكم وهو الأحسن، إن قلت: إن الخطأ ليس بذنب فما معنى التوبة منه؟ أجيب: بأن ذلك لجبر الخلل الذي حصل منه في عدم إمعان النظر والتحفظ.

قوله: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ مقابل قوله من قتل مؤمناً خطأ، وقوله متعمداً أي عدواناً ليخرج المقتول قصاصاً أو حداً، كالزاني المحصن والمحارب. وسبب نزولها أن رجلاً يقال له مقيس بن صبابة أسلم هو وأخوه هشام على يد رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم إن مقيساً وجد أخاه مقتولاً في بني النجار، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فأرسل معه رجلاً يقال له فهر من بني مهران إلى بني النجار، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أنكم إذا عرفتم عين القاتل فسلموه لمقيس، وإن لم تعرفوه فأعطوا له الدية، فقالوا سمعاً وطاعة إنا لا نعرف عين القاتل وأعطوه مائة بعير! فلما ذهب من عندهم سول الشيطان لمقيس أن يقتل فهراً بدل أخيه، فتأخر عنه وضربه فقتله وركب بعيراً وساق باقيها راجعاً إلى مكة، وقال شعراً في ذلك:

قتلت به فهراً وأحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب قارع
وأدركت ثاري واضطجعت توسدا ... وكنت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت فيه الآية، ولما كان عام الفتح استثناه النبي ممن أمنه! فقتله الصحابة وهو متعلق بأستار الكعبة، فعلى هذا الخلود في الآية على ظاهره. قوله: ﴿خالداً﴾ حال من الضمير في جزاؤه. قوله: ﴿وغضب الله عليه﴾ معطوف على محذوف، والتقدير حكم الله عليه بذلك وغضب الله عليه. قوله: ﴿ولعنه﴾ عطف على ﴿غضب الله عليه﴾ مرادف لأن اللعنة هي الغضب. قوله: [وهذا مؤول الخ] شرع في ذكر الأجوبة عن السؤال الوارد على الآية. وحاصله أن العبرة

---

* أسباب نزول الآية ٩٣: قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن عكرمة: أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابة فأعطاه النبي ﷺ الدية فقبلها ثم وثب على قاتل أخيه فقتله، فقال النبي ﷺ لا أؤمنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ الآية.

خلف الوعيد لقوله: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾: وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفي عنه وسبق قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ. ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بني سليم وهو يسوق غنماً فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلا تقية فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم﴾: سافرتم

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وظاهر الآية يقتضي أن جزاء القاتل عمداً الخلود في النار، ولو مات مؤمناً، وليس كذلك فأجاب المفسر عن ذلك بثلاثة أجوبة: الأول أنه محمول على المستحل لذلك، الثاني أن هذا جزاؤه إن جوزي، أي إن عامله الله بعدله، جزاؤه ذلك، وإن عامله بفضله فجائز أن لا يدخله النار، ولكن في هذا الجواب شيء، لأن فيه تسليم أنه إذا جوزي يخلد في النار، وهو غير سديد للقواطع الدالة على أنه لا يخلد في النار إلا من مات على الكفر، وقد أجاب البيضاوي بجواب آخر: وهو أن يحمل الخلود على طول المكث، الثالث أشار له المفسر بقوله: [وعن ابن عباس الخ]. قوله: [وأنها ناسخة] الأولى مخصصة، وكلام ابن عباس خارج مخرج الزجر والتشديد، وليس على حقيقته على مقتضى مذهب أهل السنة. قوله: [وسبق قدرها] أي في تفسير الآية التي قبلها. قوله: [إن بين العمد والخطأ الخ] سبق للمفسر أنه أدخله في الخطأ بقوله أو ضربه بما لا يقتل غالباً. قوله: [يسمى شبه العمد] أي فأشبه العمد من حيث تغليظ الدية بكونها من ثلاثة أنواع: ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة، وأشبه الخطأ من حيث كونه لا قصاص فيه وهذا مذهب الشافعي، وعند أبي حنيفة لا يقتص من القاتل إلا إذا قتله بآلة محددة كسيف وبندق وإلا فيلزمه الدية، وعند مالك يقتص من القاتل إذا قتل بأي آلة ولو بضرب كف أو سوط لا بكمروحة. قوله: [في الصفة] أي من حيث كونها من ثلاثة أنواع. قوله: [في التأجيل] أي كونها على ثلاث سنين. وقوله: [والحمل] أي كون العاقلة تحملها. قوله: [وهو] أي شبه العمد، وقوله: [أولى بالكفارة] أي فتجب وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك ليس كالخطأ، بل تستحب الكفارة فقط. قوله: [ونزل لما مر نفر الخ] هذه رواية ابن عباس في سبب نزول الآية، روي عنه أيضاً أنها نزلت في رجل من بني مرة بن عون يقال له مرداس بن نهيك، وكان من أهل فدك، لم يسلم من قومه غيره! فلما سمعوا بسرية رسول الله ﷺ هربوا وبقي ذلك الرجل، فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين، فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل، فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فعرف أنهم من أصحاب رسول الله، فكبر ونزل وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه، ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه الخبر، فوجد رسول الله من ذلك وجداً شديداً، وكان قد سبقهم الخبر، فقال عليه الصلاة والسلام أقتلتموه إرادة ما معه، ثم قرأ رسول الله ﷺ على أسامة هذه الآية، فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله، فقال كيف أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات، قال أسامة فما زال رسول الله يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم استغفر له رسول الله قال أعتق رقبة. وروي عن أسامة أنه قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، فقال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا؟

---

* أسباب نزول الآية ٩٤: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم﴾ الآية، روى البخاري والترمذي والحاكم وغيره عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنماً له، فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا الا ليتعوذ منا، فعمدوا اليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم﴾ الآية.

وأخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا اله الا الله فقتله المقداد، فقال له النبي ﷺ: كيف لك بلا اله الا الله غداً وأنزل الله هذه الآية، وأخرج أحمد =

للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا﴾: وفي قراءة بالمثلثة في الموضعين ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾: بالألف ودونها أي التحية أو الانقياد بقوله كلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾: وإنما قلت هذه تقية لنفسك ومالك فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾: تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: متاعها من الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾: تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾: بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ٩٤: فيجازيكم به ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾: بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانة أو عمى أو نحوه ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

قوله: ﴿فتبينوا﴾ أي تمهلوا حتى يكشف لكم حقيقة الأمر، وما وقع من الصحابة اجتهاد، غير أنهم مخطئون فيه، حيث اعتمدوا على مجرد الظن. فلذا عاتبهم الله على ذلك، وهذا مرتب على وعيد القاتل عمداً، أي حيث ثبت الوعيد العظيم للقاتل عمداً، فالواجب التثبت والتحفظ، فرتب على ذلك ما وقع من الصحابة. قوله: [في الموضعين] أي هنا، وقوله فيما يأتي ﴿فمن الله عليكم فتبينوا﴾، وبقي موضع ثالث في الحجرات وهو قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ وفيه القراءتان، ويحتمل أن قوله في الموضعين أي ما هنا بشقيه والحجرات والأول أقرب. قوله: [بالف ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان، وروي عن عاصم كسر السين وسكون اللام وهي بمعنى المفتوحة. قوله: [أي التحية أو الانقياد] لف ونشر مرتب. قوله: [التي هي أمارة على إسلامه] تقدم أنه وقع منه الأمران.

قوله: ﴿تبتغون﴾ النهي منصب على القيد والمقيد، وليس كقولهم لا تطلب العلم تبتغي به الدنيا. قوله: ﴿فعند الله﴾ تعليل للنهي المذكور. قوله: ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ أي كنتم مثله في مبدأ الإسلام. قوله: ﴿فمن الله عليكم﴾ أي قبل منكم النطق بالشهادتين، ولم يأمر بالبحث عن سرائركم. قوله: ﴿فتبينوا﴾ أي في المستقبل في مثل هذه الوقعة فهو تأكيد لفظي، وقيل ليس تأكيد لاختلاف متعلقيهما، لأن الأول فيمن تقتلونه، والثاني في شأن نعمة الله عليكم بالإسلام لتشكروه.

قوله: ﴿من المؤمنين﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿القاعدون﴾. قوله: [بالرفع صفة] أي لقوله: ﴿القاعدون﴾

= والطبراني وغيرهما عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: بعثنا رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة فمر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلم علينا فحمل عليه محلم فقتله، فلما قدمنا على النبي ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن اسم المقتول مرداس بن نهيك من أهل فدك، وأن اسم القاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير السرية غالب بن فضالة الليثي، وأن قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده، وكان ألجأ غنمه بجبل، فلما لحقوه قال: لا اله الا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد. فلما رجعوا نزلت الآية. وأخرج ابن جرير من طريق السدي وعبد من طريق قتادة نحوه، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال: أنزلت هذه الآية ﴿ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام﴾ في مرداس، وهو شاهد حسن.

وأخرج ابن مندة عن جزء بن الحدرجان قال: وفد أخي مقداد الى النبي ﷺ من اليمن فلقيته سرية النبي ﷺ فقال لهم: أنا مؤمن فلم يقبلوا منه وقتلوه، فبلغني ذلك فخرجت الى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ فأعطاني النبي ﷺ دية أخي.

* أسباب نزول الآية ٩٥: قوله تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون﴾ الآية، روى البخاري عن البراء قال: لما نزلت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ قال النبي ﷺ: أدع فلاناً فجاء ومعه الدواة واللوح والكتف، فقال اكتب: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في =

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾: لضرر ﴿دَرَجَةً﴾: فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾: من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾: لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٩٥: ويبدل منه ﴿دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ﴾: منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾: منصوبان بفعلهما المقدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ ٩٦: بأهل طاعته. ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: بالمقام مع

إما لأن غير إذا وقعت بين ضدين قد تتعرف، أو لأن أل في القاعدون للجنس فأشبه النكرة، والأظهر أنه مرفوع على البدلية من القاعدون لأنه لا يشترط استواء البدل والمبدل منه تعريفاً أو تنكيراً. قوله: [والنصب استثناء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [من زمانة] بيان للضرر وهي المرض. قوله: [أو نحوه] أي كالعرج. قوله: [فضيلة] أي في الآخرة، والمعنى أن من تقاعد عن القتال لمرض ونحوه، فهو ناقص عن المباشرين للجهاد درجة لأنهم استووا معهم في الجهاد بالنية، وإنما زاد المجاهدون بالمباشرة، وكل من القسمين وعده الله بالجنة. قوله: [الجنة] أي لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم.

قوله: ﴿درجات﴾ قيل سبعة وقيل سبعون وقيل سبعمائة، كل درجة كما بين السماء والأرض. قوله: [بفعلهما المقدر] أي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة. قوله: [فقتلوا يوم بدر] أي وهل ماتوا عصاة أو كفاراً خلاف، لأن الهجرة كانت ركناً أو شرطاً في صحة الإسلام. قال تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ وهذا كان قبل الفتح، ثم نسخ بعده، والقاتل لهؤلاء الملائكة لعلمهم بأن الله لم يقبل منهم الإسلام لفقد شرطه، وهو الهجرة مع قدرتهم عليها، وليس التخلف من أجل صيانة المال والعيال عذراً، والمتبادر من ذلك أنهم ماتوا كفاراً.

قوله: ﴿إن الذين توفاهم﴾ يصح أن يكون ماضياً ولم يؤت فيه بعلامة التأنيث، لأن التأنيث مجازي، ويصح أن يكون مضارعاً حذفت منه إحدى التاءين، والأصل تتوفاهم. قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

قوله: ﴿الملائكة﴾ يعني ملك الموت وهو عزرائيل، وإنما جمع تعظيماً، وقيل المراد أعوانه وهم ستة: ثلاثة

= سبيل الله﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال يا رسول الله: أنا ضرير، فنزلت مكانها ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾.

وروى البخاري وغيره من حديث زيد بن ثابت والطبراني من حديث الفلتان بن عاصم نحوه. وروى الترمذي نحوه من حديث ابن عباس وفيه قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنا أعميان، وقد سقطت أحاديثهم في ترجمان القرآن، وعند ابن جرير من طرق كثيرة مرسلة نحو ذلك.

* أسباب نزول الآية ٩٧: قوله تعالى: ﴿ان الذين توفاهم﴾ الآية، روى البخاري عن ابن عباس أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله ﴿ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ وأخرجه ابن مردويه، وسمى منهم في روايته قيس بن الوليد بن المغيرة وأبا قيس بن الفاكهة بن المغيره والوليد بن عتبة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن سفيان وعلي بن أمية بن خلف، وذكر في شأنهم أنهم خرجوا الى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك، وقالوا: غر هؤلاء دينهم فقتلوا ببدر، وأخرجه ابن أبي حاتم وزاد منهم الحارث بن زمعة بن الأسود والعاص بن منبه بن الحجاج.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان قوم بمكة قد أسلموا فلما هاجر رسول الله ﷺ كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله: ﴿ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ الى قوله ﴿الا المستضعفين﴾. وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة قد =

الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾: لهم موبخين ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾: أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾: معتذرين ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مكة ﴿قَالُوا﴾: لهم توبيخاً ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾: من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم قال الله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ٩٧ هي ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ﴾: الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ٩٨: طريقاً إلى أرض الهجرة ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ٩٩ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾: مهاجراً ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾: في الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ في الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي

منهم يقبضون أرواح المؤمنين، وثلاثة منهم يقبضون أرواح الكفار. قوله: ﴿قالوا﴾ [لهم موبخين] أي عند قبض أرواحهم. قوله: ﴿فيم كنتم﴾ ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها بالحرف. قال ابن مالك:

وما في الاستفهام إن جرت حذف ... ألفها وأولها الها إن تقف

قوله: [في أي شيء كنتم] أي أكنتم مؤمنين أم كفاراً. قوله: ﴿قالوا كنا مستضعفين﴾ هذا اعتذار غير صحيح، فلذا ردت الملائكة عليهم هذا الاعتذار. قوله: ﴿فأولئك مأواهم جهنم﴾ هذا هو خبر إن، وقرن بالفاء لأنه في الأصل خبر عن الموصول وهو يشبه الشرط. قوله: [هي] هذا هو المخصوص بالذم. قوله: ﴿إلا المستضعفين﴾ هذا الاستثناء منقطع على التحقيق. قوله: ﴿من الرجال﴾ هو وما بعده بيان للمستضعفين، وذلك كعياش بن ربيعة وسلمة بن هشام وغيرهما، وقوله: ﴿والنساء والولدان﴾ قال ابن عباس: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان. قوله: ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ هذه الجملة إما مستأنفة مبينة للاستضعاف جواب سؤال مقدر تقديره ما وجه استضعافهم، أو صفة للمستضعفين.

قوله: ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾ عسى في كلام الله بمنزلة التحقيق، لعلمه بعواقب الأمور، وقدرته على كل شيء، وأما في كلام غيره فللرجاء، لجهله بعواقب الأمور وعجزه. قوله: ﴿ومن يهاجر﴾ هذا ترغيب في الهجرة. قوله: [مهاجرا] بالفتح أي أماكن يهاجر إليها، وعبر عنها بالمراغم إشارة إلى أن من فعل ذلك أرغم الله به أنف عدوه: أي يقهره ويذله، والرغام في الأصل التراب، فأطلق وأريد لازمه، وهو الذل والهوان، لأن من ألتصق أنفه بالتراب فقد ذل وصغر. قوله: [كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي] وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾ الآيات،

= أسلموا، وكانوا يخفون الإسلام فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿ان الذين توفاهم الملائكة﴾ الآية، فكتبوا بها الى من بقي بمكة منهم، وانه لا عذر لهم، فخرجوا فلحق بهم المشركون ففتنوهم فرجعوا، فنزلت ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ فكتب اليهم المسلمون بذلك فتحزنوا، فنزلت ﴿ثم ان ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا﴾ الآية. فكتبوا اليهم بذلك، فخرجوا فلحقوهم، فنجا من نجا وقتل من قتل، وأخرج ابن جرير من طرق كثيرة نحوه.

● أسباب نزول الآية ١٠٠: قوله تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلى بسند جيد عن ابن عباس قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين الى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل الى النبي ﷺ فنزل الوحي ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة الزرقي وكان بمكة، فلما نزلت ﴿الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة﴾ فقال: اني لغني، واني لذو حيلة، فتجهز يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله﴾.

﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾: ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾١٠٠ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ

بُعث بها ﷺ إلى مكة، فتُليت على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك، فسمعها رجل من بني ليث، شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال: والله ما أنا ممن استثنى الله، فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني إلى المدينة وأبعد منها، والله لا أبيتن بمكة، أخرجوني، فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم، فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك رسولك، ثم مات، فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً، وضحك منه المشركون وقالوا: ما أدرك ما طلب، فنزلت الآية.

قوله: ﴿فقد وقع أجره على الله﴾ أي تفضلاً منه وكرماً ويدخل في ذلك من قصد أي طاعة ثم عجز عن إتمامها، فيكتب له ثوابها كاملاً. وقوله: ﴿على الله﴾ أي عنده وفي علمه. قوله: ﴿وإذا ضربتم في الأرض﴾ ذكر هذه عقب الهجرة للترغيب، فكأنه قال لا بأس في الهجرة ولا مشقة فيها لكون الصلاة تقصر فيها فهذا من جملة السعة التي يرونها في السفر. قوله: [سافرتم] أي سفراً طويلاً وسيأتي أن أقله أربعة برد عند الشافعي، والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ستة آلاف ذراع، والذراع ستة وثلاثون أصبعاً، والأصبع ست شعيرات، والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون، وكذا عند مالك، وعند أبي حنيفة ثلاثة أيام من أقصر الأيام مع الاستراحات، فلا يصح القصر في أقل من أربعة برد عند مالك والشافعي، ولا في أقل من ثلاثة أيام عند أبي حنيفة إلا في مناسك الحج، فإنهم يقصرون في أقل من

☜ وأخرج ابن جرير نحو ذلك من طرق عن سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم، وسمى في بعضها ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة، وفي بعضها جندب بن ضمرة الجندعي وفي بعضها الضمري، وفي بعضها رجل من بني ضمرة، وفي بعضها رجل من بني خزاعة، وفي بعضها رجل من بني ليث، وفي بعضها من بني كنانة، وفي بعضها من بني بكر. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن يزيد بن عبد الله بن قسط: أن جندع بن ضمرة الضمري كان بمكة، فمرض فقال لبنيه: أخرجوني من مكة فقد قتلني غمها، فقالوا الى أين؟ فأومأ بيده نحو المدينة يريد الهجرة، فخرجوا به، فلما بلغوا أضاة بني غفار مات، فأنزل الله فيه ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مندة والبارودي في الصحابة عن هشام بن عروة عن أبيه: أن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حرام الى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق فمات، فنزلت فيه ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً﴾ الآية. وأخرج الأموي في مغازيه عن عبد الملك بن عمير قال: لما بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي ﷺ أراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه قال: فليأت من يبلغه عني ويبلغني عنه، فانتدب له رجلان، فأتيا النبي ﷺ، فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت وبم جئت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية، فأتيا أكثم فقالا له ذلك؟ قال: أي قوم انه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذناباً فركب بعيره متوجهاً إلى المدينة فمات في الطريق، فنزلت فيه ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً﴾ الآية، مرسل اسناده ضعيف. وأخرج حاتم في كتاب المعمرين من طريقين عن ابن عباس: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: نزلت في أكثم بن صيفي، قيل فأين الليثي، قال: هذا قبل الليثي بزمان وهي خاصة عامة.

أسباب نزول الآية ١٠١: قوله تعالى: ﴿وإذا ضربتم﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن علي قال: سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: ان لهم أخرى مثلها في إثرها، فأنزل الله بين الصلاتين ﴿ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ الى قوله: ﴿عذاباً مهيناً﴾ فنزلت صلاة الخوف.

وأخرج أحمد والحاكم وصححه البيهقي في الدلائل عن ابن عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ الحديث. وروى الترمذي نحوه عن أبي هريرة وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله وابن عباس.

﴿جُنَاحٌ﴾: في ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ﴾: أي ينالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بيان للواقع إذ ذاك فلا مفهوم له وبينت السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهي مرحلتان ويؤخذ من قوله: ﴿فليس عليكم جناح﴾ أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعي ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً﴾ ١٠١: بين العداوة ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾: يا محمد حاضراً ﴿فِيهِمْ﴾: وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾: وهذا جرى على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾: وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾: أي الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾: معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾: أي صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾: أي الطائفة الأخرى ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾: يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا

ذلك للسنة. قوله: [في] ﴿أن تقصروا﴾ قدر المفسر في إشارة إلى أن قوله ﴿أن تقصروا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالحرف، والجار والمجرور متعلق بجناح، أي ليس عليكم جناح في القصر.

قوله: ﴿من الصلاة﴾ يصح أن تكون تبعيضية، وأل في الصلاة للجنس أي وهو الرباعيات، ويصح أن تكون زائدة على مذهب الأخفش وأل للجنس، والمراد جنس مخصوص وهو الرباعية، وقد بين بالسنة. قوله: [بأن تردوها من أربع إلى اثنتين] هذا أحد أقوال ثلاثة لأنه اختلف هل فرضت الصلاة كاملة ثم نقصت في السفر وبقيت في الحضر على حالها أو فرضت ناقصة فبقيت في السفر وزيدت في الحضر، وقيل فرض كل مستقلاً. قوله: [بيان للواقع] أي قوله: ﴿إن خفتم﴾ الخ، أي لأن غالب أسفار نبينا وأصحابه لم تخل من خوف العدو لكثرة المشركين حينئذ، وقوله: [فلا مفهوم له] أي لأنه يكون في سفر التجارة وغيرها من كل سفر مأذون فيه واجباً كان أو مندوباً أو مباحاً. قوله: [وهي مرحلتان] أي سير يومين معتدلين، كل يوم اثنا عشر ساعة بسير الجمال المثقلة بالأحمال. قوله: [إنه رخصة] أي جائز ما لم يبلغ سفره ثلاث مراحل، وإلا كان أفضل للخروج من خلاف أبي حنيفة فإنه قال بوجوبه، وعند مالك سنة مؤكدة. قوله: ﴿عدواً مبيناً﴾ العدو يقع بلفظ واحد على المذكر والمؤنث والمجموع والمثنى.

قوله: ﴿وإذا كنت فيهم﴾ شروع في ذكر صلاة القسمة في الخوف. واعلم أن صلاة الخوف على أقسام، فتارة يكون العدو في غير تجاه القبلة، وفي هذا القسم تكون صلاة القسمة، وهي على كيفيتين: الأولى أن يقسم الجيش طائفتين، فطائفة تقف تجاه العدو، وطائفة تصلي مع الإمام بتمامها، فبعد السلام تنصرف للعدو، وتأتي الطائفة الثانية فيعيد الإمام بهم الصلاة ثانياً فصلاة الطائفة الأولى فرض خلف فرض، والثانية فرض خلف نفل، وهذه الكيفية انفرد بها الإمام الشافعي. الثانية أن يصلي بكل طائفة ركعة في الثنائية وركعتين في الرباعية، وبالطائفة الأولى ركعتين في الثلاثية وبالثانية ركعة، وبها قال مالك والشافعي أيضاً، لكن مالك يقول بها وإن كان العدو تجاه القبلة، وتارة يكون العدو تجاه القبلة، وهي على قسمين أيضاً: إما أن يتقدم الإمام ويقف الجيش خلفه صفوفاً، فعند ركوع الإمام تركع طائفة مع الإمام وتسجد معه، فبعد وقوفهم تركع الطائفة الأخرى وتسجد، وبهذه الكيفية أخذ الإمام الشافعي، وإما أن يتقدم الإمام ويصلون جميعاً معه ويركعون ويسجدون، وبها أخذ مالك، وتارة يلتحم القتال فيصلون كيف شاؤوا، وحل للضرورة مشي وركض وإمساك ملطخ، وهذه الكيفية عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة إن ضاق الوقت قدموا القتال وأخروا الصلاة ثم يقضونها، وتفاصيل هذه الأقسام مبينة عند أرباب المذاهب. قوله: [وتتأخر طائفة] أي بإزاء العدو. قوله: [أي صلوا] أي شرعوا في الصلاة.

قوله: ﴿طائفة أخرى﴾ أي وهي الواقعة تجاه العدو. قوله: ﴿فليصلوا معك﴾ أي صلاة ثانية، أو يتمموا معك

﴿مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾: معهم إلى أن تقضوا الصلاة وقد فعل ﷺ كذلك ببطن نخل رواه الشيخان ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾: إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾: بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾: فلا تحملوها وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعي والثاني أنه سُنة ورُجح ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: من العدو أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[١٠٢]: ذا إهانة ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾: فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾:

الصلاة الأولى. قوله: ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ إنما زاد هنا الأمر بالحذر لكونها مظنة تنبه الكفرة على تلك الطائفة، وأما في الطائفة الأولى فلم يتنبهوا لهم. قوله: [ببطن نخل] سببه أن رسول الله ﷺ صلى مع أصحابه جميعاً الظهر، فتنبه المشركون وقال بعضهم لبعض إنا نظفر بهم في أوقات الصلاة، وتحزب المشركون على ذلك، فنزل جبريل على رسول الله بالآية، وعلمه صلاة القسمة ففعلها في صلاة العصر، وقد مشى المفسر على أن هذه الآية في صلاة بطن نخل، وهو موضع من نجد إلى أرض غطفان بينه وبين المدينة يومان، وقال غيره إنها في صلاة أرض عسفان، وقال آخرون إنها في ذات الرقاع.

قوله: ﴿ود الذين كفروا﴾ الخ سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن رسول الله ﷺ غزا بني محارب وبني أنمار، فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً، فوضع الناس السلاح، فخرج رسول الله ﷺ لحاجته حتى قطع الوادي، والسماء ترش بالمطر، فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله وبين أصحابه فجلس تحت شجرة، فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال: قتلني الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف، ولم يشعر به رسول الله إلا وهو قائم على رأسه، وقد سل سيفه من غمده وقال: يا محمد من يمنعك مني الآن، فقال رسول الله ﷺ: الله، ثم قال: اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت، فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله، فأكب بوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله وأخذ السيف ثم قال: يا غورث من يمنعك مني الآن، فقال لا أحد، فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فقال: لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك ولا أعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله سيفه، فقال غورث: أنت خير مني، فقال رسول الله: أنا أحق بذلك منك، فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له: ويلك يا غورث ما منعك منه؟ فقال: والله لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه به، فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت، وذكر لهم حاله مع رسول الله. قال وسكن الوادي، فقطع رسول الله الوادي إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية، والزلخة الدفعة. قوله: ﴿لو تغفلون﴾ أي غفلتكم.

قوله: ﴿فيميلون﴾ أي يشتدون. قوله: ﴿من مطر﴾ أي لأنه يفسد بالماء. قوله: ﴿أو كنتم مرضى﴾ أي لا طاقة لكم على حمله.

قوله: ﴿فإذا قضيتم الصلاة﴾ أي صلاة الخوف أي تممتموها على الوجه المبين. قوله: ﴿فاذكروا الله﴾ الأمر للندب لأنه في الفضائل، وقوله: [بالتهليل والتسبيح] أي والتحميد والتكبير. قوله: [في كل حال] أي فالمراد من قوله: ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ الأحوال. قوله: ﴿فأقيموا الصلاة﴾ أي التي دخل وقتها حينئذ، ومعنى إقامتها أداؤها

---

* أسباب نزول الآية ١٠٢: قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم﴾، أخرج البخاري عن ابن عباس قال: نزلت ﴿إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى﴾ في عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً.

مضطجعين أي في كل حال ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: أمنتم ﴿فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ﴾: أدّوها بحقوقها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾: مكتوباً أي مفروضاً ﴿مَّوْقُوتًا﴾ ١٠٣: أي مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه. ونزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: تضعفوا ﴿فِي ٱبْتِغَآءِ﴾: طلب ﴿ٱلْقَوْمِ﴾: الكفار لتقاتلوهم ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾: تجدون ألم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾: أي مثلكم ولا يجبنوا عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾: أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾: هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ ١٠٤: في صنعه. وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه فنزل * ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بأنزل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾: أعلمك ﴿ٱللَّهُ﴾: فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾: كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ ١٠٥: مخاصماً عنهم ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾:

بالشروط، والأركان. قوله: [مقدراً وقتها] أي مفروضاً وقتاً بعد وقت. قوله: [لما بعث] المناسب أن يقول لما خرج رسول الله ﷺ وأمر من حضر بالخروج لطلب أبي سفيان وأصحابه. وقوله: [طائفة] أي وهي جميع من حضر أحداً من المؤمنين الخالصين وكانوا ستمائة وثلاثين. قوله: [لما رجعوا من أحد] أي فرغوا من وقعتها، والضمير عائد على الصحابة، فحينئذ هم أبو سفيان وتشاور مع أصحابه في العود إلى المدينة ليستأصلوا المسلمين، فبلغ ذلك رسول الله، فنادى في اليوم الثاني من وقعة أحد، ليخرج من كان معنا بالأمس ولا يخرج معنا غيرهم، فخرجوا حتى بلغوا إلى حمراء الأسد، وتقدم ذلك في آل عمران.

قوله: ﴿ولا تهنوا﴾ الجمهور على كسر الهاء، وقرىء شذوذاً بفتحها من وهن بالكسر أو الفتح قوله: ﴿في ابتغاء القوم﴾ أي قتالهم. قوله: ﴿إن تكونوا تألمون﴾ تعليل للنهي وتشجيع لهم، والمعنى ليس الألم مختصاً بكم بل هم كذلك. قوله: [ولا يجبنوا] المناسب يجبنون بالنون إلا أن يقال حذفت تخفيفاً. قوله: [والثواب عليه] أي على الجهاد، فإنكم تقاتلون في سبيل الله، وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، فأنتم أحق بالشجاعة والقدوم عليهم. قوله: [وسرق طعمة] بتثليث الطاء والكسر أفصح [وأبيرق] بضم الهمزة وفتح الباء بعدها راء مكسورة تصغير برق، وطعمة من الأنصار من بني ظفر سرق الدرع من دار جاره قتادة، وكان في جراب فيه دقيق فصار الدقيق يتناثر منه، فاتهم طعمة بها، فحلف كاذباً أنه ما أخذها وما له بها علم، وكان ودعها عند يهودي يقال له زيد بن السمين، فقال أصحاب الدرع نتبع أثر الدقيق فتتبعوه حتى وصل إلى دار اليهودي، فأخبر أنه ودعه عنده طعمة وشهد به قومه، فقال قوم طعمة نذهب إلى رسول الله ﷺ نشهد أن اليهودي هو السارق، فذهبوا وشهدوا زوراً ولم يظهروا زوراً، ولم يظهر له ﷺ قادح فيهم، فهم بقطع اليهود فنزلت الآية، فأراد أن يقطع طعمة فهرب إلى مكة وارتد، فنقب حائطاً ليسرق متاع أهله فوقع عليه فمات مرتداً. قوله: [وخبأها] أي الدرع. قوله: [عند يهودي] أي واسمه زيد بن السمين. قوله: [متعلق بأنزل] أي على أنه حال منه.

قوله: ﴿لتحكم﴾ متعلق بأنزلنا. قوله: ﴿بما أراك﴾ رأى عرفانية تتعدى بالهمزة لمفعولين الكاف مفعول،

---

* أسباب نزول الآية ١٠٥: قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا﴾ الآية، روى الترمذي والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بني أبيرق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب يقول: قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من =

مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾١٠٦ ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً﴾: كثير الخيانة ﴿أَثِيماً﴾١٠٧: أي يعاقبه ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾: أي طعمة وقومه حياء ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: بعلمه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾١٠٨: علماً ﴿هَا أَنتُمْ﴾: يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: خطاب لقوم طعمة ﴿جَادَلْتُمْ﴾: خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾: أي عن طعمة وذويه وقرئ عنه

والمفعول الثاني محذوف تقديره إياه إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول عرفك. قوله: ﴿للخائنين﴾ اللام للتعليل، ومفعول ﴿خصيماً﴾ محذوف تقديره شخصاً بريئاً، فاللام على بابها لا بمعنى عن، فقول المفسر: [مخاصماً عنهم] إيضاح للمعنى. قوله: [مما هممت به] أي من القضاء على اليهودي فإنه ذنب صورة على حد: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: ﴿عن الذين يختانون﴾ أي كطعمة وقومه المعينين فإنهم شركاء في الإثم. قوله: ﴿من كان خواناً﴾ صيغة مبالغة بمعنى كثير الخيانة، لأنه وقعت منهم خيانات كثيرة أولاً السرقة، ثم اتهام اليهودي، ثم الحلف كاذباً، ثم الشهادة زوراً. إن قلت: إن مقتضى الآية أن الله يحب من كان عنده أصل الخيانة مع أنه ليس كذلك. أجيب: بأن ذلك بالنظر لمن نزلت فيهم وهو طعمة وقومه، فالواقع أن عندهم خيانات كثيرة. قوله: [أي يعاقبه] تفسير لعدم محبة الله له. قوله: ﴿يستخفون﴾ أي يطلبون الخفاء والستر، وهذه الجملة مستأنفة بيان لطلبهم الستر من الناس. قوله: ﴿وهو معهم﴾ الجملة حالية. قوله: [يضمرون] هذا هو المراد من التبييت هنا، وإلا فهو في الأصل تدبير الأمر ليلاً. قوله: [علماً] تمييز محول عن الفاعل.

قوله: ﴿ها أنتم﴾ ها للتنبيه أي تنبهوا يا مخاطبون في المجادلة عن السارق. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً. قوله:

= الدرمك فجعله في مشربة له فيها سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبيرق: ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له: فأتيته فقلت: أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: سأنظر في ذلك، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة، فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا يا رسول الله: إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ، فقال عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة؟ فرجعت فأخبرت عمي فقال: الله المستعان فلم نلبث أن نزل القرآن ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ بني أبيرق ﴿واستغفر الله﴾ أي مما قلت لقتادة إلى قوله ﴿عظيماً﴾ فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة ولحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد، فأنزل الله ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ إلى قوله ﴿ضلالاً بعيداً﴾ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد قال: عدا بشير بن الحارث على علية رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعاماً له ودرعين بأداتهما، فأتى قتادة النبي ﷺ فأخبره بذلك فدعا بشيراً فسأله فأنكر ورمى بذلك لبيد بن سهل رجلاً من أهل الدار ذا حسب ونسب، فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس﴾ الآيات، فلما نزل القرآن في بشير وعثر عليه هرب إلى مكة مرتداً، فنزل على سلافة بنت سعد، فجعل يقع في النبي ﷺ وفي المسلمين، فنزل فيه: ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ الآية، وهجاه حسان بن ثابت حتى رجع وكان ذلك في شهر ربيع سنة أربعة من الهجرة.

﴿فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾: إذا عذبهم ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ١٠٩: يتولى أمرهم ويذب عنهم أي لا أحد يفعل ذلك ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: ذنباً يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: يعمل ذنباً قاصراً عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾: منه أي يتب ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾: له ﴿رَّحِيمًا﴾ ١١٠: به ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾: ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: لأن وباله عليها ولا يضر غيره ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ١١١: في صنعه ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾: ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾: منه ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾: تحمل ﴿بُهْتَٰنًا﴾: برميه ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ١١٢: بيناً بكسبه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾: بالعصمة ﴿لَهَمَّت﴾: أضمرت ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: من قوم طعمة ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾: عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن﴾: زائدة ﴿شَىْءٍ﴾: لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾: من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾: بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾ ١١٣ ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾: أي الناس أي ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾: نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: عمل بر ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾:

[أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿من يعمل سوءاً﴾ حث وتحريض لطعمة على التوبة، ومع ذلك لم يتب. قوله: [اليهودي] مفعول لرمي وطعمة فاعله. قوله: [قاصر عليه] كاليمين الكاذبة. قوله: [أي يتب] المراد التوبة الصادقة بشروطها، فليس المراد مجرد الاستغفار باللسان مع الاصرار، فإنه توبة الكذابين. قوله: [ذنباً] أي متعلقاً به أو بغيره. قوله: [ولا يضر غيره]. إن قلت: أن معصية طعمة أصابت قومه فضرتهم. أجيب بأن ضررهم إنما جاء من كسبهم لمعاونتهم له، وشهادتهم الزور معه، وعزمهم على الحلف كذباً. قوله: ﴿ثم يرم به﴾ أي بالخطيئة والإثم، وإنما أفرد الضمير لأن العطف بأو. قوله: ﴿بريئاً﴾ صفة لموصوف محذوف، أي شخصاً بريئاً.

قوله: ﴿ولولا فضل الله﴾ الخ جوابها قوله ﴿لهمت﴾. واستشكل بأن الهم قد وقع منهم، والمأخوذ من لولا أنه لم يقع لوجود فضل الله ورحمته، وأجيب بأن المراد هم يحصل معه الإضلال، فالمعنى انتفى إضلالك الذي هموا به لوجود فضل الله ورحمته. قوله: [بالعصمة] أي الحفظ من المعاصي والمخالفات صغيرها وكبيرها. قوله: [زائدة] أي في مفعول ﴿يضرونك﴾ المطلق. قوله: [والغيب] أي علم الغيب وهو ما غاب عنا. قوله: [بذلك] أي بإنزال الكتاب والحكمة، وتعليمه ما لم يكن يعلم. قوله: [وغيره] أي كالفضائل التي اختص بها مما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

قوله: ﴿لا خير في كثير﴾ لا نافية للجنس وخير اسمها، وفي كثير متعلق بمحذوف خبرها، وقوله: ﴿من نجواهم﴾ متعلق بمحذوف حال من متعلق الخبر. قوله: [أي الناس] أشار بذلك إلى أن الآية عامة وليست مخصوصة بقوم طعمة المتقدم. قوله: [أي ما يتناجون فيه ويتحدثون] أشار بذلك إلى أن معنى النجوى المحادثة من بعض القوم لبعض اثنان ففوق، قال تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية، والنجوى ضد السر، وهو محادثة الإنسان نفسه، وعطف قوله: [يتحدثون] على [يتناجون] للتفسير.

قوله: ﴿إلا من أمر﴾ يحتمل أنه استثناء منقطع إن أبقينا الكلام على ظاهره، لأن المستثنى الشخص، والمستثنى منه الكلام، ولا شك أنه غيره، ويحتمل أنه متصل وهو على محذوف مضاف، وإليه يشير المفسر بقوله: ﴿إلا﴾ [نجوى] الخ. قوله: ﴿بصدقة﴾ أي واجبة أو مندوبة. قوله: ﴿أو معروف﴾ المراد به كل طاعة لله، فيدخل فيه جميع أعمال البر، فهو من عطف العام على الخاص. وقوله: ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ معطوف على قوله: ﴿أو معروف﴾ من

طَلَب ﴿مَرْضَاةِ ٱللَّهِ﴾: لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾: بالنون والياء أي الله ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾ ١١٤ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾: يخالف ﴿ٱلرَّسُولَ﴾: فيما جاء به من الحق ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَى﴾: ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾: طريقاً ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي طريقهم الذي هم عليه من الدين بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾: نجعله والياً لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِ﴾: ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾: فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ ١١٥: مرجعاً هي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ ١١٦: عن الحق ﴿إِنْ﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبد المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: أي الله أي غيره

عطف الخاص على العام اعتناء بشأنه واهتماماً به، وإنما خصت الثلاثة لأن الأمر المرضي لله، إما إيصال نفع وهو إما جسماني أو روحاني، فالأول كالصدقات، والثاني كالأمر بالمعروف، أو دفع ضرر كالإصلاح بين الناس، لأن المفاسد مترتبة على التشاحن، وبالإصلاح يحصل الخير والبركة ودفع الشرور، ولذا حث عليه ﷺ بقوله: «امش ميلاً عد مريضاً، امش ميلين أصلح بين اثنين» وبالجملة فكثرة الكلام لا خير فيها، قال بعضهم: من كثر لغطه كثر سقطه، وفي الحديث «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم». قوله: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ اسم الإشارة عائد على الثلاثة، وإنما أفرد لأن العطف بأو. إن قلت مقتضى السياق ومن يأمر بذلك، أجيب بأن هذا راجع للمأمور به، فاسم الإشارة عائد على المأمور به تقديره ومن يفعل المأمور به من صدقة أو معروف أو إصلاح، فاستفيد من الآية أولاً وآخراً ثواب الأمر والفاعل، وفي الحديث «الدال على الخير كفاعله». وأجيب أيضاً بأنه عبر عن الأمر بالفعل لأنه فعل لساني والأقرب الأول. قوله: [لا غيره من أمور الدنيا] أي لأن ثواب الأعمال الصالحة منوط بالإخلاص كان من الآمر والفاعل، فلو كان الفعل أو الأمر رياء وسمعة أو لغرض دنيوي لم يستحق به عند الله أجراً. قوله: [بالنون والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، وفي قراءة النون التفات من الغيبة للتكلم، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: ﴿أجراً عظيماً﴾ أي وهو الجنة وما فيها، قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وفي التعبير بسوف إشارة إلى أن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة لا الدنيا، لأنها ليست دار جزاء، بل عطاء الدنيا لكل من وجد فيها أطاع أو عصى كلف أو لا.

قوله: ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ الخ لما ذكر سبحانه وتعالى المطيعين وما أعد لهم في الآخرة، ذكر وعيد الكفار وعاقبة أمرهم على عادته سبحانه في كتابه. قوله: [فيما جاء به من الحق] أي من الأمور التكليفية والأحكام الشرعية. قوله: ﴿ويتبع﴾ عطف لازم على ملزوم. قوله: [أي طريقهم] أي اعتقاداً وعملاً. قوله: ﴿نوله﴾ هو ﴿ونصله﴾ إما بسكون الهاء أو كسرها بدون إشباع، وهو المسمى بالاختلاس أو بالإشباع، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية. قوله: [بأن نخلي بينه] أي المشاقق، وقوله: [وبينه] أي الضلال، والمعنى أن من خالف ما أمر الله به فإن الله يستدرجه بالنعم ويمهله ولا يعجل عقوبته، قال تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ الآية.

قوله: ﴿وساءت مصيراً﴾ ساء كبئس للذم فاعلها مستتر وجوباً يعود على جهنم ومصيراً تمييز، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله هي. قوله: ﴿أن يشرك به﴾ أي إذا مات على ذلك لقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾. قوله: ﴿لمن يشاء﴾ أي إن مات من غير توبة. قوله: ﴿فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ أي لأن الشرك أعظم أنواع الضلال، إن قلت قد قال فيما سبق فقد افترى إثماً عظيماً، وهنا فقد ضل ضلالاً بعيداً، فما الحكمة في ذلك؟ قلت: إن ما تقدم في شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بأن رسول الله ﷺ على الحق، وإنما كفرهم عناد، فسماه الله افتراء أي كذباً، وما هنا في شأن مشركي العرب وهم ليس لهم علم بذلك إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل، فلذا سماه الله ضلالاً بعيداً.

﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾: أصناماً مؤنثة كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾١١٧: خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾: أي الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾: لأجعلن لي ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾: حظاً ﴿مَّفْرُوضًا﴾١١٨: مقطوعاً أدعوهم إلى طاعتي ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: ألقي في قلوبهم طول الحياة وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾: يقطعن ﴿آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾: وقد فعل ذلك بالبحائر ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾: دينه بالكفر وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾: يتولاه ويطيعه ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾١١٩: بيناً لمصيره إلى النار المؤبدة عليه ﴿يَعِدُهُمْ﴾: طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾: نيل الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾١٢٠: باطلاً ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾١٢١: معدلاً ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾: أي وعدهم الله ذلك وعداً وحقه حقاً ﴿وَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾١٢٢:

قوله: ﴿إن يدعون﴾ هذا كالدليل، والتعليل لقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ قوله: [ما] ﴿يدعون﴾ أشار بذلك إلى أن إن نافية بمعنى ما. قوله: [يعبد المشركون] أطلق الدعاء على العبادة لأنه منها، وكثيراً ما يطلق الدعاء عليها. قوله: [أصناماً مؤنثة] أي لتأنيث أسمائها، ورد أنه ما من مشرك إلا وكان له صنم قد سماه باسم أنثى من العرب، وحلاه بأنواع الحلي، وكانوا يقولون هم بنات الله. قوله: [كاللات والعزى ومناة] اللات مأخوذ من إله والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فاقتطعوها وسموا بها أصنامهم. قوله: [بعبادتها] الباء سببية أي فالمسؤول لهم على عبادتها الشيطان، فعبادتها لازمة لعبادة الشيطان لأنه يحضر عندهم، فهم في الصورة يعبدون الأصنام، وفي الحقيقة العبادة للشيطان. قوله: ﴿مريداً﴾ أي متمرداً بمعنى بلغ الغاية في العتو والفجور لخروجه عن طاعة ربه، حتى أمر الناس بعبادة غير الله. قوله: ﴿لعنه الله﴾ صفة ثانية لشيطانا. قوله: [عن رحمته] أي جنته وما فيها.

قوله: ﴿وقال﴾ الخ الجملة إما صفة لشيطاناً أو حال منه، أي ما يدعون إلا شيطاناً موصوفاً بكونه مريداً، وبكونه مطروداً عن رحمته، وبكونه قائلاً أو حال كونه قائلاً، وهذا القول قد وقع منه عند قول الله تعالى له ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾. قوله: ﴿نصيباً مفروضاً﴾ ورد أنهم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف، لما في الحديث «ما أنتم فيمن سواكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود» وورد أن يوم القيامة يقول الله تعالى لآدم: أخرج من ذريتك بعث النار فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول الله تعالى: أخرج من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعند ذلك تشيب الأطفال من شدة الهول.

قوله: ﴿ولأضلنهم﴾ [عن الحق] أي أميلن قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد. قوله: [وقد فعل ذلك بالبحائر] جمع بحيرة وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس بذكر، فكانوا لا يحملون عليها، ولا يأخذون نتاجها، ويجعلون لبنها للطواغيت، ويشقون آذانها علامة على ذلك. قوله: ﴿فليغيرن خلق الله﴾ أي ما خلقه، ومن ذلك تغيير صفات نبينا الواقع من اليهود والنصارى، وتغيير كتبهم، ومن ذلك تغيير الجسم بالوشم، وتغيير الشعر بالوصل، كما في الحديث «لعن الله الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة» قوله: ﴿خسراناً مبيناً﴾ أي لأنه ضيع رأس ماله وهي طاعة الله وعبادته. قوله: ﴿إلا غروراً﴾ أي مزين الظاهر فاسد الباطن. قوله: ﴿أولئك﴾ أي أولياء الشيطان. قوله: [معدلاً] أي منفذاً ومهرباً.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ بيان لوعد المؤمنين إثر بيان وعيد الكفار. قوله: [أي وعدهم الله ذلك وعداً] أشار بذلك

أي قولاً. ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب ﴿لَيْسَ﴾: الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: بل بالعمل الصالح ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾: إما في الآخرة أو في الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾: يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ١٢٣: يمنعه منه ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾: شيئاً ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ﴾: بالبناء للمفعول والفاعل ﴿الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ١٢٤: قدر نقرة

إلى أن وعداً وحقاً منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون حقاً صفة لوعداً. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وهو كالدليل لما قبله. قوله: [لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب] أي حيث قال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على سائر الكتب، ونحن آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا، فنحن أولى بالله منكم، وقال أهل الكتاب: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم فنحن أولى منكم، وقيل سبب نزول الآية افتخار أهل الكتاب ومشركي العرب، وعليه فلا يحتاج لتأويل في قوله: ﴿يجز به﴾ بل يحمل الجزاء لكل من الفريقين على الخلود في النار.

قوله: ﴿ليس﴾ [الأمر منوطاً] أشار بذلك إلى أن اسم ليس ضمير عائد على الأمر، وقوله: ﴿بأمانيكم﴾ متعلق بمحذوف خبرها أي منوطاً بمعنى متعلقاً ومرتبطاً. قوله: ﴿من يعمل سوءاً﴾ أي من مؤمن أو كافر. قوله: [إما في الآخرة] أي وهو محتم في حق من مات كافراً، وأما من مات عاصياً ولم يتب فتحت المشيئة. قوله: [كما ورد في الحديث] أي وهو أن أبا بكر لما نزلت قال: يا رسول الله وأينا لم يعمل السوء، وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه، فقال ﷺ: أما أنت وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة، وفي رواية قال أبو بكر: فمن ينجو مع هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أما تمرض أو يصيبك البلاء؟ قال بلى، قال هو ذلك.

قوله: ﴿ومن يعمل﴾ هذا مقابل قوله ﴿ومن يعمل سوءاً يجز به﴾ قوله [شيئاً] أشار بذلك إلى أن من للتبعيض، لأنه لا يمكن استيفاء جميع الأعمال الصالحة. قوله: ﴿من الصالحات﴾ الجار والمجرور متعلق بشيئاً الذي قدره المفسر. قوله: ﴿من ذكر وأنثى﴾ حال من الضمير في ﴿يعمل﴾ وكذا قوله: ﴿وهو مؤمن﴾ وأما الكافر فأعماله الصالحة ضائعة، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ قوله: ﴿فأولئك﴾ هذه الجملة جواب الشرط. قوله: [بالبناء للمفعول] أي والجنة مفعول ثان، والواو نائب الفاعل مفعول أول، لأنه من أدخل الرباعي فهو ينصب مفعولين، وقوله: [والفاعل] أي من دخل فهو ينصب مفعولاً واحداً فمفعوله الجنة والواو فاعله، وهما قراءتان

---

* أسباب نزول الآية ١٢٣: قوله تعالى: ﴿ليس بأمانيكم﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قالت اليهود والنصارى لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: إنا لا نبعث فأنزل الله ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ وأخرج ابن جرير عن مسروق قال: تفاخر النصارى وأهل الإسلام فقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، وقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، فأنزل الله ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾.

وأخرج نحوه عن قتادة والضحاك والسدي وأبي صالح. ولفظهم: تفاخر أهل الأديان، وفي لفظ جلس ناس من اليهود وناس من النصارى وناس من المسلمين فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل فنزلت. وأخرج أيضاً عن مسروق قال: لما نزلت ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾. قوله تعالى: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ الآية، روى البخاري عن عائشة في هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها قد شركته في مالها حتى في المذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلا فيشركه في مالها فيعضلها، فنزلت.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي: كان لجابر بنت عم دميمة ولها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها خشية أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي ﷺ عن ذلك فنزلت.

النواة ﴿وَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾: أي انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: موحّد ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفاً﴾: حال أي مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ ١٢٥: صفياً خالص المحبة له ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾ ١٢٦: علماً وقدرة أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾: شأن ﴿النِّسَاءِ﴾: وميراثهن ﴿قُلِ﴾: لهم ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن من آية

قوله: ﴿ولا يظلمون نقيراً﴾ أي لا ينقصون شيئاً أبداً لا قليلاً ولا كثيراً، ويؤخذ من الآية أن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة، وأما النعم التي يعطاها المؤمن في الدنيا من عافية ورزق وغير ذلك فليست بجزاء لأعماله الصالحة، بل تكفل الله بها لكل حي في الدنيا مسلماً أو كافراً، بل بعض العبيد من أهل المحبة في الله لا ينتظر بعمله الجنة، بل يقول إنما عبدناك لذاتك لا لشيء آخر، قال العارف ابن الفارض حين كشف له عن الجنة وما أعد له فيها في مرض موته:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

قوله: ﴿أي لا أحد﴾ أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿ممن أسلم وجهه﴾ أي نفسه وذاته، وعبّر عنها بالوجه لأنه أشرف أعضاء الإنسان. قوله: [وهو محسن] الجملة حال من ضمير أسلم. قوله: ﴿واتبع﴾ إما عطف لازم على ملزوم، أو علة على معلول، أو حال ثانية، والقصد بذلك إقامة الحجة على المشركين جميعاً في عدم اتباعهم لمحمد ﷺ لأن إبراهيم متفق على مدحه حتى من اليهود والنصارى، فالمعنى ما تقولون فيمن اتبع ملة إبراهيم، فيقولون لا أحد أحسن منه، فيقال لهم إن محمداً على ملة إبراهيم فلم لم تتبعوه وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة غير الله. قوله: [حال] أي إما من ضمير اتبع أو من إبراهيم، ولصحة هذين المعنيين أجمل المفسر في الحال. قوله: [خالص المحبة له] أي لم يجعل في قلبه غير محبة ربه، لتخللها في حشاشته وانطباعها في مهجته، وقوله: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ كالدليل لما قبله، أي من اتخذه الله خليلا فهو جدير بأن تتبع ملته.

قوله: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ هذا دليل لما تقدم، أي حيث كانت السموات وما فيها، والأرض وما فيها لله وحده ولا مشارك له في شيء من ذلك، فما معنى إشراك من لا يملك لنفسه شيئاً، مع من له جميع المخلوقات، وهو آخذ بناصيتها، وقيل أتى بهذه الآية دفعاً لما يتوهم أن إتخاذ إبراهيم خليلا عن احتياج كما هو شأن الآدميين، بل ذلك من فضله وكرمه. قوله: [علماً وقدرة] أشار بذلك للقولين في تفسير قوله: ﴿محيطاً﴾ قيل علماً وقيل قدرة وكل صحيح. قوله: [أي لم يزل] أشار بذلك إلى أن كان للإستمرار لا للانقطاع. قوله: [يطلبون منك الفتوى] أي بيان ما حكم الله به في شأنهن، والفتوى بالواو فتفتح الفاء وبالياء فتضم وجمعها فتاوي بكسر الواو، ويجوز الفتح للخفة. قوله: ﴿في﴾ [شأن] ﴿النساء﴾ أي ما يتعلق بهن من دفع المهر لهن وعدم إيذائهن. قوله: [وميراثهن] عطف خاص رداً على من كان يمنعه من الجاهلية. قوله: ﴿يفتيكم﴾ أي يبين لكم تلك الأحكام. قوله: ﴿وما يتلى عليكم﴾ يحتمل أن ما معطوف على لفظ الجلالة، أو على الضمير المستتر في يفتيكم، والفاصل موجود وهو الكاف، لقول ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما، وعلى كل فيكون المفتي اثنين: الله سبحانه وتعالى وكتابه والتغاير بالاعتبار، فالمعنى يفتيكم بنفسه

الميراث ويفتيكم أيضاً ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾: فرض ﴿لَهُنَّ﴾: من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾: أيها الأولياء عن ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾: لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَ﴾: في ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: الصغار ﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾: أن تعطوهم حقوقهم ﴿وَ﴾: يأمركم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ ١٢٧: فيجازيكم به ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾: مرفوع بفعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾: توقعت ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾: زوجها ﴿نُشُوزًا﴾: ترفعاً عليها بترك

على لسان نبيه، وبكتابه على لسان نبيه، فتأمل، وفيه مزيد اعتناء بتلك الفتوى. قوله: [من آية الميراث] أي وهي قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ الآيات، وكذلك الوصية التي تقدمت في أوائل السورة كقوله: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ فالمناسب للمفسر أن لا يقتصر على آية الميراث. قوله: [ويفتيكم أيضاً] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿في يتامى النساء﴾ متعلق بمحذوف معطوف على الضمير في قوله: ﴿فيهن﴾ والعاطف محذوف، التقدير الله وكتابه يفتيكم في شأن النساء عموماً، والله وكتابه يفتيكم في يتامى النساء فهو من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بشأنهن.

قوله: ﴿في يتامى النساء﴾ الإضافة على معنى من أي اليتامى من النساء، أو من إضافة الصفة للموصوف أي النساء اليتامى. قوله: [من الميراث] أي وباقي الحقوق كالمهور. قوله: [عن] ﴿أن تنكحوهن﴾ معلوم أن حذف الجار مع أن وإن مطرد، وإنما قدر عن إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الزهد فتتعدى بعن، وبعضهم قدر في إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الحب، والمعنى تحبون وترغبون في نكاحهن لما لهن، ولولا ذلك ما تزوجتموهن، وهو مذموم أيضاً، بل الواجب تقوى الله فيهن، فإن أكل مال اليتيم فيه الوعيد الشديد، فضلاً عن كون اليتيم امرأة لا ناصر لها، روى مسلم عن عائشة قالت: هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن ينقص صداقها. فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن، قالت عائشة رضي الله عنها: فاستفتى الناس رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ إلى قوله: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ فبين لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوا بسنتها في إكمال الصداق، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال والتمسوا غيرها قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق، وقد تقدم بسط ذلك أول السورة. قوله: [لدمامتهن] أي فقرهن. قوله: [وتعضلوهن] أي تمنعوهن، وهذا التخويف للأولياء كما هو مقتضى المفسر، وفي الحقيقة هو عام للأولياء، ومن يتزوج بها فتخويف الولي من حيث عضلهن عن الزواج لأخذ مالهن، وتخويف الزوج من حيث تزوجها لأخذ مالها، أو بغير مهر مثلها وعدم إعطائها إياه، وبالجملة فلا يجوز لولي ولا زوج أكل مال اليتيم ميراثاً أو مهراً.

قوله: ﴿والمستضعفين﴾ معطوف على يتامى عطف عام على خاص. قوله: ﴿من الولدان﴾ أي ذكوراً أو إناثاً، وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء، وإنما كانوا يقولون: لا نورث إلا من يحمي الحوزة ويذب عن الحرم، فيحرمون المرأة والصبي. قوله: ﴿وأن تقوموا لليتامى﴾ معطوف على قوله: ﴿في يتامى﴾ من عطف العام أيضاً، ويصح نصبه بإضمار فعل، وهو الذي مشى عليه المفسر بقوله: ﴿و﴾ [يأمركم] وهو خطاب للأولياء والحكام، والمراد باليتامى مطلقاً ذكوراً أو إناثاً. قوله: ﴿من خير﴾ بيان لما. قوله: [مرفوع بفعل يفسره] ﴿خافت﴾ أي فهو من

---

* أسباب نزول الآية ١٢٨: قوله تعالى: ﴿وإن امرأة﴾ روى أبو داود والحاكم عن عائشة قالت: فرقت سودة أن يفارقها رسول الله ﷺ حين أسنت فقالت: يومي لعائشة، فأنزل الله ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ الآية، وروى الترمذي مثله عن ابن عباس. وأخرج سعيد بن منصور عن =

مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾: عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَصَّالَحَا﴾: فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي قراءة يُصْلِحا من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾: في القسم والنفقة بأن تترك له شيئاً طلباً لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: من الفرقة والنشوز والإعراض قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾: شدة البخل

باب الاشتغال، ولا يصح جعله مبتدأ، لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديراً، ونظيره ﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾.

قوله: ﴿خافت﴾ الخوف توقع الأمر المكروه، فقوله: [توقعت] أي انتظرته. قوله: [زوجها] أي ويقال له سيد أيضاً، قال تعالى: ﴿وألفيا سيدها﴾ والسيد والبعل مختصان بالرجل، والزوج كما يطلق على الرجل يطلق على المرأة. قوله: [بترك مضاجعتها] الباء سببية، والمراد بالترك التقليل من ذلك. قوله: [والتقصير في نفقتها] أي التقليل منها، مع كونه لم يكن ترك الحقوق الواجبة، وإلا فصلحه بالمال على ترك الحقوق الواجبة يحرم عليه ولا يحل له أخذه، مع أن الموضوع أنه لا جناح عليه ولا عليها فيه فتأمل. قوله: [وطموح عينه] أي تلفته ونظره إلى غيرها قوله: [إلى أجمل منها] أي ولو بحسب ما عنده. قوله: ﴿أو إعراضاً﴾ معطوف على ﴿نشوزاً﴾ والمراد بالإعراض عنها بوجهه عدم البشاشة معها ولقاؤها بوجه عبوس، قال الشاعر:

وللغدر عينٌ لن تزال عبوسةً ... وعينُ الرضا مصحوبة بالتبسم

قوله: ﴿فلا جناح عليهما﴾ أي لا إثم في ذلك على المرأة إذا صالحته على ترك القسم أو النفقة أو الكسوة، ولا على الرجل في قبول ذلك منها، ونفي الجناح عن الرجل ظاهر لأنه يأخذ منها شيئاً فهو مظنة الجناح، وأما نفي الجناح عن المرأة فمن حيث دفع ذلك، لأنه ربما يقال إنه كالربا، فإنه حرام على الدافع والآخذ. قوله: [فيه إدغام التاء] أي بعد قلبها صاداً وتسكينها. قوله: [وفي قراءة يصلحا] أي وهي سبعية، وقوله: ﴿صلحاً﴾ مفعول مطلق على كلا القراءتين، ويصح على القراءة الثانية جعله مفعولاً به إن ضمن يصلحا معنى يوفقا، وقوله: ﴿بينهما﴾ حال من قوله: ﴿صلحاً﴾ لأنه نعت نكرة قدم عليها، وأقحمه إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون ذلك الصلح سراً لا يطلع عليه إلا أهلها. قوله: [بأن تترك له شيئاً] أي مما لها عليه من الحقوق، كالنفقة والكسوة والمبيت، قوله: [فإن رضيت بذلك] جواب الشرط محذوف تقديره لزمها ذلك، قوله: ﴿والصلح خير﴾ هذه الجملة كالتي بعدها معترضة بين جملة الشرط الأولى والثانية، وقوله: ﴿خير﴾ اسم تفضيل والمفضل عليه محذوف، قدره المفسر بقوله: [من الفرقة] لا يقال الفرقة لا خير فيها إلا أن يقال قد يكون في الفرقة خير أيضاً لكنه متوهم، وأما خيرية الصلح فمحققة. وقيل إنه ليس على بابه، بل المعنى الصلح خير من الخيور، كما أن النشوز شر من الشرور. قوله: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ الأنفس نائب فاعل أحضرت مفعول أول، والشح مفعول ثان، والمعنى أحضر الله الأنفس الشح أي جبلها عليه فمتى تعلقت

= سعيد بن المسيب أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمراً كبراً أو غيره. فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله ﴿وإن امرأة خافت﴾ الآية، وله شاهد موصول أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج.

أخرج الحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية ﴿والصلح خير﴾ في رجل كانت تحته امرأة قد ولدت له أولاداً، فأراد أن يستبدل بها، فراضته على أن تقر عنده ولا يقسم لها. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاءت امرأة حين نزلت هذه الآية ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾ قالت: إني أريد أن تقسم لي من نفقتك، وقد كانت رضيت أن يدعها فلا يطلقها ولا يأتيها، فأنزل الله ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾.

أي جُبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وإن تُحسنوا﴾: عشرة النساء ﴿وتتقوا﴾: الجور عليهن ﴿فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾ ١٢٨: فيجازيكم به ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا﴾: تسووا ﴿بين النساء﴾: في المحبة ﴿ولو حرصتم﴾: على ذلك ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾: إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فتذروها﴾: أي تتركوا المُمال عنها ﴿كالمعلّقة﴾: التي لا هي أيم ولا ذات بعل ﴿وإن تُصلحوا﴾: بالعدل في القسم ﴿وتتقوا﴾: الجور ﴿فإنّ الله كان غفوراً﴾: لما في قلبكم من الميل ﴿رحيماً﴾ ١٢٩: بكم في ذلك ﴿وإن يتفرقا﴾: أي الزوجان بالطلاق ﴿يُغنِ الله كُلًّا﴾: عن صاحبه ﴿من سعته﴾: أي فضله بأن يرزقها زوجاً غيره ويرزقه غيرها ﴿وكان الله واسعاً﴾: لخلقه في الفضل ﴿حكيماً﴾ ١٣٠: فيما دبره لهم ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب﴾: بمعنى الكتب ﴿من قبلكم﴾: أي اليهود والنصارى ﴿وإيّاكم﴾: يا أهل القرآن ﴿أنِ﴾: أي بأن ﴿اتقوا الله﴾: خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿و﴾: قلنا لهم ولكم ﴿إن تكفروا﴾: بما وصيتم به ﴿فإنّ لله ما في السموات وما في الأرض﴾: خلقاً وملكاً وعبيداً فلا يضره كفركم ﴿وكان الله غنياً﴾: عن خلقه وعبادتهم ﴿حميداً﴾ ١٣١: محموداً في صنعه بهم ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾: كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ ١٣٢: شهيداً بأن ما فيهما له ﴿إن يشأ يُذهبكم﴾: يا ﴿أيها الناس ويأت بآخرين﴾: بدلكم ﴿وكان الله على ذلك قديراً﴾ ١٣٣ ﴿من كان يريد﴾: بعمله ﴿ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾: لمن أراده لا

الأنفس بشيء فلا ترجع عنه إلا بمشقة. قوله: [والمعنى] أي المراد من الآية، وفي ذلك ترغيب في الصلح، وترك هوى النفس. قوله: [عشرة النساء] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تحسنوا﴾ محذوف. قوله: ﴿بما تعملون﴾ أي بعلمكم مع النساء خيراً أو شراً. قوله: [في المحبة] أي والمحادثة والمضاجعة. قوله: ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ أي فلا تعرضوا كل الإعراض، بل يلزمكم العدل في المبيت وتركه حرام لما في الحديث «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط» وأما الميل القلبي إلى إحداهما فلا حرج فيه، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك». قوله: [الممال عليها] على بمعنى عن، أي الممال عنها بمعنى المبغوضة. قوله: ﴿كالمعلقة﴾ الكاف بمعنى مثل مفعول ثان لتذروا، والهاء مفعول أول لأنها إذا كانت بمعنى ترك تنصب مفعولين. قوله: [التي لا هي أيم] الأيم هي التي لا زوج لها، كأن سبق لها زواج أو لم تزوج أصلاً. قوله: ﴿وإن يتفرقا﴾ مقابل قوله: ﴿فلا جناح عليهما ان يصالحا﴾. قوله: [بأن يرزقها زوجاً غيره] أي وإن كان لأحدهما عشق في الآخر، يغنيه الله بأن يبرد قلبه من ذلك. قوله: [في الفضل] متعلق بواسعاً. قوله: ﴿ولله ما في السموات﴾ الخ، هذا كالعلة والدليل لقوله: ﴿وكان الله واسعاً حكيماً﴾. قوله: [فلا يضره كفركم] أي فليس أمرهم بالطاعة عن احتياج تنزه الله عن أن يصل له نفع من طاعتهم أو ضر من كفرهم، وهذا هو جواب الشرط، وقوله: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ دليل الجواب. قوله: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أي يستأصلكم بالمرة، وقوله: ﴿ويأت بآخرين﴾ أي بقوم آخرين دفعة مكانكم.

قوله: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فقد ساء عمله وخاب نظره، وقوله: ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ مرتب على محذوف في التقدير، فلا يقصر نظره وطلبه على أحدهما فعند الله الخ، قوله: [لمن أراده] متعلق بقوله: ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا

عند غيره فلم يطلب أحدهما الأخس وهلا طلب الأعلى بإخلاصه له؟ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ ١٣٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾: قائمين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿شُهَدَآءَ﴾: بالحق ﴿لِلَّهِ وَلَوْ﴾: كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوِ﴾: على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ﴾: المشهود عليه ﴿غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: منكم وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾: في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رحمة له ﴿أَن﴾: لا ﴿تَعْدِلُواْ﴾: تميلوا عن الحق ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾: تحرفوا الشهادة وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾: عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ ١٣٥:

ومآله في الآخرة من خلاق﴾ الآية. قوله: [وهلا طلب الأعلى بإخلاصه] أي فالواجب على المكلف أن لا يطلب بعمله الصالح إلا الآخرة لأن الدنيا مضمونة لكل حيوان.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ قيل سبب نزولها أن غنياً وفقيراً اختصما إلى رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ يرى أن الفقير لا يظلم الغني، فنزلت الآية، فالخطاب للنبي وأمته. قوله: [قائمين] هذا بيان لأصل المادة، وإلا فالمراد مديمين القيام، لأن صيغة المبالغة لا تتحقق إلا بالدوام على القيام بالقسط، يقال قسط يقسط، جار وعدل، والمراد هنا العدل بقرينة المقام، وأما أقسط فمعناه عدل لا غير، واسم الفاعل من الأول قاسط، ومن الثاني مقسط. قوله: ﴿شهداء﴾ خبر ثان لكونوا، والواو اسمها، وقوامين خبر أول. قوله: [بالحق] أي لا بالباطل فلا تجوز الشهادة به. وقوله ﴿لله﴾ أي لمحض وجهه لا لغرض آخر. قوله: ﴿ولو على أنفسكم﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لكان المحذوفة، لأن حذف كان مع اسمها بعد لو كثير، قال ابن مالك:

ويحذفونها ويبقون الخبر   وبعد أن ولو كثيراً ذا اشتهر

أي هذا إذا كانت الشهادة على الغير، بل ولو على النفس. قوله: ﴿بأن تقروا بالحق﴾ أي فالمراد بالشهادة الأقرار، ويحتمل أن تكون الشهادة على حقيقتها، وهي الاخبار على الغير بأمر، كأن يكون شاهداً على ابنه مثلاً بحق، فالواجب أداؤها ولو حصل منها ضرر للنفس. قوله: ﴿أو الوالدين﴾ في حيز المبالغة، ولا عبرة بغضبهما حينئذ إذا كان الولد شاهداً عليهما بحق. قوله: ﴿إن يكن﴾ [المشهود عليه] أي من الوالدين والأقربين والأجانب. قوله: ﴿فالله أولى بهما﴾ استشكل تثنية الضمير مع كون العطف بأو، أجيب بأن الضمير ليس عائداً على الغني والفقير المتقدمين، بل هو عائد على جنسهما المدلول عليه بالمذكورين، ويدل على ذلك قراءة أبي فالله أولى بهم، وأجيب أيضاً بأن أو للتقسيم للمشهود له والمشهود عليه، لأنهما إما أن يكونا غنيين أو فقيرين، أو المشهود له غنياً، والمشهود عليه فقيراً، أو بالعكس، فالضمير في الحقيقة عائد على المشهود له والمشهود عليه، وقد يجاب أيضاً بأن أو بمعنى الواو. قوله: [لرضاه] أي الغني فربما واساكم. وقوله: [بأن تحابوا] تصوير للمنفي.

قوله: ﴿أن﴾ [لا] ﴿تعدلوا﴾ تعليل للنهي، لأن من اتبع الهوى فقد اتصف بالجور، ومن ترك اتباعه فلا يتصف به فيصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل أن لا يحصل منكم جور، وهذا ما مشى عليه المفسر، من أن العدل بمعنى الجور، فاحتاج إلى تقدير لا، وقال في الكشاف إن العدل ضد الجور، وعليه فليس فيه تقدير لا، ويصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل اتصافكم بالعدل وكل صحيح، والثاني أقرب لعدم الكلفة. قوله: [تحرفوا الشهادة] أي بأن

---

* أسباب نزول الآية ١٣٥: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: لما نزلت هذه الآية في النبي ﷺ اختصم إليه رجلان غني وفقير، وكان ﷺ مع الفقير لا يظلم الغني فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير.

فيجازيكم به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾: داوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾: على الرسل بمعنى الكتب وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ ١٣٦: عن الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾: بعبادة العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾: بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾: بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: بمحمد ﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾: ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ ١٣٧: طريقاً إلى الحق ﴿بَشِّرِ﴾: أخبر يا محمد ﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ١٣٨: مؤلماً هو عذاب النار ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل أو نعت للمنافقين

يشهد على خلاف ما يعلم من الدعوى. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وأصل تلووا تلويون استثقلت الضمة على الياء، فنقلت للواو قبلها بعد سلب حركتها، فحذفت الياء التي هي لام الكلمة، وحذفت النون للجازم، فصار وزنه تفعوا، وعلى القراءة الثانية حذفت عين الكلمة التي هي الواو الأولى بعد نقل ضمتها إلى اللام، فصار وزنه تفوا، وفيه إجحاف، لأنه لم يبق إلا فاؤها.

قوله: ﴿أو تعرضوا﴾ أي بأن تنكروها من أصلها، فالعطف مغاير خلافاً لمن قال بالترادف. قوله: ﴿فإن الله﴾ دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يعاقبكم على ذلك لأن الله كان بما تعملون خبيراً. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ ذكر هذه الآية بعد الأمر بالعدل من ذكر السبب بعد المسبب، لأن الإيمان سبب للعدل. قوله: [داوموا] الخ دفع بذلك ما يقال إن فيه تحصيل الحاصل والمعنى داوموا على الإيمان بفعل الطاعات، لأن فعلها يزيد في الإيمان، ولا تكونوا ممن بدل وغير ممن سيأتي ذكرهم والتشنيع عليهم. قوله: [بمعنى الكتب] أي فأل للجنس. قوله: [في الفعلين] أي نزل وأنزل، وفاعل الإنزال هو الله تعالى.

قوله: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته﴾ أي بشيء من ذلك بأن أنكر صفة من صفات الله أو سب ملائكته، أو أنكر الكتب السماوية، أو سب رسله أو أنكر رسالتهم أو لم يصدق باليوم الآخر، فالكفر بواحد من هذه المذكورات كاف في استحقاق الوعيد، لأن الإيمان بكل واحد أصل من أصول الدين. قوله: [بعده] أي بعد رجوعه إليهم من المناجاة. قوله: [أقاموا عليه] أي مدة إقامتهم عليه، ودفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضي عدم المغفرة لهم ولو تابوا فأفاد أن عدم المغفرة لهم مقيد بمدة إقامتهم على الكفر، أما إن تابوا ورجعوا عنه فإن الله يقبل توبتهم، قال تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ وخبر كان في الآية محذوف وهو متعلق اللام تقديره لم يكن الله مريداً ليغفر لهم، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد هذه اللام لأنها لام الجحود، والفعل في تأويل مصدر معمول لمريد التقدير لم يكن الله مريداً غفران كفرهم.

قوله: ﴿بشر﴾ البشارة في الأصل هي الخبر السار، سمي بذلك لأنه يغير البشرة أي الجلدة. قوله: [أخبر] أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة هنا مطلق الأخبار، وسماه بشارة تهكماً بهم، أو إشارة إلى أن وعيدهم بالعذاب لا يتخلف، كما أن وعد المؤمن بالخير لا يتخلف، وفي الكلام استعارة تبعية، حيث شبهت النذارة بالبشارة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البشارة بشر بمعنى أنذر، والجامع التأثر في كل، لأن من تسمع الخبر الضار تأثر به، ومن سمع الخبر السار تأثر به. قوله: ﴿المنافقين﴾ أي وهم الذين يسرون الكفر، ويظهرون الإسلام، والنفاق قسمان: عملي واعتقادي، فالعملي أشار له ﷺ بقوله: «إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». والاعتقادي هو إظهار

﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾: استفهام إنكار أي لا يجدونها عندهم ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ ١٣٩: في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾: بالبناء للفاعل والمفعول ﴿عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَابِ﴾: القرآن في سورة الأنعام ﴿أَنْ﴾: مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾: أي الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً﴾: إن قعدتم معهم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾: في الإثم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ ١٤٠: كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من الذين قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾: ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾: الدوائر ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾: ظفر وغنيمة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوا﴾: لكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: في الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾: من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾: لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾: نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾: ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَ﴾: ألم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ

الإسلام وإخفاء الكفر. قوله: ﴿أولياء﴾ أي أصحاباً يوالونهم ويستعزون بهم لزعمهم أن الكفار لهم اليد العليا، وأن الإسلام سيهدم لقلة أهله. قوله: [استفهام إنكاري] أي بمعنى النفي. قوله: [إلا أولياؤه] أي المؤمنون، قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾.

قوله: ﴿وقد نزل عليكم﴾ أي يا أيها المؤمنون، والذي نزل هو قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ وهذا نزل بمكة، لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزؤون به، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، صار اليهود يفعلون مثل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم، ويسمعون منهم الخوض، ويستهزؤون معهم، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مجالستهم والقعود معهم. قوله: [بالبناء للفاعل] أي والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعوله وهذا على كونه مشدداً، وقرىء بالبناء للفاعل مخففاً، فأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل، وقوله: [والمفعول] أي مشدداً، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل. قوله: ﴿يكفر بها﴾ أي إما من غير استهزاء وهو الواقع من المشركين واليهود، أو مع الاستهزاء وهو الواقع من المنافقين. قوله: [أي الكافرين] أي كالمشركين واليهود، وقوله: [والمستهزئين] أي وهم المنافقون، وسموا مستهزئين لقولهم: [إذا خلوا بشياطينهم إنا معكم إنما نحن مستهزؤون]. قوله: ﴿في حديث غيره﴾ أي غير الحديث المتقدم من الكفر والاستهزاء. قوله: ﴿إنكم إذاً مثلهم﴾ أي مشاركون لهم في الإثم، قال بعضهم:

وسمعك صن عن سماع القبيح … كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح … شريك لقائله فانتبه

قوله: [في الإثم] أي كفر أو غيره، فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالمحرم عاص، وبالجملة فجليس الطائع مثله، وجليس العاصي مثله. قوله: ﴿إن الله جامع المنافقين﴾ الخ، هذا كالعلة والدليل لقوله: ﴿إنكم إذاً مثلهم﴾. قوله: [من الذين قبله] أي وهو قوله: ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء﴾ والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين. قوله: ﴿فإن كان لكم فتح﴾ أي بأن كانت الغلبة للمؤمنين، والخذلان للكفار. قوله: [من الظفر عليكم] أي كما وقع في أحد. قوله: ﴿ألم نستحوذ﴾ الاستحواذ الاقتدار والاستيلاء. قوله: [فأبقينا عليكم] أي رفقنا بكم ورحمناكم. قوله: [فلنا عليكم

﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾١٤١: طريقاً بالاستئصال ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ﴾: بإظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾: مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾: مع المؤمنين ﴿قَامُوا كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾: بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ﴾: يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾١٤٢: رياء ﴿مُذَبْذَبِينَ﴾: مترددين ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: الكفر والإيمان ﴿لَا﴾: منسوبين ﴿إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾: أي الكفار ﴿وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾: أي المؤمنين ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ﴾ـه ﴿اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾١٤٣: طريقاً إلى الهدى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بموالاتهم ﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾١٤٤: برهاناً بيناً على نفاقكم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ﴾: المكان ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾: وهو قعرها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾١٤٥: مانعاً من العذاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: من النفاق

المنة] أي فأعطونا نصيباً من الدنيا، فهم لا حظ لهم غير أخذ المال. قوله: [بالاستئصال] دفع بذلك ما يقال إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب المفسر: بأن معنى ذلك أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين ويجاب أيضاً: بأن المراد في القيامة فلا يطالبونا بشيء يوم القيامة، أو المراد سبيلاً بالشرع، فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة، فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل المسلم بالذمي.

قوله: ﴿يخادعون الله﴾ أي رسوله، وهذا بيان لبعض قبائحهم. قوله: [بإظهارهم خلاف ما أبطنوه] أي من إظهار الإيمان وإخفاء الكفر. قوله: [فيفتضحون في الدنيا] أي ويفتضحون في الآخرة أيضاً لما روي انه يوم القيامة حين يمتاز الكفار من المؤمنين، تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيتجلى الله لهم، فيخر المؤمنون سجداً، والمنافقون يصير ظهورهم طبقاً، فلا يستطيعون السجود، وروي أنهم يعطون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون، فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم، ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ الآية. قوله: ﴿كسالى﴾ أي لعدم الداعية في قلوبهم وهو نصب على الحال، والكسل الفتور والتواني. قوله: ﴿يراؤون الناس﴾ أي النبي وأصحابه، والمعنى أنهم يقصدون بصلاتهم النجاة من النبي وأصحابه، والجملة حال من كسالى. قوله: [يصلون] إنما سميت الصلاة ذكراً، لأنها اشتملت عليه. قوله: ﴿مذبذبين﴾ حال من فاعل يراؤون، وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى، وقد افاده المفسر بقوله: [مترددين] قوله: ﴿لا إلى هؤلاء﴾ الخ، متعلق في الموضعين بمحذوف حال من مذبذبين، قدره المفسر بقوله: [منسوبين] قوله: [أي الكفار] أي فيقتلون ويترتب عليهم أحكامه. وقوله: [أي المؤمنين] أي فينجون في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب للمؤمنين الخلص. قوله: ﴿لا تتخذوا الكافرين﴾ أي كما فعل المنافقون، فيترتب عليه الوعيد العظيم فاحذروا ذلك. قوله: ﴿أتريدون﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا تريدون ذلك. قوله: ﴿في الدرك الأسفل﴾ الدركات بالكاف منازل أهل النار، والدرجات بالجيم منازل أهل الجنة. قوله: [وهو قعرها] أي لأنها سبع طبقات، العليا لعصاة المؤمنين وتسمى جهنم، والثانية لظى للنصارى، والثالثة الحطمة لليهود، والرابعة السعير للصابئين، والخامسة سقر للمجوس، والسادسة الجحيم للمشركين، والسابعة الهاوية للمنافقين وفرعون وجنوده، لقوله تعالى ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: عملهم ﴿وَاعْتَصَمُوا﴾: وثقوا ﴿بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ ١٤٦: في الآخرة هو الجنة ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾: نعمه ﴿وَآمَنْتُمْ﴾: به والاستفهام بمعنى النفي أي لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً﴾: لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيماً﴾ ١٤٧: بخلقه ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: من أحد أي يعاقبه عليه ﴿إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾: فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً﴾: لما يقال ﴿عَلِيماً﴾ ١٤٨: بما يفعل

قوله: ﴿إلا الذين﴾ استثناء من قوله: ﴿إن المنافقين﴾. قوله: ﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾ ما استفهامية، والباء سببية، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي. أي لا يفعل بعذابكم شيئاً حيث حسنت توبتكم، ويصح أن تكون ما نافية والباء زائدة ومدخولها مفعول لقوله يفعل، والمعنى ما يفعل عذابكم، أي لا يعذبكم حين صدقت التوبة، فالمآل في المعنيين واحد. قوله: ﴿وآمنتم﴾ عطف خاص على عام، أو مسبب على سبب، لأن الشكر سبب في الإيمان. فإن الإنسان إذا تذكر نعم الله حملته على الإيمان.

قوله: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء﴾ هذا مرتب على ما تقدم من ذكر أحوال المنافقين، أي فلا تتوهم أيها العاقل من تقبيح الله لبعض عبيده، أنه يجوز لكل أحد التقبيح لمن علم منه سوءاً، أو ظنه فيه، وسبب نزولها: أن رجلاً استضاف قوماً فلم يحسنوا ضيافته، فلما خرج تكلم فيهم جهراً بسوء، وقيل إن سبب نزولها أن رجلاً نال من أبي بكر والنبي ﷺ حاضر، فسكت عنه مراراً ثم رد عليه فقال النبي ﷺ، فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت، فقال له إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت فنزلت، وقوله: ﴿بالسوء﴾ هو اسم جامع لكل فحش، كالبر فإنه اسم جامع لكل خير، وقوله: ﴿من القول﴾ بيان للجهر بالسوء ومثل القول الفعل، فلا مفهوم للجهر ولا للقول، وإنما خصا لأنهما سبب النزول ولكونهما الغالب. قوله: [من أحد] قدره إشارة إلى أن فاعل المصدر محذوف، وهو من المواضع التي ينقاس فيها حذف الفاعل، وقد جمعها بعضهم بقوله:

عند النيابة مصدر وتعجب ... ومفرغ ينقاس حذف الفاعل

قوله: [أي يعاقب] دفع بذلك ما يقال إن الحب والبغض معنى قائم بالقلب وهو مستحيل على الله تعالى، فأجاب بأن المراد لازمه وهو العقاب، لأن من غضب من أحد عاقبه، ودخل في الجهر بالسوء التعريض والسخرية به والغيبة والنميمة، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ إلى غير ذلك، وفي الحديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة الواحدة يهوي بها في النار سبعين خريفاً». قوله: [بأن يخبر عن ظلم ظالمه] أي لمن ينصفه بأن يقول: شتمني، أو غصبني، أو أخذ مالي، أو ضربني مثلاً. قوله: [ويدعو عليه] أي بدعاء جائز مثل: اللهم خلص حقي منه، أو جازه، أو انتقم ممن ظلمني، أو خذ لي بثاري منه، ولا يجوز الدعاء على الظالم بسوء الخاتمة على المعتمد، ولو بلغ في الظلم مهما بلغ، ولا بخراب دياره أو هلاكه مثلاً، والصبر وعدم الدعاء أجمل، وهو مقام عظيم، ولذا أمر به ﷺ بقوله تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وقوله: ﴿إلا من ظلم﴾ أي مثلاً، ومثله المستفتي والمستغيث والمحذر والمعرف والمتجاهر، وقد جمعها بعضهم بقوله:

---

* أسباب نزول الآية ١٤٨: قوله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر﴾ الآية. أخرج هناد بن السري في كتاب الزهد عن مجاهد قال: أنزلت ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ في رجل أضاف رجلا بالمدينة فأساء قراه فتحول عنه فجعل يثني عليه بما أولاه فرخص له أن يثني عليه بما أولاه.

﴿إِنْ تُبْدُوا﴾: تظهروا ﴿خَيْرًا﴾: من أعمال البرّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تعملوه سرًا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾: ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ١٤٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: بأن يؤمنوا به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾: من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾: منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا﴾ ١٥٠: طريقاً يذهبون إليه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾: مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ١٥١: ذا إهانة هو عذاب النار ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ﴾: بالنون والياء ﴿أُجُورَهُمْ﴾: ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ ١٥٢: بأهل طاعته ﴿يَسْأَلُكَ﴾: يا محمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: جملة كما أنزل على موسى تعنتاً فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾: أي آباؤهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾: أعظم ﴿مِنْ ذَلِكَ﴾

تظلّمْ واستغثْ واستفتِ حذِّرْ وعرِّفْ بدعة فسقَ المجاهرْ

وجمعت أيضاً في قول بعضهم:

لقب ومستفتٍ وفسقٍ ظاهرٍ متظلّم ومعرّفٍ ومحذِّرِ

قوله: [لما يقال] أي من الظالم والمظلوم. قوله: [بما يفعل] أي من الظالم والمظلوم. قوله: [من أعمال البر] أي كالصلاة والصدقة وفعل المعروف وحسن الظن. قوله: ﴿أو تعفو عن سوء﴾ هذا هو محط الفائدة بدليل قوله: ﴿فإن الله كان عفواً قديراً﴾ وهذا بيان للخلق الكامل، فالعفو والمسامحة أجلّ وأعلى من الإنتصار. قوله: ﴿فإن الله﴾ الخ، دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يعفو عنكم. قوله: ﴿ويريدون أن يفرقوا﴾ الخ عطف سبب على مسبب، أي وكفرهم بالتفرقة لا باعتقاد للشريك لله مثلاً. قوله: [من الرسل] أي كموسى وعيسى. قوله: ﴿ونكفر ببعض﴾ أي كمحمد. قوله: [طريقاً يذهبون إليه] أي واسطة بين الإيمان والكفر، وهو الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعض. قوله: [مصدر مؤكد] أي وعامله محذوف ويقدر مؤخراً عن الجملة المؤكدة لها تقديره أحقه حقاً، نظير زيد أبوك عطوفاً. قال ابن مالك:

وإنْ تؤكِّدْ جملةً فمُضمَرُ عاملِها ولفظُها يؤخَّرُ

ويصح أن يكون حالاً من قوله ﴿هم الكافرون﴾ أي حال كون كفرهم حقاً أي لا شك فيه. قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ مقابل قوله ﴿إن الذين يكفرون﴾ وقوله ﴿ولم يفرقوا﴾ مقابل قوله: ﴿ويريدون أن يفرقوا﴾. قوله: ﴿بين أحد منهم﴾ أي في الإيمان بأن يؤمنوا بجميعهم. قوله: [بالنون والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، وعلى النون فيكون فيه التفات من الغيبة للتكلم؛ لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة.

قوله: ﴿يسألك﴾ أي سؤال تعنت لا عناد، فلذا لم يبلغهم الله مرادهم، ولو كان سؤالهم لطلب الاسترشاد لأجيبوا. قوله: [اليهود] أي أحبارهم. قوله: ﴿أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ أي فقالوا إن كنت نبياً فأتنا بكتاب محرر بخط سماوي في ألواح كما أنزلت التوراة. قوله: [تعنتا] مفعول لأجله أي فالحامل لهم على السؤال التعنت والعناد

---

* أسباب نزول الآية ١٥٣: قوله تعالى: ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح حتى نصدقك، فأنزل الله ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ إلى قوله ﴿بهتاناً عظيماً﴾ فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً، فأنزل الله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية.

﴿فَقَالُوا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ﴾: الموت عقاباً لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ﴾: إلٰهاً ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ﴾: المعجزات على وحدانية الله ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ﴾: ولم نستأصلهم ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ١٥٣: تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾: بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾: وهو مظل عليهم ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ﴾: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾: سجود انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾: وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي لا تعتدوا ﴿فِي ٱلسَّبْتِ﴾: باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ١٥٤: على ذلك فنقضوه ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾: ما زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾: للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: لا تعي

لا الاسترشاد، وإلّا لأجيبوا. قوله: [فإن استكبرت ذلك] قدّره إشارة إلى أن قوله ﴿فقد سألوا موسى﴾ جواب شرط محذوف، والمعنى إن استعظمت سؤالهم، فقد وقع من أصولهم ما هو أعظم من ذلك. قوله: [أي آباؤهم] أتى وإنما نسب السؤال لهم لأنهم راضون بها فكأنها وقعت منهم. قوله: ﴿فقالوا﴾ تفسير لسألوا على حدّ توضأ فغسل وجهه. قوله: [عياناً] أي معاينين له، وذلك أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين من بني إسرائيل، فخرج معهم إلى الجبل ليستغفروا لقومهم حيث عبدوا العجل ﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾. قوله: ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ أي ثم أحيوا بعد ذلك حين قال موسى: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي.

قوله: ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ ثم للترتيب الذكري الأخباري لأن عبادة العجل كانت قبل ذلك. قوله: [المعجزات] أي كالعصا واليد البيضاء والسنين وفلق البحر. قوله: ﴿فعفونا عن ذلك﴾ أي قبلنا توبتهم، فتوبوا أنتم أيضاً حتى يعفو عنكم. قوله: ﴿سلطانا﴾ أي قهراً عظيماً وسلطنة جليلة. قوله: [فأطاعوه] أي فقتل منهم سبعون ألفاً في يوم واحد.

قوله: ﴿بميثاقهم﴾ أي حين جاءهم موسى بالتوراة، وفيها الأحكام فامتنعوا من قبولها، فرفع الله فوقهم الطور، فخافوا من وقوعه عليهم فقبلوه وسجدوا على جبينهم وأعينهم تنظر له، فصار ذلك فيهم إلى الآن. قوله: [فيقبلوه] أي الميثاق ولا ينقضوه. قوله: [وهو مظل عليهم] أي مرفوع عليهم، والتقييد بذلك سبق قلم لأن القول لهم حين دخول القرية كان بعد مدة التيه، وتلك القرية قيل هي بيت المقدس وقيل أريحاء، والقول قيل على لسان موسى وقيل على لسان يوشع بن نون وهي قرية الجبارين، وأما رفع الجبل فكان قبل دخولهم التيه حين جاءتهم التوراة فلم يؤمنوا بها. قوله: [سجود انحناء] أي خضوع وتذلل، فخافوا ودخلوا يزحفون على أستاههم، وتقدم بسط ذلك في البقرة. قوله: ﴿لا تعدوا﴾ بسكون العين وضم الدال من عدا يعدو بمعنى جار، وأصله تعدووا بضم الواو الأولى وهي لام الكلمة، استثقلت الضمة عليها فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما ووزنه تفعوا. قوله: [وفي قراءة بفتح العين] أي فأصله تعتدوا قلبت التاء دالاً ثم أدغمت في الدال، والمعنى أنهم نهوا عن الاعتداء في السبت بصيد السمك، فخالف بعضهم واصطاد وامتنع بعضهم من غير نهي للآخرين وامتنع بعضهم مع نهي من اصطاد، فحل بمن اصطاد العذاب ونجا من نهي، وسيأتي بسط ذلك في سورة الأعراف. قوله: ﴿ميثاقاً غليظاً﴾ أي أنهم إن خالفوا عذبهم الله بأي نوع من العذاب أراده. قوله: ﴿بآيات الله﴾ أي القرآن أو كتابهم. قوله: ﴿بغير حق﴾ أي حتى في زعمهم، أي فهم مقرون بأن القتل بغير وجه.

كلامك ﴿بَلْ طَبَعَ﴾: ختم ﴿ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾: فلا تعي وعظا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١٥٥: منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾: ثانياً بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ ١٥٦: حيث رموها بالزنا ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾: مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: في زعمهم أي بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيباً لهم في قتله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾: المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: أي في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به وقال آخرين بل هو هو ﴿مَا لَهُم بِهِ﴾: بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾: استثناء منقطع أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ١٥٧: حال مؤكدة لنفي القتل ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾: في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ ١٥٨: في صنعه ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾: بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: أي

قوله: ﴿بل طبع الله عليها﴾ أي غشيت وغطيت بغطاء معنوي لا حسي كما قالوا تهكما، بمعنى أنهم صم بكم عمي لا يهتدون للحق ولا يعونه. قوله: ﴿إلا قليلا﴾ قيل إنه مستثنى من فاعل ﴿يؤمنون﴾ ورد بأن من آمن لم يطبع على قلبه، والأحسن انه مستثنى من الهاء في قوله: ﴿بل طبع الله عليها﴾ أي إلا قليلاً فلم يطبع على قلوبهم. قوله: [ثانياً بعيسى] أي وأولاً بموسى. قوله: [وكرر الباء] أي في قوله: ﴿وبكفرهم﴾. قوله: [للفصل] أي بأجنبي وهو قوله ﴿بل طبع الله﴾. قوله: [حيث رموها بالزنا] أي منكرين تعلق قدرة الله تعالى بخلق ولد من غير والد، ومعتقد ذلك كافر لأنه يلزم عليه القول بقدم العالم لأن كل ولد لا بد له من والد وهكذا.

قوله: ﴿رسول الله﴾ إن قلت: أنهم لم يعترفوا برسالته! بل كفروا به وقالوا هو ساحر ابن ساحرة. وأجيب: بأنهم قالوا ذلك تهكما به، نظير قول فرعون لموسى إن رسولكم الذي ارسل إليكم لمجنون، وقول مشركي العرب في حق محمد: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون. وأجيب أيضاً: بأنه من كلامه تعالى مدحاً له وتنزيهاً له عن مقالتهم، فيكون منصوباً بفعل محذوف، أي أمدح رسول الله. قوله: [في زعمهم] متعلق بقوله: ﴿قتلنا﴾ والمناسب حذفه لأن تكذيبهم في القتل معلوم من قوله بعد: ﴿وما قتلوه﴾ وفي نسخة في زعمه بالإفراد، ويكون متعلقاً بقوله: ﴿رسول الله﴾ وهي أولى.

قوله: ﴿ولكن شبه لهم﴾ روي أن رهطاً من اليهود سبوه وأمه! فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بذلك، وكان له صاحب منافق، فقالوا له اذهب إلى عيسى وأخرجه لنا، فلما دخل دار عيسى ألقى شبهه عليه، ورفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم قتلوه. قوله: [بعيسى] متعلق بشبه، وقوله: [عليه] أي الصاحب، وقوله: [شبهه] أي شبه عيسى. قوله: [استثناء منقطع] أي لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم. قوله: [مؤكدة لنفي القتل] أي انتفى قتلهم له انتفاء يقيناً لا شك فيه، فيلاحظ القيد بعد وجود النفي، فهو من باب تيقن العدم لا من عدم التيقن، ومحصله أنه نفي للقيد الذي هو اليقين، والمقيد الذي هو القتل، ويصح أن يكون حالاً من فاعل قتلوه أي ما فعلوا القتل في حال تيقنهم له، بل فعلوه شاكين فيه، وقيل منصوب بما بعد بل من قوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ورد بأن ما بعد بل لا يعمل فيما قبلها.

قوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ أي إلى محل رضاه وانفراد حكمه وهو السماء الثالثة، كما في الجامع الصغير، أو

الكتابي حين يعاين ملائكة الموتِ فلا ينفعه إيمانه أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في الحديث ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾: عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ١٥٩: بما فعلوه لما بعث إليهم ﴿فَبِظُلْمٍ﴾: أي فبسبب ظلم ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا﴾: هم اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: هي التي في قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ الآية. ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه صداً ﴿كَثِيرًا﴾ ١٦٠ ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾: في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ﴾: بالرشا في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ١٦٢: مؤلماً ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّاسِخُونَ﴾: الثابتون ﴿فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾: كعبد الله بن سلام ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ

الثانية كما في بعض المعاريج. قوله: [حين يعاين ملائكة الموت] رُوي أن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا له: يا عدو الله اتاك عيسى نبياً فكذبت به، فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله، ويقال للنصراني: اتاك عيسى نبياً فزعمت أنه الله وابن الله، فيقول آمنت بأنه عبد الله، فأهل الكتاب يؤمنون به، ولكن لا ينفعهم إيمانهم لحصوله وقت معاينة العذاب. قوله: [أو قبل موت عيسى] هذا تفسير آخر وهو صحيح أيضاً، والمعنى أن عيسى حين ينزل إلى الأرض ما من أحد يكون من اليهود أو النصارى، أو ممن يعبد غير الله إلا آمن بعيسى، حتى تصير الملة كلها إسلامية. قوله: ﴿شهيداً﴾ أي فيشهد على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنهم اعتقدوا فيه أنه ابن الله.

قوله: ﴿فبظلم﴾ الجار والمجرور متعلق بحرمنا والباء سببية. قوله: [هم اليهود] سُموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى تابوا، ورجعوا عن عبادة العجل. قوله: ﴿أحلت لهم﴾ صفة لطيبات، أي طيبات كانت حلالاً لهم، فلما حُرمت عليهم، صاروا يقولون: لسنا بأول من حرمت عليه، بل كانت حراماً على من قبلنا! فرد الله عليهم بقوله: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ الآية. قوله: ﴿ويصدهم﴾ هذا تفصيل لبعض أنواع الظلم، وكرر الجار للفصل بين العاطف والمعطوف بقوله: ﴿حرمنا﴾ ولم يكرره في قوله: ﴿وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس﴾ لعدم الفاصل. قوله: [صداً] ﴿كثيراً﴾ أشار بذلك إلى أن كثيراً صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله صدهم، ويصح أن يكون المحذوف مفعولاً به والتقدير خلقاً كثيراً.

قوله: ﴿وقد نهوا عنه﴾ الجملة حالية. قوله: [بالرشا في الحكم] جمع رشوة، وهي ما يعطيه الشخص للحاكم ليحكم له؟ والمقصود من ذكر هذه الأمور الاتعاظ بها؟ وبيان أنها حرام في شرعنا أيضاً، ففي الحديث «كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به، قالوا: وما السحت؟ قال: الرشو في الحكم» فالحاكم لا يجوز له أن يأخذ شيئاً على حكمه، ومثله الضامن، وذو الجاه، والمقرض، ففي الحديث: «ثلاثة لا تكون إلا لله: القرض، والضمان، والجاه». قوله: ﴿منهم﴾ أي وممن حذا حذوهم. قوله: ﴿عذاباً أليماً﴾ أي وهو الخلود في النار.

قوله: ﴿لكن الراسخون﴾ استدراك على قوله: ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ والمعنى من كان من اليهود، وفعل تلك الأفعال المتقدمة، وأصر على الكفر، ومات عليه، أعتدنا لهم عذاباً أليماً، وأما من كان من اليهود، غير أنه رسخ في العلم، وآمن وعمل صالحاً فأولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً. ﴿والراسخون﴾ مبتدأ، و﴿في العلم﴾ متعلق به، وقوله: ﴿منهم﴾ متعلق بمحذوف حال من الراسخون. وقوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ، و﴿سنؤتيهم﴾ خبره، والجملة خبر الراسخون.

قوله: ﴿والمؤمنون﴾ عطف على الراسخون عطف مفصل على مجمل، لأن الإيمان وما بعده متنوع ولازم للرسوخ في العلم، فنزل التغاير الاعتباري منزلة التغاير الذاتي، وهذا على أن المراد المؤمنون منهم وأما على أن المراد المؤمنون من غيرهم، أو ما هو أعم، فالمغايرة ظاهرة، وقوله: ﴿يؤمنون﴾ الخ حال من المؤمنون والراسخون. قوله:

﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من الكتب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾: نُصب على المدح وقرىء بالرفع ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾: بالنون والياء ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ١٦٢: هو الجنة ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: كما ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾: ابنيه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾: ابن إسحاق ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾: أولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا﴾: أباه ﴿دَاوُدَ

﴿بما أنزل إليك﴾ أي وهو القرآن، وهذه الصفات للإيمان الكامل، فلا يكون الإنسان كامل الإيمان حتى يتصف بجميعها. قوله: [نصب على المدح] أي فتكون جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما نصبهم تعظيماً لشأنهم، وما قاله المفسر هو أحسن الأجوبة عن الآية، ويصح أنه معطوف على الكاف في إليك، ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء، ويصح أنه معطوف على ما أنزل، ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء أو الملائكة، ويصح أن يكون معطوفاً على الهاء في منهم، أي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين. قوله: [وقرىء بالرفع] أي وعليها، فلا إشكال وهي شاذة وإن وردت عن كثير.

قوله: ﴿والمؤمنون بالله﴾ أي المصدقون بأن الله يجب له كل كمال، ويستحيل عليه كل نقص، وقوله: ﴿واليوم الآخر﴾ أي يصدقون بأنه حق وما يقع فيه صدق. قوله: [هو الجنة] أي الخلود فيها، وهو مقابل قوله: ﴿وأعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾.

قوله: ﴿إنا أوحينا إليك﴾ قيل سبب: نزولها أن مسكيناً وعدي بن زيد قالا: يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى، وقيل هو جواب لقولهم ﴿لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء جملة واحدة﴾ فالمعنى أنكم تقرون بنبوة نوح وجميع الأنبياء المذكورين في الآية ولم ينزل على أحد من هؤلاء كتاباً جملة مثل ما أنزل على موسى، فعدم إنزال الكتاب جملة ليس قادحاً في نبوتهم فكذلك محمد ﷺ.

قوله: ﴿كما أوحينا﴾ يحتمل أن تكون ما مصدرية، والمعنى كوحينا، وأن تكون اسم موصول والعائد محذوف، والتقدير كالذي أوحيناه أي الأحكام التي أوحيناها إلى نوح الخ. قوله: ﴿إلى نوح﴾ قدمه لأنه أول نبي أرسله الله لينذر الناس من الشرك، وعاش ألف سنة وخمسين عاماً وهو صابر على أذى قومه، لم يشب فيها ولم تنقص قواه، وهو أول الأنبياء أولي العزم، وكان أبا البشر بعد آدم لانحصار الناس في ذريته. قوله: ﴿إلى إبراهيم﴾ خصه بعد نوح، لأن أكثر الأنبياء من ذريته وهو ابن تارخ، قيل هو آزر، وقيل هو أخوه فآزر عم إبراهيم. قوله: ﴿وإسماعيل﴾ كان نبياً ورسولاً بمكة، ثم لما مات نقل إلى الشام. قوله: ﴿وإسحاق﴾ كان رسولاً بالشام بعد إسماعيل ومات بها.

قوله: ﴿ويعقوب﴾ هو إسرائيل، ثم يوسف ابنه، ثم شعيب بن نويب، ثم هود بن عبد الله، ثم صالح بن آسف، ثم موسى وهارون ابنا عمران، ثم أيوب، ثم الخضر، ثم داود بن أيشا، ثم سليمان بن داود، ثم يونس بن متى، ثم إلياس، ثم ذو الكفل، وكل نبي ذكر في القرآن فهو من ولد إبراهيم غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح، ولم يكن نبي من العرب إلا خمسة: هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد ﷺ. قوله: [ابنيه] أي ابراهيم، اسماعيل من هاجر وإسحاق من سارة. قوله: [أولاده] أي أولاد يعقوب منهم يوسف نبي ورسول باتفاق والباقيهم فيه اختلاف، والصحيح

---

* أسباب نزول الآية ١٦٣: قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك﴾ الآية، روى ابن اسحاق عن ابن عباس قال: قال عدي بن زيد: ما نعلم أن الله أنزل على بشر من بعد موسى، فأنزل الله الآية.

زَبُوراً﴾ ١٦٣: بالفتح اسم للكتاب المؤتى وبالضم مصدر بمعنى مزبوراً أي مكتوباً ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿رُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾: رُوي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ في سورة غافر ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾: بلا واسطة ﴿تَكْلِيماً﴾ ١٦٤ ﴿رُّسُلاً﴾: بدل من رسلاً قبله ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾: بالثواب من آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ﴾: تقال ﴿بَعْدَ﴾: إرسال ﴿ٱلرُّسُلِ﴾: إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك

نبوتهم وليسوا رسلاً مشرعين، ولذلك وقع منهم ما يخالف الشرع الظاهر للمصالح التي ترتبت على تلك المخالفة، وسيأتي ذلك في سورة يوسف.

قوله: ﴿ويونس﴾ أي ابن متى، وفيه لغات ست بالواو والهمزة مع تثليث النون، والذي قرىء به في السبع ضم النون أو كسرها مع الواو، وقوله: ﴿وهارون﴾ أي أخي موسى. قوله: [اسم للكتاب المؤتى] أي هو مائة وخمسون سورة، ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، بل هو تسبيح وتقديس وتحميد وثناء ومواعظ، وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور، وتقوم علماء بني إسرائيل خلفه، ويقوم الناس خلف العلماء، وتقوم الجن خلف الناس، والشياطين خلف الجن، وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه، وترفرف الطيور على رؤوس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها، لأن الله أعطاه صوتاً حسناً، وقد ورد أن أبا موسى الأشعري كان يقرأ القرآن ليلاً بصوت حسن، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ قد أعجبتني قراءتك الليلة، كأنك أعطيت مزماراً من مزامير داود، فقال أبو موسى: لو علمت بك لحبرته لك تحبيراً. قوله: [وبالضم] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك﴾ الخ، هذا رد لقول اليهود للمصطفى عليه الصلاة والسلام: إنك لم تذكر موسى مع ما عددته من الأنبياء، فهذا دليل على عدم رسالتك، فرد ذلك الله بهذه الآية وبما بعدها. قوله: [روي أنه تعالى الخ] هذه الرواية ضعيفة، فلذا تبرأ منها المفسر، والرواية المشهورة أن الأنبياء مائة ألف، وفي رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر، وبعد ذلك فالحق أنه لم يبلغنا عددهم على الصحيح، وإنما هي أحاديث مختلفة تقبل الطعن كما أفاده الأشياخ. قوله: [قاله الشيخ] أي الجلال المحلي، وقوله: [في سورة غافر] أي في قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾.

قوله: ﴿وكلم الله موسى﴾ أي أزال عنه الحجاب فسمع كلام الله، وليس المراد أن الله كان ساكتاً ثم تكلم، لأن ذلك مستحيل على الله تعالى. قوله: ﴿تكليماً﴾ مصدر مؤكد لقوله كلم، وإنما أكد رفعاً لاحتمال المجاز، لأن الله كلم موسى بكلامه الأزلي القديم، من غير حرف ولا صوت ولا كيف ولا انحصار، ولا يعلم الله إلا الله. قوله: ﴿لئلا يكون﴾ هذه اللام لام كي متعلقة بمنذرين وأضمر في الأول وحذف، وهذا هو الأولى، ويحتمل أنه متعلق بمحذوف تقديره [أرسلناهم] وعلى ذلك درج المفسر، إلا أن يقال إنه حل معنى لا حل إعراب. قوله: ﴿حجة﴾ أي معذرة يعتذرون بها، وسماها الله حجة تفضلاً منه وكرماً، فأهل الفترة ناجون ولو بدلوا وغيروا، قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وقال تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ الآية، وما ورد من تعذيب بعض أفراد من أهل الفترة، فأحاديث آحاد لا تقاوم القطعيات، كما أفاده أشياخنا المحققون.

قوله: ﴿بعد الرسل﴾ أي وإنزال الكتب، والمعنى لو لم يرسل الله رسولاً لكان للناس عذر في ترك التوحيد فقطع

ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾: في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ ١٦٥: في صنعه. ونزل لما سُئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾: يبين نبوتك ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾: من القرآن المعجز ﴿أَنزَلَهُۥ﴾: ملتبساً ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾: أي عالماً به أو وفيه علمه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾: لك أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ١٦٦: على ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالله ﴿وَصَدُّوا﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دين الإسلام بكتمهم نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ ١٦٧: عن الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالله ﴿وَظَلَمُوا﴾: نبيه بكتمان نعته ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ١٦٨: من الطرق ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾: أي الطريق المؤدي إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾:

الله عذرهم بإرسال الرسل، والظرف متعلق بالنفي، أي انتفت حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل، وأما قبل الإرسال فكانوا يعتذرون، فإن قلت: كيف يكون للناس حجة قبل الرسل، مع قيام الأدلة التي تدل على معرفة الله ووحدانيته كما قيل:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

أجيب: بأن الله لا يكلفنا بذلك بمجرد العقل، بل لا بد من ضميمة الرسل التي تنبه على الأدلة، وشاهده هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ فلذلك قال أهل السنة: إن معرفة الله لا تثبت إلا بالشرع، خلافاً للمعتزلة. قوله: [لولا أرسلت] لولا للتحضيض وهو الطلب بحث وازعاج، ولكن المراد بها هنا العرض وهو الطلب بلين ورفق. قوله: ﴿عزيزاً﴾ أي غالباً قاهراً لغيره منفرداً بالإيجاد والإعدام، وقوله: ﴿حكيماً﴾ أي يضع الشيء في محله. قوله: [ونزل لما سئل اليهود] أي حين قال النبي ﷺ لليهود: أنتم تشهدون بأني مذكور في كتبكم، فقالوا: لا نشهد بذلك، وما نعلم من بشر أوحي إليه بعد موسى، وقيل إن السائل مشركو العرب حيث قالوا للنبي: إنا سألنا اليهود عنك وعن صفتك في كتابهم، فزعموا أنهم لا يعرفونك فنزلت، والمعنى إن أنكروك وكفروا بما أنزل إليك، فقد كذبوا فيما قالوا، لأن الله يشهد لك بالنبوة والرسالة، ويشهد بما أنزل إليك.

قوله: ﴿لكن الله يشهد﴾ استدراك على ما ذكر في سبب النزول. قوله: [من القرآن المعجز] أي لكل مخلوق، ولم ينزل كتاب معجز يتحدى به على نبي من الأنبياء غير نبينا. قوله: ﴿أنزله بعلمه﴾ أشار المفسر إلى أن الباء للملابسة أو بمعنى في، والمعنى على الأول أنزله ملتبساً بعلمه، أي وهو عالم به، لأن التأليف يحسن على قدر علم مؤلفه، فحيث كان هذا القرآن ناشئاً عن علم الله التام المتعلق بكل شيء، كان في أعلى طبقات البلاغة، فلا يمكن أحداً غيره الإتيان بشيء منه، والمعنى على الثاني أنزله، والحال أن فيه علمه أي معلوماته الغيبية، بمعنى أنه مشتمل على المغيبات، وعلى مصالح الخلق وما يحتاجون إليه، فحيث اشتمل على ذلك فهو شاهد صدق على أنه من عند الله، وإنما خص القرآن بالذكر لأن إنكارهم وتعرضهم كان له، ولأنه أكبر معجزاته.

قوله: ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ لفظ الجلالة فاعل كفى، والباء زائدة، وشهيداً حال، وقوله: [على ذلك] أي على صحة نبوتك، والمعنى أن شهادة الله تغنيك وتكفيك. قوله: ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ أي منعوا الناس من طريق الهدى. قوله: ﴿ضلالاً بعيداً﴾ أي لأنهم ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم، ومن كان هذا وصفه يبعد عنه الهدى. قوله: ﴿إن الذين كفروا وظلموا﴾ أي وهم اليهود. قوله: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ أي مريداً ليغفر لهم حيث ماتوا على

---

* أسباب نزول الآية ١٦٦: قوله تعالى: ﴿لكن الله يشهد﴾ الآية، روى ابن اسحاق عن ابن عباس قال: دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: إني والله أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله، فقالوا ما نعلم ذلك، فأنزل الله ﴿لكن الله يشهد﴾.

مقدرين الخلود ﴿فيها﴾: إذا دخلوها ﴿أبداً وكان ذلك على الله يسيراً﴾ ١٦٩: هيناً ﴿يا أيها الناس﴾: أي أهل مكة ﴿قد جاءكم الرسول﴾: محمد ﷺ ﴿بالحق من ربكم فآمنوا﴾: به واقصدوا ﴿خيراً لكم﴾: مما أنتم فيه ﴿وإن تكفروا﴾: به ﴿فإن لله ما في السموات والأرض﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يضره كفركم ﴿وكان الله عليماً﴾: بخلقه ﴿حكيماً﴾ ١٧٠: في صنعه بهم ﴿يا أهل الكتاب﴾: الإنجيل ﴿لا تغلوا﴾: تتجاوزوا الحد ﴿في دينكم ولا تقولوا على الله إلا﴾: القول ﴿الحق﴾: من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها﴾: أوصلها الله ﴿إلى مريم وروح﴾: أي ذو روح ﴿منه﴾: أضيف إليه تعالى تشريفاً له وليس كما زعمتم أنه ابن الله أو إلهاً معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا﴾: الآلهة ﴿ثلاثة﴾: الله وعيسى وأمه ﴿انتهوا﴾: عن ذلك وأتوا ﴿خيراً لكم﴾: منه وهو

الكفر. قوله: ﴿إلا طريق جهنم﴾ استثناء متصل لأنه مستثنى من عموم الطرق، والمراد بجهنم الدار المسماة الحطمة، والمعنى أنهم لا يهتدون إلى طريق الرشاد أبداً، بل دائماً أعمالهم تجرهم إلى طريق جهنم. قوله: ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ رد بذلك عليهم حيث زعموا وقالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ ولا يهون عليه أن يعذب أحباءه. قوله: [أي أهل مكة] مجرى على القاعدة، وهو أن المخاطب بيا أيها الناس أهل مكة، ولكن المراد العموم.

قوله: ﴿بالحق﴾ متعلق بجاء، وقوله: ﴿من ربكم﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق، أي جاءكم بالحق حال كونه من ربكم. قوله: [واقصدوا] ﴿خيراً﴾ أشار بذلك إلى أن قوله خيراً مفعول لمحذوف، ويصح أن يكون خبراً لكان المحذوفة، والتقدير آمنوا يكن الإيمان خيراً وهو الأقرب. قوله: [مما أنتم فيه] أي وهو الكفر على حسب زعمكم أن فيه خيراً، وإلا فالكفر لا خير فيه. قوله: [فلا يضره كفركم] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فإن لله ما في السموات والأرض﴾ دليل الجواب. قوله: ﴿حكيماً﴾ [في صنعه] أي لا يصنع شيئاً إلا محكماً متقناً. قوله: [الانجيل] أي فالخطاب للنصارى فقط، ويحتمل أنه خطاب لليهود والنصارى لأن غلو اليهود بتنقيص عيسى حيث قالوا إنه ابن زانية، وغلو النصارى بالمبالغة في تعظيمه حيث جعلوه ابن الله. قوله: ﴿إلا﴾ [القول] ﴿الحق﴾ أشار بذلك إلى أنه صفة لمصدر محذوف.

قوله: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم﴾ المسيح مبتدأ، وعيسى بدل أو عطف بيان عليه، وابن مريم صفته، ورسول الله خبره. قوله: ﴿وكلمته﴾ أي أنه نشأ بكلمة كن، من غير واسطة أب ولا نطفة. وقوله: ﴿ألقاها﴾ أي بنفخ جبريل في جيب درعها، فحصل النفخ إلى فرجها فحملت به. قوله: ﴿وروح منه﴾ سمي بذلك لأنه حصل من الريح الحاصل من نفخ جبريل، روي أن الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام، وأمسك عنده روح عيسى، فلما أراد الله أن يخلقه، أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى. قوله: ﴿منه﴾ أي نشأت وخلقت، فمن ابتدائية لا تبعيضية كما زعمت النصارى. حكي أن طبيباً حاذقاً نصرانياً جاء للرشيد، فناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم، فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية، فقرأ الواقدي له ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ فقال إذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءاً منه سبحانه، فبهت النصراني وأسلم، وفرح الرشيد فرحاً شديداً، وأعطى الواقدي صلة فاخرة. قوله: [أنه ابن الله الخ] أشار بذلك إلى أنهم فرق ثلاثة: فرقة تقول إنه ابن الله، وفرقة تقول إنهما إلهان الله وعيسى، وفرقة تقول الآلهة ثلاثة: الله وعيسى وأمه. قوله: [لأن ذا الروح مركب] أشار بذلك إلى قياس من الشكل الأول، وتقريره أن تقول عيسى ذو روح، وكل ذي روح مركب، وكل مركب لا يكون إلهاً ينتج عيسى لا يكون إلهاً. قوله: [الآلهة] ﴿ثلاثة﴾ أشار بذلك إلى

والتوحيد ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾: تنزيهاً له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً وعبيداً والملكية تنافي البنوة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ ١٧١: شهيداً على ذلك ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾: يتكبر ويأنف ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ١٧٢: في الآخرة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً هو عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾: يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ١٧٣: يمنعهم منه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾: حجة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: عليكم وهو النبي ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ ١٧٤: بيناً وهو القرآن ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ

أن ثلاثة خبر لمحذوف، والجملة مقول القول. قوله: [وائتوا] ﴿خيراً﴾ أي اقصدوه، ويصح أن يكون خبراً لكان المحذوفة، أي يكن الانتهاء خيراً. قوله: [منه] أي مما أدعيتموه. قوله: [وهو التوحيد] بيان للخير.

قوله: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي فإذا كان يملك جميع ما فيهما ومن جملة ذلك عيسى، فكيف يتوهم كون عيسى ابن الله، فهذه الجملة تعليل لقوله سبحانه. قوله: ﴿لن يستنكف المسيح﴾ سبب نزولها أن وفد نجران قالوا يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله، فقال رسول الله: إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبد الله، فنزلت. قوله: [عن] ﴿أن يكون﴾ أشار بذلك إلى أنه يحذف الجار من أن، والمعنى لن يستنكف المسيح عن كونه عبد الله. قوله: [وهذا من أحسن الاستطراد] أي قوله: ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ لأن الاستطراد ذكر الشيء في غير محله لمناسبة، والمناسبة هنا الرد على النصارى في عيسى، فناسب أن يرد على المشركين في قولهم الملائكة بنات الله.

قوله: ﴿ومن يستنكف﴾ من اسم شرط، ويستنكف فعل الشرط، ويستكبر معطوف عليه، وقوله: ﴿فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ جوابه، ولكن لما كان فيه إجمال فصله بما بعده، وجميعاً حال من الهاء في يحشرهم، والمعنى أنه يحشر المستنكفين وغيرهم. قوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أي فوق مضاعفة أعمالهم. قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ العبرة بعموم اللفظ، وإن كان السياق لأهل مكة. قوله: ﴿من ربكم﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لبرهان، أو ظرف لغو متعلق بجاء. قوله: [عليكم] أي إن خالفتم ولكم إن أطعتم. قوله: [وهو القرآن] أي فالعطف مغاير، ويصح أن يراد بالبرهان النبي وما جاء به، ويراد بالنور المبين القرآن، ويكون عطف خاص على عام، والنكتة الاعتناء بشأن القرآن، وما مشى عليه المفسر أسهل لعدم الكلفة.

قوله: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ الخ، أي فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فأما الذين آمنوا الخ، وترك الشق الثاني لأنهم مهملون ولا يعتني بهم، وأيضاً قد تقدم ذكرهم فتركهم اتكالاً على ما تقدم، وأعاد ذكر المؤمنين ثانياً تعجيلاً للمسرة والفرح، وتعظيماً لشأنهم. قوله: ﴿واعتصموا به﴾ أي تمسكوا به. قوله: ﴿في رحمة منه﴾ أي وهي الجنة، من باب تسمية المحل باسم الحال فيه، وقوله: ﴿وفضل﴾ أي إحسان وإكرام وزيادة إنعام، وهو رؤية وجه الله الكريم ودوام

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً﴾: طريقاً ﴿مُسْتَقِيماً﴾ ١٧٥: هو دين الإسلام ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: في الكلالة ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ﴾: مرفوع بفعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾: مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾: أي ولا والد وهو الكلالة ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾: من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾: أي الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَا﴾: جميع ما تركت ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾: فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة ﴿فَإِنْ كَانَتَا﴾: أي الأختان ﴿اثْنَتَيْنِ﴾: أي فصاعداً لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات

رضاه. قوله: ﴿ويهديهم﴾ عطف سبب على مسبب، لأن سبب الجنة هو الهدى في الدنيا.

قوله: ﴿يستفتونك﴾ ختم هذه السورة بهذه الآية لاشتمالها على الميراث، كما ابتدأها بذلك للمشاكلة بين المبدأ والختام، وجملة ما ذكر في هذه السورة من المواريث ثلاثة مواضع: الأول: في ميراث الأصول والفروع وهو قوله: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ إلى آخر الربع. الثاني: ميراث الزوجين والاخوة والأخوات للأم وهو قوله: ﴿ولكم نصف ما ترك﴾ إلى قوله ﴿غير مضار﴾. الثالث: ميراث الاخوة والأخوات الأشقاء أو للأب وهو هذه الآية، وأما أولو الأرحام فسيأتي ذكرهم في آخر الأنفال. وسبب نزول هذه الآية أن جابر بن عبد الله تمرض، فذهب رسول الله ﷺ وأبو بكر ليعوداه ماشيين، فلما دخلا عليه وجداه مغمى عليه، فتوضأ رسول الله ثم صب عليه من وضوئه فأفاق، فقال: يارسول الله كيف أصنع في مالي. فلم يرد عليه حتى نزلت الآية، وكان له تسع أخوات وقيل سبع. قوله: ﴿في الكلالة﴾ تنازعه كل من يستفتونك ويفتيكم فأعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف، وهكذا كل ما جاء في القرآن من التنازع كقوله تعالى: ﴿آتوني أفرغ عليه قطرا﴾ ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ وبهذا أخذ البصريون، وتقدم أن الكلالة هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل، وهو أصح الأقوال فيها.

قوله: ﴿إن امرؤ﴾ هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما تفسير الكلالة وما الحكم فيها، فالوقف على الكلالة. قوله: [مرفوع بفعل يفسره] ﴿هلك﴾ أي فهو من باب الاشتغال، وإنما لم يجعل امرؤ مبتدأ أو جملة هلك خبره، لأن إن الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديراً. قوله: ﴿وليس له ولد﴾ الجملة في محل رفع صفة لامرؤ، ولا يصح أن تكون حالاً منه لأنه نكرة، ولم يوجد له مسوغ لأن هلك ليس صفة له، وإنما هو مفسر للفعل المحذوف فتأمل. قوله: [أي ولا والد] أخذ هذا من توريث الأخت لأنها لا ترث مع وجوده. قوله: [من أبوين] أي وهي الشقيقة. قوله: ﴿وهو﴾ الضمير عائد على لفظ امرؤ لا على معناه، على حد: عندي درهم ونصفه، والمعنى أن ذلك على سبيل الفرض والتقدير، أي إن فرض موته دونها فلها النصف، وإن فرض موتها دونه فله المال كله، إن لم يكن لها فرع وارث. قوله: [أو أنثى] أي واحدة أو متعددة، وقوله: [فله ما فضل عن نصيبها] أي وهو النصف في الأولى والثلث في الثانية. قوله: [كما تقدم أول السورة] أي في قوله: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ الآية. قوله: [وقد مات عن أخوات] جملة مستأنفة مقيدة لما قبلها لا أنها حالية، لأن جابراً عاش بعده ﷺ، بل قيل إنه آخر الصحابة موتاً بالمدينة، وقوله: [عن أخوات] قيل تسع وقيل سبع.

---

* أسباب نزول الآية ١٧٦: قوله تعالى: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ الآية، روى النسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: اشتكيت فدخل علي رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلث قال: أحسن، قلت بالشطر قال: أحسن ثم خرج ثم دخل علي قال: لا أراك تموت في وجعك هذا إن الله أنزل وبين ما لأخواتك وهو الثلثان فكان جابر يقول: نزلت هذه الآية في ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ قال الحافظ ابن حجر: هذه قصة أخرى لجابر غير التي تقدمت في أول السورة، وأخرج ابن مردويه عن عمر أنه سأل النبي ﷺ كيف يورث الكلالة، فأنزل الله ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ إلى آخرها.

«تنبيه» إذا تأملت ما أوردناه من أسباب نزول آيات هذه السورة عرفت الرد على من قال بأنها مكية.

﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ : الأخ ﴿وَإِن كَانُوٓا﴾ : أي الورثة ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ﴾ : منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ : شرائع دينكم لـ﴿أَن﴾ : لا ﴿تَضِلُّوا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٧٦ : ومنه الميراث روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت أي من الفرائض.

قوله : ﴿وإن كانوا إخوة﴾ أي وأخوات ففيه تغليب الذكور على الإناث. قوله : [شرائع دينكم] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿يبين﴾ محذوف. قوله : ﴿أن﴾ [لا] ﴿تضلوا﴾ إشارة بذلك إلى أنه مفعول لأجله ولا مقدرة، والمعنى يبين لكم الشرائع لأجل عدم ضلالكم، نظير قوله تعالى : ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ أي لئلا تزولا، ويصح أن يكون المحذوف مضافاً، والتقدير كراهة أن تضلوا. قوله : ﴿والله بكل شيء عليم﴾ كالعلة لما قبله، وقد ختم هذه السورة ببيان كمال العلم وسعته، كما ابتدأها بسعة قدرته وكمال تنزهه، وذلك يدل على اختصاصه بالربوبية والألوهية. قوله : [أي من الفرائض] دفع بذلك ما يقال إن آخر آية نزلت على الإطلاق ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فإنها نزلت قبل موت رسول الله بأحد وعشرين يوماً، ونزل قبلها آية الربا، وقبلها ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وقبلها آية الكلالة فهي من الأواخر، إذا علمت ذلك فقول المفسر [أي من الفرائض] غير متعين، بل يصح أن يكون آخراً نسبياً.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة المائدة

[مدنية مائة وعشرون أو وثنتان أو وثلاث آية]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المائدة مدنية

مائة وعشرون أو وثنتان أو وثلاث آية

وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها أنه حيث وعدنا الله بالبيان كراهة وقوع الضلال منا، تمم ذلك الوعد بذكر هذه السورة، فإن فيها أحكاماً لم تكن في غيرها، قال البغوي عن ميسرة قال: إن الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكماً، لم تنزل في غيرها من سور القرآن، وهي: ﴿المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام﴾، ﴿وما علمتم من الجوارح مكلبين﴾، ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾، ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾، وتمام بيان الطهر في قوله: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾، ﴿والسارق والسارقة﴾، ﴿ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾، ﴿وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾، وقوله: ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾.

قوله: [مدنية] أي نزلت بعد الهجرة، وإن كان بعضها نزل بمكة، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ فإنها نزلت عام الفتح، وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإنها نزلت بعرفة في حجة الوداع، والنبي ﷺ واقف بعرفة فقرأها النبي في خطبته وقال: «يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً، فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها»، وإنما خصها بذلك، وإن كان كل سورة يجب تحليل حلالها، وتحريم حرامها اعتناء بشأنها.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ العبرة بعموم اللفظ، وإن كان الخطاب لأهل المدينة. قوله: ﴿أوفوا بالعقود﴾ أي ما عقده الله وعهده عليكم من التكاليف والأحكام الدينية، ومن هنا قالوا أمور الدين أربعة: الصحة في العقد، والصدق في القصد، والوفاء بالعهد، واجتناب الحد. قوله: [العهود] أشار بذلك إلى أن المراد بالعقد العقد المعنوي، وهو العهد المشبه بعقد الحبل، وقوله: [المؤكدة] أخذ ذلك من قوله العقود، لأن معنى العقد هو العهد المؤكد. قوله: [التي بينكم وبين الله] أي كالمأمورات والمنهيات، فالوفاء بالمأمورات فعلها، والوفاء بالمنهيات تركها، ودخل في قوله: [وبين الله] العهد الواقع بين العبد وبين رسول الله ﷺ، فيجب على الإنسان الوفاء به، بأن يؤمن به، ويصدق بما جاء

﴿ٱلْأَنْعَامِ﴾ : الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ : تحريمه في : ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ : الآية. فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ : أي محرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[١] : من التحليل وغيره لا اعتراض عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ : جمع شعيرة أي معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ :

به، ويعظمه ويحترمه، ولا يخالف ما أمره به أصلاً. قوله: [وبين الناس] أي كالمعاملات: من بيع وشراء ونكاح وطلاق وتمليك وتخيير وعتق ودين ووديعة وصلح، ومن ذلك أيضاً احترام المؤمنين وتعظيمهم وعدم غيبتهم وإيذائهم والنميمة والكذب عليهم، ومن ذلك أيضاً وفاء المريدين بعهود المشايخ على مصطلح الصوفية.

قوله: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان امتنان الله علينا، حيث أحل لنا أشياء لم تكن لليهود، وبني الفعل للمجهول للعلم بفاعله وهو الله، وإضافة بهيمة للأنعام على معنى من كثوب خز، لأن البهيمة كما في القاموس كل ذات أربع قوائم، ولو من حيوان الماء أو كل حي لا يميز. قوله: [بعد الذبح] مراده ما يشمل النحر، ولو قال بعد التزكية لكان أشمل.

قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ أي وهو عشرة أشياء، أولها الميتة، وآخرها وما ذبح على النصب. قوله: [الآية] أي إلى قوله وما ذبح على النصب. قوله: [فالاستثناء منقطع] أي لأن ما قبل إلا فيما أحل، وما بعدها فيما حرم. وقوله: [والتحريم لما عرض] أي فهو كان حلالاً بحسب الأصل، فهو استثناء حلال من حلال، هكذا يؤخذ من عبارة المفسر، وفيه أنه يلزم عليه أن كل استثناء منقطع لأن ما بعد إلا دائماً مخالف لما قبلها، منقطعاً أو متصلاً، مع أنهم قالوا إن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه، والمخالفة في الحكم لا بد منها على كل، فالأحسن أن يقال إن الانقطاع من حيث أن المستثنى لفظ وهو قوله: ﴿ما يتلى عليكم﴾ والمستثنى منه ذات وهو بهيمة الأنعام، ولا شك أنه من غير جنسه، ويمكن أن يكون متصلاً بتقدير مضاف، والتقدير إلا محرم ما يتلى.

قوله: ﴿غير محلي الصيد﴾ أي غير محلين للصيد بمعنى معتقدين حله. وقوله: [أي محرمون] أي أو في الحرم، فيحرم صيد الأنعام الوحشية، بل الصيد مطلقاً أنعاماً أو غيرها، وهو تقييد لقوله: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ كأن الله قال أحل الله لكم بهيمة الأنعام كلها، والوحشية أيضاً، من الظباء والبقر والحمر، إلا صيد الوحشي منها أو من غيرها وأنتم محرمون، فلا يجوز فعله ولا اعتقاد حله. قوله: [ونصب غير على الحال من ضمير لكم] أي وقوله: ﴿وأنتم حرم﴾ حال من الضمير في ﴿محلي﴾.

قوله: ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ كالعلة لما قبله، أي فالأحكام صادرة من الله على حسب إرادته، فلا اعتراض عليه، ولا معقب لحكمه، وهذا مما يرد على المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح والأصلح. قوله: [أي معالم دينه] أي العلامات الدالة على دينه من مأمورات ومنهيات، والمعنى لا تتهاونوا بمعالم دينه، وقوله: [بالصيد في الاحرام] خصّه

---

* أسباب نزول الآية ٢: قوله تعالى: ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قدم الحطم بن هند البكري المدينة في عير له يحمل طعاماً فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ، فلما ولى خارجاً نظر إليه فقال لمن عنده لقد دخل علي بوجه فاجر وولى بقفا غادر، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام، وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عيره، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ الآية، فانتهى القوم، وأخرج عن السدي ونحوه.

قوله تعالى: ﴿ولا يجر منكم﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم ☜

بالقتال فيه ﴿وَلَا ٱلْهَدْيَ﴾: ما أهدي إلى الحرم من النعم بالتعرض له ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: جمع قلادة وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن أي فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَآ﴾: تحلوا ﴿ءَآمِّينَ﴾: قاصدين ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾: رزقاً ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: بالتجارة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: من الإحرام ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ أمر إباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسبنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾:

لقرينة ما قبله وما بعده، وإلا فاللفظ عام كقوله: ﴿أوفوا بالعقود﴾ فأولاً أمرنا بالوفاء بها، وثانياً نهانا عن التفريط والتهاون بالشعائر، وهي كناية عن معالم الدين والإحلال تارة يكون بالفعل أو الاعتقاد.

قوله: ﴿ولا الشهر الحرام﴾ هو وما بعده من عطف الخاص على العام، اعتناء بشأن تلك الأمور. قوله: [بالقتال فيه] سيأتي للمفسر أنه منسوخ بآية براءة، وإن حمل على غير القتال كالظلم مثلاً فليس بمنسوخ، قال تعالى: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾. قوله: [ما أهدى إلى الحرم] إن حمل على هدايا الكفار فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ وبقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ وسبب ذلك أن رجلاً من ربيعة يقال له الحطم شريح بن هند أتى المدينة وترك خيله وجيوشه، وجاء رسول الله بنفسه، وقد كان أخبرهم النبي به فقال: الوجه وجه كافر والقفا قفا غادر، فلما وصل النبي ﷺ قال له: يا محمد ما تأمرنا به؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة». فقال: حسن إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، فلما خرج استاق جملة من غنم أهل المدينة وإبلهم، فلما كان في العام القابل، جاء ومعه تلك الإبل والغنم قد ساقها وهو مع بني بكر، وهم أصحاب حلف النبي عليه الصلاة والسلام، فأحب أصحاب رسول الله أن يأخذوها منه، فنزلت الآية. قوله: [أي فلا تتعرضوا لها] أي للقلائد، وهي ما قلد به من شجر الحرم، وقوله: [ولا لأصحابها] أي الهدايا المقلدات، والنهي عن التعرض للقلائد مبالغة عن التعرض للهدايا على حد، ولا يبدين زينتهن لأنه إذا نهي عن إبداء الزينة فما بالك بالجسم الموضع فيه الزينة، ويحتمل أن معنى قوله أو لأصحابها أي الرجال المقلدين لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم بخشبة من شجر الحرم فلا يتعرض لهم، فتحصل أن المعنى لا تتعرضوا للهدي وإن لم يكن مقلداً، ولا للقلادة من المقلد، بل ولا للمقلد من الهدايا أو الرجال. قوله: ﴿آمين﴾ أي قوماً آمين.

قوله: ﴿يبتغون فضلاً﴾ حال من الضمير في آمين. قوله: [وهذا منسوخ] أي قوله: ولا الشهر الحرام، ولا الهدي، ولا القلائد، ولا آمين البيت الحرام. وقوله: [بآية براءة] أي جنسها، إذ الناسخ أكثر من آية، فالمنسوخ ما عدا قوله: ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾ فليست منسوخة إن حملت على معالم دينه كما تقدم، وأما إن حملت على شعائر الكفار وإحرامهم، بمعنى لا تبطلوه ولا تهدموه كان أيضاً منسوخاً، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية. قوله: [أمر إباحة] دفع بذلك ما يقال إن الأمر يقتضي الوجوب على المحرم إذا حل من إحرامه أن يصطاد.

قوله: ﴿ولا يجر منكم﴾ هذه الآية نزلت عام الفتح حين تمكن النبي ﷺ وأصحابه من مكة وأهلها، فنهاهم الله تعالى عن التعرض للكفار بالقتال والإيذاء، والمعنى لا تعاملوهم مثل ما كانوا يعاملونكم به، ولذا ورد أن رسول الله لما دخل مكة قال: «اذهبوا أنتم الطلقاء. أنا قائل لكم كما قال أخي يوسف لاخوته ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾». وبسبب ذلك صاروا مؤمنين، ولذا قال البوصيري:

المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا، فأنزل الله ﴿ولا يجر منكم﴾ الآية.

بفتح النون وسكونها بغض ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾: عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾: فعل ما أمرتم به ﴿وَالتَّقْوَى﴾: بترك ما نهيتم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾: فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾: المعاصي ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: التعدي في حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٢]: لمن خالفه ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾: أي أكلها ﴿وَالدَّمُ﴾: أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: بأن ذبح على اسم غيره ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: الميتة خنقاً ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: المقتولة ضرباً ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾: الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: المقتولة بنطح

ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء

وقرأ الجمهور بفتح الياء من جرم الثلاثي واختلفوا في معناه، فقيل معناه لا يكسبنكم، وقيل معناه لا يحملنكم.

قوله: [بفتح النون وسكونها] أي فهو مصدر شنيء كعلم فهو سماعي، ومن المادة قول العرب: مشنوء من يشنؤك، أي مبغوض من يبغضك، وقوله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أي باغضك. قوله: [لأجل] ﴿أن صدوركم﴾ أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله، فهو علة للشنآن، أي لا يحملنكم بغضكم لقوم لأجل صدهم إياكم عن المسجد الحرام. قوله: ﴿أن تعتدوا﴾ أي بأن تعتدوا وعلى أن تعتدوا، فمتى أسلموا فهم إخوانكم فلا تتعرضوا لهم. قوله: [فعل ما أمرتم به] قال ابن عباس: البر متابعة السنة. قوله: ﴿إن الله شديد العقاب﴾ في الآية وعيد وتهديد عظيم.

قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ هذا شروع في بيان ما أجمل أولاً في قوله ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ وذكر في هذه الجملة العظيمة أحد عشر كلها، محرمة، منها عشرة مطعومة وواحد غير مطعوم، وهو قوله وأن تستقسموا بالأزلام. قوله: ﴿الميتة﴾ فيه رد على جاهلية العرب حيث قالوا كما حكى الله عنهم، وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء، وعلى المشركين حيث أحلوا أكلها مطلقاً. قوله: [أي المسفوح] أي السائل. قوله: [كما في الأنعام] أي في قوله تعالى: ﴿إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾ الآية، وأما غير المسفوح كالكبد والطحال والدم الباقي في العروق فهو طاهر، ويجوز أكله.

قوله: ﴿ولحم الخنزير﴾ أي ولو ذكي وهو نجس كله، ما عدا الشعر إن جز، عند مالك فهو طاهر ويجوز استعماله. قوله: ﴿وما أهل لغير الله به﴾ الإهلال رفع الصوت، والأظهر أن اللام بمعنى الباء، والباء بمعنى عند، والمعنى وما رفع الصوت عند ذكاته بغير الله، أي باسم غير الله، كما إذا قال باسم اللات أو العزى، قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ فإن جمع بين اسم الله واسم غيره غلب اسم الله وتؤكل، لأنه يعلو ولا يعلى عليه، والموضوع أن ذلك وقع من كتابي، وأما من مسلم فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته، وهذا مذهب مالك بن أنس، ومراد مالك بأهل الكتاب الذين تؤكل ذبيحتهم، إن لم يذكروا اسم غير الله عليه اليهود والنصارى، ولو غيروا وبدلوا. قوله: [بأن ذبح على اسم غيره] المناسب أن يقول بأن صرح عند ذبحها باسم غيره، ليندفع التكرار بين ما هنا وبين ما يأتي في قوله: ﴿وما ذبح على النصب﴾.

قوله: ﴿والمنخنقة﴾ كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة، حتى إذا ماتت أكلوها، فحرم الله ذلك. قوله: ﴿والموقوذة﴾ كانوا في الجاهلية يضربون الشاة بنحو العصا حتى تموت ويأكلونها. قوله: ﴿والنطيحة﴾ فعيلة بمعنى

---

* أسباب نزول الآية ٣: قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ الآية، أخرج ابن منده في كتاب الصحابة من طريق عبد الله بن جبلة بن حبان بن حجر عن أبيه عن جده حبان قال: كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة فأكفأت القدر.

أخرى لها ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾: اسم ﴿النُّصُبِ﴾: جمع نصاب وهي الأصنام ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا﴾: تطلبوا القسم والحكم ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾: جمع زلم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام: قدح بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهتهم انتهوا ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾: خروج عن الطاعة. ونزل

مفعولة. قوله: ﴿وما أكل السبع﴾ كانوا في الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً وأكل منه أكلوا ما بقي، والسبع اسم لكل ما يفترس من ذي الناب، كالأسد والذئب ونحوهما. قوله: [أي أدركتم فيه الروح] أي مع بقاء الحياة المستقرة، بحيث يتحرك بالاختيار أو يبصر بالاختيار، ولو نفذت مقاتله، وهذا مذهب الشافعي، ومذهب مالك لا بد من استقرار الحياة مع عدم إنفاذ المقاتل، فما أدرك بذكاة وهو مستقر الحياة، وكان قبل إنفاذ مقتله أكل، وإلا فلا يؤكل، ولو ثبتت له حياة مستقرة، والمقاتل هي: قطع النخاع، ونثر الدماغ، وفري الودج، وثقب المصران، ونثر الحشوة. وفي شق الودج قولان، والاستثناء راجع للمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، وما أكل السبع وهو متصل على كلا المذهبين مع مراعاة الشرط المتقدم عند كل.

قوله: ﴿وما ذبح على النصب﴾ أي ذكر اسم الصنم على ذلك المذبوح، فإن فعل ذلك مسلم لولي، وقصد التقريب له كما يتقرب لله فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته، وأما إن قصد أن الذبح لله وثوابه للولي فلا بأس بذلك، فإن نذر ذبيحته لولي ميت كالسيد البدوي مثلاً، فإن قصد انتفاعه بها كالحي فهو نذر باطل، وأما إن قصد أنها تذبح في محله من غير قصد فقراء ذلك المحل، فلا يسوقها لذلك المحل، بل يذبحها بأي محل شاء، قال مالك: سوق الهدايا لغير مكة ضلال، وأما إن قصد بسوقها فقراء ذلك المحل لزمه سوقها. قوله: [وهي الأصنام] سميت الأصنام نصباً، لأنها تنصب وترفع لتعظم وتعبد. قوله: [تطلبوا القسم] بالكسر ما قسم لكم من خير أو شر، وبالفتح أي تمييزه، لأن القسم بالفتح تمييز الأنصباء، وبالكسر الحظ والنصيب. قوله: [مع فتح اللام] راجع لكل منهما. قوله: [وكانت سبعة] أي وكانت أزلامهم سبعة قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرني ربي، وعلى واحد منها نهاني ربي، وعلى واحد منكم، وعلى واحد من غيركم، وعلى واحد ملصق، وعلى واحد العقل، وواحد غفل، أي ليس عليه شيء، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمراً من سفر أو غيره، جاؤوا إلى هبل، وهو أعظم صنم بمكة، وكان في الكعبة، وأعطوا صاحب القداح مائة درهم، فإن خرج أمرني ربي فعلوا ذلك الأمر، وإن خرج نهاني ربي لم يفعلوا، وإذا كان ذلك لنسب، فإن خرج منكم، ألحقوا بهم، وإن خرج من غيركم لم يلحقوه، وإن خرج ملصق، كان على حاله، وإن اختلفوا في العقل وهو الدية، فمن خرج عليه العقل تحمله، وإن خرج الغفل فعلوا ثانياً حتى يخرج المكتوب، فنهاهم الله عن ذلك. قوله: [عند سادن الكعبة] أي خادمها. قوله: [عليها أعلام] أي كتابة. قوله: [وكانوا يحكمونها] في نسخة يجيبونها أي يجيبون حكمها.

قوله: ﴿ذلكم فسق﴾ أي الاستقسام المذكور خروج عن طاعة الله. إن قلت: إن هذه بعينها هي القرعة الجائزة في الإسلام. أجيب بأن تحريم هذه إنما جاء من إحالتها للصنم وتفويض الأمر له، ولذا لو وقعت القرعة بحضرة ولي ميت مثلاً، وفوض الأمر له، لكان الحكم الحرمة، كالاستقسام بالأزلام، واسم الإشارة مبتدأ، وفسق خبر، وهو راجع إلى الاستقسام بالأزلام، كما هو مروي عن ابن عباس، وقيل راجع إلى جميع ما تقدم وكل صحيح. قوله: [ونزل بعرفة] أي والنبي قائم يخطب بها فأل في اليوم للعهد الحضوري، والمعنى اليوم الحاضر، وهو يوم عرفة، وكان يوم

يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾: أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: بإكماله وقيل بدخول مكة آمنين ﴿وَرَضِيتُ﴾: أي اخترت ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾: مائل ﴿لِّإِثْمٍ﴾: معصية ﴿فَإِنَّ

جمعة، وعاش النبي ﷺ بعد نزولها أحداً وثمانين يوماً. قوله: ﴿يئس﴾ اليأس ضد الرجاء، والمعنى انقطع طمع الكفار في إبطال دينكم لما شاهدوا من دخول الناس فيه أفواجاً، وذلك أن قبل الوداع حجة أبو بكر بالناس، وأرسل النبي ﷺ علياً خلفه ينادي: لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ففي حجة الوداع تفرد النبي وأصحابه بالحج، فحينئذ نزلت الآية المشرفة. قوله: [لما رأوا] علة لقوله يئس، وقوله: [بعد طمعهم] متعلق بيئس أيضاً. قوله: ﴿فلا تخشوهم﴾ أي لا تخافوهم لا ظاهراً ولا باطناً. قوله: ﴿واخشون﴾ بحذف الياء وصلاً ووقفاً، بخلاف واخشوني في البقرة فإنها بثبوت الياء وصلاً ووقفاً اتفاقاً، وبخلاف الآتية في ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك﴾ ففيها الحذف والاثبات، والمعنى لا تخافوا من الكفار وخافون، لأني مالك الدنيا والآخرة عزاً وذلاً، ولا يملك ذلك غيري، فمن شهد ذلك وكمل دينه، فلا يخاف إلا مولاه، ولا يرجو سواه، فإنه المعطي المانع، الضار النافع.

قوله: ﴿اليوم﴾ بدل من اليوم قبله. قوله: [أحكامه وفرائضه] دفع بذلك ما يقال إنه قد نزل بعدها ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فيكون حينئذ الكمال نسبياً. فأجاب بأن المراد إكمال الأحكام والفرائض التي أرسل بها رسول الله، وأما آية ﴿واتقوا يوماً﴾ فهي موعظة ولا حكم فيها. إن قلت إن قوله: ﴿أكملت لكم دينكم﴾ يقتضي نقصانه قبل ذلك. وأجيب: بأن القرآن نزل جملة في بيت العزة في سماء الدنيا، وصار ينزل بعد ذلك مفرقاً، فحين نزول هذه كأن الله تعالى يقول لا تنتظروا بعد ذلك حكماً، فإني قد أتممت لكم ما قدرته لكم وادخرته عندي، ولذلك حين نزلت بكى عمر، فقال له رسول الله: ما يبكيك؟ فقال: إذا تم شيء بدا نقصه. فقال له: صدقت، فكانت هذه الآية نعي رسول الله ﷺ. روي عن عمر بن الخطاب أن رجلاً يهودياً قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له: أي آية؟ قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية، فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي أنزلت فيه على رسول الله ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر اهـ. وقد تضمن جواب عمر أنهم جعلوا صبيحتها عيداً. قوله: [بإكماله] أي الدين، والأحسن أن يراد بإتمام النعمة ما هو أعم.

قوله: ﴿ورضيت﴾ هذه الجملة مستأنفة لبيان الحال، وليست معطوفة على أكملت لأنه يقتضي أنه لم يرض الإسلام ديناً إلا اليوم، ولم يرضه قبل ذاك، وليس كذلك، لأن الإسلام لم يزل مرضياً لله وللنبي وأصحابه منذ أرسله، ورضي متعد لواحد، الإسلام مفعوله وديناً تمييز. قوله: ﴿فمن اضطر﴾ مفرع على حرمت عليكم الميتة، فقوله اليوم ﴿يئس الذين كفروا من دينكم﴾ إلى قوله: ﴿ديناً﴾ معترض بينهما لبيان أن الإسلام حنيفية سمحاء لا صعوبة فيه كالأديان المتقدمة، ومن اسم شرط، واضطر فعل الشرط، وجوابه محذوف تقديره فلا إثم عليه، وقد صرح به في آية البقرة. قوله: [إلى أكل شيء] أي بقدر الضرورة وسد الرمق، وبذلك قال الشافعي، وقال مالك يأكل المضطر من الميتة ويشبع ويتزود، فإن استغنى عنها طرحها وقدم مال الغير على الميتة، عند مالك إن لم يخف الضرر وقدم المختلف فيه على المتفق على حرمته.

قوله: ﴿غير متجانف لإثم﴾ أي بأن كان اضطراره ناشئاً على إثمه، فلا يجوز له الأكل، هكذا حمل الآية مالك، وقال الشافعي غير متجانف لإثم، بأن كان عاصياً بسفره كالآبق وقاطع الطريق، فقول المفسر كقاطع الطريق والباغي أي

﴿اللهَ غَفُورٌ﴾: له ما أكل ﴿رَحِيمٌ﴾[٣]: به في إباحته له بخلاف المائل لاثم أي الملتبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً فلا يحل له الأكل ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: يا محمد ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾: من الطعام ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: المستلذات ﴿وَ﴾: صيد ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾: الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: حال من كلبت الكلب بالتشديد أي أرسلته على الصيد ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: حال من ضمير مكلبين أي تؤدبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾:

المسافرين، وأما الحاضرون فيباح لهم أكل الميتة، وأما عند مالك فلا فرق بين العاصي بالسفر والطائع به فإنهما كالحاضر، فيأكلان منها إذا اضطر، حيث لم يكن إصراره على المعصية موقعاً له في الاضطرار.

قوله: ﴿يسألونك﴾ هذه الآية مرتبة على قوله ﴿حرمت عليكم الميتة الخ﴾ فلما بين المحرمات سألوا عن الحلال، وصورة السؤال ماذا أحل الله لنا، وروي في سبب نزولها أن جبريل أتى رسول الله ﷺ يستأذن عليه، فأذن له، فلم يدخل، فقال له النبي: قد أذنا لك يا رسول الله، قال أجل ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب، فأمر ﷺ أبا رافع بقتل كل كلب في المدينة ففعل، حتى انتهى إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركه رحمة لها، ثم جاء رسول الله ﷺ فأمره بقتله فرجع إلى الكلب فقتله، فجاؤوا إلى رسول الله فقالوا له ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، قال فسكت رسول الله، فنزل ﴿يسئلونك ماذا أحل لهم﴾ الآية، فعند ذلك أذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها، وروى الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من أمسك كلباً فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط، وفي رواية قيراطان، إلا كلب حرث أو ماشية، ويؤخذ من هذا الحديث أن قتل غير النافع من الكلاب مندوب، إن لم يكن عقوراً يخشى منه الضرر ولا يندفع إلا بالقتل، وإلا وجب قتله عند مالك. قوله: [المستلذات] أي الشرعية وهي ما لم يثبت تحريمها بكتاب أو سنة، فلا يرد لحم الخنزير مثلاً إذا أتقن طبخه. قوله: ﴿و﴾ [صيد] ﴿ما علمتم﴾ قدره إشارة إلى أن ما معطوف على الطيبات لكن على حذف مضاف، وصيد بمعنى مصيد، ومن الجوارح بيان لما.

قوله: ﴿مكلبين﴾ حال أي من التاء في علمتم. قوله: [من كلبت] أي مأخوذ من كلبت. قوله: [أرسلته على الصيد] أي فمعنى مكلبين مرسلين بمعنى قاصدين إرساله احترازاً عما لو ذهبت من غير إرسال وأتى بصيد فلا يؤكل، وفسره غيره بالتعليم، فيكون حالاً مؤكدة لعاملها، وما قاله المفسر أوجه، وإن رد بأنه لا مستند له في ذلك لأن المفسر حجة، وعبر عن الإرسال بالتكليب، إما إشارة إلى أن ذلك غالب في الكلاب، أو أن الكلب يطلق على كل ما يصاد به

---

* أسباب نزول الآية ٤: قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ الآية، روى الطبراني والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ، فأخذ رداءه، فخرج إليه وهو قائم بالباب، فقال: قد أذنا لك، قال أجل، ولكنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب، فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو، فأمر أبا رافع لا تدع كلباً بالمدينة إلا قتلته، فأتاه الناس، فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، فنزلت ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ الآية.

وروى ابن جرير عن عكرمة أن الرسول ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي، فدخل عاصم بن عدي، وسعد بن حثمة، وعويمر بن ساعدة، فقالوا ماذا أحل لنا يا رسول الله: فنزلت ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ الآية، وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة فنزلت. وأخرج من طريق الشعبي أن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له حتى نزلت هذه الآية ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أن عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين سألا رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا، فنزلت ﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾.

من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: وإنْ قتلنه بأنْ لم يأكلن منه بخلاف غير المعلَّمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها فلا يحل أكله كما في حديث الصحيحين وفيه: أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلَّم من الجوارح ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: عند إرساله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: المستلذات ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ﴾: حلال ﴿لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ﴾: إياهم ﴿حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: الحرائر ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: حل لكم أن تنكحوهن ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن

من سبع وطير. قوله: [حال من ضمير مكلبين] أي مؤكدة إنْ فسّر مكلّبين بمعلّمين، ومؤسسة إنْ فسّر بمرسلين، ويصحّ أن يكون جملة مستأنفة موضحة لما قبلها. قوله: ﴿مما علمكم الله﴾ مِنْ للتبعيض، وقوله: [من آداب الصيد] بيان لما.

قوله: ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ نتيجة قوله ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ وقوله ﴿عليكم﴾ أي لكم قوله: [بأن لم يأكلن منه] أي فإن أكلن منه فلا يؤكل وهو داخل في قوله ما أكل السبع، وهذا الشرط اعتبره الشافعي، وعند مالك يؤكل، ولو أكل منه الجارح، فإن أدرك حياً فلا بد من ذكاته الشرعية. قوله: [بأن لم يأكلن] تفسير لقوله ﴿أمسكن عليكم﴾ لأنه إن أكل منه فليس ممسكاً لصاحبه بل لنفسه، وقد علمت أنّ هذا التقييد مذهب الشافعي، وسيأتي إيضاحه في آخر عبارة المفسّر. قوله: [وعلامتها الخ] ذكر أربع علامات وهي معتبرة في الكلب والسبع، وأما في الطير كالصقر فلا يعتبر فيه إلا قيدان: أن لا يأكل منه، وأنه إذا أرسل استرسل. والحاصل أنّ المدار عند مالك في الصقر أنه إذا أرسل استرسل، وزاد الشافعي فيه أن لا يأكل مما أمسك، وأما في الكلب والسبع ففيه القيود الأربعة التي ذكرها المفسّر، ما عدا الأكل عند مالك قوله: [كما في حديث الصحيحين] أي ولكن هذا الحديث لم يأخذ به مالك قوله [وفيه] أي في الحديث قوله: [وذكر اسم الله عليه] أي وهو سنة عند الشافعي، وعند مالك واجب مع الذكر والقدرة، وأما النية فلا بد منها لأنها شرط صحة قوله: [كصيد المعلم من الجوارح] ألحق مالك بالسهم ما صيد ببندق الرصاص، لأن قوته تقوم مقام حد السهم. قوله: ﴿عليه﴾ اختلف في مرجع الضمير، فقيل عائد على ما علمتم من الجوارح، وإليه يشير المفسّر بقوله عند إرساله، وقيل عائد على ما أمسكن عليكم، أي سموا الله إذا أدركتم ذكاته.

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، حيث بيّن لكم الحلال والحرام قوله: ﴿سريع الحساب﴾ ورد أنه يحاسب الخلق في قدر نصف يوم من أيام الدنيا. قوله: ﴿اليوم﴾ يحتمل أن المراد باليوم المتقدم في قوله ﴿اليوم يئس الذين كفروا﴾ وهو يوم عرفة، ويحتمل أن المراد يوم نزولها، ويحتمل أن المراد به الزمن مطلقاً. قوله: [أي ذبائح اليهود والنصارى] أي إن ذبح ما هو حل لهم في شرعنا، ولم يذكر اسم غير الله عليه وتؤكل ذبائحهم، ولو غيروا اليهودية بالنصرانية وعكسه عند مالك، واشترط الشافعي عدم التغيير والتبديل. قوله: ﴿وطعامكم﴾ [إياهم] أي بمعنى إطعامكم إياهم، ومعنى [حل لهم] أي لا يحرم عليهم بشرعهم، ولا يحرم علينا أن نطعمهم من ذبائحنا.

قوله: ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ أي الحرائر منهن، وأما الإماء فتقدم أنهن حل بالشروط. قوله: [الحرائر] أي وأما الإماء فلا يحل نكاحهن إلا بالملك، وأما حرائرنا فلا يحل لهم نكاحهن، بل ولا إماؤنا، فتحصّل أن طعامنا حل لهم، وطعامهم حل لنا، ونساؤهم حل لنا، ونساؤنا لسن حلالهم. قوله: ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ بيان للأكمل، واحتراز عن الدخول على إسقاطه فلا يحل، والظرف متعلق بالخبر المحذوف الذي قدره المفسّر بقوله حل لكم.

﴿مُّحْصِنِينَ﴾: متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: معلنين بالزنا بهن ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: منهن تسرّون بالزنا بهن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾: أي يرتد ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾: الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٥: إذا مات عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ ٦: أي أردتم القيام ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾: وأنتم محدثون

قوله: ﴿محصنين﴾ حال من ﴿آتيتموهن﴾ أي حال كونكم محصنين، وقوله: ﴿غير مسافحين﴾ نعت لمحصنين. قوله: ﴿أخدان﴾ جمع خدن وهو الخليل والصاحب الذي يزني بالمرأة سراً. قوله: ﴿بالإيمان﴾ الباء بمعنى عن، والكفر بمعنى الردة، أي يرتد عن الإيمان. قوله: ﴿حبط عمله﴾ [الصالح] أي والسيء إن عاد للإسلام بمعنى بطل كل منهما، فلو عاد للإسلام فلا عقاب عليه في السيء، ولا ثواب له في الصالح، والمرتد لا يقضي الصلاة ولا الصوم ولا الزكاة إذا فاته جميع ذلك في زمن الردة أو قبل زمنها ما لم يرتد بقصد إسقاط ذلك، ولا يقضي إلا ما أسلم في وقته لعموم آية: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ عند مالك، وعند الشافعي يقضي جميع ذلك، وأما الحج فوقته العمر وهو باق فيقضيه. قوله: [إذا مات عليه] أي الكفر وهو راجع لقوله: ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ لا لما قبله، فإنه يحبط عمله زمن الردة مطلقاً، مات على الكفر أو الإسلام.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إنما وجه الخطاب للمؤمنين، وإن كان الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أيضاً على الصحيح لعدم صحتها منهم إلا بالإسلام. قوله: ﴿إذا قمتم﴾ أي اشتغلتم بها قولاً أو فعلاً من قيام أو غيره. قوله: [أي أردتم القيام] دفع بذلك ما يقال إن مقتضى الآية أن الطهارة لا تجب إلا بعد الشروع في الصلاة، فأجاب بأن المراد أردتم القيام، أي قصدتموه وعزمتم عليه، وشرعت الطهارة قبل الصلاة، لأن المصلي يناجي ربه وهو في حضرته فيحتاج قبل ذلك للنظافة من الحدثين الأصغر والأكبر، ومن الخبثين الحسي والمعنوي كالذنوب، ليترتب على ذلك قبول طاعته. قوله: [وأنتم محدثون] أي حدثاً أصغر، وأخذ المفسر هذا من قوله فيما يأتي ﴿وإن كنتم جنباً﴾ وفيه إشارة

● أسباب نزول الآية ٦: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ الآية، روى البخاري من طريق عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ، ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة، ثم أن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ الى قوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر.

وروى الطبراني من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة.

(تنبيهان) الأول: ساق البخاري هذا الحديث من رواية عمرو بن الحارث، وفيه التصريح بأن آية التيمم المذكورة في رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرواة قالوا: فنزلت آية التيمم ولم يبينوها، وقال ابن عبد البر: هذه معضلة ما وجدت لدائها دواء، لأنا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة، وقد قال ابن بطال: هي آية النساء، ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء: وآية النساء لا ذكر للوضوء بها، فيتجه تخصيصها بآية التيمم، وأورد الواحدي هذا الحديث في أسباب النزول عند ذكر آية النساء أيضاً، ولا شك أن الذي مال إليه البخاري من أنها آية المائدة هو الصواب للتصريح بها في الطريق المذكور.

الثاني: دل الحديث على أن الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول الآية، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء، ووقع من أبي بكر في حق عائشة ما وقع. قال ابن عبد البر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاحد أو معاند قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقديم العمل به ليكون فرضه متلواً بالتنزيل. وقال غيره: يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدماً مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة.

قلت: الأول أصوب فإن فرض الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة، والآية مدنية.

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ : أي معها كما بينته السنة ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ : الباء للإلصاق أي الصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعرة وعليه الشافعي ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ : بالنصب عطفاً على أيديكم وبالجر على الجوار ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ : أي معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس

للجواب عن إشكال البيضاوي حيث قال ظاهر الآية أن كل قائم إلى الصلاة يجب عليه الوضوء وإن لم يكن محدثاً، وقوله: [وأنتم محدثون] أي ممنوعون من الصلاة لعدم وجود الطهارة فيشمل من ولد، ولم يحصل منه ما يوجب الوضوء إلى أن بلغ فيجب عليه الوضوء، لأنه كان ممنوعاً من الصلاة قبل ذلك لعدم وجود الطهارة، ولذا علق الوضوء بالقيام للصلاة. قوله: ﴿وجوهكم﴾ أي ليغسل كل منكم وجهه ولو تعدد وحده، طولاً من منابت شعر الرأس المعتاد لآخر الذقن، وعرضاً ما بين وتدي الأذنين، ويخلل لحيته إن كانت خفيفة وإلا غسل ظاهرها فقط، ويتتبع أسارير جبهته والوترة ولا يلزمه غسل داخل العينين، وأما المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين فسنة. قوله: [أي معها] أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى مع، وهذا أسهل ما قيل، وقيل إن إلى على بابها من الانتهاء، والغاية داخلة، وقيل خارجة، وقيل إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها دخلت وإلا فلا، والأصح أن إلى لا يدخل ما بعدها فيما قبلها عكس حتى، قال سيدي علي الأجهوري:

وفي دخول الغاية الأصح لا تدخل مع إلى وحتى دخلا

وأما في الآية فإما أن يقال إنها بمعنى مع، أو الغاية داخلة على خلاف القاعدة لوجود القرينة، فغسل المرافق واجب لذاته، وليس من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. قوله: [كما بينته السنة] أي فبينت السنة أن المرافق تغسل مع الأيدي، ويجب تخليل أصابع الأيدي عند مالك لوجوب الدلك عنده. قوله: [الباء للإلصاق] وقيل للتبعيض لدخولها على متعدد، وأما في وليطوفوا بالبيت فللإلصاق، لدخولها على غير متعدد، وأورد على ذلك آية التيمم، فإن قيل إنها للإلصاق يقال أي فرق بينهما، ولما كان هذا المعنى معترضاً، عدل عنه المفسر وجعلها للإلصاق في كل، وأحال بيان ذلك للسنة. قوله: [أي ألصقوا المسح بها] لعل في كلام المفسر تسامحاً، لأن المسح معنى من المعاني لا يلصق، لأن الإلصاق لا يكون إلا بين جسمين، إلا أن يقال المراد بالمسح آلته وهو اليد. قوله: [من غير إسالة ماء] بيان لحقيقة المسح من حيث هو، لا لما يكفي في الوضوء، فإن الغسل يكفي أيضاً. قوله: [وهو] أي المسح. قوله: [وهو مسح بعض شعره] وقال أبو حنيفة يجب مسح ربع الرأس، وقال مالك وأحمد يجب مسح الجميع، كما يجب مسح الوجه في التيمم. قوله: [بالنصب] أي لفظاً وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم، وقوله: [والجر] أي وهي لباقي السبعة. قوله: [على الجوار] أي فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة، واعترض هذا الحمل بأنه لم يرد الجر بالمجاورة إلا في النعت، ومع ذلك هو ضعيف، والأولى أن يقال إنه مجرور لفظاً، ومعنى معطوف على الرؤوس والمسح مسلط عليه، ويحمل على حالة لبس الخف، أو يقال إن المراد بالمسح الغسل الخفيف، وسماه مسحاً رداً على من يتبع الشك ويسرف في الماء وهو بعيد. قوله: [وهما] أي الكعبان. قوله: [عند مفصل] بفتح الميم وكسر الصاد، وأما بكسر الميم وفتح الصاد فهو اللسان، ويجب على الإنسان في غسل رجليه أن يتتبع العقب بالغسل لما في الحديث «ويل للأعقاب من النار» وتسن الزيادة على محل الفرض عند الشافعي، وفسر بها الغرة والتحجيل الواردين في الحديث، وكره مالك ذلك، وفسر الغرة والتحجيل بإدامة الطهارة. قوله: [والفصل] هو مبتدأ وخبره [يفيد] وقصده بذلك تتميم الفرائض الستة عند الشافعي،

الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعي ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾: مرضاً يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أي مسافرين ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾: أي أحدث ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: سبق مثله في آية النساء ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾: بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: اقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تراباً طاهراً ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾: مع المرفقين ﴿مِّنْهُ﴾: بضربتين والباء للإلصاق وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: من الأحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٦: نعمه ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام ﴿وَمِيثَاقَهُ﴾: عهده ﴿الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾: عاهدكم عليه ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾: للنبي ﷺ حين بايعتموه

ويحصل ذلك أن الواو وإن كانت لا تقتضي ترتيباً لكن وجدت قرينة تفيد الترتيب وهو الفصل بين المغسولات بالرأس الممسوح، لكن يقال إن ذلك ظاهر في غير الوجه مع الأيدي، وعند مالك ليس الترتيب فرضاً. وإنما هو سنة إبقاء للواو على ظاهرها ولم يعتبر تلك القرينة. قوله: [وجوب النية فيه] أي لأنه عبادة، وكل عبادة تحتاج لنية. فتحصل أن فرائض الوضوء عند الإمام الشافعي ستة: الأربعة القرآنية، والنية، والترتيب. وعند مالك سبعة: الأربعة، والنية، والموالاة بأن لا يفرق بين أجزائه تفريقاً متفاحشاً، والتدليك وهو إمرار باطن الكف على الأعضاء. وعند الحنفية الأربعة القرآنية لا غير.

قوله: ﴿وإن كنتم جنباً﴾ أي بمغيب الحشفة، أو خروج المني بلذة معتادة في اليقظة، أو مطلقاً في النوم، أو الحيض، أو النفاس، لأن الخطاب عام للذكور والإناث. قوله: [أي أحدث] أي فالمجيء من الغائط كناية عن الحدث، وعبر عنه بالغائط، لأن العادة قضاء الحاجة في الغائط، بمعنى المكان المنخفض. قوله: [سبق مثله] أي فيقال هنا جامعتم أو جسستم باليد. قوله: [مع المرفقين] أي فهو فرض عند الشافعي حملاً على آية الوضوء، وعند مالك مسح المرفقين سنة، وإنما الفرض للكوعين. قوله: [بضربتين] أي فهما فرض عند الشافعي، وعند مالك الأولى فرض والثانية سنة. قوله: [وبينت السنة الخ] جواب من الشافعية والحنفية عن التعارض الواقع بين آية الوضوء وآية التيمم. قوله: [من الوضوء والغسل والتيمم] أي فأوجب ما ذكر عند القدرة عليه، ووجود الماء أو الصعيد، فإن فقدا معاً سقطت عنه الصلاة، وقضاؤها على المعتمد عند مالك، ويصلي ويقضي عند الشافعي. قوله: [من الأحداث والذنوب] أي فإذا تطهر الإنسان فقد خلص من الحدث والذنوب، لأنه ورد أن الذنوب تتساقط مع غسل الأعضاء. قوله: [بالإسلام] الباء للتعدية، والجار والمجرور متعلق بنعمة، فهو أعظم النعم، لأنه به ينال كل خير.

قوله: ﴿إذا قمتم﴾ ظرف لقوله: ﴿واثقكم به﴾. قوله: [حين بايعتموه] أي عند العقبة سنة الهجرة، لما جاءه سبعون من الأنصار، ورئيسهم إذ ذاك البراء بن معرور، وكان له اليد البيضاء في الميثاق، حتى أنه قال: والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب كابراً عن كابر، وبايعوه على أن يقاتلوا معه الأسود والأبيض، وكذلك بيعة الرضوان تحت الشجرة، حين صده المشركون عن البيت، أشاع إبليس أن عثمان قتل، فبايع النبي ﷺ الصحابة على عدم الرجوع حتى يقتلوا أو يدخلوا مكة، وهكذا حمل المفسر العهد على عهد النبي أصحابه، ويحتمل أن المراد العهد الواقع يوم ألست بربكم، فيكون المعنى: اذكروا نعمة الله عليكم، حيث خلقكم على التوحيد في عالم الأرواح، وجعل عالم الأجساد موافقاً له، فالإيمان نعمة عظيمة لموافقته للإجابة الواقعة

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: في كل ما تأمر به وتنهى مما نحب ونكره ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾: في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾٧: بما في القلوب فبغيره أولى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ﴾: قائمين ﴿لِلَّهِ﴾: بحقوقه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾: بغض ﴿قَوْمٍ﴾: أي الكفار ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿ٱعْدِلُوا﴾: في العدو والولي ﴿هُوَ﴾: أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾٨: فيجازيكم به ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: وعداً حسناً ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

يوم ألستُ بربكم، وكلٌّ صحيح، لكن إن كان المراد عهد الله الأزلي فالنسبة له ظاهرة، وإن كان المراد عهد النبي لأصحابه، فإسناد العهد لله، لأنه هو المعاهد حقيقة، قال تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ الآية.

قوله: ﴿سمعنا﴾ أي سماع قبول. قوله: [مما نحب] أي بأن كان موافقاً لما تهواه نفوسهم، وقوله: [ونكره] أي بأن لم يكن موافقاً، كالجهاد وأداء الزكاة مثلاً. قوله: [بما في القلوب] أي من الإخلاص وغيره، فذات الصدور صفة لموصوف محذوف تقديره الأمور الخفية صاحبات الصدور التي لا يطلع عليها إلا الله.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا الخ﴾ شروع في بيان الحقوق الواجبة على العباد، وهي قسمان: متعلق بالخالق وهو قوله ﴿قوامين لله﴾ وبالمخلوق وهو قوله ﴿شهداء بالقسط﴾، وقد تقدمت هذه الآية في النساء، وكررها اعتناء بشأنها، فإن مقام القيام بحق الله وحق عباده عظيم، وهو حقيقة التوفيق، فليس كل من آمن قام بالحقين، وقوله قوامين خبر لكونوا، وشهداء خبر ثان. قوله: [بحقوقه] أي الخاصة به، كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك. قوله: ﴿شهداء بالقسط﴾ أي فلا تشهدوا بخلاف الواقع، بل بما في نفس الأمر، وهو المراد بقوله: [بالعدل]. قوله: [يحملنكم] هو معنى ﴿يجرمنكم﴾ ومن ثم عداه بعلى، ويجوز أن يفسر بيكسبنكم وهما متقاربان. قوله: ﴿شنآن﴾ بفتح النون وسكونها شنعيتان. قوله: [أي الكفار] أشار به إلى أنها نزلت في قريش لما صدوا النبي ﷺ عن المسجد الحرام، ولكن العبرة بعموم اللفظ.

قوله: ﴿على أن لا تعدلوا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى، أي على عدم العدل، كنقض العهد، وإيذاء من أسلم منهم. قوله: [فتنالوا منهم] أي مقصودكم من القتل وأخذ المال. قوله: [في العدو والولي] أي فسوّوا بين المحب والمبغض في العدل، ولا تؤثروا المحب. قوله: ﴿اعدلوا﴾ تصريح بما علم من النهي عن ترك العدل، اعتناء بشأن العدل. قوله: [أي العدل] أي المأخوذ من قوله: ﴿اعدلوا﴾ فإن الضمير لا بد أن يرجع لمذكور، ولو ضمناً كما هنا.

قوله: ﴿أقرب للتقوى﴾ أي أقرب ما يدل على التقوى لأنها في القلب، والعدل أكبر دليل عليها، فعند القدرة يظهر الحال، فمن ظهر العدل على يديه، كان دليلاً على تقواه، ومن لا فلا، ومنه ما ورد الظلم كمين في النفس، القوة تظهره، والعجز يخفيه. قوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي امتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ فيه وعد ووعيد، وبين الوعد بقوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾، وبين الوعيد بقوله ﴿والذين كفروا﴾ الخ.

قوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾ تفصيل لما أجمل في قوله ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ والذين مفعول أول لوعد، وقدر المفسر المفعول الثاني بقوله [وعداً حسناً] أي موعوداً، فأطلق المصدر، وأراد اسم المفعول. وقوله ﴿لهم مغفرة

عَظِيمٌ﴾ ٩: هو الجنة **﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ** ١٠ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾**: هم قريش **﴿أَن يَبْسُطُوا﴾**: يمدوا **﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾**: ليفتكوا بكم **﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾**: وعصمكم مما أرادوا بكم **﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ١١ **وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**: بما يذكر

وأجر عظيم﴾ جملة مستأنفة بيان للموعود به الحسن. قوله: **[الجنة]** تفسير للأجر العظيم، فيكون عطف الأجر العظيم على المغفرة من عطف المسبب على السبب. قوله: **[والذين كفروا]** مبتدأ، و **﴿أولئك﴾** مبتدأ ثان، **﴿وأصحاب﴾** خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والجملة مستأنفة لبيان وعيد الكفار، ولم يقل في جانب الكفار لهم عذاب الجحيم مثلاً قطعاً لرجائهم، لأن صاحب الشيء لا ينفك عنه.

قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما خرج هو وأصحابه لعسفان في غزوة ذي أنمار، وهي غزوة ذات الرقاع، قاموا إلى الظهر جميعاً، فلما صلوا ندم المشركون على عدم المكر بهم في الصلاة، فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، يعنون بها صلاة العصر، وهموا أن يقعوا بهم إذا قاموا إليها، فرد الله كيدهم بنزول آية صلاة الخوف، وقيل ما روي أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة، ومعه أبو بكر وعمر وعلي، يستقرض منهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ بحسبهما مشركين، فقالوا يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت، فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه، فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه وأخبره، فخرج هو وأصحابه ونقض عهدهم حينئذ، وأقام الحرب عليهم، وقيل هو ما روي أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً، وتفرق أصحابه في الشجر يستظلون به، فجلس رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق سيفه بها ونام، فجاء أعرابي وأخذ السيف من الشجرة وسله، فاستيقظ النبي ﷺ فوجده في يده، فقال له الأعرابي: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال له: من يمنعك مني؟ فقال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والأحسن أن يراد بقوله: **﴿إذ هم قوم﴾** ما هو أعم فيشمل هذه الوقائع وغيره كواقعة السم. قوله: **﴿أن يبسطوا﴾** الخ، يقال بسط إليه يده إذا بطش به، وبسط إليه لسانه إذا شتمه، والمراد مدوا إليكم أيديهم بالقتل.

قوله: **﴿واتقوا الله﴾** أي دوموا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه. قوله: **﴿وعلى الله﴾** أي لا على غيره، فلا

---

* أسباب نزول الآية ١١: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله﴾ أخرج ابن جرير عن عكرمة ويزيد بن أبي زياد واللفظ له: أن النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصابه فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس، فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترونه أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شراً أبداً، فجاؤوا إلى رحى عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل فأقامه من ثمة، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم﴾ الآية.

وأخرج نحوه عن عبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمير بن قتادة ومجاهد وعبد الله بن كثير وأبي مالك وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا بالنبي ﷺ فأرسلوا إليه الأعرابي يعني الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل، فأخذ سلاحه وقال من يحول بيني وبينك؟ فقال: «الله»، فشام السيف ولم يعاقبه.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من محارب يقال له: غورث بن الحارث قال لقومه: أقتل لكم محمداً، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم، فأخذه فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبته الله تعالى، فقال: يا محمد أما تخافني؟ قال: «لا»، قال أما تخافني والسيف في يدي؟ قال «لا يمنعني الله منك» ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله، فأنزل الله الآية.

بعد ﴿وَبَعَثْنَا﴾: فيه التفات عن الغيبة أقمنا ﴿مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾: من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ﴾: لهم ﴿ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾: بالعون والنصرة ﴿لَئِنْ﴾: لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ

يعتمد الإنسان على سبب ولا غيره، بل يثق بالله ويفوض أمره إليه. قوله: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان تحريض المؤمنين على الوفاء بالعقود، فإن المقصود من ذكر الأمم السابقة، ونقضهم عهود أنبيائهم، تذكير هذه الأمة بأن الوفاء بالعهود أمره عظيم وأجره جسيم، ونقضه فيه الوبال الكبير، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: فالويل لمن لم يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك. قوله: [بما يذكر بعد] أي من قوله: ﴿إني معكم لئن أقمتم الصلاة﴾ الخ، فعهد الله هو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والدال على ذلك تجب مطاوعته، فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله، القائم بحقوق الله وحقوق عباده، إذا أخذ العهد بذلك على إنسان، وجب عليه اتباعه ونقض عهده، إما كفر إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد وغيره، أو ضلال مبين إذا قصد عدم الالتزام بأوراده، وأما من خالف الشرع، واتبع هوى نفسه، فالواجب نقض عهده، لأن من لا عهد له مع الله، لا عهد له مع خلقه، قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ هكذا ينبغي. قوله: [فيه التفات عن الغيبة] أي وكان مقتضى الظاهر وبعث، وإنما التفت اعتناء بشأن البعث. قوله: [أقمنا] أشار بذلك إلى أن المراد بالبعث الجعل والإقامة، لا الإرسال، وإلا لكانوا معصومين من النقض.

قوله: ﴿منهم﴾ إما متعلق ببعثنا، أو بمحذوف حال من اثني عشر، وقوله: ﴿نقيبا﴾ تمييز، والنقيب فعيل، إما بمعنى فاعل لأنه يفتش على أحوال القوم، أو بمعنى مفعول لأنهم فتشوا عليه، واختاروه نقيباً عليهم مشتق من التنقيب وهو التفتيش، ومنه ﴿فنقبوا في البلاد﴾، سمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم ويسعى في مصالحهم. قوله: [من كل سبط نقيب] أي فالنقباء على عدد الأسباط، وهم أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر كل واحد منهم سبط. قوله: [توثقة عليهم] أي تأكيداً عليهم.

قوله: ﴿وقال﴾ [لهم] أي للنقباء، وعهد النقباء هو عهد بني إسرائيل، أو الضمير عائد على بني إسرائيل عموماً، وسبب ذلك أن بني إسرائيل لما رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء بأرض الشام، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون، وقال لهم: إني كتبتها لكم داراً وقراراً، فاخرجوا من فيها وإني ناصركم، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به، فاختار النقباء، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان، بعث النقباء إليهم يتجسسون أحوالهم، فرأوا خلقاً أجسامهم عظيمة، ولهم قوة وشوكة فهابوهم فرجعوا، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدثوا بما يرون من أحوال الكنعانيين، فنكثوا الميثاق وتحدثوا، إلا اثنين منهم، قيل لما توجه النقباء لتجسس أحوال الجبارين لقيهم عوج بن عنق، وعنق أمه إحدى بنات آدم لصلبه، وكان عمره ثلاثة آلاف سنة، وطوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثين ذراعاً، وكان على رأسه حزمة حطب، فأخذ النقباء وجعلهم في الحزمة، وانطلق بهم إلى امرأته، فطرحهم بين يديها، وقال اطحنيهم بالرحى، فقالت لا بل نتركهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، فجعلوا يتعرفون أحوالهم، وكان من أحوالهم أن عنقود العنب عندهم لا يحمله إلا خمسة رجال منهم، وأن قشرة الرمانة تسع خمسة منهم، فلما خرج النقباء من أرضهم، قال بعضهم لبعض: إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، ولكن اكتموه إلا عن موسى وهارون، ثم انصرفوا إلى موسى، وكان معهم حبة من عنبهم، فنكثوا عهدهم، وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن القتال ويخبره بما رأى، إلا كالب ويوشع، وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ، فجاء عوج بن عنق حتى نظر إليهم، فجاء إلى جبل وأخذ منه صخرة

﴿وَآتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: بالإنفاق في سبيله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الميثاق، مِنكُم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ١٢: أخطأ طريق الحق والسواء في الأصل الوسط فنقضوا الميثاق قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: ما زائدة ﴿مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ﴾: أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾: لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾: الذي في التوراة من نعت محمد وغيره ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾: تركوا ﴿حَظًّا﴾: نصيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا﴾: أمروا ﴿بِهِۦ﴾: في التوراة من اتباع محمد ﴿وَلَا تَزَالُ﴾: خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾: تظهر ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾: أي خيانة ﴿مِّنْهُمْ﴾: بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: ممن أسلم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٣: وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ﴾: متعلق بقوله ﴿أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ﴾: كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾: في الإنجيل من الإيمان وغيره

على قدر عسكر موسى، ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم، فبعث الله الهدهد فنقر وسط الصخرة المحاذي لرأسه، فوقعت في عنقه وطوقته فصرعته، وأقبل موسى فقتله، فأقبلت جماعته حتى حزوا رأسه، وهذه القصة ذكرها كثير من المفسرين، قال المحققون: إنه لا عوج ولا عنق، وإنما الصحيح من القصة وجود الجبارين وقريتهم، وأنهم عظام الأجسام، وبالجملة فالصحيح هو ما قصه الله علينا فيما يأتي في هذا الربع. قوله: [لام قسم] أي والله، وجوابه هو قوله لأكفرن، وحذف جواب الشرط لتأخره عن القسم اكتفاء بجواب القسم، قال ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم، جواب ما أخرت...

قوله: ﴿وآمنتم برسلي﴾ أخره عن الصلاة والزكاة، مع أنهما من الفروع، لأن بعضهم كان يفعلهما مع كونه يكذب ببعض الرسل، فأفاد الله تعالى أن عدم الإيمان لا ينفع مع فعل الطاعات. قوله: ﴿وعزرتموهم﴾ من التعزير، يطلق على التعذيب، وعلى التعظيم والتوقير والنصرة، وهو المراد هنا. قوله: [بالانفاق في سبيله] أي واجباً أو مندوباً، وهو أعم من الزكاة. قوله: [فنقضوا الميثاق] أي بتكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء، وتضييعهم الفرائض.

قوله: ﴿يحرفون الكلم﴾ بيان لقسوة قلوبهم. قوله: [تركوا] أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: [خيانة] أشار بذلك إلى أن خائنة بمعنى خيانة، فالتاء للتأنيث بدليل القراءة الأخرى خيانة.

قوله: [وهذا] أي الأمر بالعفو والصفح منسوخ إن أريد مع بقائهم على الكفر، وأما إن أريد إن تابوا فلا نسخ.

قوله: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى﴾ شروع في بيان قبائح النصارى إثر بيان قبائح اليهود، والحكمة في قوله قالوا، ولم يقل ومن النصارى، أن هذه التسمية واقعة منهم لأنفسهم، ولم يسمهم الله تعالى بذلك، والجار والمجرور متعلق بأخذنا، والأصل وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وهو الأحسن، ولذا مشى عليه المفسر، وقدم الجار والمجرور على قوله: ﴿ميثاقهم﴾ هروباً من عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهو غير جائز إلا في مواضع ليس هذا منها، ونصارى نسبة للنصر، لأنهم يزعمون أنهم أنصار الله، ومفرده نصران ونصرانة، ولكن ياء النسب لا تفارقه، وقيل نسبة لقرية اسمها نصرة، فيكون مفرده نصرى، ثم أطلق على كل من تعبد بهذا الدين. قوله: ﴿ميثاقهم﴾ أي عهدهم المؤكد.

قوله: ﴿فنسوا حظاً﴾ أي تركوه. قوله: [من الإيمان] أي بمحمد وبجميع الأنبياء، وقوله: [وغيره] أي غير

ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: أوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾: في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ١٤: فيجازيهم عليه ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾: تكتمون ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾: من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَابٌ﴾: قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ ١٥: بين ظاهر ﴿يَهْدِي بِهِ﴾: أي بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: بأن آمن ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٦: دين الإسلام ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: حيث جعلوه إلهاً وهم اليعقوبية فرقة من النصارى ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾: أي يدفع ﴿مِنَ﴾: عذاب ﴿اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: أي لا أحد يملك ذلك ولو

الإيمان كبشارة عيسى بمجيء محمد بعده رسولاً. قوله: [ونقضوا الميثاق] أي بتكذيب الأنبياء، وتحريف ما في الإنجيل، وهذا مرتب على قوله: ﴿فنسوا حظاً﴾ وكذا قوله: ﴿فأغرينا﴾ وهو من غرا بالشيء إذا لصق به، يقال غروت الجلد ألصقته بالغراء، وهو كناية عن إيقاع العداوة بينهم، والتعبير بالاغراء أبلغ كأن العداوة لاصقة بهم كالغراء اللاصق بالجلد. قوله: ﴿بينهم﴾ متعلق بأغرينا والضمير عائد على اليهود والنصارى، أي ألقينا العداوة بين اليهود والنصارى، فكل من الفرقتين تلعن الأخرى، وقيل الضمير عائد على النصارى فقط باعتبار فرقهم لأنهم ثلاث فرق: الملكانية واليعقوبية والنسطورية فكل فرقة تلعن الأخرى، وإنما لم يظهروا ذلك بين المسلمين، خوفاً من الشماتة بهم فكل فرقة تكفر الأخرى، أي في الدنيا وفي الأخرة ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ قوله: ﴿وسوف ينبئهم الله﴾ [في الآخرة] أي بقوله يوم القيامة ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ الآية.

قوله: ﴿يا أهل الكتاب﴾ خطاب للفريقين جميعاً، بعد أن ذكر كل فرقة على حدة. قوله: [كآية الرجم وصفته] أي فقد أخفوهما، وأطلع الله نبيه على أنهما في التوراة، فبين ذلك وأظهره، وهو معجزة لرسول الله ﷺ لأنه لم يقرأ كتابهم، ولم يجلس بين يدي معلم، وهذا مثال لما في التوراة، ولم يمثل لما في الإنجيل، ولو مثل له لقال: وكبشارة عيسى بمحمد.

قوله: ﴿ويعفوا عن كثير﴾ أي من قبائحهم كسبه فيما بينهم، والكلام في شأنه هو والقرآن، فلم يتعرض لهم في ذلك. قوله: [هو نور النبي] أي وسمي نوراً لأنه ينور البصائر ويهديها للرشاد، ولأنه أصل كل نور حسي ومعنوي. قوله: ﴿من اتبع رضوانه﴾ أي من سبق في علم الله أنه يتبع رضوانه. قوله: [طريق السلامة] أي من العذاب والنجاة من العقاب، و﴿سبل السلام﴾ منصوب بنزع الخافض وإنما حقه أن يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى أو باللام، قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾. قوله: [وهم اليعقوبية] أي القائلون بالاتحاد. قوله: ﴿ومن في الأرض جميعاً﴾ هذا ترق في الرد عليهم. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

---

* أسباب نزول الآية ١٥: قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: إن نبي الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور والمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفكل، فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله ﴿يا أهل الكتاب﴾ إلى قوله ﴿صراط مستقيم﴾.

كان الْمَسِيحُ إلهاً لَقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: شاءَه ﴿قَدِيرٌ﴾ ١٧ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: أي كل منهما ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾: أي كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ﴾: لهم يا محمد ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾: إنْ صدقتم في ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾: من جملة مَنْ ﴿خَلَقَ﴾: من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ١٨: المرجع ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: شرائع الدين ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾: انقطاع ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وستون سَنَة ﴿أَن﴾: لا ﴿تَقُولُوا۟﴾: إذا عذبتم ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ﴾: زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾: فلا عذر لكم إذاً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٩: ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾: أي منكم ﴿أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: أصحاب خدم

قوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ ترق في الرد عليهم أيضاً. قوله: [شاءه] أي تعلقت به إرادته وهي الممكنات، خرج بذلك ذاته وصفاته والمستحيلات فلا تتعلق القدرة والإرادة بشيء من ذلك. قوله: [أي كأبنائه في القرب] أي فالمعنى على التشبيه، وهذا هو الصحيح، وقيل المعنى أبناء أنبياء الله، فالكلام على حذف مضاف. وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى الإسلام، وخوفهم بعقاب الله تعالى، فقالوا: كيف تخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه؟ وهذه مقالة اليهود، وأما النصارى فقالوا مثلهم، زاعمين أن الله قال في الإنجيل: إن المسيح قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم. قوله: ﴿قل﴾ [لهم يا محمد] أي إلزاماً لهم وتبكيتاً، إن صح ما زعمتم، فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والمسخ، وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أياماً بعدد أيام عبادة العجل، ولو كان الأمر كما زعمتم، لما صدر منكم ما صدر، ولما وقع عليكم ما وقع. قوله: [لا اعتراض عليه] أي لأنه القادر الفعّال بالاختيار.

قوله: ﴿على فترة من الرسل﴾ أي في وقت لا تعرفون فيه توحيداً، فعليكم باتباعه. قوله: [إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول الخ] هذا هو الصحيح، وقيل كان بين محمد وعيسى أربعة رسل، ثلاثة من بني إسرائيل، وواحد من حمير، وهو خالد بن سنان. قوله: [ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة] وقيل خمسمائة وخمسة وستون، وقيل خمسمائة وأربعون، وقيل أربعمائة وبضع وثلاثون، والصحيح أنها ستمائة ومدة ما بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سَنَة، لكنها ليست فترة لبعثة كثيرين من الأنبياء بينهما ويتعبدون بشريعة موسى، كداود وسليمان وزكريا ويحيى. قوله: ﴿إن﴾ [لا] ﴿تقولوا﴾ أشار بذلك إلى أنْ ﴿أنْ﴾ المصدرية دخلت عليها اللام ولا النافية مقدرة بعدها، والتقدير لعدم قولكم ما جاءنا الخ. قوله: [زائدة] أي في فاعل جاء.

قوله: ﴿و﴾ [اذكر] ﴿إذ قال موسى﴾ أشار بذلك إلى أن إذ ظرف لمحذوف، قدره المفسر بقوله اذكر،

---

* أسباب نزول الآية ١٨: قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود﴾ الآيات، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن قصي وبحر بن عمر وشاش بن عدي، فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى، فأنزل الله فيهم ﴿وقالت اليهود والنصارى﴾ الآية.

وروى عنه قال: دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده فأنزل الله ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين﴾ الآية.

وحشم ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٠: من المنّ والسلوى وفلق البحر وغير ذلك ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: المطهرة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾: أمركم بدخولها وهي الشام ﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾: تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ٢١: في سعيكم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾: من بقايا عاد طوالاً ذوي قوة ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ٢٢: لها ﴿قَالَ﴾: لهم ﴿رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾: بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا

والمقصود من ذلك توبيخ اليهود الذين في زمنه ﷺ وتسليته على عدم إيمانهم به وبيان نقضهم العهد تفصيلاً، والمعنى تسل ولا تحزن من عدم إيمانهم بك ومن تكذيبك، فإنهم كذبوا من يدعون أنه نبيهم إلى الآن. قوله: ﴿اذكروا نعمة الله﴾ أي تذكروها واشكروا عليها. قوله: ﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾ أي بكثرة ولم تكن في غيركم.

قوله: ﴿وجعلكم ملوكا﴾ أي ببسط الدنيا لكم، وذلك بعد إغراق فرعون. قوله: [خدم] جمع خادم، وهو صادق بالذكر والأنثى. قوله: [وحشم] هم الخدم لكن من الرجال، ورد أن أول من ملك الخدم بنو إسرائيل، وكان يقال عندهم من كانت عنده دابة وجارية وزوجة فهو ملك، وقيل الملك من اتسعت داره وكان فيها النهر يجري، وقيل جعلكم ملوكاً أي أحراراً بعد استرقاق فرعون لكم. قوله: ﴿من العالمين﴾ أي مطلقاً، لأن فلق البحر والمن والسلوى لم يكن لأحد غيرهم، ولا لأمة محمد ﷺ، ولا حاجة هنا للتأويل بعالمي زمانهم. قوله: [من المن والسلوى] بيان لما. إن قلت: إن هذه المقالة وقعت حين أخذ الميثاق عليهم في قتال الجبارين، فلا يظهر قول المفسر من المن والسلوى، لأنه لم ينزل عليهم إلا في التيه، وذلك بعد توجههم من مصر لقتال الجبارين، فحينئذ كان المناسب للمفسر أن يقول من النبوة والملك وفلق البحر، وقد يجاب: بأنه لا مانع من ذكر هذه الكلمة في التيه أيضاً.

قوله: ﴿يا قوم﴾ الجمهور على كسر الميم من غير ياء، وقرىء بضم الميم إجراء له مجرى المفرد، وبالباء مفتوحة لأنه منادى مضاف لياء المتكلم، قال ابن مالك:

واجعل منادى صح أن يضف ليا   كعبد عبدي عبد عبدا عبديا

قوله: [المطهرة] إنما سميت مطهرة لسكنى الأنبياء المطهرين فيها، فشرفت وطهرت بهم، فالظرف طاب بالمظروف، إن قلت: إن الجبارين كانوا فيها وهم غير مطهرين أجيب: بأن الخير يغلب الشر، والنور يغلب الظلمة. قوله: [أمركم بدخولها] دفع بذلك ما يقال: كيف الجمع بين الكتابة التي تفيد تحتم الدخول، وبين قوله قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، فأجاب: بأن المراد بالكتب الأمر بالدخول، وأجيب أيضاً بأن قوله التي كتب الله لكم أي قدرها في اللوح المحفوظ، إن لم تقع منكم مخالفة، وقد وقعت فحرمت عليهم أربعين سنة، فهو قضاء معلق.

قوله: ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ أي ترجعوا إلى مصر، فإنهم لما سمعوا بأخبار الجبارين قالوا نجعل لنا رئيساً ينصرف بنا إلى مصر، وصاروا يبكون ويقولون ليتنا متنا بمصر. قوله: ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ أي لأن الفرار من الزحف من الكبائر. قوله: ﴿قال رجلان﴾ وصفهما بصفتين: الأولى قوله: ﴿من الذين يخافون﴾ والثانية قوله: ﴿أنعم الله عليهما﴾ وهو حسن لأن فيه الوصف بالجملة بعد الوصف بالجار والمجرور، وهو من قبيل المفرد. قوله: [وهما يوشع] أي ابن نون وهو الذي نبىء بعد موسى، وقوله: [وكالب] بكسر اللام وفتحها ابن يوقنا. قوله: [بقية النقباء] أي الأثني عشر، وقوله: [فأفشوه] أي خبر الجبارين، وقوله: [فجبنوا] أي بنو إسرائيل.

﴿ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾: بابَ القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾: قالا ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٢٣ ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ﴾: هم ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ٢٤: عن القتال ﴿قَالَ﴾: موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ﴾: إلا ﴿أَخِي﴾: ولا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة ﴿فَٱفْرُقْ﴾: فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ﴾ ٢٥ ﴿قَالَ﴾: تعالى له ﴿فَإِنَّهَا﴾: أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾: يتحيرون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: تحزن ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ﴾ ٢٦: روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هارون وموسى في التيه وكان

قوله: ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ أي امنعوهم من الخروج، لئلا يجدوا في أنفسهم قوة للحرب، بخلاف ما إذا دخلتم عليهم القرية بغتة، فإنهم لا يقدرون على الكر والفر. قوله: [بلا قلوب] أي قوية نافعة. قوله: [تيقنا بنصر الله] أي فإنهما مصدقان بذلك، لإخبار موسى لهما بذلك. قوله: ﴿وعلى الله فتوكلوا﴾ أي بعد ترتيب الأسباب، ولا تعتمدوا عليها فإنها غير مؤثرة. قوله: ﴿ما داموا فيها﴾ أي مدة إقامتهم فيها. قوله: ﴿أنت وربك﴾ قيل إن الواو للعطف، وربك معطوف على الضمير المستتر في اذهب، وقد وجد الفاصل بالضمير المنفصل. قال ابن مالك:

وإنْ على ضميرِ رفعٍ متصلْ عطفتَ فافصلْ بالضميرِ المنفصلْ

أي ليذهب ربك، واختلف في الرب، فقيل هو المولى جل وعلا، فإسنادهم الذهاب إليه على حقيقته لأنهم كانوا يعتقدون التجسيم، وقيل المراد به هارون وسموه رباً لأنه كان أكبر من موسى بسنة، وهو الأحسن، ويدل عليه السياق، وقيل الواو للحال، وربك مبتدأ خبره محذوف تقديره يعينك. قوله: [لا أملك غيرهما] إن قلت: إن يوشع وكالب كانا في طاعته أيضاً. أجيب بأنه لم يثق بهما. قوله: ﴿فافرق بيننا﴾ أي احكم لنا بما نستحقه، واحكم لهم بما يستحقونه، وكان الأمر كذلك، فصار التيه رحمة لموسى وهارون، وعذاباً على بني إسرائيل. قوله: ﴿أربعين سنة﴾ يصح أن يكون ظرفاً لقوله: ﴿يتيهون﴾ وعلى هذا فهي محرمة عليهم أبداً لأنهم انقرضوا، وما دخلها إلا من لم يبلغ العشرين حين الميثاق، وقيل ظرف لقوله: ﴿محرمة﴾ وعلى هذا فالتحريم مقيد بتلك المدة، وقيل ظرف لهما معاً. قوله: [وهي تسعة فراسخ] أي عرضاً، وطولها ثلاثون فرسخاً.

قوله: ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ أي وذلك أنه ندم على دعائه عليهم، فقيل له لا تأس فإنهم أحق بذلك. قوله: [ومات هارون وموسى في التيه] ومات موسى بعد هارون بسنة، وقيل إن موسى هو الذي ملك الشام، وكان يوشع على مقدمته، وعاش فيها زمناً طويلاً، ومات ولم يعلم له قبر، وهما طريقتان: قيل إن موسى وهارون توجها إلى البرية، فمات هارون فدفنه أخوه موسى، ثم رجع إلى قومه فقالوا قتلته لحبنا إياه، فتضرع موسى إلى ربه، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى هارون فإني باعثه، فانطلق بهم إلى قبره، فناداه يا هارون فخرج من قبره ينفض رأسه، قال أنا قتلتك؟ قال لا ولكنني مت، قال فعد إلى مضجعك. وروي أن موسى خرج ليقضي حاجته، فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً أحسن منه، ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم يا ملائكة الله لم تحفرون هذا القبر؟ فقالوا لعبد كريم على ربه، فقال إن هذا العبد لمن الله بمنزلة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعاً، فقالت الملائكة: يا صفي الله أتحب أن يكون لك؟ قال وددت، قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك، قال فنزل فاضطجع فيه وتوجه

رحمةً لهما وعذاباً لأولئك. وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه كما في الحديث ونبىء يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم. وروى أحمد في مسنده حديث إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي

إلى ربه، ثم تنفس أسهل نفس، فقبض الله تعالى روحه، ثم سوّت عليه الملائكة التراب، وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه، وقيل إنه روي أن ملك الموت جاءه وقال له أجب أمر ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فقال ملك الموت يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني، قال فردّ الله تعالى عينه وقال له ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بكل شعرة سنة، قال ثم ماذا؟ قال ثم تموت، قال فالآن من قريب، قال رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر، قال رسول الله: لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطور عند الكثيب الأحمر. ورواية فقء عين ملك الموت متكلم فيها، وعلى فرض ورودها ففقء عين الملك من خصوصيات موسى، لأن الملك لا تحكم عليه الصورة، ولا يقال إن هذا جناية حرام لأننا نقول إنه فقأ عين الصورة المتشكل فيها، لا الصورة الأصلية، وقصده بتلك الفعلة نهيه عن أن يأتي للمؤمن في صورة فظيعة، كما قرره أشياخنا. قوله: [وكان رحمة لهما] أي وكذا يوشع وكالب، وذلك كنار إبراهيم، فإنها جعلت عليه برداً وسلاماً. قوله: [وعذاباً لأولئك] أي من حيث السير، وقد أنعم الله عليهم في التيه بنعم عظيمة، منها أنهم شكوا لموسى حالهم من الجوع والعري، فدعا الله تعالى فأنزل عليهم المن والسلوى، وأعطاهم من الكسوة ما يكفيهم كل واحد على مقدار هيئته، وشكوا له العطش، فأتى موسى بحجر من جبل الطور، فكان يضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً، وشكوا الحر، فأرسل الله عليهم الغمام يظلهم، وكان يطلع عمود من نور يضيء لهم بالليل ولا تطول شعورهم، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله ويتسع بقدره. قوله: [أن يدنيه] أي يقربه من الأرض المباركة، أي يدفن بقربها لكونها مطهرة مباركة، ويؤخذ من ذلك أن الإنسان ينبغي له أن يتحرى الدفن في الأرض المباركة بقرب نبي أو ولي، وإنما لم يسأل الدفن فيها خوفاً من أن يعرف قبره فيفتتن به الناس. قوله: [بعد الأربعين] أي مدة التيه. قوله: [بمن بقي] أي وهم أولادهم الذين لم يبلغوا العشرين سنة حين أخذ الميثاق. قوله: [وقاتلهم] روي أن الله نبأ يوشع بعد موت موسى، وأخبرهم أن الله قد أمرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه، فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق، وأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر، وفتحوها في الشهر السابع ودخلوها، فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها، وكان القتال يوم الجمعة، فبقيت منهم بقية، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فقال اللهم اردد الشمس علي، وقال للشمس: إنك في طاعة الله، وأنا في طاعة الله، فسأل الشمس أن تقف، والقمر أن يقيم، حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت، فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، ثم تتبع ملوك الشام فقتل منهم أحداً وثلاثين ملكاً، حتى غلب على جميع أرض الشام، وصارت الشام كلها لبني إسرائيل، وفرق عماله في نواحيها، ثم مات يوشع ودفن بجبل إبراهيم، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة، وتدبيره أمر بني إسرائيل بعد موسى سبعاً وعشرين سنة. قوله: [لم تحبس على بشر] أي قبل يوشع، وإلا فقد حبست لنبينا مرتين يوم الخندق، حين شغل هو وأصحابه عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردها الله عليه حتى صلى العصر، وصبيحة ليلة الإسراء حين انتظر قدوم العير، وزيد في رواية ثالثة مرة لعلي بن أبي طالب حين كان النبي نائماً على فخذه، ولم يكن صلى العصر، فلما استيقظ حتى غربت الشمس، فقال النبي ﷺ اللهم إن علياً في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس حتى يصلي العصر. قوله: [ليالي سار] أي أيام سيره، أي توجهه لقتالهم.

سار إلى بيت المقدس ﴿وَٱتْلُ﴾: يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على قومك ﴿نَبَأَ﴾: خبر ﴿ٱبْنَيْ آدَمَ﴾: هابيل وقابيل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق باتل ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً﴾: إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾: وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾: له ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾: قال: لم قال لتقبل قربانك دوني! ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنْ﴾: لام قسم ﴿بَسَطتَ﴾: مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ

قوله: ﴿واتل عليهم﴾ معطوف على العامل المحذوف في قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ عطف قصة على قصة، أي اذكر ما وقع من بني إسرائيل، واتل عليهم نبأ ابني آدم الخ. قوله: [على قومك] أي سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مشركين. قوله: [خبر] ﴿ابني آدم﴾ أي قصتهما وما وقع لهما. قوله: [هابيل] هو السعيد المقتول، وقابيل هو الشقي القاتل، وظاهر الآية أنهما من أولاد آدم لصلبه وهو التحقيق، ويؤيده قوله فيما يأتي: ﴿فبعث الله غراباً﴾، وقيل لم يكونا لصلبه بل هما رجلان من بني إسرائيل، بدليل قوله في آخر القصة: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل﴾، والأول هو الصحيح، وقابيل هو أول أولاده، وهابيل بعده بسنة، وكلاهما بعد هبوطه إلى الأرض بمائة سنة، وقيل إن قابيل هو وأخته ولدا في الجنة، ولم تر حواء لهما وحماً ولا وصباً ولا دم نفاس، وأما بقية أولاده فبالأرض، ولذا كان يفتخر قابيل على هابيل ويقول له: إني ابن الجنة وأنت ابن الأرض، فأنا خير منك، وحاصل ذلك أن حواء ولدت لآدم عشرين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى، فصار الذكور عشرين والإناث كذلك، فلما قتل قابيل هابيل نقصت الذكور عن الإناث فرزقه الله بشيث ومعناه هبة الله، فتماثل الذكور مع الإناث.

قوله: ﴿بالحق﴾ الجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلقاً بمحذوف صفة لمصدر محذوف تقديره اتل تلاوة ملتبسة بالحق، أو حال من فاعل اتل أي اتل عليهم حال كونك ملتبساً بالحق أي الصدق أو حال من المفعول وهو نبأ أي اتل نبأهما حال كونه ملتبساً بالحق، وكل صحيح، والمقصود من ذكر هذه القصص الإخبار بما في الكتب القديمة، لتقوم الحجة على أربابها وغيرهم، فالإخبار بها من جملة المعجزات.

قوله: ﴿إذ قربا قرباناً﴾ أي قرب كل واحد قرباناً، والقربان ما يتقرب به إلى الله. وسبب ذلك أنه كان في شرع آدم، إذا كبر أولاده زوج ذكر هذه البطن لأنثى بطن أخرى، فأمره الله أن يزوج قابيل أخت هابيل وكانت دميمة، وهابيل أخت قابيل وكانت جميلة، فرضي هابيل وأبى قابيل، وقال إنك تأمرنا برأيك لا من عند الله. فقال لهما: قربا قرباناً، فأيكما تقبل منه فهو أحق بالجميلة، فذهب هابيل وأخذ كبشاً من أحسن غنمه وقربه، وذهب قابيل لصبرة قمح من أردإ ما عنده، وقيل قت رديء، حتى إنه وجد سنبلة جيدة ففركها وأكلها، وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه، فنزلت على كبش هابيل فأحرقته، وقيل رفع إلى السماء حتى نزل فداء للذبيح ولم يتقبل من قابيل. قوله: [فغضب] أي لأمرين: فوزه بالجميلة وبقبول قربانه. قوله: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ أي ولم يكن عندك تقوى لعقوقك لأبيك، وعدم إخلاصك في القربان. قوله: ﴿لتقتلني﴾ اللام للتعليل أي لأجل قتلي. قوله: ﴿ما أنا بباسط﴾ جواب للقسم لتقدمه، وحذف جواب الشرط لتأخره، قال ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

والباء في بباسط زائدة في خبر ما، على أنها حجازية، وفي خبر المبتدأ على أنها تميمية. قوله: ﴿إني أخاف الله﴾ أي فالمانع لي من قتلك خوف الله، وكان في شرعهم لا يجب دفع الصائل بل يجب الاستسلام له، وما في شرعنا فعند الشافعي يسن الاستسلام للمسلم الصائل، ويجب قتل الكافر، وعند مالك دفع الصائل واجب ولو بالقتل مسلماً أو

﴿ٱلْعَالَمِينَ﴾٢٨: في قتلك ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ﴾: ترجع ﴿بِإِثْمِي﴾: بإثم قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾: الذي ارتكبته من قبل
﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ﴾: ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ﴾٢٩
﴿فَطَوَّعَتْ﴾: زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾: فصار ﴿مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾٣٠: بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه
أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ينبش التراب
بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي﴾: يستر ﴿سَوْءَةَ﴾: جيفة ﴿أَخِيهِ قَالَ يَا
وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ﴾: عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ﴾٣١: على حمله وحفر
له وواراه ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾: أي الشأن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ

كافراً. قوله: ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي﴾ هذا تخويف من هابيل لقابيل لعله ينزجر. إن قلت: إنه لا تحل إرادة المعصية من الغير، أجيب بأجوبة منها: أن الهمزة محذوفة والاستفهام للإنكار، والأصل أإني أريد، والمعنى لا أريد، ويؤيد هذا قراءة أنّى بفتح النون بمعنى كيف. ومنها: أن لا محذوفة أي أن لا تبوء على حد: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾. قوله: [والذي ارتكبته] أي كالحسد ومخالفة أمر أبيه.

قوله: ﴿وذلك﴾ أي المذكور وهو النار. قوله: [زينت] أي سهلت عليه القتل. قوله: ﴿فقتله﴾ قيل لما قصد قتله لم يدر كيف يقتله، فتمثل له إبليس وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر، وقابيل ينظر فتعلم القتل، فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو صابر، واختلف في موضع قتله، فقيل على عقبة حراء، وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم. قوله: [فحمله على ظهره] أي في جراب، قيل أربعين يوماً وقيل سنة، روي لما قتل ابن آدم أخاه، رجفت بمن عليها سبعة أيام، وشربت الأرض دم المقتول كما تشرب الماء، فناداه الله: يا قابيل أين أخوك هابيل؟ فقال ما أدري ما كنت عليه رقيباً، فقال الله له: إن دم أخيك ليناديني من الأرض، فلم قتلت أخاك؟ فقال فأين دمه إن كنت قتلته، فحرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً. ويروى أنه لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة، فاشتاك الشجر أي ظهر له شوك، وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، واغبرت الأرض، فقال آدم: قد حدث في الأرض حادث، فلما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا، فقال بل قتلته ولذلك أسود جلدك، فغضب عليه فذهب قابيل مطروداً، فأخذ أخته وهرب بها إلى عدن، فأتاه إبليس وقال له إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار، فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار، وكان قابيل لا يمر به أحد إلا رماه بالحجارة، فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه، فقال ابن الأعمى لأبيه: هذا أبوك قابيل، فرماه بحجارة فقتله، فقال ابن الأعمى لأبيه: قتلت أباك قابيل، فرفع الأعمى يده ولطم ابنه فمات، فقال الأعمى: ويل لي قتلت أبي برميتي، وابني بلطمتي، واستمرت ذرية قابيل يفسدون في الأرض، إلى أن جاء طوفان نوح فأغرقهم جميعاً، فلم يبق منهم أحد ولله الحمد، وأبقى الله ذرية شيث إلى يوم القيامة، وما مات آدم حتى رأى من ذريته أربعين ألفاً. قوله: [ويثيره على غراب ميت معه] أي بعد أن وضعه في الحفرة التي نبشها.

قوله: ﴿يا ويلتي﴾ كلمة تحسر، والألف بدل من ياء المتكلم، أي هذا أوانك فاحضري. قوله: ﴿أعجزت﴾ تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب. قوله: ﴿فأصبح﴾ أي صار من النادمين على حمله، أي أو على عدم اهتدائه للدفن أولاً، فلا يقال إن الندم توبة، فيقتضي أنه تاب فلا يخلد في النار. قوله: [الذي فعله قابيل] أي من الفساد. قوله: ﴿كتبنا على بني إسرائيل﴾ إنما خصهم بالذكر، وإن كان القصاص في كل ملة، لأن اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الأنبياء والأولياء، وذلك يدل على قسوة قلوبهم.

﴿نَفْسٍ﴾: قتلها ﴿أَوْ﴾: بغير ﴿فَسَادٍ﴾: أتاه ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من كفرٍ أو زنًا أو قطع طريق أو نحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: بأن امتنع من قتلها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً﴾: قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾: أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[٣٢]: مجاوزون الحدّ بالكفر والقتل وغير ذلك. ونزل في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَاداً﴾: بقطع الطريق ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾: أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أو لترتيب الأحوال فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفي لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي وأصح قوليه أن الصلب ثلاثاً بعد القتل وقيل

قوله: ﴿وَمَنْ أحياها﴾ أي تسبّب في بقائها، إما بنهي قاتلها عن قتلها، أو بإطعامها وحفظها من الأسباب المهلكة. قوله: [أي من حيث انتهاك حرمتها] أي النفوس المقتولة، ولذا ورد في الحديث «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فقابيل عليه وزر كل من وقع منه القتل من بني آدم لتسببه في ذلك، فإنه أول من وقع منه القتل. قوله: [ونزل] وجه المناسبة بينها وبين قصة ابن آدم ظاهرة، لأن قابيل قتل وأفسد في الأرض هو وذريته. قوله: [في العرنيين] جمع عرني نسبة لعرينة قبيلة من العرب، كجهني نسبة لجهينة، وكانوا ثمانية رجال قدموا المدينة وأظهروا الإسلام وكانوا مرضى، فاشتكوا له ﷺ من مرضهم، فأمرهم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة، وكانت خمسة عشر ترعى في الجبل مع عتيق للمصطفى يقال له يسار النوبي، فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الإبل وارتدوا عن الإسلام، فقد وقع منهم المحاربة والقتل والسرقة والارتداد، فبلغ رسول الله خبرهم، فأرسل خلفهم نحو عشرين فارساً، فأتوا بهم فأمر رسول الله ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمر أعينهم أي كحلهم بالنار، وتركهم بالحرة يعضون الحجارة ويستسقون فلم يسقهم أحد. إن قلت: إن تسمير الأعين وموتهم بالجوع والعطش مثلة ورسول الله نهى عنها. أجيب بأجوبة منها: أنهم فعلوا بالراعي كذلك، ومنها أن ذلك خصوصية له ﷺ فيهم، ومنها أن ذلك كان جائزاً ثم نسخ. قوله: [ويشربوا من أبوالها] أخذ مالك من ذلك طهارة فضلة مأكول اللحم. قوله: [بمحاربة المسلمين] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون، وأفاد به أن هذا الأمر مستمر إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿ويسعون في الأرض﴾ هذا تصوير للمحاربة، وقوله: ﴿فساداً﴾ مفعول لأجله، أي يسعون لأجل الفساد. قوله: [بقطع الطريق] أي لأخذ المال أو هتك الحريم أو قتل النفوس. قوله: ﴿أن يقتلوا﴾ أي من غير صلب، وقوله: ﴿أو يصلبوا﴾ أي مع القتل في محل مشهور لزجر غيره، والتفعيل للتكثير لكثرة المحاربين.

قوله: ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ أي إلى مسافة القصر فما فوقها. قوله: [أو لترتيب الأحوال] أي التقسيم فيها، والمعنى أن هذه العقوبات على حسب أحوال المحاربين، وبين المفسر ذلك، قال بعض العلماء أو في جميع القرآن للتخيير إلا هذه الآية. قوله: [وعليه الشافعي] أي موافقاً في الاجتهاد لابن عباس لا مقلداً له، وعند مالك أو على بابها

● أسباب نزول الآية ٣٣: قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، الحديث. ثم أخرج عن جرير مثله وأخرج عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة.

قبله قليلاً ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذَٰلِكَ﴾: الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾: ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ٣٣: هو عذاب النار ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: من المحاربين والقطاع ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ ٣٤: بهم عبر بذلك دون فلا تحدوهم، ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لي ولم أر من تعرض له والله أعلم فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولي الشافعي ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً وهو أصح قوليه أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَابْتَغُوا﴾: اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: ما يقربكم إليه من طاعته

للتخيير لكن بحسب ما يراه الحاكم، فحدود المحارب أربعة لا يجوز الخروج عنها، وإنما الإمام مخير في فعل أيها شاء بالمحارب ما لم يقتل المحارب مسلماً مكافئاً ولم يعف وليه فإنه يتعين قتله، فإن عفا الولي رجع التخيير للإمام، فما أوجبه الشافعي استحسنه مالك للإمام وجاز غيره، مثلاً يجب على الإمام قتل القاتل، ولا يجوز غيره من الصلب والقطع من خلاف عند الشافعي، واستحسنه مالك للإمام ويجوز غيره من الحدود. قوله: [إن الصلب ثلاثاً] أي لا أقل إلا أن يخاف التغير، وقيل يطال به حتى يتقطع جسده. قوله: [وقيل قبله قليلاً] أي بحيث يحصل الزجر به، وهذا مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة وعليه فيقتل وهو مصلوب. قوله: [ويلحق بالنفي ما أشبهه] أي لأن المقصود من النفي البعد عن الخلق، وذلك كما يحصل بإبعاده من الأرض التي هو بها يحصل بحبسه، ولو في الأرض التي هو بها، وهذا مذهب الشافعي ووافقه أبو حنيفة، وقال مالك النفي إبعاده من الأرض على مسافة القصر، ولا يكفي حبسه بأرضه.

قوله: ﴿ذلك لهم خزي﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ولهم خبر مقدم، وخزي مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ، و﴿في الدنيا﴾ صفة لخزي، وهذا أحسن الأعاريب. قوله: ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هذا محمول على من مات كافراً، وأما حدود المسلمين فالمعتمد أنها جوابر. قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ استثناء منقطع أي لكن التائب يغفر له. قوله: [ليفيد إنه لا يسقط الخ] حاصل ذلك أنه إن كان كافراً وتاب، سقطت عنه جميع التبعات حدوداً أو غيرها، وأما إن كان مسلماً تسقط عنه حقوق الله لا حقوق الآدميين، مثلاً إن قتل وجاء تائباً فالنظر للولي إن شاء عفا وإن شاء اقتص. قوله: [كذا ظهر لي] أي فهمه من الآية، وقوله: [ولم أر من تعرض له] أي من المفسرين وإن كان مذكوراً في كتب الفقه. قوله: [يقتل ويقطع] هذا سبق قلم والمناسب حذف قوله ويقطع، والحاصل عند الشافعي أنه إذا قتل وتاب، فإن عفا الولي سقط القتل وإلا فيقتل فقط، وأما إن كان أخذ المال وتاب، فإنه يؤخذ منه المال ولا يقطع، خلافاً لما ذكره المفسر من أنه إذا قتل وأخذ المال ثم تاب فإنه يجمع له بين القتل والقطع، وإنما المنفي عنه الصلب، وما ذكرناه من المعتمد عند الشافعي يوافقه مالك. قوله: [وهو أصح قولي الشافعي] أي ومقابله أنه يصلب.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبة من الذنوب نافعة، وكانت التوبة من جملة التقوى حث على طلبها هنا. قوله: ﴿إليه﴾ متعلق بابتغوا. قوله: [ما يقربكم إليه] أي يوصلكم إليه، وقوله: [من طاعته] بيان لما، سواء كانت تلك الطاعة فرضاً أو نفلاً كما في الحديث «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث. فالتقوى هنا ترك المخالفات، وابتغاء الوسيلة فعل المأمورات، ويصح أن المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة وترك المنهيات المحرمة، وابتغاء الوسيلة ما يقربه إليه مطلقاً، ومن جملة ذلك: محبة أنبياء الله وأوليائه، والصدقات، وزيارة أحباب الله، وكثرة الدعاء، وصلة الرحم، وكثرة الذكر وغير ذلك، فالمعنى كل ما يقربكم إلى الله فالزموه، واتركوا ما يبعدكم عنه، إذا علمت ذلك، فمن الضلال البين والخسران الظاهر،

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٣٥: تفوزون ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾: ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٣٦ ﴿يُرِيدُونَ﴾: يتمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٣٧: دائم ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾: أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾: أي يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعداً وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل

تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله، زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله، كلا بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله ﷺ: «ألا لا إيمان لمن لا محبة له والوسيلة له التي قال الله فيها وابتغوا إليه الوسيلة».

قوله: ﴿وجاهدوا في سبيله﴾ عطف خاص على عام إشارة إلى أن الجهاد من أعظم الطاعات، وهو قسمان: أصغر وهو قتال المشركين، وأكبر وهو الخروج عن الهوى والنفس والشيطان، وكان قتال المشركين جهاداً أصغر لأنه يحضر تارة ويغيب أخرى، وإذا قتلك الكافر كنت شهيداً، وإن قتلته صرت سعيداً، بخلاف النفس فلا تغيب عنك وإذا قتلتك صرت من الأشقياء، نسأل الله السلامة. قوله: [تفوزون] أي تظفرون بسعادة الدارين.

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ هذا كالدليل لما قبله، كأن الله يقول الزموا التقوى ليحصل لكم الفوز لأن من لم تكن عنده التقوى كالكفار، لا ينفعه الفداء من العذاب الخ. قوله: ﴿لو أن لهم﴾ لو شرطية، وفعل الشرط محذوف قدره المفسر بقوله: [ثبت] و﴿أن﴾ وما دخلت عليه فاعل ثبت، و﴿لهم﴾ خبر أن مقدم، و﴿ما في الأرض﴾ اسمها مؤخر، و﴿جميعاً﴾ توكيد له أو حال منه، و﴿مثله﴾ معطوف على اسم ﴿أن﴾ وقوله: ﴿ليفتدوا﴾ علة له، وقوله: ﴿به﴾ أي بما ذكر وهو ﴿ما في الأرض﴾ ومثله أو حذفه من الأول لدلالة الثاني عليه على حد: فإني وقيار بها لغريب، والتقدير لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ليفتدوا به، ومثله معه ليفتدوا به، وقوله: ﴿ما تقبل منهم﴾ جواب الشرط، و﴿لو﴾ مع مدخولها في محل رفع خبر أن الأولى. والمعنى لو ثبت أن للكفار ما في الأرض جميعاً، ومثله معه ويريدون الافتداء بذلك من العذاب ما نفعهم ذلك، وهو كناية عن عدم قبولهم، وعدم نفع عز الدنيا لهم. قوله: [يتمنون] أي حيث يقولون يا مالك ليقض علينا ربك. قوله: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ دفع بذلك ما يتوهم من قوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أنه ربما ينقطع.

قوله: ﴿والسارق والسارقة﴾ جمهور القراء على الرفع على الابتداء، ولا يصح النصب على الاشتغال، لأن ما بعد فاء الجزاء لا يعمل فيما قبلها، وما لا يعمل لا يفسر عاملاً، وهذه الفاء تشبه فاء الجزاء، وصرح بالسارقة لكون السرقة معهودة منهن أيضاً، وقدم سبحانه وتعالى السارق على السارقة هنا، وقدم الزانية على الزاني في سورة النور لأن الرجال في السرقة أقوى من النساء، والزنا من النساء أقوى من الرجال. قوله: [أل فيهما موصولة] أي وصلتها الصفة الصريحة، أي الذي سرق والتي سرقت. قوله: [مبتدأ] أي وهو مرفوع بضمة ظاهرة لأن إعرابهما ظهر فيما بعدهما. قوله: [دخلت الفاء في خبره وهو] ﴿فاقطعوا﴾ أي فجملة ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ خبر المبتدأ، ولا يضر كونه جملة طلبية على المعتمد، وقيل الخبر محذوف وتقديره مما يتلى عليكم حكمهما، وما بعد الفاء تفصيل له. قوله: [ربع دينار] أي أو ثلاثة دراهم شرعية، أو مقوم بهما، ويشترط في القطع إخراجه من حرز مثله، غير مأذون له في دخوله، ويثبت القطع

* أسباب نزول الآية ٣٨: قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة﴾ الآية، أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في سورة المائدة ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح﴾ الآية.

اليمنى وبعد ذلك يعزر ﴿جَزَاءً﴾: نصب على المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَالاً﴾: عقوبة لهما ﴿مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ٣٨ في خلقه ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾: رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عمله ﴿فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٣٩ في التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال. نعم! بينت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع وعليه الشافعي ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: تعذيبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: المغفرة له ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤٠: ومنه التعذيب والمغفرة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ﴾: صنع ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: يقعون فيه

ببينة أو بإقراره طائعاً، فإن أقر ثم رجع لزمه المال دون القطع، فإن سرق ولم تثبت عليه السرقة، وجب عليه الستر على نفسه ورد المال والتوبة منه، وكذا كل معصية، فمن الجهل قول بعض من يدعي التصوف، لو اطلعتم علي لرجمتموني، وبالجملة من ستر على نفسه ستره الله. قوله: [نصب على المصدر] أي والعامل محذوف تقديره جازاه الله جزاء، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، أي اقطعوا أيديهما لأجل الجزاء، وقوله: ﴿بما كسبا﴾ الباء سببية أي بسبب كسبهما. وقوله: ﴿نكالاً﴾ علة للعلة فالعامل فيه جزاء. قوله: [غالب على أمره] أي فلا معقب لحكمه، لأنه القاهر على كل شيء. قوله: ﴿حكيم﴾ أي يضع الشيء في محله، فلا يحكم بقطع يده ظلماً لأن السارق لما خان هان، ولذا أورد بعض اليهود على القاضي عبد الوهاب البغدادي سؤالاً حيث قال:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

فأجابه رضي الله عنه بقوله:

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

قوله: ﴿من بعد ظلمه﴾ أي من بعد تعديه وأخذه المال وظلمه للناس. قوله: [في التعبير بهذا] أي قوله: ﴿فإن الله يتوب عليه﴾ دون أن يقول فلا تحدوه. قوله: [وعليه الشافعي] أي وعند مالك فلا ينفع عفوه عنه مطلقاً قبل الرفع أو بعده، حيث ثبتت السرقة ببينة أو إقرار، ولم يرجع بل يقطع لأنه حق الله. قوله: [قبل الرفع] أي وأما بعده فلا بد من قطعه اتفاقاً. قوله: ﴿يعذب من يشاء﴾ أي إن لم يتب فالميت المصر على الذنب تحت المشيئة خلافاً للمعتزلة. قوله: [ومنه التعذيب والمغفرة] أي من الشيء المقدور عليه.

قوله: ﴿يا أيها الرسول﴾ أل للعهد الحضوري، أي الرسول الحاضر وقت نزول القرآن وهو محمد ﷺ، ولم يخاطب بيا أيها الرسول إلا في موضعين هذا وما يأتي في هذه السورة. قوله: ﴿لا يحزنك﴾ قرأ نافع بضم الياء وكسر

---

* أسباب نزول الآية ٤١: قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول﴾ الآية. روى أحمد وأبو داود عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا، فاصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقاً، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم الرسول ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة وهل كان ذلك في حيين قط دينهما واحد ونسبتهما واحدة وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنا أعطيناكم هذا ضيماً منكم لنا وخوفاً وفرقاً، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيكم، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما، فأرسلوا إليه ناساً من المنافقين ليختبروا رأيه، فأنزل الله ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ الآية.

وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: مر على النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقال: لا والله ولولا أنك نشدتني بها لم أخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف =

بشرعة أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: بألسنتهم متعلق بقالوا ﴿وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾: وهم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: قوم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾: الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: منك ﴿لِقَوۡمٍ﴾: لأجل قوم ﴿ءَاخَرِينَ﴾: من اليهود ﴿لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾: وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾: الذي في التوراة كآية

الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي، والمقصود نهي النبي ﷺ عن الحزن الناشيء عن مسارعتهم إلى الكفر، رفقاً به وتسلية له. قوله: [إذا وجدوا فرصة] أي زمناً يتمكنون فيه من الظفر بمطلوبهم. فالكفر حاصل منهم على كل حال، غير أنهم إذا وجدوا زمناً أو مكاناً يتمكنون فيه من إظهاره فعلوا قال تعالى: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾. قوله: ﴿من﴾ [للبيان] أي لقوله: ﴿الذين يسارعون﴾ على حد: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾. قوله: [متعلق بقالوا] أي لا بآمنا، والمعنى أن إيمانهم لم يجاوز أفواههم، وقوله: ﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾ الجملة حالية. قوله: [وهم المنافقون] أي ويسمون الآن زنادقة.

قوله: ﴿ومن الذين هادوا﴾ يحتمل أنه معطوف على ﴿من الذين قالوا آمنا﴾ فيكون بياناً للذين يسارعون في الكفر أيضاً وهو الأقرب، وعليه فقوله: ﴿سماعون﴾ حال من الذين ﴿هادوا﴾ ويحتمل أنه خبر مقدم، وقوله ﴿سماعون﴾ صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر، فيكون كلاماً مستأنفاً، وقد مشى عليه المفسر، وعلى كل فقوله: ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ الخ راجع للفريقين.

قوله: ﴿سماعون للكذب﴾ أي من أحبارهم، وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وقع بينه وبين قريظة صلح، فصاروا يترددون عليه، وبينه وبين يهود خيبر حرب، فاتفق أنه زنى منهم محصنان شريف بشريفة، فأفتوهم الأحبار بأنهما يجلدان مائة سوط، ويسودان بالفحم، ويركبان على حمار مقلوبين، ثم إنهم بعثوا قريظة للنبي ﷺ يسألونه عن ذلك، وقالوا لهم: إن قال لكم مثل ذلك فهو صادق، وقوله حجة لنا عند ربنا، وإلا فهو كذاب. فأتوه فأخبرهم بأنهما يرجمان، وفي التوراة كذلك، فقالوا إن أحبارنا أخبرونا بأنهما يجلدان، فقال جبريل للنبي ﷺ اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له، فقال النبي ﷺ هل تعرفون شاباً أبيض أعور يقال له ابن صوريا؟ قالوا نعم هو أعلم يهودي على وجه الأرض بما في التوراة، قال: فأرسلوا إليه فأحضروه، ففعلوا فأتاهم، فقال له النبي عليه السلام: أنت ابن صوريا؟ قال نعم، قال: وأنت أعلم اليهود؟ قال كذلك يزعمون، قال النبي: أترضون به حكماً؟ قالوا نعم، قال النبي: أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون؛ هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت، فوثب عليه سفلة اليهود، فقال إنا خفت إن كذبت ينزل علينا العذاب، ثم سأل النبي عن أشياء كان يعرفها من أعلامه، فأجابه عنها فأسلم،

= أقمنا عليه الحد، فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد، فقال النبي ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ إلى قوله: ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ يقولون ائتوا محمداً، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا إلى قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾.

وأخرج الحميدي في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن اسألوا محمداً عن ذلك. فإن أمر بالجلد فخذوه عنه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه، فسألوه عن ذلك، فذكر نحو ما تقدم، فأمر به فرجم، فنزلت ﴿فإن جاؤك فاحكم بينهم﴾ الآية، وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة نحوه.

الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾: لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾: الحكم المحرّف أي الجلد أي أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾: فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾: بل أفتاكم بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾: أن تقبلوه ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: إضلاله ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: في دفعها ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾: من الكفر ولو أراده لكان ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: ذل بالفضيحة والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ٤١ هم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾: بضم الحاء وسكونها أي الحرام كالرشا ﴿فَإِن جَاءُوكَ﴾: لتحكم بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: هذا التخيير منسوخ بقوله: ﴿وأن احكم بينهم﴾ الآية. فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا وهو أصح قولي الشافعي فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾: بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٤٢: العادلين في الحكم أي يثيبهم ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾: بالرجم استفهام تعجيب أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾: يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: التحكيم ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٣ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾: من

وأمر النبي بالزانيين فرجما عند باب المسجد. هكذا ذكر شيخنا الشيخ الجمل عن أبي السعود ولم نرها فيه، ولكن تقدم لنا أن ابن صوريا أتى بالتوراة وقرأ ما قبل آية الرجم وما بعدها ووضع يده عليها ولم يقرأها، فنبهه عليها عبد الله بن سلام فافتضح هو وأصحابه، فلعلهما روايتان في إسلامه وعدمه. قوله: [أي يبدلونه] أي بأن يضعوا مكانه غيره.

قوله: ﴿يقولون﴾ أي يهود خيبر، وقوله: [لمن أرسلوهم] أي وهم قريظة. قوله: [الحكم المحرف] أي في الواقع وليس المراد أنهم يقولون لهم ذلك، بل التحريف واقع من الأحبار سراً. قوله: ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ فيه رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه. قوله: [ذل بالفضيحة] أي للمنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين، وقوله: [والجزية] أي لليهود.

قوله: ﴿سماعون للكذب﴾ خبر لمحذوف قدّره المفسر بقوله هم وكرّره تأكيداً. قوله: [بضم الحاء وسكونها] أي فهما قراءتان سبعيتان، وسمي سحتاً لأنه يسحت البركة أي يمحقها ويذهبها. قوله: [كالرشا] أي والربا. قوله: ﴿أو أعرض عنهم﴾ أي بأن تردهم لأهل دينهم. قوله: [منسوخ الخ] وليس في هذه السورة منسوخ إلا هذا، وقوله: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾. قوله: [وهو أصح قول الشافعي] أي ومقابله التخيير باق وليس بمنسوخ، وهو مشهور مذهب مالك. قوله: [مع مسلم] أي بأن كانت الدعوى بين مسلم وكافر. قوله: [وجب إجماعاً] أي بإجماع الأئمة. قوله: ﴿فلن يضروك شيئاً﴾ أي لأن الله عاصمك وحافظك من الناس. قوله: ﴿وعندهم﴾ خبر مقدم، و﴿التوراة﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة حال من الواو في ﴿يحكمونك﴾. قوله: [استفهام تعجيب] أي إيقاع للمخاطب في العجب. قوله: [بل ما هو أهون عليهم] أي وهو الجلد. قوله: ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ أي لا بكتابهم لإعراضهم عنه وتحريفه، ولا بك لعدم الانقياد لك في أحكامك. قوله: ﴿إنا أنزلنا التوراة﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان فضل التوراة، وأنها كتاب عظيم كله هدى ونور. قوله: ﴿فيها هدى﴾ أي لمن أراد الله هدايته، وأما من أراد الله شقاوته فلا تنفعه التوراة ولا غيرها، قال البوصيري:

وإذا ضلت العقول على علـ ـم فماذا تقوله النصحاء

الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾: بيان للأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾: من بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾: انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَٱلرَّبَّانِيُّونَ﴾: العلماء منهم ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: الفقهاء ﴿بِمَا﴾: أي بسبب الذي ﴿ٱسْتُحْفِظُوا﴾: استودعوه أي استحفظهم الله إياه ﴿مِن كِتَابِ ٱللَّهِ﴾: أن يبدلوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: أنه حق ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ﴾: أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرهما ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾: في كتمانه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ ٤٤: به ﴿وَكَتَبْنَا﴾: فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾: أي التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾: تقتل ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾: إذا قتلتها ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾: تفقأ

قوله: ﴿ونور﴾ في الكلام استعارة مصرحة، حيث شبهت الأحكام بالنور بجامع الاهتداء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وحيث أريد بالنور الأحكام، فالمراد بالهدى التوحيد، فالعطف مغاير. قوله: ﴿يحكم بها النبيون﴾ كلام مستأنف لبيان المنتفع بالتوراة، وهم الأنبياء والعلماء والمراد بالأنبياء ما يشمل المرسلين، فحكم المرسلين ظاهر، وحكم الأنبياء بالقضاء بها، علاً على أنها شرع لهم. قوله: ﴿الذين أسلموا﴾ أي كمل إسلامهم، وهو وصف كاشف لأن كل نبي منقاد لله، وحكمة الوصف بذلك التعريض باليهود، حيث افتخروا بأصولهم ولم يسلموا، بل حرفوا التوراة وبدلوها.

قوله: ﴿للذين هادوا﴾ اللام للاختصاص، أي أحكام التوراة مختصة بالذين هادوا، أعم من أن تكون أحكاماً لهم أو عليهم. قوله: ﴿والربانيون﴾ معطوف على ﴿النبيون﴾. قوله: [العلماء منهم] وقيل الزهاد، وقيل الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، وهذا لا ينافي كلام المفسر، بل يقال سموا ربانيين لكونهم منسوبين للرب لزهدهم عما سواه، أو للتربية لكونهم يربون الخلق.

قوله: ﴿والأحبار﴾ جمع حبر بالفتح والكسر، وأما المداد فبالكسر لا غير من التحبير وهو التحسين، يقال حبره إذا حسنه، سموا بذلك لأنهم يزينون الكلام ويحسنونه، وهو عطف على النبيون أيضاً، وقد وسط بين المعطوفات الذين هم الحكام بالمحكوم لهم، وذكر الأحبار بعد الربانيين من ذكر العام بعد الخاص، لأن الحبر العالم كان ربانياً أولاً. قوله: [أي بسبب الذي] أشار بذلك إلى أن الباء سببية، وما اسم موصول بمعنى الذي، والعائد محذوف أي بسبب الذي استحفظوه، وفاعل الحفظ هو الله أي بسبب الشرع الذي أمرهم الله بحفظه، وقوله: ﴿من كتاب الله﴾ بيان لما، فالأنبياء والعلماء أمناء الله على خلقه، يحكمون بين الناس بأحكام الله التي علمها الله لهم، ومن لم يحكم بذلك فقد خان الله في أمانته وكذب على ربه، فحينئذ يستحق الوعيد.

قوله: ﴿فلا تخشوا الناس﴾ تفريع على قوله: ﴿والربانيون والأحبار﴾ والخطاب لعلماء اليهود الذين في زمنه ﷺ. قوله: [وغيرهما] أي كقوله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس﴾ فغيروها وقالوا ما لم يكن القاتل شريفاً وإلا فلا يقتل بالوضيع. قوله: ﴿ومن يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ نزلت في قريظة وبني النضير، فكان الواحد من بني النضير إذا قتل واحداً من قريظة أدى إليهم نصف الدية، وإذا قتل الواحد من قريظة واحداً من بني النضير أدى إليهم الدية كاملة، فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة، وكل آية وردت في الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين.

قوله: ﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ هذا شرع من قبلنا وهو شرع لنا ولم يرد ما ينسخه، ففي هذه الآية دليل لمذهب مالك حيث قال بشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ. قوله: ﴿أن النفس﴾ أن حرف توكيد ونصب، والنفس اسمها، وقوله: ﴿بالنفس﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر أن، قدره المفسر بقوله: [تقتل] وهو حل معنى لا حل

﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ﴾: يجدع ﴿بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ﴾: تقطع ﴿بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ﴾: تقلع ﴿بِالسِّنِّ﴾: وفي قراءة بالرفع في الأربعة ﴿وَالْجُرُوحِ﴾: بالوجهين ﴿قِصَاصٌ﴾: أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه الحكومة وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾: أي بالقصاص بأن مكن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾: لما أتاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: في القصاص وغيره ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٤٥ ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتبعنا ﴿عَلَىٰ آثَارِهِم﴾: أي النبيين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾: من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾: بيان للأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا﴾: حال ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: لما

إعراب؛ لأن الخبر يقدر كوناً عاماً لا خاصاً، فالمناسب تقديره تؤخذ ليصلح للجميع، والجملة من أن واسمها وخبرها في محل نصب على المفعولية بكتبنا، واعلم أنه قرىء بنصب الجميع وهو ظاهر لأنه معطوف على اسم أن، وقرىء برفع الأربعة مبتدأ وخبر معطوف على جملة أن واسمها وخبرها ويؤول كتبنا بقلنا، فالجمل كلها في محل نصب مقول القول وهو الأحسن، وقرىء بنصب الجميع ما عدا الجروح فبالرفع مبتدأ وخبر معطوف على أن واسمها وخبرها.

قوله: ﴿والأذن بالأذن﴾ بضم الذال وسكونها قراءتان سبعيتان. قوله: [بالوجهين] أي الرفع والنصب عند نصب الجميع، وأما عند رفع ما قبله فبالرفع لا غير. قوله: [وما لا يمكن] ما اسم موصول مبتدأ، وقوله: [فيه الحكومة] خبر. قوله: [فيه الحكومة] أي بأن يقدر رقيقاً سالماً من العيوب، ثم ينظر لما نقصه فيؤخذ بنسبته من الدية، وظاهر المفسر أن كل ما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة ولعله مذهبه، وإلا فمذهب مالك الحكومة في كل ما لم يرد فيه شيء مقرر في الخطأ، وإلا ففيه ما قرر في الخطأ كرض الأنثيين وكسر الصلب ففيه الدية كاملة، وفي نحو الجائفة والآمة ثلثها على ما هو مبين في المذاهب. قوله: [بأن مكن] أي القاتل من نفسه للقصاص، ويحتمل أن المعنى فمن تصدق به أي القصاص بأن عفا الولي عن القاتل فهو كفارة لما عليه من الذنوب، والحاصل أن القاتل تعلق به ثلاث حقوق: حق لله وحق للولي وحق للمقتول، فإن سلم القاتل نفسه طوعاً تائباً سقط حق الله وحق الولي ويرضي الله المقتول من عنده، وأما إن أخذ القاتل كرهاً وقتل من غير توبة فقد سقط حق الولي وبقي حق الله وحق المقتول، هكذا ذكره ابن القيم وهو مبني على أن الحدود زواجر، أما على ما مشى عليه مالك من أن الحدود جوابر، فمتى قتل ولو من غير توبة فقد سقطت الحقوق كلها، لأن السيف يجب ما قبله.

قوله: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ أي لمخالفة شرع الله مع عدم استحلاله لذلك، وعبر فيما تقدم بالكافرون لتبديلهم وتغييرهم ما أنزل الله واستحلالهم لذلك. قوله: ﴿وقفينا﴾ شروع في ذكر ما يتعلق بفضل عيسى وكتابه، بعد ذكر فضل موسى وكتابه، وقفينا من التقفية وهي الإتيان في القفا، ومعناه العقب، وقد ضمن قفينا معنى جئنا فلا يقال يلزم عليه أن التضعيف كالهمزة، فمقتضاه أن يتعدى لمفعولين، بأن يقال مثلاً وقفيناهم عيسى. قوله: [أتبعنا] أي جئنا بعيسى تابعاً لآثارهم. قوله: [أي النبيين] أي المتقدم ذكرهم في قوله يحكم بها النبيون، فالأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة ويحكمون بها بين الناس، فلما جاء عيسى نسخ العمل بالتوراة، وصار الحكم للإنجيل. قوله: ﴿مصدقاً﴾ حال من عيسى، وقوله: ﴿من التوراة﴾ بيان لما. قوله: ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ معطوف على قفينا. قوله: ﴿فيه﴾ خبر مقدم، و﴿هدى﴾ مبتدأ مؤخر ﴿ونور﴾ معطوف عليه، والجملة حال من الإنجيل، والمراد بالهدى التوحيد، وبالنور الأحكام، فالعطف مغاير.

قوله: ﴿ومصدقاً لما بين يديه﴾ أي معترفاً بأنها من عند الله وإن نسخت أحكامها؛ لأن الله سبحانه وتعالى كلف

فيها من الأحكام ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَ﴾ ٤٦: قلنا ﴿لِيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾: من الأحكام وفي قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفاً على معمول آتيناه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ٤٧ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلق بأنزلنا ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا﴾: شاهداً ﴿عَلَيْهِ﴾: والكتاب بمعنى الكتب ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾: بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: عادلاً ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾: أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾: شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على

أمة كل عصر بأحكام تناسبها، فالنسخ في الأحكام الفرعية لا الأصول، كالتوحيد فلا نسخ فيه، بل ما كان عليه آدم من التوحيد هو ما عليه باقي الأنبياء. قوله: ﴿وهدى﴾ أي ذو هدى، أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى مبالغة، على حد زيد عدل، وعبر أولاً بقوله فيه هدى وثانياً بقوله وهدى مبالغة. قوله: ﴿وموعظة﴾ أي أحكام يتعظون بها، والحكمة في زيادة الموعظة في الإنجيل دون التوراة، لأن التوراة كان فيها الأحكام الشرعية فقط، وإنما المواعظ كانت في الألواح وقد تكسرت، وأما الإنجيل فهو مشتمل على الأحكام والمواعظ.

قوله: ﴿للمتقين﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بذلك. قوله: ﴿و﴾ [قلنا] قدره المفسر إشارة إلى أن الواو حرف عطف، والمعطوف محذوف، وقوله: ﴿ليحكم﴾ اللام لام الأمر والفعل مجزوم بها، والجملة مقول القول، والمحذوف معطوف على آتينا، والمعنى آتينا عيسى ابن مريم الإنجيل وأمرناه ومن تبعه بالحكم به. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [بنصب يحكم] أي بأن مضمرة بعد لام كي. قوله: [عطفاً على معمول آتيناه] فيه شيء لأنه إن أراد معموله الذي هو الإنجيل فهو غير ظاهر، وإن أراد معموله الذي هو قوله هدى وموعظة، والمعنى آتيناه الإنجيل لأجل الهدى والموعظة، ولحكم أهل الإنجيل فهو صعب التركيب، والأحسن أن قوله ليحكم متعلق بمحذوف، والواو للاستئناف، والمعنى وآتيناه ذلك ليحكم. قوله: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ عبر بالفسق هنا لأنه خروج عن أمره تعالى وطاعته، لأنه تقدمه أمر وهو قوله ليحكم، وفي الحقيقة الفسق يرجع للظلم لأنه مخالفة الأمر، فتعبيره بالظلم أولاً، وبالفسق ثانياً تفنن.

قوله: ﴿وأنزلنا إليك﴾ معطوف على أنزلنا التوراة. قوله: [متعلق بأنزلنا] المناسب أن يقول متعلق بمحذوف حال من الكتاب، وقوله: ﴿مصدقاً﴾ حال ﴿من الكتاب﴾ أيضاً. قوله: ﴿من الكتاب﴾ بيان لما وأل في الكتاب للجنس، فيشمل جميع الكتب السماوية. قوله: ﴿ومهيمناً﴾ المهيمن معناه الحاضر الرقيب، فالقرآن شاهد على سائر الكتب، وعلى من آمن من أصحابها ومن كفر. قوله: [والكتاب بمعنى الكتب] أي فأل للجنس.

قوله: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ الخطاب للنبي والمراد غيره، والمعنى لا يميل الحاكم بين الناس لأهوائهم بأن يحكم بها ويترك ما أنزل الله. قوله: ﴿من الحق﴾ بيان لما. قوله: [أيها الأمم] أي من لدن آدم إلى محمد، فكل أمة لها شرع مختص بها، والاختلاف إنما هو في الفروع لا الأصول، فكل ما ورد دالاً على اختلاف الشرائع كهذه الآية، فباعتبار الفروع وما ورد دالاً على الاتحاد، كقوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ وقوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فمحمول على الأصول. قوله: ﴿شرعة﴾ أي أحكاماً شرعها وبينها للتعبد بها، والشريعة في كلام العرب مورد الماء الذي يقصد للشرب منه، استعير للطريقة الإلهية، قال بعضهم: الشريعة والمنهاج عبارة عن معنى واحد، والتكرار للتأكيد. قوله: ﴿أمة واحدة﴾ أي جماعة متفقة على دين واحد من غير نسخ.

شريعة واحدة ﴿وَلَٰكِن﴾: فرقكم فرقاً ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾: من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: سارعوا إليها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: بالبعث ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٤٨: من أمر الدين ويجزي كلاً منكم بعمله ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾: لـ ﴿أَن﴾: لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾: يضلوك ﴿عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾: بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾: التي أتوها ومنها التولي

قوله: ﴿ولكن ليبلوكم﴾ هذا هو حكمة تفرق الشرائع في الفروع. قوله: [لينظر المطيع] أي ليظهر أمر المطيع من العاصي. قوله: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي بادروا إلى وجوه البر والطاعات. قوله: [جميعاً] حال من الكاف في مرجعكم، ولا يقال هو حال من المضاف إليه وهو لا يجوز، لأنه يقال المضاف مقتض للعمل في المضاف إليه، قال ابن مالك:

ولا تجز حالاً من المضاف له إلا إذا اقتضى المضاف عمله

قوله: ﴿فينبئكم﴾ أي يخبركم بالذي كنتم تختلفون فيه، فيترتب على ذلك الثواب للمطيع والعقاب للعاصي.

قوله: ﴿وأن احكم بينهم﴾ الواو حرف عطف، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الكتاب، التقدير وأنزلنا إليك الكتاب والحكم، والفعل وإن كان أمراً لفظاً، إلا أنه في معنى المضارع ليفيد استمرار الحكم، وليس هذا مكرراً مع قوله فاحكم بينهم بما أنزل الله، لأن ما تقدم في شأن رجم المحصنين، وما هنا في شأن الدماء والديات، لأن سبب نزولها أن بني النضير كانوا إذا قتلوا من قريظة قتيلا أعطوهم سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلت قريظة قتيلاً من بني النضير أعطوهم مائة وأربعين وسقاً، فقال لهم رسول الله: أنا أحكم أن دم القرظي كدم النضري، ليس لأحدهم فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة، فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فإنك تريد صغارنا.

قوله: ﴿واحذرهم أن يفتنوك﴾ سبب نزولها أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك، فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك، فأبى رسول الله، فنزلت الآية، وقوله: ﴿أن يفتنوك﴾ مفعول لأجله على تقدير لام العلة ولا النافية، وهو ما مشى عليه المفسر، ويحتمل أنه بدل اشتمال من الهاء في احذرهم، والمعنى احذرهم فتنتهم، والخطاب له ﷺ، والمراد غيره لعصمته من الفتنة.

قوله: ﴿ببعض ذنوبهم﴾ أي لا بجميعها، فعقابهم في الدنيا بالقتل والسبي والجلاء، إنما هو ببعض ذنوبهم، وأما في الآخرة فيجازيهم على الجميع كما قال المفسر، لأن العذاب المنقضي وإن طال لا يكفي جزاء لذنوب الكافر جميعها، كما أن نعيم الدنيا وإن كثر ليس جزاء لأعمال المؤمن الصالحة، وإن عذب في الدنيا بمرض أو غيره، فهو جزاء لأعمال المؤمن السيئة، والنعيم في الدنيا للكافر قد يكون جزاء لما عمل من الصالحات كالصدقات مثلاً. قوله: [ومنها التولي] أي الإعراض عن حكمه ﷺ.

---

* أسباب نزول الآية ٤٩: قوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾. روى ابن اسحاق عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فجاؤوه فقالوا يا محمد: إنك قد عرفت إنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك فأبى ذلك، وأنزل الله فيهم ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ إلى قوله ﴿لقوم يوقنون﴾.

ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ ٤٩ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾: بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا استفهام إنكاري ﴿وَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ﴾: عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ ٥٠: به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾: توالونهم وتوادونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: لا تحادهم في الكفر ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: من جملتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥١: بموالاتهم الكفار ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبي المنافق ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾: معتذرين عنها ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا قال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾:

قوله: ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ أي خارجون عن دائرة الحق، وتقدم أن بعث النار من كل ألف واحد ناج، والباقي خارج عن حدود الله، والمعنى تسل يا محمد فإن الغالب في الناس الفسق، فلا خصوصية لليهود بذلك.

قوله: ﴿أفحكم الجاهلية﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أيتولون عنك فيبغون حكم الجاهلية، فحكم مفعول ليبغون. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [استفهام إنكاري] أي فهو بمعنى النفي، والمعنى لا يبغون حكم الجاهلية منك على سبيل الظفر به لعصمتك. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والآية كالدليل لما قبلها. قوله: [عند قوم] أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى عند. قوله: ﴿به﴾ قدره إشارة إلى أن مفعول يوقنون محذوف، والضمير عائد على حكم الله.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا﴾ الخ النهي لكل من أظهر الإيمان وإن كان في الباطن خالياً من الإيمان، وسبب نزولها أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين اختصما فقال عبادة إن لي أولياء من اليهود كثيراً عددهم، شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية اليهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي إني لا أبرأ من ولاية اليهود، فإني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت هو لك دونه، فقال إذاً أقبل فنزلت. والتخذ ينصب مفعولين: اليهود والنصارى مفعول أول، وأولياء مفعول ثان. قوله: ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ جملة مستأنفة، والمعنى بعض كل فريق أولياء البعض الآخر من ذلك الفريق، لأن بين اليهود والنصارى العداوة الكبرى. قوله: ﴿فإنه منهم﴾ أي لأنه لا يوالي أحد أحداً إلا وهو عنه راض، فإذا رضي عنه وعن دينه صار من أهل ملته، وأما معاملتهم مع كراهتهم فلا ضرر في ذلك.

قوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ علة لكون من يواليهم منهم. قوله: [كعبد الله بن أبي] أي وأصحابه. قوله: [معتذرين عنها] أي الموالاة. قوله: ﴿دائرة﴾ أي أمر مكروه، فالدوائر هي حوادث الدهر وشروره، والدولة هي العز والنصر، فالمؤمن لا ينتظر إلا الدولة لا الدائرة. قوله: [أو غلبة] أي للكفار على المسلمين. قوله: [فلا يميرونا]

---

* أسباب نزول الآية ٥١: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا﴾ الآية. أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخالفهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم، قال ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائدة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ الآية.

بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ﴾: بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾: من الشك وموالاة الكفار ﴿نَادِمِينَ﴾ ٥٢ ﴿وَيَقُولُ﴾: بالرفع استئنافاً بواو ودونها وبالنصب عطفاً على يأتي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾: لبعضهم إذا هتك سترهم تعجباً ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: في الدين قال تعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: الصالحة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾: صاروا ﴿خَٰسِرِينَ﴾ ٥٣: الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ﴾: بالفك والإدغام يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾: إلى الكفر إخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ﴾:

أي يعطونا الميرة وهي الطعام. قوله: [قال تعالى] أي رداً لقول المنافقين ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ وبشارة للمؤمنين لاعتقادهم أن الله ناصرهم، ففي الحديث «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء».

قوله: ﴿أو أمر من عنده﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع، وقد حصل الأمران معاً، فقد روي أن رسول الله أمر وهو على المنبر بإخراجهم من المسجد واحداً واحداً، ونزلت سورة براءة بفضيحتهم وذمهم ظاهراً وباطناً، ولذا تسمى الفاضحة وعسى وإن كانت للترجي إلا أنها في كلام الله للتحقيق لأن كلامه موافق لعلمه وهو لا يتخلف.

قوله: ﴿فيصبحوا﴾ عطف على يأتي، وفاء السببية مغنية عن الرابط. قوله: ﴿نادمين﴾ أي على تخلف مرادهم وحسرتهم، من أجل نصر محمد وأصحابه، وخذلان الكفار، وليس المراد نادمين على ما تقدم منهم من الذنوب تائبين من ذلك، وإلا فيكون حينئذ ندماً محموداً لغلبة رحمة الله على غضبه. قوله: [بالرفع استئنافاً] أي نحوياً أو بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يقول المؤمنون حينئذ بناء على جواز اقتران البياني بالواو، وأما على قراءة عدم الواو فيكون بيانياً لا غير قوله: [عطفاً على يأتي] أي مسلط عليه عسى، والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح ويقول: ﴿الذين آمنوا﴾ تعجباً من كذب المنافقين، هكذا ذكر المفسر، والمناسب أن يقول عطفاً على فيصبحوا لأنه نتيجة ما قبله، لأن تعجب المؤمنين ناشئ عن الفتح لهم والفضيحة للمنافقين.

قوله: ﴿أهؤلاء﴾ الهمزة للاستفهام العجبي، والهاء للتنبيه، وأولاء اسم إشارة مبتدأ، و﴿الذين﴾ خبره، و﴿أقسموا﴾ صلته، وقوله: ﴿إنهم لمعكم﴾ جملة تفسيرية لمعنى أقسموا، لأن يمينهم إنا معكم. قوله: [غاية اجتهادهم] أشار بذلك إلى أن جهد صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لأقسموا، والتقدير إقساماً. ﴿جهد أيمانهم﴾ أي أغلظها. قوله: [تعالى] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿حبطت أعمالهم﴾ من كلامه تعالى إخبار عن المنافقين، لا من كلام المؤمنين لأنهم لا علم لهم بذلك. قوله: [الصالحة] أي بحسب الظاهر.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هذا تحذير عام لكل مؤمن من موالاة الكفار، وبيان عاقبة من والاهم ومال إلى دينهم. قوله: ﴿من يرتد﴾ من اسم شرط جازم، ويرتد فعل الشرط، وجوابه قوله ﴿فسوف يأتي الله﴾ الخ، والجملة خبر المبتدأ. قوله: [بالفك والادغام] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [قد ارتد جماعة بعد موت النبي] أي وهم ثمان فرق: سبعة في خلافة أبي بكر، وفرقة في زمن عمر، وارتد ثلاث فرق أيضاً في زمن رسول الله، بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار لقب به لأنه كان له حمار يأتمر بأمره وينتهي بنهيه، وهو الأسود العنسي بفتح العين وسكون النون، وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل وسادات اليمن، فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله، فأخبر رسول الله بقتله ليلة قتله، فسر المسلمون بذلك، وقبض رسول الله من الغد، وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول، وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب، تنبأ وكتب إلى رسول الله: من

بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: قال ﷺ: «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري رواه الحاكم في صحيحه ﴿أَذِلَّةٍ﴾: عاطفين ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾: أشداء ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ ٥٤: بمن هو أهله ونزل لما قال ابن سلام يا رسول الله إن قومنا هجرونا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ

مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض نصفها لي، ونصفها لك، فكتب إليه رسول الله: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، وهلك في خلافة أبي بكر على يد وحشي غلام مطعم بن عدي قاتل حمزة فكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية، وشر الناس في الإسلام، وبنو أسد وهم قوم طلحة بن خويلد تنبأ، فبعث إليه رسول الله خالد بن الوليد فقاتله، فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، والسبع اللاتي في خلافة أبي بكر الصديق هم: فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري، وبنو سليم وبنو يربوع قوم مالك بن بريدة اليربوعي، وبعض تميم وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي، وبنو بكر بن وائل، فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق حين خرج لقتالهم حيث منعوا الزكاة، فكره ذلك الصحابة وقالوا هم أهل القبلة فكيف نقاتلهم؟ فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره، فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء وحمدناه في الانتهاء، وقال بعض الصحابة: ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة. والفرقة التي ارتدت في زمن عمر بن الخطاب هم غسان، فكفى الله أمرهم على يد عمر رضي الله عنه. قوله: [بدلهم] أي بدل المرتدين، فالضمير عائد على مَنْ باعتبار معناها، وأشار به إلى الرابط بين المبتدأ وخبره، وهذا لا يحتاج له إلا على القول بأن الجزاء وحده هو الخبر، وأما على القول بأن الخبر هو مجموع فعل الشرط والجزاء أو الفعل وحده، فلا حاجة لتقديره، لأنه موجود في يرتد. قوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ معنى محبة الله لهم إقامتهم له في خدمته مع الرضا والإثابة، ومعنى محبتهم لله موالاة طاعته وتقديم خدمته على كل شيء، ولما كانت محبتهم لله ناشئة عن محبة الله لهم، قدم محبة الله لهم. قال العارف رضي الله عنه على لسان الحضرة العلية:

ايها المعرض عنا	إنّ أعراضك منا
لو أردناك جعلنا	كل ما فيك يردنا

قوله: [وأشار إلى أبي موسى الأشعري] أي فالقوم هم الأشعريون، وقيل هم أبو بكر وأصحابه الذين باشروا قتال المرتدين، والأقرب أن الآية عامة لأصحاب رسول الله ومن كان على قدمهم إلى يوم القيامة بقرينة التسويف. قوله: ﴿أذلة﴾ جمع ذليل وقوله: [عاطفين] أشار به إلى أن أذلة مضمن معنى عاطفين لتعديته بعلى، والمعنى متواضعين لأنهم مغلظين على الكفار، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾. قوله: ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ أي لإعلاء دينه. قوله: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ تعريض بالمنافقين، فإنهم كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أوليائهم اليهود لئلا يحصل منهم اللوم لهم. قوله: ﴿ذلك﴾ [المذكور] أي من الأوصاف الستة. قوله: [ونزل لما قال ابن سلام الخ] أي لما أسلم هجرة قومه قريظة وبنو النضير.

قوله: ﴿إنما وليكم﴾ الخطاب لعبد الله بن سلام وأتباعه الذين هداهم الله إلى الإسلام، فلما نزلت هذه الآية،

---

* أسباب نزول الآية ٥٥: قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله﴾ الآية، أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: وقف على ☜

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ٥٥: خاشعون أو يصلّون صلاة التطوع ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ٥٦ لنصره إياهم أوقعه موقع فإنهم بياناً لأنهم من حزبه أي أتباعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾: مهزوءاً به ﴿وَلَعِبًا مِّنَ﴾: للبيان ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ﴾: المشركين بالجرّ والنصب ﴿أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا

قال عبد الله بن سلام: رضيتُ بالله ربّاً، وبرسوله نبياً، وبالمؤمنين أولياء، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من انتسب لله فهو وليه، قال تعالى: ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾. قوله: ﴿ورسوله﴾ أي لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة، وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ أي لكونهم الاخوان، فمن تخلى عنه رسول الله أو المؤمنون فهو هالك، لأن موالاة الثلاثة شرط في صحة الإيمان. قوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بدل من الذين قبله، ومعنى إقامة الصلاة أداؤها بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أي الحقوق التي عليهم في أموالهم.

قوله: ﴿وهم راكعون﴾ الجملة حالية من يقيمون ويؤتون، وقوله: [خاشعون] أي فأطلق الركوع وأراد لازمه وهو الخشوع. قوله: [أو يصلون صلاة التطوع] أي فالمراد بالركوع صلاة النوافل وخصّها بالذكر لأن نفل الصلاة أفضل من نفل غيرها، وعليه فجملة وهم راكعون معطوفة على ما قبلها، فتحصّل أنه وصفهم بأوصاف ثلاثة: إقامة صلاة الفرائض، وإيتاء الزكاة، وصلاة النوافل، وقيل قوله وهم راكعون حال من فاعل يؤتون الزكاة، والمراد بها ما يشمل صدقة التطوع والركوع على حقيقته، والمراد كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه، روي أنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو في الصلاة فنزع خاتمه وأعطاه له.

قوله: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ من اسم شرط، ويتول فعله، والله مفعول يتول والمعنى يختار الله وليّاً يعبده ويلتجيء إليه، ويختار رسوله ولياً بأن يؤمن به ويتوسل به ويعظّمه ويوقره، ويختار الذين آمنوا أولياء بأن يعينهم وينصرهم ويوقرهم إذا حضروا ويحفظهم إذا غابوا، وقوله: ﴿فإن حزب الله﴾ الخ، يحتمل أنها جواب الشرط، وإنما أوقع الظاهر موقع المضمر لنكته التشريف، ويؤخذ ذلك من عبارة المفسّر، ويحتمل أنها دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره يكن من حزب الله. قوله: ﴿هم الغالبون﴾ أي القاهرون لأعدائهم.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا﴾ لا ناهية، وتتخذوا مجزوم بلا الناهية، والذين مفعول أول لِلا تتخذوا الأولى، واتخذوا الثانية صلة الذين، ومفعولها الأول قوله دينكم، ومفعولها الثاني هزواً ولعباً، وقوله: ﴿أولياء﴾ مفعول ثانٍ للا تتخذوا الأولى. قوله: ﴿من﴾ [للبيان] أي فهو بيان للذين اتخذوا دينكم، فالمعنى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم

☞ علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فنزلت ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ الآية، وله شاهد قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ الآية، قال نزلت في علي بن أبي طالب، وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله، وأخرج أيضاً عن علي مثله. وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل مثله، فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً.

* أسباب نزول الآية ٥٧: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم﴾ الآية، روى أبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجل من المسلمين يوادهما، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم﴾ الى قوله ﴿بما كانوا يكتمون﴾ وبه قال: أتى النبي ﷺ نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وغازي بن عمر فسألوه عمن يؤمن به من الرسل قال: أؤمن ﴿بالله وما أنزل علي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ الآية، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله فيهم ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا﴾ الآية.

﴿اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٥٧ صادقين في إيمانكم ﴿وَ﴾: الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾: دعوتم ﴿إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوهَا﴾: أي الصلاة ﴿هُزُواً وَلَعِباً﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا ﴿ذَٰلِكَ﴾: الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٥٨. ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ بمن تؤمن من الرسل فقال بالله وما أنزل إلينا الآية فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ﴾: تنكرون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾: إلى الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ ٥٩ عطف على أن آمنا، المعنى ما

هزواً ولعباً وهم الذين أوتوا الكتاب. قوله: [المشركين] إنما اقتصر عليهم وإن كان الجميع كفاراً، لتحصل المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه. قوله: [بالجر] أي عطف على مجرور من. قوله: [والنصب] أي عطف على الذين الواقع مفعولاً به، فعلى الأول الاستهزاء واقع من الفريقين، وعلى الثاني واقع من أهل الكتاب فقط، وثبوت الاستهزاء لغيرهم مأخوذ من آية أخرى له. قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي فاتركوا موالاتهم، فيؤخذ من الآية أن من والاهم فليس بمؤمن، فهو وعيد عظيم لمن اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين. قوله: ﴿وإذا ناديتم﴾ يحتمل أنه معطوف على الذين المجرور بمن، وعليه فالمستهزؤون ثلاث فرق، ويحتمل أنه معطوف على الذين الواقع مفعولاً به، فيكون من جملة أوصاف الفريق الأول. قوله: [بالأذان] ورد أن المنافقين والكفار كانوا إذا سمعوا الأذان ضحكوا وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئاً لم يسمع بمثله فيما مضى قبلك من الأمم، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك، ولو كان فيك خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح العير، فما أقبح هذه الصوت وهذا الأمر، فنزلت آية ﴿ومن أحسن قولا﴾ وهذه الآية.

قوله: ﴿لا يعقلون﴾ أي لا يعون ولا يتأملون جلال الله وهيبته، ولو عقلوه ما ساعهم الاستهزاء، ولذا ورد أن رسول الله كان إذا نودي بالصلاة تغيرت حالته، قال بعض الصحابة، كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه، وكان علي إذا سمع النداء ينتقع لونه، وهذا الوعيد يجر بذيله على من يتعاطى الضحك وأسبابه في الصلاة، ولذلك جعله أبو حنيفة من مبطلات الوضوء والصلاة، وجعله غيره من مبطلات الصلاة فقط، وإنما لم يكفروا فاعله، لأنه لم يكن مستهزئاً بأمر الله حقيقة، وإلا كان كافراً إجماعاً وداخلاً في عموم الكفار. قوله: [ونزل لما قال اليهود] أي سبب نزولها قول طائفة من اليهود، كأبي يسار ورافع بن أبي رافع وآزر بن آزر، وقصدهم بهذا السؤال اختباره ﷺ، هل هو مؤمن بعيسى فيخالفوه، أو لا فيتبعوه لكراهتهم له. قوله: [بمن تؤمن من الرسل] أي بأي رسول تؤمن؟ قوله: [فقال بالله] متعلق بمحذوف تقديره أؤمن بالله، وقوله: [الآية] أي إلى قوله: ﴿مسلمون﴾ وتلك الآية هي آية البقرة التي أولها ﴿قولوا آمنا﴾ الآية.

قوله: ﴿هل تنقمون﴾ جمهور القراء على كسر القاف من نقم بفتحها وهو الفصيح، وقرىء شذوذاً بفتح القاف، وماضيه نقم بكسرها، وهو في الأصل النقض، ثم أطلق على الكراهة والإنكار، ولذا عدي بمن دون على. قوله: ﴿منا﴾ أي من أوصافنا وأخلاقنا. قوله: ﴿إلا أن آمنا﴾ استثناء مفرغ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لتنقموا، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والمعنى لا تنكرون ولا تكرهون من أوصافنا إلا إيماننا بالله الخ. قوله: ﴿وما أنزل من قبل﴾ أي من سائر الكتب السماوية.

قوله: ﴿وأن أكثركم﴾ قرأ الجمهور بفتح الهمزة، وقرىء شذوذاً بكسرها على الاستئناف. قوله: [عطف على أن آمنا] أي فهو في محل نصب على حذف مضاف تقديره واعتقادنا أن أكثركم فاسقون، وإنما قدرنا المضاف لصحة العطف، فإن المعطوف على الصفة صفة، وكون أكثرهم فاسقين وصف لهم لا لنا، فقدر المضاف لذلك، ويصح أنه منصوب على المعية، والمعنى إلا إيماننا مع كون أكثركم فاسقين، مع تقدير المضاف، أي مع اعتقادنا أن أكثركم

تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾: أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن﴾: أهل ﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي تنقمونه ﴿مَثُوبَةً﴾: ثواباً بمعنى جزاء ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: هو ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾: بالمسخ ﴿وَ﴾: من ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: الشيطان بطاعته، وراعى في منهم معنى من وفيما قبله لفظها وهم اليهود وفي قراءة بضم باء عبد وإضافته إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: تمييز لأن مأواهم النار ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ٦٠: طريق الحق وأصل السواء الوسط وذكر شر وأضل في مقابلة قولهم: «لا نعلم ديناً شراً من دينكم» ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾: أي منافقو اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا﴾: إليكم متلبسين ﴿بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾: من عندكم

فاسقون، ويحتمل أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف تقديره وفسق أكثركم ثابت عندنا، ويحتمل أنه في محل جر معطوف على لفظ الجلالة مسلط عليه آمنا، والتقدير وما تكرهون منا إلا إيماننا بالله، وإيماننا بأن أكثركم فاسقون. قوله: [المعنى ما تنكرون الخ] إنما أتى بذلك جواباً عن سؤال مقدر تقديره إن قوله: ﴿وأن أكثركم فاسقون﴾ وصف لهم، وأما الإيمان فهو وصف لنا، فيشكل عطف ما ليس وصفاً لنا على ما هو وصف لنا، فلذلك حول المفسر العبارة. قوله: [ومخالفتكم] من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف تقديره مخالفتنا إياكم. قوله: [المعبر عنه بالفسق] أي فأطلق اللازم وهو الفسق، وأراد الملزوم وهو عدم قبول الإيمان، ثم أطلق وأريد لازمه، وهو مخالفتنا لهم في اتصافنا بقبول الإيمان وهم بعدمه. وقوله: [في عدم قبوله] أي الإيمان. قوله: [وليس هذا مما ينكر] تتميم للكلام إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿قل هل أنبئكم بشر﴾ هذا الكلام من باب المقابلة لأنه في مقابلة اليهود لا نعلم ديناً شراً من دينكم. قوله: [الذي تنقمونه] أي وهو ديننا. قوله: ﴿مثوبة﴾ تمييز لشر. قوله: [بمعنى جزاء] أي بالعقاب، وكان على المفسر أن يزيده، فتسمية الجزاء بالعقاب ثواباً تهكم بهم على حد ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾. قوله: [هو] ﴿من لعنة الله﴾ أشار بذلك إلى أن قوله من لعنه خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره ومن الأشر.

قوله: ﴿وغضب عليه﴾ أي انتقم منه على سبيل الأبد. قوله: [بالمسخ] أي فجعل شبابهم قردة ومشايخهم خنازير. قوله: [الشيطان] تقدم أنه أحد تفاسير في الطاغوت، وقيل هو كل ما أوقع في الضلال، وعابده هو التابع له في الضلال. قوله: [وفيما قبله] أي وهو لعنه وغضب عليه، وكذلك راعى لفظها في ﴿وعبد الطاغوت﴾. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية لحمزة، وقوله: [اسم جمع لعبد] أي لا جمع له بل جمعه أعبد، قال ابن مالك: لفعل اسماً صح عيناً أفعل. قوله: [ونصبه بالعطف على القردة] أي فتكون الصلات ثلاثاً وهي لعنه، وغضب عليه، وجعل الرابعة على القراءة الأولى عبد. قوله: [تمييز] أي تمييز نسبة، ونسب الشر للمكان، وحقه لأهله كناية عن نهايتهم في ذلك. قوله: [وذكر شر] أي المجرور في قوله بشر، والمرفوع في قوله أولئك شر، وقوله: [في مقابلة قولهم الخ] جواب عن سؤال مقدر، تقديره كيف ذلك مع أن المؤمنين لا شر عندهم، فأجاب بما ذكر، وأجيب أيضاً بأن شر المؤمنين باعتبار تعبهم في الدنيا، وعذاب الآخرة للكفار أشر من ضيق الدنيا على المؤمنين، وأجيب أيضاً: بأن المفضل عليه جماعة من الكفار، فيكون المعنى هؤلاء المتصفون بتلك الأوصاف شر من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال.

قوله: ﴿وإذ جاؤوكم﴾ الخطاب للنبي فجمعه للتعظيم أوله، ومن عنده من المؤمنين، فالجمع ظاهر. قوله:

متلبسين ﴿بِهِ﴾: ولم يؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ ٦١ من النفاق ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: أي اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: يقعون سريعاً ﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾: الكذب ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الحرام كالرشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ٦٢ عملهم هذا ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾: منهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾: الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ ٦٣ ترك نهيهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾: لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: مقبوضة عن إدرار الرزق علينا كنوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك قال تعالى: ﴿غُلَّتْ﴾: أمسكت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: مبالغة في الوصف بالجود وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه

﴿وقد دخلوا﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿قالوا﴾، وكذا قوله: ﴿وهم قد خرجوا به﴾ قوله: [متلبسين] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿بالكفر﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل دخلوا، وكذا قوله به حال من فاعل خرجوا.

قوله: ﴿وترى كثيراً﴾ رأى بصرية تنصب مفعولاً واحداً وهو قوله كثيراً، وقوله: ﴿يسارعون﴾ حال من قوله كثيراً. قوله: [كالرشا] بضم الراء وكسرها من الرشوة بضم وكسر، فالمضموم للمضموم، والمكسور للمكسور، وأدخلت الكاف الربا. قوله: [عملهم هذا] قدره إشارة للمخصوص بالذم. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض والتوبيخ لعلمائهم، حيث لم ينهوهم عما ارتكبوه من المخالفات. قوله: ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ عبّر في جانب العوام بيعملون، وفي جانب العلماء بيصنعون، لأن الصنع أبلغ من العمل إذ هو عمل مع إتقان، فذمّهم بأبلغ وجه، وكل آية وردت في الكفار فإنها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين، قال ابن عباس: هذه أشد آية في القرآن، يعني في حق العلماء. وقال الضحاك: ما في القرآن أخوف آية عندي منها.

قوله: ﴿وقالت اليهود﴾ أي بعضهم وهو فنحاص بن عازوراء، وإنما نسب القول لهم عموماً لرضاهم به ولم ينهوا عنه. قوله: [بتكذيبهم] الباء سببية. قوله: [بعد أن كانوا أكثر الناس مالا] أي وأخصب أرضاً. قوله: [مقبوضة] أي ممسوكة عن بسط العطاء لنا. قوله: [كنوا به عن البخل] أي لأنه يلزم من قبض اليد عن الأعطاء للمستحقين البخل. قوله: [تعالى الله عن ذلك] أي تنزه سبحانه عن ما وصفوه به من البخل، لأن البخل هو منع المستحق من حقه، وليس لأحد حق على الله تعالى، بل هو الكريم الحقيقي الذي عم عطاؤه الطائع والعاصي لا لغرض ولا لعوض. قوله: [دعاء] إما بالرفع خبر لمحذوف والتقدير هو دعاء، أي طلب من نفسه بنفسه غلول أيديهم، ويصح النصب على أنه مفعول لأجله، أي قال تعالى لأجل الدعاء عليهم.

قوله: ﴿ولعنوا﴾ معطوف على ﴿غلت﴾ فهو في حيز الدعاء، فبسبب هذه المقالة صاروا أشقياء آيسين من رحمة الله، فلم يوفقوا لفعل خير بعد ذلك أبداً، وطردوا عن رحمة الله في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿بل يداه﴾ إضراب إبطالي، ويداه مبتدأ، و﴿مبسوطتان﴾ خبره، وجملة ينفق: إما خبر ثان أو استئناف بياني، وكيف اسم شرط، ويشاء فعل الشرط، ومفعوله محذوف تقديره الانفاق له، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله ينفق. قوله: [مبالغة في الوصف بالجود] أي الاعطاء الكثير الذي عم الطائع والعاصي، واعلم أن معاملة الله للمؤمنين بالفضل إعطاء أو منعاً لأنه ما

---

* أسباب نزول الآية ٦٤: قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود﴾ الآية، أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس ان ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ الآية، وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: نزلت ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ في فنحاص رأس يهود قينقاع.

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: من القرآن ﴿طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾: لكفرهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ﴾: أي لحرب النبي ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: أي كلما أرادوه ردّهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾: أي مفسدين بالمعاصي ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٦٤: بمعنى أنه يعاقبهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾: بمحمد ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾: الكفر ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ٦٥ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من الكتب ﴿مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: بأن يوسّع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾: جماعة

منعهم عطاءَ الدنيا إلا لكونه ادخر لهم ما هو أعظم منه في الآخرة، وأما معاملته للكفار، فبالفضل عند الإعطاء، وبالعدل عند المنع، فلا يوصف بالبخل على كل حالٍ تنزه الله عنه؛ لأن البخل هو منع المستحق من حقه، وتعالى الله عن أن يكون لأحدٍ حق عليه. قوله: [وثني اليد الخ] أي فذكر اليدين مشاكلة، والتثنية كناية عن كثرة العطاء، لكن على مراده هو، لا على مرادِ عبيده، لأنه ليس لأحدٍ حق عليه يطلبه منه، ثم في إطلاق اليدِ على الله طريقتان: طريقة السلف أن اليد صفة من صفاته أزلية، كالسمع والبصر، ينشأ عنها الخير لا الشر، فهي أخص من القدرة؛ لأن القدرة ينشأ عنها جميع الممكنات إيجاداً وإعداماً، خيراً أو شراً، ولا يعلمها إلا هو، ويشهد لما قلنا قوله تعالى: ﴿قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ أي اصطفيته، ولم يقل بقدرتي، وطريقة الخلف أن اليد تطلق بمعنى الجارحة، وهي مستحيلة على الله، وتطلق على القدرة والنعمة والملك، ويصح إرادة كل منهما في حق الله. إن قلت: على تفسيرها بالقدرة أو النعمة؛ فلم ثنيت ثانياً بعد إفرادها أولاً؟ أجيب: بأن التثنية لإفادة كثرة الكرم والعطاء كما قال المفسر إن قلت: على تفسيرها بالنعمة فمقتضاه جمعها لأن النعم كثيرة، قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ أجيب: بأن التثنية بحسب الجنس، لأن النعم جنسان مثل: نعمة الدنيا ونعمة الدين، ونعمة الظاهر ونعمة الباطن، ونعمة الأعطاء ونعمة المنع، وتحت كل واحدٍ من الجنسين أنواع كثيرة، وما قلناه عقائد المؤمنين، وعقيدة اليهود أنها الجارحة لأنهم مجسمة. قوله: [من توسيع وتضييق] أي على مقتضى المصلحة والحكمة الإلهية، ففي الحديث «إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، فلو أغنيته لفسد حاله، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فلو أفقرته لفسد حاله». قوله: [فكل فرقة منهم] أي اليهود كالجبرية والقدرية والمشبهة والمرجئة، والنصارى كذلك فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية. إن قلت: إن المسلمين فرق أيضاً؟ أجيب: بأن افتراق المسلمين في الفروع لا الأصول، وكلهم على خيرٍ مسلمين لبعضهم، وأما من خرج عن ذلك فهو ضال مضل.

قوله: ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب﴾ أي بتعاطي أسبابه ومبادئه. قوله: [ردهم] أي قهرهم وجعلهم أذلة خاشعين.

قوله: [أي مفسدين] أشار بذلك إلى أنه حال من فاعل يسعون، ويصح أن يكون مصدراً مؤكداً ليسعون من معناه.

قوله: ﴿ولو أن أهل الكتاب﴾ بيان لحالهم في الآخرة، فهو ترددٌ لهم لعلهم يهتدون، ومن هنا لا يجوز لعن كافر معين حيّ، لأنه يحتمل أنه يهتدي. قوله: [من الكتب] أي ككتاب شعياء، وكتاب دانيال، وكتاب أرمياء، ففي هذه الكتب أيضاً ذكر محمد ﷺ، والمراد بإقامة الكتب الإيمان به ﷺ، وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن، لأنهم مأمورون بالإيمان به، لأنهم من جملة أمته ﷺ، ولعل هذا هو الأقرب. قوله: [بأن يوسع عليهم الرزق] أي بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض، ويؤخذ من هذه الآية أن طاعة الله سبب في الرزق، ومعاصيه سبب في قبضه، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وقال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى

﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾: تعمل به وهم من آمن بالنبي ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا﴾: شيئاً ﴿يَعْمَلُونَ﴾ـه ٦٦ ﴿يَأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾: جميع ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: ولا تكتم شيئاً خوفاً أن تنال

وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت قساوة في قلبك وحرماناً في رزقك ووهناً في بدنك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك». قوله: ﴿مقتصدة﴾ أي معتدلة ليست مفرطة ولا مفرطة. وقوله: [تعمل به] أي بالقرآن أو بما ذكر من التوراة وما بعدها. قوله: [ومنهم من آمن] الأوضح أن يحذف قوله ومنهم من آمن، ويقتصر على قوله كعبد الله الخ، كما قال غيره من المفسرين، وفي نسخة وهم من آمن وهي الصواب. قوله: ﴿وكثير﴾ مبتدأ وجملة ﴿ساء ما يعملون﴾ خبره، وساء كلمة ذم. وما تمييز وقيل فاعل. وجملة يعملون إما صلة إن جعلت ما موصولة أو صفة إن جعلت نكرة، والعائد محذوف قدره المفسر.

قوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾ سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ لما بعث ضاق ذرعاً لعلمه أن قوماً يكذبونه ولا بد، فنزلت الآية تسلية له، وفي ندائه بيا أيها الرسول شهادة له بالرسالة، وأل في الرسول للعهد الحضوري، أي الرسول الحاضر وقت نزولها، وهو محمد ﷺ. قوله: [جميع] قدره إشارة إلى أن ما اسم موصول بمعنى الذي، ولا يصح تقديرها نكرة؛ لأنه يصدق بتبليغ البعض مع أنه غير مكلف، واعلم أن ما أوحي إلى رسول الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ما أمر بتبليغه وهو القرآن والاحكام المتعلقة بالخلق عموماً فقد بلغه ولم يزد عليه حرفاً ولم يكتم منه حرفاً ولو جاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله، كآية عبس وتولى، وآية ما كان لنبي أن يكون له أسرى، وسورة تبت يدا أبي لهب، ولفظ قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وقد شهد الله له بتمام التبليغ، حيث أنزل قبيل وفاته ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه: اقبض فقد بلغت، وما أمر بكتمه فقد كتمه ولم يبلغ منه حرفاً، وهو جميع الاسرار التي لا تليق بالأمة، وما خير في تبليغه وكتمه، فقد كتم

---

* أسباب نزول الآية ٦٧: قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾ الآية، أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «ان الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن الناس مكذبي فوعدني لأبلغن أو ليعذبني»، فانزلت ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك﴾ قال: يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليَّ؟ فنزلت ﴿وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾.

وأخرج الحاكم والترمذي عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فأخرج رأسه من القبة فقال: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله، في هذا الحديث دليل على أنها أي الآية: ليلية نزلت ليلاً فراشية ـ والرسول في فراشه ـ وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه، فلما نزلت ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ترك الحرس.

وأخرج أيضاً عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل، حتى نزلت ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فترك الحرس.

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة قال: كنا اذا أصبحنا ورسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلها، فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت الشجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه وقال يا محمد من يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ: الله يمنعني منك، ضع السيف فوضعه: فنزلت ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقيع بأعلى نخل فبينا هو جالس على رأس بئر قد أدلى رجليه، فقال الوارث من بني النجار لأقتلن محمداً، فقال له أصحابه كيف تقتله؟ قال: أقول له أعطيني سيفك فإذا أعطانيه قتلته، فأتاه فقال له يا محمد: أعطني سيفك أشمه، فأعطاه اياه فرعدت يده، فقال رسول الله ﷺ: حال الله بينك وبين ما تريد، فأنزل الله ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾ الآية.

ومن غريب ما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن مردويه والطبراني عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يحرس، وكان يرسل معه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فأراد أن يرسل معه من يحرسه فقال: يا عم ان الله عصمني من الجن والإنس، وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله نحوه، وهذا يقتضي أن الآية مكية، والظاهر خلافه.

بمكروه ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾: أي لم تبلّغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: بالإفراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾: أن يقتلوك وكان ﷺ يحرس حتى نزلت فقال: «انصرفوا فقد عصمني الله» رواه الحاكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٧ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾: من الدين معتد به ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بي ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: من القرآن ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ

البعض ويبلغ البعض، وهو الاسرار التي تليق بالأمة، ولذا ورد عن أبي هريرة أنه قال: أعطاني حبيبي جرابين من العلم، لو بثثت لكم أحدهما لقطع مني هذا الحلقوم. قوله: [خوفاً أن تنال بمكروه] أي يمنعك عن مطلوبك، كالقتل والأسر ومنع الخلق عنك فإنك معصوم من ذلك، وأما مثل السب فتحمله، ولا يكن مانعاً لك من التبليغ، وهذا إخبار من الله بأن رسوله لم يكتم شيئاً، فهو معصوم من الكتمان لاستحالته عليه. قوله: [بالأفراد والجمع] أي فهما قراءتان سبعيتان، وعلى كل فهو مفعول لبلغت، فعلى الأفراد منصوب بالفتحة الظاهرة، وعلى الجمع منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، والمعنى واحد على كل، لأن المفرد المضاف يفيد العموم. قوله: [لأن كتمان بعضها الخ] أشار بذلك إلى دفع سؤال ورد على الآية. وحاصله أن ظاهر قوله: ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ اتحاد الشرط والجواب لأنه ينحل المعنى إن لم تبلغ فما بلغت. وحاصل الجواب أن المعنى وإن تركت شيئاً مما أمرت بتبليغه ولو حرفاً، فقد تركت الكل وصار ما بلغته غير معتد به، لأن كتمان بعضه ككتمان كله.

قوله: ﴿والله يعصمك﴾ أي يحفظك وهو من تمام الأمر بالتبليغ. قوله: [أن يقتلوك] دفع ما قيل إنه قد أوذي أشد الإيذاء قولاً وفعلاً فأجاب بأن المراد العصمة من القتل، وما في معناه من كل ما يعطل عليه التبليغ، وهكذا كل نبي أمر بالقتال، وما ورد من قتل بعض الأنبياء، فلم يكونوا مأمورين بالقتال. قوله: [وكان ﷺ يحرس الخ] عن عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ في مقدمه المدينة ليلة فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، قال من هذا؟ قال سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟ فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ثم نام، وفي رواية إن الذي جاء سعد وحذيفة بن اليمان قالا: جئنا نحرسك، فنام عليه الصلاة والسلام حتى سمعت غطيطه، ونزلت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة أدم وقال: انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله، ورد أنه كان يحفظه سبعون ألف ملك، لا يفارقونه في نوم ولا يقظة. قوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ أي لبلوغ مطلوبهم فيك لعصمتك منهم، ولذلك في بعض الغزوات حين احتاطت به الأعداء صار يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ويرميهم بالتراب في وجوههم، وكان يمر بين صفي القتال على بغلة لا تصلح لكر ولا فر.

قوله: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى. قوله: [معتد به] أي عند الله وهو الهدى والخير، وهذا جواب عن سؤال: كيف يقول لستم على شيء، مع أنهم على شيء وهو الدين الباطل. قوله: ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل﴾ أي تأتمرون بأمرهما وتنتهون بنهيهما، لأن فيهما بيان أن دينه هو الدين القيم، وأن وجوده ناسخ لجميع الشرائع. قوله: ﴿كثيراً منهم﴾ أي كعلمائهم ورؤسائهم، وأما القليل منهم كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابهما،

---

* أسباب نزول الآية ٦٨: قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ الآية، روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: جاء رافع وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا قال بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم بما فيها، وكتمتم ما أمرتم أن تبينوه للناس، قالوا فإنا نأخذ بما في أيدينا، فانا على الهدى والحق فأنزل الله ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء﴾ الآية.

﴿ٱلْكَافِرِينَ﴾ ٦٨: إنْ لم يؤمنوا بك أي لا تهتم بهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا﴾: هم اليهود مبتدأ ﴿وَٱلصَّابِئُونَ﴾: فرقة منهم ﴿وَٱلنَّصَارَىٰ﴾: ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ آمَنَ﴾: منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٩: في الآخرة خبر المبتدأ ودالّ على خبر إنّ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾: منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ﴾: من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾: منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾: منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ ٧٠: كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة ﴿وَحَسِبُوا﴾: ظنوا ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾: بالرفع فأنْ مخففة والنصب فهي ناصبة أي تقع

فقدْ زادهم القرآن اهتداءً ونوراً. قوله: ﴿وما أنزل إليك﴾ نسب الإنزال أولاً إليهم؛ لأنهم مأمورون باتباعه، ونسب الإنزال ثانياً إليه، لأنه منزل إليه حقيقة، فيصح نسبة الإنزال إليهم باعتبار أنهم مأمورون بالعمل به وإليه باعتبار أنه يبلغه.

قوله: ﴿طغياناً وكفراً﴾ قيل الطغيان والكفر مترادفان، وقيل الطغيان أعم لأنه مجاوزة الحد.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ إنّ حرف توكيد ونصب، والذين اسمها، وآمنوا صلته، وخبرها محذوف دلّ عليه قوله: ﴿فلا خوف عليهم﴾ الخ، وقوله: ﴿والذين هادوا﴾ الواو للاستئناف أو عطف جمل، والذين مبتدأ ﴿والصابئون والنصارى﴾ معطوفان عليه، وقوله: ﴿من آمن﴾ بدل من الذين هادوا، وما عطف عليه بدل بعض من كل، وقوله: ﴿فلا خوف عليهم﴾ خبر المبتدأ، وهذا أحد أوجه تسعة وهو أحسنها، ولذا درج عليه المفسّر. قوله: ﴿آمنوا﴾ أي حقيقة بقلوبهم وألسنتهم خرج المنافقون. قوله: [فرقة منهم] أي اليهود، وقيل من النصارى، وقيل طائفة يعبدون الكواكب السبعة، وقيل يعبدون الملائكة. قوله: [وعمل صالحاً] أي فإن مات ولم يكن عمل صالحاً غير الإيمان فهو تحت المشيئة. قوله: [منهم] قدره إشارة إلى أن العائد محذوف. قوله: ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ أي في التوراة، والمقصود من ذلك إقامة الحجة على من كان في زمنه ﷺ من اليهود والنصارى، وتقدم أن الميثاق هو العهد المؤكد باليمين.

قوله: ﴿وأرسلنا﴾ معطوف على أخذنا. قوله: ﴿رسلاً﴾ أي كشعياء وأرمياء ويوشع. قوله: ﴿كلما جاءهم رسول﴾ كلما شرطية وجاءهم فعل الشرط، وقوله: ﴿بما لا تهوى﴾ متعلق بجاء وما اسم موصول، وقوله: ﴿لا تهوى﴾ صلته، والعائد محذوف تقديره لا تهواه، وجواب الشرط محذوف قدره المفسّر بقوله: [كذبوه] والأوضح له أن يقول عادوه وعصوه، وقوله: ﴿فريقاً كذبوا﴾ الخ مستأنف بيان لوجه العصيان والمعاداة. قوله: [منهم] قدره إشارة إلى أن الجملة الشرطية صفة لرسلاً، والعائد محذوف ولو جعلت استئنافية لما احتيج لتقديره. قوله: [من الحق] بيان لما. قوله: ﴿كذبوا﴾ أي من غير قتل، كداود وسليمان ويوشع وعيسى ومحمد. قوله: [كزكريا ويحيى] أي وشعياء. قوله: [دون قتلوا] أي لمراعاة كذبوا. قوله: [حكاية للحال الماضية] أي كأنها حاصلة الآن. قوله: [للفاصلة] أي المحافظة على رؤوس الآي وتناسبها مع بعضها، ولعل فيه حذف الواو ويكون علة ثانية.

قوله: ﴿وحسبوا﴾ سبب هذا الحسبان أنهم كانوا يعتقدون أنهم يقربون لكونهم من ذرية الأنبياء، فلا يضرهم تكذيب الأنبياء وقتلهم إياهم، بل سلفهم يدفعون عنهم عذاب الآخرة. قوله: [بالرفع فأن مخففة] أي واسمها محذوف تقديره أنه، وقوله: ﴿لا تكون﴾ خبرها، قال ابن مالك:

وإنْ تُخفَّفْ أنْ فاسمُها اسْتَكَنّ ... والخبرَ اجعلْ جملةً من بعدِ أنْ

قوله: [والنصب] أي فهما قراءتان سبعيتان. واعلم أن أنْ إنْ وقعت بعد ما يفيد اليقين، كانت مخففة من الثقيلة

﴿فِتْنَةٌ﴾: عذابٌ بهم على تكذيبِ الرُّسُلِ وقتلِهم ﴿فَعَمُوا﴾: عن الحقِّ فلم يبصروه ﴿وَصَمُّوا﴾: عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لمّا تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ ثانيًا ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: بدلٌ من الضمير ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ٧١: فيجازيهم به ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: سبق مثله ﴿وَقَالَ﴾: لهم ﴿الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: فإني عبدٌ ولستُ بإلهٍ ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾: منعه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾: زائدة ﴿أَنصَارٍ﴾ ٧٢: يمنعونهم من عذاب الله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ﴾: آلهة ﴿ثَلَاثَةٍ﴾: أي أحدُها والآخران عيسى وأمه وهم فرقة من

لا غيرُ، نحو علِمَ أنْ سيكون، وإنْ وقعتْ بعد ما يفيد الظنّ، كانتْ ناصبةً لا غيرُ، نحو ﴿وظنّوا أنْ لا ملجأ من الله إلا إليه﴾، وإنْ وقعتْ بعد ما يحتملهما كانَ فيه الأمران كهذه الآية، فالرفعُ على تأويلِ حَسِبَ بمعنى عَلِمَ، والنصبُ على تأويلها بالظنّ. إنْ قلتَ: مقتضى هذه القاعدة أنّ كلّ ما يفيد الأمرين يجوزُ فيه الرفع والنصب، مع أنه لم يُسمَعْ في أحسِبَ الناس أنْ يتركوا الرفع ولا النصب في أفلا يرون أن لا يرجع. أجيبَ بأن القراءة سُنّة متّبعة، لأنه ليس كلّما جاز نحواً جاز قراءةً، وجملة ﴿أن لا تكون فتنة﴾ في محل نصب سدّتْ مَسَدّ مفعولي حَسِبَ على كلا القراءتين عند جمهور البَصْرِيّين، وقيل مَسَدّ مفعولها الأول ومفعولها الثاني محذوف تقديره حاصلة. قوله: ﴿فتنة﴾ بالرفع فاعل تكون لأنها بمعنى توجد فهي تامة.

قوله: ﴿فعموا وصموا﴾ معطوف على حسبوا، وهذا إشارة إلى ما وقع منهم في المرة الأولى من الفساد والقتل في زمن شعياء وأرمياء، حتى قتلوا شعياء وحبسوا أرمياء، فسلط الله عليهم بختنصر، ففرّق جمعهم وأسرهم، وخرب بيت المقدس، وصاروا في غاية الذل والهوان، فلما تابوا توجه ملك من ملوك فارس، فعمّر بيت المقدس، وقتل بختنصر، وردّهم إلى وطنهم، فكثروا وكانوا أحسن ما كانوا عليه، فمكثوا ثلاثين سنة ثم عموا وصموا ثانياً وقتلوا زكريا ويحيى، وإلى هذه القصة الإشارة بقوله تعالى في سورة الإسراء ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ الآيات، وهذا هو الصحيح، فالمراد ببني إسرائيل من كان في زمن شعياء وأرمياء، لا من كان في زمن موسى وهارون قوله: [بدل من الضمير] أي في قوله: ﴿وعموا وصموا﴾ والضمير هو الفاعل، وهذا هو هروب من تخريج الآية على لغة أكلوني البراغيث فإنها ضعيفة، ودفع بقوله ﴿كثير منهم﴾ ما يتوهم أنهم عموا وصموا جميعهم وعطف قوله ﴿ثم عموا وصموا﴾ بثم المفيدة للتراخي، لأن بين التوبة والعمى ثلاثين سنة.

قوله: ﴿لقد كفر الذين قالوا﴾ وهم اليعقوبية من النصارى، وهو شروع في ذكر قبائح النصارى بعد ذكر قبائح اليهود. قوله: ﴿إن الله هو المسيح﴾ معنى ذلك عندهم أن الله حلّ في ذات عيسى واتحد بها. قوله: ﴿وقال المسيح﴾ الجملة حالية من الواو في قالوا، وهو رد لما ادّعوه من ألوهيته، أي فلا عذر لهم في تلك الدعوة، فإن عيسى تبرأ منها وبيّن لهم طريق الهدى.

قوله: ﴿إنه من يشرك بالله﴾ كالعلة لقوله: ﴿اعبدوا الله﴾ قوله: [منعه أن يدخلها] أي فالمراد بالتحريم مطلق المنع. قوله: ﴿وما للظالمين﴾ أي المشركين. قوله: ﴿أنصار﴾ أي أعوان يحفظونهم من غضب الله. قوله: [والآخران عيسى الخ] هذا وجه في التثليث عندهم، وهناك وجه آخر عندهم وهو أن الإله مركب من ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، فمرادهم بالأب ذات الله، وبالابن صفة الكلام، وبروح القدس الحياة، فاختلطت صفة الكلام بجسد عيسى كاختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد. واعلم أن النصارى في اعتقاد التثليث على أربع فرق، واحدة تقول: كل من ذات الله تعالى وذات عيسى وذات مريم إله، وأخرى تقول: الإله مجموع

النصارى ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾: من التثليث ويوحّدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾٧٣: مؤلم وهو النار ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾: مما قالوه استفهام توبيخ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾٧٤: به ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: فهو يمضي مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا لما مضى ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾: كغيرهما من البشر ومن كان كذلك لا يكون إلهاً لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿انظُرْ﴾ متعجباً ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾: على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾٧٥: يصرفون عن الحق مع قيام البرهان ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾:

صفاتٌ ثلاثٌ الوجود والعلم والحياة وعيسى ابنه، وأخرى تقول: الإله مجموع ذات وصفتين ذات الله ويسمونها الأب، وصفة كلامه ويسمونها الابن، وصفة الحياة ويسمونها روح القدس، والكل إله واحد، وأخرى تقول: الإله مجموع ذاتين صفة الله وذات عيسى والحياة الحالة في جسد عيسى. قوله: [وهم فرقة من النصارى] أي وهم النسطورية والمرقوسية.

قوله: ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ الواو إما حالية أو استئنافية، وما نافية، ومن زائدة لاستغراق النفي، وإله مبتدأ والخبر محذوف تقديره كائن في الوجود، وإلا ملغاة، وإله بدل من الضمير في الخبر نظير لا إله إلا الله، والمقصود من ذلك التشنيع والرد عليهم في دعواهم التثليث لأن حقيقة الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه، وليس شيء من ذلك وصفاً لعيسى ولا لأمه، ولا لأحد أبداً سواه سبحانه وتعالى. قوله: ﴿ليمسن الذين كفروا﴾ جواب لقسم محذوف، وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه، والتقدير والله إن لم ينتهوا عما يقولون ﴿ليمسن الذين كفروا﴾ الخ، نظير قوله تعالى: ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾. قوله: [أي ثبتوا على الكفر] أشار بذلك إلى أن من في ﴿منهم﴾ للتبعيض لأن كثيراً منهم تابوا. قوله: [توبيخ] أي وإنكار وهذا استدعاء لهم إلى التوبة. قوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ الجملة حالية كالتعليل لما قبلها.

قوله: ﴿ما المسيح ابن مريم﴾ الخ، هذا استئناف مسوق لبيان إقامة الحجة عليهم وبطلان دعاويهم الباطلة، وما نافية والمسيح مبتدأ، وإلا أداة حصر ورسول خبره، وهو من حصر المبتدأ في الخبر، أي أن عيسى محصور في وصف الرسالة وليس بإله، والمقصود من ذلك نفي الألوهية عنه. قوله: ﴿قد خلت﴾ أي ذهبت وفنيت. قوله: ﴿صديقة﴾ أي ملازمة للصدق، وهذان الوصفان لعيسى وأمه مختصان بهما شرفهما الله بهما، ثم وصفهما بعد ذلك بوصف البشر الذي لا يميزهم عن الحيوانات الغير العاقلة فضلاً عن العاقلة. قوله: ﴿كيف نبين﴾ كيف معمول لنبين لا لأنظر، لأن اسم الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله لأن له الصدارة. قوله: ﴿ثم انظر﴾ هذا ترق في التعجب، ولذا أتى بثم المفيدة للتراخي. قوله: [مع قيام البرهان] أي الدليل الواضح على باهر قدرتنا وكمال صفاتنا.

قوله: ﴿قل أتعبدون﴾ هذا تبكيت لهم وإلزامهم الحجة. قوله: ﴿ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾ أي وهو عيسى، والمعنى لا يملك بذاته شيئاً أصلاً لا ضراً، ولا نفعاً، وأما إجراء النفع أو الضر على يديه فبخلق الله لذلك ولو شاء لم يخلقه. قوله: ﴿والله هو السميع العليم﴾ أي فهو أحق بالعبادة. قوله: [للإنكار] أي مع التوبيخ.

لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ ٧٦: بأحوالكم والاستفهام للإنكار ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى ﴿لَا تَغْلُوا﴾: تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غلوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾: بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾: بغلوهم وهم أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: من الناس ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ٧٧: عن طريق الحق والسواء في الأصل الوسط ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ﴾: بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة ﴿ذَٰلِكَ﴾: اللعن ﴿بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾: أي لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿عَن﴾: معاودة ﴿مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٧٩ فعلهم هذا ﴿تَرَىٰ﴾: يا محمد ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل

قوله: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ شروع في ذكر قبائحهم جميعاً، بعد أن ذكر كل فريق منهم على حدة. قوله: [غلوا] قدره المفسر إشارة إلى أن غير الحق صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله ﴿تغلوا﴾، ويصح أن يكون غير الحق حالاً من فاعل تغلوا. قوله: ﴿غير الحق﴾ أي وأما الغلو في الحق كالتشديد على النفس، بأن يصوم النهار ويقوم الليل مثلاً فليس بحرام ولا ضلال. قوله: [بأن تضعوا عيسى] أي تنقصوه عن مرتبته، كقول اليهود إنه ابن زنا. وقوله: [أو ترفعوه فوق حقه] كقول النصارى إنه ابن الله، أو هو الله، فكل من الفريقين قد غلا في دينه غير الحق. قوله: ﴿أهواء قوم﴾ الأهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس إليه، وما ذكر في القرآن إلا على وجه الذم، لأنه لا يقال فلان يهوى الخير، وإنما يقال يحبه ويريده. قوله: ﴿من قبل﴾ أي من قبل بعثة النبي ﷺ فالخطاب لمن كان في زمنه. قوله: [بغلوهم] الباء سببية أي بسبب غلوهم في عيسى حيث رفعوه جداً ووضعوه جداً. قوله: [وهم أسلافهم] جمع سلف وهو المتقدم عليهم في الزمن وهم اليهود والنصارى.

قوله: ﴿وأضلوا كثيراً﴾ أي بهذا الاعتقاد الفاسد. قوله: ﴿عن سواء السبيل﴾ السواء في الأصل الوسط، والسبيل الطريق، والمراد الدين الحق، فشبه التمسك بالدين الحق بالمشي في وسط الطريق بجامع أن كلاً سالم من العطب. قوله: [عن طريق الحق] أي وهو دين الإسلام. إن قلت: إنه قد تقدم ضلالهم في قوله: ﴿قد ضلوا من قبل﴾ أجيب: بأنه يحمل الضلال الأول على الكفر بموسى وعيسى، والضلال الثاني على الكفر بمحمد.

قوله: ﴿لعن الذين كفروا﴾ أي اليهود والنصارى، فلعن اليهود على لسان داود، ولعن النصارى على لسان عيسى. قوله: ﴿على لسان داود﴾ اختلف في المراد باللسان، فقيل هو الجارحة فداود وعيسى صرحا بلعنهم وقيل هو الكتاب، والمعنى أنزل الله لعنتهم في كتاب داود وعيسى وهو الأقرب، وكلام المفسر يفيد الأول. قوله: [فمسخوا قردة] أي وخنازير. وقوله: [وهم أصحاب أيلة] الذين اعتدوا في السبت وأصطادوا السمك فيه، وستأتي قصتهم في سورة الأعراف. قوله: [فمسخوا خنازير] أي وقردة، فقد حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر، وهذا على المشهور من أن كلا مسخوا قردة وخنازير، وقيل أصحاب السبت مسخوا قردة، وأصحاب المائدة مسخوا خنازير، وهو ظاهر المفسر. قوله: [وهم أصحاب المائدة] أي وسيأتي أنهم ثلثمائة وثلاثون رجلاً. قوله: ﴿بما عصوا﴾ الباء سببية وما مصدرية، وقوله: ﴿وكانوا يعتدون﴾ معطوف على عصوا، والمعطوف على الصلة صلة، والمعنى ذلك بسبب عصيانهم وكونهم معتدين. قوله: ﴿عن﴾ [معاودة] ﴿منكر﴾ إنما قدر المفسر هذا المضاف لدفع ما أورد بأن المنكر الذي فعل لا معنى للنهي عنه، لأن رفع الواقع محال، فأجاب بأن المعنى النهي عن المعاودة. قوله: [فعلهم] هذا هو المخصوص بالذم.

قوله: ﴿ترى﴾ أي تبصر وقوله: ﴿كثيراً منهم﴾ أي أهل الكتاب. قوله: ﴿يتولون الذين كفروا﴾ أي يوالونهم

مكة بغضاً لك ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: من العمل الموجب لمعادهم لهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾: محمد ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾: أي الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ٨١: خارجون عن الإيمان ﴿لَتَجِدَنَّ﴾: يا محمد ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ﴾: أي قرب مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أن ﴿مِنْهُمْ

ويصادقونهم. قوله: [بغضا لك] مفعول لأجله أي من أجل بغضك. قوله: ﴿لبئس ما قدمت﴾ اللام موطئة للقسم وبئس كلمة ذم وما فاعل قدمت صلته، والعائد محذوف أي قدمته، وأنفسهم فاعل قدمت، وقوله: ﴿أن سخط الله عليهم﴾ هو المخصوص بالذم، لكن على حذف مضاف تقديره موجب أن سخط الله والمعنى أن ما قدمت لهم أنفسهم من الضلال تسبب عن سخط الله، وتسبب عن سخط الله الخلود في النار. قوله: [من العمل] بيان لما. قوله: ﴿وفي العذاب هم خالدون﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة أن سخط الله عليهم فهي من جملة المخصوص بالذم، فالمعنى موجب سخط الله والخلود في النار.

قوله: ﴿وما أنزل إليه﴾ أي وهو القرآن. قوله: ﴿ما اتخذوهم أولياء﴾ أي أنصاراً يوالونهم وقد فعلوا ذلك، فكانوا يأخذون الهدايا لكفار مكة ويصادقونهم ويتوددون إليهم خوفاً من زوال عزهم ورياستهم. قوله: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة﴾ كلام مستأنف سيق للتقبيح على اليهود والتشنيع عليهم، واللام موطئة لقسم محذوف، وأشد مفعول أول لتجدن، وعداوة منصوب على التمييز، و﴿للذين آمنوا﴾ متعلق بعداوة أو بمحذوف صفة لعداوة، واليهود مفعول ثان هكذا أعربوا، والأقرب أن أشد مفعول ثان مقدم، واليهود مفعول أول مؤخر. قوله: ﴿والذين اشركوا﴾ معطوف على اليهود. وقوله: [لتضاعف كفرهم] علة لقوله أشد. وقوله: [وجهلهم] أي وتضاعف جهلهم. قوله: [وانهماكهم في اتباع الهوى] عطف على تضاعف عطف علة على معلول، والهوى بالقصر ما تهواه النفس وتميل إليه.

قوله: ﴿ولتجدن أقربهم﴾ يقال في إعرابه ما قيل في الذي قبله من أن أقرب مفعول ثان، والذين قالوا مفعول أول، ومودة تمييز، وللذين صفة للمودة أو متعلق به. قوله: ﴿الذين قالوا إنا نصارى﴾ أي أنصار دين الله. إن قلت: مقتضى الآية مدح النصارى وذم اليهود، مع أن كفر النصارى أشد لأنهم ينازعون في الربوبية واليهود أخف منهم لأنهم ينازعون في النبوة؟ أجيب بأن مدح النصارى من جهة قرب مودتهم للمسلمين، وذم اليهود من حيث أنهم أشد عداوة للمسلمين، وذلك لا يقتضي شدة الكفر ولا عدمها، وأيضاً الحرص في اليهود دون النصارى، وأيضاً مذهب اليهود أن إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم في الدين قربة، ومذهب النصارى أنه حرام. قوله: ﴿ذلك﴾ اسم الإشارة مبتدأ،

---

* أسباب نزول الآية ٨٢: قوله تعالى: ﴿ولتجدن أقربهم مودة﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري. وكتب معه كتابا الى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل الى الرهبان والقسيسين، ثم أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ولتجدن أقربهم مودة﴾ الى قوله ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾.

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشي ثلاثين رجلا من خيار أصحابه الى رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم سورة يس فبكوا، فنزلت فيهم الآية. وأخرج النسائي عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه ﴿وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾. وروى الطبراني عن ابن عباس نحوه أبسط منه.

قِسِّيسِينَ﴾: علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٨٢: عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة نزلت في وفد النجاشي القادمين عليهم من الحبشة قرأ ﷺ سورة يس فبكوا وأسلموا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل

و﴿بأن منهم﴾ خبر، و﴿قسيسين﴾ اسم إن، و﴿منهم﴾ متعلق بمحذوف خبر إن ﴿ورهباناً﴾ معطوف على قسيسين. قوله: ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ معطوف على قسيسين. قوله: [أي قرب مودتهم] أشار بذلك إلى مرجع اسم الإشارة. قوله: [بسبب] أشار بذلك إلى أن الباء سببية.

قوله: ﴿قسيسين﴾ جمع قِسِّيس من تقسس الشيء إذا تتبعه، يقال قس وقصه الأثر وقصه فهو أعجمي معرب، ويقال قَس، وقِس بفتح القاف وكسرها وهو عالم النصارى. قوله: ﴿ورهباناً﴾ جمع راهب وهو الزاهد التارك للدنيا وشهواتها. قوله: [نزلت في وفد النجاشي] أي واسمه أصحمة قيل صحمة. وحاصل ذلك: أنه سنة خمس من البعثة، اشتد أذى الكفار لرسول الله ﷺ ولمن أسلم، ولم يكن أمر بجهاد، فأمر الصحابة الذين لا عزوة لهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وهي الهجرة الأولى، وقال إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم عنده أحد، فأخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً، فخرج إليها أحد عشر رجلاً وأربع نسوة سراً، منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فخرجوا إلى البحر، وأخذوا سفينة بنصف دينار إلى أرض الحبشة، وذلك في رجب، ثم تتابع المسلمون فكانوا اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان، فلما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار، قال كفار قريش: إن ثأركم بأرض الحبشة فأهدوا إلى النجاشي، وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده لتقتلوهم بمن قتل منكم ببدر، فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة، فقالا له: أيها الملك إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها وزعم أنه نبي، وانه قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم، وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم، فقال: حتى نسألهم، فأمر بهم فأحضروا، فلما أتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحباً بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا، فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى أنا صدقناك إنهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها، فقال لهم الملك: ما منعكم أن تحيوني؟ قالوا: إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة، فقال لهم النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟ فقال جعفر بن أبي طالب: يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها إلى مريم العذراء، ويقول في مريم إنها العذراء البتول، قال فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم، فقال: هل تعرفون شيئاً مما أنزل على صاحبكم؟ قالوا نعم، قال: اقرؤوا فقرأ جعفر سورة مريم، وهناك قسيسون ورهبانيون وسائر النصارى، فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ذلك بأن منهم قسيسين﴾ الخ الآيتين، فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم بأرضي آمنون، وفي بعض الروايات إن عمراً أسلم على يد النجاشي. وبذلك يلغز فيقال صحابي أسلم على يد تابعي لأن النجاشي لم يجتمع برسول الله ﷺ وعمرو اجتمع به بعد مقدمه من الحبشة، وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار، إلى أن هاجر رسول الله إلى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه، وذلك سنة ست من الهجرة، وكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت هاجرت مع زوجها ومات عنها، فأرسل النجاشي جارية يقال لها أبرهة إلى أم حبيبة يخبرها أن رسول الله قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحاً كانت لها، وأذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فأنكحها لرسول الله على صداق مبلغه أربعمائة دينار، وكان الخاطب لرسول الله النجاشي، فأرسل إليها بجميع الصداق على يد جاريته أبرهة، فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين ديناراً فلم تأخذها وقالت إن الملك أمرني أن لا آخذ منك شيئاً، وقالت أنا صاحبة ذهب الملك وثيابه، وقد صدقت بمحمد وآمنت به، وحاجتي إليك مني أن تقرئيه

على عيسى قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: من القرآن ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾: صدقنا بنبيك وكتابك ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾ ٨٣: المقرّين بتصديقهما ﴿وَ﴾: قالوا في جواب من عيرهم بالإسلام من اليهود ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآن أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾: عطف على نؤمن ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّالِحِينَ﴾ ٨٤: المؤمنين الجنة قال تعالى: ﴿فَأَثَابَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٨٥: بالإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ﴾ ٨٦: ونزل لمّا همّ قوم من الصحابة أن يلازم

مني السلام، قالت نعم، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من دهن وعود، وكان رسول الله ﷺ يحاصر خيبر، قالت أم حبيبة: فخرجنا إلى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فخرج من قدم معي وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله فدخلت عليه، فكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك، فرد رسول الله عليها السلام، وأنزل الله ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ يعني أبا سفيان وذلك بتزوج رسول الله أم حبيبة ولما بلغ أبا سفيان تزوج رسول الله بأم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع أنفه، وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه إلى رسول الله ابنه أزهى في ستين من أصحابه وكتب إليه: يا رسول الله، إني أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفراً وأسلمت لله رب العالمين، وقد بعثت إليك ابني أزهى، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت، والسلام عليك يا رسول الله، فركبوا في سفينة في أثر جعفر. حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله وهو بخيبر، ووافى جعفر في سبعين رجلاً، عليهم الثياب الصوف، منهم اثنان وستون رجلاً من الحبشة وثمانية من الشام، فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها، فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام، فأنزل الله هذه الآية فيهم، ولذلك قال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام، فلما بعث ﷺ آمنوا به وصدقوه فأثنى الله عليهم.

قوله: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾ صنيع المفسر يقتضي أنه مستأنف حيث قال: قال تعالى، ولذلك جعله بعضهم أول الربع، ويصح أن يكون عطفاً على لا يستكبرون. قوله: ﴿تفيض﴾ أي تمتلىء بالدمع حتى يسيل. قوله: ﴿من الدمع﴾ من ابتدائية. قوله: ﴿مما عرفوا﴾ من تعليلية و﴿من الحق﴾ بيانية. قوله: ﴿يقولون﴾ استئناف مبني على سؤال، كأنه قيل فماذا يقولون. قوله: ﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ جملة مستأنفة جواباً للسؤال الوارد عليهم. قوله: ﴿وما جاءنا من الحق﴾ معطوف على لفظ الجلالة، أي لا مانع لنا من الإيمان بالله وبما جاءنا من الحق، ويراد بالحق القرآن. قوله: [عطف على نؤمن] أي مسلطة علية لا على سبيل الاستفهام الإنكاري، والمعنى أي شيء ثبت لنا في كوننا لا نؤمن بالله ولا بالقرآن، ولا نطمع في أن يدخلنا ربنا الخ، مع وجود مقتضى ما ذكر. قوله: ﴿بما قالوا﴾ أي بسبب قولهم، ورتب الثواب على القول لأنه قد سبق بما يدل على إخلاصهم فيه.

قوله: ﴿والذين كفروا﴾ لما ذكر الله تعالى الوعد لمؤمني النصارى، وذكر الوعيد لمن بقي منهم على الكفر جمعاً بين الترغيب والترهيب. قوله: [ونزل لما هم قوم] أي وهم عشرة اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وسبب اجتماعهم أن رسول الله ﷺ وعظ الناس يوماً حتى أبكاهم، فرقت أفئدتهم وعزموا على الترهب، وهم أبو بكر وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وعثمان بن مظعون، فتشاوروا واتفقوا على أنهم يلبسون المسوح، ويجبون مذاكيرهم، ويصومون الدهر، ويقومون الليل، ولا ينامون على الفراش، ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا

الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا﴾: [تتجاوزوا أمر الله] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ٨٧ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ٨٨ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾: الكائن

الطيب، وأن يسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه، فقال لامرأته: أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب، وكرهت أن تفشي سر زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق، فانصرف رسول الله ﷺ فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: ألم أخبر أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ فقالوا بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير، فقال رسول الله: إني لم أومر بذلك ثم قال ﷺ: إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، ثم جمع الناس وخطبهم فقال: ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا، وإني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي ورهبانيتهم الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجوا واعتمروا، واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع، فنزلت تلك الآية.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هذا هو فاعل نزل. قوله: ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ أي لا تجعلوها حراماً على انفسكم، فمن حرم حلالاً فلا يحرم عليه إلا الزوجة، لأن الله جعل بيده تحريمها وتحليلها دون ما سواها، واعتقاد التحريم من غير إنشاء منه كفر. قوله: [تتجاوزوا أمر الله] أي ونهيه فلا تفعلوا ما نهى الله عنه، ولا تفرطوا فيما أمر به. قوله: ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ أي المتجاوزين الحد، ومن جملة ذلك قطع المذاكير والشهوة والإسراف في المطاعم والمشارب قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾. قوله: [حال] أي من حلالاً لأنه في الأصل نعت نكرة قدم عليها وطيباً صفته.

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فتقوى الله لا تتوقف على الرهبانية كما كان في الأمم

---

* أسباب نزول الآية ٨٧: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا﴾ الآية، روى الترمذي وغيره عن ابن عباس: أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله اني اذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن رجالاً من الصحابة منهم: عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم، لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة، فنزلت. وأخرج نحو ذلك من مرسل عكرمة وأبي قلابة ومجاهد وأبي مالك والنخعي والسدي وغيرهم، وفي رواية السدي: أنهم كانوا عشرة، منهم: ابن مظعون وعلي بن أبي طالب، وفي رواية عكرمة منهم: ابن مظعون وعلي وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة، وفي رواية مجاهد: منهم ابن مظعون وعبد الله بن عمر.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رهط من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة، توافقوا أن يجبوا أنفسهم، ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً ويلبسوا المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً وأن يسيحوا في الأرض كهيئة الرهبان فنزلت.

وروى ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي ﷺ ثم رجع الى أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفه انتظاراً له فقال لامرأته: حبست ضيفي من أجلي هو حرام علي، فقالت امرأته هو علي حرام، فقال الضيف: هو علي حرام، فلما رأى ذلك وضع يده وقال: كلوا بسم الله ثم ذهب إلى النبي ﷺ فذكر الذي كان منهم، ثم أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾.

﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان لا والله وبلى والله ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾: بالتخفيف والتشديد وفي قراءة عاقدتم ﴿الْأَيْمَانَ﴾: عليه بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾: أي اليمين إذا حنثتم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل مسكين مد ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾: منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾: أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾: بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد وعليه الشافعي ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾: عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾: أي مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملاً للمطلق على المقيد

السابقة. قوله: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو﴾ هذا مرتب على قوله ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ لأن بعض الصحابة حلف على الترهب لظن أنه قربة، فلما نزلت الآية شكوا لرسول ﷺ من اليمين، فنزلت هذه الآية. قوله: [هو ما يسبق إليه اللسان لا بقصد الحلف] أي بل بقصد التبرر أو لا قصد له وهذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك وأبي حنيفة فاللغو أن يحلف على ظنه فيتبين خلافه، وهذا في غير الطلاق، وأما هو فلا ينفع فيه اللغو واللغو عند مالك وأبي حنيفة تكفر إن تعلقت بمستقبل فقط، لا إن تعلقت بحال أو ماض. والحاصل أنه إن قصد باليمين التبرر فهو لغو عند الشافعي لا عند مالك وأبي حنيفة، وأما إن سبق لسانه باليمين من غير قصد أصلاً فهو لغو اتفاقاً، والحلف على ظن شيء فتبين خلافه اتفاقاً أيضاً. قوله: [وفي قراءة عاقدتم] والثلاث سبعيات، فالتخفيف ظاهر، والتشديد للمبالغة، وما مصدرية أي بتعقيدكم الأيمان.

قوله: ﴿فكفارته﴾ مبتدأ، ﴿وإطعام﴾ خبره وهو مضاف لمفعوله الأول، والمفعول الثاني قوله: ﴿من أوسط﴾ والفاعل محذوف قياساً يعود على الحالف تقديره إطعامه عشرة مساكين. قوله: [أي اليمين] إن قلت: إن اليمين مؤنثة فلم عاد الضمير عليها مذكراً؟ أجيب: بأنها تذكر بمعنى الحلف. قوله: [إذا حنثتم فيه] أي وهو الحلف بالله أو بصفة من صفاته القديمة، وأما الحلف بغير ذلك فلا حنث فيه، ثم هو إن كان مما يعظم شرعاً كالكعبة والنبي فقيل مكروه وقيل حرام، وإلا فهو ممنوع لما في الحديث «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». قوله: ﴿عشرة مساكين﴾ المراد ما يشمل الفقراء، والفقير هو من لا يملك قوت عامه، والمسكين من التصقت يده بالتراب عند مالك. قوله: [لكل مسكين مد] أي وهو رطل وثلث بالبغدادي، وبالمصري رطل وأوقيتان وربع أوقية.

قوله: ﴿ما تطعمون أهليكم﴾ قدر المفسر المفعول الثاني بقوله منه والأوضح أن يقدره متصلاً به وأهليكم مفعوله الأول. قوله: [أغلبه] هذا تفسير لأوسط، فإن كان القمح غالب اقتياتهم مثلاً أخرج منه. ولو كان هو يقتات ذرة مثلاً. وهل المراد بالغالب وقت الإخراج وهو مذهب مالك أو في السنة وهو مذهب الشافعي. قوله: [لا أعلاه ولا أدناه] أي لا تفهم أن المراد بالأوسط ما قابل الأعلى كالقمح. والأدنى كالدخن. بل المراد به الغالب في الاقتيات. كان هو في نفسه أعلى أو أدنى أو أوسط. ويكفي بدل الأمداد عند مالك، لكل واحد رطلان من خبز، أو إطعام العشرة غداء وعشاء. أو غداءين أو عشاءين. قوله: [بما يسمى كسوة] أي وإن لم يكن من غالب كسوة الناس لأن قيد الأوسطية مخصوص بالإطعام. واشترط مالك كون الكسوة تستر البدن للرجل ثوب، وللمرأة درع وخمار. قوله: [وعمامة وإزار] الواو بمعنى أو، ويكفي المنديل عند الشافعي. قوله: [وعليه الشافعي] أي ومالك. قوله: [كما في كفارة القتل والظهار] أي كما ثبت عند الفقهاء في كفارة القتل بالتصريح بمؤمنة، والظهار بحمل المطلق على المقيد، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وأما هنا فقد اختلف السبب فلا حمل فيكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: واحداً مما ذكر ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾: كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعي ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾: أن تنكثوها ما لم تكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس كما في سورة البقرة ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٨٩ على ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾: المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾: القمار

قوله: ﴿فمن لم يجد﴾ أي بأن لم يكن عنده ما يباع على المفلس بأن لم يكن عنده أزيد من قوت يومه، وهو مذهب مالك والشافعي في القديم، وقال في الجديد ينتقل للصيام إن لم يكن عنده ما يكفيه العمر الغالب. قوله: ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ أي فالكفارة مخيرة فيها ابتداء في الثلاثة مرتب انتهاء في الصيام، وأفضلها في التخيير عند مالك الإطعام ثم الكسوة ثم العتق، وعند الشافعي العتق ثم الكسوة ثم الإطعام. قوله: [كفارته] أشار بذلك إلى أن صيام مبتدأ خبره محذوف، والأوضح أن يقدر المحذوف هو المبتدأ. قوله: [وعليه الشافعي] أي ومالك خلافاً لأبي حنيفة في اشتراطه التتابع.

قوله: [ما لم يكن على فعل بر] أي فالحنث أفضل. قوله: [كما في سورة البقرة] أي في قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ فمن حلف على شيء، وكان فعله خيراً من تركه، فالأفضل حنثه كما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك. قوله: [ما ذكر] أي وهو حكم اليمين. قوله: [على ذلك] أي البيان فإنه من أعظم النعم.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ سبب نزولها دعاء عمر رضي الله عنه بقوله: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية أحضر رسول الله عمر وقرأها عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ثم نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فأحضره رسول الله وقرأها عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية، فأحضره وقرأها عليه فقال: انتهينا يا رب، وذكرت عقب ما قبلها لأنه لما نهي فيما قبلها عن تحريم الطيبات مما أحل الله، وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم، ربما يتوهم أنهما داخلان في جملة الطيبات، فأفاد أنهما ليسا كذلك. قوله: [الذي يخامر العقل] أي يستره ويغطيه ولو كان متخذاً من غير العنب. قوله: [القمار] من المقامرة وهي المغالبة لأن كلا يريد المغالبة لصاحبه، والمراد بالقمار

---

* أسباب نزول الآية ٩٠: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر﴾ الآية. روى أحمد عن أبي هريرة قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله ﷺ عنهما، فأنزل الله ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية فقال الناس ما حرم علينا إنما قال إثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أشد منها ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ ثم نزلت آية أشد من ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ إلى قوله تعالى ﴿فهل أنتم منتهون﴾. قالوا: انتهينا ربنا، فقال الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على سرفهم، وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان فأنزل الله ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ إلى آخر الآية.

وروى النسائي والبيهقي عن ابن عباس قال: إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، فلما أن ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر في وجهه ورأسه ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فيقول: والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما صنع بي هذا حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ الآية. فقال ناس من المتكلفين: هي رجس، وهي في بطن فلان: وقد قتل يوم أحد، فأنزل الله ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية.

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: الأصنام ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: قداح الاستقسام ﴿رِجْسٌ﴾: خبيث مستقذر ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: الذي يزينه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: أي الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٩٠ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر: إذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾: بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: خصها بالذكر تعظيماً لها ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ٩١: عن إتيانهما أي انتهوا ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾: المعاصي ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن الطاعة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ٩٢: الإبلاغ البين وجزاؤكم علينا ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾: أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾: المحرمات ﴿وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟

اللعب بالملاهي، كالطاب والطولة والمنقلة، فيحرم اللعب بذلك إذا كان بمال إجماعاً، وبغيره ففيها الخلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة ما لم يضع بسببها الفرائض، وإلا فحرام إجماعاً، وسمي ميسراً، لأن فيه أخذ المال بيسر.

قوله: ﴿والأنصاب﴾ جمع نصب، سميت بذلك لأنها تنصب وترفع للعبادة. قوله: [قداح الاستقسام] تقدم أنها شبعة. قوله: ﴿رجس﴾ خبر عن كل واحد مما تقدم من الخمر وما بعده، وحيث قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام، فهو دليل على أنهما من الكبائر. وقوله: [خبيث مستقذر] تفسير للرجس، وأما الرجز فهو العذاب، وأما الركس فهو العذرة والشيء النتن. قوله: [الذي يزينه] أي يأمر به ويحسنه، وليس المراد من عمل يده. قوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ الترجي في كلام الله تعالى للتحقيق. قوله: ﴿في الخمر والميسر﴾ إنما أعادهما ثانياً لأنهما اللذان كانا في المسلمين، بخلاف الأنصاب الأزلام، وذكرهما أولاً لمزيد التنفير عنهما، وأكد التحريم بأمور، وإنما جمعهما مع الأنصاب والأزلام، وكونهما رجساً من عمل الشيطان، وكون اجتنابهما موجباً للفلاح، وكونهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقعان في العداوة والبغضاء والاستفهام التهديدي. قوله: [خصها بالذكر] أي الصلاة دخولها في الذكر.

قوله: [أي انتهوا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام بمعنى الأمر، وهو استفهام تهديدي، وهو أبلغ من الأمر صريحاً كأنه قيل: قد بينت لكم ما في هذه الأمور من القبائح، فهل أنتم منتهون عنها، أم أنتم مقيمون عليها فلكم الوعيد.

قوله: ﴿وأطيعوا الله﴾ معطوف على معنى الاستفهام، أي انتهوا وأطيعوا. قوله: ﴿واحذروا﴾ [المعاصي] أي فإنها تجر إلى الكفر. قوله: ﴿إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ أي وقد فعله، فلم ينتقل رسول الله ﷺ للرفيق الأعلى، حتى بلغ ما أمر بتبليغه، ففي الحديث «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، ونهارها كليلها، لا يضل عنها إلا هالك». قوله: [وجزاؤكم علينا] أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: ﴿ليس على الذين آمنوا﴾ سبب نزولها أنه لما نزل تحريم الخمر والميسر، قال أبو بكر وبعض الصحابة: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت. قوله: [أكلوا من الخمر والميسر] أي تناولوا ذلك شرباً للخمر وانتفاعاً بمال القمار عاشوا أو ماتوا. قوله: ﴿إذا ما اتقوا﴾ ظرف لقوله: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح﴾ والحاصل أنه كرر سبحانه وتعالى قوله اتقوا ثلاثاً، فقيل الأول محمول على مبدأ العمر، والثاني على وسطه، والثالث على آخره، وقيل الأول اتقوا المحرمات خوف الوقوع في الكفر، والثاني الشبهات خوف الوقوع في المحرمات، والثالث بعض المباحات خوف الوقوع في الشبهات. وقيل الأول تقوى العبد بينه وبين ربه، والثاني تقوى العبد بينه وبين نفسه، والثالث تقوى العبد بينه وبين الناس، لأن العبد لا يكمل إلا إذا كان طائعاً فيما بينه

وَآمَنُوا﴾: ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا﴾: العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٩٣: بمعنى أنه يثيبهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: ليختبرنكم ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾: يرسله لكم ﴿مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ﴾: أي الصغار منه ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: الكبار منه وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: علم ظهور ﴿مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: حال أي غائباً لم يره فيجتنب الصيد ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾: النهي عنه فاصطاده ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٩٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: محرمون بحج أو عمرة ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾: بالتنوين ورفع ما بعده أي فعليه جزاء هو ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾: أي شبهه في الخلقة وفي قراءة بإضافة جزاء ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾: أي بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به وقد

وبين ربه، مجاهداً فيما بينه وبين نفسه، محافظاً على حقوق العباد. قوله: [ثبتوا على التقوى] هذا إشارة للمعنى الأول، وهو أن المراد بالأول التقوى في أول العمر الخ.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نزلت عام الحديبية حين أحرم رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا ألفاً وأربعمائة بالعمرة من ذي الحليفة، وأرسل عثمان لأهل مكة يخبرهم بأن رسول الله قاصد زيارة بيت الله، فجلسوا ينتظرون عثمان، فكانت وحوش البر والطيور تأتي إليهم من كل فج، فنزلت الآية. قوله: [ليختبرنكم] أي يعاملكم معاملة المختبر. قوله: ﴿من الصيد﴾ أي المصيد وهو وحوش البر والطيور، وهذا الابتلاء نظير ابتلاء قوم موسى بتحريم صيد السمك يوم السبت، ولكن الله حفظ الأمة المحمدية من الوقوع فيما يخالف أمر ربهم، فتم لهم السعد والعز في الدنيا والآخرة، وأما أمة موسى فتعدوا واصطادوا فمسخوا قردة وخنازير. قوله: ﴿أيديكم ورماحكم﴾ هو على التوزيع، فالأيدي راجع للصغار والرماح راجع للكبار. قوله: [بالحديبية] أي سنة ست، وقوله: [وهم محرمون] أي بالعمرة، وأشيع قتل عثمان فبايع النبي أصحابه تحت الشجرة على أنهم يدخلون مكة حرباً ثم حصل صلح بين الكفار وبين رسول الله، فأمرهم رسول الله بالتحلل من العمرة بالحلاق وذبح الهدايا. قوله: [علم ظهور] أي للخلق أي ليظهر لهم المطيع من العاصي. قوله: [حال] أي من فاعل يخاف، أي حال كون العبد غائباً عن الله أي محجوباً عنه لم يره. قوله: ﴿بعد ذلك﴾ [النهي] أي المستفاد من قوله: ﴿ليبلونكم﴾ مع علته التي هي قوله: ﴿ليعلم الله﴾.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ لما كان قتل الصيد في حال الإحرام مشدداً في النهي عنه، كرر في هذه السورة أربع مرات أولها في قوله: ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ ثانيها ﴿ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ الآية. ثالثها ﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾. رابعها ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾ الآية. قوله: ﴿لا تقتلوا الصيد﴾ أتى به وإن علم من قوله: ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ ليرتب عليه قوله: ﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾ الآية. قوله: ﴿وأنتم حرم﴾ الجملة حالية من فاعل تقتلوا، وحرم جمع حرام، يقع على المحرم وإن كان في الحل، وعلى من في الحرم وإن كان حلالاً، فهما سيان في النهي عن قتل الصيد.

قوله: ﴿ومن قتله﴾ من اسم شرط جازم، وقتل فعل الشرط، وقوله: ﴿فجزاء﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: [فعلية] وقوله: ﴿مثل﴾ خبر لمحذوف تقديره هو مثل، والجملة جواب الشرط، والمعنى أن ما قتله المحرم أو من في الحرم، أوله مدخل في قتله، فعليه جزاؤه، وهو ميتة لا يجوز أكله، ويقدم المضطر ميتة غيره عليه. قوله: ﴿متعمداً﴾ سيأتي للمفسر أنه لا مفهوم له، بل الخطأ والنسيان كذلك، إلا أن الحرمة مختصة بالمتعمد. قوله: ﴿من النعم﴾ أي الإنسية وهي الإبل والبقر والغنم، والجار والمجرور حال من مثل أو صفة له. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [بإضافة جزاء] إن قلت على هذه القراءة يقتضي أن الجزاء لمثل المقتول لا للمقتول نفسه مع أنه

حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة ببدنة وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يشبهها في العب ﴿هَدْيًا﴾: حال من جزاء ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾: أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتاً لما قبله وإن أضيف لأن إضافته لفظية لا تفيد تعريفاً فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾: عليه ﴿كَفَّارَةٌ﴾: غير الجزاء وإن وجده. هي ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾: من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهي للبيان ﴿أَوْ﴾: عليه ﴿عَدْلُ﴾: مثل ﴿ذَٰلِكَ﴾: الطعام ﴿صِيَامًا﴾: يصومه عن كل مد يوماً وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾: ثقل جزاء ﴿أَمْرِهِ﴾: الذي فعله ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إليه ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ ٩٥: ممن عصاه والحق بقتله متعمداً فيما ذكر الخطأ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾: أيها الناس حلالاً كنتم أو محرمين ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾: أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُ﴾: ما يقذفه ميتاً ﴿مَتَاعًا﴾: تمتيعاً ﴿لَكُمْ﴾: تأكلونه ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين منكم

ليس كذلك. أجيب بأجوبة منها: أن الإضافة بيانية، ومنها أن مثل زائدة، ومنها أن جزاء مصدر مضاف لمفعوله، أي أن يجازي القاتل مثل المقتول حال كون المثل من النعم. قوله: [رجلان] قدره إشارة إلى أن ذوا صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿ذوا عدل﴾ أي عدل شهادة. قوله: [بميزان بها] أي بتلك الفطنة أي العقل الزكي. قوله: [وقد حكم ابن عباس] أي وحكم الصحابة المذكور بين أصول المماثلة، وأما جزئيات الوقائع فلا بد لكل واحدة من حكم إلى يوم القيامة لاختلاف الصيد بالكبر والصغر، ولا بد من كون الجزاء المحكوم به يجزىء ضحية عند مالك. قوله: [في النعامة] أي ومثلها الزرافة والفيل، وقوله: [في الظبي] أي ومثله الضب. قوله: [لأنه يشبهها في العب] أي شرب الماء بلا مص، وهذا التعليل للامام الشافعي، وقال مالك بوجوب الشاة في خصوص حمام مكة ويمامه تعبداً، فإن لم يكن شاة فصيام عشرة أيام من غير تقويم ولا حكم، وحمام غيرها وسائر الطيور ليس فيه إلا قيمته طعاماً أو عدله صياماً. قوله: [حال من جزاء] ويصح أن يكون تمييزاً، وأن يكون مفعولاً مطلقاً والتقدير يهديه هدياً. قوله: [فعليه] أي طعاماً لكل مسكين مد، أو يصوم عن كل مد يوماً، فهو مخير بين أمرين فيما لا مثل له، وبين ثلاثة فيما له مثل. قوله: [وإن وجده] أي الجزاء وهو مبالغة في الكفارة، أي الكفارة عليه، هذا إذا لم يجد الجزاء، بل وإن وجده. قوله: [لكل مسكين] أي من مساكين المحل الذي هو به، وأما الصيام فلا يختص بزمان ولا مكان. قوله: [وجب ذلك] أي الجزاء بأقسامه الثلاثة، وقوله: ﴿ليذوق﴾ متعلق بقوله: [وجب] وكان المناسب ان يأتي بالواو ليفيد أنه كلام مستأنف، وليس جواباً لقوله فإن وجده لفساد ذلك. قوله: ﴿وبال أمره﴾ أي جزاء ذنبه الصادر منه، ويؤخذ من ذلك أن قتل الصيد متعمداً للمحرم أو من في الحرم كبيرة، ولو أخرج الجزاء فيحتاج لتوبة. قوله: [ثقل جزاء] ﴿أمره﴾ أي لأن إخراج المال ثقيل على النفس، والصوم فيه إنهاك للبدن فهو ثقيل أيضاً.

قوله: ﴿عفا الله عما سلف﴾ أي لا يؤاخذ به، فلا يرد أن ما قبل التحريم لا ذنب في قتله. قوله: ﴿فينتقم الله منه﴾ أي يعاقبه. قوله: [فيما ذكر] أي في لزوم الجزاء، وإن كان لا إثم فيه. قوله: [الخطأ] أي والغلط والنسيان. قوله: [كالسمك] أي وغيره من دواب البحر، وإن كان على صورة آدمي أو خنزير. قوله: [كالسرطان] أي والضفدع

يتزودونه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾: وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾: فلو صاده حلال فللمحرم أكله كما بينته السنة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٩٦ جعل الله ﴿الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: المحرم ﴿قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾: يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه وفي قراءة: قيماً بلا ألف مصدر قام غير معل ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: بمعنى الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة

والتمساح. قوله: [وهو ما يعيش فيه] الأولى ما لا يعيش إلا فيه. قوله: [من الوحش] استثنى الشارع الفارة والحية والعقرب والكلب العقور والحدأة والعادي من السباع. قوله: [فلو صاده حلال] أي لنفسه أو لحلال، وأما ذبحه لمحرم من غير دلالة من المحرم عليه فميتة عند مالك، وعند الشافعي ليس بميتة. قوله: [كما بينته السنة] أي كما روي عن أبي قتادة الأنصاري قال: كنت جالساً مع رجال أصحاب النبي ﷺ في منزل في طريق مكة، ورسول الله ﷺ أمامنا، والقوم محرمون، وأنا غير محرم، وذلك عام الحديبية، فأبصروا حماراً وحشياً، وأنا مشغول أخصف النعل، فلم يؤذنوني وأحبوا لو أبصرته، فالتفت فأبصرته، فقمت إلى الفرس فأسرجته ثم ركبت، ونسيت السوط والرمح، فقلت لهم: ناولوهما لي، فقالوا: لا والله لا نعينك عليه، فغضبت ونزلت فأخذتهما ثم ركبت، فشددت على الحمار فعقرته، ثم جئت به وقد مات، فوقعوا فيه يأكلون، ثم إنهم شكوا في أكلهم إياه وهم حرم، فرحنا وخبأت العضد، فأدركنا رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال: هل معكم شيء منه؟ فقلت نعم، فناولته العضد فأكل منها وهو محرم، زاد في رواية أن النبي قال لهم إنما هي طعمة أطعمكموها الله. قوله: ﴿الذي إليه تحشرون﴾ أي لا إلى غيره، فلا أحد غير الله يلتجأ إليه حتى يتوهم الفرار من وعيد الله.

قوله: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ يحتمل أن جعل بمعنى صيّر، فيكون قوله الكعبة مفعول أول، وقياماً مفعول ثاني، ويحتمل أنها بمعنى خلق فيكون قياماً حالاً، والبيت الحرام عطف بيان على الكعبة. إن قلت. . إن عطف البيان إنما يكون مبيناً أو موضحاً، وهنا ليس كذلك، إذ من المعلوم أن الكعبة هي البيت الحرام. أجيب بأنه للإحتراز عن بيت خثعم الذي سموه الكعبة اليمانية، فهو هنا للتوضيح لدفع الالباس بغيره. وأجيب أيضاً بأنه جيء به لمجرد المدح، إذ الكعبة عند العرب لا تنصرف إلا للبيت الحرام على حد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إذ من المعلوم أن الله هو رب العالمين. إن قلت: إن البيت جامد والمدح لا يكون إلا بمشتق. أجيب بأنه وصف بمشتق وهو الحرام، والكعبة لغة بيت مربع، فسميت الكعبة لذلك.

قوله: ﴿قياماً﴾ أصله قواماً وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء. قوله: [بالحج إليه] أي فهو أحد أركان الدين، فلا يكمل إلا به، لأن من أتى بأركان الدين ما عداه مع القدرة عليه، فلم يكمل دينه، وقد حرم نفسه من الرحمات المشار إليها بقوله ﷺ «ينزل من السماء كل يوم وليلة مائة وعشرون رحمة، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين». قوله: [بأمن داخله] أي الحرم لا خصوص الكعبة. قوله: [وعدم التعرض له] أي للداخل عاقلاً أو غيره. قوله: [وجبي ثمرات كل شيء إليه] أي نقلها له وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حين قال ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وقال تعالى في مقام الامتنان ﴿يجبي إليه ثمرات كل شيء﴾. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [قيما] أي على وزن عنب. قوله: [مصدر قام] أي أيضاً إذ قياماً مصدر له أيضاً. قوله: [غير معل] أي الآن بقلب واوه ياء، فلا ينافي أن أصله معل وهو قياما، فالياء الثابتة في قياما هي الموجودة في قيما غير أن ألفه حذفت، فيلاحظ أن قيماً فرع عن قياما، فلم يحصل فيه تغير إلا حذف الألف.

قوله: ﴿والشهر الحرام﴾ معطوف على الكعبة، وأل فيه للجنس فيشمل الأشهر الأربعة، ولهذا أشار المفسر

والمُحَرّم ورجب قِياماً لهم بأمنهم القتال فيها ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾: قِياماً لهم بأمن صاحبهما من التعرّض له ﴿ذَٰلِكَ﴾: الجعل المذكور ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٩٧: فإنّ جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ ٩٨: بهم ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾: الإبلاغ لكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تظهرون من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ٩٩: تخفون منه فيجازيكم به ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾: الحرام ﴿وَالطَّيِّبُ﴾: الحلال ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾: أي سرّك ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في تركه ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ١٠٠: تفوزون. ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ

بقوله: [يعني الأشهر الخ]. قوله: [قياماً] قدره إشارة إلى أنه محذوف من الثاني لدلالة الأول عليه. قوله: [بأمنهم القتال فيها] أي فكانت العرب يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، إلا في الأشهر الحرم. قوله: ﴿والهدي﴾ أي فهو من مصالح الدين لجبره نقص الحج، والدنيا لحصول البركة فيما بقي من ماله بسبب إنفاقه الهدي في سبيل الله، وهكذا كل صدقة بها مصالح الدين بتكفير الذنوب، ومصالح الدنيا بنمو المال، ووقاية صاحبها مصارع السوء. قوله: ﴿والقلائد﴾ أي التي كانوا يقلدون بها أنفسهم إذا خرجوا من مكة لمصالحهم، فكانوا يأخذون من شجر الحرم شيئاً ويضعونه في عنقهم إذا خرجوا، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

قوله: ﴿ذلك لتعلموا﴾ اسم الاشارة مبتدأ، ولتعلموا خبره، وأنّ واسمها وخبرها في محل نصب سدّت مسد مفعولي تعلموا. قوله: ﴿وأن الله بكل شيء عليم﴾ معطوف على أنّ الأولى من عطف العام على الخاص. قوله: [فإن جعله ذلك] أي المتقدم ذكره وهو الكعبة والشهر الحرام والهديُ والقلائد. قوله: [لجلب المصالح] علة لما قبله، وقوله: [دليل الخ] خبر إن. قوله: [وما هو كائن] أي الآن أو في المستقبل. قوله: ﴿شديد العقاب﴾ [لأعدائه] أي الذين بطروا نعمته، وسماهم أعداء لمخالفتهم أمره، فكل من خالفه فهو كالعدو له، والمعنى يعامله معاملة العدو. قوله: [لأوليائه] أي أحبابه الذين يشكرون نعمه، وإنما قدم شديد العقاب لأنه تقدم ذكر النعم، فحذر من الاغترار بها والطغيان فيها لأن الفقر مع الشكر خير من الغنى مع البطر.

قوله: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ هو بالرفع فاعل لفعل محذوف، أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والمعنى ليس على الرسول إلا تبليغ أمر دينكم لا جزاؤكم. قوله: [الابلاغ] أشار بذلك إلى أنه استعمل مصدر المجرد موضع المزيد في الآية لمزيد البلاغة، لأن زيادة البنية تدل على زيادة المعنى، ففيه الإشارة إلى أنه بلغ البلاغ الكامل. قوله: [فيجازيكم به] أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ معطوف على محذوف تقديره هذا إذا لم يعجبك بل ولو أعجبك، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يستويان، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، والمقصود من ذلك أمره ﷺ أن يخاطب بذلك أمته، فليس الخطاب له، لأنه قد زهد الحلال، فضلاً عن كونه يعجبه كثرة الحرام.

قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ [في تركه] أي ولا تتعرضوا لأخذ الحرام، فإنه يورث غضب الله، ولا لأخذ الشبهات أيضاً، فإنها تورث قسوة القلب. قوله: [تفوزون] أي تظفرون برضا الله، فإن العز كل العز للمتقي. قوله: [ونزل لما أكثروا

---

* أسباب نزول الآية ١٠٠: قوله تعالى: ﴿قل لا يستوي﴾ الآية. أخرج الواحدي والأصبهاني في الترغيب عن جابر أن النبي ﷺ ذكر تحريم الخمر، فقام أعرابي فقال: إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي فاعتقبت منها مالاً فهل ينفع ذلك المال إن عملت بطاعة الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: إن الله لا يقبل إلا الطيب، فأنزل الله تعالى تصديقاً لرسوله ﷺ ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ الآية.
* أسباب نزول الآية ١٠١: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا﴾ الآية، روى البخاري عن أنس بن مالك قال: خطب النبي ﷺ خطبة =

أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ﴾ تظهر ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾: لما فيها من المشقة ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾: أي في زمن النبي ﷺ ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾: المعنى إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها ومتى أبداها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾: عن مسألتكم فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٠١ قَدْ سَأَلَهَا﴾: أي الأشياء ﴿قَوْمٌ مِنْ

سؤاله] أي عن أمور لو أجابهم عنها لشق عليهم، وعن أمور لو أجابهم بها لساءتهم. فالأول كسؤالهم عن الحج، هل هو واجب في العمر مرة أو كل عام مرة؟ والثاني كسؤال رجل عن أبيه بعد موته أين هو؟ فقال له رسول الله ﷺ: إنه في النار.

قوله: ﴿عن أشياء﴾ أصله شيئاء على وزن فعلاء، كحمراء استثقلت العرب النطق في كلمة يكثر استعمالها بألف بين همزتين، خصوصاً قبل الهمزة الأولى ياء فقلبوها قلباً مكانياً، فقدموا الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة قبل الشين فصار وزنه لفعاء، وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة. قوله: [لما فيها من المشقة] علة لقوله: ﴿تسؤكم﴾ والمشقة إما لحصول التكليف بها، أو لحصول الاساءة والفضيحة بها ففي الحديث «إن الله أحل لكم أشياء وحرم أشياء وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها».

قوله: ﴿وإن تسألوا عنها﴾ إن حرف شرط، وتسألوا فعل الشرط، وعنها متعلق بتسألوا، والضمير عائد على الأشياء المتقدمة، وقوله: ﴿حين ينزل القرآن﴾ ظرف متعلق بتسألوا، وقوله: ﴿تبد لكم﴾ جواب الشرط. قوله: [المعنى إذا سألتم الخ] حاصل ما أفاده المفسر أن هنا جملتين شرطيتين ونهي، فالأصل تأخير النهي عن الجملتين، وتأخير الجملة الأولى عن الثانية، وإنما قدم النهي ونتيجته وهي الاساءة اعتناء بزجر عباده، وهذا التقديم والتأخير باعتبار المعنى، وإلا فالواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً. قوله: [إذا سألتم عن أشياء] هو معنى الجملة الثانية، وقوله: [متى أبداها ساءتكم] هو معنى الجملة الأولى، وقوله: [فلا تسألوا عنها] هو معنى النهي، وما ذكره المفسر أحد الاحتمالات في الآية وهو أحسنها. قوله: ﴿عفا الله عنها﴾ أي لم يؤاخذكم بذلك. قوله: [عن مسألتكم] أي عن جوابها، والمعنى لم يجبكم بالتشديد مع استحقاقكم إياه بالسؤال عما لا يعنيكم، فضلاً منه ولطفاً بكم. قوله: [فلا تعودوا] أي لمثل هذه الأسئلة.

قوله: ﴿والله غفور حليم﴾ في معنى العلة لقوله ﴿عفا الله عنها﴾ أي عفا عنها، لأنه غفور يستر الذنوب ويمحوها، حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. قوله: ﴿قد سألها﴾ هذا امتنان من الله تعالى على هذه الأمة، حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم، رحمة منه وزجراً لهم عن وقوع مثل ذلك منهم. قوله: [أي الأشياء] أي نوع الأشياء وهو ما فيه الإساءة، كسؤال قوم صالح أن يأتي لهم من الجبل بناقة، وكسؤال قوم عيسى المائدة، وكسؤال قوم موسى رؤية الله جهرة، فأجاب سؤالهم بالتشديد عليهم في التكاليف فخالفوا فحل بهم ما حل من العذاب، وإنما قال هنا قد

= فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ الآية. وروي أيضاً عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء﴾ حتى فرغ من الآية كلها.

وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة، وروى أحمد والترمذي والحاكم عن علي قال: لما نزلت ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ قالوا يا رسول الله في كل عام؟ فسكت، قالوا يا رسول الله في كل عام؟ قال لا، ولو قلت: نعم لوجبت، فأنزل الله ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾.

وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة وأبي أمامة وابن عباس قال الحافظ ابن حجر: لا مانع أن تكون نزلت في الأمرين، وحديث ابن عباس في ذلك أصح إسناداً.

﴿قَبْلِكُمْ﴾: أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾: صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ ١٠٢: بتركهم العمل بها ﴿مَا جَعَلَ﴾: شرع ﴿ٱللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾: كما كان أهل الجاهلية يفعلونه روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل عليه فلا يحمل عليه شيء وسموه الحامي ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٣: أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: أي إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾: كافينا ﴿مَا

سألها ولم يقل عنها إشارة إلى أن السؤال كما يتعدى بالحرف يتعدى بنفسه. قوله: [بيان أحكامها] أي أحكام الأشياء التي سألوها مع التشديد عليهم. قوله: [بتركهم العمل] أشار بذلك إلى أن الكفر إنما هو بترك العمل لا بنفس تلك الأشياء، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿ما جعل الله﴾ رد إبطال لما كان عليه الجاهلية. قوله: [شرع] أن قلت إنه لم يرد في اللغة جعل بمعنى شرع، فالمناسب أن يفسرها بصير، ويكون المفعول الثاني محذوفاً، والتقدير مشروعة. قوله: ﴿من بحيرة﴾ من زائدة في المفعول، ووجد شرطها، وهو كون مدخولها نكرة في سياق نفي. قوله: [درها] أي لبنها، وقوله: [للطواغيت] أي خدمتها وهذا أحد أقوال في تفسير البحيرة وما بعدها وهو أصحها، وقيل البحيرة هي الناقة متى تنتج خمسة أبطن في آخرها ذكر، فتشق أذنها وتترك، فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء، وإذا لقيها الضعيف لم يركبها، وقيل هي الأنثى الخامسة في النتاج، وقيل هي بنت السائبة، وسبب هذا الاختلاف اختلاف العرب في البحيرة، فبعضهم يطلقها على واحد من الأمور المتقدمة، وبعضهم على واحد آخر منها وهكذا. قوله: [والسائبة كانوا الخ] وقيل هي الناقة تنتج عشر إناث، فلا تركب ولا يشرب لبنها إلا ضعيف أو ولد، وقيل هي الناقة تترك ليحج عليها حجة. قوله: [والوصيلة الناقة البكر الخ] وقيل هي الشاة التي تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين، فإذا ولدت في آخرها عناقاً وجدياً قيل وصلت أخاها فجرت مجرى السائبة وقيل هي الشاة تنتج سبعة أبطن، فإذا كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً ذبحوه وأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فيتركونها معه، فلا ينتفع بها إلا الرجال دون النساء، وقالوا خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا، وقيل هي الشاة تنتج عشر إناث متواليات في خمسة أبطن، ثم ما ولدت بعد ذلك فللذكور دون الاناث، وقيل غير ذلك. قوله: [والحام فحل الإبل] وقيل هو الفحل ينتج له سبع اناث متواليات فيحمي ظهره، وقيل هو الفحل الذي ينتج من بين أولاده ذكورها وإناثها عشر اناث، وقيل غير ذلك، وقد علمت أن اختلاف تلك الأقوال لاختلاف اصطلاح الجاهلية فيها، ولم يجعل الله سبحانه وتعالى شيئاً منها في دين الإسلام على جميع الأقوال. قوله: [الضراب المعدود] أي وهو عشر مرات ينشأ عن كل مرة حمل.

قوله: ﴿ولكن الذين كفروا﴾ أي علماؤهم، وقوله: ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾ أي عوامهم، فهم كالأنعام بل هم أضل. قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ الضمير عائد على قوله وأكثرهم الذين هم عوامهم، والقائل يحتمل أنه النبي ﷺ أو أصحابه. قوله: ﴿تعالوا﴾ فعل أمر بمعنى أقبلوا، وأصله تعالوون، تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فصار

﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: من الدين والشريعة قال تعالى ﴿أَ﴾: حسبهم ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: إلى الحق والاستفهام للإنكار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لَا

تعالاون التقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما، وحذفت النون لأن فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه وهو يجزم بحذف النون، وهو بفتح اللام لكل مخاطب ولو أنثى، قال تعالى ﴿فتعالين﴾ قوله: ﴿إلى ما أنزل الله﴾ أي إلى الذي أنزله الله وهو القرآن، وقوله: ﴿وإلى الرسول﴾ معطوف على ما، أي وتعالوا إلى الرسول، أي ليبين لكم أحكام الله. قوله: [أي إلى حكمه] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وإلى الرسول﴾ على حذف مضاف، وقوله: [من تحليل ما حرمتم] بيان لحكمه، وهو البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ومثل ذلك في الحرمة ما يفعله بعض سفهاء العوام، من كونهم يرسلون عجلاً أو شاة على اسم ولي من الأولياء تأكل من أموال الناس ولا يتعرض لها أحد، فإذا نصحهم انسان وقال لهم إن ذلك حرام أساؤوا به الظن وقالوا انه لا يحب الأولياء، فإذا اعتقدوا أن ذلك قربة وطاعة فقد كفروا، وإلا فهو من جملة المحرمات ويحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون.

قوله: ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا﴾ حسبنا مبتدأ وما وجدنا خبره. قوله: ﴿أ﴾ [حسبهم ذلك] ﴿ولو كان﴾ الخ الواو في أو لو للحال، والهمزة الانكار الواقعة قبلها داخلة على محذوف قدره المفسر والمعنى أكافيهم دين آبائهم ولو كانوا الخ، ويصح أن تكون للعطف على جملة شرطية مقدرة قبلها، والتقدير أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم يعلمون شيئاً ويهتدون، بل ولو كانوا لا يعلمون الخ نظير أحسن إلى فلان وإن أساء إليك، أي أحسن إليه في حال عدم اساءته، بل ولو في حال اساءته. قوله: ﴿لا يعلمون شيئاً﴾ عبر هنا بيعلمون، وفي البقرة بيعقلون، وقال هنا ما وجدنا، وهناك ما ألفينا تفنناً. قوله: [للإنكار] أي والتوبيخ.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ قيل انه مرتبط بما قبله فيكون قوله لا يضركم من ضل يعني من أهل الكتاب، والمعنى أن الله كلفنا بقتال الكفار حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية، فإذا أدوها كففنا أنفسنا عنهم ولا يضرنا كفرهم، وقيل مستأنفة نزلت في العصاة، فالمعنى عليك بحفظ نفسك ولا تتعرض لغيرك، فلا يضرك ضلال من ضل. إن قلت: ان هذا يوهم أن المدار على هدى الإنسان في نفسه، ولا يلزمه الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، وهو خلاف النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث النبوية. وأجيب: يحمل ذلك على من عجز عن ذلك، وإلى هذين القولين أشار المفسر فيما يأتي بقوله قيل المراد الخ، وفي الحقيقة المراد ما هو أعم، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به وترك ما نهاه عنه فلا يضره مخالفة من خالف.

قوله: ﴿عليكم أنفسكم﴾ بنصب أنفسكم على الإغراء، لأن عليكم اسم فعل بمعنى الزموا، والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنتم، والمعنى الزموا حفظ أنفسكم وهدايتها ووقايتها من النار، والكاف في عليكم ونظيره من أسماء الأفعال كإليك ولديك قيل في محل جر بعلى بحسب الأصل، وقيل في محل نصب ولا وجه له، وقيل في محل رفع توكيد للضمير المستتر، وذهب ابن بابشاذ إلى أنها حرف خطاب، وقرىء شذوذاً برفع أنفسكم، وخرجت على أحد وجهين: الأول كونها مبتدأ وعليكم خبر مقدم، والمعنى على الاغراء على كل حال، فإن الاغراء جاء بالجملة الابتدائية، ومنه قراءة بعضهم ﴿ناقة الله وسقياها﴾. والرفع الثاني أنه توكيد للضمير المستتر في عليكم وإن كان خلاف القياس لأن القياس لا يؤكد بالنفس الضمير المتصل إلا بعد الضمير المنفصل لقول ابن مالك:

وإن تؤكد الضمير المتصل ... بالنفس والعين فبعد المنفصل

يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾: قيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب وقيل المراد غيرهم لحديث أبي ثعلبة الخشني سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك» رواه الحاكم وغيره ﴿إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ١٠٥ فيجازيكم به ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾: أي أسبابه ﴿حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾: خبر بمعنى الأمر أي ليشهد وإضافة شهادة لبين على الاتساع وحين بدل من إذا أو

قوله: ﴿وقيل المراد غيرهم﴾ أي غير أهل الكتاب من العصاة، ليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قد ورد أن الصديق قال يوماً على المنبر: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها في غير موضعها، ولا تدرون ما هي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه عمهم الله بعقاب، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ولا تغتروا بقول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ فيقول أحدكم علي نفسي، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم» وعنه ﷺ قال: «ما من قوم عمل فيهم منكر وسن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم». وقال الصديق أيضاً إن هذه الآية تعدونها رخصة، والله ما أنزل آية أشد منها. قوله: [سألت عنها] أي عن هذه الآية، وقوله: [فقال] أي في بيان معناها. قوله: [شحاً مطاعاً] الشح نهاية البخل، وقوله مطاعاً أي يطيعه صاحبه. قوله: [وهوى] بالقصر ما تميل إليه النفس من القبائح. قوله: [متبعاً] أي يتبعه صاحبه. قوله: [ودنيا مؤثرة] بهمزة ودونها، أي يقدمها صاحبها على الآخرة. قوله: [وإعجاب كل ذي رأي برأيه] أي فلا يعجبه رأي غيره، ولا يقبل نصيحته، زاد الخازن في تلك الرواية بعد قوله فعليك بنفسك. ودع العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، فمن صبر فيهن قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم اهـ. قوله: ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ فيه وعد لمن أطاع ووعيد لمن اغتر وعصى.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ لما بين سبحانه ما يتعلق بمصالح الدين شرع يبين ما يتعلق بمصالح الدنيا، إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له أن يضبط مصالح دينه ودنياه لأنه مكلف بحفظهما. قوله: ﴿شهادة﴾ مبتدأ، وبينكم مضاف إليه، وإذا ظرف بشهادة، وحضر فعل ماض، وأحدكم مفعول مقدم، والموت فاعل مؤخر، وحين بدل من الظرف قبله، وقوله اثنان خبره. إن قلت: إن الذات لا يخبر بها عن المعنى ولا عكسه. أجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، أما في الأول تقديره ذوا شهادة أحدكم اثنان أو في الثاني تقديره شهادة اثنين، وقوله ذوا عدل صفة لاثنان، والعدل هو الذكر البالغ العاقل غير مرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة وغير مصر على صغيرة غيرها. قوله: [خبر بمعنى الأمر] أي فهي جملة

---

* أسباب نزول الآية ١٠٦: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ الآية، روى الترمذي وضعفه وغيره عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ قال: بريء الناس منها غيري وغير عدي بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة، فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء، فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأتيت أهله فخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم واخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه فحلف فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ إلى قوله ﴿أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل فحلفا، فنزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بداء.

«تنبيه» جزم الذهبي بأن تميماً النازل فيه غير تميم الداري، وعزاه لمقاتل بن حيان. قال الحافظ ابن حجر: وليس يجيد للتصريح في هذا الحديث بأنه الداري.

ظرف لحضر ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: أي غير ملتكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا﴾: توقفونهما صفة آخران ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ﴾: أي صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾: يحلفان ﴿بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: شككتم فيها ويقولان ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾: بالله ﴿ثَمَنًا﴾: عوضاً نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كذباً لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: المقسم له أو المشهود له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: قرابة منه ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾: التي أمرنا بها ﴿إِنَّا إِذًا﴾: إن كتمناها ﴿لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ ١٠٦ ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: اطلع بعد حلفهما ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾: أي فعلا ما يوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة بأن وجد عندهما مثلاً ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما

خبرية لفظاً إنشائية معنى. قوله: [أي ليشهد] بضم الياء من أشهد الرباعي، وتلك الشهادة يحتمل أن تكون حقيقة، واشتراط العدالة ظاهرة، ويحتمل أن المراد بالشهادة الوصية، والمعنى إذا حضر أحدكم الموت فليوص اثنين، وعلى هذا فاشتراط العدالة من حيث الوصية، أي كونه عدلاً في الوصية، بأن يحسن التصرف فيما ولي عليه، وأما كونهما اثنين فشرط كمال، ولكون سبب النزول كذلك كما سيأتي. قوله: [على الاتساع] أي التسمح والتجوز، وكان حقها أن تضاف إلى الأموال، وإنما أضيفت إلى البين لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين. قوله: [بدل من إذا] أي فكل منهما ظرف للشهادة، وقوله: [أو ظرف لحضر] أي فقوله إذا ظرف للشهادة، أي فعلى هذا تغاير متعلق الظرفين.

قوله: ﴿أو آخران﴾ معطوف على اثنان، أي فإن لم يجد العدلين لكون رفقته في السفر كفاراً كما هو سبب النزول فليشهد أو يوص آخرين، وحاصله لأجل اتضاح المعنى أن بزيلا السهمي مولى عمرو بن العاص وقيل بديل بالدال، وعدي بن بداء، وتميماً الداري سافروا من المدينة إلى الشام بتجارة، فحضرت بزيلا السهمي الوفاة وكان مسلماً، وعدي وتميم نصرانيان، فكتب متاعه في وثيقة، ومن جملة ما كتب في الوثيقة: جام من الفضة قدره ثلثمائة مثقال مخوص بالذهب، وأمرهما أن يسلما متاعه لورثته، ثم قضي عليه، ففتشا متاعه فوجدا ذلك الجام فأخذاه وباعاه بألف درهم، فلما حضرا سلما متاعه لورثته فوجدوا فيه صحيفة مكتوباً فيها جميع المتاع، ومن جملته جام من فضة، ففتشوا عليه فلم يجدوه، فجاؤوهما فقالوا لهما صاحبنا قد تمرض وأنفق على نفسه، قالا لا، قالوا: فهل باع من متاعه شيئاً، قالا: لا قالوا فأين الجام؟ قالا لا علم لنا به، فارتفع أقارب بزيل إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بالواقعة، فأحضر عديا وتميما فسألهما عنه فقالا لا علم لنا به، فنزلت الآية، فأحضرهما بعد صلاة العصر عند المنبر وحلفهما، ثم بعد ذلك ظهر الجام، قيل بمكة مع رجل وقيل بيدهما، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فنزلت الآيتان الأخيرتان، فأحضر رسول الله عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة وحلفهما، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا، فأعطي الجام لهما.

قوله: ﴿إن أنتم﴾ شرط في المعطوف، وقوله أنتم فاعل بفعل محذوف يفسره قوله: ﴿ضربتم﴾ فجملة ضربتم لا محل لها من الإعراب، لأنها مفسرة للمحذوف، وقوله: ﴿فأصابتكم﴾ معطوف على ضربتم. قوله: [صفة آخران] أي وجملة الشرط، وجوابه معترضة بين الصفة والموصوف. قوله: [أي صلاة العصر] أي فأل للعهد لأن وقت العصر معظم في جميع الملل، وإنما كان معظماً لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار. قوله: ﴿إن ارتبتم﴾ شرط في تحليفهما. قوله: [ويقولان] ﴿لا نشتري﴾ الخ، بيان لكيفية يمينهما. قوله: [بأن نحلف به أو نشهد الخ] أشار بذلك إلى قولين: قيل قالا لا علم لنا به، وقيل قالا أوصى به لغيركم وأعطيناه له، وسياق الآية في يمينهما يشهد للثاني. قوله: [كاذباً] المناسب كذبا.

قوله: ﴿ولا نكتم﴾ معطوف على لا نشتري. قوله: [بأن وجد عندهما] أي وقيل عند رجل مكي باعاه له بألف

به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾: الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران ﴿ٱلْأَوْلَيَانِ﴾: بالميت أي الأقربان إليه وفي قراءة الأولين جمع أول صفة أو بدل من الذين ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾: على خيانة الشاهدين ويقولان ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾: يميننا ﴿أَحَقُّ﴾: أصدق ﴿مِن شَهَادَتِهِمَا﴾: يمينهما ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَا﴾: تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ ١٠٧: المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه فإن ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره فإن اطلع على أمارة تكذيبهما فادعيا دافعاً له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي ما رواه البخاري أن رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء أي وهما نصرانيان فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقال: ابتعناه من تميم وعدي فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا وفي رواية الترمذي فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه وفي رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقي ﴿ذَٰلِكَ﴾: الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقرب إلى ﴿أَن يَأْتُوا﴾: أي الشهود أو الأوصياء ﴿بِٱلشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾: الذي

درهم كما سيأتي. قوله: [وادعيا أنهما ابتاعاه الخ] إشارة لوجهين في دعواهما، وسيأتي الثالث في قوله ودفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به. قوله: ﴿من الذين استحق عليهم﴾ أي لهم ونائب الفاعل قدره المفسر بقوله الوصية أي الايصاء. قوله: ﴿الأوليان﴾ تثنية أولى بمعنى أقرب كما قال المفسر. قوله: [جمع أول] بمعنى أسبق وهي بمعنى أسبق، وهي بمعنى القراءة الأولى من حيث أنهم أقارب الميت. قوله: ﴿فيقسمان﴾ عطف على ﴿يقومان﴾. قوله: [يميننا] أي فالمراد بالشهادة اليمين.

قوله: ﴿وما اعتدينا﴾ هذا من جملة اليمين. قوله: [المعنى] أي معنى الآيتين. قوله: [أو يوصي] إشارة إلى التفسير الثاني. قوله: [إن فقدهم] أي أهل دينه. قوله: [بأخذ شيء] أي وقد ادعيا أنهما اشترياه من الميت أو أنه أوصى لهما به. قوله: [دافعاً له] أي لما الشهود ادعى عليهما به من الخيانة. قوله: [منسوخ في الشاهدين] أي عند من يشترط الشاهد في الإسلام، ولو عند فقد المسلمين، وأما عند من لم يشترط ذلك عند الفقد فلا نسخ. قوله: [للتغليظ] أي لأن اليمين تغلظ بالزمان ككونها بعد العصر، والمكان ككونها في المسجد في الحقوق المهمة من الأموال وغيرها. قوله: [وتخصيص الحلف في الآية باثنين] أي مع أنه يصح من واحد أو أكثر ممن يظن به العلم من المستحقين. قوله: [أن رجلاً] تقدم أن اسمه بزيل وقيل بديل بالزاي أو الدال. قوله: [مع تميم] أي وقد أسلم بعد ذلك، وصار من مشاهير الصحابة، وكان يحدث بالواقعة. قوله: [وعدي بن بداء] ولم يثبت إسلامه، وبداء بفتح الموحدة والدال المشددة بعدها ألف ثم همزة. قوله: [جاماً] الجام في الأصل الكأس، ولكن المراد به هنا إناء كبير من فضة وزنه ثلثمائة مثقال. قوله: [مخوصاً بالذهب] أي منقوشاً به. قوله: [فأحلفهما] أي بعد العصر عند المنبر. قوله: [فقال] أي الرجل، وقوله: [ابتعناه] أي بألف درهم. قوله: [فقام رجلان] سيأتي في الرواية الأخرى اسم أحدهما وهو عمرو بن العاص، والثاني هو المطلب بن وداعة. قوله: [من رد اليمين على الورثة] أي توجهها عليهم بعد أن حلف تميم وعدي وظهر كذبهما.

تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْ﴾: أقرب إلى أن ﴿يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بترك الخيانة والكذب ﴿وَاسْمَعُوا﴾: ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ١٠٨: الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير. اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾: لهم توبيخاً لقومهم ﴿مَاذَا﴾: أي الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾: به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾: بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ١٠٩: ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكتون. اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ

قوله: ﴿أن يأتوا﴾ المقام للتثنية، وكذا قوله: ﴿أو يخافوا﴾ أيضاً وإنما جمع لأن المراد ما يعم الشاهدين المذكورين وغيرهما، وإنما ردت اليمين على الوارث، مع أن حقها أن تكون من الوصيين لا غير، لأنه مدعى عليهما، إما لظهور خيانتهما فبطل تصديقهما باليمين، أو لتغير الدعوى أي انقلابها لأنه صار المدعي عليه مدعياً حيث ادعى الملك. قوله: [فلا يكذبوا] أي فلا يأتوا باليمين كاذبة، والمعنى أنه إنما شرع الله رد اليمين على الورثة في مثل هذه الواقعة، ليتحفظ الشاهد أو الوصي من اليمين الكاذبة أو يتقي على حصول الفضيحة. قوله: [إلى سبيل الخير] متعلق بيهدي، وفي بعض النسخ إلى سبيل الشر، فيكون متعلقاً بالخارجين.

- تنبيه - ما كتبناه في تفسير تلك الآيات الثلاث هو جهد المقل، وإلا فلم يزل العلماء يستشكلونها، إعراباً وتفسيراً وأحكاماً، وقالوا إنها من أصعب آي القرآن وأشكله.

قوله: [اذكر] قدره المفسر إشارة إلى أن يوم ظرف متعلق بمحذوف. قوله: ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ أي الثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر، أو خمسة، والحق أنه لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى. قوله: ﴿فيقول﴾ مقتضى الآية أنه يجمعهم في سؤال واحد، ولكن يرى كل واحد منهم أنه المسؤول لا غيره، وترى كل أمة أن رسولها هو المسؤول، ولا مانع من ذلك، فإن الله يحول بين المرء وقلبه. قوله: [توبيخاً لقومهم] دفع بذلك ما يقال: كيف يسأل الله الرسل مع أنه العالم بالحقيقة؟ فأجاب: بأن حكمة السؤال توبيخ الأمم على ما وقع منهم من الكفر والعصيان، وليس المقصود أن الله يعلم شيئاً لم يكن عالماً به من قبل، تنزه الله عن ذلك، يوضح هذا الجواب قوله تعالى ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ إلى أن قال ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾. قوله: [أي الذي] أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام مبتدأ، وذا اسم موصول خبر، وأجبتم صلته، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به، قال ابن مالك:

ومثل ماذا بعد ما استفهام ... أو من إذا لم تلغ في الكلام

قوله: [بذلك] أي بما أجبنا به. قوله: ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ علة لما قبله، أي فعلمنا في جانب علمك كل شيء، لأنك تعلم ما غاب عنا وما ظهر، وأما علمنا فهو قاصر على بعض ما ظهر. قوله: [وذهب عنهم علمه الخ] جواب عما يقال كيف يقولون لا علم لنا مع أنهم عالمون بذلك، فيلزم عليه الاخبار بخلاف الواقع. فأجاب: بأن في ذلك الوقت يتجلى الله بالجلال على كل أحد حتى ينسى الرسل العصمة والمغفرة، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وأما قوله تعالى ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ أي انتهاء، وأما في ابتداء الموقف فلشدة الهول يكونون جثياً على الركب يقولون رب سلم سلم ثم يحصل لهم ذهول ونسيان لما أجيبوا به، فإذا أمنوا وسكن روعهم شهدوا على أممهم فلا منافاة، وأجيب أيضاً: بأن معنى قولهم ﴿لا علم لنا﴾ تفويض الحكم والعلم لله تعالى، كأنهم يقولون: أنت الحكم العدل وهم

﴿يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾: بشكرها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قويتك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾: حال من الكاف في أيدتك ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾: أي طفلا ﴿وَكَهْلاً﴾: يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾: كصورة ﴿ٱلطَّيْرِ﴾: والكاف اسم بمعنى مثل مفعول ﴿بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾: بإرادتي ﴿وَتُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوتَىٰ﴾: من قبورهم أحياء ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾: حين هموا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿هَـٰذَا﴾: الذي جئت به ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ١١٠ وفي قراءة ساحر أي عيسى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ﴾: أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾: أي

عبيدك فلا علاقة لنا بهم، وأجيب أيضاً: بأن المراد نفي العلم الحقيقي، إذ هو لا يكون إلا لله تعالى، لأنه المطلع على السرائر والظواهر، وأما نحن فإنما نعلم منهم ما ظهر، وما ذكره المفسر من أن الأنبياء يحصل لهم الفزع ابتداء حتى يذهلوا عن جواب أممهم لهم ثم يسكنون أحد الطريقين، والطريق الثانية وعليها المحققون أن الرسل ومن كان على قدمهم آمنون ابتداء وانتهاء، وإنما الفزع والهول للكفار والفساق، وأما قول الرسل حينئذ نفسي نفسي لا أملك غيرها، فلا يقتضي حصول الفزع، وإنما معنى ذلك أنه يقول ليست الشفاعة العظمى لي وإنما هي لغيري، فلا أملك إلا نفسي، ولم يجعل الله لي الشفاعة العامة، وذهاب الأمم للرسل وردهم إياهم إنما هو إظهار لفضله ﷺ وذلك هو المقام المحمود، فالأحسن الجواب الثاني أو الثالث. قوله: [اذكر] قدره إشارة إلى أن إذ ظرف متعلق بمحذوف وليس متعلقاً بما قبله، لأن هذه قصة مستقلة.

قوله: ﴿يا عيسى ابن مريم﴾ يا حرف نداء، وعيسى منادى مبني على ضم مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر في محل نصب، وابن نعت له باعتبار المحل. قوله: ﴿اذكر نعمتي﴾ المقصود من ذلك توبيخ الكفرة حيث فرطوا في حقه وأفرطوا، وليس المراد تكليفه بالشكر في ذلك اليوم لانقطاع التكليف بالموت. قوله: [قويتك] ﴿بروح القدس﴾ أي فكان يسير معه حيث سار، يعينه على الحوادث التي تقع ويلهمه العلوم والمعارف. قوله: ﴿في المهد﴾ تقدم أن المهد فراش الصبي، ولكن المراد منه الطفولية، فتكلم بقوله ﴿إني عبد الله﴾ إلى آخر ما في سورة مريم. قوله: ﴿وكهلا﴾ إنما ذكر ذلك إشارة إلى أن كلامه على نسق واحد في ذكاء العقل وغزارة العلم. قوله: [كما سبق في آل عمران] الذي سبق له فيها أنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو سن الكهولة، لأن من الثلاثين للأربعين هو سن الكهولة، فقول الله تعالى ﴿وكهلا﴾ صادق بكلامه قبل الرفع وبعده، فلا يصح قوله هنا لأنه رفع قبل الكهولة، ولكن الذي تقدم لنا أنه بعث على رأس الأربعين كغيره، ومكث ثمانين بعد البعثة، ورفع وهو ابن مائة وعشرين سنة، فإذا نزل عاش أربعين، فيكون مدة عمره مائة وستين سنة، فيكون معنى قوله: ﴿في المهد وكهلا﴾ صغيراً أو كبيراً، فعلى هذا ليس في الآية دليل على نزوله، وإنما نزوله مأخوذ من غير هذا المحل. قوله: ﴿الكتاب﴾ أي الكتابة، وقوله: ﴿والحكمة﴾ أي العلم النافع، وقوله: ﴿والتوراة﴾ أي كتاب موسى ﴿والإنجيل﴾ كتابه هو، وهو ناسخ لبعض ما في التوراة، وهو مكلف بالعمل بما في التوراة، ما عدا ما نسخه الإنجيل منها، فيكون العمل بما في الإنجيل. قوله: ﴿كهيئة الطير﴾ تقدم أنه الخفاش. قوله: ﴿الأكمه﴾ هو من خلق من غير بصر.

قوله: ﴿وإذ تخرج الموتى﴾ تقدم أنه أحيا سام بن نوح ورجلين وامرأة قيل وجارية، فيكون جميع من أحياهم خمسة. قوله: [حين هموا] أي اليهود بقتلك، فرفعتك إلى السماء، وألقيت شبهك على صاحبهم فقتلوه. قوله: [الذي جئت به] أي ويحتمل أن الاسم الإشارة عائد على عيسى مبالغة على حد زيد عدل. قوله: [أمرتهم على لسانه] دفع بذلك

بأن ﴿آمِنوا بِي وبِرَسُولي﴾: عيسى ﴿قالُوا آمَنَّا﴾: بهما ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ ١١١: اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾: أي يفعل ﴿رَبُّكَ﴾: وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده أي تقدر أن تسأله ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَالَ﴾: لهم عيسى ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾: في اقتراح الآيات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ١١٢ ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾: سؤالها من أجل ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾: بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾: نزداد علماً ﴿أَن﴾: مخففة أي أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: في ادعاء النبوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾ ١١٣ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا﴾: أي يوم نزولها ﴿عِيداً﴾: نعظمه ونشرفه ﴿لِأَوَّلِنَا﴾: بدل من لنا

ما يقال إن الإيحاء لا يكون إلا للرسل، والحواريون ليسوا رسلاً، فأجاب بأن المراد بالوحي الأمر على لسان عيسى، وأجاب غيره بأن المراد بالوحي الإلهام على حد وأوحينا إلى أم موسى. قوله: ﴿أن آمنوا﴾ أن تفسيرية بمعنى أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

قوله: ﴿إذ قال﴾ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، وهو كلام مستأنف لا ارتباط له بما قبله لأن المقصود مما تقدم تعداد النعم على عيسى، والمقصود مما هنا إعلام هذه الأمة بما وقع لأمة عيسى من التعنت في السؤال وما ترتب عليه، وإن كان فيها نعمة لعيسى أيضاً، لكنها غير مقصودة بالذكر. قوله: ﴿الحواريون﴾ هم أول من آمن بعيسى. قوله: [أي يفعل] أي فأطلق اللازم وهو الاستطاعة، وأراد الملزوم وهو الفعل، ودفع بذلك ما يقال إن الحواريين مؤمنون، فكيف يشكون في قدرة الله تعالى، وشذ من قال بكفرهم كالزمخشري. قوله: [وفي قراءة] وهي سبعية أيضاً. قوله: [ونصب ما بعده] أي على التعظيم. قوله: [أي تقدر أن تسأله] أي فالكلام على حذف مضاف في هذه القراءة الثانية، والتقدير هل تستطيع سؤال ربك، وإنما قالوا ذلك خوفاً من أن تكون هذه المسألة كسؤال موسى الرؤية فلم تحصل، وكسؤال قومه الرؤية أيضاً فأخذتهم الصاعقة، وهذه القراءة للكسائي وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ بها وتقول جل الحواريون عن كونهم يشكون في قدرة الله تعالى.

قوله: ﴿مائدة﴾ هي ما يبسط على الأرض من المناديل ونحوها، وأما الخوان فهو ما يوضع على الأرض وله قوائم، وأما السفرة فهي ما كانت من جلد مستدير، فالخوان فعل الملوك، والمناديل فعل العجم، والسفرة فعل العرب، والمقصود هنا الطعام الذي يؤكل كان على خوان أو غيره، والمائدة إما من الميد وهو التحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام، وعليه فهي اسم فاعل على أصلها، أو من ماده بمعنى أعطاه فهي فاعلة بمعنى مفعولة أي معطاة. قوله: ﴿اتقوا الله﴾ أي تأدبوا في السؤال، ولا تخترعوا أموراً خارجة عن العادة، فإن الأدب في السؤال أن تسأل أمراً معتاداً، ومن هنا حرم العلماء الدعاء بما تحيله العادة. قوله: [في اقتراح الآيات] أي اختراعها. قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ جواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ﴿اتقوا الله﴾. قوله: ﴿أن نأكل منها﴾ قيل اقتياتاً وقيل تبركاً وهو المتبادر. قوله: [بزيادة اليقين] أي لأن الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين أقوى في الإيمان. قوله: [أي أنك] ﴿قد صدقتنا﴾ قدر المفسر اسم أن غير ضمير شأن وهو شاذ، فالمناسب أن يقول أي أنه لأن أن إذا خففت كان اسمها ضمير شأن. قوله: ﴿عليها﴾ متعلق بالشاهدين والمعنى ونكون من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها ليزداد من آمن بشهادتنا يقيناً وطمأنينة. قوله: ﴿قال عيسى﴾ أي حين أبدوا هذه الأمور، فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره وقال: اللهم ربنا الخ، وهذه الآداب لا تخص عيسى، بل ينبغي لكل داع فعلها لأن إظهار الذل والفاقة في الدعاء من أسباب الإجابة. قوله: [أي يوم نزولها] أي وقد نزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيداً. قوله: ﴿عيداً﴾ هو مشتق من العود وهو الرجوع لأنه يعود، وجمعه أعياد، وتصغيره عبيد، وكان قياسه أعواداً وعويداً، وإنما فعلوا ذلك فرقاً

بإعادة الجار ﴿وَآخِرِنَا﴾: ممن يأتي بعدنا ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾: على قدرتك ونبوتي ﴿وَارْزُقْنَا﴾: إياها ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ١١٤ ﴿قَالَ اللَّهُ﴾: مستجيباً له ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾: أي بعد نزولها ﴿مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ١١٥: فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾: أي يقول ﴿اللَّهُ﴾: لعيسى في القيامة

بينه وبين عود الخشب. قوله: [بدل من لنا] أي بدل كل من كل. قوله: ﴿وارزقنا﴾ أي انفعنا بها، وهو مغاير لما قبله لأنه لا يلزم من الإنزال انتفاعهم بها. قوله: ﴿وأنت خير الرازقين﴾ تتميم لما قبله على وجه الاستدلال، كأنه قال وارزقنا لأنك خير الرازقين، واسم التفضيل على بابه من حيث أن أسباب الرزق كثيرة والله خير من يأتي بالرزق لأنه الخالق والموجد له، وأما غيره فهو رازق باعتبار أنه متسبب في الرزق وجار على يديه. قوله: ﴿قال الله﴾ أي على لسان ملك أو إلهاماً له. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بعد﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. قوله: [بعد نزولها] إشارة إلى تقدير المضاف إليه. قوله: ﴿لا أعذبه﴾ الضمير عائد على العذاب، والمعنى لا يكون ذلك العذاب لأحد من العالمين من حيث شدته وقبحه، والجملة صفة لعذاباً. قوله: ﴿من العالمين﴾ أي عالمي زمانهم أو مطلقاً، والشدة في الدنيا والآخرة، لما قيل إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون. قوله: [فنزلت الملائكة] روي أنها نزلت سفرة حمراء مدورة وعليها منديل بين غمامتين: غمامة من فوقها، وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل، وقال: بسم الله خير الرازقين كلوا مما سألتم، فقالوا يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها، فقال معاذ الله أن آكل منها يأكل منها من سألها، فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال: كلوا من رزق الله لكم الهناء ولغيركم البلاء، فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة، وفي رواية سبعة آلاف وثلثمائة، فلما أتموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى توارت عنهم، ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلي إلا عوفي، ولا فقيراً إلا استغنى، وندم من لم يأكل منها، فمكثت تنزل أربعين صباحاً متوالية، وقيل يوماً بعد يوم. قوله: [عليها سبعة أرغفة الخ] هذه أشهر الروايات، وفي رواية خمسة أرغفة، على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد وسمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك، تسيل دسماً، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من أصناف البقول ما خلا الكراث، فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ قال ليس منهما، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية، وفي رواية نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء. قوله: [خبزاً ولحماً] جمع بأن اللحم لحم سمك. قوله: [فخانوا وادخروا الخ] أي فسبب مسخهم خيانتهم وادخارهم أي مع كفرهم، وفي رواية إن سبب مسخهم أنه بعد تمام الأربعين يوماً من نزولها، أوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتي هذه للفقراء دون الأغنياء، فتمارى الأغنياء في ذلك وعادوا الفقراء. قوله: [فمسخوا] أي فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلتهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير، فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعل يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل أربعة ثم هلكوا. قوله: ﴿وإذ قال الله﴾ معطوف على قوله: ﴿إذ قال الحواريون﴾ عطف قصة على قصة، وفي الحقيقة هو من أفراد سؤال الرسل فهو داخل تحت قوله ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ الخ، وإنما خصه بالذكر تقبيحاً وتشنيعاً عليهم لبشاعة عقيدتهم في نبيهم. قوله: [في القيامة] مشى المفسر والجمهور على أن ذلك القول إنما يقع يوم القيامة، وعلي فإذ بمعنى إذا، وقال بمعنى يقول، وإنما عبر بالماضي لاستواء الأزمان

توبيخاً لقومه ﴿يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ قَالَ﴾: عيسى وقد أرعد ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾: ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: خبر ليس ولي للتبيين ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا﴾ أخفيه ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾: أي ما تخفيه من معلوماتك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ١١٦ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾: وهو ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيباً أمنعهم مما يقولون ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: قبضتني بالرفع إلى السماء

في علمه حالها وماضيها ومستقبلها؛ لأنه أحاط بكل شيء علماً، فلذا أتى بالماضي الذي يدل على تحقق الحصول، وقيل: إن السؤال وقع في الدنيا بعد رفعه إلى السماء، وعليه فإذ، وقال على بابهما. قوله: [توبيخاً لقومه] جواب عما يقال: إن الله تعالى عالم بكل شيء، فلم كان هذا السؤال؟ فأجاب بأن المقصود منه توبيخ من كفر، وهذا يؤيد ما قاله الجمهور، ويضعف الاحتمال الثاني. قوله: ﴿من دون الله﴾ متعلق بمحذوف صفة لإلهين، أي إلهين كائنين من غير الله، فالله ثالثهما، وليس المعنى أن عيسى وأمه إلهان فقط، والله ليس بإله، فإنهم لم يقولوا ذلك. قوله: [قد أرعد] أي أخذته الرعدة حتى خرج من كل شعرة عين دم كما في رواية. قوله: [من الشريك وغيره] أي كالصاحبة والولد. قوله: ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ ما نافية، ويكون فعل مضارع، ولي جار ومجرور خبرها مقدم، وأن أقول في محل رفع اسمها مؤخر، وما اسم موصول وليس فعل ماض ناقص، واسمها مستتر هو عائد الموصول تقديره هو، وبحق خبرها، ولي للتبيين على حد سقياً لك ورعياً، والمعنى لا ينبغي ولا يجوز علي لأنك عصمتني أن أقول ما ليس حقاً منسوباً لي، وهذا أحسن الأعاريب. قوله: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ إن قلت: إن مدخول إن لا بد من كونه مستقبلاً، والقول والعلم متعلقهما ماض. أجيب: بأن الكلام على التقدير والمعنى أن يثبت أني قلته فقد تبين وظهر أن علمك متعلق به؛ لأنه يستحيل وقوع شيء لم يتعلق علم الله به، فحيث لم يتعلق علمه بما قال فلم يحصل ذلك منه؛ لأنه لا يقع شيء في ملكه إلا وهو عالم به. قوله: ﴿تعلم ما في نفسي﴾ ليست علم هنا عرفانية؛ لأن المعرفة تستدعي سبق الجهل فهي هنا على بابها، ومفعولها الثاني محذوف تقديره منطوياً وثابتاً، والنفس بمعنى الذات، والمعنى تعلم حقيقة ذاتي وما انطوت عليه. قوله: ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ أي لا أعلم حقيقة ذاتك وما احتوت عليه من الصفات، لأن من جهل ما قام بالذات فقد جهل الذات، فلا يعلم الله إلا الله، واعلم أنهم اختلفوا في إطلاق النفس على الله تعالى، فقيل لا يجوز إطلاقها عليه إلا في مقام المشاكلة، والحق أنه يجوز إطلاق النفس على الله من غير مشاكلة، إذ ورد إطلاقها في غير المشاكلة، قال تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة ويحذركم الله نفسه﴾ قوله: [أي ما تخفيه من معلوماتك] أي كذاتك وصفاتك، فإن معلومات الله منها ما هو ظاهر لنا كالحوادث، ومنها ما هو خفي عنا، ولا يحيط بجميع ذلك إلا الله تعالى. قوله: ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ دليل للدليل؛ لأن قوله: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ دعوى من عيسى ثم استدل عليها بقوله: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ ودليل هذا أنه علام الغيوب، وأكد هذه الجملة بأن والضمير المنفصل وصيغة المبالغة والجمع مع أل الاستغراقية. قوله: ﴿إلا ما أمرتني به﴾ هذا استثناء مفرغ، وما اسم موصول في محل نصب هي وصلتها بالقول. قوله: [وهو] ﴿أن اعبدوا الله﴾ أشار بذلك إلى أن قوله أن اعبدوا الله في محل رفع خبر لمحذوف تقديره وهو أن اعبدوا. قوله: ﴿وكنت عليهم شهيدا﴾ الجملة حالية. قوله: [أمنعهم مما يقولون] أي فلم تقع هذه المقالة منهم وهو بينهم وإنما ابتدعوها بعد رفعه. قوله: ﴿ما دمت فيهم﴾ ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إلى زمان وصلتها دام، ويجوز فيها التمام والنقصان، فإن كانت تامة كان معناها الإقامة، وفيهم متعلق بها وإن كانت ناقصة يكون قوله فيهم خبرها، فعلى الأول يصير المعنى وكنت عليهم شهيداً مدة إقامتي فيهم، وعلى الثاني وكنت عليهم شهيداً مدة دوامي مستقراً فيهم. قوله: ﴿فلما توفيتني﴾ يستعمل التوفي في أخذ الشيء وافياً أي كاملاً،

﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: الحفيظ لأعمالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾ ١١٧: مطلع عالم به ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾: أي من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾: وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾: أي لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ١١٨: في صنعه ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾: أي يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: في الدنيا كعيسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾: لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: بثوابه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ١١٩: ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾: أتى بما تغليباً لغير العاقل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٢٠: ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر.

والموت نوع منه، قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ وليس المراد الموت، بل المراد الرفع كما قال المفسر. قوله: [قبضتني بالرفع إلى السماء] حاصل ما في المقام أن هذه العقيدة، وقعت منهم بعد رفعه إلى السماء وتستمر إلى نزوله، ولم تقع منهم قبل رفعه، وأما بعد نزوله فلم يبق نصراني أبداً، بل إما الإسلام أو السيف، فتعين أن يكون معنى توفيتني رفعتني إلى السماء، ولو على القول بأن هذا السؤال واقع يوم القيامة، بل ذلك مما يؤيده تأمل. قوله: [أي لمن آمن منهم] دفع بذلك ما يقال أن المغفرة لا تكون للمشركين، فأجاب بأن المعنى وإن تغفر لمن آمن منهم، ولذا قال عيسى فيما تقدم: بأنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. قوله: ﴿يوم ينفع﴾ قرأ الجمهور برفعه من غير تنوين، وقرأ نافع بنصبه من غير تنوين، ونقل عن الأعمش النصب مع التنوين، وعن الحسن الرفع مع التنوين، فتوجيه القراءة الأولى أن هذا مبتدأ، ويوم خبره، وجملة ينفع الصادقين صدقهم في محل جر بإضافة يوم إليها، وكذا القراءة الثانية، غير أن الظرف مبني لإضافته إلى الجملة الفعلية، وهو مذهب الكوفيين، ومذهب البصريين أنه منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف خبره تقديره يقع يوم ينفع، وأما قراءة التنوين فالرفع على الخبرية والنصب على الظرفية كما قال البصريون، والجملة في محل رفع على الأول أو نصب على الثاني صفة لما قبلها. قوله: ﴿الصادقين﴾ [في الدنيا] أي فالصدق في الدنيا نافع في الآخرة، وأما الصدق في الآخرة فلا يفيد شيئاً لتقدم الكذب في الدنيا كما سيأتي. قوله: [بطاعته] أي بإقامته لهم في الطاعة، أو بسبب تلبسهم بامتثال مأموراته واجتناب منهياته، فالطاعة سبب لرضا الله ودليل عليه. قوله: ﴿ورضوا عنه﴾ أي بأن شكروا على نعمائه وصبروا على بلوائه، فرضا الله على عبده توفيقه لخدمته في الدنيا وإدخاله جنته في الآخرة، ورضا العبد عن ربه في الدنيا صبره على أحكام ربه، وفي الآخرة قناعته بما أعطاه له من النعيم الدائم. قوله: [بثوابه] أي برؤية ثوابه لهم في الجنة، حيث أعطاهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ اسم الإشارة يعود على الجنات وما بعدها. قوله: [لما يؤمنون الخ] أي كما في قوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾.

قوله: ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ تنبيه على فساد زعم الكفار أن لله شريكاً، فالمعنى أن الله مالك للسموات والأرض وما فيهن فأين الشريك له، ولا يليق أن يكون شيء من ملكه شريكاً له. قوله: [تغليباً لغير العاقل] أي وإشارة إلى أن ما سواه في رتبة العبودية سواء ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ فلا فرق بين عاقل وغيره في كونه مملوكاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً. قوله: [وخص العقل ذاته الخ] دفع بذلك ما يقال إن من جملة الأشياء ذاته فيقتضي أنه قادر على ذاته. فأجاب بذلك لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات لا بالواجبات ولا بالمستحيلات، فالمراد بالشيء الموجود الممكن.

فهرس الجزء الأول من حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

Showi Juz I / 01 Showi Juz I / 02 Showi Juz I / 03 Showi Juz I / 04 Showi Juz I / 05
Showi Juz I / 06 Showi Juz I / 07 Showi Juz I / 08 Showi Juz I / 09 Showi Juz I / 10
Showi Juz I / 11 Showi Juz I / 12 Showi Juz I / 13 Showi Juz I / 14 Showi Juz I / 15
Showi Juz I / 16 Showi Juz I / 17 Showi Juz I / 18 Showi Juz I / 19 Showi Juz I / 20
Showi Juz I / 21 Showi Juz I / 22 Showi Juz I / 23 Showi Juz I / 24 Showi Juz I / 25